كشف الغمة

في

معرفة الأئمة

تأليف

العلامة المحقق

أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي

المتوفى سنة ٦٩٢ هـ ق

قدم له

السيد إبراهيم السيد علي

منشورات الشريف الرضي

كشف الغمة

في

معرفة الأئمة

تأليف

العلامة المحقق

أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي

المتوفى سنة ٦٩٢ هـ ق

قدم له

السيد احمد الحسيني

الجزء الأول

منشورات الشريف الرضي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

بسم الله الرحمن الرحيم

الشابك : ١ ـ ٧١ ـ ٦٠٤٦ ـ ٩٦٤
ISBN : 964 - 6046 - 71 - 1

الكتاب : كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام
المؤلف : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي
الناشر : انتشارات الشريف الرضي
عدد الصفحات والقطع : (٦١٦) صفحة وزيري جزء الأول
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٢١ ـ ١٣٧٩
عدد المطبوع : ١٠٠٠ دوره (مجلدين)
المطبعة : شريعت ـ قم
سعر الدورة : ٦٥٠٠٠ ت

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيّها النبي إنّا أرسلناك بالحق ، فاصدع بما تؤمر ، ربّك يخلق ما يشاء ، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ، فليحذر الذين يخالفون عنهم أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .

القرآن المجيد

ترجمة الإربلي

السيّد أحمد الحسيني

نسبه ونسبته

الصاحب بهاء الدين، أبوالحسن علي بن عيسى فخرالدين[1] بن أبي الفتح بن هندي الشيباني الإِرْبِلي الهَكّاري.

«الشيباني» لم نعرف وجه نسبة الإربلي إلى «شيبان» بطون من قبائل عربية كانت تسكن في اليمن والحجاز والعراق[2]، في حين أنّه كان ينحدر ظاهراً من قبائل كردية تسكن في نواحي إربل. ويمكن القول بأنّه عربي الأصل سكن آباؤه في هذه المنطقة، فالنسبة جاءته من سلفه.

«الإربلي» نسبة إلى إِرْبِل بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة، وهي مدينة معروفة بشمال العراق، كان بجنبها قلعة حصينة، أكثر أهلها أكراد قد استعربوا، وهي الآن اسم لإحدى محافظات العراق مركزها هذه المدينة المسماة بنفس الإسم[3].

قال الأفندي بعد نقل ضبط «الإربلي» كما قلنا: الدائر على الألسنة في الإربلي بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضمّ الباء الموحّدة[4].

«الهَكّاري» نسبة إلى جبل الهَكّارِيَّة، بفتح الهاء وتشديد الكاف وراء ثمّ ياء نسبة. وهي بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر، يسكنها أكراد يقال لهم «الهَكّارية»[5].

---

(١) تكرر في الوافي بالوفيات ٣٧٨/٢١ «بن عيسى»، ولم يرد كذلك في بقية المصادر. وفي روضات الجنّات ٣٤١/٤ جعل لقب «فخرالدين» لأبي الفتح. وفي شذرات الذهب ٣٨٣/٥ عنوانه: بهاء الدين بن الفخر عيسى الإربلي.

(٢) أنظر: معجم قبائل العرب ٦٢٢/٢.

(٣) معجم البلدان ١٣٧/١.

(٤) رياض العلماء ١٧٤/٤. نصّ ياقوت في معجمه أنّه لا يجوز فتح الهمزة في إربل.

(٥) معجم البلدان ٤٠٨/٥.

كنّاه في الروضات بـ «ابن الفخر» نسبة إلى لقب أبيه أو جدّه، وقال أنّه مشهور بذلك[١].

بيته

أبوه فخرالدين عيسى الإربلي، يعرف بـ «ابن جِجْني»، كان حاكماً على إربل ونواحيها أيّام الصاحب تاج الدين أبي المعالي محمّد بن الصلايا الحسيني، وإليه رئاسة البلد، وكان من أعيان عصره عقلاً وحكمةً وعلماً. توفي بإربل في سلخ جمادى الآخرة سنة ٦٦٤، ورثاه جماعة من أهل بغداد، منهم شمس الدين أبوالمناقب محمّد ابن أحمد الحارثي الهاشمي الكوفي ـ من شيوخ ابن الفوطي ـ بقوله من قصيدة:

لقد كان فخرالدين بحرَ فضائلٍ ... ولم نر بحراً قبله ضمّه القبرُ
كريمُ السجايا هذّبَ الجودُ نفسَه ... إلى أن تساوىٰ عنده التربُ والتبرُ[٢]

وصفه ابن شاكر الكتبي بالولاية على إربل، ولقّبه بالأمير[٣].

حفظ لنا التاريخ من أولاده وأحفاده:

الشيخ تاج الدين محمّد، ابن الإربلي، الأديب الفاضل الشاعر، يروي عن أبيه كتابه «كشف الغمة»[٤].

أبوالفتح، ابن الإربلي، تسلّم ثروة أبيه بعد موته وكانت تقدّر بألفي ألف درهم، فمحقها ومات صُعلوكاً[٥]. ذهب الأستاذ الجبوري إلى أنّه متّحد مع تاج الدين محمّد، ولابدّ من التحقيق فيه، إذ لم يكنّ تاج الدين بأبي الفتح في المصادر التي اطّلعنا عليها.

شرف الدين أحمد بن الصدر تاج الدين محمّد، حفيد الإربلي، فاضل شاعر أديب، يروي عن جدّه كتاب «كشف الغمة»، وله منه إجازة[٦].

الشيخ عيسى بن محمّد، حفيد الإربلي، الأديب الشاعر الفاضل، يروي عنه

---

(١) روضات الجنّات ٣٤١/٤، أخذه من رياض العلماء ١٦٦/٤.
(٢) تلخيص مجمع الآداب ٢٧٤/٣.
(٣) فوات الوفيات ٥٧/٣.
(٤) رياض العلماء ١٦٦/٤.
(٥) فوات الوفيات ٥٧/٣.
(٦) أمل الآمل ٢٦/٢.

كتابه «كشف الغمة»[١].

من هذه الإلمامة العابرة نستنتج أنّ البيت الذي نشأ فيه الإربلي كان بيت رئاسة وعلم، واتّصل العلم في هذا البيت بعده لسنين طويلة، فأولاده وبعض أحفاده علماء لهم نصيب في الرواية والنقل.

نشأته

لا نملك نصاً تاريخياً يحدّد تاريخ مولد الإربلي على التعيين، إلّا أنّ الأستاذ عبدالله الجبوري يرجّح أنّه كان مولده بإربل بين سنتي ٦٢٠ ـ ٦٢٥، فيقول:

«الأرجح عندنا أنّه ولد بإربل، وفي حدود سنتي ٦٢٠ ـ ٦٢٥، وحجتنا فيما نذهب إليه أنّه تولّى رئاسة الكتّاب في ديوان متولّي إربل تاج الدين ابن الصلايا قبل هجرته إلى بغداد، ونرجّح أنّه تولّاها في أُخريات سنة ٦٥٣، أي له من العمر ثمان وعشرون سنة، وهذا أقلّ إحتمال حيث يتولّى رئاسة الكتّاب في ديوان متولّي إربل في مثل هذا العمر»[٢].

أقول: يستشف من بيت في الديوان أنّ الإربلي ولد نحو سنة ٦١٢، فإنّه يقول:

ولولا معان فيك أو جبن صبوتي لما كنت من بعد الثمانين مغرماً

إذا أخذنا بنسخة «الثمانين» لا «الثلاثين» كما رجّحنا ذلك في التعليق على البيت، وإذا أراد الحقيقة من هذه اللفظة لا المبالغة الشعرية، وكانت القصيدة قالها في أواخر عمره.

أمّا نشأته الثقافية فلم نجد من مترجميه تفصيل ما يدلّنا على سيره الدراسي وممّن أخذ العلم وعلى من تتلمذ في مراحل الطلب المختلفة، ولابدّ من الإكتفاء بالإجمال في هذا الشأن، فنقول:

يستفاد من آثاره الواصلة إلينا ومن تقاريظ العلماء والمؤرخين له، واستعراض نقولاته الأدبيّة وغيرها، أنّه نشأ نشأة علمية صالحة وقرأ على أساتذة وشيوخ أصحاب الشهرة الأدبية والمكانة العلمية في عصرهم، فمساجلاته الشعرية ومناقشاته التي

---

(١) رياض العلماء ١٦٦/٤.

(٢) مقدمة رسالة الطيف ص١٤.

يتطرّق إليها عرضاً فيما يكتبه، تنم عن دراسة واعية في أيّام التحصيل والأخذ، كما تكشف عن طول باع في العلوم المتداولة في عصره وبيئته.

وهو بالإضافة إلى مكانته في العلم والأدب، متتبّع كثير القراءة في الكتب والمصادر التاريخية لكبار قدامى العلماء، واسع المعرفة بالتفسير والحديث وتاريخ العصر الإسلامي الأول، يظهر ذلك جلياً لمن قرأ كتابه السائر الممتاز «كشف الغمة»، فإنّه عندما ينقل حديثاً في فضل أهل البيت عليهم السلام يسرد أسماء مصادر وفيرة كثير منها غير موجودة في عصرنا أو لم نطّلع على وجودها في مكتباتنا التي عرفنا ما فيها.

كلّ هذا يدلّ على أنّه كان يتمتّع بمواهب ممتازة، استقلّها عند نشأته الأولى ولم يشغله موقع أبيه من الولاية والرئاسة، وقد ضلّ ينميها بعد أن ترعرع وشبّ بمداومة القراءة ودقّة النظر، وحتّى بعد أن أصبح ذا مكانة مرموقة في الدولة ببغداد وأشغل منصب كتابة الإنشاء.

أساتذته ومشايخه

الإربلي كثير النقل في كتبه عن العلماء والأدباء والشعراء المعاصرين له، التقى بهم في أندية علمية وأدبية ضمّته إليهم أو راسلهم وكاتبهم، ومن الصعوبة بمكان معرفة شيوخه (الذين أخذ منهم العلم أو روى عنهم) وتمييزهم عن غيرهم على الدقة.

وفيما يلي نذكر الشيوخ الذين ذكر روايته عنهم في أوّل كتابه «كشف الغمة» أو في غضونه، أو ذكرهم في مؤلفاته الأخرى، أو صرّح آخرون أنّهم من الشيوخ المجيزين له:

١ ـ الشيخ برهان الدين أحمد بن علي الغزنوي[١].

٢ ـ السيّد جلال الدين عبدالحميد بن فخار الموسوي[٢]، يروي عنه في مواضع من «كشف الغمة»، أجازه في ذي الحجة سنة ٦٧٦[٣].

٣ ـ تاج الدين أبوطالب علي بن أنجب بن عثمان الشهير بابن الساعي البغدادي

---

(١) روضات الجنّات ٤٠٧/٤.

(٢) في الغدير: علي بن عبدالحميد بن فخار الموسوي. وهو خطأ سرى إلى بعض أصحاب التراجم، فإنّ علياً هذا متأخر عن طبقة الإربلي. أنظر: الأنوار الساطعة ص٨٧، الحقائق الراهنة ص ١٤١.

(٣) رياض العلماء ١٦٦/٤.

السلامي، يروي الإربلي عنه كتاب «معالم العترة النبوية» لابن الأخضر الجنابذي[١].

٤ ـ رضي الدين ابوالهيجاء علي بن حسن بن منصور بن موسى الإربلي الأنصاري الأوسي، قرأ عليه «اللمع» لابن جني وقطعة صالحة في «الإيضاح»، وأجازه أن يروي عنه عن مشايخه كلّما قرأه عليهم ورواه عنهم بشروطه[٢].

٥ ـ السيّد رضي الدين علي بن طاوس الحلي، يروي عنه في مواضع من كتابه «كشف الغمة»[٣].

٦ ـ كمال الدين أبوالحسن علي بن محمّد بن محمّد بن وضّاح الحنبلي الشهرآبائي، أجازه أن يروي عنه كلّما يروي عن مشايخه[٤]، ومنها كتاب «الذرية الطاهرة» لأبي بشر الدولابي.

٧ ـ رشيد الدين أبو عبدالله محمّد بن أبي القاسم بن عمر بن أبي القاسم، قرأ عليه كتاب «المستغيثين» في شعبان سنة ٦٨٦ في داره المطلة على دجلة ببغداد[٥].

٨ ـ أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي، قرأ عليه بإربل في مجلسين كتاب «كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب»، آخرهما في يوم الخميس ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ وأجاز له روايته[٦]، وقرأ عليه أيضاً كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان».

٩ ـ السيّد محيي الدين يوسف بن يوسف بن يوسف بن زيلاق الكاتب الهاشمي الموصلي، أجازه رواية المعقول والمنقول وكتب إليه بذلك[٧].

تلامذته والراوون عنه

قرأ جماعة كتاب «كشف الغمة» وسمعوه من مؤلّفه الإربلي، فأجازهم روايته

---

(١) الغدير ٤٤٦/٥.

(٢) التذكرة الفخرية ص٢١٣.

(٣) رياض العلماء ١٦٦/٤.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) الغدير ٤٤٧/٥.

(٦) رياض العلماء ١٦٧/٤.

(٧) التذكرة الفخرية ص١١٢.

عنه في ثالث شهر شعبان سنة ٦٩١، والإجازة منسوخة في بعض نسخ الكتاب المخطوطة القديمة، رأى صورتها الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي فوزع أسماء الشيعة منهم في كتابه «أمل الآمل»، كما نقل صورتها أيضاً الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة ٤٨/١٨، وهم:

١ ـ تقي الدين إبراهيم بن محمّد بن سالم.

٢ ـ تاج الدين أبوالفتح بن حسين بن أبي بكر الإربلي.

٣ ـ شرف الدين أحمد بن عثمان النصيبي المدرس المالكي.

٤ ـ شرف الدين أحمد ابن الصدر تاج الدين محمّد بن علي بن عيسى، حفيد بهاء الدين الإربلي صاحب الترجمة.

٥ ـ عزالدين أبو علي الحسن[١] بن أبي الهيجاء الإربلي.

٦ ـ حسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عباس الموصلي.

٧ ـ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر العلّامة الحلّي.

٨ ـ رضي الدين ابن المطهّر[٢]، وهو علي بن يوسف بن المطهّر أخو العلّامة الحلّي[٣].

٩ ـ أمين الدين عبدالرحمن بن علي بن الحسين الحريري الموصلي[٤].

١٠ ـ كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي[٥].

١١ ـ شمس الدين (عماد الدين) عبدالله بن محمّد بن مكّي.

١٢ ـ عيسى بن محمّد بن علي بن عيسى الإبلي، حفيد بهاء الدين.

١٣ ـ مجد الدين الفضل بن يحيى[٦] بن علي بن المظفّر الطيبي الكاتب بواسط.

١٤ ـ الصدر تاج الدين محمّد بن علي بن عيسى الإربلي، ابن بهاء الدين.

١٥ ـ السيّد شمس الدين محمّد بن الفضل العلوي الحسيني.

---

(١) في الذريعة: عزالدين أبوالحسن علي بن ...

(٢) ذكره الأستاذ الجبوري في مقدمة رسالة الطيف.

(٣) الحقائق الراهنة ص١٥٤.

(٤) في الذريعة: أميرالدين عبدالرحمن بن علي بن أبي الحسين الجزيري، وفي الغدير: الجزري.

(٥) صرّح بذلك ابن الفوطي مرّات في كتابه تلخيص مجمع الآداب.

(٦) كذا، والصحيح أنّه متّحد مع مجد الدين أبوالفضل يحيى المذكور برقم ١٧.

١٦ ـ الشيخ محمود بن علي بن [أبي] القاسم.
١٧ ـ مجد الدين أبو الفضل يحيى بن علي بن المظفر الطيبي[١].

في الوظائف الحكومية

كتب في بداية أمره لمتولّي إربل إبن الصلايا[٢]، وبعد هجرته منها كان يتردّد عليها، فكان بها في ذي القعدة سنة ٦٦٢[٣].

وصل إلى بغداد في شهر رجب سنة ٦٦٠[٤]، واتّصل بعلاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمّد الجويني، واشتغل لديه بكتابة الإنشاء، فحصل عنده وعند أخيه شمس الدين محمّد متّسعاً من الجاه والمال، وتعرّف من طريقهما على فخر الدولة منوجهر بن أبي الكرم الهمذاني، وبطلب من الأخير جمع كتابه «التذكرة الفخرية»[٥].

قالوا: فتر سوقه في دولة اليهود، ثمّ تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب إلى أن مات[٦].

صرّح بعض ـ وسرى ذلك إلى جملة من الكتب التي ترجمت للإربلي ـ أنّه كان وزيراً لبعض الخلفاء العباسيين، وليس في التواريخ المشهورة حكاية وزارته، والظاهر أنّه من باب الإشتباه بالوزير علي بن عيسى بن داود الجراح وزير المقتدر بالله العباسي[٧].

وصف في جملة من المصادر بـ «الصدر»، ووجد هذا اللقب على نسخة من كتاب «كشف الغمة» مقروءة عليه وعليها خطّه[٨]، كما ذكره بعض المترجمين له بلقب

---

(١) في الأمل: يحيى بن مظفر، وهو نسبة إلى الجد.
(٢) فوات الوفيات ٥٧/٣.
(٣) التذكرة الفخرية ص١٨٩.
(٤) صرّح الإربلي بهذا التاريخ في مقدمة كتابه التذكرة، فلا يصحّ ما ذكره ابن الفوطي من أنّه هاجر إلى بغداد سنة ٦٥٧.
(٥) التذكرة الفخرية ص٤٧ ـ ٤٨.
(٦) فوات الوفيات ٥٧/٣.
(٧) رياض العلماء ١٦٨/٤، مقدمة رسالة الطيف ص١٦.
(٨) الذريعة ٤٨/١٨.

«الصاحب»[١]، وهذان اللقبان يطلقان على كبار أرباب الدولة ولا يعنيان الوزارة بالذات.

في سنة ٦٧٨ تولّى تعمير «مسجد معروف» الذي عمره ضياء الدين خال الصاحب علاء الدين عطا ملك، وتمّمه الصاحب شمس الدين الجويني، ومسجد معروف هذا هو «جامع باب السيف» المشهور على ما حقّقه الدكتور مصطفى جواد، وهدم في عام ١٩٦٤ م[٢].

في عام ٦٨٧ تولّى الوزارة سعد الدين بن الصفي اليهودي، وأُعيد إليه أمر الأشراف بالعراق، وفي ذات يوم وصل إلى بغداد جماعة من اليهود من أهل تفليس وقد رتّبوا ولاة على تركات المسلمين. في هذا العام ترك الإربلي كتابة الإنشاء وانزوى في داره. وهذه الفترة عنيت بـ«فتر سوقه في دولة اليهود ثمّ تراجع بعدهم وسلم» في كلام ابن شاكر الكتبي[٣].

شيء عن مذهبه

قال ميرزا عبدالله أفندي:

ثمّ كون هذا الفاضل من الشيعة الإمامية ممّا لا شك فيه، ولكن السيّد الداماد قال في «شرعة التسمية» في شأنه: والشيخ الناصر لدين الشيعة، وكتب بعض تلامذته في الهامش: إشارة إلى توقّفه دام ظلّه في تبصّره، فإنّه كان زيدياً وزعم بعض أنّه تبصّر.

وقد ردّ الصدر الكبير آمير رفيع الدين في ردّ شرعة التسمية المذكور [على هذا الزعم] بأحسن وجه.

أقول: والحق تشيّعه، لتصريحه في كتاب كشف الغمة بذلك، وقد قال فيه أيضاً في أحوال المهدي عليه السلام: قال علي بن عيسى عفى الله عنه: أمّا أصحابنا الشيعة فلا يصحّحون ـ الخ. نعم رأيت نسخة من كتاب «كشف الغمة» في تبريز وكان من مؤلفات

---

(١) فوات الوفيات ٥٧/٣.

(٢) مقدمة رسالة الطيف ص١٤.

(٣) المصدر السابق ص١٥، وانظر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص١٣١، ومن هذا تعرف خطأ من ذهب إلى أنّ المراد بدولة اليهود دولة التتار.

علماء الزيدية، فالإشتباه نشأ من اتّحاد اسم الكتاب[١].

قال العلّامة المجلسي:

كتاب «كشف الغمة» للشيخ الزكي علي بن عيسى الإربلي.. من أشهر الكتب، ومؤلّفه من علماء الإماميّة المذكورين في سند الإجازات[٢].

قال الأدفوي:

كان شيعياً، إلّا أنّه متأدّب مع علماء السنّة ويوافقهم في عقائدهم[٣].

أقول: فلنستمع إلى الإربلي نفسه ـ بعد أن ترجم للأئمّة إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ حيث يقول في قصيدته الرائية التي أوردها في آخر كتابه «كشف الغمة» مجاهراً بحبّه لأهل البيت عليهم السلام ومصرّحاً بأنّه متّبع لهم وهو على علم أنّه مصيب بعقيدته فيهم:

أنا عبد لكم أدين بحبي ... لكم الله ذاالجلال الكبيرا
عالم بأنّني أصبت وأنّ الله ... يؤلي لطفاً وطرفاً قريرا
مال قلبي إليكم في الصبى ... الغض وأحببتكم وكنت صغيرا
وتولّيتكم وما كان في أهلي ... ولي مثلي فجئت شهيرا
أظهر الله نوركم فأضاء الأفق ... لمّا بدا وكنت بصيرا
فهداني إليكم الله لطفاً بي ... وما زال لي وليّاً نصيرا

هذه القصيدة، وهذه الأبيات خاصة، هي القول الفصل في مذهب الرجل، وليس وراءها قول.

ولعلّه يشير بقوله «وما كان في أهلي ولي مثلي» إلى أنّ عشيرته لم تتمذهب بمذهب الإماميّة، ومنه نشأ القول بكونه من الزيديّة ثمّ استبصر.

قالوا فيه

اتفق مترجمو الإربلي على الثناء عليه والإشادة بعلمه وأدبه وفضله، ووصفوه

---

(١) رياض العلماء ١٦٩/٤.

(٢) بحار الأنوار ١٠/١ و٢٩.

(٣) البدر السافر ص ٢١.

بأوصاف تنم عن مكانته الرفيعة عند معاصريه ومنزلته السامية عند من أتى بعده من أصحاب التراجم، فلم تر من يخدش في علمه ودينه ورفيع خلقه، ولم تجد من يغمز في سلوكه الفردي والإجتماعي، وهذا يدلّ على عقله الوافر ومحافظته على الآداب مع من كان يعاشره، كما يدلّ على قيمة ما خلفه من المؤلفات والكتب التي اعتنى بها العلماء من بعده.

قال بدرالدين يوسف الذهبي الدمشقي يمدحه:

لولا غرامُك بالألحاظِ والمُقلِ ... وبالقدود التي تسبيك بالمَيَلِ
مابتّ ترعى السُّهى شوقاً إلى قمر ... بالقلب لا الطرف ثاوٍ غير منتقلِ
والعيس تحت حُدوج الغيد غاديةً ... تشكو الكَلالَ من الأحداج والكُللِ
وقد تغنى لها الحادي فأطربها ... وهنأ على هضبات الرَّمْل بالرَّمَلِ
يحملن كلَّ هضيم الكَشح ذي هَيَفٍ ... وكلُّ أحوى رشيقَ القدّ معتدلِ
إذا سطى قلت شبلٌ من بني أسدٍ ... وإن رنا قلت رامٍ من بني ثُعَلِ
أبادني طرفُه قبل العذول فقلـ ... ـتُ السبق للسيف ليس السبق للعَذِلِ
فعدّ يا صاح عن دمع الكئيب فما ... أطلّه اليومَ ما يهمي على طَلَلِ
واستعطف الريحَ من وادي الأراك فقد ... ضنّت على الصب بالإبلالِ والبَلَلِ[1]

وقال ابن شاكر الكتبي:

«الصاحب بهاء الدين ابن الأمير فخر الدين الإربلي، المنشىء الكاتب البارع، له شعر وترسّل، كان رئيساً.. وكان صاحب تجمّل وحشمة ومكارم، وفيه تشيّع، وكان أبوه والياً بإربل.. وخلف لما مات تركة عظيمة نحو ألفي ألف درهم تسلّمها ابنه أبوالفتح ومحقها ومات صُعلوكاً»[2].

وهكذا وصفه الصفدي، وأضاف عليه: «وقد أفرد له العِزّ الإربلي ترجمةً في جزء كبير»[3].

وقال الأدفوي جعفر بن ثعلب:

---

(١) التذكرة الفخرية ص٢٤٥.

(٢) فوات الوفيات ٥٧/٣.

(٣) الوافي بالوفيات ٣٧٨/٢١.

«كان شيعياً، إلّا أنّه متأدّب مع علماء السنّة ويوافقهم في عقائدهم[١]، وكان كريماً متواضعاً، وله مجلس ببغداد يجلس فيه طرفي النهار ويجتمع عنده الفضلاء وتجري بينهم بحوث في أنواع من العلوم»[٢].

وقال ابن العماد الحنبلي:

«الصدر الكبير المنشىء.. له الفضيلة التامة والنظم الرائق والنثر الفائق، صنّف مقامات حسنة ورسالة الطيف»[٣].

وقال الحرّ العاملي:

«كان عالماً فاضلاً محدثاً ثقة شاعراً أديباً منشئاً، جامعاً للفضائل والمحاسن، له شعر كثير في مدائح الأئمّة عليهم السلام»[٤].

وقال ميرزا عبدالله أفندي:

«الوزير الكبير والشيخ الخبير.. صاحب الفضائل الجمة، والعالم الجليل الذي كشف الغمة، وأزال الحيرة عن الأمة»[٥].

وقال الفضل بن روزبهان:

«اتفق جميع الإمامية على أنّ علي بن عيسى من عظمائهم، والأوحدي النحرير من جملة علمائهم، لا يشقّ عباره ولا يتعدى آثاره، وهو المعتمد المأمون في النقل»[٦].

وقال السيّد الخوانساري:

«كان من أكابر محدّثي الشيعة، وأعاظم علماء المائة السابعة، وله الرواية عن السيّد رضي الدين.. وخلق كثير من أعاظم علماء الفريقين»[٧].

وقال السيّد حسن الصدر الكاظمي:

---

(١) أي لا يحتج معهم فيها، بل يلزم جانب المجاملة والمداراة معهم، كما هو المطلوب من المسلمين بعضهم مع بعض، وقد ورد الأمر بها في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

(٢) البدر السافر ص ٢١، نقلنا عنه بواسطة تعليق من محقق فوات الوفيات.

(٣) شذرات الذهب ٣٨٣/٥.

(٤) أمل الآمل ١٩٥/٢.

(٥) رياض العلماء ١٦٦/٤.

(٦) المصدر السابق ١٦٩/٤.

(٧) روضات الجنّات ٣٤١/٤.

«بهاء الدين، كان من أئمّة الأدب والنحو واللغة والإنشاء»[١].

وقال خيرالدين الزركلي:

«منشىء مترسّل من الشعراء، كتب لمتولّي إربل ثمّ خدم ببغداد في ديوان الإنشاء، له كتب أدبية»[٢].

وقال الشيخ عباس القمي:

«بهاء الدين أبوالحسن، من كباء علماء الإمامية، العالم الفاضل الشاعر الأديب، المنشىء الحرير المحدّث الخبير، الثقة الجليل، أبوالفضل والمحاسن الجمة، صاحب كتاب الغمة، كتاب نفيس جامع حسن، ولصاحبه بيان في تأويل ما نسب الأئمّة عليهم السلام إلى أنفسهم المقدسة من الذنب والخطأ والعصيان مع عصمتهم»[٣].

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني:

«الوزير الصاحب الكاتب الأديب.. المولى الصدر الكبير المعظم، مولى الأيادي ملك الفضلاء، واسطة العقد»[٤].

وقال العلّامة الأميني:

«فذّ من أفذاذ الأمّة، وأوحدي من نياقد علمائها، بعلمه الناجع وأدبه الناصع يتبلّج القرن السابع، وهو في أعاظم العلماء قبلة في أئمّة الأدب، وإن كان به ينضد جمان الكتابة وتنظم عقود القريض. وبعد ذلك كلّه هو أحد ساسة عصره الزاهي، ترنّحت به أعطاف الوزارة وأضاء دستها، كما ابتسم به ثغر الفقه والحديث، وحميت به ثغور المذهب»[٥].

وقال الأستاذ عبدالله الجبوري:

«برع الإربلي في تدبيج كلم رسالته هذه (رسالة الطيف) براعة رفيعة، قامت دليلاً على تمكّنه في فنّ الإنشاء والترسّل، وكأنّه أراد أن يبيّن عن مكنون أدبه العالي وعن إصالته الفنية في الإنشاء، ويبرهن على عبقريته في صوغ الكلام، ومكنته في

---

(١) تأسيس الشيعة ص١٣٠.

(٢) الأعلام للزركلي ٣١٨/٤.

(٣) الكنى والألقاب ١٨/٢.

(٤) الأنوار الساطعة ص١٠٧.

(٥) الغدير ٤٤٦/٥.

صناعة الحرف، وثروته الجبّارة في المفردات»[١].

أدبه ونثره

الإربلي أديب ناضج الأدب، يمرّ على القصائد والأبيات التي ينقلها في مؤلّفاته الأدبيّة مترويا فيها ومستخرجاً ما أبدع الشاعر فيها من المعاني الطريفة والنكات المستملحة الظريفة، فيقرظها مع ذكر ما فيها من محاسن الإشارات ولطائف الكنايات، وربّما ينقد بعضها بما يعنّ له من النقد الأدبي، وهو بالإضافة إلى ذلك يشرح ما يحتاج إلى الشرح والتوضيح من غريب اللغة وما دقّ معناه وخفي مرماه من مقاصد الشاعر، وبذلك يوجّه قارئه إلى ما صحّ لديه ممّا ربّما يخفى على القارىء[٢].

هذا، ولا يُخفي أديبنا شديد ابتهاجه ببعض ما ينقله من الشعر الجزل الرائع، فيقول مثلاً: «هذا هو الشعر الذي تطرب له النفوس فرحاً ومسرة، ويلوح على وجه المعاني الرائقة غرة، وما عسى أن يقال في شيخ الصناعة وفارس البراعة»[٣].

وعند النقد يصارح صاحبه بنقده، وربّما خالطته شدّة في القول ولحن لا يخلو من السخرية والإستهزاء، فنراه يقول في بيت سعيد بن حميد الكاتب «دموع صب سفحت في خده»، يقول: لو قال «دموع حب» لكان أنسب وأدل على المعنى، إذ ليس من المعلوم المستعمل أن يشبّه الصب بالورد، ولكن هذا يحتاج إلى ذهن نقّاد وخاطر وقّاد، فيضع الهناء مواضع النقب، ويفرق بين ذوي العمائم وذوات النقب[٤].

وفي قول ابن الحنفي «لقتل الغمض في مقلتي وهنا» يقول: ولو قال «لقتل الغمض في مقلتي وسنى» كان أجود وأكثر ملائمة، وكأنّه به قد خاف من أن يصف مقلته بأنّها وسناء، وليت شعري لو أنّها كذلك وإلّا أيّ شيء كان يقتل البرق في جفنه، وفي قوله «الغمض» دليل على ما فرّ منه[٥].

ويعارض أبا هلال العسكري، فيقول: هذه الأبيات قد استحسنها أبو هلال،

---

(١) مقدمة رسالة الطيف ص٣٣.

(٢) أنظر: فصل الخمريات خاصة من كتابه التذكرة الفخرية ص٢٨٢.

(٣) التذكرة الفخرية ص٣٠٤ـ٣٠٧، رسالة الطيف ص١٤٥.

(٤) التذكرة الفخرية ص٤٢٧.

(٥) المصدر السابق ص٤٣٦.

والأقسام التي فيها يمجّها طبعي وينفر عنها حتّى يعافها نقدي[١].

قال محققا التذكرة: ويقدم لكل باب من أبوابه بمقدمة يظهر فيها براعته الفنية، وبأسلوب مسترسل وعبارات مسجوعة، وهي صورة لعصره الذي برع فيه أقطاب هذا الإتجاه، وتميّز أدب الفترة بهذا الضرب الفني. وتأتي بعض إشاراته وهي تقف عند مسائل نقدية تتعلق باستخدام ألفاظ واستعمال مفردات وتقويم عبارات. ومن الطريف أن نجد المؤلف يخالف النقّاد القدامى والبلاغيين في بعض آرائهم، فإذا استحسنوا أبياتاً من الشعر وجدناه لا يجري مجراهم في الإعجاب أو المتابعة، وإنّما يظهر رأيه بصراحة ويعبّر عن موقفه بصورة معاكسة، فإذا ذكر أبياتاً لزهير مثلاً قال: إنّ هذه الأبيات قد استحسنها أبو هلال، والأقسام التي فيها يمجّها طبعي وينفر عنها حتّى يعافها نقدي، والمؤلف لا يقف عند حدود الإستشهاد، أو تنتهي مهمّته عند حدود النقل غير الواعي، وإنّما يجد في كلّ باب من أبوابه استجابة يغنيها بشعره، والتفاتة تحيط بما لم يُعثر عليه عند شعراء الإستشهاد[٢].

وبعد: فالإربلي أديب قوي العارضة، تذوّق الأدب منذ نشأته الأولى، وقد مارسه طيلة حياته، ناظماً وناثراً وناقداً ماهراً، لا يعوزه التعبير ولا يصدّ طريقه وعورة التقرير. تولّى كتابة الإنشاء في ديوان السلطان سنين حتّى عدّ من أجلاء المنشئين.

وفيما يلي ننقل سطوراً من نثره الدارج في عصره، ليلمس القارىء قوّة تعبيره وتمكّنه في الأدب العربي:

«ولي طبيعة تصبو إلى زمن الربيع، وتتشوّف إلى النبات المريع، أجد من نفسي نشاطاً في أيّامه، ويهيجني نشر رنده وخزامه، وأبتهج ببنانه وعراره، وأطرب لدرهمه ودينارة، واستنشىء ريّاه، ويشوقني محياه، ويروقني منظره ومخبره، ويرقّ لي أصيله وسحره، ما تفتقت أكمامه إلّا تحرّك وجد القلب وغرامه، ولا فتح نواره إلّا وأضرم في الحشا ناره..».

«ولم يكن عندي إذ ذاك باعث غرام، وليس همّ في غلامة أو غلام، لا سبيل عَلَيّ لسلطان البطالة، ولا طريق على قلبي لغزال ولو كان كالغزالة، أعجب ممّن يهيم وجداً،

---

(١) المصدر السابق ص٤٧٤.

(٢) مقدمة التذكرة الفخرية ص١٣ ـ ١٥.

وأستغرب متى شكا عاشق هجراً وصدّا، وأفوق إلى توبة وجميل سهام كلام، وأسفّه رأي قيس وعروة بن حزام، أعدّ ما نقل من أخبارهم زوراً ومينا، وأستبعد من عاذل أن يجلب حينا..»[١].

شعره وشاعريّته

يستعرض الإربلي في أوّل مقدّمة كتابه «التذكرة الفخرية» أهميّة الشعر، ويعتبره من أعظم آداب العرب، ويأتي بنماذج طريفة من رفعة مكان بعض الناس أو سقوطها بسبب بيت أو أبيات قيل فيه مدحاً أو ذمّاً، فيسير ثناء الشخص على الألسن لمدح شاعر له أو تذمّه العامة لقولة قالها فيه شاعر. كأنّه بهذا الإستعراض يريد دفع القارىء إلى الإهتمام بهذه الميزة الأدبية وتشجيع ذوي القرائح لممارستها.

ويبدو من قراءة كتبه الأدبية أنّه كان كثير المزاولة لشعر الشعراء ـ جاهليهم وإسلاميهم، قديمهم ومتأخّريهم ـ له دأب على سبر دواوينهم وما أثر عنهم في الكتب الأدبيّة العامة، وعند الإستشهاد بأبياتهم يصرّح برأيه فيها وربّما نقدها بالنقد الأدبي الواعي. وكثيراً ما يذكر من أين أخذت المعاني، ويدل على السرقات الشعرية إن صحّ هذا التعبير، وذلك لمعرفته الجيدة بمواقع الإجادة فيها والمعاني المسبوقة في شعر المتقدمين، وهذا يدلّ على خبرته التامة بهذه الصنعة ومعالجته الطويلة لها وذوقه المرهف فيها.

عانى نظم الشعر منذ أيّام الصبا كما كرّر التصريح بذلك في أكثر من موضع من مؤلفاته[٢]، ولطول مدّة شاعريّته نراه مكثراً له نظم وافر في مختلف الأغراض الشعريّة التي اعتاد الشعراء تطرّقها والنظم فيها.

اقتصر في كتبه على الأكثر من شعره بنقل أبيات يسيرة من قصائد ومقاطيع نظمها في مختلف المناسبات، وبهذا فوّت علينا جانباً كبيراً من شعره ولم نطلع إلّا على النزر اليسير منه.

له اهتمام ملحوظ بالتغزّل في الشعر، فإنّ القسم الأوفر ممّا أورده من شعره في

---

(١) رسالة الطيف ص ٦١.

(٢) أنظر مثلاً: التذكرة الفخرية ص٢٦٦ و ٢٧١ و ٢٧٢.

كتابه «التذكرة الفخرية» هو الغزل، ولعلّ ذلك لأنّ السائد في عصره أن يبدأ الشعراء قصائدهم ـ وخاصة ما يقولونه في المديح ـ بالغزل والتشبيب بحسان الوجوه وهيفاء القدود، ولهذا يكثر في قصائدهم هذا النوع من الشعر. ولكن شاعرنا ـ مع هذا ـ كأنّه يحتشم من نقل بعض ما قاله في الغزل، فتراه يعتذر بجملة «وقد اقتضت الحال ذلك» عند ما ينقل مقطوعته القافية التي أوّلها:

جارية من ساكني العراق تضرم نار الهائم المشتاق

يقول الأستاذ عبدالله الجبوري: وشعره يمتاز بالإصالة والقوّة في الوجدانيّات، ويبدو نظماً متكلّفاً أثر الصنعة والتكلّف بيّن في مدحه لآل البيت عليهم السلام[1].

مؤلفاته

* كشف الغمة

في حياة النبي الكريم والسادة المعصومين عليهم السلام وجانب من فضائلهم ومناقبهم، وهو من أهم المصادر المعروفة في هذا الصدد بما جمع من مختلف كتب المذاهب المعتنى بها، طبع في إيران وبيروت طبعات كثيرة، وهو الماثل بين يدي القارىء الكريم في طبعته الجديدة.

* رسالة الطيف

في وصف الطيف وطول الليل للعاشقين ومعاناة السهد ومكابدة السهر، ووصف قصر ليل الوصال شعراً ونثراً. طبع في بغداد سنة ١٣٨٨ بتحقيق الأستاذ عبدالله الجبوري، وطبع في بيروت بتحقيق الأستاذ محمّد سعيد الطريحي ولم أره.

* التذكرة الفخرية

كتاب أدبي قيّم جمع بين دفّتيه جملة صالحة من الطرائف والأشعار مع النقد الأدبي لها، ألّفه لفخرالدولة والدين منوجهر بن أبي الكرم الهمذاني في سنة ٦٧١. طبع في بغداد سنة ١٤٠٤ بتحقيق الدكتور نوري حمّودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن.

* المقامات الأربع

---

(١) مقدمة رسالة الطيف ص ٢٤.

هي: البغدادية، الدمشقية، الحلبية، المصرية.

* ديوان شعره

كان له ديوان مدوّن وفقد مع الأحداث، وجمع له الشيخ محمّد السماوي ديواناً في سنة ١٣٦٣ لا يتعدى عن قصائده الموجودة في «كشف الغمة»، ومنه نسخة بخط الجامع في مكتبة الإمام الحكيم بالنجف رقم (٦١٢ م)[١]. وجمعت أنا شعره من كتبه في ديوان مائل للطبع يعتبر ثالث محاولة لجمع شعر الإربلي فيما نعلم.

* جلوة العشاق وخلوة المشتاق

ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٧١٤/١ الطبعة الألمانية، ومنه نسخة في دار الكتب الوطنية بباريس رقم (٣٥٥١).

سمّي عند كحّالة «العشاق وخلوة المشتاق»[٢]، وهو خطأ بيّن.

* نزهة الأخيار في ابتداء الدنيا وقدر القوي الجبار

ذكره الأستاذ عمر رضا كحّالة[٣].

* عدّة رسائل

ذكرت هكذا في جملة من المصادر ولم نعرف تفصيلها.

* حياة الإمامين زين العابدين ومحمّد الباقر عليهما السلام

مستلّ من «كشف الغمة»، وطبع في النجف الأشرف سنة ١٩٥١ م بتقديم الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

* حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

مستلّ أيضاً من «كشف الغمة»، وطبع في النجف سنة ١٩٥١ م.

نسب السيّد حسين المجتهد الكركي إلى الإربلي كتاباً باسم «الثاقب في المناقب»، وذكر ميرزا عبدالله أفندي أنّه غير كتاب «كشف الغمة»، ثمّ استدرك في الهامش أنّ الثاقب من مؤلّفات بعض تلامذة محمّد بن الحسن، وهو قريب من عصر الشيخ الطوسي[٤].

---

(١) مقدمة رسالة الطيف ص ٢٤.

(٢) معجم المؤلفين ١٦٣/٧.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) رياض العلماء ١٧٣/٤.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني: «الثاقب في المناقب» للشيخ محمّد بن علي الجرجاني معاصر ابن شهر اشوب.. نحتمل أنّه «ثاقب المناقب» لمحمّد بن علي بن حمزة الآتي. ثمّ قال: «ثاقب المناقب» للشيخ عماد الدين أبي جعفر محمّد بن علي بن حمزة المشهدي الطوسي المعروف بابن حمزة[١].

ونسب الأُستاذ عباس العزاوي إلى الإربلي كتاب «حدائق البيان في شرح التبيان في المعاني والبيان»، وهو وهم منه[٢].

وفاته

توفي ببغداد سنة ٦٩٢ وأقبر بداره المطلة على دجلة.

وذكر ابن العماد الحنبلي وفاته في حوادث سنة ٦٨٣[٣]، وابن الفوطي أرّخ وفاته بسنة ٦٩٣[٤]، وهما وهم أو تحريف.

قال العلّامة الأميني: وكون وفاته في بغداد ودفن بداره المطلة على دجلة في قرب الجسر الحديث، من المتسالم عليه، ولم يختلف فيه اثنان، وكان قبره معروفاً يزار إلى أن ملك تلك الدار في هذه الآونة الأخيرة من قطع سبيل الوصول إليه وإلى زيارته[٥].

وقال الأُستاذ الجبوري: كانت داره تعرف بـ «كار پردازخانه»، وكان يسكنها السفير الإيراني في بغداد، كما حدّثني بذلك الشيخ العلّامة آغا بزرك الطهراني والذي زارها في سنة ١٣٤٥، وقد هدمت هذه الدار ولم يبق لها أثر في أيّامنا هذه[٦].

---

(١) الذريعة ٥٠٤/٥.

(٢) مقدمة التذكرة الفخرية ص٢٢. «حدائق البيان» هو سمي مترجمنا علي بن عيسى، ولعلّه الوزير بن داود الجرّاح، أنظر: كشف الظنون ٣٤١/١.

(٣) شذرات الذهب ٣٨٣/٥.

(٤) مقدمة رسالة الطيف ص١٦.

(٥) الغدير ٤٥٢/٥.

(٦) مقدمة رسالة الطيف ص١٧.

عملنا في الكتاب

قوبلت هذه النسخة مع عدة نسخ إليك ذكر أسمائها

١ ـ المخطوطة التي اعتمدنا عليها اعتماداً كاملاً مرقمة (١٨٠١) استان قدس رضوي. وتاريخ نسخها يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى سنة ٧٠٩ هـ والموجودة في مركز إحياء التراث الإسلامي في قم المقدسة

٢ ـ النسخة المطبوعة في تبريز في سنة ١٣٨١ هـ. ق وهي بدورها اعتمدت على نسخ عديدة منها:

أ ـ نسخة عتيقة مخطوطة لخزانة كتب سماحة العلّامة آية الله السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي رضوان الله عليه.

ب ـ نسخة مخطوطة مصححة للعالم الجليل السيّد جلال الدين الارموي المشتهر بـ (محدث) تأريخ كتابتها سنة ١٠٨٣ وهي نسخة ثمينة.

ج ـ النسخة المطبوعة بالطبع الحجري بطهران سنة ١٢٩٤.

ولا يفوتني أن أشكر سماحة السيّد أحمد الحسيني أدام الله عزّه من مساعدته لنا بتهيئة المصورة للنسخة الأولى والمؤرخة بسنة ٧٠٩ هـ راجين له طول العمر لخدمة الطائفة الحقة المحقة.

ونشكر مركز إحياء التراث الإسلامي على ما أبدوه لنا من مساعدة في تصوير نسخة الأولى.

ونشكر الأخوين السيّد علي ومحمّد معلّم لما بذلاه من جهد في ترصيف الحروف وإخراجه بالشكل الجميل.

الراجي عفو ربّه
محمّد صادق كتبي

صورة الصفحة الأولى من نسخة استان قدس

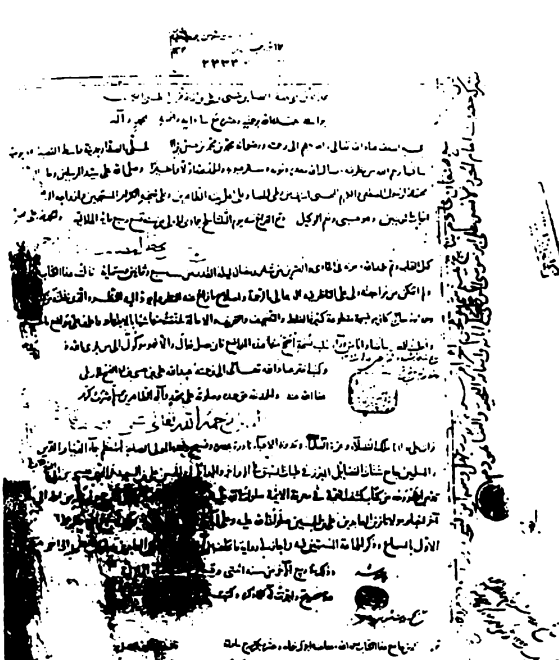

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة استان قدس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألزمنا كلمة التقوى، ووفقنا للتمسك بالسبب الأقوى، وشيد لنا ربوع الإيمان فما تعفو ولا تقوى، وأيدنا بعصمته فهي أبداً تشتد وتقوى. أحمده حمد معترف بإحسانه، مغترف من بحار امتنانه، شاكر لما أولاه بحسب الإمكان، مقرّ بالتقصير عمّا يجب من شكر نعمه التي لا تنفد أو تنفذ مدة الزمان. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة يعتقدها الجنان، وتشهد بها الجوارح والأركان، ويرويها عن القلب واللسان، ويجرّ بدايع ألفاظها البيان، ويثبتها في صحايف الخلود البنان، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، ابتعثه وزند الباطل وار، وأسد الكفر ضار، والنفاق قد هدرت شقاشقه، ونعق ناعقه، واستعلت رواعده، واشتعلت بوارقه، فلم يزل ﷺ حتّى أخمد نيرانه، وزلزل بنيانه، وهدّ بسيف عليّه أركانه، وأردى بذي فقاره حماته وشجعانه، واستقرّ الدين وألقى جرانه، وعبدوا طوعاً وكرهاً رحمانه، ونبذ الجاهلي أصنامه وحلّ اليهودي سبته، وكسر النصراني صلبانه ﷺ الذين اقتفوا آثاره، وأعلوا شعاره، وكانوا في حياته وبعده أعوانه على الحق وأنصاره، وعيبة علمه التي أودعها أسراره، صلّى الله عليه وعليهم ما لاح نهار مشرق، وأينع غصن مورق، ورعد راعد وأبرق مبرق، وشرّف وكرّم وعظّم.

وبعد؛ فإنّ الله سبحانه وله الحمد لمّا هداني إلى الصراط المستقيم، وسلك بي سبيل المنهج القويم، وجعل هواي في آل نبيّه لمّا اختلفت الأهواء، ورأيي فيهم حيث اضطربت الآراء، وولائي لهم إذ تشعّب الولاء، ودعائي بهم إذ تفرّق الدعاء، تلقّيت نعمته تعالى بشكر دائم الإمداد، وحمد متّصل اتّصال الآباد، واتّخذت هديهم شريعة ومنهاجاً، ومذهبهم سلماً إلى نيل المطالب ومعراجاً، وحبّهم علاجاً لداء هفواتي[1] إذ اختار كلّ قوم علاجاً، وصرّحت بموالاتهم إذا ورّى غيري أو داجى[2]، فهم صلّى الله عليهم عدّتي وعتادي، وذخيرتي الباقية في معادي، وأنسي إذا أسلمني طبيبي وانقضى

---

(١) الهفوات جمع الهفوة: السقطة والزلّة.

(٢) ورّى الشيء ـ بتشديد الراء ـ أخفاه. وداجاه مداجاة: ساتره.

تردّد عوّادي، وهداتي إذا جار الدليل وحار الهادي، أحد السببين اللّذين من اعتلق بهما فازت قداحه، وثاني الثقلين اللّذين من تمسّك بهما أسفر عن حمد السرى صباحه، محبّتهم عصمة في الأولى والعقبى، ومودّتهم واجبة بدليل ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[1]، من أطاعهم فقد أطاع الله وراقبه، ومن عصاهم فقد جاهره بالعناد وحاربه، ونصب نفسه درأة لعقابه وعذابه حين ناصبه، جبال العلوم الراسخة، وقلل الفخار الشامخة، وغرر الشرف البادية إذ انتسبوا عدّوا المصطفى والمرتضى، وإذا فخروا على الأملاك انقادت وأعطت الرضى، وإن جادوا بخلوا السحاب الماطر، وأخجلوا العباب الزاخر[2]، وإن شجعوا أرضوا الأسمر الذابل[3]، والأبيض الناضر، وإن قالوا نطقوا بالصواب، وأتوا بالحكمة وفصل الخطاب، وعرفوا كيف تؤتى البيوت من الأبواب، وطبقوا المفصل في الابتداء والجواب، وما عسى أن تبلغ المدايح، وإلى أين تنتهي الأفكار والقرائح، وكيف تنال الصفات قدر قوم أثنى عليهم القرآن، ومدحهم الرحمان، فهم خيرته من العباد وصفوته من الحاضر والباد، بهم تقبل الأعمال، وتصلح الأحوال، وتحصل السعادة والكمال.

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً ... تمسّك في أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مآثراً ... محاسنها تجلى وآياتها تروى
بهم عرف الناس الهدى فهداهم ... يضل الذي يقلى ويهدي الذي يهوى
موالاتهم فرض وحبّهم هدى ... وطاعتهم قربى وودّهم تقوى

وقد كانت نفسي تنازعني دائماً أن أجمع مختصراً أذكر فيه لمعاً من أخبارهم، وجملة من صفاتهم وآثارهم، وكانت العوايق تمنع من المراد، وعوادي الأيّام تضرب دون بلوغ الغرض بالأسداد، والدهر يماطل كما يماطل الغريم، وحوادث الأقدار لا تنام ولا تنيم، إلى أن بلغ الكتاب أجله، وأراد الله تقديمه وكان أجّله، وأظهره في الوقت الذي قدّره له، وألهمني إخراجه من القوّة إلى الفعل فاثبت مجمله ومفصّله فأعملت فيه فكري، وجمعت على ضمّ شوارده أمري، وسألت الله أن يشدّ أزري، ويحطّ بكرمه

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) العباب ـ بالضم ـ: معظم السيل.

(٣) عام أسمر إذا كان جدباً لا مطر فيه وذبل النبات: قلّ ماؤه وذهبت نضارته.

وزري، ويشرح لإتمامه صدري، فاستجاب الدعاء وتقبّله، وخفّف عنّي ثقل الإهتمام وسهّله، فنهضت عزيمتي القاعدة، وهبت همّتي الراكدة، وقلت لنفسي: هذا أوان الشدّ فاشتدى، وحين الإعتداد لما ينفع فاعتدى، وزمان وفاء الغريم المماطل، وأبّان[1] إبراز الحق من حيّز الباطل، ووقت الإهتمام والشروع، وملازمة النهج المشروع، وإثبات المسند والمرفوع، وذكر الأصول والفروع، وضمّ أطراف المنقول والمسموع، وتحلية الأسماع بجواهر المناقب الفايقة، وإبراز الحق في صورته المعجبة الرايقة، واعتمدت في الغالب النقل من كتب الجمهور، ليكون أدعى إلى تلقيه بالقبول، ووفق رأي الجميع متى وجّهوا إلى الأصول، ولأنّ الحجّة متى قام الخصم بتشييدها، والفضيلة متى نهض المخالف بإثباتها وتقييدها، كانت أقوى يداً، وأحسن مراداً، وأصفى مورداً، وأورى زناداً، وأثبت قواعداً وأركاناً، وأحكم أساساً وبنياناً، وأقلّ شأنياً وأعلى شأناً، والتزم بتصديقها وإن أرمضته، وحكم بتحقيقها وإن أمرضته، وأعطى القيادة وإن كان حرونا[2]، وجرى في سبل الوفاق وإن كان حزونا، ووافق بودّه لو قدر على الخلاف، وأعطى النصف من نفسه وهو بمعزل عن الإنصاف، ولأنّ نشر الفضيلة حسن لاسيّما إذا نبّه عليها الحسود، وقيام الحجّة بشهادة الخصم أوكد وإن تعدّدت الشهود.

ومليحة شهدت لها ضرّاتها[3] والفضل ما شهدت به الأعداء

ونقلت من كتب أصحابنا ما لم يتعرّض الجمهور لذكره، فإنّ النبي ﷺ مسألة إجماع، وإنّما ذكرت شيئاً من أحواله وصفاته تيمّناً به ﷺ وتطريزاً لديباجة هذا الكتاب باسمه وتزييناً له به ﷺ.

وأمّا أميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فإنّه يوجد من مناقبهم ومزاياهم في كتبهم ما لعلّه كاف شاف.

وأمّا باقي الأئمّة عليهم السلام فلا يكاد جماعة من أعيانهم وعلمائهم يعرفون أسماءهم ولو عرفوها ما عدّوها متّسقة متوالية فضلاً عن غير ذلك، هذا مع حرصهم على معرفة

---

(١) أبّان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الباء: أوّله ـ حينه.

(٢) الحرون: الذي لا ينقاد من الخيل.

(٣) ضرّة المرأة: امرأة زوجها.

نقلة الأخبار والأشعار، وتدوين الكتب الطويلة في ذلك، بل معرفة أجلاف العرب ممّن قال بيتاً أو أرسل مثلاً، بل معرفة المغنّين والمغنّيات، ومعرفة الأبعاد ونسبة الأصوات، بل معرفة المخانيث والمجانين والقصاص والمعلمين وغير ذلك، ممّا لو عدّد لطال ممّا لا يوجب أجراً ولا يخلد ذكراً، ويرغبون عن قوم جدّهم النبيّ صلى الله عليه وآله، وأبوهم الوصي وأمّهم فاطمة وجدّتهم خديجة، وأخوالهم الطيب والطاهر والقاسم، وعمّهم جعفر ذوالجناحين، وقد شهد القرآن بطهارتهم، وحثّ الرسول صلى الله عليه وآله على حبّهم ومودّتهم، وقد رأيت أنا في زماني من قضاتهم ومدرّسيهم من لا يرى زيارة موسى بن جعفر عليهما السلام، وكانوا إذا زرناه قعدوا ظاهر السور ينتظروننا ويعودوا معنا، هذا مع زيارتهم قبور الفقراء والصوفيّة، وميلهم إلى البله والمختلّين الذين لا يهتدون إلى قول ولا يصلّون ولا يتجنّبون النجاسات، لكونهم على عقايدهم ومن المعدودين منهم، ومتى نسب أحدهم إلى محبّة أهل البيت عليهم السلام أنكر واعتذر، وإذا رأى كتاباً يتضمّن أخبارهم وفضائلهم عدّه من الهذر، ومزّقه شذر مذر[1]، نعوذ بالله من الأهواء الفاسدة والعقائد المدخولة، وتجنّبت فيما أثبته الإكثار، واعتمدت الإيجاز والإختصار، ولو أردت الإطالة وجدت السبيل إليها لا حباً، وانثالت عليّ مفاخرهم، فقمت بها خاطباً، فإنّها أغزر من قطر المطر، وأكثر من عدد النجم والشجر، ومن أين يقدر المتصدي لجمعها على الإحاطة بأقطارها، والخوض كما يجب في غمارها، وهل ذلك إلّا طلب متعذّر ومحاولة مستحيل ؟!

وليس يصحّ في الإفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولكنّي اكتفيت بقليل من كثير، ويسير من غزير، وقطرة من سحاب، ونقطة من عباب، وحقّ لكلّ قائل أن يسمّي نفسه مختصراً وإن أطال، ومقرّاً بالعي وإن بسط القول وقال، وحذفت الأسانيد واكتفيت بذكر من يرويها من الأعيان تفادياً من طول الكتاب، بحدّثنا فلان عن فلان، فإن وردت كلمة لغوية أو معنى يحتاج إلى بيان بيّنته بأخصر ما يمكن، فإنّ هذا ليس بكتاب جدل، فأذكر فيه الخلاف والوفاق، وأحمل كلّ معنى من الشرح والإيضاح ما أطاق، ولكنّي أشير إلى ذلك إشارة تليق بغرض هذا الكتاب، وقصدت به التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى رسوله صلى الله عليه وآله الطاهر، وابتغاءاً للأجر

---

(١) الهذر ـ محرّكة ـ: الهذيان. ويقال: تفرّقوا شذر مذر: أي ذهبوا في كلّ وجه.

والثواب، ولأقدّمه ذخيرة ليوم العرض والحساب، ولأجعله مؤنساً إذا أفردت من الأحباب والأتراب[١]، وخلوت بعملي وأنارهنّ الثرى والتراب، فقد تصدّيت لإثبات مناقبهم ومفاخرهم على مقدار جهدي لا على قدرهم العالي، ونظمت مزاياهم ما هو أحسن من انتظام اللئالي، وأوضحت من شأنهم ما يردع القالي[٢] ويردّ الغالي، وأنا أرجو ببركتهم عليهم الصلاة والسلام أن يهدي به الله من اعتنقته الضلالة، ويرشد به من خبط في عشواء الجهالة[٣]. وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وقائداً لنهجه القويم وصراطه المستقيم، فبه تعالى وتقدّس اهتدينا إلى حبّهم، وصرنا من حزبهم، وإليه تقدّست أسماؤه تقرّبنا بودّهم، وتمسّكنا بعدهم، واقتفينا منهاج رشدهم، وإنّي لأرجو أن تهب عليه نسمات القبول، ويسري في الآفاق سرى الصبا والقبول، ويشتهر اشتهار الصباح، ويطير صيته في الأقطار وليس بذي جناح، وأن ينفعني به ويحسن ثوابي عليه ويجزل حظّي من إنعامه وإحسانه، ويوفّر نصيبي من فضله وامتنانه، وسمّيته كتاب **(كشف الغمّة في معرفة الأئمّة)**.

أبتدئ بعون الله وتوفيقه بذكر النبي ﷺ وأسمائه وسنّه ونسبه ومبعثه وشيء من معجزاته ووقت وفاته، وأذكر بعده عليّاً عليه السلام وفاطمة صلوات الله عليها والأئمّة من ولدهما عليهم السلام على النسق والترتيب، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

ذكر أسمائه ﷺ

أشهرها محمّد وقد نطق به القرآن المجيد، واشتقاقه من الحمد، يقال حمدته أحمده إذا أثبت عليه بجليل خصاله، وأحمدته إذا صادفته محموداً، وبناء اسمه يعطي المبالغة في بلوغه غاية المحمدة.

ومن أسمائه أحمد وقد نطق به القرآن أيضاً، واشتقاقه من الحمد كأحمر من الحمرة، ويجوز أن يكون لغتاً في الحمد.

قال ابن عباس رضي الله عنه: اسمه في التوراة أحمد الضحوك القتّال، يركب البعير

---

(١) أتراب جمع ترب ـ بكسر التاء ـ: من وُلِدَ معك.

(٢) القالي: المبغض.

(٣) العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها. يقال «هو يخبط خبط عشواء» أي يتصرّف في الأمور من غير بصيرة و«إنّهم لفي عشواء من أمرهم» أي في حيرة وقلّة هداية.

ويلبس الشملة، ويجتزىء بالكسرة[١]، سيفه على عاتقه.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله **الماحي، عن جبير بن مطعم** عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لي أسماء أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحى بي الكفر، وقيل تمحى به سيّئات من اتّبعه، ويجوز أن يمحى به الكفر وسيّئات تابعيه، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب وهو الذي لا نبي بعده، وكلّ شيء خلف شيئاً فهو عاقب، والمقفى وهو بمعنى العاقب لأنّه تبع الأنبياء، يقال فلان يقفوا أثر فلان أي يتبعه.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله الشاهد لأنّه يشهد في القيامة للأنبياء عليهم السلام بالتبليغ على الأمم بأنّهم بلّغوا، قال الله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلىٰ هؤُلاءِ شَهِيداً** ﴾[٢] أي شاهداً وقال الله تعالى: ﴿ **وَكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾[٣] والبشير من البشارة لأنّه يبشّر أهل الإيمان بالجنّة، والنذير لأهل النّار بالخزي نعوذ بالله العظيم، والداعي إلى الله لدعائه إلى الله وتوحيده وتمجيده، والسراج المنير لإضاءة الدنيا به ومحو الكفر بأنوار رسالته كما قال العباس عمّه رضي الله عنه يمدحه:

وأنت لمّا ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق[٤]

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله نبي الرحمة، قال الله تعالى عزّ وجلّ: ﴿ **وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ** ﴾[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: إنّما أنا رحمة مهداة، والرحمة في كلام العرب العطف والرأفة والإشفاق، وكان بالمؤمنين رحيماً كما وصفه الله تعالى، وقال عمّه أبو طالب رضي الله عنه يمدحه:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) الكسرة ـ بكسر الكاف ـ: القطعة من الشيء المكسور.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) اخترق الأرض: مرّ فيها.

(٥) الأنبياء: ١٠٧.

ومن أسمائه ﷺ نبي الملحمة ورد في الحديث، والملحمة الحرب، وسمّي بذلك لأنّه بعث بالذبح.

وروي أنّه سجد يوماً فأتى بعض الكفّار بسلا[1] ناقة فألقاه على ظهره، فقال: يا معشر قريش أي جوار هذا والذي نفس محمّد بيده لقد جئتكم بالذبح، فقام إليه أبوجهل ولاذ به من بينهم وقال: يا محمّد ماكنت جهولا، وسمّي بنبي الملحمة بذلك.

ومن أسمائه ﷺ الضحوك كما تقدم أنّه ورد في التوراة، وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان طيّب النفس، وقد ورد أنّه كان فيه دعابة[2] وقال: إنّي لأمزح ولا أقول إلّا حقّاً، وقال لعجوز: الجنّة لا تدخلها العجز، فبكت، فقال: إنّهنّ يعدن أبكاراً. وروي عنه مثل هذا كثيراً.

وكان يضحك حتّى يبدو ناجذه[3]، وقد ذكر الله سبحانه لينه ورفقه فقال: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[4] وكذلك كانت صفته ﷺ على كثرة من ينتابه[5] من جفاة العرب وأجلاف البادية، لا يراه أحد ذا ضجر ولا ذا جفاء ولكن لطيفاً في المنطق، رفيقاً في المعاملات، ليّناً عند الجوار، كأنّ وجهه إذا عبست الوجوه دارة القمر عند امتلاء نوره ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ القتّال، سيفه على عاتقه، سمّي بذلك لحرصه على الجهاد ومسارعته إلى القراع، ودؤبه في ذات الله وعدم إحجامه، ولذلك قال علي عليه السلام: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقيناه برسول الله، لم يكن منّا أحد أقرب إلى العدوّ منه، وذلك مشهور من فعله ﷺ يوم أحد، إذ ذهب القوم في سمع الأرض وبصرها، ويوم حنين إذ ولّوا مدبرين وغير ذلك من أيّامه ﷺ حتّى أذلّ بإذن الله صناديدهم، وقتل طواغيتهم ودوّخهم[6] واصطلم جماهيرهم، وكلّفه الله القتال بنفسه فقال: ﴿ **لا تُكَلَّفُ إِلّا**

---

(١) السلا ـ بالقصر ـ: الجلدة الرقية التي يكون فيها الولد من المواشي.

(٢) الدعابة ـ بضمّ الدال ـ: اللعب والمزاح.

(٣) الناجذ ـ واحد النواجذ ـ: أقصى الأضراس وهي أربعة وهي أضراس الحلم لأنّها تنبت بعد البلوغ وكمال العقل.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) انتابه: قصده.

(٦) دوّخ الرجل: ذلّله وقهره.

نَفْسَك﴾[١] فسمّي القتّال.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله المتوكّل وهو الذي يكل أموره إلى الله، فإذا أمره الله بشيء نهض به غير هيوب ولا ضرع[٢]، واشتقاقه من قولنا رجل وكل، أي ضعيف، وكان صلى الله عليه وآله إذا دهمه أمر عظيم أو نزلت به ملمّة راجعاً إلى الله عزّوجلّ غير متوكّل على حول نفسه وقوّتها، صابراً على الضنك والشدّة، غير مستريح إلى الدّنيا ولذّاتها، لا يسحب إليها ذيلاً، وهو القائل: مالي وللدنيا إنّما مثلي ومثل الدنيا كراكب أدركه المقيل في أصل شجرة فقال[٣] في ظلّها ساعة ومضى. وقال صلى الله عليه وآله: إذا أصبحت آمناً في سربك، معافى في بدنك[٤]، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفا. وقال لبعض نسائه: ألم أنهك أن تحبسي شيئاً لغد فإنّ الله يأتي برزق كلّ غد.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله القثم[٥] وله معنيان **أحدهما** من القثم وهو الإعطاء لأنّه كان أجود بالخير من الريح الهابة، يعطي فلا يبخل، ويمنح فلا يمنع، **وقال الأعرابي** الذي سأله: إنّ محمّداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. **وروي** أنّه أعطى في يوم هوازن من العطايا ما قوّم بخمسمائة ألف ألف وغير ذلك ممّا لا يحصى. **والوجه الآخر**: إنّه من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم كذا حدّث به الخليل، فإن كان هذا الإسم من هذا فلم تبق منقبة رفيعة ولا خلّة جليلة ولا فضيلة نبيلة إلّا وكان لها جامعاً. قال ابن فارس: والأوّل أصحّ وأقرب.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله الفاتح لفتحه أبواب الإيمان المنسدّة، وإنارته الظلم المسودّة، قال الله تعالى في قصّة من قال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾[٦] أي أحكم، فسمّي صلى الله عليه وآله فاتحاً لأنّ الله سبحانه حكّمه في خلقه يحملهم على المحجّة البيضاء، ويجوز أن يكون من فتحه ما استغلق من العلم، وكذا روي عن علي عليه السلام أنّه

---

(١) النساء: ٨٤.

(٢) الهيوب: الخائف. والضرع ـ ككتف ـ: الضعيف.

(٣) أي نام في منتصف النهار.

(٤) قال الجزري: في الحديث: من أصبح آمناً في سربه معافى بدنه، يقال فلان آمن في سربه ـ بالكسر ـ أي في نفسه، وفلان واسع السرب أي رخي البال، ويروى بالفتح وهو المسلك والطريق.

(٥) بضمّ القاف وفتح الثاء المثلثة.

(٦) الأعراف: ٨٩.

كان يقول في صفته: الفاتح لما استغلق، والوجهان متقاربان.

ومن أسمائه: الأمين وهو مأخوذ من الأمانة وأدائها، وصدق الوعد وكانت العرب تسمّيه بذلك قبل مبعثه، لما شاهدوه من أمانته، وكلّ من أمنت منه الخلف والكذب فهو أمين، ولهذا وصف به جبرئيل ﷺ فقال: ﴿ **مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾[1].

ومن أسمائه ﷺ الخاتم، قال الله تعالى: ﴿ **خَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾[2] من قولك ختمت الشيء أي تممته وبلغت آخره، وهي خاتمة الشي وختامه، ومنه ختم القرآن ﴿ **وَخِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾ أي آخر ما يستطعمونه عند فراغهم من شربه ريح المسك، فسمّي به لأنّه آخر النبيّين بعثة، وإن كان في الفضل أوّلاً، **قال** ﷺ: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنّهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم.

فأمّا المصطفى فقد شاركه فيه الأنبياء صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين، ومعنى الإصطفاء الإختيار، وكذلك الصفوة والخيرة إلّا أنّ اسم المصطفى على الإطلاق ليس إلّا له ﷺ، لأنّا نقول آدم مصطفى، نوح مصطفى، إبراهيم مصطفى، فإذا قلنا المصطفى تعيّن ﷺ وذلك من أرفع مناقبه وأعلى مراتبه.

ومن أسمائه ﷺ الرسول والنبي الأمّي، والرسول والنبي قد شاركه فيهما الأنبياء ﷺ، والرسول من الرسالة والإرسال، والنبي يجوز أن يكون من الأنباء وهو الأخبار، ويحتمل أن يكون من نبأ إذا ارتفع، سمّي بذلك لعلوّ مكانه ولأنّه خيرة الله من خلقه.

وأمّا الأمّي فقال قوم: إنّه منسوب إلى مكة وهي أمّ القرى، كما قال تعالى: ﴿ **بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً** ﴾[3] وقال آخرون: أراد الذي لا يكتب. قال ابن فارس: وهذا هو الوجه لأنّه أدلّ على معجزه، فإنّ الله علّمه علم الأوّلين والآخرين، ومن علم الكاينات ما لا يعلمه إلّا الله تعالى وهو أمّي والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ **مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾[4] **وروي عنه**: نحن أُمّة أُمّيّة لا نقرأ ولا نكتب، وقد روي غير ذلك.

---

(١) التكوير: ٢١.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) الجمعة: ٢.

(٤) العنكبوت: ٤٨.

ومن أسمائه ﴿ يا أيُّها المزّمّل ﴾[١]، **﴿ يا أيُّها المدّثّر ﴾**[٢]، ومعناهما واحد، يقال: زمله في ثوبه أي لفّه، وتزمّل بثيابه أي تدثّر.

والكريم في قوله تعالى: **﴿ إنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَريمٍ ﴾**[٣] وسمّاه نوراً في قوله تعالى: **﴿ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبينٌ ﴾**[٤].

ومن أسمائه نعمة في قوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها ﴾[٥] وعبداً في قوله: **﴿ نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلىٰ عَبْدِهِ ﴾**[٦] وقال صلّى الله عليه وآله: لا تدعني إلّا بيا عبده لأنّه أشرف أسمائي. ورؤفاً ورحيماً في قوله تعالى: **﴿ بِالْمُؤْمِنينَ رَؤُفٌ رَحيمٌ ﴾**[٧] وسمّاه عبدالله في قوله تعالى: **﴿ وَإنّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوه ﴾**[٨] وسمّاه طه ويس، ومنذراً في قوله تعالى: **﴿ إنّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾**[٩] ومذكّر في قوله: **﴿ إنّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾**[١٠].

ونبي التوبة، وروى البيهقي في كتاب دلائل النبوّة باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله خلق الخلق[١١] قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله تعالى: **﴿ وَأَصْحابُ الْيَمينِ ﴾**[١٢] **﴿ وَأَصْحابُ الشِّمالِ ﴾**[١٣] فأنا من أصحاب اليمين وأنا من خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله: **﴿ وَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾**[١٤] **﴿ وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ﴾**[١٥] **﴿ وَالسّابِقُونَ**

---

(١) المزّمّل: ١.
(٢) المدّثّر: ١.
(٣) الحاقة: ٤٠. التكوير: ١٩.
(٤) المائدة: ١٥.
(٥) النحل: ٨٣.
(٦) الفرقان: ١.
(٧) التوبة: ١٢٨.
(٨) الجن: ١٩.
(٩) الرعد: ٧.
(١٠) الغاشية: ٢١.
(١١) الخلايق ـ خ ل.
(١٢) الواقعة: ٢٧.
(١٣) الواقعة: ٤١.
(١٤) الواقعة: ٨.
(١٥) الواقعة: ٩.

السَّابِقُون﴾[١] فأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثمّ جعل الأثلاث قبايل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾**[٢] فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثمّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيرا﴾**[٣] فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذّنوب، وقد رواه ابن الأخضر الجنابذي وذكره في كتابه معالم العترة النبوية، وقال عمّه أبو طالب عليه السلام:

وشقّ له من اسمه كي يجلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمّد

وقيل إنّه لحسّان من قصيدة أوّلها:

ألم تر أنّ الله أرسل عبده ... وبرهانه والله أعلى وأمجد

ومن صفاته ﷺ التي وردت في الحديث: راكب الجمل، ومحرّم الميتة، وخاتم النبوّة، وحامل الهراوة ـ وهي العصاء الضخمة ـ والجمع الهراوي بفتح الواو مثال المطايا، ورسول الرحمة، وقيل إنّ اسمه في التوراة بمادماد، وصاحب الملحمة، وكنيته أبو الأرامل، واسمه في الإنجيل الفارقليط، وقال ﷺ: أنا الأوّل والآخر؛ الأوّل في النبوّة وآخر في البعثة، وكنيته أبو القاسم. وروى أنس أنّه لمّا ولد له إبراهيم من مارية القبطيّة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك أبا إبراهيم أو يا أبا إبراهيم ﷺ.

ذكر مولده ﷺ

نقلت من كتاب تاريخ المواليد ووفاة أهل البيت عليهم السلام رواية الشيخ الأديب أبي محمّد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب[٤] عن شيوخه، والنسخة التي نقلت منها بخط الشيخ علي بن محمّد بن محمّد بن وضاح الشهراباني رحمه الله وكان من أعيان الحنابلة في زماني رأيته وأجاز لي وتوفي في ثاني صفر

---

(١) الواقعة: ١٠.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) هو أبو محمّد عبدالله أحمد البغدادي اللغوي النحوي الأديب المفسّر الشاعر صاحب تاريخ مواليد ووفيات أهل بيت النبي ﷺ، كان من تلامذة الجواليقي وابن الشجري، وكان خطّه في نهاية الحسن، توفي ببغداد سنة ٥٦٧ ودفن بقرب قبر بشر الحافي.

سنة اثنتين وسبعين وستمائة، عن أبي جعفر الباقر محمّد بن علي عليهما السلام، قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث وستين سنة في سنة عشر من الهجرة، فكان مقامه بمكة أربعين سنة، ثمّ نزل عليه الوحي في تمام الأربعين، وكان بمكة ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فأقام بالمدينة عشر سنين، وقبض صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الأوّل يوم الإثنين لليلتين خلتا منه.

قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي رحمه الله: ولد صلى الله عليه وآله بمكة شرّفها الله تعالى يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من ربيع الأوّل عام الفيل.

وفي رواية العامة ولد عليه السلام يوم الإثنين، ثمّ اختلفوا فمن قائل لليلتين من ربيع الأوّل، ومن قائل لعشر خلون منه. وقيل لاثنتي عشرة ليلة، وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنو شيروان ابن قباذ قاتل مزدك والزنادقة، وهو الذي عنى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يزعمون: «ولدت في زمن الملك العادل أو الصالح» ولثماني سنين وثمانية أشهر من ملك عمرو بن هند ملك العرب، وقيل بعد قدوم الفيل بشهرين وستة أيام، وروي لثماني عشرة ليلة منه. قال: وفيه بعث وفيه عرج به وفيه هاجر وفيه مات، رواه جابر بن عبدالله الأنصاري، ورواه البغوي[1]. وقيل لعشر خلون منه، وقيل لثمان بقين منه، رواه ابن الجوزي والحافظ أبو محمّد بن حزم، وقيل لثمان خلون من ربيع الأوّل.

أقول: إنّ اختلافهم في يوم ولادته سهل إذ لم يكونوا عارفين به وبما يكون منه، وكانوا أُمّيّين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم، فأمّا اختلافهم في موته فعجيب ولا عجب من هذا مع اختلافهم في الأذان والإقامة، بل اختلافهم في موته أعجب، فإنّ الأذان ربّما ادّعى كلّ قوم أنّهم رووا فيه رواية، فأمّا يوم موته صلى الله عليه وآله فيجب أن يكون معيّناً معلوماً.

ذكر نسبه صلى الله عليه وآله

هو محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب، واسمه شيبة الحمد، ابن هاشم، واسمه

---

(١) هو أبوالقاسم عبدالله بن محمّد بن عبدالعزيز صاحب المعجم، ولد ببغداد سنة ٢١٣ ونشأ بها، وكان محدّث العراق في عصره، وهو من تلامذة أحمد بن حنبل، توفي سنة ٣١٧.

عمرو، ابن عبد مناف، واسمه المغيرة، ابن قصي، واسمه زيد، ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهو قريش، بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. **وروي** أنّه قال: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا.

أقول: إنّي أمسك عند عدنان كما أمر ﷺ واتّصال نسبه بآدم أبي البشر ﷺ كثير موجود في كتب التواريخ والأنساب والله أعلم.

وأمّه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، وأرضعته حتّى شبّ حليمة بنت عبدالله بن الحارث السعديّة من بني سعد بن بكر بن هوازن، وأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب قبل قدوم حليمة أيّاماً بلبن ابنها مسروح، وتوفّيت ثويبة مسلمة سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها قبلها، وكانت ثويبة قد أرضعت قبله عمّه حمزة ﷺ فلهذا قال ﷺ وقد حودث في التزويج بابنة حمزة أنّها ابنة أخي من الرضاعة، وكان حمزة أسن منه بأربع سنين.

ذكر مدّة حياته ﷺ

عاش كما ذكرنا ثلاثاً وستين سنة، منها مع أبيه سنتان وأربعة أشهر، ومع جدّه عبدالمطلب ثماني سنين، ثمّ كفله عمّه أبوطالب بعد وفاة عبدالمطلب، فكان يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه أيّام حياته، وقيل إنّ أباه مات وهو حمل، وقيل مات وعمره سبعة أشهر، وماتت أمّه وعمره ست سنين.

وروى مسلم في صحيحه أنّه ﷺ قال: استأذنت ربّي في زيارة قبر أمّي فأذن لي، فزوروا القبور تذكّركم الموت.

وتزوّج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفي عمّه أبوطالب وعمره ست وأربعون سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً، وتوفّيت خديجة ﷺ بعده بثلاثة أيّام فسمّى ﷺ ذلك العام عام الحزن.

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعة[1]

---

(١) يقال كعّ يكعّ كعوعاً، وحكى يونس يكع بالضم، قال سيبويه: والكسر أجود، فهو كع، وكاع إذا كان جباناً ضعيفاً.

عنّي حتّى مات أبو طالب.

وأقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام، وقيل ستة أيّام، ودخل المدينة يوم الإثنين الحادي عشر من ربيع الأوّل وبقي بها عشر سنين، ثمّ قبض لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة.

عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: لمّا حُضر النبي صلى الله عليه وآله جعل يغمى عليه، فقالت فاطمة: واكرباه لكربك[1] يا أبتاه، ففتح عينه وقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

وقال صلى الله عليه وآله والمسلمون مجتمعون حوله: أيها الناس إنّه لا نبي بعدي ولا سنّة بعد سنّتي، فمن ادّعى ذلك فدعواه وباغيه في النار، أيها الناس أحيوا القصاص وأحيوا الحق لصاحب الحق، ولا تفرّقوا وأسلموا وسلّموا ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

ومن كتاب أبي إسحاق الثعلبي قال: دخل أبوبكر على النبي صلى الله عليه وآله وهو قد ثقل، فقال: يا رسول الله متى الأجل؟ قال: قد حضر، قال أبوبكر: الله المستعان على ذلك، فإلى ما المنقلب؟ قال: إلى سدرة المنتهى وجنّة المأوى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش المهنّى. قال أبوبكر: فمن يلي غسلك؟ قال: رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى. قال: ففيم نكفّنك؟ قال: في ثيابي[3] هذه التي عليّ أو في حلّة يمانية خز أو في بياض مصر. قال: كيف الصلاة عليك؟ فارتجّت الأرض[4] بالبكاء فقال لهم النبي: مهلا عفا الله عنكم، إذا غسلت وكفنت فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثمّ أخرجوا عنّي ساعة، فإنّ الله تبارك وتعالى أوّل من يصلّي عليّ ثمّ يأذن للملائكة[5] في الصلاة عليّ، فأوّل من ينزل جبرئيل ثمّ إسرافيل ثمّ ميكائيل ثمّ ملك الموت عليهم السلام في جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثمّ ادخلوا عليّ زمرة زمرة فصلّوا عليّ وسلّموا تسليما، ولا تؤذوني بتزكية ولا رنّة، وليبدأ بالصلاة عليّ الأدنى فالأدنى

---

(١) وفي بعض النسخ «واكرباه لكربتك».

(٢) المجادلة: ٢١.

(٣) بثيابي خ ل.

(٤) أي اضطربت وتزلزلت.

(٥) وفي بعض النسخ «ثمّ يأمر الملائكة».

من أهل بيتي، ثمّ النساء ثمّ الصبيان زمراً. قال أبوبكر: فمن يدخل قبرك؟ قال: الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم، قوموا فأودعوني[1] إلى من ورائكم. فقلت: للحرث بن مرّة: من حدّثك بهذا الحديث؟ قال: عبدالله بن مسعود.

وعن علي عليه السلام قال: كان جبرئيل ينزل على النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه في كلّ يوم وفي كلّ ليلة فيقول: السلام عليك، إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول: كيف تجدك وهو أعلم بك ولكنّه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً إلى ما أعطاك على الخلق، وأراد أن تكون عيادة المريض سنّة في أُمّتك. فيقول له النبي ﷺ: إن كان وجعاً يا جبرئيل أجدني وجعاً. فقال له جبرئيل عليه السلام: اعلم يا محمّد إنّ الله لم يشدّد عليك وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك، ولكنّه أحبّ أن يسمع صوتك ودعاءك حتّى تلقاه مستوجباً للدرجة والثواب الذي أعدّ الله لك، والكرامة والفضيلة على الخلق. وإن قال له النبي ﷺ أجدني مريحاً في عافية، قال له: فأحمد الله على ذلك فإنّه يحبّ أن تحمده وتشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيراً فإنّه يحبّ أن يحمد ويزيد من شكره. قال: وإنّه نزل عليه في الوقت الذي كان ينزل فيه فعرفنا حسّه، فقال علي عليه السلام: فخرج من كان في البيت غيري، فقال له جبرئيل: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويسألك وهو أعلم بك كيف تجدك؟ فقال له النبي ﷺ: أجدني ميتاً. قال له جبرئيل: يا محمّد أبشر فإنّ الله إنّما أراد أن يبلغك بما تجد ما أعدّ لك من الكرامة. قال له النبي ﷺ: إنّ ملك الموت استأذن عليّ فأذنت له، فدخل واستنظرته مجيئك. فقال له جبرئيل: يا محمّد إنّ ربّك إليك مشتاق فما استأذن ملك الموت على أحد قبلك، ولا يستأذن على أحد بعدك، فقال له النبي ﷺ: لا تبرح يا جبرئيل حتّى تعود، ثمّ أذن للنساء فدخلن عليه، فقال لابنته: أدني منّي يا فاطمة، فأكبّت عليه[2] فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً، فقال لها: أدني منّي فدنت منه فأكبّت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك، فتعجّبنا لما رأينا، فسألناها، فأخبرتنا أنّه نعى إليها نفسه فبكت، فقال لها: يا بنيّة لا تجزعي فإنّي سألت الله أن يجعلك أوّل أهل بيتي لحاقاً بي، فأخبرني أنّه قد استجاب لي فضحكت. قال: ثمّ دعا النبي ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام فقبّلهما وجعل

---

(١) وفي نسخة أخرى «فادوا عنّي»

(٢) أكبّ على الشيء: أقبل عليه ولزمه.

يترشّفهما وعيناه تهملان[١].

وروي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال: أتى جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعوده، فقال: السلام عليك يا محمّد هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا.

وعن عطاء بن يسار إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا حضر أتاه جبرئيل فقال: يا محمّد الآن أصعد إلى السماء ولا أنزل إلى الأرض أبداً.

وعن أبي جعفر عليه السلام **قال**: لمّا حضرت النبي صلى الله عليه وآله الوفاة استأذن عليه رجل، فخرج إليه علي عليه السلام فقال: ما حاجتك؟ قال: أُريد الدخول على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال علي: لست تصل إليه، فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنّه لابدّ من الدخول عليه، فدخل علي فاستأن النبي صلى الله عليه وآله فأذن له، فدخل فجلس عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: يا نبي الله إنّي رسول الله إليك. قال: وأي رسل الله أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني إليك أُخيّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فأمهلني حتّى ينزل جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى ولسوف يُعطيك ربّك فترضى، لقاء الله خير لك. فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربّي خير لي فامض لما أمرت به. فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجّل حتّى أعرج إلى السماء وأهبط. قال ملك الموت: لقد صارت نفسه في موضع لا أقدر على تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: يا محمّد هذا آخر هبوطي إلى الدنيا، إنّما كنت أنت حاجتي فيها.

واختلف أهل بيته وأصحابه في دفنه، فقال علي عليه السلام: إنّ الله لم يقبض روح نبيّه إلّا في أطهر البقاع، وينبغي أن يدفن حيث قبض، فأخذوا بقوله.

وروي الجمهور موته في الإثنين ثاني عشر ربيع الأوّل، قالوا: ولد يوم الإثنين، وبعث يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، وقبض يوم الإثنين كما ذكرناه آنفاً، ودفن يوم الأربعاء، ودخل إليه العباس وعلي والفضل بن العباس وقيل وقثم أيضاً. وقالت بنو زهرة: نحن أخواله فأدخلوا منّا واحداً فأدخلوا عبدالرحمان بن عوف ويقال دخل أُسامة بن زيد. وقال المغيرة بن شعبة: أنا أقربكم عهداً به وذلك أنّه ألقى

---

(١) رشفه: مصّه بشفتيه. وترشفه أي بالغ في مصّه. وهملت عينه: فاضت.

خاتمه في القبر ونزل ليستخرجه، ولحَده أبو طلحة وألقى القطيفة تحته شقران[١].

قال صاحب كتاب التنوير ذوالنسبين بين دحية والحسين: لا شك أنّه توفي يوم الإثنين، واختلف أصحاب السير والتواريخ فقال ابن إسحاق لاثنتي عشرة ليلة وهذا باطل بيقين، وأصول العلم المجمع عليها أهل الكتاب والسنّة مخالف له لأنّه قد ثبت أنّ الوقفة بعرفات في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، فيكون أوّل ذي الحجة الخميس فيكون أوّل المحرّم الجمعة أو السبت، فإن كان الجمعة فصفر إمّا السبت أو الأحد، وإن كان السبت فصفر إمّا الأحد أو الإثنين، فإن كان أوّل صفر السبت فأوّل ربيع الأوّل الأحد أو الإثنين، فإن كان الأحد فأوّل ربيع الأوّل إمّا الإثنين أو الثلاثاء، فإن كان الإثنين فأوّل ربيع إمّا الثلاثاء أو الأربعاء، وكيف ما دارت الحال على هذا الحساب لا يكون الإثنين ثاني عشر. وذكر القاضي أبوبكر في كتاب البرهان أنّه ﷺ توفي لليلتين خلتا من ربيع الأوّل، وكذا ذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف وهذا لا يبعد إن كانت الأشهر الثلاثة التي قبله نواقص فتدبّره.

وذكر الخوارزمي أنّه توفّي ﷺ يوم الإثنين أوّل ربيع الأوّل وهذا أقرب ممّا ذكره الطبري، والذي تلخّص أنّه يجوز أن يكون موته في أوّل الشهر أو ثانيه أو ثالث عشره أو رابع عشره أو خامس عشره، لإجماع المسلمين أنّ وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة (إنتهى كلام ذي النسبين).

ذكر آياته ومعجزاته الخارقة للعوايد

منها ما ظهر قبل مولده ومنها ما ظهر بعد ذلك، **فمن ذلك ما روي** أنّ أُمّه لمّا حملت به سمعت قائلاً يقول: إنّك قد حملت بسيّد هذه الأمّة وعلامة ذلك أنّك ترين عند وضعه نوراً تضيء له قصور الشام، وقيل قصور بصرى[٢]، فإذا سقط إلى الأرض فقولي أعيذك بالواحد من شرّ كلّ حاسد، وسمّيه محمّداً، فإنّ اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماوات والأرض، واسمه في القرآن محمّد، قال: فسمّته بذلك.

---

(١) شقران ـ كعثمان ـ بضمّ الشين المعجمة وسكون القاف ثمّ الراء وبعدها الألف والنون: هو مولى رسول الله ﷺ واسمه صالح، شهد بدراً وهو مملوك ثمّ أعتق، مات في خلافة عثمان.

(٢) بصرى ـ كحبلى ـ: بلد بالشام.

وروى ابن خالويه في كتاب الآل أنّ آمنة بنت وهب أمّ النبي صلى الله عليه وآله رأت في منامها أنّه يقال لها إنّك قد حملت بخير البريّة وسيّد العالمين، فإذا ولدته فسمّيه محمّداً فإنّ اسمه في التوراة حامد، وفي الإنجيل أحمد، وعلقي عليه هذه التميمة[١]، قالت: فانتبهت[٢] وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها: «أُعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد، وكلّ خلق مارد، من قائم وقاعد، عن القبيل[٣] عائد، على الفساد جاهد، يأخذ بالمراصد، من طريق الموارد، أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه باليد العليا، والكف التي لا ترى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديتهم، لا يطوره ولا يضرّه في مقعد ولا مقام، ولا مسير ولا منام، أوّل وآخر الأيّام».

وارتجس[٤] ايوان كسرى يوم ولادته ورجّت[٥] السماء وسقطت منه أربع عشرة شرفة[٦]، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك منذ ألف سنة، وغاضت بحيرة ساوة[٧]، ورؤيا المؤبذان[٨]، وإنفاذ عمرو بن بقيلة إلى شق وسطيح الكاهنين وإخبارهما بقرب أيامه له وظهوره قصة مشهورة قد نقلها الرواة وتداولها الأخباريون، ورأى بعض اليهود في ليلة ولادته صلى الله عليه وآله النجوم وانقضاضها، فقال: في هذه الليلة ولد نبي فإنّا نجد في كتبنا أنّ الشياطين تمنع من استراق السمع وترجم بالنجوم لذلك، وسأل هل ولد في هذه الليلة لأحد؟ فقيل: نعم لعبدالله بن عبدالمطلب، فقال: أرونيه، فأُخرج إليه في قماطه فرأى عينيه وكشف عن كتفيه فرأى شامة سوداء وعليها شعرات، فوقع إلى الأرض مغشياً عليه، فتعجّبت منه قريش وضحكوا، فقال: أتضحكون؟! هذا نبي السيف وليبيرنّكم[٩]، وقد ذهبت النبوّة من بني إسرائيل إلى الأبد، فتفرّقوا

---

(١) التعيمة التعويذ.

(٢) في بعض النسخ «فانبتهت».

(٣) السبيل ـ خ ل.

(٤) الرجس ـ بالفتح ـ: الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير. ورجّت السماء ـ بالفتح ـ ترجّ إذا رعدت وتمخّضت وارتجّت مثله.

(٥) رجّت ـ بالفتح ـ ترجّ إذا رعدت وتمخّضت وارتجّت مثله.

(٦) الشرفة من القصر: ما أشرف من بنائه.

(٧) غاض الماء: نقص أو غار فذهب في الأرض.

(٨) المؤبذان (كلمة فارسية): حاكم المجوس وكاهنهم.

(٩) بار فلان إذا هلك وأباره الله أهلكه.

يتحدّثون بما قال.

وفي التوراة ما حكاه لي بعض اليهود ورأيته أنا في توراة معرّبة وقد نقله الرواة أيضاً: «إسماعيل قبلت صلاته وباركت فيه وأنميته وكثرت عدده بمادماد، معناه بمحمّد، وعدد حروفه اثنان وتسعون حرفاً سأخرج اثنى عشر إماماً ملكا من نسله وأعطيه قوماً كثير العدد، وأوّل هذا الفصل بالعبري لاشموعيل شمعيثو خو[1]».

ولمّا سافر أبو طالب إلى الشام قال: يا عم إلى من تكلني ولا أب لي ولا أمّ؟ فرقّ له فقال: والله لأخرجنّك معي ولا تفارقني أبداً، ولمّا وصل معه إلى بصرى رآه بحيراء الراهب عن بعد والغمامة تظلّله، فصنع لقريش طعاماً ودعاهم ولم يكن له عادة بذلك، فحضروه وتأخّر ﷺ لصغر سنّه، فقال: هل بقي منكم أحد؟ فقالوا: نعم صبي صغير. فقال: أريده، فلمّا أكلوا وانصرفوا خلا به وبعمّه وقال: يا غلام أسألك باللات والعزّى ـ لأنّه سمعهم يحلفون بهما ـ فقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضي لهما، فسأله عن أشياء عن حاله ويقظته ومنامه وأموره، فأخبره بما وافق ما عنده من صفته، ثمّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه على الصفة التي يعرفها، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني؟ قال: ليس ابنك وما يكون أبوه حيّاً، قال: ابن أخي، قال: وما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حبلى به[2]. قال: صدقت، ارجع بابن أخيك واحفظه من اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت منه ليبغينّه شرّاً، فإنّه ﷺ كائن له شأن، ولمّا عاد به عمّه تبعه جماعة من أهل الكتاب يبغون قتله فردّهم بحيراء، وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره، وقال أبو طالب عليه السلام في ذلك:

إنّ ابن آمنة النبي محمّداً ... عندي بمثل منازل الأولاد

يذكر فيها حال بحيراً وردّ من ردّه من اليهود عن النبي ﷺ، وبشارة سيف بن ذي يزن[3] جدّه عبدالمطلب به وتعريفه إيّاه حاله حين قدم عليه يهنّيه بعود الملك

---

(١) وفي نسخة «شمعيثخو».

(٢) ولا يخفى أنّ ذلك يخالف ما اختاره عليه السلام فيما سيأتي عند مدّة حياته ﷺ من أنّه عاش مع أبيه سنتان وأربعة أشهر.

(٣) من ملوك اليمن لمّا ظفر بالحبشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين أتاه عبدالمطّلب وافداً مع سبعة

إليه، وهي معروفة منقولة، وهذا باب لو أوغلت فيه أطلت ولم أبلغ مدى عشيره[١] ولا أتيت مع الإسهاب[٢] بيسيره.

وأيـن الثـريا مـن يـد المـتناول وكيف لي بعد الرمال والجنادل[٣]

ما ظهر من معجزاته وآياته صلى الله عليه وآله بعد بعثته

فالقرآن الذي أخرس الفصحاء عن مجاراته[٤]، وقيّد البلغاء بالعيّ عن مباراته[٥] فعاد سحبان بيانهم باقلا، وتناصروا لمعارضته فلم يجدوا إلّا خاذلاً، وتعاهدوا وتعاقدوا فعدموا معيناً ونصيراً، وعادوا بالخيبة والخذلان فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فأذعنوا منقادين بخزائم[٦] الذل والصغار، وعنوا خاضعين في ربق[٧] الذل والأسار.

ومنها مجيء الشجرة إليه وقد ذكرها علي عليه السلام في خطبته القاصعة[٨]: قال له الكفار: إن دعوتها فجاءت آمنا فقال: أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديَّ بإذن الله، فجاءت ولها دويّ شديد (الحديث بتمامه) فقالوا: ساحر كذّاب.

وعشرين رجلاً من قريش للتهنئة فأكرمه الملك وأخبره بأنّه يكون جدّ النبي المبعوث من تهامة وأشهده على نفسه أنّه مؤمن به وبما يأتي به من عند ربّه وكان يتمنّى أن يراه وينصره، ثمّ دعا بفرسه العقاب وبغلته الشهباء وناقته العضباء وسلّمها إلى عبدالمطّلب ليسلّمها إلى محمّد صلى الله عليه وآله إذا بلغ مبلغ الرّجال.

(١) العشير: الجزء من أجزاء العشرة.

(٢) الإسهاب: الإطالة والإطناب في الكلام.

(٣) الجنادل جمع الجندلة: الصخرة العظيمة.

(٤) جاراه مجاراة: جرى معه.

(٥) المباراة: المعارضة.

(٦) الخزامة حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يجعل فيها الزمام وجمعها خزايم.

(٧) الربق بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد به البهم وهي أولاد الضأن وواحدها بهمّة يقع على المذكر والمؤنث والسخال أولاد المعزى فإذا اجتمعت البهام والسخال قيل لهم أبهام وبهم، والواحدة من العرى ربقة والجمع ربق وأرباق ورباق.

(٨) يقال قصعت الرجل قصعاً صغرته وحقرته وقصعت هامته إذا ضربتها ببسط كفك وغلام مقصوع إذا بقي قميئاً (قميأ ـ صغيراً خ ل) لا يشب ولا يزداد فتكون هذه الخطبة قد فعلت في الكفار والمنافقين شيئاً من هذه الأفعال.

ومنها خروج الماء من بين أصابعه وذلك حين كان في سفر وشكا أصحابه العطش وكانوا بمعرض التلف، فقال: كلّا إنّ معي ربّي عليه توكّلت، ثمّ دعا بركوة فصبّ فيها ماء ما كان يروى إنساناً واحداً، وجعل يده فيها فنبع الماء من بين أصابعه وصيح في الناس اشربوا، فشربوا وسقوا حتّى نهلوا وعلوا[1] وهم ألوف وهو يقول: أشهد أنّي رسول الله حقّاً.

ومنها حنين الجذع إليه حين كان يخطب عليه وفارقه حين اتّخذوا له منبراً، فلمّا صعده حنّ الجذع حنين الناقة التي فقدت ولدها.

ومنها حديث شاة أمّ معبد لمّا هاجر إلى المدينة فطلبوا ما يشربون فلم يجدوه، وقالت: إنّا مرمّلون، فرأى شاة فقال: ما هذه الشاة يا أمّ معبد؟ فقالت: خلفها الجهد[2] عن الغنم. قال: هل بها من لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلبها[3]؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمّي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها ومسح على ضرعها وقال: اللهمّ بارك لها في شاتها، فتفاجت[4] ودرّت ودعا بإناء لها فسقاها فشربت حتّى رويت، ثمّ سقى أصحابه فشربوا حتّى رووا، وشرب هو آخرهم، وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً، وشربوا جميعاً عللا بعد نهل، ثمّ حلب ثانياً عوداً على بدء[5] فغادره عندها فجاء زوجها أبو معبد ومعه أعنز عجاف[6]، فرأى اللبن فقال: من أين لكم هذا ولا حلوبة لكم والشاة عازب[7]؟ فقالت: إنّه مرّ بنا رجل مبارك من حديثه كيت وكيت[8] وحدّثته.

---

(١) النهل الشرب الأول وقد نهل بالكسر وأنهلته أنا لأنّ الإبل تسقى في أوّل الورد فترد إلى العطن ثمّ تسقى الثانية وهي العل فترد إلى المرعى والعطن والمعطن واحد الإعطان والمعاطن وهي مبارك الإبل عند الماء لتشرب علا بعد نهل.

(٢) أي الهزال، قاله الجزري في النهاية في حديث أمّ معبد.

(٣) الحلب بالتحريك اللبن المحلوب ومصدر حلب الناقة يحلبها حلباً. والحلوب والحلوبة ما يحلب وجاء بالهاء لأنّك تريد الشيء الذي يحلب أي اتّخذوه ليحلبوه وليس لتكثير الفعل.

(٤) تفاجت فرّجت ما بين رجليها ووسعته.

(٥) تقول: فعلت ذلك عوداً بعد بدء، ورجع عوده على بدئه إذا رجع في الطريق الذي جاء منه.

(٦) العجف بالتحريك: الهزل، والأعجف المهزول وقد عجف والأنثى عجفاء والجمع عجاف.

(٧) العازب البعيد.

(٨) كيت وكيت يقال بالفتح والكسر والتاء فيها هاء في الأصل فصارت تاءاً في الوصل.

ونقل الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار عن هند بنت الجون قالت: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله خيمة خالتها أمّ معبد، فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثمّ تمضمض ومج في عوسجة[١] إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهي كأعظم دوحة[٢]، وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس[٣] ورايحة العنبر وطعم الشهد، ما أكل منها جائع إلّا وشبع، ولا ظمآن إلّا روي، ولا سقيم إلّا برىء، وما أكل من ورقها بعير ولا شاة إلّا درّ لبنها، وكنّا نسمّيها المباركة وينتابنا[٤] من البوادي من يستشفي بورقها ويتزوّد منها حتّى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها، ففزعنا، فما راعنا إلّا نعي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك، من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها فذهب، فما شعرنا إلّا بمقتل أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، فما أثمرت بعد ذلك وكنّا ننتفع بورقها، ثمّ أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها[٥]، فبينا نحن فزعون مهمومون إذ أتانا مقتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت، والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة في قصة هي من أعلام القصص (آخر كلامه).

ومنها حديث سراقة حين أدركه عند توجّهه مهاجراً إلى المدينة ليتقرّب إلى قريش بأخذه وقتله، فلمّا ظنّ أنّه نال غرضه دعا عليه فساخت قوائم فرسه في الأرض حتّى تغيّبت بأجمعها وهو بموضع جدب[٦] وقاع صفصف[٧]، فقال: يا محمّد ادع ربّك يطلق قوائم فرسي ولك ذمّة الله عليّ أن لا أدلّ عليك أحداً، فدعا له فوثب كأنّما

---

(١) مج الشيء من فمه: رمى به. وعوسجة واحدة العوسج: جنس الشجرات من فصيلة الباذنجانيات، أغصانه شائكة وأزهاره مختلفة الألوان.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتّسعة.

(٣) الورس: نبات حبّه كالسمسم أصفر يصبغ به وتتّخذ منه الغمرة أي الزعفران.

(٤) انتابهم انتياباً: أتاهم مرّة بعد أخرى. وانتاب زيد عمرواً: قصده إليه.

(٥) دم عبيط: خالص طري. وذبل النبات: قلّ ماؤه وذهبت نضارته.

(٦) الجدب ضدّ الخصب.

(٧) القاع: المستوى من الأرض وكذلك الصفصف والجمع أقوع وأقواع وقيعان، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها.

أفلت من انشوطة[١] وكان رجلاً داهية، علم أنّه سيكون له شأن فطلب منه أماناً، وقال لأبي بكر: أجب الذين يسألونك عنّا في الطريق فإنّه لا يجوز لي أن أكذب. فكان إذا سئل أبوبكر ما أنت؟ قال: أنا باغ[٢]، فإذا قيل من الذي معك؟ قال: هاد[٣] يهديني.

ومنها حديث الغار وكان قريباً من مكة كان يعتوره الناس[٤] ويأوى إليه الرعاء[٥]، فخرجوا في طلبه فأعماهم الله عنه وحمى نبيّه من كيدهم ومكرهم وهم دهاة العرب وأصحاب تلك الأرض والعارفون بسبلها[٦] ومخارمها[٧] كما قيل أهل مكة أعرف بشعابها[٨]. وفي ذلك يقول السيّد الحميري ﷺ:

حتّى إذا قصدوا لباب مغارة ... ألفوا[٩] عليه مثل نسج العنكب[١٠]
صنع الإله لهم فقال فريقهم ... ما في المغار لطالب من مطلب
ميلوا وصدّهم المليك ومن يرد ... عنه الدفاع مليكه لم يعطب

وبعث الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش من كلّ بطن بعصيهم وسيوفهم حتّى إذا كانوا منه بمقدار أربعين ذراعاً تعجّل رجل لينظر في الغار، فرجع فقالوا: مالك لا تنظر في الغار؟ فقال: رأيت بفمه حمامتين، وسمع النبي ﷺ ما قال فدعا لهنّ.

ومنها كلام الذئب وذلك أنّ رجلاً[١١] كان في غنمه فأخذ منه الذئب شاة فأقبل يعدو خلفه فطرحها، وقال بلسان فصيح: تمنعني رزقاً ساقه الله إليّ؟! فقال الرجل: يا

---

(١) الأنشوطة: عقدة يسهل انحلالها يقال نشطت الحبل أنشطها أنشطه نشطاً عقدته انشوطة وأنشطته أحللته يقال كأنّما نشط من عقال.

(٢) الباغي الذي ينشد الضالة أي يطلبها.

(٣) هو ﷺ الهادي يهدى إلى طريق الرشاد وسبل الخيرات.

(٤) يعتوره الناس يقصدونه ويتداولونه.

(٥) الرعاء جمع راع.

(٦) السبل الطرق.

(٧) المخارم جمع مخرم بكسر الراء فهو منقطع أنف الجبل وهي أفواج الفجاج، والفج الطريق الواسع بين الجبلين.

(٨) الشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل.

(٩) ألفوا: وجدوا.

(١٠) العنكب: العنكبوت.

(١١) وفي رواية ابن شهرآشوب أنّ ذلك الرّجل هو أبوذر ﷺ.

عجباً للذئب يتكلّم! قال: أنتم أعجب وفي شأنكم عبرة للمعتبرين، هذا محمّد صلى الله عليه وآله يدعو إلى الحق ببطن مكة وأنتم عنه لاهون، فأبصر الرجل رشده وهداه الله وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله وأبقى لعقبه شرفاً وكانوا يعرفون ببني مكلّم الذئب.

ومنها أنّه كلّمه الذراع وقال: إنّي مسموم، وذلك حين أهدته إليه اليهودية وقصّته معروفة.

ومنها أنّه أطعم من القليل الجم الغفير[1] في غير موضع.

ومنها أنّه شكا إليه قوم ملوحة بئرهم وقلّه مائها وأنّهم يجدون من الظمأ شدّة، فتفل فيها فغزر ماؤها وطاب وعذب، وأهلها يفخرون بها ويتوارثونها[2].

ومنها حديث الإستسقاء وذلك حين شكا إليه أهل المدينة فدعا الله فمطروا حتّى أشفقوا من خراب دورها فسألوه في كشفه فقال: اللهمّ حوالينا ولا علينا[3]، فاستدار حتّى صار كالأكليل والشمس طالعة في المدينة والمطر يجيء على ما حولها يرى ذلك مؤمنهم وكافرهم. فضحك صلى الله عليه وآله وقال: لله درّ أبي طالب لو كان حيّاً قرّت عيناه، فقام أميرالمؤمنين علي عليه السلام وقال: يا رسول الله كأنّك تريد قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال[4] اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

ومنها انشقاق القمر وقصّته معروفة، وغير ذلك من إخباره بالمغيّبات والكاينات ممّا هو مشهور في الكتب والسير والتواريخ لو تتبع وجمع لجاء في عدة مجلّدات ولتعذّر جمعه لكثرته وسعة أقطاره، ومن أين وكيف يصف اللسان فضله وشرفه وهو خلاصة الوجود، أنكره من أنكره وعرفه من عرفه.

فأمّا أخلاقه وكرمه وشجاعته وفصاحته وأمانته وذكره وشكره وعبادته وكرم عترته وشفقته وأدبه ورفقه وأناته وتجاوزه وبأسه ونجدته وعزمه وهمّته وعلمه وحكمته وزهده وورعه ورضاه وصبره وفكره واعتباره وتبصره وخوفه من ربّه

---

(١) الجم الغفير والجماء الغفير أي جماعتهم الشريف والوضيع الذين لا يعلم عددهم لكثرتهم.

(٢) ولمّا ادّعى مسيلمة النبوّة أتته امرأة وطلبت منه أن يدعو الله لمائها ونخلها كما دعى محمّد صلى الله عليه وآله لهذا القوم في بئرهم، ففعل مسيلمة مثل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وتفل في البئر فغار ماؤها ويبس النخل.

(٣) قال الجزري في حديث الإستسقاء: يريد اللّهمّ أنزل الغيث في مواضع النّبات لا في مواضع الأبنية.

(٤) الثمال بالكسر الغياث، يقال فلان ثمال قومه أي غياث لهم يقوم بأمرهم.

وخشوعه وتواضعه وخضوعه وكرم آبائه وجدوده وسخاؤه وجوده وصمته وبيانه وصدق لهجته ورعايته للعهد ووفاؤه بالوعد وعدم تلوّنه واستمرار طريقته وإنصافه في معاملته وحسن خلقه وخلقه وجدّه ووقاره وضياؤه وأنواره وحياؤه ولينه وثقته ويقينه وعفوه ورحمته وصفحه وقناعته وصدق توكّله ومكانته من الله تعالى التي يدلّ عليها ما **نقلته من مسند أحمد بن حنبل** عن عبدالرحمان بن عوف قال: خرج رسول الله ﷺ فأتبعته حتّى دخل نخلاً فسجد وأطال السجود حتّى خفت أو خشيت أن يكون الله عزّوجلّ قد توفّاه وقبضه، فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: مالك يا عبدالرحمان؟ قال: فذكرت ذلك له، قال: فقال لي: إنّ جبرئيل عليه السلام قال لي: ألا أُبشّرك أنّ الله عزّوجلّ يقول لك: من صلّى عليك صلّيت عليه، ومن سلّم عليك سلّمت عليه، فسجدت لله شكراً.

ومن ذلك ما نقلته من كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد قال: أخبرني العطافي عن رجاله عن جعفر بن محمّد عليهما السلام عن آبائه الطاهرين عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقم من اسمه محمّد فليدخل الجنّة لكرامة سميّه محمّد ﷺ، فانظر إلى شرفه الذي فاق به الأوائل والأواخر مفخراً، وتدبّر معاني كماله الذي بلغ السماء وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهراً، وهذه صفات بلغ فيها النهاية التي أعجزت البشر واستولى على الأمد فيها ومن أبى فقد كفر، وتوقل من تحصيل كمالاتها إلى الذروة التي فاقت الشمس والقمر، وسبق الأوائل والأواخر إلى قنن الشرف، فنهى فيها وأمر، وشهد الله سبحانه ببلوغه هذه الكمالات فيما ضمن الآيات والسور، ولو أراد مريد أن يجمع في كلّ صفة من هذه الصفات كتاباً مطوّلاً أمكنه لما جمعه الله فيه من محاسنها، وخصّه به من صفاياها، فأمّا ذكر باقي أحواله ومغازيه وتسمية أعمامه وعمّاته وذكر أزواجه رضي الله عنهنّ وذكر عبيده وخيله وسياقة سننه وغير ذلك من أحاديثه وخطبه ومواعظه فليس ذلك من غرض هذا الكتاب فلنقتصر على ما ذكرناه.

فصل [ذكر فضل بني هاشم وشرفهم]

قبل الشروع في ذكر علي وأولاده عليهم السلام نذكر شيئاً ممّا يتعلّق بفضل بني هاشم وشرفهم ومالهم من المزايا التي فضّلوا بها الناس.

ومن ذلك رسالة وقعت إليّ من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أذكرها مختصراً لها، قال: إعلم حفظك الله أنّ أصول الخصومات معروفة بيّنة وأبوابها مشهورة كالخصومة بين الشعوبيّة والعرب، والكوفي والبصري، والعدناني والقحطاني، فهذه الأبواب الثلاثة أنقض للعقول السليمة، وأفسد للأخلاق الحسنة من المنازعة في القدر والتشبيه، وفي الوعد والوعيد، وفي الأسماء والأحكام، وفي الآثار وتصحيح الأخبار، وأنقض من هذه للعقول تمييز الرجال وترتيب الطبقات، وذكر تقديم عليّ وأبي بكر، فأولى الأشياء بك القصد وترك الهوى، فإنّ اليهود نازعت النصارى في المسيح فلجّ بهما القول حتّى قالت اليهود: إنّه ابن يوسف النجّار، وإنّه لغير رشده، وإنّه صاحب نيرنج وخدع ومخاريق وناصب شرك وصيّاد سمك وصاحب شص وشبك، فما يبلغ من عقل صيّاد وربيب نجّار. وزعمت النصارى أنّه ربّ العالمين وخالق السماوات والأرضين وإله الأوّلين والآخرين.

فلو وجدت اليهود أسوأ من ذلك القول لقالته فيه. ولو وجدت النصارى أرفع من ذلك القول لقالته فيه، وعلى هذا قال علي عليه السلام: يهلك فيّ رجلان محبّ مفرط ومبغض مفرط، والرأي كلّ الرأي أن لا يدعوك حبّ الصحابة إلى بخس عترة الرسول صلى الله عليه وآله حقوقهم وحظوظهم، فإنّ عمر لمّا كتبوا الدواوين وقدّموا ذكره أنكر ذلك وقال: ابدؤا بطرفي رسول الله صلى الله عليه وآله وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله، قالوا: فأنت أميرالمؤمنين، فأبى إلّا تقديم بني هاشم وتأخّر نفسه، فلم ينكر عليه منكر وصوبّوا رأيه وعدّوا ذلك من مناقبه.

واعلم أنّ الله لو أراد أن يسوّي بين بني هاشم وبين الناس لما أبانهم بسهم ذوي القربى، ولما قال: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[2] وإذا كان لقومه في ذلك ما ليس لغيرهم فكلّ من كان أقرب كان أرفع، ولو سوّاهم بالناس لما حرّم عليهم الصدقة، وما هذا التحريم إلّا لإكرامهم على الله، ولذلك قال للعباس حيث طلب ولاية الصدقات: لا أوليك غسالات خطايا الناس وأوزارهم بل أوليك سقاية الحاج والإنفاق على زوّار الله، ولهذا كان ربّاه أوّل ربّأ وضع، ودم ربيعة

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الزخرف: ٤٤.

ابن حارث أوّل دم هدر، لأنّهما القدوة في النفس والمال، ولهذا قال علي عليه السلام على منبر الجماعة: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد، وصدق صلوات الله عليه، كيف يقاس بقوم منهم رسول الله صلى الله عليه وآله والأطيبان: علي وفاطمة، والسبطان: الحسن والحسين، والشهيدان: أسد الله حمزة وذوالجناحين جعفر، وسيّد الوادي: عبدالمطّلب، وساقي الحجيج: العباس، وحليم البطحاء والنجدة والخير فيهم، والأنصار أنصارهم، والمهاجر من هاجر إليهم ومعهم، والصدّيق من صدّقهم، والفاروق من فرّق بين الحقّ والباطل فيهم، والحواري حواريهم، وذوالشهادتين لأنّه شهد لهم، ولا خير إلّا فيهم ولهم ومنهم ومعهم.

وقال صلى الله عليه وآله فيما أبان به أهل بيته: إنّي تارك فيكم الخليفتين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر حين طلب مصاهرة علي: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كلّ نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي.

واعلم أنّ الرجل قد ينازع في تفضيل ماء دجلة على ماء الفرات، فإن لم يتحفّظ وجد في قلبه على شارب ماء دجلة رقّة لم يكن يجدها، ووجد في قلبه غلظة على شارب ماء الفرات لم يكن يجدها، فالحمد لله الذي جعلنا لا نفرق بين أبناء نبيّنا ورسلنا، لنحكم لجميع المرسلين بالتصديق ولجميع السلف بالولاية، ونخصّ بني هاشم بالمحبّة ونعطي كلّ امرىء قسطه من المنزلة.

فأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فلو أفردنا لأيّامه الشريفة ومقاماته الكريمة ومناقبه السنيّة كلاماً لأفنينا في ذلك الطوامير الطوال، العِرْق صحيح، والمنشأ كريم، والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، فأخلاقه وفق أعراقه، وحديثه يشهد لقديمه، وليس التدبير في وصف مثله إلّا ذكر جمل قدره، واستقصاء جميع حقّه، فإذا كان كتابنا لا يحتمل تفسير جميع أمره ففي هذه الجملة بلاغ لمن أراد معرفة فضله.

وأمّا الحسن والحسين عليهما السلام فمثلهما مثل الشمس والقمر، فمن أعطى ما في الشمس والقمر من المنافع العامة والنعم الشاملة التامة ولو لم يكونا ابني علي من فاطمة عليهما السلام، ورفعت من وهمك كلّ رواية، وكلّ سبب توجبه القرابة لكنت لا تقرن

بهما أحداً من أجلّة المهاجرين والصحابة إلّا أراك فيهما الإنصاف من تصديق قول النبي صلى الله عليه وآله أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وجميع من هما سادته سادة، والجنّة لا تدخل إلّا بالصدق والصبر، وإلّا بالحلم والعلم، وإلّا بالطهارة والزهد، وإلّا بالعبادة والطاعة الكثيرة، والأعمال الشريفة والاجتهاد والإثرة والإخلاص في النيّة، فدلّ على أنّ حظّهما في الأعمال المرضيّة والمذاهب الزكية فوق كلّ حظ.

وأمّا محمّد بن الحنفيّة فقد أقرّ الصادر والوارد والحاضر والباديَ أنّه كان واحد دهره ورجل عصره، وكان أتمّ الناس تماماً وكمالاً.

وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فالناس على اختلاف مذاهبهم مجمعون عليه لا يمترى أحد في تدبيره، ولا يشك أحد في تقديمه، وكان أهل الحجاز يقولون: لم نر ثلاثة في دهر يرجعون إلى أب قريب كلّهم يسمّى عليّاً، وكلّهم يصلح للخلافة لتكامل خصال الخير فيهم، يعنون علي بن الحسين بن علي عليهما السلام، وعلي بن عبدالله بن جعفر، وعلي بن عبدالله بن العباس رضي الله عنهم، ولو عزونا لكتابنا هذا ترتيبهم لذكرنا رجال أولاد علي لصلبه، وولد الحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن عبدالله بن جعفر ومحمّد بن علي بن عبدالله بن العباس، إلّا أنّا ذكرنا جملة من القول فيهم فاقتصرنا من الكثير على القليل.

فأمّا النجدة فقد علم أصحاب الأخبار وحمّالوا الآثار أنّهم لم يسمعوا بمثل نجدة علي بن أبي طالب عليه السلام وحمزة عليه السلام، ولا بصبر جعفر الطيّار رضوان الله عليه وليس في الأرض قوم أثبت جناناً ولا أكثر مقتولاً تحت ظلال السيوف، ولا أجدر أن يقاتلوا وقد فرّت الأخيار وذهبت الصنائع، وخام ذوالبصيرة وجاد أهل النجدة من رجالات بني هاشم، وهم كما قيل:

وخام الكمي وطاح اللواء ولا تأكل الحرب إلّا سمينا[1]

وكذلك قال دغفل[2] حين وصفهم: أنجاد أمجاد ذووا ألسنة حداد، وكذلك قال علي عليه السلام حين سئل عن بني هاشم وبني أمية: نحن أنجد وأمجد وأجود، وهم أنكر

---

(١) خام: جبن. والكمي: الشجاع. وطاح الشيء: ذهب وفنى.

(٢) وهو دغفل بن حنظلة النسابة أحد بني شيبان.

وأمكر وأغدر. وقال أيضاً: نحن أطعم للطعام وأضرب للهام[١] وقد عرفت جفاء المكيين وطيش المدنيين وأعراق بني هاشم مكية ومناسبهم مدنية، ثمّ ليس في الأرض أحسن أخلاقا ولا أطهر بشراً ولا أدوم دمائة[٢] ولا ألين عريكة ولا أطيب عشيرة ولا أبعد من كبر منهم، والحدّة لا يكاد يعدمها الحجازي والتهامي إلّا أنّ حليمهم لا يشق غباره، وذلك في الخاص والجمهور على خلاف ذلك حتّى تصير إلى بني هاشم، فالحلم في جمهورهم، وذلك يوجد في الناس كافة، ولكنّا نضمن أنّهم أتمّ الناس فضلاً وأقلّهم نقصاً، وحسن الخلق في البخيل أسرع، وفي الذليل أوجد، وفيهم مع جودهم وظهور عزّهم من البشر الحسن والإحتمال وكرم التفاضل ما لا يوجد مع البخيل الموسر، والذليل المكثر الذين يجعلان البشر وقاية دون المال، وليس في الأرض خصلة تدعو إلى الطغيان والتهاون بالأمور وتفسد العقول وتورث السكر إلّا وهي تعتريهم وتعرض لهم دون غيرهم، إذا قد جمعوا من الشرف العالي والمغرس الكريم العز والمنعة مع إبقاء الناس عليهم والهيبة لهم وهم في كلّ أوقاتهم وجميع أعصارهم فوق من هم على مثل ميلادهم، في الهيئة الحسنة والمروة الظاهرة، والأخلاق المرضية، وقد عرفت الحدث العزيز من فتيانهم وذوي الغرامة من شبّانهم، إنّه إن افترى لم يفتر عليه وإن ضرب لم يضرب، ثمّ لا تجده إلّا قويّ القلب[٣]، بعيد الهمّة، كثير المعرفة، مع خفّة ذات اليد، وتعذّر الأمور، ثمّ لا تجد عند أفسدهم شيئاً من المنكر إلّا رأيت في غيره من الناس أكثر منه من مشايخ القبائل وجمهور العشائر، وإذا كان فاضلهم فوق كلّ فاضل، وناقصهم أنقص نقصاناً من كلّ ناقص، فأيّ دليل أدلّ وأيّ برهان أوضح ممّا قلته، وقد علمت أنّ الرجل منهم ينعت بالتعظيم والرواية في دخول الجنّة بغير حساب، ويتأوّل القرآن له، ويزاد في طمعه بكلّ حيلة وينقص من خوفه، ويحتج له بأنّ النّار لا تمسّه، وأنّه ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وأنت تجد لهم مع ذلك العدد الكثير من الصوام والمصلّين والتالين الذين لا يجاريهم احد ولا يقاربهم.

---

(١) الهام جمع الهامة: رأس كلّ شيء.

(٢) الدمائة: سهولة الخلق.

(٣) وفي نسخة «الشهوة» بدل «القلب».

كان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يصلّي في كلّ ليلة ألف ركعة وكذا علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبدالله بن جعفر، وعلي بن عبدالله بن العباس عليهم السلام مع الحلم والعلم وكظم الغيظ والصفح الجميل والإجتهاد المبرز، فلو أنّ خصلة من هذه الخصال أو داعية من هذه الدواعي عرضت لغيرهم لهلك وأهلك.

إعلم أنّهم لم يمتحنوا بهذه المحن ولم يتحمّلوا هذه البلوى إلّا لما قدموا من العزائم التامة والأدوات الممكنة، ولم يكن الله ليزيدهم في المحنة إلّا وهم يزدادون على شدّة المحن خبراً وعلى التكشّف تهذيباً.

وجملة أخرى ممّا لعلي بن أبي طالب عليه السلام خاصة: الأب أبوطالب، والجد عبدالمطلب بن هاشم، والأم فاطمة بنت أسد بن هاشم، والزوجة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة نساء العالمين، والولد الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، والأخ جعفر الطيّار في الجنّة، والعم العباس وحمزة سيّد الشهداء في الجنّة، والعمّة صفيّة بنت عبدالمطّلب، وابن العمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل هاشمي بين هاشميين كان في الأرض من ولد أبي طالب، والأعمال التي يستحق بها الخير أربعة: التقدم في الإسلام، والذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الدين، والفقه في الحلال والحرام، والزهد في الدنيا وهي مجتمعة في علي بن أبي طالب متفرقة في الصحابة، وفي علي يقول أسد بن رقيم يحرّض عليه قريشاً وأنّه قد بلغ منهم على حداثة سنّه ما لم يبلغه ذووا الأسنان:

في كلّ مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبرّ على المذاكي القرحي[1]
لله درّكم ألمّا تنكروا ... قد ينكر الضيم الكريم ويستحي[2]
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً ويمشي آمناً لم يجرح
أين الكهول وأين كلّ دعامة ... للمعضلات وأين زين الأبطح[3]
أفناهم ضرباً بكلّ مهنّد ... صلّت وحدّ غزاره لم يصفح[4]

---

(١) الجذع ـ بفتحتين ـ: الشاب الحدث. وأبز عليه ـ بتشديد الراء ـ: غلبه وفاق عليه. والمذاكي جمع المذكى: الرجل المسن الذي تقدّم أقرانه في العمر. والقرح ـ بتشديد الراء ـ: جمع القارح وهو من الفرس: الذي كمل سنّه وانتهت أسنانه.

(٢) الضيم: الظلم.

(٣) دعامة القوم: سيّدهم.

(٤) المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. والصلت من السيوف: الصقيل الماضي. والغزار بمعنى الكثرة.

وأمّا الجود فليس على ظهر الأرض جواد جاهلي ولا إسلامي ولا عربي ولا عجمي إلّا وجوده يكاد يصير بخلاً إذا ذكر جود علي بن أبي طالب ﷺ، وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عباس، والمذكورون بالجود منهم كثير، لكنّا اقتصرنا. ثمّ ليس في الأرض قوم أنطق خطيباً ولا أكثر بليغاً من غير تكلّف ولا تكسب من بني هاشم، وقال أبو سفيان بن الحرث:

لقد علمت قريش غير فخر ... بأنّا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعاً سابغات ... وأمضاهم إذا طعنوا سنانا[1]
وأدفعهم عن الضرّاء فيهم ... وأثبتهم إذا نطقوا جنانا

وممّا يضمّ إلى جملة القول في فضل علي بن أبي طالب ﷺ أنّه أطاع قبلهم ومعهم وبعدهم، وامتحن بما لم يمتحن به ذو عزم، وابتلي بما لم يبتل به ذو صبر.

وأمّا جملة القول في ولد علي عليه وعليهم السلام فإنّ الناس لا يعظّمون أحداً من الناس إلّا بعد أن يصيبوا منهم وينالوا من فضلهم، وإلّا بعد أن تظهر قدرتهم، وهم معظمون قبل الإختبار، وهم بذلك واثقون وبه موقنون، فلولا أنّ هناك سرّاً كريماً، وخيماً[2] عجيباً وفضلاً مبيناً، وعرقاً نامياً لاكتفوا بذلك التعظيم، ولم يعانوا تلك التكاليف الشداد والمحن الغلاظ.

وأمّا المنطق والخطب فقد علم الناس كيف كان علي بن أبي طالب عند التفكير والتخبير، وعند الإرتجال والبدأة، وعند الإطناب والإيجاز في وقتيهما، وكيف كان كلامه قاعداً وقائماً، وفي الجماعات ومنفرداً مع الخبرة بالأحكام والعلم بالحلال والحرام، وكيف كان عبدالله بن العباس رضوان الله عليه الذي كان يقال له الحبر والبحر، ومثل عمر بن الخطاب يقول له: غص يا غوّاص وشنشنة أعرفها من أخزم، قلّب عقول ولسان فؤل، ولو لم يكن لجماعتهم إلّا لسان زيد بن علي بن الحسين، وعبدالله بن معاوية بن جعفر، لقرعوا بهما جميع البلغاء وعلوا بهما على جميع الخطباء، ولذلك قالوا: أجواد أمجاد، وألسنة حداد، وقد ألقيت إليك جملة من ذكر آل الرسول يستدلّ بالقليل منها على الكثير، وبالبعض على الكل، والبغية في ذكرهم أنّك

---

(١) درع سابغة أي واسعة.

(٢) الخيمُ: السجية والطبيعة، ولا مُفرد لها.

متى عرفت منازلهم ومنازل طاعتهم ومراتب أعمالهم وأقدار أفعالهم وشدّة محنتهم، وأضفت ذلك إلى حقّ القرابة كان أدنى ما يجب علينا وعليك الإحتجاج لهم، وجعلت بدل التوقّف في أمرهم الرد على من أضاف إليهم ما لا يليق بهم، وقد تقدم من قولنا فيهم متفرقاً ومجملاً ما أغنى عن الإستقصاء في هذا الكتاب (تمّت الرسالة وهي بخط عبدالله بن الحسن الطبري).

ووقع إليّ رسالة أخرى من كلامه أيضاً في التفضيل أثبتها أيضاً مختصراً ألفاظها وترجمتها:

رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في الترجيح والتفضيل نسخ من مجموع للأمير أبي محمّد الحسن بن عيسى المقتدر بالله قال: هذا كتاب من اعتزل الشك والظنّ والدعوى والأهواء، وأخذ باليقين والثقة من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وإجماع الأمّة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله ممّا تضمّنه الكتاب والسنّة، وترك القول بالآراء، فإنّها تخطىء وتصيب لأنّ الأمّة أجمعت أنّ النبي صلى الله عليه وآله شاور أصحابه في الأسرى ببدر، واتّفق رأيهم على قبول الفداء منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لنبيّ أنْ يكونَ له أسرىٰ** ﴾[1] الآية. فقد بان لك أنّ الرأي يخطىء ويصيب ولا يُعطي اليقين، وإنّما الحجّة لله ولرسوله، وما أجمعت عليه الأمّة من كتاب الله وسنّة نبيّها ونحن لم ندرك النبي ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفت الأمّة في أحقّهم فنعلم أيّهم أولى ونكون معهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين** ﴾[2] ونعلم أيّهم على الباطل فنجتنبهم، وكما قال تعالى: ﴿ **واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شيئاً** ﴾[3] حتّى أدركنا العلم فطلبنا معرفة الدين وأهله وأهل الصدق والحق، فوجدنا الناس مختلفين يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان:

أحدهما قالوا: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مات ولم يستخلف أحداً، وجعل ذلك إلى المسلمين يختارونه فاختاروا أبابكر.

والآخرون قالوا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله استخلف عليّاً فجعله إماماً للمسلمين بعده،

---

(١) الأنفال: ٦٧.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) النحل: ٧٨.

وادّعى كلّ فريق منهم الحق، فلمّا رأينا ذلك وقفنا بين الفريقين لنبحث ونعلم المحق من المبطل.

فسألناهم جميعاً: هل للناس بدّ من وال يقيم أعيادهم ويجبي زكواتهم ويفرّقها على مستحقّيها ويقضي بينهم ويأخذ لضعيفهم من قويّهم ويقيم حدودهم؟ فقالوا: لابدّ من ذلك. فقلنا: هل لأحد أن يختار أحداً فيولّيه بغير نظر في كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ؟ فقالوا: لا يجوز ذلك إلّا بالنظر. فسألناهم جميعاً عن الإسلام الذي أمر الله به؟ فقالوا: إنّه الشهادتان والإقرار بما جاء من عند الله والصلاة والصوم والحج بشرط الإستطاعة، والعمل بالقرآن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه، فقبلنا ذلك منهم. ثمّ سألناهم جميعاً: هل لله خيرة من خلقه اصطفاهم واختارهم؟ فقالوا: نعم. فقلنا: ما برهانكم؟ فقالوا: قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1] فسألناهم من الخيرة؟ فقالوا: هم المتقون. قلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2]. فقلنا: هل لله خيرة من المتّقين؟ قالوا: نعم، المجاهدون بأموالهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[3]. فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟ قالوا جميعاً: نعم، السابقون من المهاجرين إلى الجهاد، بدليل قوله تعالى: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾[4] الآية، فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم عليه، وعلمنا أنّ خيرة الله من خلقه المجاهدون السابقون إلى الجهاد، ثمّ قلنا: هل لله منهم خيرة؟ قالوا: نعم. قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناءاً في الجهاد وطعناً وضرباً وقتلاً في سبيل الله بدليل قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾[5] ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾[6] فقبلنا ذلك منهم وعلمناه وعرفنا أنّ خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناءاً وأبذلهم لنفسه في طاعة الله، وأقتلهم لعدوّه، فسألناهم عن هذين الرجلين علي بن أبي

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) النساء: ٩٥.

(٤) الحديد: ١٠.

(٥) الزلزلة: ٧.

(٦) البقرة: ١١٠، المزمّل: ٢٠.

طالب عليه السلام وأبي بكر أيّهما أكثر عناءاً في الحرب وأحسن بلاءاً في سبيل الله ؟ فأجمع الفريقان على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب أنّه كان أكثر طعناً وضرباً وأشدّ قتالاً وأذبّ عن دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، فثبت بما ذكرناه من إجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسنّة أنّ علياً عليه السلام أفضل .

وسألناهم ثانياً عن خيرته من المتقين ، فقالوا : هم الخاشعون بدليل قوله تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾[2] وقال تعالى : أعدّت ﴿ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾[3] . ثمّ سألناهم من الخاشعون ؟ قالوا : هم العلماء لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[4] . ثمّ سألناهم جميعاً من أعلم الناس ؟ قالوا : أعلمهم بالقول وأهداهم إلى الحق وأحقّهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً بدليل قوله تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم ﴾[5] فجعل الحكومة إلى أهل العدل ، فقبلنا ذلك منهم . ثمّ سألناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو ؟ قالوا : أدلّهم عليه . قلنا : فمن أدلّ النّاس عليه ؟ قالوا : أهداهم إلى الحقّ وأحقّهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً بدليل قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾[6] الآية ، فدلّ كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله والإجماع أنّ أفضل الأمّة بعد نبيّها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأنّه إذا كان أكثرهم جهاداً كان أتقاهم ، وإذا كان أتقاهم كان أخشاهم ، وإذا كان أخشاهم كان أعلمهم ، وإذا كان أعملهم كان أدلّ على العدل ، وإذا كان أدلّ على العدل كان أهدى الأمّة إلى الحق ، وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً وأن يكون حاكماً لا تابعاً ولا محكوماً عليه .

وأجمعت الأمّة بعد نبيّها أنّه خلّف كتاب الله تعالى ذكره ، وأمرهم بالرجوع إليه إذا نابهم أمر ، وإلى سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فيتدبّرونها ويستنبطون منهما ما يزول به الإشتباه ،

---

(١) ق : ٣١.

(٢) ق : ٣٣.

(٣) الأنبياء : ٤٨ـ٤٩.

(٤) فاطر : ٢٨.

(٥) المائدة : ٩٥.

(٦) يونس : ٣٥.

فإذا قرأ قارنهم ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[١] فيقال له أثبتها ثمّ يقرأ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٢] وفي قراءة ابن مسعود (إنّ خيركم عند الله أتقاكم) ثمّ يقرأ: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾[٣] فدلّت هذه الآية على أنّ المتقين هم الخاشعون، ثمّ يقرأ حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٤] فيقال له: إقرأ حتّى تنظر هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا؟ حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٥] علم أنّ العلماء أفضل من غيرهم، ثمّ يقال: اقرأ فإذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٦] قيل: قد دلّت هذه الآية على أنّ الله تعالى قد اختار العلماء وفضّلهم ورفعهم درجات، وقد أجمعت الأمّة على أنّ العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة: علي بن أبي طالب عليه السلام وعبدالله بن العباس وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وقالت طائفة: عمر بن الخطاب، فسألنا الأمّة: من أولى الناس بالتقديم إذا حضرت الصلاة؟ فقالوا: إنّ النبي ﷺ قال: يؤم بالقوم أقرؤهم، ثمّ أجمعوا أنّ الأربعة كانوا أقرأ لكتاب الله تعالى من عمر، فسقط عمر، ثمّ سألنا الأمّة أيّ هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه؟ فاختلفوا فوقفناهم حتّى نعلم، ثمّ سألناهم أيّهم أولى بالإمامة؟ فأجمعوا على أنّ النبي ﷺ قال: الأئمّة من قريش فسقط ابن مسعود وزيد بن ثابت، وبقي علي بن أبي طالب وابن عباس فسألنا: أيّهما أولى بالإمامة؟ فأجمعوا على أنّ النبي ﷺ قال: إذا كانا عالمين فقيهين قرشيين فأكبرهما سنّاً وأقدمهما هجرة، فسقط عبدالله بن العباس وبقي أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فيكون أحقّ بالإمامة، لمّا أجمعت عليه الأمّة ولدلالة الكتاب والسنّة عليه (هذا آخر رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ).

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) ق: ٣١ـ٣٣.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) المجادلة: ١١.

أقول: إنّ أبا عثمان من رجال الإسلام وأفراد الزمان في الفضل والعلم وصحّة الذهن وحسن الفهم والإطّلاع على حقائق العلوم، والمعرفة بكلّ جليل ودقيق، ولم يكن شيعيّاً فيتّهم وكان عثمانياً مروانياً وله في ذلك كتب مصنّفة، وقد شهد في هاتين الرسالتين من فضل بني هاشم وتقديمهم وفضل علي عليه السلام وتقديمه بما لا شك فيه ولا شبهة وهو أشهر من فلق الصباح، وهذا إن كان مذهبه فذاك وليس بمذهبه، وإلّا فقد أنطقه الله تعالى بالحق وأجرى لسانه بالصدق، وقال ما يكون حجة عليه في الدنيا والآخرة، ونطق بما لو اعتقد غيره لكان خصمه في محشره، فإنّ الله عند لسان كلّ قائل فلينظر قائل ما يقول وأصعب الأمور وأشقّها أن يذكر الإنسان شيئاً يستحقّ به الجنّة ثمّ يكون ذلك موجباً لدخوله النار، نعوذ بالله من ذلك.

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشق
صرت كأنّي ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق[1]

وليكن هذا القدر كافياً، فإنّه حيث ثبت ما طلبناه بشهادة هذا الرجل شرعنا فيما نحن بصدده بعون الله وحوله، ولابدّ من ذكر أشياء مهمّة نقدّمها أمام ما وجّهنا إليه وجه قصدنا، وصرفنا إليه اهتمامنا وبالله التوفيق.

فمن ذلك تفسير معنى قولهم آل الرسول وأهل البيت والعترة وتبيين من هم. وما ورد في ذلك من الأخبار وأقوال أرباب اللغة.

قال أبو عبدالله الحسين بن خالويه: الآل ينقسم في اللغة خمسة وعشرين قسماً آل الله قريش قال الشاعر هو عبدالمطلب:

نحن آل الله في كعبته لم يزل ذاك على عهد إبرهم[2]

وقال آخرون: أراد نحن آل بيت الله أي قطّان مكة وسكّان حرم الله، والعرب تقول في الإستغاثة يا آل الله يريدون قريشاً، وآل محمّد صلى الله عليه وآله بنو هاشم، من آل إليه بحسبٍ أو قرابة، وقيل آل محمّد صلى الله عليه وآله كلّ تقي، وقيل آل محمّد من حرمت عليه الصدقة، فأمّا قوله تعالى: ﴿يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب﴾[3] قيل يرث نبوّتهم

---

(١) الذبالة: الفتيلة.

(٢) إبرهم مخفّف إبراهيم.

(٣) مريم: ٦.

وعلمهم. وعن الحسن البصري، وقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾[١] وقال ابن عباس: ورثة الحبورة يعني العلم والحكمة، ولذلك سمّي العالم حبراً من الحبار وهو الحسن والجمال، وآل الله أهل القرآن.

قال النبي ﷺ: إنّ لله أهلين. قيل: من هم؟ قال: أهل القرآن. وفي حديث آخر: أهل القرآن عرفاء أهل الجنّة. وإذا فضّل الله شيئاً نسبه إليه، كما قيل للكعبة بيت الله ولرجب شهر الله، وجمع الأهل في السلامة أهلون وأهلين في المذكّر، والمؤنث أهلات فيكون جمعاً لأهلة ولأهل.

قال الشاعر[٢]:

وهم أهلات حول قيس بن عاصم ... إذا أدلجوا بالليل يدعون كوثراً

والكوثر الكثير العطاء وهو فوعل من الكثرة.

فإن قيل: ما الفرق بين الآل والأهل؟

قلت: هما سؤالان الهمزة في آل مبدلة من الهاء في أهل ثمّ لينت كما قيل هياك وإياك وهيهات وإيهات، ودليل ذلك إجماع النحويين على أنّ تصغير آل أهيل بردّه إلى أصله لا خلاف فيه، إلّا أنّ الكسائي أجاز أويلا وأهيلا تارة على اللفظ وتارة على الأصل. كما قيل في جمع قيل وهو الملك أقيال على لفظ قبل وأقول على الأصل. وقال الآخرون: الإختيار أن تقول في الجماد والأسماء المجهولة أهل وفي الحيوان والأسماء المعروفة آل، يقال أهل بغداد وآل القوم، وآل محمّد.

والآل: السراب الذي تراه في الصحراء وعند الهاجرة كأنّه قال الشاعر يهجو بخيلاً:

إنّي لأعلم أنّ خبزك دونه ... نكد البخيل ودونه الأقفال[٣]

وإذا انتجعت لحاجة لم يقضها ... وإذا وعدت فإنّ وعدك آل[٤]

وقد فرّقوا بين الآل والسراب فقالوا: السراب قبل الظهر والآل بعده.

والآل أعواد الخيمة. والآل اسم جبل بعينه. والآل الشخص تقول رأيت آل زيد

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) وهو المخبل السعدي.

(٣) النكد ـ بضمّ النون وفتحها ـ: قلّة العطاء.

(٤) انتجع فلاناً: أتاه طالباً معروفه.

وشخصه وسواده بمعنى، رأيت شخصه. والآل: الإنسان نفسه، يقال جاءني آل أحمد أي جاءني أحمد ورأيت آل الرجال أي الرجال وهذا حرف غريب نادر ذكره الفضل بن سلمة في ضياء القلوب، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾[1] وبقول جميل:

بثينة من آل النساء وإنّما يكن لأدنى لا وصال لغائب[2]

أي هي من النساء في غدرهنّ وتلوّنهنّ، ويقال فلان من آل النساء أي خلق منهنّ، وفلان من آل النساء أي يتبعهنّ ويحبّ مجالستهنّ، والعزهاة[3] ضدّ ذلك، وآل فرعون من كان على دينه ومذهبه، قال تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾[4] ﴿وأَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[5] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾[6] أي بالجدب والقحط.

فإن قال قائل: فما حقيقة الآل في اللغة عندك دون المجاز هل هو خاص لأقوام بأعيانهم أم عام في جميعهم متى سمعناه مطلقاً غير مقيّد؟

فقيل: حقيقة الآل في اللغة القرابة خاصة دون سائر الأمّة، وكذلك العترة ولد فاطمة عليها السلام خاصة، وقد يتجوّز فيه بأن يجعل لغيرهم كما تقول جاءني أخي فهذا يدلّ على إخوة النسب، وتقول أخي تريد في الإسلام، وأخي في الصداقة، وأخي في القبيل والحي، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[7] ولم يكن أخاهم في دين ولا صداقة ولا نسب، وإنّما أراد الحي والقبيل، والإخوة: الأصفياء والخلصان وهو قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أنّه أخوه. قال علي عليه السلام: أنا عبدالله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقولها بعدي إلّا مفتر، فلولا أنّ لهذه الإخوة مزيّة على غيرها ما خصّه الرسول صلى الله عليه وآله بذلك، وفي رواية أخرى: لا يقولهما بعدي إلّا كذّاب.

---

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) بثينة ـ العذرية ـ جهينة: صاحبة جميل الشاعر.

(٣) وهو الذي لا يقرب النساء. قال الشاعر:

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

(٤) البقرة: ٥٠.

(٥) الغافر: ٤٦.

(٦) الأعراف: ١٣٠.

(٧) الأعراف: ٧٣.

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن لوط: ﴿هؤلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[١] ولم يكن بناته لصلبه ولكن بنات أمّته[٢] فأضافهنّ إلى نفسه رحمة وتعطّفاً وتحنّناً، وقد بيّن رسول الله ﷺ حيث سئل فقال: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، قلنا: فمن أهل بيتك؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس.

وسئل ثعلب[٣] لم سمّيا الثقلين؟ قال: لأنّ الأخذ بهما ثقيل، قيل: ولم سمّيت العترة؟ قال: العترة القطعة من المسك، والعترة: أصل الشجرة.

قال أبو حاتم السجستاني: روى عبدالعزيز بن الخطاب عن عمرو بن شمر عن جابر قال: أجمع آل رسول الله ﷺ على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وعلى أن لا يمسحوا على الخفين.

قال ابن خالويه: هذا مذهب الشيعة ومذهب أهل البيت، وقد تخصص ذلك لعموم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤]. قالت أم سلمة رضي الله عنها: نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم.

عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يمرّ ببيت فاطمة بعد أن بنى عليها[٥] علي عليه السلام ستّة أشهر، ويقول: الصلاة أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾.

قال: وكان علي بن الحسين عليه السلام يقول في دعائه: «اللهمّ استغفاري لك مع مخالفتي للؤم، وإنّ تركي الإستغفار مع سعة رحمتك لعجز، فيا سيّدي إلى كم تتقرّب إليّ وتتحبّب وأنت غنيّ غني، وإلى كم أتبعّد منك وأنا إليك محتاج فقير، اللّهمّ صلّ

---

(١) هود: ٧٨.

(٢) هذا أحد القولين في الآية ذهب إليه مجاهد وسعيد بن جبير، والقول الآخر عن قتادة وغيره إنّه أراد بناته لصلبه.

(٣) هو أبوالعباس أحمد بن يحيى بن زيد النحوي الشيباني بالولاء، وكان إمام الكوفيّين في النحو واللغة، سمّي ثعلب لأنّه كان إذا سئل عن مسئلة أجاب من هاهنا وهاهنا فشبّهوه بثعلب إذا أغار، مات ببغداد سنة ٢٩١.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) أي بعد الزفاف.

على محمّد وعلى أهل بيته» ويدعو بما شاء. فمتى قلنا آل فلان مطلقاً فإنّما نريد من آل إليه بحسب أو قرابة، ومتى تجوّزنا وقع على جميع الأمّة.

وتحقيق هذا أنّه لو أوصى بماله لآل رسول الله صلى الله عليه وآله لم تدفعه الفقهاء إلّا إلى الذين حرمت عليهم الصدقة، وكان بعض من يدّعي الخلافة يخطب فلا يصلّي علي النبيّ صلى الله عليه وآله فقيل له في ذلك، فقال: إنّ له أهيل سوء إذا ذكرته اشرأبّوا[1] فمن المعلوم أنّه لم يرد نفسه لأنّه كان من قريش، ولمّا قصد العباس الحقيقة قال لأبي بكر: النبي صلى الله عليه وآله، شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، وآل أعوج وآل ذي العقال نسل أفراس من عتاق الخيل. يقال: هذا الفرس من آل أعوج إذا كان من نسلهم، لأنّ البهائم بطل بينهما القرابة والدين، كذلك آل محمّد من تناسله فاعرفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2] أي عالمي زمانهم، فأخبر أنّ الآل بالتناسل لقوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾[3].

قال النبي صلى الله عليه وآله: سألت ربّي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتي النار فأعطانيها.

وأمّا قولهم: قرأت آل (حم) فهي السور السبعة التي أوّلهنّ (حم)، ولا تقل الحواميم، وقال أبو عبيدة: الحواميم سور في القرآن على غير القياس، وآل يس آل محمّد وآل يس حزقيل[4] وحبيب النجّار، وقد قال ابن دريد مخصّصاً لذلك العموم وإن لم يكن بنا حاجة إلى الإحتجاج بقوله، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد ذكره في عدّة مواضع كآية المباهلة وخصّ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام بقوله: اللّهمّ هؤلاء أهلي. **وكما روي عن أُم سلمة رضي الله عنها** أنّه صلى الله عليه وآله أدخل عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام في كسائه وقال: اللّهمّ إنّ هؤلاء أهلي أو أهل بيتي، فقالت أُم سلمة: وأنا منكم؟ قال: أنت بخير أو على خير كما يأتي في موضعه، ومن شعر ابن دريد:

إنّ النبيّ محمّداً ووصيّه ... وابنيه وابنته البتول الطاهرة
أهل العباء فإنّني بولائهم ... أرجو السلامة والنجا في الآخرة
وأرى محبّة من يقول بفضلهم ... سبباً يجير من السبيل الجائرة

---

(١) اشرأبّ للشيء وإليه: مدّ عنقه لينظره.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) آل عمران: ٣٤.

(٤) وفي بعض الكتب «خربيل» والصحيح «حزقيل».

ارجو بذاك رضى المهيمن وحده يوم الوقوف على ظهور الساهرة

قال: الساهرة أرض القيامة.

وآل مرامر: أوّل من وضع الكتاب بالعربية وأصلهم من الأنبار والحيرة فقد أمللت آل الله وآل محمّد وآل القرآن وآل السراب. والآل الشخص، وآل أعوج فرساً، وآل جبلا، وآل يس وآل حم وآل زيد نفسه، وآل فرعون: آل دينه وآل مرامر، والآل الروح، والآل الحزانة والخاصة، والآل قرابة والآل كلّ تقي، والآل جمع آله وهي خشبة والآل: حربة يصاد بها السمك.

فأمّا الأهل فأهل الله أهل القرآن وأهل البيت وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على ما فسّرته أم سلمة، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله بينا هو ذات يوم جالساً، إذ أتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها عصيدة[1] فقال النبي صلى الله عليه وآله: أين علي وأبناه؟ قالت في البيت. قال: أدعيهم لي، فأقبل علي والحسن والحسين بين يديه وفاطمة أمامه، فلمّا بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله تناول كساءاً كان على المنامة خيبرياً، فجلّل به[2] نفسه وعليّاً والحسن والحسين وفاطمة، ثمّ قال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وأحبّ الخلق إليّ فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ ﴾[3] الآية.

وفي رواية أُخرى قالت: فقلت: يا رسول الله ألست من أهل بيتك؟ قال صلى الله عليه وآله: إنّك على خير ـ أو إلى خير ـ.

ومن مسند أحمد بن حنبل وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي يوماً إذ قالت الخادمة: إنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين بالسدة[4]. قالت: فقال لي: قومي فتنحّي لي عن أهل بيتي. قالت: فقمت فتنحّيت من البيت قريباً، فدخل عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره فقبلهما، قالت: واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأُخرى،

---

(١) البرمة: القدر مطلقاً وهي في الأصل المتّخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. والعصيدة: غذاء يتّخذ من الدّقيق يلت بالسمن ويطبخ.

(٢) جلل بالشيء أي غطّى به.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) السدة: باب الدار. ما حول الدار من الرواق.

فقبّل فاطمة وقبّل عليّاً فأعذف عليهم خميصة سوداء[١] فقال: اللهمّ إليك لا إلى النّار أنا وأهل بيتي، قالت: وقلت: وأنا يا رسول الله؟ فقال: وأنت.

فإن سأل سائل، فقال: إنّما أنزلت هذه في أزواج النبي صلى الله عليه وآله لأنّ قبلها ﴿ يَا نِسَاءَ النبيِّ ﴾[٢]؟ فقل: ذلك غلط رواية ودراية؛ أمّا الرواية فحديث أُم سلمة وفي بيتها نزلت هذه الآية، وأمّا الدراية فلو كان في نساء النبي لقيل ليذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ، فلمّا نزلت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله جاء على التذكير لأنّهما متى اجتمعا غلب التذكير. وأهل الكتاب اليهود والنصارى. وأمّا قوله تعالى: ﴿ إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٣] فشكراً ينتصب على المصدر تقديره اشكروني بطاعتكم شكراً، فصلاة العبد وصومه وصدقته شكراً لله وأفضل الشكر الحمد لله، فإنّه يعني ما وهب لهم من النبوّة والملك العظيم، فقد كان يحرس داود في كلّ ليلة ثلاثون ألفاً وألان الله له الحديد ورزقه حسن الصوت بالقراءة، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب. قيل: فصل الخطاب كلمة أمّا بعد[٤]، والجبال يسبّحن معه والطير، وأُعطي سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسخّرت له الريح والجنّ وعُلِّمَ منطق الطير.

فصل [في ذكر ما ورد من الآثار في معنى الأهل والآل و ...]

في ذكر ما ورد فيما قدّمناه من الآثار:

عن علي بن موسى عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة وأمرنا بإسباغ الوضوء ولا ننزى حماراً على عتيقة[٥].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية في الحديث إنّه أعذف على علي وفاطمة ستراً أي أرسله وأسبله. والخميصة: ثوب خز أو صوف معلم.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

(٣) سبأ: ١٣.

(٤) وقيل أنّه «البيّنة على الطالب واليمين على المطلوب» وقيل الفهم في الحكومات والفصل في الخصومات وقيل غير ذلك.

(٥) قال الجزري في النهاية: وفي حديث علي: أمرنا أن لا ننزى الحمر على الخيل أي نحملها عليها للنسل. والعتيقة مؤنّث العتيق: الفرس الرائع. وحكى عن الخطابي أنّه قال: يشبه أن يكون المعنى فيه والله أعلم: إنّ الحمر إذا حملت على الخيل قلّ عددها وانقطع نماؤها وتعطّلت منافعها، والخيل يحتاج إليها للركوب

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق.

حدّث العوام بن حوشب قال: حدّثني ابن عمّي مجمع، قال: دخلت على عايشة فسألتها عن مسيرها يوم الجمل؟ فقالت: كان قدراً من الله. فسألتها عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: تسألني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ وزوج أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ أجمعين، لقد رأيت علياً وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله ﷺ عليهم ثوبه، فقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ فقال: تنحّي وإنّك على خير.

ففي هذا الحديث وحديث أُم سلمة بيان الآل والأهل، وإنّه لو كان عاماً لأمكن عائشة وأُم سلمة أن تقولا نحن من أهله، ولمّا قالتا ذلك لم يرد عليهما ولكان لا يرد أبابكر لمّا توجه ببراءة ولمّا رجع، وقال له: لا يبلغها إلّا أنا أو رجل منّي أو من أهلي، أمكنه أن يقول: أنا منك أو من أهلك، فظهر بهذه الأُمور أنّ لآل علي عليه السلام خصوصية ليست لغيرهم وهذا بيّن واضح.

وحدّث زيد بن أرقم قال: أقبل نبي الله من حجة الوداع حتّى إذا نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، قام بالدوحات فقمّ ما تحتهنّ من شوك[1] ونادى الصلاة جامعة. قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ وإنّ منّا من يضع بعض ردائه تحت قدميه من شدّة الرمضاء[2] حتّى انتهينا إلى رسول الله ﷺ، فصلّى بنا ثمّ انصرف فقال: الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضلّ ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله. أمّا بعد أيها الناس إنّه لم يكن لنبي من العمر إلّا نصف عمر الذي كان قبله، فإنّ عيسى لبث في قومه أربعين سنة ألا وإنّي قد أشرفت في العشرين[3] ألا

والركض والطلب والجهاد وإحراز الغنائم ولحمها مأكول وغير ذلك من المنافع، وليس للبغل شيء من هذه فأحبّ أن يكثر نسلها ليكثر الإنتفاع بها.

(١) الدوحات جمع الدوحة: الشجرة العظيمة. وقمّ البيت: كنسه، والكنس التنظيف.

(٢) الرمضاء: هي الأرض تشتدّ وقع الشمس عليها، وقد رمض يومنا برمض: اشتدّ حرّه.

(٣) قال ابن قالويه: هذه اللفظة ما سمعت إلّا من رسول الله ﷺ، وسُئل أعرابي: كم سنوك؟ فقال: قد

وإنّي أوشك[١] أن أُفارقكم وإنّي مسؤول وإنّكم مسؤلون، هل بلّغت فيما أنتم قائلون؟ فقام من كلّ ناحية مجيب يقولون: نشهد أنّك عبدالله ورسوله وأنّك قد بلّغت رسالاته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره وعبدته حتّى أتاك اليقين. فجزاك الله خير ما جازى نبيّاً عن أمّته. قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ والنّار حق، والبعث بعد الموت حق، وتؤمنون بالكتاب كلّه؟ قالوا: بلى. قال: فإنّي أشهد أن قد صدقتم ثمّ صدقتم، ألا وإنّي فرطكم على الحوض[٢] وأنتم معي توشكون أن تردوا على الحوض فأسألكم حين تلقوني عن ثقلي كيف خلّفتموني فيهما؟ قال: فعيل علينا[٣] فلم ندر ما الثقلان حتّى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأمّي ما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله عزّوجلّ وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تزلّوا ولا تضلّوا. والأصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم، فإنّي سألت اللطيف الخبير أن يردّوا عليّ الحوض فأعطاني، فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي، ووليّهما وليّي، وعدوّهما عدوّي، ثمّ أعاد: ألا وإنّه لم تهلك أمّة قبلكم حتّى تدين بأهوائها، وتظاهر على نبيّها[٤]، وتقتل من قام بالقسط فيهما، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه[٥]، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.

وقد روى الزهري قال: لمّا حجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حجّة الوداع قام بغدير خم عند الهاجرة[٦] وقال: أيّها الناس إنّي مسؤول وإنّكم مسؤلون هل بلّغت؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت. قال: وأنا أشهد أنّي قد بلّغت ونصحت لكم، ثمّ قال: أيها الناس أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك

↩ أرميت على الخمسين وأناف أبي على الستّين ودرف جدّي على السبعين وأربى أبو جدّي على الثمانين وظلف أبوه على التسعين (كذا في هامش المطبوع).

(١) أي أسرع.

(٢) قال الجزري: في الحديث: أنا فرطكم على الحوض أي متقدّمكم إليه. يقال: فرط يفرط فهو فارط وفرط إذا تقدّم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيّىء لهم الدلاء والأرشية.

(٣) عيل علينا أي أعجزنا.

(٤) وفي بعض النسخ «نبوّتها» بدل «نبيّها».

(٥) وفي نسخة «وليّه» بدل «مولاه» في الموضعين.

(٦) الهاجرة: شدّة الحر.

رسوله. قال: وأنا أشهد مثل ما شهدتم. فقال: أيها الناس إنّي قد خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي كتاب الله وأهل بيتي، ألا وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ـ حوض مابين بصرى وصنعاء[1] ـ فيه من الآنية كعدد نجوم السماء، إنّ الله سائلكم كيف خلّفتموني في كتابه وفي أهل بيتي، ثمّ قال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين؟ قالوا: الله ورسوله أولى بالمؤمنين ـ يقول ذلك ثلاث مرّات ـ ثمّ قام في الرابعة وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: اللهمّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ـ ثلاث مرّات ـ ألا فليبلّغ الشاهد الغايب.

أقول: لو تدبّر متدبّر هذا الكلام ومقاصده وطرح الهوى جانباً وقدّم الإنصاف أمامه لاتّضح له أنّ هذا نصّ جليّ على عليّ بالإمامة وإقامة للحجة على من نابذه ونازعه الأمر، وكم له صلى الله عليه وآله من الحجج الدالّة والبراهين الظاهرة أذكر ما يتّفق منها عند ذكر ترجمته، فأمّا هنا فقصدي مصروف إلى إيراد ما جاء في الآل والأهل والعترة على سبيل الإجمال، وقال في ذلك الكميت:

ويوم الدوح دوح غدير خمّ[2] ... أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها خطراً أضيعا
فلم أبلغ بهم لعناً ولكن ... أساء بذاك أوّلهم صنيعا
فصار لذاك أقربهم لعدل ... إلى جور وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قايدهم فضلّوا ... وأقومهم لدى الحدثان ريعا[3]
تناسوا حقّه وبغوا عليه ... بلا ترة وكان لهم قريعا[4]
فقل لبني أمية حيث حلّوا ... وإن خذت المهنّد والقطيعا[5]
أجاع الله من أشبعتموه ... وأشبع من بجودكم أجيعا
بمرضيّ السياسة هاشمي ... يكون حياً لأمّته ربيعا

---

(١) أي من حيث السعة.

(٢) وفي بعض النسخ «يوم غدير خم».

(٣) الريع: الطريق. المكان المرتفع.

(٤) ترة ـ كعدة ـ: الإنتقام والظلم. والقريع: السيّد، يقال فلان قريع دهره أي المختار من أهل عصره. وهو قريع الكتيبة أي رئيسها.

(٥) المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.

وليثاً في المشاهد غير نكس[١] لتقويم البريّة مستطيعا
يقوّم أمرها ويذبّ عنها ويترك جدبها أبداً مريعا[٢]

وقال صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها زخّ في النّار[٣].

وروي أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام قال ذات يوم: معاشر الناس إنّ كلّ صمت ليس فيه فكر فهو عيّ، وكلّ كلام ليس فيه ذكر الله فهو هباء ـ الهباء الذي تراه منبثّاً في ضوء الشمس إذا دخل في البيت، ودقاق التراب أيضاً هباء يقال له إذا ارتفع، هبا يهبو هبواً ـ ألا إنّ الله ذكر أقواماً بآبائهم فحفظ الأبناء بالآباء، قال الله تعالى: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً** ﴾[٤] ولقد أخبرني أبي عن آبائه عليهم السلام كان العاشر من ولده، ونحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله فاحفظونا لرسول الله، قال: فرأيت الناس يبكون من كلّ جانب.

وعن ابن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ـ بأذنيّ وإلّا صمّتا[٥] ـ أنا شجرة وفاطمة حملها وعليّ لقاحها والحسن والحسين ثمرها[٦] ومحبّونا أهل البيت ورقها في الجنّة حقّاً حقّاً، وقد أورده أيضاً صاحب كتاب الفردوس.

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة من أهلي قد أحبّهم الله وأمرني بحبّهم: علي بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي صلّى الله عليهم الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام.

قال عمر بن ساكن: سمعت ثابتاً البناني يقول في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾[٧] قال: إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام.

وقال صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي، والقاضي حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه.

---

(١) نكس الرجل: ضعف وعجز.
(٢) الجدب: المحل وهو انقطاع المطر ويبس الأرض. والريع ضدّ الجدب.
(٣) قال في النهاية: في الحديث: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من تخلّف عنها زخّ في النّار أي دفع ورُمي.
(٤) الكهف: ٨٢.
(٥) أي سمعت بأُذني هاتين وإلّا صمّتا.
(٦) وفي نسخة «ثمارها».
(٧) طه: ٨٢.

ونقلت من كتاب الفردوس تأليف شيرويه الديلمي عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ: أوّل من أشفع له يوم القيامة من أُمّتي أهل بيتي ثمّ الأقرب فالأقرب، الحديث بتمامه.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّى، وإنّما ذكرت هذا الحديث هنا لأنّه بمعنى ما تقدم من تخصيص الأهل والآل لقرابته الأدنين صلّى الله عليه وعليهم.

وعن أنس بن مالك عنه ﷺ: إنّا معشر بني عبدالمطلب سادة أهل الجنّة أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي. ورأيت في رواية أُخرىٰ: إنّا بني عبدالمطلب سادات الناس.

و(بني منصوب على المدح كما قال إنّا بني نهشل ونحن بني ضبة في أمثال ذلك كثير) وإنّما خصّهم بالذكر دون باقي الأئمّة لأنّه هو ﷺ لا يحتاج في إثبات سيادته إلى دليل لأنّه سيّد ولد آدم ﷺ.

وأمّا الباقون عدا المهدي فإنّهم رُزقوا الشهادة فلهم مزيّة على غيرهم، وأمّا المهدي ﷺ فصاحب دولة جديدة وسعادة مستأنفة يعيد الله به دينه، ويعزّ بإقامة دعوته سلطانه، ويشيّد بعزّ نصره برهانه، ويرفع بآياته مناره فلا عجب إذا ساد الناس وخصّ بالذكر، ونبّه رسول الله ﷺ على فضله وكانوا أحقّ بها وأهلها. وقال ﷺ: إنّا أهل بيت قد أذهب الله عنّا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ابن مسعود عن النبي ﷺ: إنّا أهل بيت اختار الله عزّوجلّ لنا الآخرة على الدنيا.

ابن مسعود عن النبي ﷺ: حبّ آل محمّد يوماً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنّة.

زيد بن أرقم: خمس من أوتيهنّ لم يعذر عن ترك عمل الآخرة: زوجة صالحة، وبنون أبرار، وحسن مخالطة الناس، ومعيشة في بلده، وحبّ آل محمّد ﷺ.

أُم سلمة عن النبي ﷺ: عليّ وشيعته هم الفائزون يوم القيامة.

وقيل في العترة زيادة على ما ذكرنا ما نقلته من مطالب السئول في مناقب آل الرسول تصنيف الشيخ العالم كمال الدين محمّد بن طلحة وكان شيخاً مشهوراً وفاضلاً مذكوراً أظنّه مات ﷺ في سنة أربع وخمسين وستمائة، وحاله في ترفعه وزهده وتركه

وزارة الشام وانقطاعه ورفضه الدنيا حال معلومة قرب العهد بها، وفي انقطاعه عمل هذا الكتاب وكتاب الدائرة، وكان شافعي المذهب من أعيانهم ورؤسائهم، قال: العترة هي العشيرة وقيل: هي الذرية. وقد وجد الأمران فيهم عليهم السلام فإنّهم عشيرته وذريّته، أمّا العترة فهم الأهل الأدنون وهم كذلك، وأمّا الذريّة فإنّ أولاد بنت الرجل ذريّته ويدلّ عليه قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسىٰ وَهارُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيىٰ وَعِيسىٰ وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ﴾[1] فجعل عيسى من ذريّة إبراهيم ولم يتّصل به إلّا من جهة مريم عليها السلام.

أقول: مشيّداً لما قاله الشيخ كمال الدين وذلك بما أورده صاحب كتاب الفردوس عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّوجلّ جعل ذريّة كلّ نبي في صلبه، وإنّ الله عزّوجلّ جعل ذريّتي في صلب عليّ. ونقلت ممّا خرّجه العزّ المحدّث عن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كلّ قوم فعصبتهم لأبيهم إلّا أولاد فاطمة فإنّي أنا عصبتهم، وأنا أبوهم.

نرجع إلى كلام كمال الدين: وأمّا ذووا القربى فمستنده ما رواه الإمام أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسيره، يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿[2]قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

في ذكر الإمامة وكونهم خصّوا بها
وكون عددهم منحصراً في اثني عشر إماماً

قال ابن طلحة وألخّص أنا كلامه على عادتي: أمّا ثبوت الإمامة لكلّ واحد منهم فإنّه حصل ذلك بالنص من علي لابنه الحسن عليه السلام ومنه لأخيه الحسين ومنه لابنه علي عليه السلام وهلمّ جرّا إلى الخلف الحجة عليه السلام كما سيأتي.

وأمّا انحصارهم في هذا العدد المخصوص فقد قال العلماء فمنهم من طوّل فأفرط إفراط المليم، ومنهم من قلّل فقصّر فزال عن السنن القويم، وكلّ واحد من

---

(١) الأنعام: ٨٤ـ٨٥.

(٢) الشورى: ٢٣.

ذوي الإفراط والتفريط، قد اعتلق بطرف ذميم والهداية إلى الطريقة الوسطى حسنة ولا يلقّنها إلّا ذو حظٍّ عظيم، وها أنا ذاكر في ذلك ما أظنّه أحسن نتائج الفطن، وأعدّه من محاسن الأفكار الجاريةً، لاستخراج جواهر الخواطر في سنن السنن والأقدار، وإن كانت فاطمة كثيرة من الفطن عن إدراك الحكم في السرّ والعلن، فإنّها والدة لقرائح أهل التوفيق والتأييد، ومن نتاجها كلّ حسين وحسن وتلخيص ذلك من وجوه.

الوجه الأوّل: ذكر فيه شيئاً ممّا يتعلّق بالحروف والعدد، فقال: إنّ الإيمان والإسلام مبني على كلمتي لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وكلّ واحد من هذين الأصلين اثنا عشر حرفاً، والإمامة فرع الإيمان فيجب أن يكون القائم بها اثنا عشر إماماً.

الوجه الثاني: إنّ الله أنزل في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسرائيل وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً** ﴾[1] فجعل عدّة القائمين بذلك الأمر اثنى عشر، فتكون عدّة أئمّة القائمين بهذا كذلك، ولمّا بايع رسول الله صلّى الله عليه وآله الأنصار ليلة العقبة قال: أخرجوا لي منكم اثنى عشر نقيباً كنقباء بني إسرائيل فصار ذلك طريقاً متّبعاً وعدداً مطلوباً.

الوجه الثالث: قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً** ﴾[2] فجعل الأسباط الهداة إلى الحق بهذه العدّة فتكون الأئمّة كذلك.

الوجع الرابع: إنّ مصالح العالم في تصرّفاتهم لمّا كانت في حصولها مفتقرة إلى الزمان، وكان عبارة عن الليل والنهار، وكلّ واحد منهما حال الإعتدال مركب من اثنى عشر ساعة، وكانت مصالح العالم مفتقرة إلى الأئمّة عليهم السلام وإرشادها فجعلت عدّتهم كذلك.

الوجه الخامس: قال: وهو وجه صباحته واضحة وأنواره لايحة، وتقريره أنّ نور الإمامة يهدي القلوب والعقول إلى سلوك طريق الحق كما يهدي نور الشمس والقمر أبصار الخلائق إلى سلوك الطرق، ولمّا كان محلّ هذين النورين الهاديين للأنصار البروج الإثنا عشر، فمحلّ النور الثاني الهادي للبصائر وهو نور الإمامة الأئمّة الإثنى عشر.

---

(١) المائدة: ١٢.

(٢) الأعراف: ١٥٩ ـ ١٦٠.

تنبيه وقد ورد في الحديث النبوي أنّ الأرض بما عليها محمولة على الحوت وفي هذا إشارة لطيفة وحكمة شريفة وهو أنّ آخر محلّ ذلك النور الحوت، وهو آخر البروج، وهو حامل لأثقال الوجود، فآخر محال النور الثاني عشر وهو نور الإمامة حامل أثقال مصالح أديانهم وهو المهدي عليه السلام.

الوجه السادس: وهو من جميع الوجوه أولاها مساقاً وأجلاها إشراقاً وأحلاها مذاقاً وأعلاها في ذرى الحكم طباقاً، وتقريره أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: الأئمّة من قريش، فحصرها فيهم فلا تكون في غيرهم، وقال صلى الله عليه وآله: قدّموا قريشاً ولا تتقدّموها. وقال النسّابون: كلّ من ولده النضر بن كنانة قرشي، وبين النضر وبين النبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر اباً، فإذا جعلنا النبي صلى الله عليه وآله مركزاً كان متصاعداً في درجة الآباء إلى النضر ومنحدراً في الأبناء إلى المهدي عليه السلام لما ثبت من أنّ الخطوط الخارجة من المركز إلى المحيط متساوية، فانظر بعين الإعتبار إلى أدوار الأقدار كيف جرت بإظهار هذه الأسرار من حجب الأستار، بأنوار مشكوة الأفكار، وفي هذا المقدار غنيّة وبلاغ لذوي الإستبصار، هذا آخر كلام كمال الدين ملخصاً.

وأنا أقول: إنّ الذي ذكره لا يكون دليلاً يعوّل عليه في إثبات المطلوب ولا حجّة يستند إليها ممّن يريد إظهار الحق من أستار الغيوب، ولا يدفع نزاع من جرى في الخلاف والشقاق على أسلوب، فإنّه مستند إلى استخراج ما في القرائح والأذهان ومعوّل فيه على مطابقة عدد لعدد، وأين ذلك والبرهان؟ فإنّه لو قال قائل: إنّ كلّ واحد من السماء والأرض والنجوم المتحيرة والأيّام والبحار والأقاليم سبعة سبعة، فيجب أن يكون الأئمّة سبعة لم يكن القائل الأوّل أولى أن نسلّم إليه ونصدّقه من الثاني، ولكن الإعتماد في أمثال هذه الأمور على النقل، إمّا على النبي أو عن الأئمّة عليهم السلام فإنّ العقل وإن اقتضى أنّه لابدّ من قائم بأمور الناس ومصالحهم هاد لهم إلى طرق الخيرات مهتمّ بإقامة الحدود واستيفاء الأموال، وتفريقها في وجوهها، حافظ لنظام العالم إلى غير ذلك من المصالح، فإنّه لا يقتضي تعيين عدّة معلومة ولا انحصارها في عدد دون عدد، وإنّما يعرف ذلك بصريح النقل أو بتأويل إن وقع ما يحتاج إلى التأويل.

والذي عندي في ذلك ما نقلته من الجمع بين الصحيحين جمع الحافظ أبي عبدالله محمّد بن أبي نصر بن عبدالله الحميدي المتفق عليه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال

لي أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش، كذا في حديث شعبة. وفي حديث ابن عيينة قال: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثمّ تكلّم النبي صلى الله عليه وآله بكلمة خفيت عَلَيّ، فسألت أبي ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: قال: كلّهم من قريش.

وفي رواية مسلم من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر ابن سمرة مع غلامي نافع: أخبرني بشيء وسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب إليّ: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة عشيّة رجم الأسلمي قال: لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وعن عامر الشعبي عن جابر بن سمرة قال: انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي أبي فسمعته يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة، فقال كلمة فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

ومثله عن حصين بن عبدالرحمان عن جابر قال: دخلت مع أبي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ. فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفي حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عنه عليه السلام: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة ثمّ ذكر مثله.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال: كنّا مع عبدالله جلوساً في المسجد يقرئنا فأتاه رجل فقال: يا ابن مسعود هل حدّثكم نبيّكم كم تكون من بعده خليفة؟ قال: نعم كعدة نقباء بني إسرائيل. نقلته من المجلد الثالث من مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ونحن نطالبهم بعدَ نقل هذه الأخبار بتعيين هؤلاء الإثنى عشر، فلابدّ لهم من أحد أمرين: إمّا تعيين هذه العدّة في غير الأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام ولا يمكنهم ذلك، لأنّ ولاة هذا الأمر من الصحابة، وبني أميّة وبني العباس يزيدون على الخمسين. وإمّا أن يقرّوا ويسلّموا أنّ الأخبار الواردة في هذا الكتاب واهية ضعيفة غير مصحّحة ولا يحلّ أن يعتمد عليها، فنحن نرضى منهم بذلك ونشكرهم عليه لما يترتّب لنا عليه من المصالح الغزيرة والفوائد الكثيرة، أو يلتزموا بالقسم الثالث وهو الإقرار بالأئمّة الإثنى عشر لانحصار ذلك في هذه الأقسام،، وهذا الإلزام يلزم الزيديّة كما يلزمهم، وهذا إلزام لا محيص لهم عنه متى استعملوا الإنصاف وسلكوا طريق الحق، وعدلوا عن

سنن المكابرة والمباهتة، وتركوا بنيات الطريق[١] وقد خلّصنا نحن من هذه العهدة فإنّ الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام قد تعيّنوا عندنا بنصوص واضحة جليّة لا شك فيها، ولا لبس ولم نحتج في الإقرار بهم عليهم السلام، والإعتراف بإمامتهم إلى استنباط ذلك من كتبهم، وإنّما أوردنا من ذلك ما أوردناه ليكون حجّة عليهم ولا يقدح في مرادنا كونهم عليهم السلام منعوا الخلافة، وعزلوا عن المنصب الذي اختارهم الله له، واستبدّ به دونهم، إذ لم يقدح في نبوّة الأنبياء عليهم السلام تكذيب من كذبهم، ولا وقع الشك فيهم لانحراف من انحرف عنهم، ولا شوّه وجوه محاسنهم تقبيح من قبّحها، ولا نقص شرفهم خلاف من عاندهم ونصب لهم العداوة، وجاهرهم بالعصيان وقد قال علي عليه السلام: وما على المؤمن من غضاضة[٢] في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه. وقال عمّار بن ياسر رضي الله عنه في أيّام صفّين: والله لو ضربونا حتّى يبلغونا سعفات هجر[٣] لعلمنا أنّا على الحقّ وإنّهم على الباطل وهذا واضح لمن تأمّله.

فأمّا النص فكما قال الشيخ كمال الدين، وهو أنّ النبي صلى الله عليه وآله نصّها في علي عليه السلام كما سنذكره في بابه عند وصولنا إليه من طرقنا وطرقهم، وأمّا العدّة وتعيينها فإنّ صدقهم عليهم السلام وعصمتهم ثابتة في كتب أصولنا، وهم أخبرونا بولاية كلّ واحد واحد منهم عليهم السلام، وأخبرونا بالإمام الثاني عشر، واسمه وصفته واسم أبيه وحال غيبته وأمر ظهوره، وصحّ ذلك عندنا وثبت ثبوتاً لم نحتج معه إلى غيرنا، وإنّما نذكر ذلك من أقوالهم ليكون حجّة عليهم، وبسط هذا القول ومفصّل هذه الجملة يرد في أخبار مولانا الخلف الصالح صاحب الأمر صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

ولد عليه السلام بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة ولم يولد في البيت الحرام أحد سواه قبله ولا بعده، وهي فضيلة خصّه الله بها إجلالاً له، وإعلاماً لرتبته، وإظهاراً لتكرمته.

---

(١) بنيات الطريق ـ بضمّ الموحدة وفتح النون والياء المشدّدة ـ الطرق الصغيرة المتشعّبة من الجادة.

(٢) الغضاضة: الذلّة والمنقصة.

(٣) السعفات جمع السعفة ـ بالتحريك ـ: أغصان النخيل. وهجر: اسم لجميع أرض بحرين، قيل: وإنّما خصّ هجر للمباعدة في المسافة ولأنّها موصوفة بكثرة النخيل.

وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وكانت من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الأُم ربّته في حجرها وكانت من السابقات إلى الإيمان وهاجرت معه إلى المدينة، وكفّنها النبي صلى الله عليه وآله بقميصه ليدرأ به عنها هوامّ الأرض، وتوسّد في قبرها لتأمن بذلك ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها كما اشتهرت الرواية.

وكان عليه السلام هاشمياً من هاشميين وأوّل من ولده هاشم مرّتين[1]، وقيل ولد سنة ثمان وعشرين من عام الفيل والأوّل أصحّ عندنا.

خبر من مناقب ابن المغازلي الفقيه المالكي مرفوع إلى علي بن الحسين عليهما السلام قال: كنّا زوّار الحسين عليه السلام وهناك نسوان كثيرة إذ أقبلت منهنّ امرأة فقلت: من أنت رحمك الله؟ قالت: أنا زبدة ابنة العجلان من بني ساعدة. فقلت لها: هل عندك من شيء تحدّثينا به؟ قالت: إي والله حدّثتني أُم عمارة بنت عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان الساعدي، أنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت: ما شأنك؟ قال: إنّ فاطمة بنت أسد في شدّة من المخاض وأخذ بيدها وجاء بها إلى الكعبة وقال: اجلسي على اسم الله، فطلقت طلقة واحدة[2] فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظّفاً لم أر كحسن وجهه، فسمّاه علياً وحمله النبي صلى الله عليه وآله حتّى أدّاه إلى منزلها. قال عليّ بن الحسين عليه السلام: فوالله ما سمعت بشيء قط إلّا وهذا أحسن منه.

ومن بشاير المصطفى مرفوع إلى يزيد بن قعنب قال: كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب عليه السلام وفريق من بني عبدالعزّى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت اسد أُم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا ربّ إنّي مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل عليه السلام وأنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلّا ما يسّرت عليّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأيت البيت قد انشقّ عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب! فلم ينفتح فعلمنا أنّ ذلك من

---

(١) أي من قبل الأب والأُم، فمن جهة الأب فهو علي بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف، ومن قبل الأُم فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

(٢) طلقت المرأة في المخاض بالبناء للمفعول: أصابها وجع الولادة.

أمر الله تعالى، ثمّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قالت: إنّي فُضّلت على من تقدّمني من النساء لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله سرّاً في موضع لا يحبّ الله أن يعبد فيه إلّا اضطراراً، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة[1] بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنياً[2]، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سمّيه عليّاً فهو عليّ والله العليّ الأعلى يقول: اشتققت اسمه من إسمي وأدّبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذّن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجّدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه. قالت: فولدت عليّاً ولرسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثون سنة، فأحبّه رسول الله صلّى الله عليه وآله حبّاً شديداً، وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان صلّى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر عليّاً في وقت غسله ويوجره اللبن عند شربه[3] ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته[4]، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول: هذا أخي ووليّي وناصري وصفيّي وذخري وكهفي[5] وصهري ووصيّي وزوج كريمتي وأميني على وصيّتي وخليفتي. وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها[6] صلّى الله على الحامل والمحمول.

وحكى أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت قال: قال ابن الأعرابي: كانت فاطمة بنت أسد أُم علي صلّى الله عليهما حاملاً بعلي وأبوطالب غائب فوضعته فسمّته أسداً لتحيي به ذكر أبيها فلمّا قدم أبوطالب سمّاه عليّاً.

وهو أوّل من آمن بالله تعالى وبرسوله عليه وآله السلام من أهل البيت والأصحاب، وأوّل ذكر دعاه النبي صلّى الله عليه وآله إلى الإسلام فأجاب، ولم يزل ينصر الدين

---

(١) هزّ الشيء: حرّكه.

(٢) الجني على وزن فعيل: ما يجنى طريّاً.

(٣) أي يجعله في فيه عند الشرب.

(٤) أي لاطفه وشاغله بالمحادثة والملاعبة.

(٥) الكهف: الملجأ والملاذ.

(٦) الشعاب جمع الشعب: الطريق بين الجبلين. والأودية جمع الوادي والفجاج قريب من الشعاب في المعنى.

ويجاهد المشركين ويذبّ عن الإيمان ويقتل أهل الزيغ والطغيان، وينشر العدل ويولي الإحسان، ويشيّد معالم الكتاب والسنّة، وكان مقامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة مشاركاً له في محنته كلّها، متحمّلاً عنه أكثر أثقالها، صابراً معه على اضطهاد[1] قريش وتكذيبهم له، قائماً بما يأمره به، صابراً محتسباً راضياً، وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة يكافح دونه[2] ويجالد ويجهد بين يديه في قمع الكافرين ويجاهد، ويقيه بنفسه في المواقف والمشاهد، ويثبت إذا تزلزلت الأقدام وكلّت السواعد، إلى أن قبضه الله إلى رحمته[3] واختار له دار كرامته، ورفعه في عليّين، فمضى صلوات الله عليه وآله الطاهرين ولأميرالمؤمنين عليه السلام يومئذ من العمر ثلاث وثلاثون سنة.

واختلفت الأمّة في إمامته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت شيعته وهم بنو هاشم كافة وسلمان وعمّار وأبوذر والمقداد وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبدالله وأبو سعيد الخدري في أمثالهم من أجلّة المهاجرين والأنصار: أنّه كان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا اجتمع له من صفات الفضل والكمال والخصايص التي لم تكن في غيره، من سبقه إلى الإسلام، ومعرفته بالأحكام، وحسن بلائه في الجهاد، وبلوغه الغاية القصوى في الزهد والورع والصلاح، وماكان له من حقّ القربى، ثمّ للنصّ الوارد في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[4] وهذه الآية نزلت بالإجماع فيه عليه السلام حين تصدّق بخاتمه في صلاته.

وإذا ثبت هذا فكلّما ثبت لله ولرسوله من الولاية فهو ثابت لعلي عليه السلام بنصّ القرآن، **وبقول النبي** صلى الله عليه وآله وسلم يوم الدار[5]، وقد جمع بني عبدالمطلب خاصة وقال: من

---

(١) اضطهده: أذاه واضطرّه بسبب المذهب أو الدين.

(٢) كافح القوم أعدائهم: استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره.

(٣) جنّته ـ خ ل.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) وهو اليوم الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً أن يصنع طعاماً ويدعو بني عبدالمطّلب وهم يومئذ أربعون رجلاً من أعمامه وبنيهم وساير أقربائه، وكان ذلك بمكّة سنة ثلاث من مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ وذكر الطبري القصة بطولها في التاريخ بسنده عن علي بن أبي طالب (جلد ٢ ص٦٢ ط مصر) وغيره فراجع.

يؤازرني على هذا الأمر يكن أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي فيكم من بعدي، فقام أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: وكنت أصغرهم سنّاً وأرمضهم عيناً وأحمشهم ساقاً وأكبرهم بطناً[1] فقلت: أنا يا رسول الله، وهذا صريح في استخلافه، وقد أورد ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري هذا الحديث في تاريخهما بألفاظ تقارب هذه.

وبقوله في غدير خم وهو حديث مجمع على صحّته أورده نقلة الحديث وأصحاب الصحاح: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث بتمامه، فأوجب له من الولاية ماكان واجباً له صلى الله عليه وآله وهذا نصّ ظاهر جلي لولا الهوى.

وبقوله صلى الله عليه وآله حين توجّه إلى تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي[2]. وهذا أيضاً من الصحاح وقد أورده الجماعة ونقلته من مسند أحمد بن حنبل من عدّه طرق فثبتت له وزارته صلى الله عليه وآله والقيام بكلّ ماكان هارون يقوم به ولم يستثن عليه إلّا النبوّة كما أخبر الله تعالى: ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾[3] وقال في استخلافه: ﴿ **أُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**

---

(١) الرمض: شدّة الحرّ، والمراد من رمض العين ـ بالضاد ـ تهيجها وحرقتها، وفي نسخة مخطوطة «أرمصهم» بالصاد ولعلّه الظاهر وهو من الرمص: البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان ويقال للرطب منه الرمص وللبابس الغمص، يقال رمصت عينه أي سالت منها الرمص. وحمشت الساق: دقّت ولعلّ مراده عليه السلام ـ والله العالم ـ بيان أنّه أضيفهم جسماً وأضيقهم عيشاً، وذكر بعض هذه الحالات من باب الكناية.

(٢) قال ابن الحجر في تهذيب التهذيب في ترجمة علي عليه السلام ما لفظه: وقد أجمعوا أنّه أوّل من صلّى القبلتين وهاجر وشهد بدراً وأحداً وساير المشاهد وأنّه أبلى ببدر وأحد والخندق وخيبر البلاء العظيم، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله بيده في مواطن كثيرة ولم يتخلّف إلّا في تبوك، خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة وقال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي (تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٦ ط حيدرآباد الدكن) وذكر مثله ابن الأثير قال في ترجمته عليه السلام في أسد الغابة: وأجمع أهل التاريخ على أنّه شهد بدراً وغيرها من المشاهد وأنّه لم يشهد غزوة تبوك لا غير لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خلّفه على أهله. وذكر في حديث آخر أنّ علياً عليه السلام قال: يا رسول الله! تخلّفني مع النّساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي. (أسد الغابة ج٤ ص١٩ و٢٦) وسيأتي في كلام المؤلف رحمه الله أيضاً بعض الأحاديث في ذلك.

(٣) طه: ٢٩ ـ ٣٢.

وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِين﴾[١] فثبتت له خلافته بمحكم التنزيل، فجعل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلّ ما لهارون عليه السلام عدا النبوة وجعل له استخلافه وشدّ أزره وشركته في أمره وقيامه بنصره، وأمثال هذا كثير يرد في مواضعه من هذا الكتاب بحول الله وقوّته.

فكانت إمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثين سنة، منها أربع وعشرون سنة وأشهر ممنوعاً من التصرف آخذاً بالتقية والمداراة، محلاً عن مورد الخلافة، قليل الأنصار، كما قال: فطفقت أرتأي[٢] بين أن أصول بيدٍ جذّاء[٣] أو أصبر على طخية[٤] عمياء.

ومنها خمس سنين وأشهر ممتحناً بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين، مضطهداً بفتن الضالّين، واجداً من العناء ما وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عشرة سنة من نبوّته ممنوعاً من أحكامها خائفاً ومحبوساً وهارباً ومطروداً، لا يتمكّن من جهاد الكافرين ولا يستطيع الدفع عن المؤمنين، وأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للكافرين، ممتحناً بالمنافقين، وسيرد تفصيل هذا فيما بعد إن شاء الله.

ذكر نسبه عليه السلام من قبل أبيه

وهو أبوالحسن علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب، واسم عبدالمطلب شيبة الحمد، وكنيته أبوالحارث، وعنده يجتمع نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدّم ذكره، وكان ولد أبي طالب طالباً، ولا عقب له، وعقيلاً وجعفراً وعليّاً، كلّ واحد أسنّ من الآخر بعشر سنين، **كذا ذكر ضياء الدين أبوالمؤيّد موفق بن أحمد الخوارزمي في كتابه المناقب**[٥] ومنه نقلت، وأُم هاني واسمها فاختة، وأُمّهم جميعاً فاطمة بنت أسد.

وقال أبوالمؤيد الخوارزمي: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا أُسامة بن زيد وأبو أيّوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها، فلمّا بلغوا لحدها حفره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وأخرج ترابه بيده، ولمّا فرغ اضطجع فيه، ثمّ قال: الله الذي يحيي

---

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) يقال أرتأى في الأمر إذا تفكّر فيه ونظر وجه المصلحة فأتاه.

(٣) الجذّ: القطع، والجذّاء المقطوعة.

(٤) الطخية قطعة من سحاب، والطخياء الليلة المظلمة.

(٥) طبع بالنجف الأشرف في المطبعة الحيدرية.

ويميت وهو حيّ لا يموت اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك محمّد والأنبياء الذين من قبلي فإنّك أرحم الراحمين. قال الخوارزمي ومن قولي فيه:

نسب المطهّر بين أنساب الورى ... كالشمس بين كواكب الأنساب
والشمس إن طلعت فما من كوكب ... إلّا تغيب في نقاب حجاب

قال عليه السلام: ووجدت ثلاثة أبيات لنصراني بخط الزجاج في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام:

عليّ أميرالمؤمنين صريمة[1] ... وما لسواه في الخلافة مطمع
له النسب العالي وإسلامه الذي ... تقدّم فيه والفضايل أجمع
ولو كنت أهوى ملّة غير ملّتي ... لما كنت إلّا مسلماً أتشيّع

ونقلت من كتاب مواليد الأئمّة تصنيف الشيخ ابن الخشّاب بخط ابن وضّاح في عمره ونسبه عليه السلام ما هذا صورته: مضى أميرالمؤمنين وهو ابن خمس وستين سنة، سنة أربعين من الهجرة، ونزل الوحي وله اثنا عشر سنة، وأقام بمكة مع النبي صلى الله عليه وآله ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر فأقام معه بالمدينة عشر سنين، وأقام بعده ثلاثين سنة، فكان عمره خمساً وستّين سنة، قال: وقبض في ليلة الجمعة، قبره بالغري، كنيته أبوالحسن وأبوالحسين، لقبه سيّد الوصيّين وقائد الغرّ المحجّلين وأميرالمؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، وقسيم النّار والجنّة، والوصي وحيدرة وأبو تراب، هذا آخر كلامه في هذا، فانظر واعتبر إلى هذا الكتاب ومصنّفه وكاتبه وهما من أعيان أصحاب أحمد بن حنبل واعترافهما بأنّه الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، ويفضّلون عليه غيره ويحطّونه عن رتبة من قد أقرّوا أنّه أكبر منه، ما هذا إلّا عجيب!

ذكر كناه عليه السلام

أبوالحسن وأبوالحسين وأبو تراب.

وذكر الخوارزمي أبو محمّد: قال علي عليه السلام: كان الحسن يدعوني في حياة النبي صلى الله عليه وآله أبا الحسين، والحسين يدعوني أبا حسن، ولا يريان أباً إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) الصريمة: العزيمة على الشيء وقطع الأمر، ويقال فلان ماضي الصريمة والعزيمة ولعلّه في الشعر من باب زيد عدل.

فلمّا مات دعواني أباهما.

ومن كناه أيضاً ما نقلته من كتاب مناقب ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله قبل موته بثلاث: سلام عليك يا أبا الريحانتين أوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك والله خليفتي عليك. قال: فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي عليه السلام: هذا أحد ركنيّ الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال: هذا ركني الثاني الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ونقلت من كتاب مناقب الخوارزمي عن سهل بن سعد قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّاً، قال: فأبى سهل، فقال: أمّا إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ماكان لعليّ اسم أحبّ إليه من أبي تراب وإنّه كان ليفرح إذا دُعي به، فقال له: أخبرني عن قصّته لِمَ سُمّي أبا تراب؟ فقال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بيت فاطمة عليها السلام فلم يجد عليّاً في البيت، فقال: أين ابن عمّك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل[1] عندي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لإنسان: أنظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب. أخرجه أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري وأبوالحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري.

ومن مناقب الخوارزمي عن ابن عباس قال: لمّا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه وبين المهاجرين والأنصار فلم يؤاخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم، خرج عليّ مغضباً حتّى أتى جدولاً[2] من الأرض وتوسّد ذراعه فتسفى الريح عليه[3]، فطلبه النبي صلى الله عليه وآله حتّى وجده فوكزه[4] برجله وقال له: قم فما صلحت أن تكون إلّا أبا تراب، أغضبت عليّ حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أُواخ بينك وبين أحد

---

(١) يعني ترك القيلولة.

(٢) الجدول: النهر الصغير.

(٣) توسّد الشيء: اتّخذه وجعله بمنزلة الوسادة وجعله تحت رأسه. وأسفى الريح الشيء: حمله.

(٤) وكزه بمعنى ضربه.

منهم ؟ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبي[١] ؟ ألا من أحبّك حُفّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهليّة وحوسب بعمله في الإسلام.

قال العباس عمّه عليه السلام حين بويع أبوبكر يمدحه عليه أفضل الصلاة والسلام:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم ... وأعلم الناس بالآثار والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما في جميع النّاس كلّهم ... وليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّكم عنه فنعرفه ... ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

ألقابه عليه السلام

أميرالمؤمنين، ويعسوب[٢] الدين والمسلمين، ومبير[٣] الشرك والمشركين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[٤]، ومولى المؤمنين، وشبيه هارون والمرتضى، ونفس الرسول وأخوه، وزوج البتول[٥]، وسيف الله المسلول، وأبوالسبطين، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنّة والنار، وصاحب اللواء، وسيّد العرب، وخاصف النعل، وكشّاف الكرب، والصدّيق الأكبر، وأبو الريحانتين، وذو القرنين، والهادي، والفاروق، والداعي، والشاهد، وباب المدينة، وبيضة البلد[٦]، والولي، والوصي.

---

(١) وفي بعض النسخ «لا نبي بعدي» مكان «ليس بعدي نبي».

(٢) اليعسوب: ملك النحل ومنه قيل للسيّد يعسوب.

(٣) البوار: الهلاك، والمبير: المهلك.

(٤) نكث الحبل والعهد فانتكث أي نقضه فانتقض وهي إشارة إلى أصحاب الجمل وأنّ طلحة والزبير بايعاه بالمدينة ونكثا عهده وخرجا عليه وقاتلاه. والقسوط الجور والعدول عن الحق، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وهذه حال معاوية وأصحابه فإنّهم عدلوا عن الحق فجاروا عن القصد وطلبوا ماليس لهم ووسموا غير إبلهم. ومروق السهم خروجه عن القوس وهذه صفة الخوارج لأنّهم مرقوا عن الإسلام وخرجوا من الدين.

(٥) البتول من النساء: العذراء المنقطعة من الأزواج. وقيل هي المنقطعة إلى الله عن الدنيا.

(٦) بيضة البلد تستعمل في المدح والذم، أمّا استعمالها في المدح فقول أخت عمرو ترثيه وقد قتله

وأنا أقول في ألقابه: هو أمير المؤمنين، ويعسوب المسلمين، وغرّة المهاجرين، وصفوة الهاشميين، وقاتل الكافرين والناكثين والمارقين، والكرّار غير الفرّار، فصال فقار كلّ ذي ختر[١] بذي الفقار، صنو[٢] جعفر الطيّار، قسيم الجنّة والنّار، مقعص الجيش الجرّار[٣]، لاطم وجوه اللجين والنضّار[٤] بيد الإحتقار، أبو تراب، مجدّل الأتراب[٥]، معفّرين بالتراب، رجل الكتيبة والكتاب[٦]، والمحراب والحراب[٧]، والطعن والضراب، والخير الحساب بلا حساب، مطعم السغاب بجفان كالجواب[٨]، رادّ المعضلات[٩] بالجواب الصواب، مضيف النسور[١٠] والذئاب بالبتّار[١١] الماضي الذباب[١٢]، هازم الأحزاب، قاصم[١٣] الأصلاب، قاسم الأسلاب،

➲ أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد(١)

لكنّ قاتله من لا يعاب به ... قد كان يدعى قديماً بيضة البلد

(١) وفي نسخة «بكيته ما أقام الروح في جسد» بدل المصراع الأخير.

وأمّا استعمالها في الذم فقولهم: هو أذلّ من بيضة البلد أي من بيضة النعام التي تتركها، قال الشاعر:

لو كان حوض حمار ما شربت به ... إلّا بإذن حمار آخر الأبد

لكنّه حوض من أودى بإخوته ... ريب الزمان فأمسى بيضة البلد

(١) الختر الغدر يقال ختره فهو ختّار.

(٢) إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكلّ واحدة منهنّ صنو والإثنتان صنوان والجمع صنوان برفع النون، وفي الحديث: عمّ الرجل صنو أبيه.

(٣) ضربه فأقعصه أي مكانه والقعص الموت الوحي يقال مات قعصاً إذا أصابته ضربة أورمية فمات مكانه والقعاص داء يأخذ الغنم ولا يلبثها أن تموت، والجرّار الجيش الثقيل السير لكثرته.

(٤) اللجين: الفضّة (مصغراً لا مكبر له). والنضار: الذهب.

(٥) الأتراب جمع الترب ـ بالكسر ـ: مَن وُلِدَ معك.

(٦) الكتيبة: القطعة من الجيش.

(٧) الحراب جمع الحربة: الطعنة.

(٨) السغاب ككتاب جمع الساغب: الجائع. وجفان جمع الجفنة: القصعة الكبيرة.

(٩) أعضل الأمر اشتدّ واستغلق، وأمر معضل لا يهتدى لوجهه، والمعضلات الشدائد.

(١٠) النسور جمع النسر: حيوان معروف يقال له بالفارسية «عقاب».

(١١) البتّار: السيف القاطع.

(١٢) ذباب السيف طرفه الذي يضرب به.

(١٣) القصم الكسر والقاصم الكاسر.

جزّار الرّقاب[١]، باين[٢] القراب[٣]، مفتوح الباب إلى المحراب عند سدّ أبواب سائر الأصحاب[٤]، حديد الرغبات في الطاعات، بالي الجلباب[٥]، رثّ الثياب[٦]، روّاض الصعاب[٧]، معسول الخطاب، عديم الحجاب والجناب، ثابت اللب في مدحض[٨] الألباب، شقيق الخير، رفيق الطير[٩]، صاحب القرابة والقربة، كاسر أصنام الكعبة، مناوش[١٠] الحتوف، قتّال الألوف، مخرق الصفوف، ضرغام[١١] يوم الجمل، المردود له الشمس عند الطفل[١٢]، ترّاك السلب[١٣]، ضرّاب القلل[١٤].

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

حليف البيض والأسل[١٥]، شجاع للسهل والجبل، زوج فاطمة الزهراء سيّدة

---

(١) جزّ الشيء: قطعه.

(٢) الأين: الحية مثل الأيم.

(٣) القراب ـ بالكسر ـ: ما يجعل فيه السيف بغمده.

(٤) هذا إشارة إلى أنّ النبي صلّى الله عليه وآله أمر بسدّ الأبواب التي كانت إلى المسجد ولم يترك منها مفتوحاً إلّا باب علي عليه السلام.

(٥) بلى الثوب: خلق. والجلباب: القميص.

(٦) والرث بمعنى البلى أيضاً.

(٧) روّاض الصعاب أي مذلّلها.

(٨) مكان دحض ودحض بالتحريك أي زلق، ودحضت حجّته دحوضاً بطلت، وأدحضه الله والإدحاض الإزلاق.

(٩) قوله مضيف النسور والذئاب ورفيق الطير مثل قول الشاعر مسلم بن الوليد:

قد عوّد الطير عادات وثقن بها ... فهنّ يصحبنه في كلّ مرتحل

في أمثال ذلك كثير.

(١٠) المناوشة في القتال إذا تدانى الفريقان وهو اشتداده وكثرته والتناوش التناول والحتف الموت وجمعه حتوف.

(١١) الضرغام والضرغامة الأسد.

(١٢) الطفل بالتحريك بعد العصر، وتطفيل الشمس ميلها إلى الغروب، وطفل الليل: ظلامه.

(١٣) السلب: ما يسلب من القتيل ممّا معه من الثياب والسلاح، وهذه صفة مدح تنبّىء عن كرم القاتل، وقد اشتهر عليه السلام بهذه الصفة حتّى أنّه عليه السلام ترك درع عمرو بن عبدود يوم خندق لمّا قتله وما للعرب يومئذ درع خير من درعه، وكلام عمر بن الخطّاب له عليه السلام في ذلك مذكور في كتب الخاصّة والعامّة، فراجع بحار الأنوار (ج٦ ص٥٢٩)، وسيرة ابن هشام (ج٢ ص٣٤١) وغيرهما من كتب الفريقين.

(١٤) قلة كلّ شيء أعلاه ورأس الإنسان قلة وجمعه قلل.

(١٥) الأسل: الرماح.

النساء، مذلّ الأعداء، معزّ الأولياء، أخطب الخطباء، قدوة أهل الكساء، إمام الأئمّة الأتقياء، الشهيد أبو الشهداء، أشهر أهل البطحاء، مضمّخ[١] مردة الحروب بالدماء، الخارج عن بيت المال صفر[٢] اليدين عن الصفراء والحمراء والبيضاء، مثكل أمّهات الكفرة، ومفلّق هامات[٣] الفجرة، ومقوّي أعضاد البررة، وثمرة بيعة الشجرة، وفاقىء[٤] عيون السحرة، وداحي[٥] أرض الدما، ومطلع شهب الأسنّة[٦] في سماء القترة[٧]، المسمّى نفسه يوم الغبرة بحيدرة[٨]، خوّاض الغمرات[٩]، حمّال الألوية والرايات، مميت البدعة، محيي السنّة، وكاتب جوائز أهل الجنّة، ومصرف الأعنّة[١٠]، واللاعب بالأسنّة، ساد أنفاق النفاق[١١]، شاق جماجم ذوي الشقاق، سيّد العرب، موضع العجب، المخصوص بأشرف النسب، الهاشمي الأم والأب، المفترع أبكار الخطب[١٢]، نفس رسول الله ﷺ يوم المباهلة، وساعده المساعد يوم المصاولة[١٣]، وخطيبه المصقع[١٤] يوم المقاولة، وخليفته في مهاده[١٥]، وموضع سرّه في إصداره وإيراده، ومليّن عرائك[١٦] أضداده، وأبو أولاده، وواسطة قلادة النبوّة، ونقطة دائرة المروءة، وملتقى شرفي الأبوّة والنبوّة، وسيف الله المسلول، وجواد الخلق المأمول،

---

(١) ضمخ جسده بالدم: لطخه به حتّى كأنّه يقطر.

(٢) الصفر ـ مثلثة ـ: الخالي.

(٣) فلق الشيء: شقّه. والهامات جمع الهامة: رأس كلّ شيء.

(٤) يقال فقأت عينه فقاءاً وفقأتها تفقية إذا نجفتها أي أخرجتها.

(٥) دحا الشيء دحواً بسطه.

(٦) الأسنّة: جمع السنان.

(٧) القترة الغبار.

(٨) الحيدرة الأسد وقد قدمنا أنّ أمّه رضي الله عنها سمّته أسداً على أحد الأقوال.

(٩) الغمر جمعها غمرات وهي شديد الموت.

(١٠) الأعنّة: جمع العنان.

(١١) النفاق سرب في الأرض له مخلص في مكان وجمعه أنفاق.

(١٢) يقال افترع البكر إذا افتضّها.

(١٣) المصاولة الموائبة.

(١٤) المصقع البليغ.

(١٥) المهاد الفراش.

(١٦) العريكة الطبيعة يقال: لانت عريكته إذا انكسرت نخوته.

ليث الغابة، وأقضى الصحابة، والحصن الحصين، والخليفة الأمين، أعلم من فوق رقعة الغبراء[١] وتحت أديم السماء[٢]، المستأنس بالمناجاة في ظلمة الليلة الليلاء.

وأنشأ أبوالمؤيد رحمه الله:

هذه المكارم لاقعبان من لبن[٣] شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأنا أنشد:

أساميا لم تزده معرفة وإنّما لذّة ذكرناها

راقع مدرعته والدنيا بأسرها قائمة بين يديه حتّى استحيى من راقعها، منزّه نفسه النفيسة عن الدنيّة ومصارعها، ومثبتها بلجام تقواه عن مطامعها، وفاطمها بتهجّدها[٤] عن وثير مضاجعها، أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه، وكشّاف كربه وغمّه، ومساهمه في طمّه ورمّه[٥]، بعضه بعض البتول، ولده ولد الرسول، هو من رسول الله صلى الله عليه وآله، دمه دمه، ولحمه لحمه، وعظمه عظمه، وعلمه علمه، وسلمه سلمه، وحربه حربه، وحزبه حزبه، وفرعه فرعه، ونبعه نبعه، ونجره نجره[٦]، وفخره فخره، وجدّه جدّه، وحدّه حدّه، أنهار الفضائل في الدنيا من بحور فضائله، ورياض التوحيد والعدل من بساتين خطبه ورسائله، وكبش[٧] أهل العراق والشام والحجاز، وشجى[٨] حلوق الأبطال عند البراز، وابن عمّ المصطفى، وشقيق النبي المجتبى، ليث الشرى[٩]، غيث الورى، حتف العدى، مفتاح الندى، قطب رحى الهدى، مصباح الدجى، جوهر النهى[١٠]، بحر اللهى[١١]، مسعر

---

(١) الغبراء: الأرض.

(٢) أديم السماء: وجهه.

(٣) القعب: القدح الغليظ الجافي.

(٤) التهجّد صلاة الليل والوثير الوطيء.

(٥) أي في أموره كلّها وأحواله جميعاً.

(٦) النجر الأصل والحسب.

(٧) الكبش: سيّد القوم وقائدهم.

(٨) الشجى ما ينشب في الحلق من عظم وغيره.

(٩) الشرى طريق في سلمى كثير الأسد.

(١٠) النهية بالضم واحدة النهى وهو العقول لأنّها تنهى عن القبيح.

(١١) اللهى: أفضل العطاء.

الوغى[١]، قطّاع الطلى[٢]، شمس الضحى، أبوالقرى في أمّ القرى، المبشّر بأعظم البشرى، مطلق الدنيا، مؤثر الآخرة على الأولى، ربّ الحجى بعيد المدى، ممتطي صهوة[٣] العلى، مستند الفتوى، مثوى التقى، نديد[٤] هارون من موسى، مولى كلّ من له رسول الله مولى، كثير الجدوى[٥]، شديد القوى، سالك الطريقة المثلى[٦]، المعتصم بالعروة الوثقى، الفتى أخو الفتى، الذي أنزل فيه هل أتى، أكرم من ارتدى، وأشرف من احتذى، أفضل من راح واغتدى، أشجع من ركب ومشى، أهدى من صام وصلّى، مراقب حقّ الله إن أمر أو نهى، الذي ما صبا في الصبىٰ، وسيفه عن قرنه ما نبا[٧]، ونور هداه ما خبا، ومهر أقدامه ماكبا، دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى التوحيد فلبّى، وجلا ظلم الشرّك وجلّى، وسلك المحجّة البيضا، وأقام الحجة الزهرا، جنيت ثمار النصر من علمه، والتقطت جواهر العلم من قلمه، ونشأت ضراغم[٨] المعارك من أجمه[٩]، وبأس كيوان أقدام همه، وأخضرت ربى الأماني من ديم كرمه[١٠]، نعم هو أبوالحسن، القليل الوسن[١١]، الذي لم يسجد للوثن، هو عصرة المنجود[١٢]، هو من الذين أحيوا أموات الآمال بحباء الجود، هو من الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود، هو محارب الكفرة والفجرة بالتأويل والتنزيل، هو الذي مثله مذكور في التوراة والإنجيل، هو الذي كان بالمؤمنين ولياً حفيا، وللرسول بعده وصياً، نصره كبيراً، وآمن به صبياً، هو الذي كان لجنود الحق سنداً، ولأنصار الدين يداً وعضداً

---

(١) المسعر والمسعار: الخشب الذي تسعر به النار ومنه قيل إنّه لمسعر حرب أي تسعر به وتحمى، والوغى الحرب لما فيها من الصوت والجلبة والوغا مثله.

(٢) وهي الرقاب.

(٣) الصهوة موضع اللبد من ظهر الفرس وأعلى كلّ جبل صهوته.

(٤) الند والنديد المثل والنظير.

(٥) وهي العطية.

(٦) المثلى تأنيث الأمثل وهو القريب من الخير وأماثل القوم خيارهم وأفاضلهم.

(٧) نبا السيف عن الضريبة نبواً: كلّ وارتدّ عنها ولم يمض.

(٨) الضرغام والضرغامة الأسد.

(٩) الأجم ـ بفتحتين ـ جمع الأجمة: مأوى الأسد.

(١٠) الديمة المطر ليس فيه رعد وبرق أقلّه ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ، وجمعه ديم.

(١١) الوسن ـ بفتحتين ـ: النعاس.

(١٢) العصرة الملجأ والمنجود المكروب.

ومدداً، ولضعفاء المسلمين مجيراً، ولصناديد[١] الكافرين مبيراً، ولكؤوس العطاء على الفقراء مديراً، حتّى أنزل فيه وفي أهل بيته الذين طهّرهم الله تطهيراً: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾[٢] هو علي العلي، الوصي الولي، الهاشمي المكي المدني الأبطحي الطالبي، الرضي المرضي، المنافي القوي الجري اللوذعي[٣] الأريحي المولوي، الصفي الوفي، الذي بصّره الله حقائق اليقين، ورتق به فتوق الدين، الذي صدّق رسول الله صلى الله عليه وآله وصدّق، وبخاتمه في الركوع تصدّق، واعتصب بالسماحة والحماسة وتطوّق، ودقّق في علومه ومعارفه وحقّق، وذكّرنا بقتل الوليد بدراً وبقتل عمرو الخندق، ومزّق من أبناء الحروب ما مزّق، وغرق في لجّة سيفه أسود الهياج من غرق، وحرق بشهاب صارمه من شياطين العراك من حرق، حتّى استوسق الإسلام واتّسق[٤]، هو أطول بني هاشم باعاً[٥]، وأمضاهم زماعاً[٦]، أرحبهم ذراعاً، وأكثرهم أشياعاً، وأخلصهم أتباعاً، وأشهرهم قراعاً[٧]، وأحدّهم سناناً، وأعربهم لساناً[٨]، وأقواهم جناناً، هو حيدر وما أدراك ما حيدر، وهو الكوكب الأزهر، والصارم المذكر، صاحب براءة وغدير خم وراية خيبر، وكمي[٩] أُحد وحنين والخندق وبدر الأكبر، هو ساقي ورّاد الكوثر يوم المحشر، أبو السبطين، ومصلّي القبلتين، وأنسب من في الأخشبين[١٠]، وأعلم من في الحرمين.

---

(١) الصناديد السيّد الشجاع.

(٢) الإنسان: ٨.

(٣) اللوذعي: الخفيف الذكي الظريف الذهن، الحديد الفؤاد واللسان الفصيح كأنّه يلذع بالنّار من ذكائه وتوقّد خاطره.

(٤) استوسق اجتمع واتّسق انتظم.

(٥) الباع: قدر مدّ اليدين وربّما عبّر بالباع عن الشرف والفضل والكرم، يقال فلان طويل الباع أي كريم واسع الخلق ومقتدر.

(٦) يقال للرجل الشجاع المقدام ـ زميع بين الزماع ـ والزماع: الإسراع والعجلة.

(٧) قارع الأبطال قراعاً: ضارب بعضهم بعضاً.

(٨) أي أفصحهم.

(٩) الكمي: الشجاع.

(١٠) الأخشبان جبلا مكة وفي الحديث: لا تزول مكة حتّى يزول أخشباها.

هذا آخر ما ذكره أبوالمؤيد عليه السلام من ألقابه عليه السلام لم أزد فيها إلّا شرح غريبها وربّما حذف منها شيئاً قليلاً.

صفته عليه السلام

قال الخطيب أبوالمؤيد الخوارزمي: عن أبي إسحاق قال: لقد رأيت عليّاً أبيض الرأس واللحية، ضخم البطن، ربعة[١] من الرجال. وذكر ابن مندة[٢] أنّه عليه السلام كان شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، ذا بطن، وهو إلى القصر أقرب، أبيض الرأس واللحية. وزاد محمّد بن حبيب البغدادي صاحب المحبر الكبير في صفاته عليه السلام: أدم[٣] اللون، حسن الوجه، ضخم الكراديس[٤].

اشتهر عليه السلام بالأنزع البطين أمّا في الصورة فيقال رجل أنزع بين النزع وهو الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته وموضعه النزعة وهما النزعتان ولا يقال لامرأة نزعاء ولكن زعراء، والبطين الكبير البطن، وأمّا المعنى فإنّ نفسه نزعت، يقال نزع إلى أهله ينزع نزاعاً أشتاق ونزع عن الأمور نزوعاً انتهى عنها، أي نزعت نفسه عن ارتكاب الشهوات فاجتنبها، ونزعت إلى اجتناب السيّئات فسد عليه مذهبا، ونزعت إلى اكتساب الطاعات فأدركها حين طلبها، ونزعت إلى استصحاب الحسنات فارتدى بها وتجلببها[٥] وامتلأ علما فلقّب بالبطين وأظهر بعضاً وأبطن بعضاً حسب ما اقتضاه علمه الذي عرف به الحق اليقين.

أمّا ما ظهر من علومه فأشهر من الصباح وأسير في الآفاق من سرى الرياح.

---

(١) الربعة: الوسيط القامة.

(٢) ابن مندة ـ بفتح الميم وسكون النون ـ أبو زكريا يحيى بن عبدالوهاب بن أبي عبدالله محمّد بن إسحاق بن محمّد بن يحيى بن مندة بن الوليد الأصبهاني كان من الحفّاظ المشهورين من بيت العلم والحديث وهو محدّث بن محدّث إلى خمسة آباء كلّهم علماء محدّثون. قيل في حقّهم: بيت ابن مندة بدأ بيحيى وختم بيحيى (يريد في معرفة الحديث والعلم والفضل) وكان جدّه صاحب تاريخ إصبهان، توفي سنة ٥١٢ (الكنى والألقاب).

(٣) الأدمة السمرة.

(٤) كلّ عظمين التقيا في مفصل فهو كردوس نحو المنكبين والركبتين والوركين والجمع كراديس.

(٥) جلببه جلباباً فتجلبب: ألبسه الجلباب فلبسه.

وأمّا ما بطن فقد قال: «بل اندمجت[١] على مكنون علم لو بحت[٢] به لاضطربتم اضطراب الأرشية[٣] في الطوى[٤] البعيدة».

وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

من كان قد عزقته مدية دهره ... ومرّت له أخلاف سمّ منقع[٥]
فليعتصم بعرى الدعاء ويبتهل ... بإمامه الهادي البطين الأنزع
نزعت عن الآثام طرّاً نفسه ... ورعاً فمن كالأنزع المتوزع
وحوى العلوم عن النبي وراثة ... فهو البطين لكلّ علم مودع

وممّا ورد في صفته عليه السلام ما أورده صديقنا العز المحدّث[٦] وذلك حين طلب منه السعيد بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل رحمه الله أن يخرج أحاديث صحاحاً وشيئاً ممّا ورد في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام وصفاته وكتبت على الأنوار الشمع الإثني عشر التي حملت إلى مشهده عليه السلام وأنا رأيتها، قال: كان ربعة من الرجال، أدعج العينين[٧]، حسن الوجه كأنّه القمر ليلة البدر حسناً، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفّين[٨]، أغيد[٩] كأنّ عنقه إبريق فضة، أصلع، كثّ اللحية، لمنكبيه مشاش[١٠] كمشاش السبع الضاري، لا يبين عضده من ساعده، وقد أدمجت إدماجاً، إن أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفّس، شديد الساعد واليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع منصور على من لاقاه.

---

(١) اندمج إذا دخل في الشيء واستتر فيه.

(٢) باح بالسر: أظهره.

(٣) الأرشية الحبال، وأحدها رشاء.

(٤) الطوى البئر المطوية.

(٥) قوله: قد عزقته الخ كأنّه من باب عزق الأرض شقّها. وسمّ منقع: مربى.

(٦) هو الحافظ أبو محمّد عبدالرزاق بن عبدالله بن أبي بكر عزالدين الرسعني الحنبلي المتوفى سنة ٦٦١، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ (ج ٤ ص ٢٤٣) وقال: كان إماماً متقناً ذا فنون وأدب، صنّف كتاب مقتل الحسين عليه السلام وجمع وصنّف تفسيراً حسناً، رأيته يروي فيه بأسانيده، كان بينه وبين المؤلف رحمه الله صداقة وصلة ويروي عنه كثيراً في هذا الكتاب، وسيأتي عنه بعض القول في ترجمته أيضاً.

(٧) دعجت العين: صارت شديدة السواد مع سعتها فصاحبها «أدعج».

(٨) شثنت كفّه: خشنت وغلظت.

(٩) غيد غيداً: مالت عنقه ولانت أعطافه فهو أغيد.

(١٠) المشاش: رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين.

وقال معاوية لضرار بن ضمرة: صف لي علياً، قال: اعفني. قال: لتصفنّه. قال: أمّا إذا لابدّ فإنّه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان غزير الدمعة[١]، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب[٢]، وكان فينا كأحدنا، مجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا، لا نكاد نكلّمه هيبة له، ويعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله[٣]، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، ويتململ تململ السليم[٤]، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آه من قلّة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أباالحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها، فهي لا ترقى عبرتها ولا يسكن حزنها.

في بيعته عليه السلام وما جاء فيها

عن سعيد بن المسيب قال: لمّا قتل عثمان جاء الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخلوا داره فقالوا: نبايعك فمدّ يدك فلابدّ للناس من أمير، فقال: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضوا به فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى علياً عليه السلام وقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك فمدّ يدك نبايعك، فقال: أين طلحة والزبير، فكان أوّل من بايعه طلحة فبايعه بيده، وكانت أصبعه شلاء فتطيّر منها علي عليه السلام وقال: ما أخلفه أن ينكث، ثمّ بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله جميعاً.

---

(١) أي كثيرها.

(٢) جشب الطعام: خشن.

(٣) يقال: سدل شعره وثوبه: إذا أرخاه يسدله ـ بالضم ـ والسديل: ما أسبل على الهودج.

(٤) وهو اللذيع.

عن الأسود بن يزيد النخعي[1] **قال:** لمّا بويع علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله قال خزيمة بن ثابت الأنصاري وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنّه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن
فإنّ قريشاً ما تشقّ غباره ... إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كلّه ... وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

ما جاء في إسلامه وسبقه وسنّه يومئذ

قال أبوالمؤيّد: وبهذا الإسناد عن محمّد بن إسحاق: إنّ أوّل ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، وصدّق بما جاء به عن الله تعالى، وعمره يومئذ عشر سنين، وكان من نعمة الله عليه أنّه رُبي في حجره صلى الله عليه وآله وذلك أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وهي السنة المجدبة وكان أبوطالب ذا عيال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس عمّه رضي الله عنه وكان موسراً: يا عباس إنّ أخاك كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى، فانطلق حتّى نخفف عنه من عياله، فانطلقا إليه وقالا له، فقال: أتركوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله علياً وأخذ العباس جعفراً، فلم يزل مع النبي صلى الله عليه وآله حتّى بعثه الله نبيّاً فأتبعه وآمن به وصدّقه.

أبوالمؤيّد ذكر أخذ النبي صلى الله عليه وآله علياً ولم يذكر أخذ العباس جعفراً والقصة مشهورة. قال: وبهذا الإسناد عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: أوّل الناس وروداً على الحوض يوم القيامة أوّلهم إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلّت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين. قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: لم يكن معي من الرجال غيره.

وفي رواية من مناقب الخوارزمي أيضاً قال: صلّت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين وذلك أنّه لم ترفع شهادة أن لا إله إلّا الله إلى السماء إلّا منّي ومن علي، وقد

---

(١) وفي بعض المخطوطة «أسود بن زيد» لكن الصحيح هو المختار وكان الرجل من محدّثي أهل الكوفة وكان موثقاً ممدوحاً صالحاً عند أهل السنّة، توفي سنة ٧٤، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٣٤٣).

أورده (النطنزي صاحب الخصايص) وقال: إلّا منه ومنّي.

ونقلت من كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد عن ليلى الغفارية قالت: كنت امرأة أخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله أُداوي الجرحى، فلمّا كان يوم الجمل أقبلت مع علي كرّم الله وجهه، فلمّا فرغ دخلت على زينب عشية، فقلت: حدّثيني هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الرجل شيئاً؟ قالت: نعم، دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو وعايشة على فراش وعليهما قطيفة، قالت: فجاء علي فأعقى كجلسة الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا أوّل الناس إيماناً وأوّل الناس لقاءاً يوم القيامة، وآخر الناس بي عهداً عند الموت.

ومنه عن ابن عباس قال: نظر علي يوماً في وجوه الناس فقال: إنّي لأخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره، ولقد علمتم أنّي أوّلكم إيماناً بالله عزّوجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله ثمّ دخلتم في الإسلام بعدي رَسْلا رَسْلا[1]، وإنّي لابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخوه وشريكه في نسبه وأبو ولده وزوج سيّدة ولده وسيّدة نساء العالمين[2]، ولقد عرفتم إذا ما خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مخرجاً قطّ إلّا رجعنا وأنا أحبّكم إليه وأوثقكم في نفسه وأشدّكم نكاية[3] وآثراً في العدوّ.

ولقد رأيتم بعثته إياي ببراءة، ووقفته لي يوم غدير خم وقيامه إياي معه ورفعه بيدي، ولقد آخى بين المسلمين فما اختار أحداً لنفسه غيري، ولقد قال لي أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة، ولقد أخرج الناس من المسجد وتركني، ولقد قال لي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي.

ومنه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لعليّ أربع خصال ليست لأحد من الناس غيره، هو أوّل عربي وعجمي صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان لواؤه في كلّ زحف[4]،

---

(١) الرسْل اللين والسكون يقال: تكلّم على رسلك أي هنيئك، والرسل الجماعة والرسل مثله وأصله بالتحريك.

(٢) وفي بعض النسخ «سيّدة نساء أهل الجنّة».

(٣) تقول: نكيت في العدو نكاية إذا قلت فيهم وجرحت.

(٤) الزحف: الجهاد ولقاء العدو في الحرب.

وهو الذي صبر معه يوم المهراس[١]، وهو الذي غسّله وأدخله قبره صلى الله عليه وآله.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل عن أبي مريم عن علي عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبي حتّى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله: اجلس وصعد على منكبي فذهبت لأنهض به فرأى منّي ضعفاً فنزل وجلس وقال لي نبي الله صلى الله عليه وآله: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه قال: فنهض بي قال: فإنّه تخيّل إليّ أنّي لو شئت لنلت أُفق السماء، حتّى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أُزاوله[٢] عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتّى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اقذف به فقذفت به فتكسّر كما تتكسّر القوارير، ثمّ نزلت وانطلقت أنا و رسول الله صلى الله عليه وآله نستبق حتّى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

ومنه عن حديث في آخر المجلد الأول عن علي عليه السلام أنّه قال: اللّهمّ لا أعرف أنّ عبداً لك من هذه الأمّة عبدك قبلي غير نبيّك ثلاث مرّات، ولقد صلّيت قبل أن يصلّي الناس سبعاً.

ومنه عن حبّة العرني قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: أنا أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن مسند أحمد بن حنبل عن عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا بهؤلاء. قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح، قال: فابتدأوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه وهو يقول: أف وتف[٣]، وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: أين علي؟ قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: وما كان أحدكم يطحن مكانه، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن

---

(١) يوم المهراس يوم حنين وهو الحوض من الحجارة أيضاً، وإنّما سمّي بذلك لشدّته مأخوذ من الهرس وهو الدق.

(٢) المزاولة: المحاولة والمعالجة.

(٣) يقال أفاً له أي قذراً له، والتنوين للتنكير، وتف اتباع له وفيها سبع لغات بالحركات الثلاث منونة وغير منونة.

يبصر شيئاً، قال: فنفث[١] في عينه، ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إيّاه، فجاءه بصفيّة بنت حيي.

قال: ثمّ بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه، قال: لا يذهب بها إلّا رجل هو منّي وأنا منه. قال: وقال لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال: وعليّ جالس معهم فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة، قال: فتركه ثمّ أقبل على رجل منهم وقال: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا، قال: فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة، فقال: كان أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة. قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين، فقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢] قال: وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء أبوبكر وعلي عليه السلام نائم وأبوبكر يحسب أنّه نبي الله، قال: فقال له علي: إنّ نبيّ الله قد انطلق إلى بئر ميمون[٣] فأدركه فانطلق أبوبكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرمى وهو يتضوّر[٤] قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه فقالوا: إنّك للئيم، كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك.

قال: وخرج بالناس في غزاة تبوك قال: فقال له علي: أخرج معك؟ فقال له نبي الله صلى الله عليه وآله: لا، فبكى علي، فقال له: ألا ترضى[٥] أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّك لست بنبي، لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وليّ كلّ مؤمن من بعدي. قال: وسدّ أبواب المسجد غير باب علي قال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. قال: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه، قال: وأخبرنا الله عزّوجلّ أنّه قد رضي عنهم عن أصحاب

---

(١) والنفث ريح بلا ريق وهو شبيه بالنفخ.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) وفي بعض النسخ «نحو بئر ميمون».

(٤) التضور: التلوّي عند الضرب.

(٥) وفي بعض النسخ «أما ترضى».

الشجرة فعلم ما في قلوبهم هل حدّثنا أحد أنّه سخط عليهم بعد.

ومن المسند عن ابن عباس قال: أوّل من صلّى مع النبي صلى الله عليه وآله بعد خديجة علي عليه السلام وقال مرة: أسلم.

قال أبوالمؤيّد: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمّد علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن المناقب عن عبدالله بن مسعود قال: إنّ أوّل شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي قدمت مكة في عمومة لي فأرشدونا على العباس بن عبدالمطلب فانتهينا إليه وهو جالس إلى من ثَمّ[1] فجلسنا إليه فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا تعلوه حمرة وله وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه[2]، أقنى الأنف[3]، برّاق الثنايا، أدعج العينين[4]، كثّ اللحية[5]، دقيق المسربة[6]، شثن الكفّين[7]، حسن الوجه، ومعه مراهق[8] أو محتلم، تقفوه امرأة قد سترت محاسنها حتّى قصدوا نحو الحجر فاستلمه[9] ثمّ استلم الغلام ثمّ استلمته المرأة ثمّ طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه، فقلنا: يا أباالفضل إنّ هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم أو شيء حدث؟ قال: هذا ابن أخي محمّد بن عبدالله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة امرأته خديجة بنت خويلد، ما على وجه الأرض أحد يعبد الله تعالى بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة.

ومثله عن عفيف الكندي قال: كنت امرءاً تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبدالمطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرءاً تاجراً فوالله إنّي لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي، قال:

---

(١) كذا في النسخ التي بأيدينا.

(٢) يقال إنّ الوفرة الشعرة إلى شحمة الأذن ثمّ الجمّة ثمّ اللمة وهي التي ألمّت بالمنكبين.

(٣) القنا: أحديداب في الأنف يقال: رجل أقنى الأنف وامرأة قنواء بينة القنا وهو عيب في الخيل.

(٤) الدعج شدة سواد العين مع سعتها يقال عين دعجاء.

(٥) كثّ اللحية كائة أي كثف ولحية كثة وكثاء أيضاً ورجل كث اللحية.

(٦) المسربة بضم الراء: الشعر المتدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة.

(٧) يقال شثنت كفّه بالكسر أي خشنت وغلظت ورجل شثن الأصابع بالتسكين.

(٨) المراهق المقارب للإحتلام.

(٩) استلم الحجر لمسه إمّا بالقبلة أو باليد ولا يهمز.

ثمّ خرجت امرأة من الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه فصلّت ثمّ خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه فصلّى، قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن أخي، قال: فقلت: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قال: فقلت: من هذا الفتى؟ قال: علي بن أبي طالب ابن عمّه (عليه السلام) قال: فقلت له: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلّي وهو يزعم أنّه نبي ولم يتبعه على أمره إلّا امرأته وابن عمّه هذا الفتى، وهو يزعم أنّه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر. وكان عفيف وهو ابن عمّ الأشعث بن قيس يقول بعد ذلك وقد أسلم وحسن إسلامه: لو كان رزقني الله الإسلام يومئذ فأكون ثانياً مع علي عليه السلام. وقد رواه بطوله أحمد بن حنبل في مسنده نقلته من الذي اختاره وجمعه عزالدين المحدّث، وتمامه من الخصائص بعد قوله: ثمّ استقبل الركن ورفع يديه فكبّر وقام الغلام ورفع يديه وكبّر، ورفعت المرأة يديها وكبّرت وركع وركعا وسجد وسجدا، وقنت وقنتا، فرأينا شيئاً لم نعرفه أو شيئاً حدث بمكة فأنكرنا ذلك، وأقبلنا على العباس فقلنا له: يا أباالفضل «الحديث بتمامه».

ومن كتاب المناقب عن زيد بن أرقم قال: أوّل من صلّى مع النبي علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه عن أبي رافع قال: صلّى النبي صلى الله عليه وآله أوّل يوم الإثنين، وصلّت خديجة آخر يوم الإثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء من الغد، وصلّى مستخفياً قبل أن يصلّي مع النبي صلى الله عليه وآله سبع سنين وأشهراً.

قال الخوارزمي: هذا الحديث إن صحّ فتأويله أنّه صلّى مع النبي صلى الله عليه وآله قبل جماعة تأخّر إسلامهم لا أنّه صلّى سبع سنين قبل عبدالرحمان بن عوف وعثمان وسعد ابن أبي وقاص وطلحة والزبير، فإنّ المدّة بين إسلام هؤلاء وإسلام علي عليه السلام لا تمتدّ إلى هذه الغاية عند أصحاب السير والتواريخ كلّهم.

وبهذا الإسناد عن عروة قال: أسلم علي عليه السلام وهو ابن ثمان سنين.

ولبعض أهل الكوفة في أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أيام صفين:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربّك عنّا فيه إحسانا
نفسي فداء لخير الناس كلّهم ... بعد النبي عليّ الخير مولانا

أخي النبي ومولى المؤمنين معاً وأوّل الناس تصديقاً وإيماناً

ونقلت من أحاديث نقلها صديقنا عزّالدين عبدالرزاق بن رزق الله ابن أبي بكر المحدث الحنبلي الرسعني[1] الأصل الموصلي المنشأ وكان رجلاً فاضلاً أديباً حسن المعاشرة حلو الحديث فصيح العبارة اجتمعت به في الموصل وتجارينا في أحاديث فقلت له: يا عزالدين أُريد أن أسألك عن شيء وتنصفني. فقال: نعم، فقلت: هل يجوز أن تلزمونا معشر الشيعة بما في صحاحكم ومن رجالها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعمران بن حطان وكان من الخوارج[2]؟ فقال: لا والله، وكان منصفاً رحمه الله وقتل في سنة أخذ الموصل وهي سنة ستين وستمائة.

عن عمرو: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: إنّك أوّل المؤمنين معي إيماناً، وأعلمهم بآيات الله وأوفاهم بعهد الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسويّة، وأعظمهم عند الله مزيّة.

وممّا خرجه المذكور من مسند أحمد بن حنبل من حديث معقل بن يسار أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: ألا ترضين أنّي زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً.

ومن تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ** ﴾[3] قال الثعلبي: قد اتفقت العلماء على أنّ أوّل من آمن بعد خديجة من الذكور برسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وهو قول ابن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري، وزيد بن أرقم، ومحمّد بن المنكدر، وربيعة الرأي[4]، وأبي الجارود

---

(١) بفتح المهملة وسكون السين وفتح المهملة الثالثة ثمّ النون نسبة إلى مدينة رأس عين بديار بكر يخرج منها ماء دجلة. (عن شرح المواهب ج٧ ص١٤).

(٢) ونقل ابن حجر في تهذيب التهذيب في ذمّه كلمات القوم فراجع ج٨ ص١٢٧ من ذلك الكتاب.

(٣) التوبة: ١٠٠.

(٤) هو ربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ التميمي المتوفى سنة ١٣٦ وكان ممدوحاً عند العامّة ومذموماً عند الخاصّة، ووجه تسميته بالرأي استقلاله بالرأي في أحكام الله تعالى وهو أقدم من أبي حنيفة لإدراكه الإمام زين العابدين دونه وأسبق منه في العمل بالرأي، راجع تهذيب التهذيب (ج٣ ص٢٥٨) وتنقيح المقال (ج١ ص٤٢٧).

المدني، وقال الكلبي: أسلم أميرالمؤمنين علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين[١].

ومن الخصايص للنطنزي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نزلت عليّ النبوة يوم الإثنين، وصلّى عليّ معي يوم الثلاثاء.

ومن الخصايص في قوله تعالى: ﴿ **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِين** ﴾[٢] قال: إنّما نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام خاصة لأنّهما أوّل من صلّى وركع.

ومن كتاب الخصايص عن أبي ذر وسلمان رضي الله عنهما قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: إنّ هذا أوّل من آمن بي وهذا فاروق هذه الأمّة وهذا يعسوب المؤمنين، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الأكبر.

ومن كتاب الخصايص عن العباس بن عبدالمطلب عليه السلام قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: كفّوا عن ذكر علي بن أبي طالب فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: في علي ثلاث خصال وددت أنّ لي واحدة منهنّ، فواحدة منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبوبكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله على كتف علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا علي أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، كذب يا علي من زعم أنّه يحبّني ويبغضك، واسم علي مشتق من اسم الله الأعلى، قال أبو طالب عليه السلام:

سمّيته بعلي كي يدوم له ... عزّ العلوّ وفخر العزّ أدومه

ومن تفسير ابن الحجام في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ** ﴾[٣] الآية. قال: قال علي عليه السلام: يا رسول الله هل نقدر أن نزورك في الجنّة كلّما أردنا؟ قال: يا علي إنّ لكلّ نبيّ رفيقاً أوّل من أسلم من أمّته فنزلت هذه الآية: ﴿ **أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداء والصَّالِحِين وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فقال له: إنّ الله قد أنزل بيان ما سألت فجعلك

---

(١) وفي بعض النسخ (تسع) بدل (سبع).

(٢) البقرة: ٤٣.

(٣) النساء: ٦٩.

رفيقي لأنّك أوّل من أسلم وأنت الصدّيق الأكبر.

ومن كتاب المسترشد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير هذه الأمّة بعدي أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن دلائل النبوّة للبيهقي عن علي عليه السلام قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلّا قال له: السلام عليك يا رسول الله.

ذكر علي بن إبراهيم بن هاشم وهو من أجلّ رواة أصحابنا في كتابه أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا أتي له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأنّ آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله، فينكر ذلك، فلمّا طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله، فقال: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة بذلك، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر اليهودي، وخبر بحيرا وما حدثت به آمنة أمّه، فقالت: يا محمّد إنّي لأرجو أن تكون كذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتم ذلك، فنزل عليه جبرئيل وأنزل عليه ماء من السماء فقال له: يا محمّد قم توضّ للصلاة، فعلّمه جبرئيل عليه السلام الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وعلّمه السجود والركوع، فلمّا تمّ له أربعون سنة أمره بالصلاة وعلّمه حدودها، ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي ركعتين ركعتين في كلّ وقت، وكان علي بن أبي طالب يألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه ولا يفارقه، فدخل علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلّي فلمّا نظر إليه يصلّي، قال: ياأباالقاسم ما هذا؟ قال: هذه الصلاة التي أمرني الله بها، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصلّى معه، وأسلمت خديجة وكان لا يصلّي إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وخديجة خلفه، فلمّا أتى لذلك أيّام دخل أبوطالب إلى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جعفر فنظر إلى رسول الله وعليّ بجنبه يصلّيان، فقال لجعفر: يا جعفر صلّ جناح ابن عمّك، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، فلمّا وقف جعفر على يساره بدر رسول الله صلى الله عليه وآله من بينهما وتقدّم.

وأنشأ أبوطالب في ذلك يقول:

إنّ عـليّاً وجـعفراً ثـقتي عند ملمّ الزمـان والكـرب[١]
والله لا أخـذل النـبيّ ولا يخذله مـن بـني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما أخي لأمّي من بـينهم وأبـي

كان عبدالله وأبوطالب لأمّ واحدة.

في ذكر الصدّيقين

من مناقب ابن المغازلي عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون ﴾[٢] قال: سبق يوشع بن نون إلى موسى، وسبق صاحب آل ياسين إلى عيسى، وسبق علي بن أبي طالب إلى محمّد بن عبدالله ﷺ وهو أفضلهم.

ومن مسند أحمد بن حنبل عن عمر بن عبادة عن عبدالله قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله ﷺ وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذب، ولقد صلّيت قبل الناس بسبع سنين.

ومن المسند عن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: الصدّيقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِين ﴾[٣] وحزقيل[٤] مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله ﴾[٥] وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم.

ومن بصائر الدرجات عن أبي جعفر عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أمّتي عرضت عليّ عند أخذ الميثاق فكان أوّل من آمن بي وصدّقني علي بن أبي طالب حين بعثت وهو الصدّيق الأكبر.

ومن الرضويّات عن علي بن موسى الرضا عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة. قال: فقام إليه رجل من الأنصار وقال: فداك أبي وأمّي يا رسول الله، أنت ومن؟ فقال: أنا على البراق، وأخي صالح على

---

(١) الملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدنيا.

(٢) الواقعة: ١٠.

(٣) يس: ٢٠.

(٤) في بعض النسخ «خربيل».

(٥) غافر: ٢٨.

ناقة الله التي عقرت، وعمّي حمزة على ناقتي العضباء، وأخي عليّ على ناقة من نوق الجنّة بيده لواء الحمد بين يدي العرش، فيقول: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله. قال: فيقول الآدميّون: ما هذا إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو حامل عرش رب العالمين، قال: فيجيبهم ملك من بطنان العرش: معاشر الآدميّين ما هذا ملك ولا نبي مرسل ولا حامل عرش، بل هذا الصدّيق الأكبر علي بن أبي طالب.

في محبّة الرسول صلى الله عليه وآله إيّاه وتحريضه على محبّته وموالاته ونهيه عن بغضه

نقلت من مسند أحمد بن حنبل من المجلد الأوّل من الجزء السابع منه، عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين، وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

ومن المسند عن زر بن حبيش قال: قال علي عليه السلام: والله إنّه لما عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يبغضني إلّا منافق ولا يحبّني إلّا مؤمن.

ومن المسند من المجلد الثاني عن عبدالرحمان بن أبي ليلى وكان يسمر[1] مع علي عليه السلام قال: كان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف، فقيل له: لو سألته، فسأله، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليّ وأنا أرمد العين فتفل في عيني وقال: اللهمّ اذهب عنه الحرّ والبرد، فما وجدت حرّاً ولا برداً منذ يومئذ، وقال: لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّار ليس بفرّار، فتشرّف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فأعطانيها.

ومن المسند قال علي: كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله منزلة لم تكن لأحد من الخلائق، كنت آتيه كلّ سحر فأسلّم عليه، وفي حديث آخر: فأستأذن عليه، فإن كان في صلاة سبّح وإن كان في غير صلاة أذن لي.

ونقلت من كتاب الآل لابن خالويه عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يتمسّك بقصبة الياقوت[2] التي خلقها الله بيده ثمّ قال لها: كوني فكانت فليتولّ علي بن أبي طالب من بعدي.

---

(١) سمر فلان: لم ينم وتحدّث ليلاً.

(٢) وفي بعض النسخ «بقضيبة ياقوتة».

ومثله عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويتمسّك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله، ثمّ قال لها: كوني فكانت فليتولّ علي بن أبي طالب من بعدي.

قلت: ورواه الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء) وتفرّد به بشر عن شريك، ومن (كتاب الآل) في حديث أُم سلمة رضي الله عنها لمّا أتت فاطمة عليها السلام بالعصيدة[1] قال: أين عليّ وأبناه؟ قالت: في البيت، قال: أدعيهم لي، فأقبل علي والحسن والحسين بين يديه وتناول الكساء على ما قلناه آنفاء، وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وأحبّ الخلق إليّ (الحديث بتمامه).

ومن كتاب ابن خالويه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: حبّك إيمان وبغضك نفاق، وأوّل من يدخل الجنّة محبّك، وأوّل من يدخل النّار مبغضك، وقد جعلك الله أهلاً لذلك، فأنت منّي وأنا منك، ولا نبي بعدي.

ومنه أيضاً عن عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت زينب بنت جحش[2] حتّى أتى بيت أُم سلمة، فجاء داق فدق الباب، فقال: يا أُم سلمة قومي فافتحي له، قالت: فقلت: ومن هذا يا رسول الله الذي بلغ من خطره أن أفتح له الباب وأتلقّاه بمعاصمي[3]، وقد نزلت فيّ بالأمس آيات من كتاب الله؟ فقال: يا أُم سلمة إنّ طاعة الرسول طاعة الله وإنّ معصية الرسول معصية الله عزّوجلّ، وإنّ بالباب لرجلاً ليس بنزق[4] ولا خرق[5]، وما كان ليدخل منزلاً حتّى لا يسمع حسّاً، وهو يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قالت: ففتحت الباب فأخذت بعضادتي الباب، ثمّ جئت حتّى دخلت الخدر، فلمّا أن لم يسمع وطئي دخل ثمّ سلّم على رسول الله ﷺ ثمّ قال: يا أُم سلمة ـ وأنا من وراء الخدر ـ أتعرفين هذا؟ قلت: نعم، هذا علي بن أبي

---

(١) العصيدة: دقيق يلت (أي يمزج ويخلط) بالسمن ويطبخ.

(٢) من زوجات النبي ﷺ وأوّل من ماتت من نسائه ﷺ بعده.

(٣) الخطر: القدر والمنزلة. والمعصم: موضع السوار من الساعد.

(٤) النزق: الخفيف الطيّاش.

(٥) والأخرق: ضدّ الرفيق، والخرق ـ بالتحريك ـ: الدهش من الخوف والحياء، وقد خرق ـ بالكسر ـ فهو خرق.

طالب. قال: هو أخي، سجيّته سجيّتي[١]، ولحمه من لحمي، ودمه من دمي، يا أُم سلمة هذا قاضي عداتي من بعدي، فاسمعي واشهدي يا أُم سلمة هذا وليّي من بعدي، فاسمعي واشهدي يا أُم سلمة لو أنّ رجلاً عبدالله ألف سنة بين الركن والمقام ولقى الله مبغضاً لهذا أكبّه الله عزّوجلّ على وجهه في نار جهنّم.

وقد رواه الخطيب في كتاب المناقب وفيه زيادة: ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، اسمعي واشهدي هو قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي، اسمعي واشهدي هو والله محيي سنّتي، اسمعي واشهدي لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام من بعد ألف عام بين الركن والمقام، ثمّ لقى الله مبغضاً لعليّ أكبّه الله على منخريه في نار جهنّم.

ومن كتاب الآل عن مالك بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم متبسّماً يضحك، فقام إليه عبدالرحمان بن عوف فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، ما الذي أضحكك؟ قال: بشارة أتتني من عند الله في ابن عمّي وأخي وابنتي، إنّ الله تعالى لمّا زوّج فاطمة أمر رضوان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً[٢] بعدد محبّينا أهل البيت، ثمّ أنشأ من تحتها ملائكة من نور فأخذ كلّ ملك رقّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها هاجت الملائكة والخلايق، فلا يلقون محبّاً لنا محضاً أهل البيت إلّا أعطوه رقاً فيه براءة من النار، فتثار عمّي وابن أخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النار.

كان ينبغي أن أذكر هذا الحديث عند ذكر تزويج أميرالمؤمنين بسيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام ولكن جرى القلم بسطره، وأينما ذكر فهو من أدلّة شرفها وشرفه، وفخرها وفخره، ومهما ظنّ أنّه مبالغة في أوصافها فهو على الحقيقة دون قدرها وقدره.

خير البرايا كلّها آدم ... وخير حيٍّ بعده هاشم
وصفوة الرحمن من خلقه ... محمّد وابنته فاطم
وبعلها الهادي وسبطاهما ... وقائم يتبعه قائم
منهم إلى الحشر فمن قال لا ... نقل له لا أفلح النادم

---

(١) السجيّة الخلق والطبيعة.

(٢) يعني بذلك صكاكاً، وهي جمع صك وهو الكتاب.

ومن الكتاب المذكور عن شقيق بن سلمة عن عبدالله[1] قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: هذا وليّي وأنا وليّه، عاديت من عادى وسالمت من سالم.

وروى الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه مرفوعاً إلى فاطمة عليها السلام قالت: خرج علينا رسول الله ﷺ عشية عرفة، فقال: إنّ الله عزّوجلّ باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعلي خاصة، وإنّي رسول الله عزّوجلّ إليكم غير محاب لقرابتي، إنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته.

قال كهمس: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: يُهلَك فيّ ثلاثة وينجو فيّ ثلاثة: اللاعن والمستمع والمفرط، والملك المترف يتقرّب إليه بلعني، ويتبرّأ إليه من ديني ويقضب عنده حسبي وإنّما ديني دين رسول الله ﷺ، وحسبي حسب رسول الله، وينجو فيّ ثلاثة: المحب، والموالي لمن والاني، والمعادي لمن عاداني، فإن أحبّني محبّ أحب محبّي، وأبغض مبغضي، وشايع مشايعي، فليمتحن أحدكم قلبه، فإنّ الله عزّوجلّ لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه، فيحبّ بأحدهما ويبغض بالآخر.

وروي أنّه قال سلمان لعلي عليه السلام: ما جئت إلى رسول الله ﷺ وأنا عنده إلّا ضرب عضدي أو بين كتفي، وقال ﷺ: يا سلمان هذا وحزبه المفلحون.

ومن الفردوس عن معاذ عن النبي ﷺ: حبّ علي بن أبي طالب حسنة لا تضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لا تنفع معها حسنة.

ومنه ابن مسعود: حبّ آل محمّد يوماً خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنّة، وقد تقدّم ذكرنا له.

ومنه أبوذر عن النبي ﷺ: علي باب علمي وهديي[2] ومُبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي، حبّه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة، ومودّته عبادة.

وعن أنس ممّا أخرجه المحدث قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ إذ أقبل علي عليه السلام فقال النبي: أنا وهذا حجّة الله على خلقه.

وروي أنّ أباذر رضي الله عنه وأرضاه قال لعلي عليه السلام: أشهد لك بالولاية والإخاء

---

(١) يعني ابن مسعود.

(٢) الهدي كتمر: السيرة والطريقة. وفي حديث علي عليه السلام: كنت أشبههم برسول الله هدياً.

ويزاد[1] الحكم والوصية.

ونقلت من الأحاديث التي جمعها العز المحدث، روى المنصور عن أبيه محمّد بن علي عن جدّه علي بن عبدالله بن العباس قال: كنت أنا وأبي العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهم جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام فسلّم فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله السلام وبشّ به[2] وقام إليه واعتنقه، وقبّل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: أتحب هذا يا رسول الله؟ قال: يا عم رسول الله، والله لله أشد حبّاً له منّي، إنّ الله جعل ذريّة كلّ نبي في صلبه، وجعل ذريّتي في صلب هذا.

ومنه قال ابن عباس: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبيبي حبيب الله، ومن أبغضك فقد أبغضني وبغيضي بغيض الله، فالويل من أبغضك بعدي.

ومنه قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أَمَة الله، على باغضهم لعنة الله.

ومنه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك.

ومنه عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي من فارقني فارق الله، ومن فارقك يا علي فارقني.

ومنه عن عبدالله بن مسعود قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بيد علي وهو يقول: الله وليّي وأنا وليّك ومعادي من عاداك ومسالم من سالمك.

ومنه قالت عائشة: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: فاطمة، فقلت: ومن الرجال؟ قال: زوجها.

ومنه عن أبي علقمة مولى بني هاشم، قال: صلّى بنا النبي صلى الله عليه وآله الصبح ثمّ التفت إلينا فقال: معاشر أصحابي رأيت البارحة عمّي حمزة بن عبدالمطلب وأخي جعفر بن

---

(١) زاد خ ل.

(٢) بشّ الصديق بالصديق: فرح به وسرّ.

أبي طالب وبين أيديهما طبق من نبق[١] فأكلا ساعة ثمّ تحوّل النبق عنباً فأكلا ساعة، ثمّ تحوّل العنب رطباً فأكلا ساعة، فدنوت منهما وقلت: بأبي وأمّي أنتما: أيّ الأعمال وجدتما أفضل؟ قالا: فديناك بالآباء والأمّهات، وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك، وسقي الماء، وحبّ علي بن أبي طالب، وقد أورده الخوارزمي في مناقبه.

ونقلت من كتاب الأربعين الذي خرجه الحافظ أبوبكر محمّد بن أبي نصر بن أبي بكر اللفتواني عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: يا بني هاشم إنّي سألت الله عزّوجلّ لكم ثلاثاً: يهدي ضالّكم، ويعلم جاهلكم، ويثبت قائمكم[٢]، وسألت الله أن يجعلكم جوداء رحماء نجباء[٣]، ولو أنّ رجلاً صفن[٤] بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ مات وهو مبغض أهل بيت محمّد دخل النّار.

ومنه عن زيد بن أرقم أنّ النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام: أنا سلم لمن سالمكم حرب لمن حاربكم[٥].

ومنه عن زيد بن أرقم قال: مرّ النبي ﷺ على بيت فيه فاطمة وعلي وحسن وحسين فقال: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم[٦].

ومنه عن زياد بن مطرف عن زيد بن أرقم وربّما لم يذكر زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فإنّ ربّي عزّوجلّ غرس قضبانها بيده، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة.

ونقلت من مناقب الخوارزمي عن عبد خير عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أهدي إلى النبي ﷺ قنو[٧] موز فجعل يقشر الموزة، ويجعلها في فمي، فقال له قائل: يا رسول الله إنّك تحب علياً؟ قال: أوما علمت أنّ علياً منّي وأنا منه.

---

(١) النبق ـ بفتح النون وكسر الباء وقد تسكن ـ ثمرة السدر أشبه شيء بها العنّاب قبل أن تشتدّ حمرته.

(٢) وفي بعض النسخ «قائلكم».

(٣) النجباء جمع نجيب وهو الكريم.

(٤) صفن: قام.

(٥) وفي بعض النسخ: سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم.

(٦) وفي بعض النسخ: حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

(٧) القنو: العذق.

قلت: قوله صلى الله عليه وآله: هو منّي وأنا منه، يدلّ على مكانة أميرالمؤمنين عليه السلام ومنزلته، وأنّه قد بلغ من الشرف والكمال إلى أقصى غايته، وتسنّم[١] من كاهل[٢] المجد أعلى ذروته[٣]، ورفعه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أثبته من تنبيهه على محلّه منه ونسبته، وبيان هذه الجملة التي أسفر مُحيّاها[٤]، وإيضاح هذه المنقبة التي تضوّع[٥] عرفها[٦] وفاح[٧] ريّاها[٨]، وكشف غطاء هذه الفضيلة التي انّفق لفظها ومعناها، أنّه لمّا قال صلى الله عليه وآله: سلمان منّا أهل البيت، حصل لسلمان عليه السلام بذلك شرف مدّ أطنابه، ونصب على قمّة الجوزاء قبابه[٩]، وفاق به أمثاله من الأصحاب وأضرابه، فلمّا ذكر عليّاً وخصّه بـ«أنت منّي» سما به عن تلك الرتبة، وتجاوز به عن تلك المحلة، ولو اختصر عليها كانت مع كونها متعالية عن رتبة سلمان قريبة منها، فلمّا قال له: فأنا منك أتمّ المنقبة وكملها، وزيّن سيرته بهذه الفريدة وجمّلها، فإنّها عظيمة المحل، ظاهرة الفضل، تشهد لشرفه ومكانه ورجاحة فضله وثقل ميزانه، وذلك لأنّها دلّت أنّ كلّ واحد منهما صلّى الله عليهما، أصل للآخر ونازل منزلته، وإنّه لم يرض أن يقتصر له صلى الله عليه وآله بأنّ عليّاً منه حتّى جعل نفسه من عليّ صلّى الله عليهما وآلهما.

وقد أورد ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري في تاريخهما أنّه كان صلى الله عليه وآله يقول لعلي في يوم أُحد وقد فرّ من الزحف من فرّ وقرّ مع النبي من قرّ: يا علي اكفني أمر هؤلاء اكفني أمر هؤلاء[١٠]، وعلي عليه السلام يجالد بين يديه باذلاً نفسه دونه، خائضاً

---

(١) تسنّم الشيء: علاه.

(٢) الكاهل: مابين الكتفين.

(٣) ذروة كلّ شيء: أعلاه.

(٤) أسفر وجهه: حسن وأشرق. والمحيّا ـ بضمّ الميم وفتح الحاء وتشديد الياء ـ: جماعة الوجه.

(٥) تضوّع المسك: تحرّك فانتشرت رائحته.

(٦) العرف ـ بالفتح ـ: الرائحة الطيّبة.

(٧) فاح: بمعنى تضوّع.

(٨) ريّا ـ بفتح الراء وتشديد الياء ـ: الريح الطيّبة.

(٩) القبّة ـ بالكسر ـ: أعلى كلّ شيء.

(١٠) إشارة إلى الكفّار.

غمار الحرب[١] في نصره، صابراً على منازلة الأقران ومصاولة الشجعان[٢]، ومقارعة صناديد العرب، ومصارعة فرسان الجاهلية بعزم لا ينثني، وهمة لا تني[٣]، وبأس يذلّ مردة الطغيان، ونجدة[٤] تقيد شياطين الكفر في أشطان الذل[٥] والهوان، فقال جبرئيل: والله يا محمّد هذه المواساة، فقال: هو منّي وأنا منه، فقال: وأنا منكما. فانظر إلى هذه الحال التي خصّ بها الإمام عليه السلام ما أجلّها، والمنزلة التي طلب جبرئيل عليه السلام أن ينالها ويتفيّأ ظلّها، والحديث ذو شجون[٦].

ومن كتاب المناقب عن عايشة قالت: رأيت النبي ﷺ التزم علياً وقبّله ويقول: بأبي الوحيد الشهيد.

ومن المناقب أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة وهي الروضة ذات الشجر، فقلت: يا رسول الله ما أحسن هذه الحديقة! فقال: ما أحسنها ولك في الجنّة أحسن منها، ثمّ أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟ فقال: لك في الجنّة أحسن منها، حتّى أتينا على سبع حدائق، أقول: يا رسول الله ما أحسنها؟ فيقول ﷺ: لك في الجنّة أحسن منها، فلمّا خلا له الطريق اعتنقني وأجهش[٧] باكياً، فقلت: يا رسول الله ما يُبكيك؟ قال: ضغاين[٨] في صدور أقوام لا يبدونها إلّا بعدي، فقلت: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك.

ومنه عن أسامة بن زيد عن أبيه قال: اجتمع عليّ وجعفر وزيد بن حارثة، فقال جعفر: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، وقال علي: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ،

---

(١) الغمار ـ بالضم ـ: جماعة الناس ولفيفهم، يقال «دخلت في غمار الناس» أي في جماعتهم المتكاثف.

(٢) صاوله مصاولة: واثبه.

(٣) أي لا تضعف، يقال: وثى الرجل في الأمر: فتر وضعف وكلّ وأعيا.

(٤) النجدة: الشجاعة، الشدّة والبأس.

(٥) وأشطان جمع الشطن ـ محركة ـ: الحبل الطويل تربط به الدابة.

(٦) أي يدخل بعضه في بعض.

(٧) الجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يُريد البكاء كالصبي يفزع إلى أُمّه وقد تهيّأ للبكاء، يقال: جهش إليه يجهش.

(٨) الضغائن: الأحقاد.

وقال زيد[١]: أنا معتق النبي أنا أحبّكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فانطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنسأله، قال أُسامة: فاستأذنوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا عنده، قال: أخرج فانظر من هؤلاء، فخرجت ثمّ جئت فقلت: هذا جعفر وعلي وزيد بن حارثة يستأذنون، قال: إئذن لهم فدخلوا، فقالوا: يا رسول الله جئنا نسألك من أحبّ الناس إليك؟ قال: فاطمة، قالوا: إنّما نسألك عن الرجال؟ فقال: أمّا أنت يا جعفر فيشبه خلقك خلقي وخلقك خلقي، وأنت إليّ ومن شجرتي، وأمّا أنت يا علي فختني وأبو ولدي ومنّي وإليّ وأحبّ القوم إليّ.

وقريب منه ما نقلته من مسند أحمد بن حنبل حين اختصم علي وجعفر وزيد في ابنة حمزة عليه السلام وقضى بها لخالتها قال لعلي: أنت منّي وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا يريد عبدنا ـ بل أراد صلى الله عليه وآله به حبيبنا وناصرنا وذو عهدنا ولا يقال إنّه أخونا وعبدنا وإن كان عبداً ـ فتبصّر كلامه صلى الله عليه وآله وحسن مقصده وبلاغة لفظه وعذوبة مورده، وأقطع بأنّه أُوتي جواهر الكلم فاختارها وانتقاها، وحكم في الفصاحة فتسنّم ذراها وافترع[٢] رباها، فإنّه أضاف علياً إلى نفسه، فقال: أنت منّي وأجرى جعفراً مجراه، فقال: أشبهت خلقي وخلقي، ولمّا لم يكن زيد عليه السلام من رجال هذا الميدان أولاه من لطفه إحساناً، وأدّبه بقوله: أنت أخونا ومولانا، فأضافه إلى نفسه صلى الله عليه وآله وإليهما بنون الجماعة، ليعلم أنّ رتبته لا تبلغ تلك الرتب المنيفة، ومحلّه يقصر عن محالّهم الشريفة، وكيف ومن أين يقع المولى موقع الخليفة؟!

ومن كتاب المناقب عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جاءني جبرئيل من عند الله عزّوجلّ بورقة آس خضراء مكتوب فيها ببياض: إنّي افترضت محبّة علي بن

---

(١) قال ابن الأثير في أُسد الغابة: زيد بن حارثة بن شراحيل ويكنّى أبا أُسامة هو مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أشهر مواليه، اصابه سباء في الجاهليّة، لأنّ أُمّه خرجت به تزور قومها بني معن فأغارت عليهم خيل بني القين بن جبر فأخذوا زيداً فقدّموا به سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خويلد، وقيل: اشتراه من سوق حباشة فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وآله بمكّة قبل النبوّة وهو ابن ثماني سنين، وقيل: بل رآه رسول الله صلى الله عليه وآله بالبطحاء بمكّة ينادى عليه ليباع فأتى خديجة فذكره لها فاشتراه من مالها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وآله فأعتقه ثمّ ذكر له قصّة وذكر حديث مواخاة رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين حمزة، فراجع إن شئت ج ٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) افترع البكر: أزال بكارتها.

أبي طالب على خلقي، فبلّغهم ذلك عنّي.

ومنه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب عليه السلام لما خلق الله عزّوجلّ النار.

أقول: وربّما وقف على هذا الحديث بعض من يميل إلى العناد طبعه، ويتّسع في الخلاف والنصب ذرعه، فيرد عليه منه ما يضيق عنه وسعه، فيجزم بخفض مناره عندما يعييه دفعه، ويسارع إلى القدح في راويه ومعتقده، ويكر على ناقله بلسانه وقلبه ويده، وهو لا يعلم أنّه إنّما أُصيب من قبل طبعه الذميم، وأُتي من قبل تصوّره السقيم، ووجه تبينه أنّ محبّة علي عليه السلام فرع على محبّة النبي ﷺ وتصديقه في جميع ما جاء به، ومحبّة النبي ﷺ وتصديقه فرع على معرفة الله تعالى ووحدانيّته، والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، والأخذ بكتابه وسنّة نبيّه ﷺ، ومن المعلوم أنّ الناس كافة لو خلقوا على هذه الفطرة لم يخلق الله النار، وكيف يحب علياً من خالف مذهبه في علمه وحلمه وزهده وورعه وصلاته وصيامه؟! ومسارعته إلى طاعات الله وإقدامه والأخذ بكتاب الله في تحليل حلاله وتحريم حرامه؟ ومجاهداته في ذات الله شارعاً لرمحه شاهراً لحسامه[1]، وقناعته بخشونة ملبسه وجشوبة مأكله[2]؟ وانتصابه في محرابه يقطع الليل بصالح عمله؟ وهذه أوصاف لا يستطيعها غيره من العباد، ولكنّه قال عليه السلام: أعينوني بورع واجتهاد، وقد وصف شيعته فقال: إنّهم خمص البطون من الطوى عمش العيون من البكاء[3]؟!

وقال عليه السلام ـ وقد سأله همام عن المؤمنين، وكان همام هذا رجلاً عابداً والكلام مذكور في نهج البلاغة أذكر منه شيئاً ـ: فالمتقون فيها[4] هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الإقتصاد، ومشيهم التواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم،

---

(١) الحسام ـ بضم الحاء ـ: السيف القاطع.

(٢) جشب الطعام: غلظ.

(٣) خمص البطون: فرغ وضمر أي هزل ودقّ وقلّ لحمه. والطوى: الجوع. وعمشت عينه: ضعف بصرها مع سيلان دمعها في أكثر الأوقات.

(٤) والضمير إلى الدنيا.

ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها فيهم فيها منعّمون، وهم والنّار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أيّاماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة، يسّرها لهم ربّهم، أرادتهم الدّنيا ولم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

أمّا الليل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن، يرتّلونه ترتيلا، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم[1]، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم[2] مفترشون لجباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم[3] يطلبون إلى الله فكاك رقابهم.

وأمّا النّهار فحلماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف برى القداح[4]، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكى أحد منهم خالف ممّا يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم منّي بنفسي، اللهمّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون.

فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين،

---

(١) استثاره بمعنى هاجه. قال ابن أبي الحديد: وهذا إشارة إلى البكاء فإنّه دواء داء الحزين. قال الشاعر:

فقلت لها إنّ البكاء لراحة ... به يشتفى من ظنّ أن لا تلاقى

(٢) حنى العود أو الظهر: عطفهما. يصف عليه السلام هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة.

(٣) قوله عليه السلام: مفترشون لجباههم أي باسطون، ثمّ ذكر الأعضاء السبعة التي مباشرتها بالأرض فروض في الصلاة وهي الجبهة والكفّان والركبتان والقدمان.

(٤) برى السهم برياً: نحته. والأقدام: السهام واحدها قدح.

وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتحمّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً في طمع، إلى آخرها[١].

وهي من محاسن الكلام وبديعه، وكيف لا ومصدرها من بحر العلوم، ومرعاها جنيّ الشيخ والقيصوم[٢]، سيّد العرب وأميرها، ووصيّ الرسالة ووزيرها.

ومن كتاب المناقب لأبي المؤيّد الخوارزمي عن علي عن النبي ﷺ قال: يا علي لو أنّ عبداً عبد الله عزّوجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أُحد ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ومُدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنّة ولم يدخلها.

ومنه قال: وأخبرنا بهذا الحديث عالياً[٣] الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الاصفهاني مرفوعاً إلى عايشة، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيتي لمّا حضرته الوفاة: أُدعوا لي حبيبي، فدعوت أبابكر فنظر إليه رسول الله ﷺ ثمّ وضع رأسه، ثمّ قال: أُدعوا لي حبيبي، فقلت: ويلكم أُدعوا له عليّ بن أبي طالب فوالله ما يريد غيره، فلمّا رآه فرّج الثوب الذي كان عليه ثمّ أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه[٤] حتّى قبض ويده عليه.

ومنه عن معاوية بن ثعلبة قال: جاء رجل إلى أبي ذر وهو جالس في المسجد وعليّ يصلّي أمامه، فقال: يا أباذر ألا تحدّثني بأحبّ الناس إليك؟ فوالله لقد علمت أنّ أحبّهم إليك أحبّهم إلى رسول الله ﷺ، قال: أجل، والذي نفسي بيده إنّ أحبّهم إليّ أحبّهم إلى رسول الله ﷺ وهو ذاك الشيخ ـ وأشار بيده إلى علي عليه السلام ـ.

ومن المناقب أيضاً قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلي؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني.

---

(١) وهي خطبة (١٩١) من الخطب.

(٢) جنى الثمر: تناوله من شجرة. وثمر جنيّ ـ بتشديد الياء ـ: ثمر جنى من ساعته. والشيخ: نبات أنواعه كثيرة وكلّه طيّب الرائحة ومنه نوع ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي. والقيصوم: نبات ذهبي الزهر ورقه كالسداب وثمره كحبّ الآس إلى غبرة طيّب الرائحة يتداوى به.

(٣) أي أفل رجلاً.

(٤) احتضن الصبي: جعله في حضنه وهو ما دون الإبط.

ومنه عن أم عطية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً في سرية قالت: فرأيته رافعاً يديه يقول: «اللهمّ لا تمتني حتّى تريني علياً» هذا حديث صحيح أخرجه أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذي في صحيحه، ومثله من كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد إلّا أنّ فيه: حتّى تريني وجه علي.

ومن المناقب قال: أنبأني الإمام الحافظ صدر الحفّاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطّار الهمداني عن أنس، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله من نور وجه علي ابن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه إلى يوم القيامة.

ومنه عن الحسن البصري عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس وهو جبل قد علا على الجنّة وفوقه عرش رب العالمين، ومن سفحه[1] تنفجر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنّة، وهو جالس على كرسيّ من نور، يجري من بين يديه التسنيم[2]، لا يجوز أحد الصراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة والنار، فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النار.

ومنه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل من اتّخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء إسرافيل، ميكائيل ثمّ جبرئيل، وأوّل من أحبّه من أهل السماء حملة العرش، ثمّ رضوان خازن الجنان، ثمّ ملك الموت، وإنّ ملك الموت يترحّم على محبّي علي بن أبي طالب عليه السلام كما يترحّم على الأنبياء عليهم السلام.

ومنه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رأيته في النوم: ما حملك على أن لا تؤدّي ما سمعت منّي في علي بن أبي طالب حتّى أدركتك العقوبة[3]، ولولا استغفار

---

(١) سفح الجبل: أصله وأسفله.

(٢) التسنيم ماء في الجنّة سمّي بذلك لأنّه يجري فوق الغرف والقصور يقال تسنّمه إذا علاه.

(٣) روى الكشي بإسناده عن زر بن حبيش قال: خرج علي بن أبي طالب عليه السلام من القصر فاستقبله ركبان متقلّدون بالسيوف عليهم العمائم فقالوا: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا مولانا. فقال علي عليه السلام: من هاهنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقام خالد بن زيد أبو أيّوب وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وقيس بن سعد بن عبادة وعبدالله بن بديل بن ورقاء فشهدوا جميعاً أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه، فقال علي عليه السلام لأنس بن مالك وبراء بن عازب: ما منعكما أن تقوما فتشهدا فقد سمعتما كما سمع القوم؟ ثمّ قال: اللّهمّ إن كانا كتماها معاندة فابتلهما،

علي بن أبي طالب لك ما شممت رائحة الجنّة أبداً، ولكن أبشر في بقيّة عمرك، إنّ أولياء عليّ وذريّته ومحبّيهم السابقون الأوّلون إلى الجنّة وهم جيران الله وأولياء الله: حمزة وجعفر والحسن والحسين، وأمّا علي فهو الصدّيق الأكبر لا يخشى القيامة من أحبّه.

ومنه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبّ عليّاً قبل الله عنه[1] صلاته وصيامه وقيامه، واستجاب دعاءه، ألا ومن أحبّ عليّاً أعطاه الله بكلّ عرق في بدنه مدينة في الجنّة، ألا ومن أحبّ آل محمّد أمن الحساب والميزان والصراط، ألا ومن تاب على حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّة مع الأنبياء، ألا ومن أبغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله.

ومنه عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم: إنّ الله أمرني أن أحبّ أربعة من أصحابي، أخبرني أنّه يحبّهم. قال: فقلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: فإنّ منهم عليّاً، ثمّ ذكر ذلك في اليوم الثاني مثل ما قال في اليوم الأوّل، فقلنا: من هم يا رسول الله ﷺ؟ قال: إنّ عليّاً منهم، ثمّ قال مثل ذلك في اليوم الثالث، فقلنا: من هم يا رسول الله ﷺ؟ فقال: إنّ عليّاً منهم، وأباذر الغفاري، ومقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين.

ومنه عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه الإمام محمّد بن علي الباقر عن أبيه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي الشهيد عليهم الصلاة والسلام، قال: سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول: من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي فليتولّ علي بن أبي طالب وذريّته الطاهرين أئمّة الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة.

ومنه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: حبّ علي بن أبي طالب حسنة لا يضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لا ينفع معها حسنة.

فعمي البراء بن عازب، وبرص قدما أنس بن مالك، فحلف أنس بن مالك أن لا يكتم منقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولا فضلاً أبداً.

(١) منه خ ل.

ومنه عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من زعم أنّه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن.

ومن عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يستمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنّة عدن بيمينه[1] فليستمسك بحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد تقدّم مثله.

ومنه عن أبي برزة[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ونحن جلوس ذات يوم ـ والذي نفسي بيده لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسأله تبارك وتعالى عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله ممّا كسبه وفيم أنفقه، عن حبّ أهل البيت[3]. فقال له عمر: فما آية حبّكم من بعد؟ فوضع يده على رأس علي عليه السلام وهو إلى جانبه، فقال: إنّ حبّي من بعدي حبّ هذا.

ومنه عن عبدالله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ قال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب، فألهمني أن قلت: يا ربّ (أنت) خاطبتني أم علي؟ فقال: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء، ولا أقاس بالناس، ولا أوصف بالأشياء[4]، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبّ من علي بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك.

في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[5]

من الكشاف روي أنّها لمّا أُنزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

ويدلّ عليه ما روي عن علي عليه السلام: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت، والحسن

---

(١) استعارة للقوّة والقدرة مثل قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.

(٢) أبو برزة الأسلمي هو نضلة بن عبيد صاحب النبي صلى الله عليه وآله مات مابين سنة ستّين إلى سبعين.

(٣) وفي بعض النسخ «حبّنا أهل البيت».

(٤) وفي بعض النسخ «بالأشباه» بدل «بالأشياء».

(٥) الشورى: ٢٣.

والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذريّاتنا خلف أزواجنا.

وعن النبي ﷺ: حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عشيرتي[١]، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها فأنا أُجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة.

وروي أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا كأنّهم افتخروا، فقال العباس أو ابن عباس: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجالسهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلّة فأعزّكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفلا تجيبونني؟ قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: أفلا تقولوا: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أولم يكذّبوك فصدّقناك؟ أولم يخذلوك فنصرناك؟ قال: فما زال يقول حتّى جثوا على الركب[٢] وقالوا: أموالنا وما بأيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية.

وقال رسول الله ﷺ: ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة، ومنكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزفّ إلى الجنّة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها[٣]، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة، وقيل: لمن تكن بطن من بطون قريش إلّا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قربى، فلمّا كذّبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت هذه الآية.

ومن كتاب المناقب قال: من المراسيل في معجم الطبراني بإسناده إلى فاطمة

---

(١) وفي بعض النسخ «عترتي» بدل «عشيرتي».

(٢) جثا الرجل: جلس على ركبته.

(٣) زفّ العروس إلى زوجها: أهداها.

الزهراء عليها السلام قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّوجلّ باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلي خاصة، وإنّي رسول الله إليكم غير هائب لقومي، ولا محاب لقرابتي، هذا جبرئيل يخبرني أنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته، وإنّ الشقي كلّ الشقي من أبغض عليّاً في حياته وبعد وفاته.

ومنه قال: قال البديع الهمداني:

يقولون لم لا تحب الوصي ... فقلت الثرى بفم الكاذب[1]

أحبّ النبي وآل النبي ... وأختصّ آل أبي طالب

ونقلت من كتاب كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب تأليف الإمام الحافظ أبي عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي وقرأته عليه بأربل في مجلسين آخرهما الخميس سادس عشر جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وستمائة، وأجاز لي وخطّه بذلك عندي قرأته عليه: حدّثني أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي بأربل، أخبرنا عبداللطيف بن محمّد بن علي بن القبيطي ببغداد، والشريف أبو تمام علي بن أبي الفخار بن الواثق بالله بالكرخ، قالا: حدّثنا أبو الفتح محمّد بن عبدالباقي المعروف بابن النبطي، قال: حدّثنا أحمد بن أحمد الحدّاد، حدّثنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حدّثنا أبوبكر الطلحي، حدّثنا محمّد ابن علي بن رحيم، حدّثنا عباد بن سعيد الجعفي، حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي بهلول، حدّثنا صالح بن أبي الأسود، عن أبي المطهّر الرازي، عن الأعمش الثقفي، عن سلام الجعفي، عن أبي بردة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عهد إليّ عهداً في عليّ بن أبي طالب، فقلت: يا ربّ بيّنه لي، فقال: اسمع، فقلت: سمعت، فقال: إنّ علياً راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام الأولياء، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي أزلمتها المتقين، من أحبّه أحبّني ومن أبغضه أبغضني، فبشّره بذلك، فجاء علي فبشّرته، فقال: يا رسول الله أنا عبدالله وفي قبضته فإن يعذّبني فبذنوبي، وإن يتمّ لي الذي بشّرتني به فالله أولى بي، قال: فقلت: اللهمّ اجل قلبه، واجعل ربيعه الإيمان، فقال الله عزّوجلّ: قد فعلت به ذلك، ثمّ إنّه رفع إليّ أنّه سيخصّه من البلاء بشيء لم يخصّ به أحداً من أصحابي، فقلت: يا ربّ أخي وصاحبي، فقال: إنّ هذا شيء قد سبق، إنّه

---

(١) الثرى: التراب.

مبتلى ومبتلى به، أخرجه الحافظ في الحلية.

ومنه عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من تولّاه فقد تولّاني، ومن تولّاني فقد تولّى الله عزّوجلّ.

ومنه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: ترد على الحوض راية أميرالمؤمنين وإمام الغرّ المحجّلين، فاقوم آخذ بيده فيبيضّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما خلّفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: تبعنا الأكبر وصدّقناه، وآزرنا الأصغر ونصرناه، وقاتلنا معه، فأقول: ردّوا روّاء مرويّين، فيشربون شربة لا يظمأون بعدها أبداً، وجه إمامهم كالشمس الطالعة، ووجوههم كالقمر ليلة البدر أو كأضواء نجم في السماء.

ومنه عن عبدالله بن عباس ـ وكان سعيد بن جبير يقوده فمرّ على صفة زمزم، فإذا قوم من أهل الشام يشتمون علي بن أبي طالب عليه السلام ـ فقال لسعيد بن جبير: ردّني إليهم، فوقف عليهم فقال: أيّكم السابّ لله عزّوجلّ؟ فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سبّ الله، فقال: أيّكم الساب رسول الله؟ قالوا: ما فينا أحد سبّ رسول الله ﷺ، قال: فأيّكم الساب علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان، قال: فأشهد على رسول الله ﷺ سمعته أُذناي ووعاه قلبي يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي من سبّك فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله فقد كبّه على منخريه في النّار[1]، ثمّ ولّى عنهم وقال: يا بني ماذا رأيتهم صنعوا؟ قال: قلت له: يا أبه:

نظروا إليك بأعين محمرّة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر[2]

فقال: زدني فداك أبوك. فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال: زدني فداك أبوك. فقلت: ليس عندي من مزيد. فقال: لكن عندي:

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميّتون مسبّة للغابر[3]

---

(١) كب فلاناً على وجهه: صرعه.

(٢) التيوس جمع التيس: الذكر من الظباء والمعز. والشفار جمع الشفرة: السكين العظيمة العريضة. والجازر: الذابح.

(٣) الغابر من الأضداد. الغابر هنا الباقون.

ومنه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بسبّ علي بن أبي طالب عليه السلام فامتنع، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه، لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال عليّ: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، وسمعته يقول له يوم خيبر: لأعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: أدعوا لي عليّاً فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية ﴿ نَدْعُ أَبْنَائَنَا وَأَبْنَائَكُمْ ﴾[1]، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي، هكذا رواه مسلم في صحيحه وغيره من الحفاظ.

قال محمّد بن يوسف الكنجي نعوذ بالله من الحور بعد الكور[2].

وأورد صاحب كفاية الطالب بعد هذا الحديث هذا الذي أذكره وهو: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّكم محشورون حفاة عراة غرلاً[3]، ثمّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[4] ألا وإنّ أوّل من يكسى إبراهيم عليه السلام، ألا وأن ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي (أصحابي) قال: فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم مذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى عليه السلام: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾[5].

قلت: هذا حديث صحيح متفق على صحته من حديث المغيرة بن النعمان، رواه البخاري في صحيحه عن محمّد بن كثير عن سفيان، ورواه مسلم في صحيحه عن

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) أي من النقصان بعد الزيادة.

(٣) الغرلة: القلفة، والأغرل: الأقلف وهي أحد الحروف التي جاءت حذف اللام فيها بعد الراء.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

(٥) المائدة: ١١٧.

محمّد بن بندار[١] عن محمّد بن جعفر غندر[٢] عن شعبة ورزقناه بحمد الله عالياً من هذا الطريق، هذا آخر كلامه، وليس هذا موضع هذا الحديث ولعلّه ذكره من أجل قوله: نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وروى الحافظ أبو نعيم يرفعه بسنده في حليته عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أدع لي سيّد العرب، يعني علياً عليه السلام، فقالت عايشة: ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم وعلي سيّد العرب، فلمّا جاءه أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: هذا عليّ فأحبّوه بحبّي وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل عليه السلام أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وعلا.

في فضل مناقبه وما أعدّه الله تعالى لمحبّيه

وذكر غزارة علمه وكونه أقضى الأصحاب

من مناقب الخوارزمي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أنّ الرياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(وبالإسناد) عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالإستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ثمّ قال: النظر إلى وجه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عبادة وذكره عبادة،

---

(١) كتب في هامش تهذيب التهذيب: بندار في الأصل من في يده القانون وهو أصل ديوان الخرايج، وإنّما قيل له بندار لأنّه كان بنداراً في الحديث، جمع حديث بلده، وبندار لقب الرجل كما أنّ غندر لقب محمّد بن جعفر.

(٢) حكى العقلاني عن غندر قصة لطيفة وهي أنّه قال: اشترى غندر سمكاً وقال لأهله: أصلحوه ونام، فأكلوا السمك ولطخوا يده، فلمّا انتبه قال: هاتوا السمك فقالوا: قد أكلت! قال: لا، قالوا: فشمّ يدك، ففعل، فقال: صدقتم ولكنّي ما شبعت!

لا يقبل الله إيمان عبد إلّا بولايته والبراءة من أعدائه.

وبالإسناد قال الخطيب الخوارزمي: أنبأني الحافظ أبو العلاء الهمداني مرفوعاً إلى عبدالله بن العباس وقد قال له رجل: سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله؟ إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف منقبة، قال ابن عباس: أو لا تقول إنّها إلى ثلاثين ألف أقرب.

وبالإسناد عن الحسين بن علي بن أبي طالب عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: لو حدّثت بكلّ ما أُنزل في عليّ ما وطىء على موضع في الأرض إلّا أخذ ترابه إلى الماء.

ومن كتاب المناقب قال: حدّثني الإمام العلّامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مرفوعاً إلى الحسن أنّ عمر بن الخطّاب أُتي بامرأة مجنونة حبلى قد زنت، فأراد أن يرجمها، فقال له علي: يا أميرالمؤمنين أما سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: وما قال؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتّى يبرأ، وعن الغلام حتّى يدرك، وعن النائم حتّى يستيقظ، قال: فخلّى عنها.

وقد ذكره أحمد في المسند رواية عن علي عليه السلام رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتّى يستيقظ، وعن الطفل حتّى يحتلم، وعن المجنون حتّى يبرأ، قال: فخلّى عنها عمر، قاله لعمر حين أراد رجم المجنونة رواية عن النبي صلى الله عليه وآله.

ومنه عن علي عليه السلام قال: لمّا كان في ولاية عمر أُتي بامرأة حامل، فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر أن ترجم، فلقيها علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أميرالمؤمنين أن ترجم، فردّها عليّ، فقال: أمرت بها أن ترجم؟ فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور، فقال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ ثمّ قال له علي: فلعلّك انتهرتها[1] أو أخفتها؟ فقال: قد كان ذلك، قال: أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت فلا إقرار له فخلّى عمر سبيلها ثمّ قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر.

ومن المناقب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقضى أُمّتي علي بن أبي طالب.

قال: وأخبرني سيّد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي

---

(١) انتهره: زجره.

الهمداني مرفوعاً إلى سلمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: أعلم أُمّتي بعدي علي بن أبي طالب.

وبالإسناد عن شهردار هذا يرفعه إلى عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قسمت الحكمة على عشرة أجزاء، فأُعطي عليّ تسعة والناس جزءاً واحداً، ورواه الحافظ في الحلية أيضاً، ورواه الترمذي في صحيحه في صفة أميرالمؤمنين عليه السلام بالأنزع البطين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وذكر البغوي في الصحاح: أنا دار الحكمة وعليّ بابها.

ومنه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب.

ومنه عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه[1]، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال أحمد بن الحسين البيهقي: لم أكتبه إلّا بهذا الإسناد.

وقد روى البيهقي في كتابه المصنف في فضايل الصحابة يرفعه بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه[2]، وإلى إبراهيم في حلمه[3]، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقد ثبت لعلي عليه السلام ما ثبت لهم عليهم السلام من هذه الصفات المحمودة، واجتمع فيه ما تفرّق في غيره.

تركت فيك المنى مفرقة وأنت منها بمجمع الطرق

ومنه عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقلت: تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري[4] ما القضاء؟ فضرب في صدري وقال: اللهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه، قال: فوالذي فلق الحبّة ما شككت بعد في قضاء بين اثنين، وقد ذكره النسائي وساقه في صحيحه، وقد ذكره أحمد بن حنبل في مسنده قال علي عليه السلام: بعثني

---

(١) البطش: الأخذ القوي الشديد والأخذ الشديد كلّ شيء بطش. والبطشة: السطوة والصولة.

(٢) وفي بعض النسخ «فتواه» بدل «تقواه».

(٣) وفي بعض النسخ «حكمه» مكان «حلمه».

(٤) وفي نسخة «وما أدري».

رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وأنا حدث السن[١]، قال: قلت: تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء؟ قال صلى الله عليه وآله: إنّ الله سيهدي لسانك ويثبّت قلبك، فما شككت في قضاء بين اثنين بعد.

ومن المناقب عن علي عليه السلام قال: قلت: يا رسول الله أوصني، فقال: قل ربّي الله ثمّ استقم، فقلتها وزدت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب، فقال: ليهنك العلم يا أباالحسن لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً[٢].

ومنه عن أبي بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي.

ومن المناقب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس اسكب لي[٣] وضوءاً، ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: يا أنس أوّل من يدخل عليك من هذا الباب أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين وخاتم الوصيّين، قال: قلت: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، إذ جاء علي فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: علي، فقام مستبشراً فاعتنقه ثمّ جعل يمسح عرق وجهه ويمسح عرق وجه عليّ على وجهه، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعته بي قبل؟ قال: وما يمنعني وأنت تؤدّي عنّي وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي. وقد رواه الحافظ أبو نعيم في حليته: ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، وعرق وجه عليّ بوجهه.

ومن المناقب عن أبي ذر قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ببقيع الغرقد[٤]، فقال: والذي نفسي بيده إنّ فيكم رجلاً يقاتل الناس بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله، وهم يشهدون أن لا إله إلّا الله، فيكبر قتلهم على الناس

---

(١) وفي نسخة حديث السن.

(٢) وهو الشرب الأول وقد ذكرته قبل.

(٣) سكب الماء: صبّه.

(٤) قال الجزري: البقيع من الأرض المكان المتّسع ولا يسمّى بقيعاً إلّا وفيه شجر أو أصولها، وبقيع الغرقد: موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد (وهي العوسج إذا عظم) فذهب وبقي اسمه.

حتّى يطعنوا على ولي الله، ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة وقتل الغلام وأمر الجدار. وكان خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله رضى وسخط ذلك موسى، أراد بالرجل علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن كتاب المناقب عن الحارث الأعور صاحب راية علي عليه السلام قال: بلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وكان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السلام، فقال أبوبكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخ بخ[1] لهذا الرجل، ومن هو يا رسول الله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: ألا تعرفه يا أبابكر؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أبوالحسن علي بن أبي طالب، قال أبوبكر: بخ بخ لك يا أباالحسن وأين مثلك يا أباالحسن؟

ومنه عن مسروق قال: شاممت[2] أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبدالله، وأبي الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، ثمّ شاممت الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين عليّ وعبدالله عليهما السلام، ثمّ شاممت الإثنين فوجدت علياً يفضل على عبدالله.

ومنه قال علي: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولا.

ومنه عن أبي البختري قال: رأيت علياً عليه السلام صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله متقلداً بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، في إصبعه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقعد على المنبر وكشف عن بطنه فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّما بين الجوانح[3] منّي علم جم، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً من غير وحي أوحي إليّ، فوالله لو ثنيت[4] لي

---

(١) بخ كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء وتكرّر للمبالغة فيقال: بخ بخ، فإن وصلت خففت ونونت يقال: بخٍ بخٍ، وربّما شدّدت كالإسم، وقد جمعها الشاعر فقال يصف بيتاً:

ووافدات أكرم الوافدات ... بخٌ لك بخٌ لبحر خضم

وبخبخت الرجل إذا قلت له ذلك.

(٢) يقال شاممت الرجل: إذا قاربته ودنوت منه، وشاممه: نظر ما عنده.

(٣) الجوانح واحدها جانحة: الأضلاع تحت الترائب ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر.

(٤) ثنى الشيء: عطفه.

وسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق الله التوراة والإنجيل فتقول: صدق عليّ، قد أفتاكم بما أنزل فيّ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون.

ومن مسند أحمد من حديث معقل بن يسار أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: ألا ترضين إنّي زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً.

ونقلت ممّا خرّجه صديقنا العزّ المحدّث الحنبلي الذي قدمت ذكره، قال النبي صلى الله عليه وآله: أقضاكم علي.

وقال ابن عباس: والله لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر.

وقال أبوالطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم به، واسألوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم نهار، أم في سهلٍ أم في جبل. ورواه أبوالمؤيد في مناقبه أيضاً.

وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أحد أعلم من علي؟ قال: لا والله ما أعلمه.

وقال عمر بن سعيد: قلت لعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم لِمَ كان صغو[1] الناس إلى علي؟ فقال: يا ابن أخي إنّ علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له الوسطة[2] في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله، والفقه في السنّة، والنجدة[3] في الحرب، والجود في الماعون[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: عليٌ أعلم الناس بالسنة.

---

(١) يقال: صغا يصغو ويصغي صغواً إذا مال، وكذلك صغى بالكسر يصغي صغاً صغياً، وصغت النجوم إذا مالت إلى الغروب، ويقال: صغوه معك وصغوه وصغاه أي ميله.

(٢) وسطت القوم أوسطهم وسطاً وسطة أي توسطتهم، وفلان وسط في قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلا.

(٣) النجدة: الشجاعة، الشدّة والبأس.

(٤) والماعون في الجاهلية كلّ منفعة وعطية، وفي الإسلام الطاعة والزكاة، ومن الناس من يقول أصله معونة والألف عوض عن الهاء.

ومن مناقب أبي المؤيد عن ابن عباس قال: خطبنا عمر فقال: عليّ أقضانا وأبيّ أقرانا.

ومن المناقب عن ابن عباس قال: العلم ستة أسداس، لعلي من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتّى لهو أعلم به منّا، وعن ابن عباس أيضاً: وقال مثله.

ومنه عن عبدالله قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة، وختمت القرآن على خير الناس علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه عن عبد خير عن علي عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت ـ أو حلفت[1] ـ لا أضع ردائي عن ظهري حتّى أجمع مابين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتّى جمعت القرآن.

ومن المناقب إنّ عمر أُتي بامرأة وضعت لستة أشهر، فهمّ برجمها، فبلغ ذلك علياً، فقال: ليس لك عليها رجم، فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه يسأله، فقال علي: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾[2] وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهراً﴾[3] فستة أشهر حمله، وحولان تمام الرضاعة، لا حدّ عليها، وإن شئت لا رجم عليها، قال: فخلّى عنها.

ومنه عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت عمر يقول: اللهمّ لا تبقني لمعضلة[4] ليس لها علي بن أبي طالب حياً.

ومنه عن محمّد بن خالد الضبّي قال: خطبهم عمر بن الخطاب فقال: لو صرفناكم عمّا تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟ قال: فأزموا[5]، فقال ذلك ثلاثاً، فقام علي عليه السلام فقال: إذاً كنّا نستتيبك، فإن تبت قبلناك، قال: وإن لم أتب؟ قال: إذاً نضرب الذي فيه عيناك، فقال: الحمد لله الذي جعل في هذه الأُمّة من إذا اعوججنا أقام أودنا، وهكذا رواه أبوالمؤيد الخوارزمي وهو عجيب وفيه خبء يظهر لمن تأمّله.

---

(١) الترديد من الراوي.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(٣) الأحقاف: ١٥.

(٤) يقال: أمر معضل: لا يهتدى لوجهه.

(٥) قال محمّد: فسكتوا وهما بمعنى.

ومنه عن جابر قال: قال عمر: كانت لأصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ثمانية عشر سابقة فخصّ منها عليّ بثلاث عشرة وشركنا في الخمس.

وعن أبي الدرداء: العلماء ثلاثة: رجل بالشام ـ يعني نفسه ـ ورجل بالكوفة ـ يعني عبدالله بن مسعود ـ ورجل بالمدينة ـ يعني علياً ـ فالذي بالشام يسأل الذي بالكوفة، والذي بالكوفة يسأل الذي بالمدينة، والذي بالمدينة لا يسأل أحداً.

ومن المسند عن علي بن أبي ربيعة قال: رأيت علياً عليه السلام أُتي بدابة ليركبها، فلمّا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلمّا استوى عليها قال: الحمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، ثمّ حمد الله ثلاثاً وكبّر ثلاثاً، ثمّ قال: سبحانك لا إله إلّا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي، ثمّ ضحك، فقلت: ممّا ضحكت يا أميرالمؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فعل مثل ما فعلت ثمّ ضحك، فقلت: مِمَّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: يعجب الرب من عبده إذا قال: ربّ اغفر لي ويقول: علم عبدي أنّه لا يغفر الذنوب غيري.

وروى الحافظ أبو نعيم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي يوماً: مرحباً بسيّد المسلمين وإمام المتّقين.

وقال ابن طلحة: وإذا وصفه بكونه إمام أهل التقوى كان مقدماً عليهم بزيادة تقواه، والتقوى ثابتة له بصفة الزيادة على غيره من المتقين، وأمّا زهده في الدنيا فقد ذكرنا في الفصل المعقود له ما فيه غنية وكفاية، فيلزم من حصول صفة التقوى وصفة الزهد له أن يترتب عليهما مقتضاهما من حصول العلم المفاض على قلبه، من غير دراسة بل بتعليم الله تعالى إيّاه.

[فصل: في فضائل الإمام علي وعلمه]

وقال ابن طلحة في الفصل الذي أفرده في فضله وعلمه: هذا فصل في إرجائه مجال المقال واسع، ولسان البيان ضارع[1]، وثاقب المناقب لامع، وفجر المآثر طالع، ومراح الإمتداح جامع، وفضاء الفضائل شاسع[2]، فهو لمن تمسّك بهداه نافع، ولمن تمسّك بعراه رافع، فيا له من فضل! فضل كؤوس ينبوعه لذّة للشاربين،

---

(١) الضارع: الضعيف النحيف.

(٢) شسع المنزل: بعد.

ودروس مضمونه مفرحة للكرام الكاتبين، وغروس مستودعه من مستحسنات حسنات المقرّبين، يعظم عند التحقيق قدر وقعه، ويعمّ أهل التوفيق شمول نفعه، ويتم أجر مؤلفه بجمعه، وهو لمن وقف عليه قيد بصره وسمعه، ولم أورد فيه ما يصل إليه وارد الإضطراب، ولا أودعته ما يدخل عليه زائد الإرتياب، ولا ضمّنه غثاً تمجّه أصداف الأسماع[1]، ولا غثاء تقذفه أصناف الألباب، بل مرتّب له أخلاف رواية الخلف عن السلف، حتّى اكتنف بزبد الأوطاب[2]، ونظمت فيه جواهر درّ صرّحت بها ألسن السنن، ونطقت بها آيات الكتاب، وقرّرته بأدلّة نظر محكمة الأسباب بالصواب، هامية السحاب بالمحاب، ومفتّحة الأبواب للطلّاب، مثمرة إن شاء الله لجامعها جميل الثناء، وجزيل الثواب، فمن ذلك قوله تعالى وتقدّس: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[3]. (روى الإمام أبو إسحاق إبراهيم الثعلبي في تفسيره) يرفعه بسنده قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: سألت الله أن يجعلها أُذنك يا علي، قال علي: فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى.

وروى الثعلبي والواحدي كلّ واحد منهما يرفعه بسنده الثعلبي في تفسيره والواحدي في تصنيفه الموسوم بـ(أسباب النزول) إلى بريدة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: إنّ الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أُعلّمك وأن تعي، حَقٌّ على الله أن تعي، قال: فنزلت: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ ﴾[4]. رواه المذكوران في تفسيرهما أنّها نزلت في عليّ عليه السلام وفي الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمّه، وذلك أنّه كان بينهما تنازع في شيء، فقال الوليد لعلي عليه السلام: أُسكت فإنّك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً، وأحدّ سناناً، وأملأ للكتيبة منك. فقال علي عليه السلام: أُسكت فإنّك فاسق، فأنزل الله سبحانه تصديقاً لعلي: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً

---

(١) مجّ الشراب والشيء من فيه: رمى به. وقولهم «هذا كلام تمجّه الأسماع» أي تقذفه وتستكرهه إنّما هو على الإستعارة من مجّ الشراب.

(٢) الزبد ـ كصرد ـ: ما يستخرج من اللبن بالمخض. والأوطاب جمع الوطب: الثدي.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) السجدة: ١٨.

﴿لا يَسْتَوون﴾ يعني بالمؤمن علياً، وبالفاسق الوليد، وكفى بهذه القصة شهادة من الله عزّ وعلا لعليّ بكمال فضيلته، وإنزاله قرآناً يتلى على الأبد بتصديق مقالته، ووصفه إيّاه بالإيمان الذي هو عنوان عمله ونتيجة معرفته، وقد نظم هذه القصة حسّان بن ثابت فقال:

أنـــزل الله والكـتاب عـزيز ... في عـلي وفـي الوليـد قـرآنـاً
فـتبوا الوليـد مـن ذاك فسـقاً ... وعـــلي مـــبوّأ إيـــماناً
ليس من كان مـؤمناً عـرف الله ... كـمن كـان فـاسقاً خـوّانـا
سوف يجزى الوليد خزياً ونـاراً ... وعـلي لا شك يـجزى جـنانا
فـعلي يـلقى لدى الله عـزّاً ... ووليـد يـلقى هـناك هـوانـاً

وفشت هذه الأبيات من قول حسان، وهذا الوليد جدّه أبو معيط كان أبوه ذكوان يقول: إنّه ابن اميّة بن عبد شمس، وقيل: لم يكن ابنه بل كان عبده فاستخلفه[1] فكان ينسب إلى غير أبيه، وأسلم يوم فتح مكّة وولّاه عثمان الكوفة في خلافته، إذ كان أخاه لأمّه، فبقي والياً يشرب الخمر حتّى صلّى الفجر في مسجدها بالناس أربع ركعات وهو سكران، ثمّ قال: أزيدكم؟ وروي أنّه قاء في المحراب وعرف الناس ذلك وقال الحطيئة فيه:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه ... أنّ الوليد معاقر الخمر[2]

(الأبيات بتمامها)

وقصّته وأخذ الحد منه معلوم، واشتهر حاله وظهر فسقه وعزل عن الكوفة، ومات بالرقة[3]، فانظر إلى الحكمة الإلهية التي هي سرّ هذه القضيّة، فإنّه حيث أخبر علي عليه السلام بفسقه اظهره الله ذلك للناس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ومن الخبر إلى المعاينة، فكان الخمر جامعاً لأسباب الفسوق وسوء السمعة، ثمّ أخذ الحد منه على رؤوس الأشهاد ليتحقق له ما وصفه به أميرالمؤمنين عليه السلام وإذا ثبتت هذه الصفة للوليد تعيّن ثبوت الصفة الأخرى لعلي عليه السلام وهي الإيمان.

---

(١) في نسخة «فاستلحقه».

(٢) عاقر الخمر: أدمن شربها.

(٣) مدينة مشهورة على الفرات.

ومن ذلك ما نقله القاضي الإمام أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي عن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا خصّص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة، خصّص عليّاً عليه السلام بعلم القضاء، فقال: وأقضاهم علي، وقد صدع هذا الحديث بمنطوقه وصرّح بمفهومه أنّ أنواع العلم وأقسامه قد جمعها لعلي دون غيره، فإنّ كلّ واحد ممّن اختصّ بصفة لا يتوقف حصولها على غيرها من الصفات والفضائل، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: أفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ، وأعرفهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وكلّ واحدة من هذه لا تفتقر إلى غيرها بخلاف علم القضاء، وقد حصلت لعليّ بصيغة أفعل، وهي تقتضي وجود أصل ذلك الوصف وزيادة فيه على غيره، والمتصف بها يجب أن يكون كامل العقل، صحيح التمييز، جيّد الفطنة، بعيداً عن السهو والغفلة، يتوصّل بفطنته إلى وضوح ما أشكل، وفصل ما أعضل، ذا عدالة تحجزه عن أن يحوم حول حمى المحارم، ومروّة تحمله على محاسن الشيم، ومجانبة الدنايا، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحظورات، مأموناً في السخط والرضا، عارفاً بالكتاب والسنّة، والإتقان للإختلاف والقياس، ولغة العرب، ليقدم المحكم على المتشابه، والخاص على العام، والمبيّن على المجمل، والناسخ على المنسوخ، ويبني المطلق على المقيّد، ويقضي بالتواتر دون الآحاد، والمسند دون المرسل، والمتصل دون المنقطع، وبالإتقان دون الإختلاف، ويعرف أنواع الأقيسة من الجلي والواضح والخفي ليتوصّل بها إلى الأحكام، ويعرف أقسام الأحكام من الواجب والمحظور والمندوب والمكروه، ولا يتّصف بالقضاء من لم يجمع هذه الأمور، ويستولي على الأمد والغاية فيها.

ومن المعلوم أنّ عليّاً عليه السلام حاز فيها قصبات السبق، وشأى[1] في إحراز غاياتها جميع الخلق، وهذا حصل له ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أنفذه إلى اليمن وقد تقدم ذكر ذلك، فقال: ترسلني ولا علم لي بالقضاء؟ فقال له: إنّ الله سيهدي قلبك ويثبّت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضينّ حتّى تسمع من الآخر كما سمعت من الأوّل، فإنّه أحرى أن تبين لك القضاء، قال: فما زلت قاضياً وما شككت في قضاء بعد.

---

(١) شأى القوم: سبقهم.

ومن ذلك ما نقله البغوي في كتابه شرح السنّة، يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبوبكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، وكان علي عليه السلام قد أخذ نعل رسول الله وهو يخصفها، فقضى صلى الله عليه وآله أنّ علياً يقوم بالقتال على تأويل القرآن كما قام هو صلى الله عليه وآله بالقتال على تنزيله، والتنزيل مختص برسول الله، فإنّ الله أنزله عليه لأنواع من الحكم أرادها.

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1] وقال عزّوجلّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2] وقال عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذه الحكم التي تنزيله طريق إلى تحصيلها يختص بالنبي صلى الله عليه وآله ولا يمكن حصولها إلّا بتنزيله، فمن أنكر التنزيل فقد كذب به وجحده، واتّصف بالكفر، كما قال: ﴿وَ[5] لَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[4] ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

فأنكروا التنزيل على ما نطق به القرآن المجيد: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾[6] فتعيّن قتالهم إلى أن يؤمنوا، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن دخلوا في دين الله أفواجاً، فهذا بيان القتال على تنزيله.

وأمّا تأويله فهو تفسيره، وما يؤول إليه آخر مدلوله، فمن حمل القرآن على معناه الذي يقتضيه لفظه من مدلول الخطاب، وفسّره بما يتأوّله من معانيه المرادة به فقد أصاب سنن الصواب، ومن صدف عن ذلك وصرفه عن مدولوله ومقتضاه، وحمله على غير ما أُريد به ممّا يوافق هواه، وتأوّله بما يضلّ به عن نهج هداه، معتقداً أنّ مجمله الذي ادّعاه، ومقصده الذي افتراه فنحاه، هو المدلول الذي أراده الله، فقد

---

(١) إبراهيم: ١.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الشعراء: ١٩٢ـ١٩٤.

(٤) العنكبوت: ٤٧.

(٥) لقمان: ٣٢.

(٦) الأنعام: ٩١.

ألحد في القرآن حيث مال به عن مدلوله، وسلك غير سبيله، وخالف فيه أئمّة الهدى، واتّبع داعي الهوى، فتعيّن قتاله إن أصرّ على ضلالته، ودام على مخالفته، واستمرّ على جهالته، وتمادى في مقالته إلى أن يفيء إلى أمر الله وطاعته، ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وآله القتال على تأويله كالقتال على تنزيله، فقاتل النبي صلى الله عليه وآله مَنْ جريمته أقوى لموضع النبوة ووكّل قتال مَن جريمته دون تلك إلى الإمام، إذ كانت الإمامة فرع النبوة، فقاتلهم علي عليه السلام بعهد من النبي صلى الله عليه وآله إليه، ولقد كان يصرّح بذلك في يوم قتالهم وعند سؤاله عن ذي الثدية وإخراجه من بين القتلى، ويقول: والله ما كذبت ولا كُذبت.

وهذا بتمامه نذكره عند ذكرنا لحروبه عليه السلام، وما وجده من اختلاف الأُمّة عليه عليه السلام، وتظاهرهم على منابذته ومحاربته، وشقّ العصا عليه، وسبّه على المنابر، والتبرّي منه، وتتبّع أولاده وشيعته من بعده، وقتلهم وإخافتهم في كلّ ناحية وقطر، والتقرّب إلى ولاة كلّ زمان بدمائهم، والطعن في عقائدهم، ومنعهم حقوقهم، بل بغضهم[1] وتطريدهم وتشريدهم حتّى لعلّك لا تجد مدينة من مدن الإسلام، ولا جهة من الجهات إلّا وفيها لطالبي دم مطلول[2]، وثار مطلوب، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي، واستوى في إخافتهم العدناني والقطحاني، ورضي بإذلالهم العراقي والشامي، لم يبلغ من الكفّار ما بلغ منهم، ولا حلّ بأهل الكتاب ما حلّ بهم، هذا حال من قُتل، فأمّا من استبقى فليته أصاب القوت، أو وجد البلغة، وكيف ومن أين يجدها وهو مهان مضطهد، فقير مسكين، قد عاداه الزمان وأرهقه السلطان، وهذا الكلام وإن لم يكن من غرض كتابنا هذا فإنّ القلم جرى بسطره، والحال ساق إلى ذكره.

وأذكر شيئاً من تأويلهم الذي استحقّوا به العقاب والعذاب، وخالفوا فيه السنّة والكتاب، فإنّهم عمدوا إلى آيات نزلت في الكفّار، فصرفوها عن محلّ مدلولها وحملوها على المؤمنين، فإنّ أئمّة التفسير وعلماء الإسلام أجمعوا على أنّ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[ز] أنّها نزلت في اليهود وهي مختصّة بهم، وذكروا

---

(١) وفي بعض النسخ «بل بعضها».

(٢) أي مهدور لم يثار به.

(ز) آل عمران: ٢٣.

في سبب نزولها وجوهاً.

فقيل: لمّا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود إلى الإسلام قالوا: هلمّ نخاصمك إلى الأحبار، فقال: بل إلى كتاب الله، فأبوا.

وقيل: بل لمّا دعاهم إلى الإسلام، قال له بعضهم: على أيّ دين أنت؟ فقال: على دين إبراهيم، فقالوا: إنّ إبراهيم كان يهودياً، فقال: هلمّوا بالتوراة فهي بيني وبينكم، فأبوا.

وقيل: بل لمّا أنكروا أن يكون رجم الزاني في التوراة، قال: هلمّوا بالتوراة فهي بيني وبينكم، فأبوا، فأنزل الله هذه الآية، هكذا ذكر الواحدي في كتابه أسباب النزول.

فقد اتفق الجمع أنّها اختصّت باليهود، فجعلها الخوارج في المسلمين وأقاموها عمدة لهم ومرجعاً في أتباع ضلالتهم واحتجّوا بها في خروجهم من الطاعة المفروضة عليهم اللازمة لهم.

فإذا علمت حقيقة المقاتلة على التنزيل والمقاتلة على التأويل، بان لك أنّ بين النبي صلى الله عليه وآله وبين علي عليه السلام رابطة الإتّصال والأخوّة والعلاقة، وأنّه ليس لغيره ذلك كما وردت به النصوص المتقدمة من قوله صلى الله عليه وآله: عليّ منّي وأنا من علي، وقوله: أنت منّي وأنا منك، وقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. فهذه النصوص مشيرة إلى خصوصيّة بينهما، فاقتضت تلك الخصوصيّة أنّه أعلمه أنّه يُبلى بمقاتلة الخارجين كما بلي صلى الله عليه وآله بمقاتلة الكافرين وإنّه يلقى في أيّام إمامته من الشدائد كما لقي صلى الله عليه وآله في أيّام نبوّته.

قال الشافعي: أخذ المسلمون السيرة في قتال المشركين من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذوا السيرة في قتال البغاة من علي عليه السلام فتدبّر هذا المقام واعرف منه فضله عليه السلام.

ومن ذلك ما نقله القاضي الإمام أبو محمّد الحسين بن مسعود في كتابه المذكور يرفعه بسنده عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى منزل أُمّ سلمة، فجاء علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أُم سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي، وقد تقدّم الحديث بتمامه، فذكر صلى الله عليه وآله فرقاً ثلاثة، صرّح بأنّ عليّاً عليه السلام يقاتلهم من بعده، والأسماء التي سمّاهم بها تشير إلى أنّ وجود كلّ صفة منها في الفرقة المختصّة بها (علّة) لقتالهم. والناكثون هم الناقضون عهد بيعتهم، الموجبة

عليهم الطاعة والمبايعة[١] لإمامهم الذي بايعوه، فإذا نقضوا ذلك وصدفوا عن طاعته وخرجوا عن حكمه، وأخذوا في قتاله بغياً وعناداً كانوا ناكثين باغين، فيتعيّن قتالهم كما فعل عليه السلام في قتال أصحاب الجمل.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل من مسند ابن عمر عن نافع قال: لمّا خلع الناس يزيد بن معاوية جمع عبدالله بن عمر بنيه وأهله، ثمّ تشهّد ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله تبارك وتعالى ورسوله، وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان، وإنّ من أعظم الغدر ـ إلّا أن يكون الإشراك بالله تعالى ـ أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ثمّ ينكث بيعته، ولا يخلعنّ أحد منكم يزيد، ولا يشرفنّ أحد منكم هذا الأمر فيكون صيلم[٢] بيني وبينه.

وفي حديث آخر من المسند إنّ ذلك قاله حين بايعوا ابن الزبير، فليقض متأمّل العجب من عبدالله وتوقّفه من نقض بيعة يزيد وإنذار أهله وولده والتشديد عليهم وتحذيرهم من ذلك، وأنّه لا شيء أعظم منه إلّا أن يكون الإشراك، فأين يذهب بعبدالله وعلى قوله: فما عذر طلحة والزبير في نقض عهد علي عليه السلام وخلع طاعته ونكث بيعته والخروج عن حكمه ونصب الحرب له؟ فلو أنّ عبدالله بن عمر بحث مع طلحة والزبير بشرط أن ينصح علياً عليه السلام نصحه ليزيد، ويعرفهما ما في خلع الطاعة ومفارقة الجماعة من الإثم التام والخطيئة العظيمة، لأمكن أن يتوقفا عمّا أقدما عليه ويدخلا فيما خرجا منه والتوفيق عزيز، أو أنّهما كانا يسهلان على عبدالله نقض بيعة يزيد، ويقولان: إنّا خلعنا علياً ونقضنا عهده فتأس بنا وقس علينا، واجعلنا حجة، وإنّما قلنا ذلك على سبيل الفرض، وإلّا فطلحة والزبير قتلا ولم يدركا خلافة معاوية فضلاً عن خلع يزيد.

وأمّا القاسطون فهم الجائرون عن سنن الحق: الجانحون إلى الباطل، المعرضون عن اتباع الهدى، الخارجون عن طاعة الإمام الواجبة طاعته، فإذا فعلوا ذلك واتّصفوا به تعيّن قتالهم كما جرى من قتاله عليه السلام معاوية وأصحابه وهي حروب

---

(١) والمتابعة خ ل.

(٢) الصيلم: الداهية.

صفّين وقد صرّح النبي صلى الله عليه وآله بكونهم بغاة وروى المحدّثون في مسانيدهم الصحاح أنّه صلى الله عليه وآله قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، وفي آخر: تقتل عمّاراً الفئة الباغية. وفي حديث آخر إنّه قال صلى الله عليه وآله لعمّار: ابشر تقتلك الفئة الباغية. وهذه الأحاديث لا خلل في أسنادها ولا اضطراب في متونها[1].

وأمّا المارقون فهم الخارجون عن متابعة الحق، المصرّون على مخالفة الإمام، المصرّحون بخلعه، ومتى فعلوا ذلك تعيّن قتالهم كما فعل عليه السلام بأهل حروري والنهروان وهم الخوارج.

ذكر الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث في مسنده المسمّى بالسنن يرفعه إلى أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيكون في أُمّتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2]، هم شرّ الخلق، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم.

ونقل مسلم بن الحجاج في صحيحه ووافقه أبو داود بسندهما عن زيد بن وهب أنّه كان في الجيش الذي كانوا مع علي عليه السلام، فقال علي عليه السلام: أيها الناس إنّي سمعت

---

(١) ومن العجيب ما صدر من العسقلاني في المقام، قال في التهذيب في ترجمة عمّار بن ياسر بعد ذكر شطر من فضائله: وتواترت الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، روي ذلك عن عمّار وعثمان وابن مسعود وحذيفة وابن عبّاس في آخرين، وقال الواقدي: والذي أجمع عليه في قتل عمّار أنّه قتل مع علي بصفّين سنة سبع وثلاثين وهو ابن (٩٣) سنة ودفن هناك بصفّين.

ثمّ قال: وروى العوام بن حوشب عن إبراهيم بن عبدالرحمن السكسكي عن أبي وائل قال: رأى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب عبدالله في المنام أنّه أدخل الجنّة فإذا هو بقباب مضروبة قال: فقلت: لمن هذه؟ قالوا: لذي الكلاع وحوشب وكان قتل مع معاوية، قال: فأين عمّار وأصحابه؟ قالوا: أمامك. قال: وقد قتل بعضهم بعضاً؟ قالوا: نعم إنّهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة (إنتهى).

فلينظر العاقل في الحديثين وأنّه هل يمكن التوفيق بينهما؟ وهل الإعتقاد بالثاني لا يوجب تكذيب النبي صلى الله عليه وآله فيما أخبره به؟ وكيف يدخل الجنّة من أخبر النبي صلى الله عليه وآله بأنّه باغ؟ وأين الرؤيا وحديث سيّد الأنبياء؟ وما حمله على ذكر هذه الأكاذيب والمجعولات إلّا التعصّب والعناد أعاذنا الله منه.

(٢) قال الجزري: في حديث الخوارج: يمرقون من الدّين مروق السهم من الرمية أي يجوزونه ويخرقونه ويتعدّونه كما يخرق السهم الغرض المرمى به ويخرج منه وقد تكرّر في الحديث، ومنه حديث علي: أمرت بقتال المارقين يعني الخوارج.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يخرج قوم من أُمّتي يقرأون القرآن، ليس قرآنكم إلى قرآنهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن يحسبون أنّه لهم وهو عليهم، لا تجاوز قراءتهم تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيّهم لنكلوا عن العمل، وآية ذلك أنّ فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فيذهبون إلى معاوية وأهل الشام ويتركون هؤلاء، يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إنّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على سرج الناس فسيروا.

قال سلمة: فنزلني زيد بن وهب منزلاً منزلاً حتّى قال: مررنا على قنطرة، فلمّا التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهم: القوا الرماح وسلوا السيوف من جفونها، فإنّي أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم أيّام حروري، فرجعوا فوحشوا[1] برماحهم وسلّوا السيوف، ثمّ شجرهم الناس بالرماح، قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أُصيب يومئذ من الناس إلّا رجلان، فقال علي عليه السلام: التمسوا فيهم المخدج وهو الناقص، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي عليه السلام بنفسه حتّى أتى ناساً وقد قتل بعضهم على بعض، قال: أخرجوهم، فوجدوه ممّا يلي الأرض، فكبّر ثمّ قال عليه السلام: صدق الله لنا وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أميرالمؤمنين، بالله الذي لا إله إلّا هو أسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: اي والله الذي لا إله إلّا هو، حتّى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف.

ونقل البخاري ومسلم ومالك في الموطأ أنّ أبا سعيد الخدري قال: أشهد أنّي لسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشهد أنّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، وأتى به حتّى نظرت إليه إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نعت.

ونقل البخاري والنسائي ومسلم وأبو داود في صحاحهم قال سويد بن غفلة: قال علي عليه السلام إذا حدّثتكم عن رسول الله حديثاً فوالله لَأنْ أخِرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أكذب عليه، وفي رواية: من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدّثتكم فيما بيني وبينكم

---

(١) يقال: وحش الرجل، إذا رمى بسلاحه وثوبه مخافة أن يلحق.

فإنّ الحرب خدعة، وإنّي سمعت رسول الله يقول: سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البريّة، ويقرأون القرآن لا يجاوز ايمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة.

فقد دلّت هذه الأحاديث على ما أصّلناه من قتاله عليه السلام على التأويل كما قاتل صلى الله عليه وآله على التنزيل، واقتدائه به وقيامه وأمره ونيابته عنه في هذا الأمر المهم الذي حفظ به نظام الدين وأقام به الأود وكفّ عادية الخوارج المارقين، وقتل من قتل منهم، واستبقاء من فاء منهم، ورجع كما اعتمده النبي صلى الله عليه وآله مع المشركين حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. وقد تقدم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان شديد الحرص على تربية علي والإشفاق عليه، مهتمّاً بتعليمه وإرشاده إلى الفضائل، وكان في حجره من صغره ملازماً له، متأدّباً بآدابه، مقتفياً أفعاله، آخذاً بطرائقه، جارياً على سنّته، متشبهاً به صلى الله عليه وآله، وزوّجه ابنته عليها السلام فكان يدخل عليه في غالب أوقاته وفي أوقات لم يكن غيره يدخل عليه فيها.

وقد نقلت من مسند أحمد بن حنبل قال علي: كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله منزلة لم تكن لأحد من الخلائق، أنّي كنت آتيه كلّ سحرة.

وفي حديث آخر فاستأذن عليه، فإن كان في صلاة سبّح، وإن كان في غير صلاة أذن لي.

فإذا كان المربّي المؤدّب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أكمل العالمين وأعلاهم في المعارف وأرفعهم درجات مجد ومنازل شرف، وكان التلميذ المؤدب عليّاً عليه السلام، وأُضيف إلى استعداده وفطنته وذكائه نظر النبي صلى الله عليه وآله إليه، وتفرّسه فيه قبول ما يلقى إليه مع طول ملازمته له، فلا جرم أنّه يبلغ أقصى غايات الكمال، وينال نهايات معارج المعرفة، فتمكّن من قول: سلوني قبل أن تفقدوني، وسلوني عن طرق السماوات فإنّي أعرف بها من طرق الأرض.

وقال عليه السلام مرّة: لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال مرّة: لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان

بفرقانهم، والله ما من آية نزلت في برّ أو بحر، ولا سهل ولا جبل، ولا ليل ولا نهار، إلّا وأنا أعلم فيمن أُنزلت، وفي أيّ شيء نزلت، وفي هذا القول إشارة إلى علمه عليه السلام بهذه الكتب المنزلة.

وأمّا تفصيل العلوم فمنه ابتداؤها وإليه تنسب

أمّا علم الكلام: فالقائم بها الأشاعرة والمعتزلة والشيعة والخوارج، هؤلاء أشهر فرقهم وأئمّة هذه الطوائف إليه عليه السلام يعتزون.

أمّا المعتزلة: فينسبون أنفسهم إليه. وأمّا الأشاعرة فإمامهم أبوالحسن[1] كان تلميذاً لأبي علي الجبائي، وكان الجبائي ينسب إليه. وأمّا الشيعة فانتسابهم إليه ظاهر. وأمّا الخوارج فأكابرهم ورؤساؤهم تلامذة له.

فإذا كان علماء الإسلام وأئمّة علم الأصول ينتسبون إليه كفى ذلك دليلاً على غزارة علمه، وأقصى المطالب في علم الأصول علم التوحيد، والعلم بالقضاء والقدر والعلم بالنبوّة والعلم بالمعاد والبعث والآخرة، وكلامه عليه السلام يشهد بمكانه من هذه العلوم ومعرفته بها، وبلوغه فيها ما تعجز الأوائل والأواخر، فمن تدبّر معاني كلامه وعرف مواقعه علم أنّه البحر الذي لا يساحل، والحبر الذي لا يطاول.

وأمّا علم الفروع: فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يتعلّق بالأحياء، وهو أنواع من الأحكام وغيرها، وقسم يتعلّق بالأموات وهو علم الفرائض، وقسمة التركات، وبهذا الإعتبار سمّى النبي صلى الله عليه وآله الفرائض نصف العلم، حيث قال: تعلّموا الفرائض وعلّموها فإنّها نصف العلم، وهو أوّل من ينزع من أُمّتي، وعلي عليه السلام قد تسنّم هذه الذرى[2]، وفضل فيها جميع الورى، فاسمع به وأبصر فلا تسمع بمثله غيره ولا ترى، واهتد إلى اعتقاد فضله بناره فما كلّ نار أضرمت نار قرى، واعلم يقيناً أنّه في علومه كالبحر، وفي سماحه كالغيث، وفي بأسه كليث الشرى[3].

أمّا الفرائض وقسمة التركات: فقدمه فيها ثابتة، ونكتفي بذكر ما وقع منها فمن ذلك المسألة المعروفة بالدينارية وشرحها أنّ امرأة جاءت إليه عليه السلام وقد وضع رجله في

---

(١) هو أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري وإليه تنسب الأشاعرة.

(٢) تسنّم الشيء: علاه ـ مثل سنم ـ. والذرى جمع الذروة: أعلى الشيء.

(٣) قال ياقوت: يقال للشجعان: ما هم إلّا أسود الشرى قال بعضهم: شرى مأسدة بعينها، وقيل: شرى الفرات ناحية به غياض وآجام تكون فيها الأسود.

بالركاب، فقالت: يا أميرالمؤمنين، إنّ أخي مات وخلّف ستمائة دينار وقد دفعوا إليّ من ماله ديناراً واحداً، فأسألك إنصافي، فقال عليه السلام لها: خلّف أخوك بنتين؟ قالت: نعم، قال: لهما الثلثان أربعمائة، وخلّف أُمّاً؟ قالت: نعم، قال: لها السدس مائة، وخلّف زوجة؟ قالت: نعم، قال: لها الثمن خمسة وسبعون ديناراً، وخلّف معك اثني عشر أخاً؟ قالت: نعم، قال: لكلّ أخ ديناران ولك دينار، فقد أخذت حقّك فانصرفي وركب، فسمّيت هذه المسألة الدينارية.

ومنه المسألة المنبريّة وذلك أنّه كان على منبر الكوفة فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ ابنتي قد مات زوجها ولها من تركته الثمن وقد أعطوها التسع، فأسألك الإنصاف، فقال عليه السلام: خلّف صهرك بنتين؟ قال: نعم، قال: وأبواه باقيان؟ قال: نعم، قال: صار ثمنها تسعاً فلا تطلب سواه إرثاً، ثمّ مضى في خطبته، فانظر إلى استحضاره الأجوبة في أسرع من رجع الطرف، واعلم أنّه عليه السلام قد تجاوز غايات الوصف.

وأمّا علوم الأحياء: فكان عليه السلام فارس ميدانها، وسابق حلباتها، وحاوي قصبات رهانها، ومبيّن غوامضها وصاحب بيانها، والفارس المتقدم عند إحجام فرسانها وتأخّر أقرانها، ويكفي في إيضاح ذلك ما نقل عنه أنّه قال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم فانفتح لي من كلّ باب ألف باب.

أمّا علم القرآن: فقد استفاض بين الأُمّة أنّ أعلمهم بالتفسير عبدالله بن العباس وكان تلميذاً لعلي عليه السلام مقتدياً به آخذاً عنه.

وأمّا القراءة: فإمام الكوفيين فيها عاصم، وقراءته مشهورة في الدنيا وهو تلميذ ابي عبدالرحمان السلمي، وأبو عبدالرحمان هذا تلميذ علي عليه السلام، وعليّ أخذها عن النبي صلى الله عليه وآله.

وأمّا النحو: فقد عرف الناس قاطبة أنّ علياً عليه السلام هو الواضع الأوّل الذي اخترعه وابتدعه ونصبه علماً لأبي الأسود ووضعه.

وأمّا علم البلاغة والبيان: فهو فارسه المجلّي في ميدانه، والناطق الذي تقرّ الشقائق عند بيانه، والبحر الذي يقذف بجواهره، ويحكم على القلوب باتباع نواهيه وأوامره، ويدلّ على الخيرات بترغيباته، وينهى عن المنكرات بقوارعه وزواجره، ومتى شئت أن تجعل الخير عياناً فدونك نهج البلاغة، فهو دليل واضح، ونهج إلى

البلاغة لائح، ولولا اشتهاره ووجوده لأفردت لشيء منه فصلاً يعرف منه مقداره، ويعلم أنّه الجواد الذي لا يدرك شأوه[١] ولا يشق غباره.

وأمّا علم تصفية الباطن وتزكية النفس: فقد أجمع أهل التصوف من أرباب الطريقة وأصحاب الحقيقة أنّ انتساب خرقتهم إليه، ومعولهم في سلوك طرقهم عليه.

وأمّا علم التذكير بأيّام الله والتحذير من عذابه وعقابه: فالمتقدى به في ذلك الحسن البصري، وكان تلميذاً له عليه السلام، وبذلك كان شرفه وفخره، وبه طلع بين المذكرين فجره.

وأمّا علم الزهد والورع: فقد كان في الصحابة من الزهاد كأبي الدرداء وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله عنهم، وكانوا جميعاً تلامذة لعلي، بمحمّد صلى الله عليه وآله اهتدوا وبعليّ اقتدوا، وسأذكر فصلاً في زهده عليه السلام إن شاء الله.

وأمّا علم مكارم الأخلاق وحسن الخلق: فإنّه عليه السلام بلغ في ذلك الغاية القصوى حتّى قال عنه أعداؤه: فيه دعابة وانّه امرؤ تلعابة[٢]، وإنّما كانت سهولة أخلاقه مع ذوي الدين وصالحي المؤمنين، وأمّا من كان من غيرهم فإنّه كان يوليه غلظة وشدّة، طلباً لتأديبه ورغبة في تهذيبه، فكان عليه السلام في ذلك من الموصوفين بقوله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي الله بقوم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّة عَلَى الكافِرِين** ﴾[٣].

وأمّا الشجاعة والنجدة والقوّة: فاتّصافه بذلك أشهر من النهار، وأظهر من الشمس لذوي الأبصار، أقرّ بذلك المؤالف والمخالف، واعترف به العدوّ والمخالف، وشهد به الولي والحسود، وأسجل بصحّته السيّد والمسود، وذلّ لسطوته وصرامته[٤] الأساود والأسود، هو الذي دوّخ الفرسان[٥]، واذلّ الشجعان، وكان وكان، من كأبي الحسن إذا احمرّ البأس وحام الناس، قسوا ولانوا فلهم هذه وهذه في العنف والرفق، وسأذكر في تضاعيف هذا الكتاب من ذلك ما يكون عبرة لأولي الألباب.

---

(١) الشأو: الأمد والغاية.

(٢) قال الجزري: الدعابة المزاح ومنه حديث عمر وذكر له علي للخلافة فقال: لولا دعابة فيه، وقال أيضاً: وفي الحديث أنّ عليّاً تلعابة أي كثير المزح والمداعبة.

(٣) المائدة: ٥٤.

(٤) صرم الرجل صرامة: كان صارماً أي ماضياً.

(٥) دوّخ الرجل: ذلّله.

وأمّا علم القضاء والأحكام ومعرفة الحلال والحرام: فقد تقدّم من ذكره ما لعلّه كافٍ شافٍ، وبما يراد من الغرض وافٍ، وقضاياه التي اشتهرت وأحكامه التي ظهرت تشهد بمكانه ومحلّه، وتنبىء عن شرفه ونيله، وتقضي بعلوّ مكانه وفضله.

فمن أحكامه أنّه رفع إليه عليه السلام أنّ شريحاً القاضي قد قضى في امرأة ماتت وخلفت زوجاً وابني عم أحدهما أخ لأم، وقد أعطى الزوج النصف من تركتها وأعطى الباقي لابن عمّها الذي هو أخوها من أمّها، وحرم الآخر، فأحضره علي عليه السلام قال له: ما أمر بلغني عن قضائك في قضية الأمرأة المتوفاة؟ قال: يا أميرالمؤمنين قضيت بكتاب الله تعالى، وأجريت ابن العم بكونه أخاً من أم مجرى أخوين أحدهما من أب والآخر من أم، فأنكر عليه علي عليه السلام وقال: أفي كتاب الله تعالى أنّ الباقي بعد الزوج لابن العم الذي هو أخ من أم؟ قال: لا، قال: فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ** ﴾[1] فجعل للزوج النصف وأعطى الأخ من الأم السدس، ثمّ قسم الباقي بين ابني العم، فحصل لابن العم الذي هو أخ من الأم ثلث، ولابن العم الذي ليس بأخ سدس، وللزوج نصف فتكملت الفريضة، وردّ قضاء شريح واستدركه.

ومنها أنّه عليه السلام حيث كان بالكوفة حاكم يهودياً في درع إلى شريح، وادّعى أنّ الدّرع بيد اليهودي، فأنكر اليهودي دعواه، فطاله شريح بمن يشهد بها، فشهد الحسن ابن علي عليه السلام بالدرع، فردّ شريح شهادته، وقال: يا أميرالمؤمنين كيف أقبل شهادة ابنك لك، والولد لا تقبل شهادته لوالده؟ فقال له علي عليه السلام: في أيّ كتاب وفي أيّ سنّة وجدت أنّ هذه الشهادة لا تقبل، ثمّ عزله عن القضاء، وأخرجه إلى قرية تركه بها نيفاً وعشرين يوماً، ثمّ أعاده إلى مكانه وولايته وكشف سرّ هذه الواقعة، وما صدر من أميرالمؤمنين عليه السلام في حقّ شريح إنّه لم يدّع الدرع لنفسه وإنّما ادّعاها لبيت المال فإنّه نائب المسلمين والإمام القائم بمصالحهم، فادّعى الدرع لهم وشهادة الحسن عليه السلام بها لهم فتسرع شريح وظنّ أنّها لعليّ، وأنّ الحسن يشهد بها له، فأدّبه لتركه الفحص وتدقيق النظر، فإنّ ذلك موجب لتعطيل الحقوق وإيصالها إلى غير مستحقّيها.

قال ابن طلحة: ومن العجائب والغرائب أنّ جماعة من العلماء منهم إسحاق بن

---

(١) النساء: ١٢.

راهويه، وأبو ثور وابن المنذر والمزني وأحمد بن حنبل في إحدى الروايات عنه لمّا بلغهم هذه القصّة وما اعتمده أمير المؤمنين مع شريح، استدلّوا بذلك على جواز شهادة الولد لوالده، وجعلوا ذلك مذهباً لهم وأجروه مجرى شهادة الأخ لأخيه، استناداً إلى هذه الواقعة واستدلالاً بفعله عليه السلام وغفلوا عن سرّها وحقيقة أمرها.

أقول: إنّ هذه القسمة في هذه المسائل وقسمة الفرايض[1] أوردها ابن طلحة وغيره من علماء الجمهور، وليست مذهب أمير المؤمنين عليه السلام ولكنّه لشرفه ومحلّه من العلم ومكانه من هذا الدين يحب أهل كلّ طائفة أن ينسبوا إليه دقائق فتاويهم، ومحاسن ما يجدونه في مذاهبهم، ويجعلونه مرجعاً يستندون إليه في ترويج مسائلهم، ويأتمون به في مصالح أديانهم.

تشبه الخفرات الآنسات بها[2] في مشيها فينلن الحسن بالحيل

وقد رواها أصحابنا عنه عليه السلام وعلى هذا يكون قد أفتى بها على مذهبهم، فإنّه كان عليه السلام ممنوعاً في أيّام خلافته عن كثير من إراداته الدينية حتّى أنّه أراد عزل شريح وقال: عزب ذهنك وعلت سنّك وارتشى ابنك، فلم يمكن من عزله والإستبدال به، وكم مثلها ممّا منع عنه عليه السلام أن يجريه على الحق الذي لا لبس فيه، حتّى قيل له: رأيك مع رأي عمر أحبّ إلينا من رأيك على انفرادك، والخطب جليل وبالله المستعان، ولمّا قيل له عليه السلام: رأيك مع رأي عمر أحبّ إلينا، قال لعبيدة السلماني: أقضوا كما كنتم تقضون فإنّي أكره الخلاف، وكان عبيدة هذا قاضياً. وذكر علومه عليه السلام بحر لا يدرك ساحله، وهو عليه السلام الماجد الذي لا يظفر بالغلب مساجله.

فأمّا ما أعدّه الله لمحبّيهم من الثواب الجزيل والأجر العريض الطويل وارتفاع المنزلة وعلوّ المكان، وما وعدهم الله به من درجات الجنان فإنّي أورد من ذلك ما يلتزم به العقلاء، ويكون بلاغاً من أراد الحق، وموجباً لمودّتهم وحبّهم.

فمن ذلك ما نقلته من مسند أحمد بن حنبل من المجلّد الأوّل من مسند علي عليه السلام عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم

---

(١) في المسئلة الدينارية والعنبرية.

(٢) خفرت المرأة: اشتدّ حياؤها.

القيامة. هذا الحديث نقله أحمد في مواضع من مسنده، وهو حديث خطره عظيم، ومجده كريم، ووجده وسيم، وشرفه قديم، فإنّه جعل درجة محبّيهم مع درجته، وهذا محل يقف دونه الخليل والكليم، وهاهنا ينقاد إلى المنقول والمعقول، وهو صلى الله عليه وآله أعلم بما يقول.

ونقلت من الجزء الذي جمعه صديقنا العزّ المحدّث الحنبلي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: أمّا إنّك يا ابن أبي طالب وشيعتك في الجنّة.

ومن كتاب الفردوس عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله: حبّ عليّ بن أبي طالب حسنة لا يضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لا ينفع معها حسنة.

ومنه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: حبّ آل محمّد يوماً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنّة.

ومنه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: خيركم خيركم لأهلي.

ومنه عن أُمّ سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله: عليّ وشيعته الفائزون يوم القيامة، وقد تقدّم هذا وأمثاله.

ومن بشائر المصطفى عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأوّلين والآخرين عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتّى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتد أنفاسهم، فيمكثون كذلك ما شاء الله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[1] قال: ثمّ ينادي مناد من قبل العرش[2]: أين النبيّ الأُمّي؟ قال: فيقول الناس: قد أسمعت فسمّه باسمه، فينادي: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبدالله؟ قال: فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله فيتقدم أمام الناس كلّهم حتّى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة وصنعاء[3]، فيقف عليه ثمّ ينادي بصاحبكم فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثمّ يؤذن للناس فيمرّون. قال أبو جعفر عليه السلام: فبين وارد وبين منصرف فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يصرف عنه من محبّينا أهل البيت بكى

---

(١) طه: ١٠٨.

(٢) وفي بعض النسخ «تلقاء العرش».

(٣) ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأوّل الشام. وصنعاء: موضع باليمن.

فقال: يا ربّ شيعة علي ابن أبي طالب، قال: فيقول الله عزّوجلّ: يا محمّد، قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم وألحقتهم بك وبمن كانوا يتولّونه من ذريّتك، وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك، وقبلت شفاعتك فيهم، وأكرمتك بذلك، ثمّ قال أبو جعفر محمّد بن علي عليهما السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: وامحمّداه إذا رأوا ذلك، فلا يبقى أحد يومئذ كان يتولّانا ويحبّنا إلّا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا.

ومنه عن عبدالرحمان بن قيس قال: كنت جالساً مع علي بن أبي طالب عليه السلام على باب القصر حتّى ألجأته الشمس إلى حائط القصر، فوثب ليدخل فقام إليه رجل من همدان فتعلّق بثوبه وقال: يا أميرالمؤمنين حدّثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به، قال له: حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي أرد أنا وشيعتي الحوض رواء مرويين مبيضّة وجوههم، ويرد عدوّنا ظماءاً مظمئين مسودّة وجوههم، خذها إليك قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت، أرسلني[1] يا أخا همدان. وفي هذا الحديث ذكرىٰ لمن كان له قلب.

ونقل الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار عن علي عليه السلام رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: لمّا أسري بي إلى السماء أخذ جبرئيل بيدي وأقعدني على درنوك[2] من درانيك الجنّة، ثمّ ناولني سفرجلة فأنا أُقلّبها إذا انفلقت فخرجت منها جارية حوراء لم أر أحسن منها، فقالت: السلام عليك يا محمّد، قلت: من أنت؟ قالت: أنا الراضية المرضية، خلقني الجبّار من ثلاثة أصناف: أسفلي من مسك، ووسطي من كافور، وأعلاي من عنبر، عجنني من ماء الحيوان، قال الجبار: كوني فكنت، خلقني لأخيك وابن عمّك علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن مناقب ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: أقبلت ذات يوم قاصداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا أبا سعيد، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: إنّ لله عموداً تحت العرش يضيء لأهل الجنّة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، لا يناله إلّا عليّ ومحبّوه.

ومن مناقب ابن المغازلي عن أبي هريرة قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة

---

(١) أرسله: أطلقه.

(٢) الدرنوك ـ بضم الدال ـ: ستر له خمل.

الفجر ثمّ قال: أتدرون بما هبط به جبرئيل عليه السلام؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، ثمّ قال: هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ الله غرس قضيباً في الجنّة ثلثه من ياقوتة حمراء، وثلثه من زبرجدة خضراء، وثلثه من لؤلؤة رطبة، ضرب عليها طاقات جعل بين الطاقات غرفاً، وجعل في كلّ غرفة شجرة، وجعل حملها الحور العين وأجرى عليه عين السلم ثمّ أمسك، فوثب رجل من القوم فقال: يا رسول الله، لمن ذلك القضيب؟ فقال: من أحبّ أن يتمسّك بذلك القضيب فليتمسّك[1] بحبّ علي بن أبي طالب.

ونقلت من كتاب كفاية الطالب المقدم ذكره يرفعه إلى أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ترد على الحوض راية علي أميرالمؤمنين وإمام الغرّ المحجّلين فأقوم وآخذ بيده فيبيضّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: تبعنا الأكبر وصدّقناه، وآزرنا الأصغر ونصرناه وقاتلنا معه، فأقول: ردّوا رواء مرويين، فيشربون شربة لا يظماون بعدها أبداً، وجه إمامهم كالشمس الطالعة، ووجوههم كالقمر ليلة البدر أو كضوء نجم في السماء.

ومنه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مررت ليلة أُسري بي إلى السماء فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور، والملائكة تحدق به، فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟ قال: أدن منه وسلّم عليه، فدنوت منه وسلّمت عليه فإذا أخي[2] وابن عمّي علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقلت: يا جبرئيل، سبقني عليّ إلى السماء الرابعة؟ فقال لي: يا محمّد، لا، ولكن الملائكة شكت حبّها لعليّ، فخلق الله هذا الملك من نور على صورة عليّ، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرّة، ويسبّحون الله ويقدّسونه ويهدون ثوابه لمحبّ علي عليه السلام. قال: هذا حديث حسن عال لم نكتبه إلّا من هذا الوجه، تفرّد به يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس وهو ثقة.

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: دخلنا على مسروق الأجدع فإذا عنده ضيف لا نعرفه وهما يطعمان من طعام لهما، فقال الضيف: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر، فلمّا قالها عرفنا أنّه كانت له صحبة من النبي صلى الله عليه وآله، قال: جاءت صفية بنت حيي بن أخطب إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إنّي لست كأحد نسائك، فتلت الأب والأخ

---

(١) وفي بعض النسخ «فليستمسك».

(٢) وفي نسخة «فإذا أنا بأخي».

والعم، فإن حدث بك حدث فإلى من؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: إلى هذا، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ قال: ألا أُحدّثكم بما حدّثني به الحارث الأعور؟ قال: قلت: بلى، قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك يا أعور؟ قال: قلت: حبّك يا أميرالمؤمنين، قال: الله! قلت: الله، فناشدني ثلاثاً، ثمّ قال: أمّا إنّه ليس عبد من عباد الله ممّن امتحن الله قلبه بالإيمان إلّا وهو يجد مودّتنا على قلبه فيحبّنا، وليس عبد من عباد الله ممّن سخط الله عليه إلّا وهو يجد بغضنا على قلبه فهو يبغضنا، فأصبح محبّنا ينتظر الرحمة فكأن أبواب الرحمة قد فتحت له، وأصبح مبغضنا على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم، فهنيئاً لأهل الجنّة[1] رحمتهم، وتعساً لأهل النار مثواهم.

وعن الحارث الهمداني قال: دخلت على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟ فقلت: حبّي لك يا أميرالمؤمنين، فقال: يا حارث، أتحبّني؟ فقلت: نعم والله يا أميرالمؤمنين، فقال: أمّا لو بلغت نفسك الحلقوم لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال[2] عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا مار على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لرأيتني حيث تحب، وقيل: إنّ آخر شعر قاله السيّد بن محمّد[3] قبل وفاته بساعة قوله:

أحب الذي من مات من أهل ودّه ... تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن مات يهوى غيره من عدوّه ... فليس له إلّا إلى النّار مسلك

---

(١) وفي بعض النسخ «لأهل الرحمة».

(٢) الذود: الطرد وأكثر ما يستعمل الذود في الغنم والإبل وربّما استعمل في غيرهما.

(٣) وهو السيّد الحميري المعروف، وهو من شعراء أهل البيت وروى عن الصادق أنّه عليه السلام قال له: أنت سيّد الشعراء، وحاله في الجلالة والمجد ظاهر معروف. قال في الكنى والألقاب: كان همّه عليه السلام في نظم فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام ونشره حتّى حكى صاحب الأغاني عن المدائني أنّ السيّد الحميري وقف بالكناس وقال: من جاء بفضيلة لعلي بن أبي طالب عليه السلام لم أقل فيها شعراً فله فرسي هذا وما عليّ، فجعلوا يحدّثونه وينشدهم فيه حتّى روى رجل عن أبي الرعل المرادي أنّه قدم أميرالمؤمنين عليه السلام فتطهّر للصلاة فنزع خفّه فانسابت فيه أفعي، فلمّا دعى ليلبسه انقضت غراب فحلقت ثمّ ألقاها فخرجت الأفعي منه، قال: فأعطاه السيّد ما وعده وأنشأ يقول:

ألا يا قوم للعجب العجاب ... لخفّ أبي الحسين وللحباب

(الأبيات)

أبا حسن تـفديك نـفسي وأسـرتي ... ومالي وما أصبحت في الأرض أمـلك
أبـا حسـن إنّـي بـفضلك عـارف ... وإنّـي بـحبل مـن هـواك لمـمسك
وأنت وصيّ المـصطفى وابـن عـمّه ... وإنّـا نـعادي مـبغضيك ونـترك
مـواليك نـاج مـؤمن بـيّن الهـدى ... وقاليك معروف الضـلاله مشـرك[1]
ولاحٍ لحـاني فـي عـليّ وحـزبه[2] ... فـقلت لحـاك الله إنّك أعـفك[3]

وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبي عليه السلام، فيأتي النداء من عند الله عزّوجلّ: لسنا إيّاك أردنا، وإن كنت لله تعالى خليفة، ثمّ ينادي (مناد): أين خليفة الله في أرضه، فيقوم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فيأتي النداء من قبل الله عزّوجلّ: يا معشر الخلايق، هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه وحجّته على عباده، فمن تعلّق بحبله في دار الدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم يستضيء بنوره، وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنان، قال: فيقوم أُناس قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتّبعونه إلى الجنّة، ثمّ يأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: ألا من ائتمّ بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب به فحينئذ يتبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب.

وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الناس في صعيد واحد حفاة عراة، يقفون[4] على طريق المحشر فيعرقون عرقاً شديداً وتشتدّ أنفاسهم فيمشكون ما شاء الله كما قال: ﴿**فَلا تَسْمَعُ إِلّا هَمْسًا**﴾ فينادي مناد من تلقاء العرش: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبدالله؟ فيتقدم صلى الله عليه وآله أمام الناس حتّى ينتهي إلى الحوض، فينادى بصاحبكم فيقف معه، ثمّ يؤذن للناس فيمرّون. قال أبو جعفر عليه السلام: فبين وارد يومئذ ومصروف، فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يصرف من محبّينا أهل البيت بكى وقال: يا رب شيعة علي (يا رب شيعة علي) فيبعث الله إليه ملكاً فيقول: ما يبكيك؟ فيقول: كيف لا أبكي لأُناس من شيعة أخي علي بن أبي طالب

---

(١) القالي: المبغض.

(٢) لحى فلاناً: لامه وسبّه وعابه.

(٣) الأعفك: الأحمق.

(٤) وفي نسخة «يوقفون».

أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار، ومنعوا من ورود حوضي؟ قال: فيقول الله: قد وهبتهم لك وصفحت عن ذنوبهم وألحقتهم بك وبمن كانوا يتولّون من ذريّتك، وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك، وقبلت شفاعتك وأكرمتك بذلك. قال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: وامحمّداه، فلا يبقى أحد كان يتولّانا ويحبّنا إلّا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا.

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ألا أُبشّرك؟ ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فإنّي خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضّلت منها فضلة فخلق منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأُمّهاتهم إلّا شيعتك[1]، فإنّهم يدعون بآبائهم لطيب مولدهم.

في بيان أنّه مع الحق والحق معه وأنّه مع القرآن والقرآن معه

نقلت من المناقب للإمام أبي المؤيّد الخوارزمي عن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل.

ومنه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فارق عليّاً فارقني ومن فارقني فارق الله عزّوجلّ.

ومنه عن أبي أيّوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وأنت مع الحق والحق معك، يا عمّار، إذا رأيت عليّاً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس، إنّه لن يدليك في ردى[2] ولن يخرجك من الهدى، يا عمّار، إنّه من تقلّد سيفاً أعان به عليّاً على عدوّه قلّده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً[3] من در، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي عليه السلام قلّده الله يوم القيامة وشاحاً من نار.

ومن مناقب ابن مردويه عن عبدالرحمان بن أبي سعيد قال: كنّا جلوساً عند

---

(١) وفي نسخة «إلّا شيعتنا».

(٢) الإدلاء: الإلقاء والإرسال.

(٣) الوشاح ـ ككتاب ـ: شيء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر ويوضع، شبه قلادة تلبسه النساء.

النبي صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين، ومرّ علي بن أبي طالب فقال: الحق مع ذا (علي).

ومنه عن عائشة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الحق مع علي يزول معه حيث ما زال.

ومنه عن أبي ذر عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ علياً مع الحق والحق معه لن يزولا حتّى يردا عليَّ الحوض.

ومنه عن أُم سلمة قالت: كان علي على الحق، من اتّبعه اتّبع الحق، ومن تركه ترك الحق، عهداً معهوداً قبل يومه هذا.

ومنه عن عبيدالله بن عبدالله الكندي قال: حج معاوية فأتى المدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله متوافرون، فجلس في حلقة بين عبدالله بن العباس وعبدالله بن عمر، فضرب بيده على فخذ ابن عباس ثمّ قال: أما كنت أحق وأولى بالأمر من ابن عمّك؟ قال ابن عباس: وبم؟ قال: لأنّي ابن عمّ الخليفة المقتول ظلماً، قال: هذا إذاً ـ يعني ابن عمر ـ أولى بالأمر منك، لأنّ أبا هذا قتل قبل ابن عمّك، قال: فانصاع عن ابن عباس[1] وأقبل على سعد قال: وأنت يا سعد الذي لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟ قال سعد: إنّي لمّا رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت لبعيري هخ[2] فأنخته حتّى إذا استقرّت مضيت، قال: والله لقد قرأت المصحف يوماً بين الدفتين ما وجدت فيه هخ؟ فقال: أمّا إذا أبيت فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت مع الحق والحق معك، قال: لتجيئني بمن سمعه معك أو لأفعلنّ؟ قال: أُم سلمة، قال: فقام وقاموا معه حتّى دخلوا على أُم سلمة، قال: فبدأ معاوية فتكلّم، فقال: يا أُم المؤمنين إنّ الكذابة قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله بعده، فلا يزال قائل يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقل، فإنّ سعداً روى حديثاً زعم أنّك سمعته معه، قالت: ما هو؟ قال: زعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت مع الحق والحق معك، قالت: صدق، في بيتي قاله، فأقبل على سعد فقال: الآن ألزم ما كنت عندي، والله لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما زلت خادماً لعلي حتّى أموت.

قلت: فانظر هداك الله إلى سلوك طريقه، وأيّدك بمعرفة توضح لك بطل كلّ أمر

---

(١) أي انفتل كلّه نحو هذا.

(٢) كلمة يتكلّم بها عند إناخة البعير.

من حقّه، إلى معاوية واستمراره على بغيه، وعنقه[١] في سبل غيّه، ومكابرته الحق اللائح، وتنكّبه الجدد الواضح، وعدوله عن السنن، وبقائه على غمط حقّ أبي الحسن، وكيف تستر الشمس بالنقاب، أو يقاس الشراب بالسراب، فإنّه قد أبان في هذا الحديث عن عدّة أُمور تدلّ على بهتانه، وتنبيء أنّه ثنى عن الهدى فضل عنانه، وركب هواه جامحاً في باطله تابعاً لشيطانه، وملك حبّ الدنيا قلبه فقاده في أشطانه، وصدفه عن الآخرة فما تخطر على قلبه ولا تجري على لسانه.

وبيان ذلك أنّه قد يغلب على الإنسان هواه عند ميل نفسه إلى أمر ما فيعمى عن الحق ويضلّ عن الصواب، ويترك الهدى كما قيل: حبّك الشيء يُعمي ويصم، فلا يزال خابطاً في جهالته، راكباً لهواه، متّبعاً ميل نفسه، حتّى إذا بلغ غرضه ونال منيّته، وسكنت دواعيه الهائجة، وقرّت نفسه التواقة الشايرة، راجع الحق وعرفه، ولام هواه وعنفه، واسترجع وندم وأضرب عن ذلك الأمر ونسيه أو تناساه، وأحب أن لا يذكر ولا تجري به الألسنة، وسكت من عساه يفيض فيه وبكته، وعادى من أعاده ورده ونكبه، وعرف أنّه كان مخطئاً غير مصيب، وتعلّل بأنّه جرى القضاء وفات الأمر ونفذ السهم.

وهذا معاوية كان أعرف الناس بفضل علي عليه السلام وشرفه واستحقاقه هذا الأمر ومكانه وقرابته من النبي صلى الله عليه وآله، فغلب حب الدنيا معرفته، وترك حظّه من الآخرة، وفعل ما فعل من حرب علي عليه السلام ومناصبته، وخسر الدنيا والآخرة بما أقدم عليه، ثمّ هو بعد بلوغه ما أراد وانتقال أميرالمؤمنين عليه السلام إلى جوار الله تعالى مستمرّ على ما كان عليه، لا يراقب الله ولا رسوله ولا يستحيي من الصحابة ناطقاً بملء فيه، أما كنت أحقّ وأولى بهذا الأمر من ابن عمّك؟ ثمّ جعله الدليل على استحقاقه كون ابن عمّه عثمان، وهل هذا إلّا جهل محض أو تغاب عن الحق، وقوله لسعد: لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا استهانة بالله ورسوله، واستخفاف بجلة الصحابة وجرأة على قول المحال، ثمّ انكاره ما أورده سعد حتّى سأل عنه أُم سلمة، وهذا القول وأمثاله من النبي صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام أشهر من فلق الصباح، ثمّ حلفه أنّي لو سمعت هذا لكنت خادماً لعلي حتّى أموت، وبداية العقول تقتضي كذبه وفجوره، فإنّه عرف من فضل علي أكثر من هذا،

---

(١) العنق ـ محركة ـ: سير للدابة.

ونبّهه علي عليه السلام فيما كاتبه به، وعرفه ما يلزمه فما ارعوى، ثمّ على تقدير صدقه وتصديقه أنّ الحق مع علي بما شهد به عنده سعد وأُم سلمة فعلي عليه السلام قد سلّم هذا الأمر إلى ابنه الحسن عليه السلام بذلك الحق الذي هو معه، فهلا سلّم الأمر إليه عملاً بما قد استثبته؟ وهيهات أن يميل ذلك الإنسان إلى حق أو يرغب في هدى، وقد طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة ونعوذ بالله تعالى.

ومنه عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الحق مع علي وعلي مع الحق، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

ومنه عن أُم سلمة قالت: علي مع الحق من اتّبعه اتّبع الحق، ومن تركه ترك الحق، عهد معهود قبل موته.

ومنه عنها وقد تقدّم مثله قالت: والله إنّ علي بن أبي طالب لعلى الحق قبل اليوم عهداً معهوداً وقضاءاً مقضياً.

ومنه عن أبي اليسر عن أبيه قال: كنّا عند عائشة فقالت: من قتل الخوارج؟ فقلت: قتلهم علي بن أبي طالب، فقالت: كذبت، فقلت: ماكان أغناني يا أُم المؤمنين أن تكذبيني، قال: فدخل مسروق، فقالت: من قتل الخوارج؟ فقال: قتلهم علي بن أبي طالب وذكروا ذاالثدية، فقالت: ما يمنعني أن أقول الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله سمعته يقول: علي مع الحق والحق معه.

ومنه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنّ الحق معك والحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك.

ومنه عن أبي رافع أنّه دخل على أُم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فأخبرها بيوم الجمل، فقالت: إلى أين طار قلبك إذ طارت القلوب مطائرها؟ قال: كنت يا أُم المؤمنين مع علي بن أبي طالب، قالت: أحسنت وأصبت، أمّا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يرد علي الحوض وأشياعه والحق معهم لا يفارقونه.

ومنه عن أبي رافع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون علياً وهو على الحق وهم على الباطل، يكون حقّاً في الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فيجاهدهم بلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فيجاهدهم بقلبه، وليس وراء ذلك شيء. قال: قلت: ادع الله لي إن أدركتهم أن يعينني ويقويني على قتالهم، فلمّا بايع الناس علي بن أبي طالب وخالفه معاوية وسار طلحة والزبير إلى البصرة، قلت: هؤلاء

القوم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال، فباع أرضه بخيبر وداره بالمدينة، يقوى بها هو وولده، ثمّ خرج مع علي بجميع أهله وولده، وكان معه حتّى استشهد علي عليه السلام فرجع إلى المدينة مع الحسن ولا أرض له بالمدينة ولا داراً، فأقطعه الحسن عليه السلام أرضاً بينبع من صدقة علي عليه السلام وأعطاه داراً.

ومنه عن أبي موسى الأشعري قال: أشهد أنّ الحقّ مع علي ولكن مالت الدنيا بأهلها، ولقد سمعت النبي ﷺ يقول له: يا علي أنت مع الحق والحق بعدي معك.

ومنه عن أبي حيان التيمي[1] عن أبيه عن علي أنّ النبي ﷺ قال: رحم الله علياً، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار.

ومنه أنّ عائشة لمّا عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة، فقال لها أخوها محمّد: أنشدك بالله أتذكرين يوم حدّثتني عن النبي ﷺ أنّه قال: الحق لن يزال مع علي وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا؟ فقالت: نعم.

ومنه عن مسروق قال: سألتني عائشة عن أصحاب النهروان عن ذي الثدية، فأخبرتها، فقالت: يا مسروق أتستطيع أن تأتيني بأناس ممّن شهدوا فأتيتها من كلّ سبع برجل فشهدوا أنّهم رأوه وشهدوه، فقالت: رحم الله علياً إنّه كان على الحق، ولكنّني كنت امرأة من الأحماء[2].

ومنه لمّا أُصيب زيد بن صوحان يوم الجمل، أتاه علي عليه السلام وبه رمق، فوقف عليه أميرالمؤمنين عليه السلام وهو لما به، فقال: رحمك الله يا زيد فوالله ما عرفتك إلّا خفيف المؤنة كثير المعونة، قال: فرفع إليه رأسه فقال: وأنت يرحمك الله، فوالله ما عرفتك إلّا بالله عالماً، وبآياته عارفاً، والله ما قاتلت معك من جهل، ولكنّي سمعت حذيفة بن اليمان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ألا وإنّ الحق معه يتبعه ألا فميلوا معه.

ومنه عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

---

(١) وفي بعض النسخ «التميمي» والظاهر ما اخترناه وهو يحيى بن سعيد بن حيان المتوفى سنة ١٤٥ وهو من الثقات عند العامة.

(٢) الأحماء: أقارب الزوج وسيأتي الحديث بلفظ آخر وفيه «وما كان بيني وبينه إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها».

وبالإسناد لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة.

ومنه قال شهر بن حوشب: كنت عند أُم سلمة رضي الله عنها فسلّم رجل، فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت، ادخل، فدخل فرحّبت به وقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: مع علي بن أبي طالب، قالت: وفّقت، والذي نفس أُم سلمة بيده لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبدالله ابن أبي أُميّة وأمرتهما أن يقاتلا مع علي من قاتله، ولولا أنّ رسول الله أمرنا أن نقرّ في حجالنا[1] وفي بيوتنا لخرجت حتّى أقف في صفّ علي عليه السلام.

في بيان أنّه عليه السلام أفضل الأصحاب

قد سبق فيما أوردناه من رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في تفضيل بني هاشم على سبيل الإجمال ما فيه غنية وبلاغ. ووصفنا ما ورد ونقل من شرف نسبه ومكانه من قريش، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلمه الذي اشتهر وفاق به الأصحاب كافة، وحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله له وأمره بمحبّته والكون من أتباعه وأصحابه، والنهي عن التخلّف عنه، وكونه مع الحق والقرآن وكونهما معه لا يفارقانه حتّى يردا معه الحوض يوم القيامة، حسب ما رواه الرواة والأثبات من علماء الجمهور نقلاً عن جلّة الصحابة وأعيان التابعين ما يكتفى به، ومن اراد الحق وطلبه ورغب في الهدى ومال إليه. فأمّا من جنح إلى الهوى وتورّط في العمى وتبع كلّ ناعق، فذاك لا يهتدي إلى صواب، ولا يفرق بين مسألة وجواب، فهو يخبط خبط عشواء[2]، ويهوي على أُم رأسه في غياهب الظلماء[3]، ولا يتبع دليلاً ولا يسلك سبيلاً، ضال تابع ضلال وجاهل مقلد جهال، فلا طمع في هدايته، ولا رغبة في إنقاذه من هوّة غوايته[4]، وإنّما خاطب الله تعالى ذوي العلم وأرباب الفهم، الذين عضدهم الله بمعاونة التوفيق، وهداهم إلى

---

(١) الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس، وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرة والستور.

(٢) العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيديها كلّ شيء إذا مشت لا تتوقّى شيئاً وقولهم «هو يخبط خبط عشواء» أي يتصرّف في الأمور على غير بصيرة.

(٣) الغياهب جمع الغيهب: الشديد السواد من الليل.

(٤) الهوة: ما انهبط من الأرض.

سواء الطريق، فهم يستخرجون الغوامض بالفكر الدقيق، وينظرون إلى الغيب من وراء ستر رقيق وقليل ما هم.

ونذكر هاهنا ما ورد في تفضيله ﷺ على الأصحاب صريحاً والله المستعان.

نقلت من مناقب الخوارزمي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: قم بنا يا بريدة نعود فاطمة، فلمّا أن دخلنا عليها أبصرت أباها دمعت عيناها، قال: ما يبكيك يا ابنتي؟ قالت: قلّة الطعم وكثرة الهم وشدّة السقم، قال لها: أما والله ما عند الله خير ممّا ترغبين إليه، يا فاطمة أما ترضين إنّي زوّجتك خير أمّتي أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأفضلهم حلماً، والله إنّ ابنيك سيّدا شباب أهل الجنّة.

وقريب منه ما نقلته من كتاب الذريّة الطاهرة للدولابي[1] بخط الشيخ ابن وضاع قال: لمّا بلغ فاطمة تزويجها بعلي بكت فدخل عليها رسول الله ﷺ فقال: مالك يا فاطمة تبكين؟ فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأوّلهم سلماً.

ومن مسند أحمد بن حنبل عن معقل بن يسار قال: وضأت النبي ﷺ[2] ذات يوم فقال: هل لك في فاطمة نعودها؟ فقلت: نعم، فقام متوكّئاً عَلَيّ فقال: أمَا إنّه سيحمل ثقلها غيرك، ويكون أجرها لك، قال: فكأنّه لم يكن عَلَيّ شيء حتّى دخلنا على فاطمة، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتدّ حزني واشتدّت فاقتي وطال سقمي.

حدّثنا عبدالله قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال: أوما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أمّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً.

ومن مناقب الخوارزمي عن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ قال: لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة.

ومنه عن ابن عباس قال: أُتي النبي ﷺ بطائر، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك، فجاء علي بن أبي طالب ﷺ فقال: اللهمّ واله.

---

(١) نسبة إلى دولاب موضع في شرقي بغداد واسمه كما في كشف الظنون محمّد بن أحمد وهو الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣١٠ من أجزاء الحديث.

(٢) أي ناولته ماءاً للوضوء أو صببت الماء على يده ليتوضّأ.

ومنه عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاءه علي فأكل معه.

قال عليه السلام: أخرج أبو عيسى الترمذي هذا الحديث في جامعه وذكره النسائي في حديثه.

وبالإسناد عن أبي عيسى الترمذي هذا، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بسب علي، فامتنع، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أمّا ما ذكرت فثلاث قالهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم[1]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي وخلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي عليه السلام: يا رسول الله، تخلفني مع الصبيان والنساء؟ فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: أدعوا لي علياً، قال: فأتاه وبه رمد، فبصق في عينه فدفع الراية إليه، ففتح الله عليه وأنزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[2] الآية، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي.

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه.

قال عليه السلام: قوله صلى الله عليه وآله أما ترضى أن تكون معي بمنزلة هارون من موسى أخرجه الشيخان في صحيحيهما بطرق كثيرة.

قلت: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق كثيرة أيضاً، وأمّا حديث الراية فقد أخرجه مسلم في صحيحه، ونظم ذلك حسّان بن ثابت[3]، فقال:

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواءاً فلمّا لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقياً وبورك راقيا

---

(١) الحمر جمع الأحمر وهو من الإبل: مالم يخالط حمرته شيء وهو أصبر الإبل على الهواجر واشتداد الحر. والنعم. الإبل.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) ونسب الأشعار في المناقب إلى خزيمة بن ثابت.

وقال سأعطي الراية اليوم فارساً كميّاً شجاعاً في الحروب محاميا[١]
يحبّ الإله والإله يحبّه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخصّ به دون البريّة كلّها عليّاً وسمّاه الوصيّ المواخيا

وقد تقدم ذكرنا لهذا الحديث.

وأمّا آية المباهلة فيجب أن تذكر في أخبار النبي ﷺ والحال فيها مشهور والإجماع عليها معلوم، وقد ذكرت هذا الحديث قبل، فأمّا المباهلة وسببها فإنّي أذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى.

ومن كتاب المناقب عن جابر بن عبدالله ﷺ أنّه قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن مضطجعون في المسجد، وفي يده عسيب[٢] رطب فقال: ترقدون في المسجد؟ قلنا: قد أجفلنا[٣] وأجفل علي معنا، فقال رسول الله ﷺ: تعال يا علي إنّه يحلّ لك في المسجد ما يحلّ لي، ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوّة، والذي نفسي بيده إنّك لذائد[٤] عن حوضي يوم القيامة تذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الضال عن الماء بعصاً لك من عوسج، كأنّي أنظر إلى مقامك من حوضي.

ومنه عن علي ﷺ قال: وجعت وجعاً فأتيت النبي ﷺ فأنامني في مكانه وقام يصلّي، فألقى عَلَي طرف ثوبه فصلّى ما شاء الله، ثمّ قال: يا ابن أبي طالب قد برأت فلا بأس عليك ما سألت الله تعالى شيئاً إلّا وسألت لك مثله، ولا سألت الله شيئاً إلّا أعطانيه إلّا أنّه قال: لا نبي بعدك.

ومنه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيهنّ أحد من قريش: أنت أوّلهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم في القضية، وأعظمهم عند الله يوم القيامة مزية.

قال صاحب كفاية الطالب هذا حديث حسن عال رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء وآخر الحديث: وأعظمهم عند الله عزّوجلّ مزية.

---

(١) الكمي: الشجاع. والمحامي: المدافع.

(٢) العسيب: جريد النخل وهو سعفه.

(٣) جفل الناس وأجفلوا: أسرعوا في الهرب.

(٤) والذياد: الطرد، يقال: ذدته عن كذا: طردته.

ومن كتاب المناقب عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: علي خير البريّة.

ومنه عن جابر قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ثمّ إنّ أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله تعالى، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزية، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾[1] قال: وكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: قد جاء خير البريّة.

ومنه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه سمع نبي الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب.

ومنه عن أبي أيّوب الأنصاري أنّ النبي صلى الله عليه وآله مرض مرضه فأتته فاطمة عليها السلام تعوده، فلمّا رأت ما برسول الله من الجهد والضعف استعبرت[2] فبكت حتّى سال الدمع على خدّيها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة إنّ لكرامة الله إيّاك زوّجتك من أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، إنّ الله تعالى اطّلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منهم، فبعثني نبيّاً مرسلاً، ثمّ اطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك، فأوحى لي أن أزوّجه إيّاك، وأتّخذه وصيّاً.

قلت: هذا الحديث قد أخرجه الدارقطني صاحب الجرح والتعديل أتم من هذا، وكان في عزمي أن أؤخر ذكره إلى أن أذكر الإمام الخلف الحجة عليه السلام لكنّي ذكرته هنا.

ومن كتاب كفاية الطالب عن الدارقطني عن رجاله عن أبي هارون العبدي قال: أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له: هل شهدت بدراً؟ فقال: نعم، فقلت: ألا تحدّثني بشيء ممّا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في علي وفضله؟ فقال: بلى أخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرض مرضة نقه منها[3] فدخلت عليه فاطمة عليها السلام تعوده وأنا جالس عن يمين

---

(١) البيّنة: ٧.

(٢) أي جرت عبرتها.

(٣) نقه من مرضه ـ بالكسر ـ نقهاً: إذا صحّ وهو في عقب علّته.

رسول الله ﷺ فلمّا رأت ما برسول الله من الضعف خنقتها العبرة حتّى بدت دموعها على خدّها، فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: أخشى الضيعة يا رسول الله، فقال: يا فاطمة أما علمت أنّ الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبيّاً، ثمّ اطلع ثانية فاختار منهم بعلك، فأوحى إليّ فأنكحته واتّخذته وصيّاً، أما علمت أنّك بكرامة الله إيّاك زوّجك أعلمهم علماً وأكثرهم حلماً وأقدمهم سلماً، فضحكت واستبشرت، فأراد رسول الله أن يزيدها مزيد الخير كلّه الذي قسمه الله لمحمّد وآل محمّد فقال لها: يا فاطمة، ولعلي ثمانية أضراس[1]: إيمانه بالله ورسوله، وحكمته، وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف، والنهي عن المنكر، يا فاطمة، إنّا أهل البيت أُعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأوّلين، ولم يدركها أحد من الآخرين غيرنا: نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمّ أبيك، ومنّا سبطا هذه الأُمّة وهما ابناك، ومنّا مهديّ هذه الأُمّة الذي يصلّي خلفه عيسى، ثمّ ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهديّ الأُمّة.

قال محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي: هكذا أخرجه الدارقطني صاحب الجرح والتعديل.

قلت: قد أورده الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين في أخبار المهدي ﷺ أذكره هناك إنشاء الله وهو ابسط من هذا.

ومن مناقب الخوارزمي حدّثنا عبدالرحمان بن القاسم الهمداني، حدّثنا أبو حاتم محمّد بن محمّد الطالقاني، حدّثنا أبو مسلم عن الخالص الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن الناصح علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، عن الثقة محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الأمين موسى بن جعفر بن محمّد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الصادق جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين

---

(١) يعني مناقب.

ابن علي بن أبي طالب، عن الباقر محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن الزكي زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن البر الحسين بن علي بن أبي طالب، عن المرتضى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، عن المصطفى الأمين سيّد الأوّلين والآخرين صلّى الله عليه وآله أجمعين، أنّه قال لعلي بن أبي طالب: يا أباالحسن كلّم الشمس فإنّها تكلّمك، فقال علي عليه السلام: السلام عليك أيّها العبد المطيع لله، فقالت الشمس: وعليك السلام يا أميرالمؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، يا علي أنت وشيعتك في الجنّة، يا علي أوّل من تنشقّ عنه الأرض محمّد ثمّ أنت، وأوّل من يحيىٰ محمّد ثمّ أنت، وأوّل من يكسى محمّد ثمّ أنت، ثمّ انكبّ علي ساجداً وعيناه تذرفان بالدموع[1]، فانكبّ عليه النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا أخي وحبيبي ارفع رأسك، فقد باهى الله بك أهل سبع سماواته.

ومن المناقب قال: أنبأني الحافظ أبوالعلاء الحسن بن أحمد العطّار يرفعه إلى عبدالله بن مسعود، قال: كنت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد أصحر[2] فتنفّس الصعداء[3]، فقلت: يا رسول الله مالك تتنفّس؟ قال: يا ابن مسعود نعيت إليّ نفسي، قلت: استخلف يا رسول الله، قال: من؟ قلت: أبابكر، فسكت ثمّ تنفّس، فقلت: مالي أراك تتنفّس يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي، قلت: استخلف يا رسول الله، قال: من؟ قلت: عمر بن الخطاب، فسكت ثمّ تنفّس، فقلت: مالي أراك تتنفّس يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي، قلت: استخلف يا رسول الله، قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب، قال: أوه ولن تفعلوا إذاً أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنّكم الجنّة.

قلت: نقلت من مسند أحمد بن حنبل من المجلّد الأوّل منه عن أبي ظبيان عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي إن أنت وليت الأمر من بعدي فاخرج أهل نجران من جزيرة العرب.

عن حذيفة بن اليمان قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال: إن تولّوا عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم.

---

(١) ذرف الدمع: سال.

(٢) يقال: أصحر إذا خرج إلى الصحراء.

(٣) الصعداء: التنفس الطويل من همّ أو تعب.

وإنّما ذكرت هذا ليعلم أنّه كان صلى الله عليه وآله يميل إلى ولايته الأمرَ فيذكر ذلك مرّة تعريضاً ومرّة تصريحاً، وسأفرد فصلاً أضمنه ما أورد عنه من تسميته أميرالمؤمنين في عدّة مواضع مصرحاً بذلك في كلّ مشهد ومحفل، وعند كلّ مجمع (ولكن لا حياة لمن تنادي) وقد أنشدني بعض أصحابنا بيتين لهما نصيب من الحسن وحظ من اللطف والرشاقة، وهما:

أوصى النبي فقال قائلهم ... قد ضلّ يهجر سيّد البشر[1]
وأرى أبابكر أصاب ولم ... يهجر وقد أوصى إلى عمر

ومن كتاب مناقب الخوارزمي عن أنس بن مالك قال: أُهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله طير، فقال: اللهمّ ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فقلت: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، فذهب ثمّ جاء، فقلت له مثل ذلك، فذهب ثمّ جاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: افتح، ففتحت ثمّ دخل فقال: ما حبسك[2] يا علي؟ قال: هذه آخر ثلاث كرّات يردّني أنس، يزعم أنّك على حاجة، قال: ما حملك على ما صنعت يا أنس؟ قال: سمعت دعاءك فأحببت أن يكون في رجل من قومي، فقال النبي صلى الله عليه وآله إنّ الرجل قد يحب قومه.

ونقلت من مناقب الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي خير البشر من أبى فقد كفر، وعن حذيفة أيضاً مثله.

ومنه قال: سئل حذيفة عن علي، فقال: خير هذه الأمّة بعد نبيّها، ولا يشك فيه إلّا منافق.

ومنه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ علي بن أبي طالب خير من أخلف بعدي.

ومنه عن أبي سعيد الخدري قال: قال سلمان: رآني رسول الله صلى الله عليه وآله فناداني فقلت: لبّيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أشهدك اليوم أنّ علي بن أبي طالب خيرهم وأفضلهم.

ومنه عن أبي سعيد الخدري عن سلمان قال: قلت: يا رسول الله إنّ لكلّ نبي

---

(١) إشارة إلى قول عمر عند موت النبي صلى الله عليه وآله: دعو الرجل فإنّه ليهجر، حسبنا كتاب الله.

(٢) وفي بعض النسخ «ما حسبك».

وصي، فمن وصيّك؟ فسكت عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: يا سلمان، فأسرعت إليه وقلت: لبّيك، قال: تعلم من وصيّ موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون، قال: لم؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ، قال: فإنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه عن أنس بن مالك قال: حدّثني سلمان الفارسي أنّه سمع رسول الله يقول: إنّ أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب.

ورواه صديقنا العز المحدّث الحنبلي مرفوعاً إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي أخي وصاحبي وابن عمّي وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي.

وعن أنس عن سلمان قال: قلت: يا رسول الله عمّن نأخذ بعدك، وبمن نثق؟ قال: فسكت عنّي حتّى سألت عشراً، ثمّ قال: يا سلمان، إنّ وصيّي وخليفتي وأخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب يؤدّي عنّي وينجز موعدي.

ومنه عن سلمان عليه السلام قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: هل تدري من كان وصيّ موسى؟ قلت: يوشع بن نون، قال: فإنّ وصيّي في أهلي وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله.

ومنه عن أبي رافع عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت خير أمّتي في الدنيا والآخرة.

ومنه عن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير من يمشي على وجه الأرض بعدي علي بن أبي طالب.

ومنه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي خير من تركت بعدي.

ومنه عن أنس أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ خليلي ووزيري وخليفتي وخير من أترك[1] بعدي، يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه عن عطية بن سعد قال: دخلنا على جابر بن عبدالله وهو شيخ كبير فقلنا: أخبرنا عن هذا الرجل علي بن أبي طالب، فرفع حاجبيه ثمّ قال: ذلك من خير البشر. منه عن عطيّة مثله بعدّة روايات.

---

(١) وفي نسخة «أخلف» بدل «أترك».

ومنه سئل جابر عن علي فقال: كان خير البشر.

وفي رواية فقيل له: وما تقول في رجل يبغض علياً؟ قال: ما يبغض علياً إلّا كافر.

ومنه عن سالم بن أبي الجعد قال: تذاكروا فضل علي عند جابر بن عبدالله، فقال: وتشكّون فيه؟ فقال بعض القوم: إنّه قد أحدث، قال: ولا يشكّ فيه إلّا كافر أو منافق.

وفي رواية قال: كان خير البشر، قلت: يا جابر كيف تقول فيمن يبغض علياً؟ قال: ما يبغضه إلّا كافر.

ومنه عن جابر بن عبدالله قال: بعث النبي الوليد بن عقبة إلى بني وليعة وكان بينهم شحناء في الجاهليّة، فلمّا بلغ بني وليعة استقبلوه لينظروا ما في نفسه، قال: فخشي القوم فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ بني وليعة أرادوا قتلي ومنعوا الصدقة، فلمّا بلغ بني وليعة الذي قال عنهم الوليد لرسول الله ﷺ أتو رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، والله لقد كذب الوليد، ولكنّه قد كانت بيننا وبينه شحناء فخشينا أن يعاقبنا بالذي كان بيننا، فقال رسول الله ﷺ لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً عندي كنفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم وهو هذا خير من ترون وضرب على كتف علي بن أبي طالب وأنزل الله في الوليد بن عقبة ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ** ﴾[1] إلى آخرها.

ومنه عن عطاء قال: سألت عائشة عن علي ﷺ فقالت: ذاك من خير البرية، ولا يشك فيه إلّا كافر.

ومنه عن ابن أبي اليسر الأنصاري عن أبيه قال: دخلت على أُم المؤمنين عائشة، قال: فقالت: من قتل الخارجية؟ قال: قلت: قتلهم علي، قالت: ما يمنعني الذي في نفسي على علي أن أقول الحق: سمعت رسول الله يقول: يقتلهم خير أُمّتي من بعدي وسمعته يقول: علي مع الحق والحق مع علي ﷺ.

ومنه عن مسروق قال: دخلت على عائشة فقالت لي: من قتل الخوارج؟ فقلت: قتلهم علي، قال: فسكتت، قال: فقلت لها: يا أُم المؤمنين إنّي أنشدك بالله وبحقّ

---

(١) الحجرات: ٦.

نبيّه صلى الله عليه وآله إن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أخبرينيه، قال: فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة وأعظمهم عند الله تعالى يوم القيامة وسيلة.

ومنه عن مسروق أيضاً قال: قالت لي عائشة: يا مسروق إنّك من أكرم بني عَلَيّ وأحبّهم إليّ فهل عندك علم من المُخدَج[1]؟ قال: قلت: نعم قتله علي على نهر يقال لأسفله تامرّا وأعلاه النهروان بين أخافيق[2] وطرفا، قال: فقالت: فأتني معك بمن يشهد، قال: فأتيتها بسبعين رجلاً من كلّ سبع عشرة، وكان الناس إذ ذاك أسباعاً، فشهدوا عندها أنّ عليّاً قتله على نهر يقال لأسفله تامرا وأعلاه النهروان بين أخافيق وطرفا، قالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنّه كتب إليّ أنّه قتله على نيل مصر، قال: قلت: يا أمّ المؤمنين أخبريني أيّ شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

ومنه عن مسروق أيضاً من حديث آخر حيث شهد عندها الشهود فقالت: قاتل الله عمرو بن العاص فإنّه كتب إليّ أنّه أصابه بمصر، قال يزيد بن زياد: فحدّثني من سمع عائشة وذكر عندها أهل النهر، فقالت: ما كنت أحب أن يولّيه الله إيّاه، قالوا: ولم ذلك؟ قالت: لأنّي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّهم شرار أمّتي، يقتلهم خيار أمّتي، وما كان بيني وبينه إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها[3].

وبالإسناد عنه إنّها قالت: أكتب لي بشهادة من شهد مع علي النهروان، فكتبت شهادة سبعين ممّن شهده، ثمّ أتيتها بالكتاب، فقلت: يا أُم المؤمنين لِمَ استشهدت؟ قالت: إنّ عمرو بن العاص أخبرني أنّه أصابه على نيل مصر، قال: يا أُم المؤمنين أسألك بحقّ الله وبحقّ رسوله وحقّي عليك إلّا ما أخبرتني بما سمعت من رسول الله فيه؟ قالت: إذ نشدتني فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة.

---

(١) وهو ذوالثدية رئيس الخوارج سمّي بذلك لأنّه كان مخدج اليد أي ناقصها.

(٢) الأخافيق شقوق في الأرض، وفي الحديث: فوقصت به ناقته في أخافيق جردان. وقال الأصمعي: إنّما هي لخافيق، واحدها لخفوق. وقال الأزهري: هي صحيحة ما جاءت في الحديث أخافيق.

(٣) الأحماء: أقارب الزوج وقد مر.

وفي آخر عنه إنّها سألته وأخبرها أنّ علياً قتلهم، فقالت: انظر ماتقول، قلت: والله لهو قتلهم، فقالت مثل ما تقدّم وزادت فيه ـ وإجابة دعوة ـ. وأورده صديقنا العزّ المحدّث الحنبلي الموصلي أيضاً، وقد ورد هذا عن مسروق عن عائشة بعدّة طرق اقتصرنا منها على ما أوردناه.

ومنه عن سليمان بن بريدة عن أبيه أنّ النبي ﷺ قال لفاطمة: إنّ زوجك[1] خير أُمّتي أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً.

ونقلت من كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد قال: أخبرني بعض الثقات عن رجاله قالوا: دخل أحمد بن حنبل إلى الكوفة وكان فيها رجل يظهر الإمامة، فسأل الرجل عن أحمد ما له لا يقصدني؟ فقالوا له: إنّ أحمد ليس يعتقد ما تظهر فلا يأتيك إلّا أن تسكت عن إظهار مقالتك له، قال: فقال: لابدّ من إظهاري له ديني ولغيره، وامتنع أحمد من المجيء إليه، فلمّا عزم على الخروج من الكوفة قالت له الشيعة: يا أبا عبدالله أتخرج من الكوفة ولم تكتب عن هذا الرجل؟ فقال: ما أصنع به لو سكت عن إعلانه بذلك كتبت عنه، قالوا: ما نحب أن يفوتك مثله، فأعطاهم موعداً على أن يتقدموا إلى الشيخ أن يكتم ما هو فيه، وجاؤا من فورهم إلى المحدّث[2] وليس أحمد معهم، فقالوا: إنّ أحمد عالم بغداد، فإن خرج ولم يكتب عنك فلابدّ أن يسأله أهل بغداد لِمَ لم تكتب عن فلان؟ فتشهر ببغداد وتلعن، وقد جئناك نطلب حاجة، قال: هي مقضية، فأخذوا منه موعداً وجاؤا إلى أحمد وقالوا: قد كفيناك، قم معنا، فقام، فدخلوا على الشيخ، فرحّب بأحمد ورفع مجلسه وحدّثه ما سأله فيه أحمد من الحديث، فلمّا فرغ أحمد مسح القلم وتهيّأ للقيام، فقال له الشيخ: يا أبا عبدالله، لي إليك حاجة، قال له أحمد: مقضية، قال: ليس أحب أن تخرج من عندي حتّى أعلمك مذهبي، فقال أحمد: هاته، فقال له الشيخ: إنّي أعتقد أنّ امير المؤمنين صلوات الله عليه كان خير الناس بعد النبي ﷺ وإنّي أقول إنّه كان خيرهم وإنّه كان أفضلهم وأعلمهم، وإنّه كان الإمام بعد النبي ﷺ، قال: فما تمّ كلامه حتّى أجابه أحمد فقال: يا هذا وما عليك في هذا القول قد تقدمك في هذا القول أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ: جابر وأبو ذر والمقداد

---

(١) وفي نسخة «إنّي زوّجتك».

(٢) يقال: مشيت إلى موضع كذا وكذا وعدت من فوري من قبل أن أسكن.

وسلمان، فكاد الشيخ يطير فرحاً بقول أحمد، فلمّا خرجنا شكرنا أحمد ودعونا له.

ومن كتاب كفاية الطالب عن حذيفة بن اليمان قال: قالوا: يا رسول الله، ألا تستخلف علياً؟ قال: إن تولّوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم، قال: هذا حديث حسن عال.

ومنه عن ابن التيمي عن أبيه قال: فضّل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بمائة منقبة وشاركهم في مناقبهم، قال: ابن التيمي هو موسى بن محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ثقة ابن ثقة أسند عنه العلماء والأثبات ورواه غيره مرفوعاً لكن لم يعتمد عليه.

ونقلت من كتاب الأربعين للحافظ أبي بكر محمّد بن أبي نصر بن أبي بكر اللفتواني عن عطاء بن ميمون عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعلي حجّة الله على عباده.

قلت: وقد أورده صديقنا العزّ المحدّث الحنبلي الموصلي عن أنس أنّه قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي بن أبي طالب فقال: يا أنس، أنا وهذا حجّة الله على خلقه.

قلت: هذا الحديث دليل على أنّ مكانة أميرالمؤمنين عليه السلام لا يدانيها أحد من الناس، وأنّ محلّه من رسول الله صلى الله عليه وآله عالي البناء، محكم الأساس، وأنّ شرفه قد بلغ الغاية التي تحير صفتها الألباب، ويعجز إدراكها الأصحاب، ويجب على العقلاء أن يلقوا إليها بالمقاليد إذعاناً لشأوها البعيد[1]، فإنّه جعل حاله مثل حاله، ونزله منزلته في هذا وفي كثير من أقواله، ومن كان حجّة على العباد فمن ينسج منواله، أو يحذو على مثاله، أم كيف يمنع عن أفعاله وهو حجّة على الناس وهم من عياله صلى الله عليه وآله.

ونزيده إيضاحاً وهو أنّ هذا يدلّ على أنّ كلّما كان للنبي صلى الله عليه وآله فلعلي مثله، لاشتراكهما في أنّهما حجّة الله على عباده، فأمّا النبوّة فإنّها خرجت بدليل آخر، فبقي ما عداها من الولاية عليهم، وجباية خراجهم، وقسمته بينهم، وإقامة حدودهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا واضح لمن تأمّله وأنصف.

---

(١) الشأو: الأمد والغاية، يقال فلان بعيد الشأو.

في وصف زهده في الدنيا وسنّته في رفضها وقناعته باليسير منها وعبادته

قال الخوارزمي ونقلته من مناقبه عن أبي مريم قال: سمعت عمّار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي، إنّ الله تعالى زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة هي أحبّ إليه منها: زهّدك فيها وبغّضها إليك، وحبّب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً، يا علي، طوبى لمن أحبّك وصدق عليك، والويل لمن أبغضك وكذب عليك، أمّا من أحبّك وصدق عليك فإخوانك في دينك، وشركاؤك في جنّتك، وأمّا من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذّابين.

ومنه عن عبدالله بن أبي الهذيل قال: رأيت على عليّ عليه السلام قميصاً زريّاً[1] إذا مدّه بلغ الظفر، وإذا أرسله كان مع نصف الذراع.

ومنه قال عمر بن عبدالعزيز: ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله أزهد من علي بن أبي طالب، قال: حدّثنا أبو النجيب سعد بن عبدالله الهمداني المعروف بالمروزي، قال: حدّثنا بهذا الحديث عالياً عن الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الإصفهاني.

ومنه عن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي بن أبي طالب القصر، فوجدته جالساً وبين يديه صحيفة (بالتصغير) فيها لبن حازر[2] أجد ريحه من شدّة حموضته، وفي يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسر بيده أحياناً، فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه، فقال: أدن فأصب من طعامنا هذا، فقلت: إنّي صائم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من منعه الصوم من طعام يشتهيه كان حقّاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة، ويسقيه من شرابها، قال: فقلت لجاريته وهي قائمة بقرب منه: ويحك يا فضة ألا تتّقين الله في هذا الشيخ، ألا تنخلون[3] له طعاماً ممّا أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً، قال عليه السلام: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال: بأبي

---

(١) الزري ـ بتشديد الياء ـ: الحقير الذي لا يعدّ شيئاً.

(٢) الحازر: اللبن الحامض.

(٣) نخل الدقيق: غربله وأزال نخالته.

وأمّي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام حتّى قبضه الله عزّوجلّ.

أنظر هداك الله وإيّانا إلى شدّة زهده وقناعته، فإنّ إيراده الحديث وقوله عليه السلام من منع نفسه من طعام يشتهيه دليل على رضاه بطعامه وكونه عنده طعاماً مشتهى يرغب فيه من يراه. وما ذاك لأنّه عليه السلام لا يهتدى إلى الأطعمة المتخيرة والألوان المعجبة، ولكنّه اقتدى برسول الله، ووطّن نفسه الشريفة على الصبر على جشوبة المأكل وخشونة الملبس، رجاء ما عند الله وتأسّياً برسول الله صلى الله عليه وآله فصار ذلك له ملكة وطبيعة، ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

ومنه ـ وفيه دليل على ما قلته ـ عن عدي بن ثابت قال: أُتي علي بن أبي طالب عليه السلام بفالوذج فأبى أن يأكل منه وقال: شيء لم يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وآله لا أُحب أن آكل منه.

ومنه عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي، ارفع إزارك فإنّه أتقى لثوبك وأبقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً، فمشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداء ومعه الدرّة كأنّه أعرابي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد؟ قلت: أجل رجل من أهل البصرة، قال: هذا علي أميرالمؤمنين حتّى انتهى إلى دار أبي معيط وهو سوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإنّ اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ثمّ أتى أصحاب التمر فإذا خادمة[1] تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فردّوه مواليّ فأبى أن يقبله، فقال: خذ تمرك واعطها درهمها فإنّها خادمة ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ قال: لا، قلت: علي ابن أبي طالب أميرالمؤمنين، فصبّ تمره وأعطاها درهمها، وقال: أحب أن ترضى عنّي، فقال: ما أرضاني عنك إذا وفيتهم حقوقهم، ثمّ مرّ مجتازاً بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يربو كسبكم، ثمّ مرّ مجتازاً ومعه المسلمون حتّى أتى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طاف، ثمّ أتى دار فرات وهو سوق الكرابيس[2] فقال: يا شيخ، أحسن بيعي في قميصي بثلاثة دراهم، فلمّا

---

(١) الخادم يطلق على المذكر والمؤنث، فمن المطرزي أنّه قال: الخادم واحد الخدم غلاماً كان أم جارية، والمراد هنا هو الثاني، وفي بعض النسخ «خادمة».

(٢) جمع الكرباس.

عرفه لم يشتر منه شيئاً، ثمّ أتى آخر فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه مابين الرسغين[١] إلى الكعبين، وقال حين لبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش[٢] ما أتجمّل به في الناس أواري به عورتي، فقيل له: يا أميرالمؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله؟ قال: بل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله عند الكسوة، فجاء أبو الغلام صاحب الثوب، فقيل: يا فلان قد باع ابنك اليوم من أميرالمؤمنين عليه السلام قميصاً بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهمين! فأخذ أبوه درهماً وجاء به إلى أميرالمؤمنين وهو جالس على باب الرحبة ومعه المسلمون، فقال: أمسك هذا الدرهم يا أميرالمؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن قميصك درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذ رضاه.

ومنه عن قبيصة بن جابر قال: ما رأيت أزهد في الدنيا من علي بن أبي طالب عليه السلام.

ونقلت من كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد قال أميرالمؤمنين عليه السلام وقد أمر بكنس بيت المال ورشّه فقال: يا صفراء غرّي غيري، يا بيضاء غرّي غيري، ثمّ تمثّل شعراً:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه[٣]

ومنه قال ابن الأعرابي: إنّ عليّاً دخل السوق وهو أميرالمؤمنين، فاشترى قميصاً بثلاثة دراهم ونصف، فلبسه في السوق فطال أصابعه فقال للخياط: قصّه[٤]، قال:

---

(١) الرسغ: مفصل مابين الساعد والكف والساق والقدم.

(٢) الرياش: اللباس الفاخر.

(٣) الجنى: المجنى ويروى (هذا جناي وهجانه فيه) والهجان البيض وهو أحس البياض وأعتقه، وأوّل من تكلّم بهذا المثل عمرو بن عدي بن أخت جذيمة، وذلك أنّ جذيمة خرج مبتدياً بأهله وولده في سنة مكلئة وضربت أبنية في زهر وروضة فأقبل ولده يجتنون الكماة فإذا أصاب كماة جيدة أكلها وإذا أصابها عمرو خبأها في حجزته، فأقبلوا يتعادون إلى جذيمة وعمرو يقول ـ وهو صغير ـ:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه

فضمّه جذيمة إليه والتزمه وسرّ بقوله وفعله وأمر أن يصاغ له طوق، فكان أوّل عربي طوّق، وكان يقال له عمرو ذوالطوق وهو الذي قيل فيه المثل المشهور: كبر عمرو عن الطوق. وتقدير المثل: هذا ما اجتنيه ولم آخذ لنفسي خير ما فيه إذ كلّ جان يده مائلة إلى فيه يأكله. (كذا في مجمع الأمثال).

(٤) قصّ الشيء: قطعته.

فقصّه، قال الخياط: أحوصه[1] يا أميرالمؤمنين؟ قال: لا، ومشى والدرة على كتفه وهو يقول: شرعك[2] ما بلغك المحل، شرعك ما بلغك المحل.

قال ابن طلحة: حقيقة العبادة هي الطاعة، وكلّ من أطاع الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فهو عابد، ولمّا كانت متعلّقات الأوامر الصادرة من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله متنوعة كانت العبادة متنوعة فمنها الصلاة، ومنها الصدقة، ومنها الصيام إلى غيرها من الأنواع، وفي كلّ ذلك كان عليّ عليه السلام غاية لا تدرك، وكان متحلّياً بها، مقبلاً عليها حتّى أدرك بمسارعته إلى طاعة الله ورسوله ما فات غيره، وقصر عنه سواه، فإنّه جمع بين الصلاة والصدقة، فتصدّق وهو راكع في صلاته، فجمع بينهما في وقت واحد، فأنزل الله تعالى فيه قرآناً تتلى آياته وتجلّى بيّناته.

قال أبو إسحاق أحمد بن محمّد الثعلبي في تفسيره يرفعه بسنده قال: بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا قال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلّا فصمّتا، ورأيته بهاتين وإلّا فعمّيتا، يقول عن علي: إنّه قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أمّا إنّي صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيّام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهمّ اشهد إنّي سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ في الصلاة راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى، وكان متختّماً فيها، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلّي، فلمّا فرغ النبي صلى الله عليه وآله من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّ أخي موسى عليه السلام سألك فقال: ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي** *

---

(١) الحوص: الخياطة.

(٢) حسبك أي كفاك.

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[١] فأنزلت فيه[٢] قرآناً ناطقاً: **﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾**[٣] اللهمّ أنا محمّد نبيّك وصفيّك، فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخي، أشدد به أزري[٤]، قال أبو ذر: فما استتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ فقال: يا محمّد، اقرأ، فأنزل الله عليه: **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾**[٥].

وقال الثعلبي عقيب هذه القصة: سمعت أبا منصور الحمشادي يقول: سمعت محمّد بن عبدالله الحافظ يقول: سمعت أباالحسن علي بن الحسين يقول: سمعت أباحامد محمّد بن هارون الحضرمي يقول: سمعت محمّد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنهم من الفضائل ما جاء لعلي.

وفي إيراده قول أحمد عقيب هذه القصة إشارة إلى أنّ هذه المنقبة العليّة وهي الجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين البدنية والمالية في وقت واحد، حتّى نزل القرآن الكريم بمدح القائم بهما، المسارع إليهما، قد اختصّ بها علي عليه السلام وانفرد بشرفها ولم يشاركه فيها أحد من الصحابة قبله ولا بعده.

أقول: صدقته بالخاتم في الصلاة أمر مجمع عليه لم يتفرّد به الثعلبي رحمه الله ورحم الله ابن طلحة، فإنّه قد جعل ذكر الثعلبي ما ذكره من قول أحمد بن حنبل بعد هذه القصة دليلاً على علوّ مقدارها وشاهداً بارتفاع منارها وغفل عمّا أورده فيها من فرح النبي صلى الله عليه وآله بها وشدّة أثرها في نفسه، وتحريكها أريحيته صلى الله عليه وآله حتّى استدعت دعاءه لعلي عليه السلام لفرط سروره به، وانفعال نفسه لفعله، فإنّها تشهد بعظم شأن هذه الفضيلة والقائم بها.

ومن ذلك ما أورده الثعلبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير أنّ الأغنياء

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٣٢.

(٢) وفي نسخة «فأنزلت عليه».

(٣) القصص: ٣٥.

(٤) وفي بعض النسخ «ظهري» بدل «أزري».

(٥) المائدة: ٥٥.

أكثروا مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتّى كره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك واستطال جلوسهم وكثرة مناجاتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾[1] فأمر بالصدقة أمام النجوى، فأمّا أهل العسرة فلم يجدوا وأمّا الأغنياء فبخلوا وخفّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وخف ذلك الزحام، وغلبوا على حبّه والرغبة في مناجاته حبّ الحطام واشتدّ على أصحابه، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام.

وقال علي عليه السلام: إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي آية المناجاة فإنّها لمّا نزلت كان لي دينار فبعته بدراهم، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدّقت حتّى فنيت فنسخت بقوله: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾[2] الآية.

ونقل الثعلبي قال: قال علي عليه السلام: لمّا نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما ترى؟ ترى ديناراً؟ فقلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: حبة أو شعيرة، فقال: إنّك لزهيد[3] فنزلت ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ الآية.

إذا اشتبهت دموع في خدود ... تبين من بكى ممّن تباكى

وقال ابن عمر: ثلاث كنّ لعليّ لو أنّ لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

قلت: لو أنّ ابن عمر نظر في حقيقة أمره وعرف كنه قدره، وراقب الله والعربية في سرّه وجهره، لم يجعل فاطمة عليها السلام من أمانيه، ولكان يوجّه أمله إلى غير ذلك من المناقب التي جمعها الله فيه، ولكن عبدالله يرث الفظاظة ويقتضي طبعه الغلاظة، فإنّه غسل باطن عينيه في الوضوء حتّى عمى وشك في قتال علي عليه السلام فقعد عنه وتخلّف وندم عند موته.

قال ابن عبدالبر صاحب كتاب الإستيعاب قال: قال عبدالله بن عمر عند موته:

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

(٣) الزهيد: القليل وكأنّه يريد مقلل.

ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلّا أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب، فأشكل عليه أمر علي عليه السلام وبايع معاوية ويزيد ابنه، وحثّ ولده وأهله على لزوم طاعة يزيد والإستمرار على بيعته وقال: لا يكون أصعب من نقضها إلّا الإشراك، ومن نقضها كانت صيلم بيني وبينه، وذلك حين قام الناس مع ابن الزبير، وقد تقدم ذكر هذا، وحاله حين جاء إلى الحجاج ليأخذ بيعته لعبدالملك معلوم، والحجاج قتله في آخر الأمر بأن دسّ عليه في رخام من جرح رجله بحربة مسمومة، والغرض في جمع هذا الكتاب غير هذا.

وروى الواحدي في تفسيره أنّ علياً عليه السلام آجر نفسه ليلة إلى الصبح يسقي نخلاً بشيء من شعير، فلمّا قبضه طحن ثلثه واتخذوا منه طعاماً، فلمّا تمّ أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام وعملوا الثلث الثاني، فأتاهم يتيم فأخرجوا الطعام إليه وعملوا الثلث الثالث، فأتاهم أسير فأخرجوا الطعام إليه وطوى[1] علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وعلم الله حسن مقصدهم وصدق نياتهم، وإنّهم إنّما أرادوا بما فعلوه وجهه، وطلبوا بما أتوه ما عنده، والتمسوا الجزاء منه عزّوجلّ فأنزل الله فيهم قرآناً، وأولاهم من لدنه إحساناً، ونشر لهم بين العالمين ديواناً، وعوضهم عمّا بذلوا جناناً، وحوراً وولداناً، فقال: ﴿ **ويُطْعِمُون الطّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسكيناً وَيتيماً وأسيراً** ﴾[2] إلى آخرها، وهذه منقبة لها عند الله محلّ كريم، وجودهم بالطعام مع شدّة الحاجة إليه أمر عظيم، ولهذا تتابع فيها وعده سبحانه بفنون الألطاف وضروب الأنعام والأسعاف. وقيل: إنّ الضمير في حبّه يعود إلى الله تعالى وهو الظاهر. وقيل: إلى الطعام.

واعلم أنّ أنواع العبادة كثيرة وهي متوقفة على قوّة اليقين بالله تعالى وما عنده، ما أعدّه لأوليائه في دار الجزاء، وعلى شدّة الخوف من الله تعالى وأليم عقابه نعوذ بالله منه.

وعلي عليه السلام القائل: لو كشف الغطاء ماازددت يقيناً، فشدّة يقينه دالّة على قوّة دينه، ورجاحة موازينه، وقد تظاهرت الروايات أنّه لم يكن نوع من أنواع العبادة والزهد والورع وحظّه منه وافر الأقسام، ونصيبه منه تامّ بل زائد على التمام، وما اجتمع الأصحاب على خير إلّا كانت له رتبة الإمام، ولا ارتقوا قبة مجد إلّا وله ذروة

---

(١) طوى: جاع ولم يأكل شيئاً.

(٢) الإنسان: ٨.

الغارب[١] وقلّة السنام، ولا احتكموا في قصة شرف إلّا وألقوا إليه أزمّة الأحكام.

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده في حليته أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي، إنّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى، الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ منك الدنيا شيئاً[٢].

وقد أورده صاحب كفاية الطالب أبسط من هذا قال: سمعت أبا مريم السلولي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي إنّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، الزهد في الدنيا، وجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً ولا تنال منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فرضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأمّا الذين أحبّوك وصدقوا فيك فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأمّا الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذابين[٣] يوم القيامة، وذكره ابن مردويه في مناقبه.

فقد ثبت لعلي الزهد في الدنيا بشهادة النبي صلى الله عليه وآله له بذلك، ولا يصح الزهد في الشيء إلّا بعد معرفته والعلم به، وعلي عليه السلام عرف الدنيا بعينها، وتبرّجت له فلم يحفل بزينتها لشينها، وتحقّق زوالها فعاف وصالها[٤]، وتبيّن انتقالها فصرم حبالها[٥]، واستبان قبح عواقبها وكدر مشاربها فألقى حبلها على غاربها[٦] وتركها لطالبها، وتيقّن بؤسها وضررها فطلّقها ثلاثاً وهجرها، وعصاها إذ أمرته، فعصته إذ أمرها، وعلمت أنّه ليس من رجالها، ولا من ذوي الرغبة في جاهها ومالها، ولا ممّن تقوده في حبالها،

---

(١) الغارب: أعلى كلّ شيء.

(٢) أي لا تنقص منها ولا تنقص منك وارتزأ الشيء: نقص.

(٣) وفي نسخة «أن يدخلهم جهنّم».

(٤) عاف الشيء: كرهه.

(٥) صرح الحبل: انقطع.

(٦) الغارب: مابين السنام والعنق وهو الذي يلقى عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى حيث شاء، ثمّ استعير للمرأة وجعل كناية عن طلاقها، فقيل لها: حبلك على غاربك أي اذهبي حيث شئت أنت مرسلة مطلقة غير مشدودة ولا ممسكة بعقد الزواج.

وتورده موارد وبالها، فصاحبته هدنة على دخن[١]، وابتلته بأنواع المحن، وجرت في معاداته على سنن، وغالته بعده في ابنيه الحسين والحسن، وهو عليه السلام لا يزداد على شدّة اللاوآء[٢] إلّا صبراً، وعلى تظاهر الأعداء إلّا حمداً وشكراً، مستمرّاً في ذات الله، شديداً على أعداء الله، وأوفىٰ بأولياء الله، شاكراً لآلاء الله، مستمرّاً على طريقة لا يغيرها، جارياً على وتيرة لا يبدلها، آخذاً بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحول عنها، مقتفياً لآثاره لا يفارقها، واطياً لعقبه صلى الله عليه وآله لا يجاوزها، حتّى نقله الله إلى جواره واختار له داراً خير من داره، فمضى محمود الأثر مشكور الورد والصدر، مستبدلاً بدار الصفا من دار الكدر، قد لقى محمّداً صلى الله عليه وآله بوجه لم يشوهه التبديل، وقلب لم تزدهه الأباطيل.

قال علي عليه السلام يوماً وقد أحدق به الناس: أُحذّرِكُمُ الدُّنيا فإنّها مَنزِل قُلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نَجْعَةٍ[٣]، هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ شَرَّهَا بِخَيْرِهَا وَحُلوَهَا بِمُرِّهَا، لم يُصْفِها لأوليائِه وَلَم يَضنَّ بِهَا[٤] عَلَى أعدَائِه، وهيَ دارُ ممرٍّ لا دَارُ مُستقرٍ، والنَّاسُ فيها رَجُلانِ: رَجُلٌ بَاعَ نَفسهُ فأوبَقَها، ورجُل ابتَاعَ نَفسَهُ فأعتَقَها، إن أعْذَوذَبَ[٥] مِنهَا جانِبٌ فَجَلا أمرّ منها جَانِب فَأوبَى[٦]، أوّلها عَناءٌ وآخرها فَناءٌ، مَنِ استغنى فيها فُتِنَ، وَمَن افتَقَرَ فيها حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فاتَتْهُ، وَمَن قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ، وَمَن أبصَرَها بصرته، ومن أبصر إليها أعمَتْهُ، فالإنسانُ فيها غَرَضَ المَنايَا مَعَ كلّ جرعةٍ شرق[٧]، ومع كلّ أكلةٍ غصصٌ، لا ينالُ منها نِعمةً إلّا بفراق أُخرَى.

---

(١) الهدنة ـ بالضم ـ: السكون والمصالحة، والدخن ـ محركة ـ: الحقد. وقولهم «هدنة على دخن» أي صلح على فساد وسكون لعلّة لا لصلح.

(٢) اللاءواء: الشدّة والمحنة.

(٣) قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «فإنّها منزل قلعة» بضمّ القاف وسكون اللام أي ليست بمستوطنة، ويقال: هذا مجلس قلعة إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرّة بعد مرّة، ويقال: هم على قلعة أي على رحلة، ومن هذا الباب قولهم فلان قلعة إذا كان ينقلع عن سرجه ولا يثبت في البطش والصراع. والقلعة أيضاً: المال العارية. والنجعة: طلب الكلاء في موضعه، وفلان ينتجع الكلا والمنتجع: المنزل في طلب الكلاء، ومنه انتجعت فلاناً إذا أتيته تطلب معروفه.

(٤) ضنّ بالشيء: بخل به.

(٥) اعذوذب أي صار عذباً.

(٦) أمرّ الشيء: صار مرّاً. وأوبى أي صار وبياً ولين الهمز لاجل السجع، وفي نهج البلاغة هكذا: «إن جانب منها اعذوذب واحلولى، أمر منها جانب فأوبى».

(٧) الشرق: دخول الماء في الحلق حتّى يغمص به والشرق بالماء والريق ونحوهما كالغصص بالطعام.

وكلامه عليه السلام في الدنيا وصفتها والتنبيه على أحوالها ومعرفتها وكثرة خدعها ومكرها، وتنوّع افسادها وغرّها وإيلامها بليها وضرّها كثيرٌ جدّاً، وهو موجود في تضاعيف الكتب، وفي نهج البلاغة فيستغني بما هناك عن ذكرها هنا لئلّا تخرج من غرض الكتاب، ولما عَلِمَهُ من حال الدنيا رَفَضَها وتَركَها، وترفع عنها وفركها، وعاملها معاملة من لم يدركها حين أدركها، وخاف على نفسه أن تتورط في مهاويها، فما انتهجها ولا سلكها، وخشي أن تملكه بزخارفها فلم يحفل بها لمّا ملكها، واحترز من آلامها وآثامها، وخلص من أمراضها وأسقامها، وعرفها تعريف خبير بحدّها ورسمها، وأنزلها على حكمه ولم ينزل على حكمها[1]، فصار زهده مسألة إجماع لا شكّ فيه ولا إنكار، وورعه ممّا اشتهر في النواحي والأقطار، وعبادته ونزاهته ممّا أطبق عليه علماء الأمصار، وهو الذي فرّق بيت المال على مستحقّيه وقال:

هـذا جـنايَ وخـياره فـيه إذ كلّ جان يـده إلى فـيه[2]

وكان يرشّه ويصلّي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

قال هارون بن عنترة قال: حدّثني أبي قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق[3] وهو يرعد تحت سمل قطيفة[4]، فقلت: يا أميرالمؤمنين إنّ الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: والله ما أرزاكم[5] من أموالكم شيئاً وإنّ هذه لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها.

ومن هذا إنّ سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام صفين وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إنّ الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوّة سلطانك، فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا

---

(١) يعني جعل عليه السلام الدنيا محكوماً لحكمه ولم يجعل نفسه محكوماً لحكمها.

(٢) مرّ معناه آنفاً فراجع.

(٣) موضع بالكوفة.

(٤) السمل: الخلق من الثياب، يقال: ثوب أسمائل كما قالوا رمح أقصاد، والقطيفة: ما له خمل.

(٥) رزأه ماله: نقصه.

وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنّا شكرناك وإلّا كفرناك، فقال معاوية: إيّاي تهدّدين بقومك يا سودة، لقد هممت أن أحملك على قتبٍ أشوس[1] فأردّك إليه فينفّذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ساعة ثمّ قالت:

صلّى الإله على روح تضمّنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: والله هو أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائماً يصلّي، فلمّا رآني انفتل من صلاته[2] ثمّ أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم. فأخبرته الخبر فبكى ثمّ قال: اللهمّ أنت الشاهد عليّ وعليهم، وإنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقّك، ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[3] فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. ثمّ دفع الرقعة إليّ، فوالله ما ختمها بطين ولا خذمها[4]، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنّا معزولا. فقال معاوية: أكتبوا لها كما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية.

وكم له عليه السلام من الآثار والأخبار والمناقب التي لا تستر أو يستر وجه النهار والسيرة التي هي عنوان السير والمفاخر التي يتعلّم منها من فَخَرَ، والمآثر التي تعجز من بقي كما أعجزت من غَبَرَ[5].

وخرج عليه السلام يوماً وعليه إزار مرقوع فعوتب عليه فقال: يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمن إذا رآه عليّ.

واشترى عليه السلام يوماً ثوبين غليظين فخيّر قنبراً فيهما، فأخذ واحداً فلبس هو

---

(١) القتب ـ محركة ـ: الرحل. الأشوس: الطويل.

(٢) أي انصرف عنها.

(٣) الأعراف: ٨٥.

(٤) خذم الشيء: قطعه.

(٥) غبر: ذهب ومضى.

الآخر، ورأى في كمّه طولاً عن أصابعه فقطعه.

وخرج يوماً إلى السوق ومعه سيفه ليبيعه فقال: من يشتري منّي هذا السيف فوالذي فلق الحبّة لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان عندي ثمن إزار لما بعته.

وكان عليه السلام قد ولّى على عكبرا[1] رجلاً من ثقيف قال: قال لي علي عليه السلام: إذا صلّيت الظهر غداً فعد إليّ، فعدت إليه في الوقت المعيّن فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء، فدعا بوعاء مشدود مختوم، فقلت في نفسي: قد أمنني حتّى يخرج إلي جوهراً، فكسر الختم وحلّه، فإذا فيه سويق فأخرج منه فصبّه في القدح وصبّ عليه ماءاً فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت له: يا أميرالمؤمنين أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته؟ فقال: أما والله ما أختم عليه بخلاً به، ولكنّي أبتاع قدر ما يكفيني، فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره، وأنا أكره أن أدخل بطني إلّا طيباً فلذلك أحترز عليه كما ترى، فإيّاك وتناول ما لا تعلم حلّه.

ومن ذلك: ما كاه عنه مجاهد قال: قال لي علي: جعت يوماً بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة[2] فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً فظننتها تريد بله فأتيتها فقاطعتها عليه كلّ ذنوب[3] على تمرة، فمددت ستّة عشر ذنوباً حتّى مجلت يداي[4] ثمّ أتيت الماء فأصبت منه ثمّ أتيتها فقلت: بكفي هكذا بين يديها وبسط الراوي كفّيه وجمعها فعدت لي ستّة عشرة تمرة، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فأكل معي منها.

ومن ذلك: أنّه أُتي بزقاق[5] فيها عسل من اليمن، ونزل بالحسن عليه السلام ضيف، فاشترى خبزاً وطلب من قنبر أدماً ففتح زقاً وأعطاه منه رطلا، فلمّا قعد عليه السلام ليقسمها قال: يا قنبر قد حدث في هذا الزق حدث؟ قال: صدقت يا أميرالمؤمنين وأخبره،

---

(١) قال ياقوت: عكبرا اسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ والنسبة إليها عكبري.

(٢) العوالي: قرى بظاهر المدينة بينها وبين المدينة أربعة أميال وقيل ثلاثة.

(٣) الذنوب: الدلو المليء ماءاً.

(٤) مجلت يده تمجّل مجلاً: إذا تنفطت من العمل، ومجلت بالكسر مجلاً وأمجل العمل يده.

(٥) الزقاق جمع الزق ـ بالكسر ـ: جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره.

فغضب وقال: عليّ به، فلمّا حضر همّ بضربه فأقسم عليه بعمّه جعفر وكان ﷺ إذا أقسم به عليه سكن، فقال: ما حملك على أن أخذت قبل القسمة؟ قال: إنّ لنا فيه حقّاً فإذا أعطيتنا رددناه، قال: لا يجوز أن تنتفع بحقّك قبل انتفاع الناس، لولا أنّي رأيت النبي ﷺ يقبّل ثنيتك لأوجعتك ضرباً، ثمّ دفع إلى قنبر درهماً وقال: اشتر به من أجود عسل يوجد.

قال الراوي: فكأنّي أنظر إلى يد عليّ على فم الزق وقنبر يقلّب العسل فيه، ثمّ شدّه بيده وهو يبكي ويقول: اللهمّ اغفر للحسن، فإنّه لم يعلم.

فأعجب بهذه المكارم والأفعال والقضايا التي هي غرر في جبهات الأيّام، والزهادة التي فاق بها جميع الأنام، والورع الذي حمله على ترك الحلال فضلاً عن الحرام، والعبادة التي أوصلته إلى مقام وقف دونه كلّ الأقوام.

مَـنَاقِبُ لَـجَتْ فـي عـلوٍّ كأنّـها ... تحاول نـاراً عـند بـعض الكـواكب

محاسن من مجد متى يقرنوا بـها ... مـحاسن أقـوام تُـعد كـالمعايب

ولمّا ألزم نفسه الشريفة تحمّل هذه المتاعب وقادها إلى أتباعه فانقادت انقياد الجنايب، وملكها حتّى صاحب منها أكرم عشيرٍ وخير مصاحب، واستشارها ليختبرها فلم تنه إلّا عن منكر ولا أمرت إلّا بواجب، صار له ذلك طبعاً وسجيّة، وانضمّ عليه ظاهراً ونيّة، وأعمَل فيه عزيمة كهمته قويّة، واستوى في السعي لبلوغ غاياته علانية وطوية، فما تحرّك حركة إلّا بفكر، وفي تحصيل أجر وفي تخليد ذكر، لا لطلب فخر وإعلاء قدر، بل لامتثال أمر وطاعةٍ في سرّ وجهر، فلذلك شكر الله سعيه حين سعى، وعمّه بألطافه العميمة ورعى، وأجاب دعاءه لمّا دعا، وجعل أُذنه السميعة الواعية فسمع ووعى، فأسأل الله بكرمه أن يحشرني ومحبّيه وإيّاه معاً.

قال الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس قال: إنّ علي بن أبي طالب كان يملك أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فأنزل الله سبحانه فيه: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[1].

أنشدني بعض العلويين لبعض الأصحاب:

---

(١) البقرة: ٢٧٤.

عتبت على الدنيا وقلت إلى متى ... أكابد عسراً ضرّه ليس ينجلي[1]
أكل شريفٍ من عليّ جدوده ... حرام عليه الرزق غير محلّل
فقالت نعم يابن الحسين رميتكم ... بسهمي عناداً حين طلّقني علي

في شجاعته ونجدته وتورّطه المهالك في الله ورسوله وشراء نفسه ابتغاء مرضات الله تعالى

قال الخوارزمي في مناقبه يرفعه إلى ابن عباس قال: كان جالساً إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا أو تخلوا بنا؟ فقال: بل أقوم معكم ـ وكان إذ ذاك صحيحاً قبل أن يعمى ـ فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، فجاء ينفض ثوبه ويقول: أُف وتف، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضيلة ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله: لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، فاستشرف لها مستشرف فقال صلى الله عليه وآله: أين عليّ؟ الحديث إلى آخره وقد تقدّم.

وبعث أبابكر بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، وقال: لا يذهب بها إلّا رجل هو منّي وأنا منه وقد تقدّم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ يقولها مرّتين أو ثلاثاً وهم سكوت ـ وعليٌّ يقول: أنا، فقال لعليّ: أنت وليّي في الدنيا والآخرة وقد تقدّم أيضاً.

قال ابن عباس: وكان علي أوّل من آمن من الناس بعد خديجة عليها السلام وقد ذكر، قال: ووضع ثوبه على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً** ﴾[2].

قال ابن عباس: وشرى علي عليه السلام نفسه فلبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه فجاء أبوبكر وهو يظنّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: إنّ نبيّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه فانطلق أبوبكر فدخل معه الغار، قال: وبات علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى

---

(١) كابده: قاساه وتحمّل المشاقّ في فعله.
(٢) الأحزاب: ٣٣.

نبي الله وهو يتضوّر[١] وقد لفّ رأسه بالثوب، لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف رأسه فقالوا: إنّك لئيم، كان صاحبك لا يتضوّر ونحن نرميه، وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك.

قال ابن عباس: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك فقال علي: أخرج معك؟ فقال: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي، قال: وقال له: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة.

قال ابن عباس: وسدّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

قال: وقال: من كنت مولاه فإنّ مولاه علي، وهذا الحديث بطوله ذكر آنفاً وذكره في غير هذا الباب أنسب ولكن جرى القلم.

وأمّا شجاعة أميرالمؤمنين وبأسه ومصادمته الأقران ومراسه[٢] وثبات جأشه حيث تزلزل الأقدام، وشدّة صبره حين تطير فراخ الهام، وسطوته وقلوب الشجعان واجفة، واستقراره وأقدام الأبطال راجفة، ونجدته عند انخلاع القلوب من الصدر، وبسالته[٣] ورحى الحرب تدور والدماء تفور، ونجوم الأسنّة تطلع وتغور، وحماسته والموت قد كشر عن نابه، وسماحته بنفسه والجبان قد انقلب على أعقابه، وكشفه الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فرّ من فرّ من أصحابه، وبذله روحه العزيزة رجاء ما أعدّ الله من ثوابه، فهي أمر قد اشتهر، وحالّ قد بان وظهر، وشاع فعرفه من بقي ومن عبر، وتضمّنته الأخبار والسير، فاستوى في العلم به البعيد والقريب، واتفق على الإقرار به البغيض والحبيب، وصدق به عند ذكره الأجنبي والنسيب، فارس الإسلام وأسده، وباني ركن الإيمان ومشيّده، طلاع الأنجد والأغوار، مفرّق جموع الكفّار، حاصد خضرائهم بذي الفقار، ومخرجهم من ديارهم إلى المفاوز والقفار، مضيف الطير والسباع يوم الملحمة والقراع، سيف الله الماضي، ونابيه المتقاضي، وآيته

---

(١) التضوّر: صياح وتلوّ عند الضرب من الوجع. وقيل: التضوّر: التضعّف.

(٢) المراس: الشدّة.

(٣) البسالة: الشجاعة.

الواضحة، وبيّنته اللائحة، وحجّته الصادعة، ورحمته الجامعة، ونعمته الواسعة، ونقمته الوازعة، قد شهدت بدر بمقامه، وكانت حنين من بعض أيّامه، وسل أحداً عن فعل قناته وحسامه، ويوم خيبر إذ فتح الله على يديه، والخندق إذ خرّ عمرو لفمه ويديه.

وهذه جمل لها تفصيل وبيان، ومقامات رضى بها الرحمان، ومواطن هدّت الشرك وزلزلته، وحملته على حكم الصغار وأنزلته، ومواقف كان فيها جبرئيل يساعده وميكائيل يوازره ويعاضده والله يمدّه بعناياته والرسول يتبعه بصالح دعواته، وقلب الإسلام يرجف عليه وأمداد التأييد تصل إليه.

نقلت من مسند أحمد بن حنبل عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علي عليهما السلام فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم، ولم يدركه الآخرون بعمل، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه بالراية، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتّى يفتح له.

ومن حديث آخر من المسند بمعناه وفي آخره: وما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله.

وفي رواية من غير المسند إلّا ثلاثمائة درهم بمعناه.

ونقل الواحدي في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ** ﴾[1]: إنّ مولاة لعمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد ماف قدمت من مكة إلى المدينة ورسول الله يتجهّز لقصد فتح مكّة، فلمّا حضرت عنده قال: أجئت مسلمة؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي وقد احتجت حاجة عظيمة، فحثّ النبي صلى الله عليه وآله على صلتها وكسوتها فأعطوها وكسوها وانصرفت، فنزل جبرئيل فأخبره أنّ حاطب بن أبي بلتعة قد كتب إلى أهل مكة يحذّرهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّه دفع الكتاب إلى المذكورة وأعطاها عشرة دنانير لتوصل الكتاب إلى أهل مكة، فاختار علياً وبعث معه الزبير والمقداد وقال: انطلقوا إلى روضة خاخ[2] فإنّ بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه

---

(١) الممتحنة: ١.

(٢) موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة.

منها وخلّوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها، فخرجوا وأدركوها في المكان فطلبوا الكتاب فأنكرته وحلفت، ففتّشوا متاعها لم يجدوا كتاباً، فهمّوا بتركها والرجوع، فقال علي عليه السلام: والله ما كذبنا وسلّ سيفه وجزم عليها وقال: أخرجي الكتاب وإلّا جرّدتك وضربت عنقك، وصمّم على ذلك، فلمّا رأت الجد أخرجته من ذؤابتها فأخذه وخلّى سبيلها وعادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستخرجه علي بقوّة عزمه وتصميم إقدامه وجزمه.

ونقل الواحدي في كتابه هذا أنّ علياً والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت ستّة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ** ﴾ إلى أن قال: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[1]. فصدّق الله علياً في دعواه وشهد له بالإيمان والمهاجرة والجهاد، وزكاه ورفع قدره بما أنزل فيه وأعلاه، وكم له من المزايا التي لم يبلغها أحد سواه.

فأمّا مواقف جهاده ومواطن جدّه واجتهاده، ومقامات جداله بألسنة الأسنّة وجلاده فمنها ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما تولّاه على انفراده فمن ذلك ما كان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وعمره إذ ذاك سبعة وعشرون سنة.

غزوة بدر

التي هدّت قوى الشرك وقذفت طواغيته في قليب الهلك، وبيّنت الفرق بين الحق والإفك، ودوّخت مردة الكفّار، وسقتهم كاسات الدمار والبوار، ونقلتهم من القليب إلى النار، فيومها اليوم الذي لم يأت الدهر بمثله، وفضل الله فيه من أحسن فضله، أنزل الله فيه الملائكة لنصر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً له على جميع رسله، وخصّه فيه من إعلاء قدره بما لم ينله أحد من قبله، وغادر صناديد قريش فرايس أسره وقتله،

---

(١) التوبة: ١٩ ـ ٢٢.

وجزر شبا سنانه وحدّ نصله، وجبرئيل ينادي: أقدم حيزوم[1] لإظهار دينه على الدين كلّه، وعلي فارس تلك الملحمة، فما تعد الأسد الغضاب بشسع نعله، ومسعر تلك الحرب العوان ينصب على الأعداء انصباب السحاب ووبله، ونار سطوته وبأسه تتسعر تسعر النار في دقيق الغضا وجزله.

قال الواقدي في كتاب المغازي: جميع من يحصى قتله من المشركين ببدر تسعة وأربعون رجلاً، منهم من قتله علي وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً، شرك في أربعة وقتل بانفراده ثمانية عشر، وقيل أنّه قتل بانفراده تسعة بغير خلاف وهم الوليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية قتله مبارزة، والعاص بن سعيد بن العاص بن أميّه، وعامر بن عبدالله، ونوفل بن خويلد بن أسد وكان من شياطين قريش، ومسعود بن أبي أُميّة بن المغيرة، وقيس بن الفاكه، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، والعاص بن منبه ابن الحجاج، وحاجب بن السايب.

وأمّا الذين شاركه في قتلهم غيره فهم: حنظلة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعبيدة بن الحارث، وزمعة وعقيل أبنا الأسود بن المطلب.

وأمّا الذين اختلف الناقلون في أنّه عليه السلام قتلهم أو غيره فهم: طعيمة بن عدي، وعمير بن عثمان بن عمرو، وحرملة بن عمرو، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العبّاس بن قيس، وأوس الجمحي، وعقبة بن أبي معيط صبراً[2] ومعاوية بن عامر، فهذه عدّة من قيل إنّه قتلهم عليه السلام في هذه الرواية، غير النضر بن الحارث فإنّه قتله صبراً بعد القفول من بعد هذا من طرق الجمهور.

فأمّا المفيد فقد ذكر في كتابه الإرشاد قال:

فصل: فمن ذلك ماكان منه عليه السلام في غزوة بدر المذكورة في القرآن وهي أوّل حرب كان به الإمتحان، وملأت رهبتها صدور المعدودين من المسلمين في

---

(١) حيزوم: اسم فرس النبي صلى الله عليه وآله في غزوة بدر، وقيل: اسم فرس جبرئيل عليه السلام، والمعنى: أقدم يا حيزوم.

(٢) يقال للرجل إذا شدّت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتّى يضرب عنقه أو حبس على القتل حتّى يقتل: قتل صبراً. وكان من قصّة عقبة بن أبي معيط أنّه أُسير في وقعة بدر وكان في الأُسارى حتّى إذا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وقدم إلى موضع يقال له عرق الظبية أمر بقتل عقبة، وكانت له ابنة صغيرة ـ فقال حين أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتل: فمن للصبية يا محمّد؟ قال: النار، فقتل.

الشجعان، وراموا التأخر عنه لخوفهم منها وكراهتهم لها على ما جاء بمحكم الذكر في البيان، حيث يقول جلّ اسمه فيما قصّ من نبأهم على الشرح له والبيان: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[1] في الآي المتصل بذلك إلى قوله عزّ اسمه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ واللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2].

وكان من جملة خبر هذه الغزاة أنّ المشركين حضروا بدراً مصرّين على القتال، مستظهرين بكثرة الأموال والعدد والرجال، والمسلمون إذ ذاك نفر قليل عددهم، ومنهم من حضر كارهاً فتحدّتهم قريش بالبراز، ودعتهم إلى المصافة والنزال، واقترحت الأكفاء وتطاولت الأبصار لمبارزتهم، فمنعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهم: إنّ القوم دعوا الأكفاء منهم، ثمّ أمر عليّاً بالبروز إليهم ودعا حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة ابن الحارث رحمهما الله تعالى وأمرهما أن يبرزا معه، فلمّا اصطفوا لم يثبتهم القوم لأنّهم كانوا قد تغفروا فسألوهم: من أنتم؟ فانتسبوا لهم، فقالوا: أكفاء كرام، ونشبت الحرب بينهم، وبارز الوليد أميرالمؤمنين عليه السلام فلم يلبث أن قتله، وبارز عتبة حمزة عليه السلام فقتله حمزة، وبارز شيبة عبيدة فاختلف بينهما ضربتان، قطعت إحداهما فخذ عبيدة فاستنقذه أميرالمؤمنين عليه السلام بضربة بدر بها شيبة فقتله، وشركه في ذلك حمزة.

فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل وهن لحق المشركين وذلّ دخل عليهم، ثمّ بارز أميرالمؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه الناس فقتله، وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وطعمة بن عدي فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش، ولم يزل عليه السلام يقتل واحداً بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلا، تولّى المسلمون كافة والملائكة قتل الشطر الأوّل وتولّى أميرالمؤمنين الشطر الثاني وحده بمعونة الله إيّاه وتوفيقه له، وكان الفتح له وبيديه وختم الأمر بأن رماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكف من الحصاة وقال: شاهت الوجوه فانهزموا جميعاً وولّوا الدبر، وكفى الله المؤمنين القتال بأميرالمؤمنين عليه السلام وشركائه في نصرة

---

(١) الأنفال: ٥ـ٦.

(٢) الأنفال: ٤٧.

الدين من خاصة آل الرسول صلوات الله عليهم، ومن أيّدهم به من الملائكة الكرام والتحيّة والسلام.

فصل: وقد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولّى أميرالمؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين على اتّفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح، فكان ممّن سمّوه الوليد بن عتبة كما قدّمنا وكان شجاعاً جريئاً فاتكاً وقاحاً[1] تهابه الرجال، والعاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً وحاد عنه عمر بن الخطاب[2]، وطعيمة بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال، ونوفل بن خوليد وكان من أشدّ المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قريش تقدّمه وتعظّمه وتطيعه وهو الذي قرن أبابكر بطلحة قبل الهجرة بمكة وأوثقهما بحبل وعذّبهما يوماً إلى الليل حتّى سئل في أمرهما، ولمّا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضوره بدراً سأل الله تعالى أن يكفيه أمره، فقال: اللهمّ اكفني أمر نوفل بن خويلد، فقتله أميرالمؤمنين، وزمعة بن الأسود والحارث بن زمعة والنضر بن الحارث بن عبدالدار، وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحة بن عبيدالله، وعثمان ومالك ابنا عبيدالله أخوا طلحة بن عبيدالله، ومسعود بن أبي أُميّة بن المغيرة، وقيس بن الفاكة بن المغيرة، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن مخزوم، وأبوالمنذر بن أبي رفاعة، ومنبه بن الحجاج السهمي، والعاص بن منبه، وعلقمة بن كلدة، وأبوالعاص بن قيس بن عدي، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، ولوذان بن أبي ربيعة، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، ومسعود بن أُميّة بن المغيرة، وحاجب بن السايب بن عويم، وأوس بن المغيرة ابن لوذان، وزيد بن مليص، وعاصم بن أبي عوف، وسعيد بن وهب حليف بني عامر، ومعاوية بن عامر بن عبدالقيس، وعبدالله بن جميل بن زهير بن الحرث بن أسد، والسائب بن مالك، وأبوالحكم بن الأخنس، وهشام بن أبي أُميّة بن المغيرة.

فذلك ستّة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أميرالمؤمنين فيه غيره،

---

(١) الفاتك: الذي إذا همّ بشيء فعل. ووقح الرجل وقاحة قلّ حياؤه واجترأ على القبائح. والوقاح ـ بفتح الواو ـ: ذوالوقاحة.

(٢) حاد عنه: مال.

وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدّمناه.

قلت: وعلى اختلاف المذهبين في تعيين عدّة المقتولين فقد اتّفقا على أنّ أميرالمؤمنين قتل النصف ممّن قتل ببدر أو قريباً منه، وما أجدره عليه السلام بقول القائل:

لك خلّتان مسالماً ومحارباً ... كفلا الثناء لسيفك المخضوب

فرقت مابين الذوائب والطلى ... وجمعت مابين الطلا والذئب[1]

قال المفيد رحمه الله:

فصل: فمن مختصر الأخبار التي قد جاءت بشرح ما أثبتناه ما رواه شعبة عن أبي إسحاق عن حارث بن مضرب قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: لقد حضرنا بدراً وما فينا فارس إلّا المقداد بن الأسود، ولقد رأينا ليلة بدر وما فينا إلّا من نام غير رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه كان منتصباً في أصل شجرة يصلّي ويدعو حتّى الصباح.

وروي عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فنادى عتبة رسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمّد، اخرج إلينا أكفاءنا من قريش فبدر إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار، فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا لهم فقالوا: لا حاجة بنا إلى مبارزتكم، إنّما طلبنا بني عمّنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: ارجعوا إلى مواقفكم ثمّ قال: قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيّكم، إذ جاؤا بباطلهم ليطفئوا نور الله.

فقاموا فصفّوا للقوم وكان عليهم البيض فلم يعرفوا، فقال لهم عتبة: تكلّموا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفو كريم، وقال أميرالمؤمنين: أنا علي بن أبي طالب، وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فقال عتبة لابنه الوليد: قم يا وليد، فبرز إليه أميرالمؤمنين وكانا إذ ذاك أصغرا الجماعة سنّاً، فاختلفا ضربتين فأخطأت ضربة الوليد واتّقى بيده اليسرى ضربة أميرالمؤمنين فأبانتها.

فروي إنّه كان يذكر بدراً وقتله الوليد، فقال في حديثه: كأنّي أنظر إلى وميض

---

(١) الطلى ـ بضمّ الطاء ـ جمع الطلية: العنق. والطلا ـ بفتح التاء ـ: الصغير من أولاد النعم والظبى وقيل مطلقاً.

خاتمه في شماله[١] ثمّ ضربته أخرى فصرعته وسلبته فرأيت به ردعاً من خلوق[٢] فعلمت أنّه قريب عهد بعرس.

وبارز عتبة حمزة فقتله حمزة ومشى عبيدة وكان أسنّ القوم إلى شيبة، فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيفه شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها واستنقذه أميرالمؤمنين وحمزة منه، وقتلا شيبة وحمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء[٣].

قال علي عليه السلام: لقد عجبت يوم بدر من جرأة القوم وقد قتلنا عتبة والوليد وشيبة إذ أقبل إليّ حنظلة بن سفيان، فلمّا دنا منّي ضربته ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلا.

وقيل: مرّ عثمان بن عفان بسعيد بن العاص وقال: انطلق بنا إلى أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب نتحدث عنده، فانطلقا فصار عثمان إلى مجلس الذي يشبهه وملت أنا في ناحية القوم، فنظر إليّ عمر وقال: مالي أراك كأنّ في نفسك عَلَيّ شيئاً، أتظن أنّي قتلت أباك والله لوددت أنّي كنت قاتله، ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، لكنّي مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، فإذا شدقاه قد أزبدا[٤] كالوزغ، فهبته ورغت منه، فقال: إلى أين يابن الخطاب، وصمد[٥] له عليٌ فتناوله فما رمت من مكاني حتّى قتله، وكان أميرالمؤمنين في المجلس، فقال: اللهمّ غفراً، ذهب الشرك بما فيه ومحى الإسلام ما تقدم، فما لك تهيّج الناس عَلَيّ؟ فكفّ عمر وقال سعيد: أمّا إنّه ما كان يسرّني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه[٦] علي بن أبي طالب وأخذوا في حديث آخر.

وأقبل علي يوم بدر نحو طعيمة بن عدي بن نوفل فشجره بالرمح وقال له: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً.

---

(١) ومض البرق وميضاً: لمع خفيفاً.

(٢) الردع: أثر الطيب في الجسد. والخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأنّ أعظم أجزائه من الزعفران.

(٣) قال ياقوت: الصفراء: وادي من ناحية المدينة وهو واد كثير النخل في طريق الحاج، بينه وبين بدر مرحلة.

(٤) من أزبد الرجل: فار غضبه.

(٥) صمد له قصده.

(٦) وفي بعض النسخ «أمّا إنّه كان يسوئني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه».

وروي عن الزهري أنّه لمّا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضور نوفل بن خويلد بدراً قال: اللهمّ اكفني نوفلاً، فلمّا انكشفت قريش رآه علي عليه السلام وقد تحيّر لا يدري ما يصنع؟ فصمد له ثمّ ضربه بالسيف فنشب في بيضته فانتزعه ثمّ ضرب به ساقه، وكانت درعه مشمرة[1] فقطعها ثمّ أجهز عليه فقتله، فلمّا عاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ قال: أنا قتلته يا رسول الله، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

غزوة أُحد

كانت في شوّال ولم يبلغ أميرالمؤمنين من عمره تسعاً وعشرين سنة، وسببها أنّ قريشاً لمّا كسروا يوم بدر وقتل بعضهم وأُسر بعضهم، حزنوا لقتل رؤسائهم فتجمّعوا وبذلوا أموالاً واستمالوا جمعاً من الأحابيش وغيرهم[2] ليقصدوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة لاستيصال المؤمنين، وتولّى كسر ذلك أبوسفيان بن حرب، فحشد وحشر[3] وقصد المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين، فكانت غزوة أحد، ونفق النفاق بين جماعة من الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتعاملوا به وأنساهم القضاء المبرم سوء العاقبة والمآل، فرجع قريب من ثلثهم إلى المدينة، وبقي صلى الله عليه وآله وسلم في سبعمائة من المسلمين، وهذه القصة قد ذكرها الله تعالى في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[4] إلى آخر ستّين آية، واشتدّت الحرب ودارت رحاها، واضطرب المسلمون واستشهد حمزة عليه السلام وجماعة من المسلمين، وقتل من مقاتلة المشركين أثنان وعشرون قتيلا.

نقل أرباب المغازي أنّ علياً قتل منهم سبعة: طلحة بن أبي طلحة بن عبدالعزّى، وعبدالله بن جميل من بني عبدالدار، وأباالحكم بن الأخنس، وأبا سباع بن عبدالعزّى، وأبا أُميّة بن المغيرة، وهؤلاء الخمسة متفق على أنّه عليه السلام قتلهم، وأبا سعد طلحة بن طلحة وغلاماً حبشياً لبني عبدالدار، قيل: أستقل بقتلهما، وقيل قتلهما غيره،

---

(١) أي مجتمعة منضمّة.

(٢) يقال: حيش قومه تحيشاً: جمعهم، والأحبوش والأحابيش: الجماعة ليسوا من قبيلة واحدة.

(٣) حشد النّاس: جمعهم. وحشر بمعناه أيضاً.

(٤) آل عمران: ١٢١.

وعاد أبو سفيان بمن معه من المشركين طالبين مكة، ودخل النبي المدينة فدفع سيفه ذاالفقار إلى فاطمة عليها السلام، فقال: أغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقني اليوم وناولها علي سيفه وقال لها كذلك.

قال الواقدي في كتاب المغازي: إنّه لمّا فرّ الناس يوم أحد ما زال النبي صلى الله عليه وآله شبراً واحداً يرمي مرّة عن قوسه ومرّة بالحجارة، وصبر معه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار، أبوبكر وعبدالرحمان بن عوف وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وزبير بن العوام، ومن الأنصار الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، ويقال ثبت سعد بن عبادة، ومحمّد بن مسلمة، فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وبايعه يومئذ ثمانية على الموت ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار، علي عليه السلام، والزبير وطلحة وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف فلم يقتل منهم أحد.

وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتّى وقعت على وجنته، قال: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، إنّ تحتي امرأة شابة جميلة أحبّها وتحبني وأنا أخشى أن تقذّر مكان عيني، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فردّها فأبصرت وعادت كما كانت لم تؤلمه ساعة من ليل أو نهار، فكان يقول بعد أن أسنّ: هي أقوى عيني، وكانت أحسنهما.

وباشر النبي القتال بنفسه ورمى حتّى فنيت نبله، وأصاب شفته ورباعيته عتبة ابن أبي وقاص، ووقع صلى الله عليه وآله في حفرة وضربه ابن قميئة فلم يصنع شيئاً إلّا وهن الضربة بثقل السيف، وانتهض وطلحة يحمله من ورائه وعلي آخذ بيده حتّى استوى قائماً.

وعن أبي بشير المازني[1] **قال:** حضرت يوم أُحد وأنا غلام، فرأيت ابن قميئة علا رسول الله بالسيف فوقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتّى توارى، فجعلت أصيح وأنا غلام حتّى رأيت الناس ثابوا إليه، ويقال: الذي شجّه في جبهته ابن شهاب، والذي

---

(١) وفي نسخة «أبي سعيد» مكان «أبي بشير» ولكن الصحيح ما اخترناه.

أشظى رباعيته[١] وأدمى شفته عتبة بن أبي وقاص، والذي دمى وجنتيه حتّى غاب الحلق في وجنته ابن قميئة، وسال الدم من جبهته حتّى اخضلّت لحيته، وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه وهو يقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَو يتوب شَيْء ﴾[٢] الآية.

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي حازم عن سهل: بأيّ شيء دُوي جرح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كان علي يجيء بالماء في ترسه، وفاطمة تغسل الدم عن وجهه، وأخذ حصيراً فأحرق وحشى به جرحه[٣] ورأى سيف علي مختضباً وقال: إن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسيف أبي دجانة غير مذموم قال علي: لقد رأيتني يومئذ وإنّي لأذبّهم في ناحية، وإنّ أبا دجانة في ناحية يذبّ طائفة منهم، وإنّ سعد بن أبي وقاص يذبّ طائفة منهم حتّى فرّج الله ذلك كلّه، ولقد رأيتني وانفردت يومئذ منهم فرقة خشناء فيها عكرمة بن أبي جهل، فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به واشتملوا عَلَيّ حتّى أفضيت إلى آخرهم، ثمّ كرّرت فيهم الثانية حتّى رجعت من حيث جئت، ولكن الأجل استأخر ويقضي الله أمراً كان مفعولا.

وخرج عبدالرحمان بن أبي بكر على فرس فقال: من يبارز؟ أنا عبدالرحمان بن عتيق؟ فنهض أبوبكر وشهر سيفه وقال: يا رسول الله أبارزه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: شم سيفك[٤] وارجع إلى مكانك ومتّعنا بنفسك، قال: وكان عثمان من الذين تولّى يوم التقى الجمعان.

وقال ابن أبي نجيح: نادى في ذلك اليوم مناد: لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي.

قيل: وسئل عليّ عليه السلام على منبر الكوفة عن قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِر ﴾[٥].

---

(١) أي كسر. قال الجزري وفي الحديث: فانشظت رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله أي انكسرت.

(٢) آل عمران: ١٢٨.

(٣) حشاه بالشيء: ملاه به.

(٤) شام السيف شيماً: أغمده.

(٥) الأحزاب: ٢٣.

فقال: اللهمّ غفراً، هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة، وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب؛ فأمّا عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وأمّا عمّي حمزة فإنّه قضى نحبه شهيداً يوم أُحد، وأمّا أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه، وأومى بيده إلى لحيته ورأسه، عهد عهده إليّ حبيبي أبوالقاسم صلّى الله عليه وآله.

وقال المفيد في الإرشاد: ثمّ تلت بدراً غزوة أحد، فكانت راية رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد أميرالمؤمنين، كما كانت يوم بدر، وكان الفتح له أيضاً في هذه الغزوة وخصّ بحسن البلاء فيها والصبر، وثبوت القدم عندما زلت الأقدام، وكان له من العناء ما لم يكن لسواه من أهل الإسلام. وقتل الله بسيفه رؤس أهل الشرك والضلال، وفرّج الله به الكرب عن نبيّه صلّى الله عليه وآله، وخطب بفضله جبرئيل عليه السلام في ملائكة الأرض والسماء، وأبان نبي الهدى من اختصاصه به ما كان مستوراً عن عامّة الناس.

فمن ذلك ما حدّث ابن البختري القرشي قال: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصي بن كلاب، ثمّ لم تزل الراية في يد ولد عبدالمطّلب يحملها من حضر الحرب حتّى بعث الله رسوله صلّى الله عليه وآله فصارت رايه قريش وغير ذلك إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فأقرّها في بني هاشم وأعطاها علي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة ودان[1] وهي أوّل غزوة حملت فيها راية في الإسلام، ثمّ لم تزل معه في المشاهد ببدر وهي البطشة الكبرى، وفي يوم أُحد، وكان اللواء يومئذ في بني عبدالدار فأعطاه رسول الله صلّى الله عليه وآله مصعب بن عمير واستشهد، فوقع من يده فتشوفته القبائل[2] فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله فدفعه إلى علي بن أبي طالب وجمع له بين الراية واللواء.

وروى المفضل بن عبدالله عن سماك عن عكرمة عن عبدالله بن عباس قال: لعلي بن أبي طالب عليه السلام أربع ما هنّ لأحد: هو أوّل عربي وعجمي صلّى مع رسول الله، وهو صاحب لوائه في كلّ زحف، وهو الذي ثبت معه يوم المهراس[3] وفرّ الناس، وهو الذي أدخله قبره.

وعن زيد بن وهب قال: وجدنا عبدالله بن مسعود يوماً طيب النفس، فقلنا: لو

---

(١) ودان ـ بفتح الواو وتشديد الدال ـ: اسم موضع بين مكة والمدينة.

(٢) تشوّف للشيء: طمح بصره إليه.

(٣) يعني يوم أحد.

حدّثتنا عن يوم أُحد وكيف كان ؟ فقال : أجل ، ثمّ ساق الحديث حتّى انتهى إلى ذكر الحرب ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أخرجوا إليهم على اسم الله تعالى ، فخرجنا فصففنا صفّاً طويلاً وأقام على الشعب خمسين رجلاً من الأنصار وأمّر عليهم رجلاً منهم ، وقال : لا تبرحوا من مكانكم هذا وإن قُتلنا عن آخرنا ، فإنّما نؤتى من موضعكم ، وأقام أبو سفيان بن حرب بإزائهم خالد بن الوليد وكانت ألوية قريش في بني عبدالدار ، وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة ، وكان يدعى كبش الكتيبة . قال : ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وجاء حتّى قام تحت لواء الأنصار . قال : فجاء أبو سفيان إلى أصحاب اللواء فقال : يا أصحاب الألوية إنّكم تعلمون إنّما يؤتى القوم من قبل ألويتهم كما أوتيتم يوم بدر من قبل الألوية ، فإن ضعفتم عنها فادفعوها إلينا نكفكم أمرها ، فغضب طلحة بن أبي طلحة فقال : ألنا تقول هذا ؟! والله لأوردنّكم بها اليوم حياض الموت ، فلقى طلحة علياً وتقاربا واختلف بينهما ضربتان ، ضربه علي على مقدم رأسه فبدرت عينه ، وصاح صيحة عظيمة وسقط اللواء من يده ، فأخذه مصعب أخوه فرماه عاصم بن ثابت فقتله ، ثمّ أخذه أخوه عثمان فرماه عاصم أيضاً فقتله ، فأخذه عبد لهم اسمه صواب وكان من أشد الناس ، فضرب عليّ يده فقطعها فأخذه بيده اليسرى فضربه فقطعها فأخذ اللواء على صدره وجمع عليه يديه وهما مقطوعتان فضربه علي عليه السلام على أُمّ رأسه وسقط صريعاً وانهزم القوم وأكبّ المسلمون على الغنائم ، ورأى أصحاب الشعب الناس يغنمون فخافوا فوت الغنيمة فاستأذنوا رئيسهم عبدالله بن عمر بن حرام في أخذ الغنائم ، فقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن لا أبرح من موضعي ، فقالوا : إنّه قال ذلك وهو لا يدري أنّ الأمر يبلغ ما ترى ، ومالوا إلى الغنائم وتركوه ولم يبرح هو من موضعه .

فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله وجاء من ظهر النبي صلى الله عليه وآله ، فنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله قد حف به أصحابه فقال لمن معه : دونكم هذا الذي تطلبون فحملوا حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرمح ورمياً بالنبال ، ورضخاً بالحجارة ، وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتلون عنه حتّى قُتل منهم سبعون رجلاً ، وثبت أميرالمؤمنين ، وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف للقوم يدفعون عن النبي صلى الله عليه وآله ، ففتح عينيه وكان قد أُغمي عليه ، فنظر إلى علي عليه السلام فقال : يا علي ، ما فعل الناس ؟ قال : نقضوا العهد وولّوا الدبر ، فقال : فاكفني هؤلاء الذين قصدوا نحوي ، فحمل عليهم فكشفهم

ثمّ عاد إليه وقد قصدوه من جهة أُخرى، فكرّ عليهم فكشفهم وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه، وسيوفهما بأيديهما يذبّان عنه، وثاب[1] من المنهزمين أربعة عشر رجلاً، منهم طلحة بن عبيدالله، وعاصم بن ثابت، وصعد الباقون الجبل، وصاح صائح بالمدينة: قُتل رسول الله صلى الله عليه وآله، فانخلعت القلوب لذلك، وتحيّر المنهزمون فأخذوا يميناً وشمالاً، وجعلت هند بنت عتبة لوحشي جُعلاً على أن يقتل رسول الله أو عليّاً أو حمزة، فقال: أمّا محمّد فلا حيلة فيه لأنّ أصحابه يطيفون به، وأمّا عليٌّ فإنّه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأمّا حمزة فإنّي أطمع فيه لأنّه إذا غضب لم يبصر ما بين يديه، وكان حمزة يومئذ قد أعلم بريشة نعامة، فكمن له وحشي في أصل شجرة، فرآه حمزة فبدر إليه بالسيف وضربه فأخطأه، قال وحشي: فهززت الحربة حتّى إذا تمكّنت منه رميته فأصبته في أربيته[2] فأنفذته وتركته حتّى إذا برد صرت إليه وأخذت حربتي، وشغل المسلمون عنّي وعنه بالهزيمة، وجاءت هند فأمرت بشقّ بطنه وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأُذنيه.

أنشدني بعض الأصحاب ولم يسّم قائلاً:

ولا عار للأشراف إن ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى ... وحتف عليّ من حسام ابن ملجم[3]

هذا ورسول الله صلى الله عليه وآله مشغول عنه لا يعلم حاله.

قال الراوي ـ زيد بن وهب ـ: قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لم يبق معه إلّا علي وأبو دجانة وسهل؟ قال: انهزم الناس إلّا علي وحده، وثاب إلى رسول الله نفر كان أوّلهم عاصم بن ثابت، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، ولحقهم طلحة بن عبيدالله، فقلت له: فأين كان أبوبكر وعمر؟ قال: كانا فيمن تنحّى، فقلت: فأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة من الوقعة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد ذهبت فيها عريضة[4]. قلت: فأين كنت أنت؟ قال: فيمن تنحّى، قلت: فمن حدّثك بهذا؟ قال: عاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، قلت: إنّ ثبوت علي في ذلك المقام

---

(١) ثاب ثوباً: رجع بعد الذهاب.

(٢) الأربية ـ بالضم والتشديد ـ: أصل الفخذ فهما أربتيان.

(٣) الردى الهلاكة. والحتف: الموت.

(٤) قال الجزري: وفي حديث أُحد قال للمنهزمين: لقد ذهبتم فيها عريضة أي واسعة.

لعجيب. قال: إن تعجب منه فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلّا ذوالفقار * ولا فتى إلّا علي. فقلنا: ومن أين عَلِمَ أنّ جبرئيل قال ذلك؟ فقال: سمع الناس النداء بذلك، وأخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله.

وفي حديث عمران بن حصين قال: لمّا تفرّق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء علي متقلّداً بسيفه حتّى قام بين يديه، فرفع رأسه إليه وقال: مالك لم تفر مع الناس؟ فقال: يا رسول الله، أرجع كافراً بعد إسلامي؟ فأشار إلى قوم انحدروا من الجبل، فحمل عليهم فهزمهم، فجاء جبرئيل وقال: يا رسول الله، قد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يمنعه من ذلك وهو منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

وعن ابن عبّاس قال: خرج طلحة بن أبي طلحة يومئذ وقال: يا أصحاب محمّد أنتم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النّار ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة؟ فأيّكم يبرز إليّ؟ فبرز إليه علي عليه السلام، وقال: والله لا أُفارقك اليوم حتّى أعجلك بسيفي إلى النار، فاختلفا ضربتين، فضربه علي عليه السلام على رجليه فقطعهما وسقط وقال: أنشدك الله والرحم يابن عم، فانصرف إلى موقفه. فقال له المسلمون: ألا أجهزت عليه[1]؟ فقال: إنّه ناشدني، ولن يعيش بعدها فمات من ساعته، وبشّر النبي بذلك فسرّ به.

وروى عن عكرمة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لمّا انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحد، لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله ليفرّ وما رأيته في القتلى وأظنّه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفي وقلت: لأُقاتلنّ به حتّى أُقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وقد وقع مغشيّاً عليه، فنظر إليّ وقال: ما فعل الناس يا علي؟ قلت: كفروا يا رسول الله وولّوا الدُّبُر وأسلموك، فنظر إلى كتيبة قد أقبلت فقال: ردّهم عنّي، فحملت عليهم أضربهم يميناً وشمالاً حتّى فرّوا، فقال: أما تسمع مديحك في السماء إنّ ملكاً اسمه رضوان ينادي: لا سيف إلّا ذوالفقار * ولا فتى إلّا علي.

---

(١) أجهز على الجريح: شدّ عليه وأسرع وأتمّ قتله.

فبكيت سروراً وحمدت الله على نعمته. وهذه المناداة بهذا قد نقلها الرواة وتداولها الأخباريّون، ولم ينفرد بها الشيعة، بل وافقهم على ذلك الجمّ الغفير.

وروى عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيه قال: كان أصحاب اللواء يوم أُحد تسعة، كلّهم قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام عن آخرهم، وانهزم القوم، وبارز الحكم بن الأخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها، وأقبل أُميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو دارع وهو يقول: يوم بيوم بدر، وعرض له رجل من المسلمين فقتله، وصمد له علي عليه السلام فضربه على هامته، فنشب السيف في بيضته وسيفه في درقة[1] علي، فنزعا سيفهما وتناوشا، قال علي عليه السلام: فنظرت إلى فتق تحت إبطه فضربته فيه بالسيف فقتله. قال علي عليه السلام: لمّا انهزم الناس وثبتُّ قال: مالك لا تذهب مع القوم؟ فقال عليه السلام: أذهب وأدعك يا رسول الله؟! والله لا برحت حتّى أُقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إبشر يا علي فإنّ الله منجز وعده، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً، ثمّ نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال: احمل على هؤلاء يا علي، فحملت فقتلت منها هشام بن أبي أُميّة المخزومي وانهزموا وأقبلت كتيبة أُخرى، فقال: احمل على هذه، فحملت فقتلت منها عمرو بن عبدالله الجمحي وانهزمت أيضاً، وجاءت أُخرى فحملت عليها وقتلت بشر بن مالك العامري وانهزمت، فلم يعد بعدها أحد، وتراجع المسلمون إلى النبي صلى الله عليه وآله وانصرف المشركون إلى مكّة وانصرف النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء، فغسل به وجهه ولحقه أميرالمؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذوالفقار، فناوله فاطمة عليها السلام وقال: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم وقال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بمليم[2]
أميطي دماء الكفر عنه فإنّه ... سقى آل عبدالدار كاس حميم[3]
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد[4] ... وطاعة ربّ بالعباد عليم

---

(١) الدرقة: الترس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب.

(٢) الرعديد: الجبان. والمليم: الذي يلام على ما يصدر منه. والذميم بمعنى المذموم.

(٣) قوله عليه السلام: أميطي أي أبعد وأزال عنه الدماء، وفي بعض النسخ «دماء القوم». والحميم: الماء الحار والمراد به الموت.

(٤) أعذر في الأمر: بالغ فيه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل الله صناديد قريش بيديه.

[فصل]

وقد ذكر أهل السير قتلى أُحد من المشركين وكان جمهورهم قتلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

قال محمّد بن إسحاق: كان صاحب لواء قريش يوم أُحد طلحة بن أبي طلحة، قتله علي، وقتل ابنه أبا سعيد، وأخاه كلدة، وعبدالله بن جميل[1] بن زهرة، وأبا الحكم ابن الأخنس بن شريق الثقفي، والوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأخاه أُميّة، وأرطاة ابن شرحبيل، وهشام بن أُميّة، وعمرو بن عبدالله الجمحي، وبشر بن مالك، وصواباً مولى بني عبدالدار، وكان الفتح له، ورجوع الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله بمقامه وثباته، ويذبّ عنه دونهم، ويبذل مهجته العزيزة في نصره، وتوجّه العتاب من الله إلى كافّتهم لموضع الهزيمة، وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أُحد وعنائه وبلائه يقول الحجاج بن غلاط السلمي:

لله أيّ مذبّب عن حزبه ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا[2]
جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدّلا[3]
وشددت شدّة باسل فكشفتهم ... بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا[4]
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لتردّه حرّان حتّى ينهلا[5]

وروى الحافظ أبو محمّد بن عبدالعزيز الجنابذي في كتاب معالم العترة النبويّة مرفوعاً إلى قيس بن سعد عن أبيه أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: أصابتني يوم أُحد ستّة

---

(١) وفي بعض النسخ «عبدالله بن حميد» ومثله المصدر أيضاً.

(٢) الذب: الدفع والمنع والمراد بفاطمة بنت أسد بن هاشم أُمّ أميرالمؤمنين عليه السلام. والمعم المخول: أي كريم الأعمام والأخوال.

(٣) طليحة هو كبش الكتيبة وقد سبق ذكره وقصّته. والمجدل: المصروع المقتول.

(٤) الباسل: الشجاع القوي. والسفح: أصل الجبل وأسفله. وقوله: بالسفح متعلّق بيهوون. والهوى: الإنحدار.

(٥) العلل: الشرب الثاني. والنهل: الشرب الأوّل. والحران: العطشان.

عشر ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ، فجاءني رجل حسن الوجه[١] طيّب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال: أقبل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسوله، وهما عنك راضيان، قال علي: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته، فقال: يا علي أما تعرف الرجل؟ قلت: ولكنّي شبّهته بدحية الكلبي، فقال: يا علي أقرّ الله عينك، كان جبرئيل.

غزوة الخندق

لمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من حفر الخندق، أقبلت قريش بأحابيشها وأتباعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن يتبعها من أهل نجد، فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[٢] فخرج النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف، وجعلوا الخندق بينهم، واتّفق المشركون مع اليهود على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكر الله هذه القصّة في سورة الأحزاب، وطمع المشركون بكثرتهم وموافقة اليهود لهم، واشتدّ الأمر على المسلمين، وركب فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وكان من مشاهيرهم، وعكرمة بن أبي جهل، وتواعدوا القتال وأقبلوا تعنق بهم خيولهم[٣] حتّى وقفوا على أضيق مكان في الخندق، ثمّ ضربوا خيلهم فاقتحمته[٤] وجالت بهم خيلهم في السبخة[٥] بين المسلمين والخندق، فخرج علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه نفر من المسلمين وأخذوا عليهم المضيق الذي اقتحموه فقصدوه، وكان عمرو بن عبد ود قد جعل لنفسه علامة ليعرف مكانه وتظهر شهامته، ولمّا وقف ومعه ولده حُسلٌ وأصحابه، فقال: من يبارز؟ فقال علي عليه السلام: أنا، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنّه عمرو؟ فسكت، فقال عمرو: هل من مبارز، وجعل يؤنّبهم[٦] ويقول: أين جنّتكم التي

---

(١) وفي نسخة «حسن اللمة». واللمة ـ بالكسر ـ: الشعر المجاوز شحمة الأُذن ولكن الظاهر هو المختار.

(٢) الأحزاب: ١٠.

(٣) أي تسرع.

(٤) اقتحم الفرس النهر: رمى نفسه فيه.

(٥) السبخة من الأرض: ما يعلوه الملوحة ولا ينبت إلّا بعض الأشياء.

(٦) أنّبه: لامه وعابه.

تزعمون أنّ من قُتل منكم دخلها؟ أفلا يبرز إليّ رجل؟ فقال علي: أنا له يا رسول الله، فقال له: إنّه عمرو، فسكت، ثمّ نادى عمرو فقال:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجّع موقف القرن المناجز[1]
وكذاك إنّي لم أزل متسرّعاً قبل الهزاهز[2]
إنّ الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرايز

فقال علي عليه السلام: أنا له يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّه عمرو، فقال: وإن كان؟ فأذن له فخرج إليه وقال عليه السلام:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّه وبصيرة والصدق منجا كلّ فائز
إنّي لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز[3]

ثمّ قال له: يا عمرو، إنّك قد عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلّا أخذتها منه، قال له: أجل، فقال له علي: فإنّي أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، فقال: إنّي أدعوك إلى النزال، قال: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله إنّي ما أحبّ أن أقتلك، فقال له علي عليه السلام: ولكنّي والله أحبّ أن أقتلك، فحمى عمرو[4] ونزل عن فرسه ثمّ جاول[5] عليّاً ساعة، فضربه عليّ عليه السلام ضربة فقتله بها، وكرّ على ابنه حسلّ فقتله، وخرجت خيلهم منهزمة وعظم على المشركين قتل عمرو وابنه، فقال علي عليه السلام والصلاة:

أعليّ تفتخر الفوارس هكذا عنّي وعنهم خبّروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ومصمّم في الرأس ليس بناب
إلى ابن ودّ حين شدّ أليّة وحلفت فاستمعوا إلى الكذّاب

---

(١) البحة والبحاح: غلظ وخشونة في الصوت. والمناجز: المبارز والمقاتل.

(٢) الهزاهز: الحروب والشدائد.

(٣) ضربة نجلاء: واسعة.

(٤) قوله: فحمى أي أخذته الحميّة.

(٥) جاوله: دافعه وطارده.

أن لا أصـــد ولا يـولّى فـالتقى رجلان يضطربان[١] كلّ ضـراب
نصر الحجارة من سفاهة رأيـه ونـــصرت ربّ مـحمّد بـصواب
فـغدوت حـين تـركته مـتجدّلاً كالجذع بين دكادك[٢] وروابي[٣]
وعففت عـن أثـوابـه ولو أنّـني كنت المُجدّل بـزّني أثـوابـي[٤]
لا تـحسبنّ الله خـاذل دِيـنِهِ ونـبيّه يـا مـعشر الأحـزاب

وكان عكرمة بن أبي جهل معهما، فلمّا قُتلا ألقى رمحه وانهزم من علي عليه السلام، ثمّ بعد أن قتل عمرو أرسل الله على قريش الريح وعلى غطفان، واضطربوا واختلفوا هم واليهود فولّوا راجعين، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، فكان هـذا الفتح بـإقدام علي عليه السلام وثباته وقتل هذا الطاغية وابنه بـمنازلته وثـباته حـتّى ولّـى الجـمع الكـثيف المتزاحم، وانجلى ذاك القتام[٥] المتراكم، وتفرّق المشركون عباديد[٦] بعد الإلتـئام، متبدّدين بالإنتظام، وإذا أردت أن تعرف مكان منازلة عليّ لعمرو ومـحلّ عـمرو مـن النجدة والبسالة، فانظر إلى منع النبي صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام من مبارزته حتّى أذن له في الثالثة وحسن طاعة علي عليه السلام وسكوته مرّه بعد مرّة، مع شدّة حرصه على الجهاد ومعرفته بما أعدّه الله فيه من الأجر، وميله إلى الذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقوّة باعثة على الشجاعة التي ينطوي عليها، وفي بعض هذه الدواعي ما تحفّ له حصاة الحـليم، وتـدخل بـه الشبهة على الحكيم، ولكنّه صلى الله عليه وآله الجبل الراسخ، والطود الشـامخ، الذي لا تـزعزعه العواصف، ولا تقلقه الرواجف وهو واقف عند أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عنه يصدر وعنه يرد، وبه يأخذ وعليه يعتمد.

ثمّ لمّا ذهب أبو سفيان بقريش خابياً ورجع وَجَارِه بجمعه هارباً، قصد رسول الله صلى الله عليه وآله بني قريظة لموافقتهم الأحزاب، ومظاهرتهم قريش وأولئك الأوشـاب[٧]،

---

(١) يلتقيان.
(٢) الدكداك من الرمل: ما التبد الأرض ولم يرتفع والجمع الدكادك.
(٣) الروابي جمع الرابية: المرتفع من الأرض.
(٤) بزّه ثوبه أي سلبه، ومنه المثل: من عزّ بز، وقيل لبعضهم: ما معنى من عزّ بز؟ فقال: من غلب سلب.
(٥) القتام ـ كسحاب ـ: الغبار الأسود.
(٦) أي مفرقاً متشتّتاً.
(٧) الأوشاب بمعنى الأوباش.

وسلّم رايته إلى علي عليه السلام وتبعه الناس وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفتح الله حصونهم، وأزال مصونهم وأباح أبكارهم وعونهم، وأنزلهم الله كما قصّ من صياصيهم ومكنه من دانيهم وقاصيهم، وقذف الرعب في قلوبهم؛ مطيعهم وعاصيهم، وعمّهم القتل والأسار، واستولى عليهم في الدنيا القتل والأسر، ولهم في الأخرى النار، وأورث الله المؤمنين أرضهم وديارهم وأطفأ نور الإسلام نارهم، وأقرّهم على الجزية وسلب قرارهم.

قال المفيد رحمه الله: فصل: في غزاة بني النضير وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا حاصرهم عمل على حصارهم[1] فضرب قبّته في أقصى بني حطمة فرماه رجل من بني النضير في الليل بسهم فأصاب القبّة، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم فحوّلت قبّته إلى السفح[2] وأحاط به المهاجرون والأنصار، فلمّا اختلط الظلام فقدوا عليّاً فعرفوه ذلك، فقال: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى القبّة واسمه عزوراء، فطرحه بين يدي رسول الله، فقال: كيف عملت به؟ فقال: يا رسول الله، رأيته شجاعاً، فقلت: ما أجرأه أن يخرج ليلاً يطلب غرّة، فكمنت له فأقبل مصلتاً سيفه ومعه تسعة من اليهود، فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإنّي أرجو أن أظفر بهم، فبعث معه عشرة منهم أبودجانة وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحصن فقتلوهم وجاؤا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمر بطرحها في بعض الآبار، وكان ذلك سبب فتح حصونهم، وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف واصطفى رسول الله أموال بني النضير، فكانت أوّل صافية قسمها بين المهاجرين الأوّلين والأنصار، وأمر عليّاً فحاز ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها فجعله صدقة، وكان في يده في أيّام حياته ثمّ في يد أميرالمؤمنين عليه السلام بعده وهو في يد ولد فاطمة عليها السلام حتّى اليوم، وفيما كان من أميرالمؤمنين في هذه الغزاة يقول حسّان بن ثابت:

لله أيّ كريهة أبليتها ببني قريظه والنفوس تطلّعُ[3]

---

(١) كذا في النسخ لكن عبارة الإرشاد هكذا: «فصل: ولمّا توجّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني النضير عمد على حصارهم إنتهى»، وكذا في ما يأتي من القصة بين الكتاب والإرشاد اختلاف يسير ولعلّه من تصرّف المؤلف رحمه الله وتلخيصه كما صرّح في أوائل الكتاب بأنّ عادته تلخيص الكلمات التي نقلها.

(٢) السفح: أصل الجبل وأسفله.

(٣) التطلّع: الإنتظار.

أردى رئيسهم وآب بتسعة طوراً يشلّهم وطوراً يدفع[1]

فصل: وكانت غزاة الأحزاب بعد غزاة بني النضير، وهي غزاة الخندق، وذلك أنّ جماعة من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحيّ بن أخطب وغيرهما ونفر من بني والية خرجوا حتّى قدموا مكّة وصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته للنبي صلى الله عليه وآله وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم منه وسألوه المعونة على قتاله، فقال: أنا لكم حيث تحبّون، فاخرجوا إلى قريش فادعوهم إلى حربه واضمنوا لهم النصرة والثبوت معهم حتّى تستأصلوه، فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: أيدينا مع أيديكم ونحن معكم حتّى نستأصله، فقالت قريش: يا معشر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأوّل، والعلم السابق، وقد عرفتم ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله وما نحن عليه من الدين، فديننا خير أم دينه؟ فقالوا: بل دينكم وأنتم أولى بالحقّ منه، فنشطت قريش إلى حربه صلى الله عليه وآله، وقال لهم أبو سفيان: قد مكّنكم الله من عدوّكم واليهود تقاتله معكم، ولا تفارقكم حتّى تستأصلوه ومن أتبعه، فقويت نفوسهم وعزائمهم على الحرب، ثمّ جاء اليهود غطفان وقيس غيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وضمنوا لهم النصر والمعونة، وأخبروهم بموافقة قريش لهم على ذلك، واجتمعوا وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مرّة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع.

فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله باجتماع الأحزاب على قصد المدينة استشار أصحابه فأجمعوا على المقام بالمدينة وحربهم على أنقابها[2]، وأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق فحفره وعمل فيه بنفسه، وعمل المسلمون، وأقبلت الأحزاب بجموعهم، فهالت المسلمون وارتاعوا من كثرتهم، ونزلوا ناحية من الخندق وأقاموا مكانهم بضعاً وعشرين ليلة، ولم يكن بينهم حرب إلّا الرمي بالنبل والحصاة.

فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم ووهنهم في حربهم، بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف قائدي غطفان يدعوهم إلى

---

(١) أرداه: أهلكه. وآب: رجع. والشل والشلل: الطرد.

(٢) النقب: الطريق في الجبل.

الصلح والكفّ عنه والرجوع بقومهما عن حربه، على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة، واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فيما بعث به إليهما، فقالا: إن كان هذا أمر أمر الله به ولابدّ منه فافعل، وإن كنت تفعله من أجلنا كان لنا فيه رأي، فقال صلى الله عليه وآله: لم يأتني فيه وحي ولكنّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وجاؤوكم من كلّ جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقال سعد بن معاذ: قد كنّا ونحن على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، ولم نكن نطعمهم من ثمرنا إلّا قرىً[1] أو بيعاً، فالآن حين أكرمنا الله بالإسلام وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا؟! مالنا إلى ذلك حاجة، والله لا نعطيهم إلّا السيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد عرفت ما عندكم فكونوا على ما أنتم عليه، فإنّ الله لن يخذل نبيّه ولن يسلّمه حتّى ينجز وعده.

ثمّ جعل صلى الله عليه وآله يدعو المسلمين إلى جهاد عدوّهم يشجّعهم ويعدهم النصر، فانتدب فوارس من قريش للبراز منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة ابن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن أبي الخطاب ومرداس الفهري، وأقبلوا تعنق بهم خيولهم حتّى وقفوا على الخندق وقالوا: هذه مكيدة لا تعرفنا العرب، ثمّ يمّموا مكاناً ضيّقاً من الخندق فاقتحموه وصاروا في السبخة، وخرج أميرالمؤمنين عليه السلام في نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها، فتقدم عمرو بن عبد ود وقد أعلم ليرى مكانه، وقال: هل من مبارز، فبرز إليه أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له عمرو: ارجع يابن أخي فما أحبّ أن أقتلك، فقال له عليّ: قد كنت يا عمر وعاهدت الله أن لا يدعوك رجل إلى إحدى خلّتين إلّا اخترت إحداهما منه، قال: أجل: فما ذلك؟ قال: إنّي أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام، فقال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإنّي أدعوك إلى النزال، قال: ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلّة وما أحبّ أن أقتلك، فقال له أميرالمؤمنين: لكنّي أحبّ أن أقتلك ما دمت آبياً للحق، فحمى عمرو ونزل عن فرسه وضرب وجهه حتّى نفر وأقبل على عليّ مصلتاً سيفه، وبدره بالسيف فنشب سيفه في ترس علي عليه السلام وضربه أميرالمؤمنين فقتله، وانهزم من كان معه، وعاد علي عليه السلام إلى مقامه الأوّل، وقد كانت قلوب أصحابه الذين خرجوا معه تطير جزعاً، وأنشد الأبيات البائية التي ذكرتها آنفاً.

---

(١) أي ضيافة.

وروى محمّد بن عمرو الواقدي مرفوعاً إلى الزهري قريباً منه، وطلب عمرو المبارزة مرّة بعد أُخرى وأنشد: «ولقد بححت من النداء» وفي كلّ ذلك يقوم علي عليه السلام فيأمره بالجلوس انتظاراً لحركة غيره من المسلمين، وكأنّ على رؤسهم الطير لخوفهم من عمرو ومن معه، وطال نداء عمرو بطلب البراز، وتتابع قيام علي عليه السلام، فقال له: أُدن منّي يا علي، فدنا فنزع عمامته من رأسه وعمّمه بها وأعطاه سيفه وقال: امض لشأنك، ثمّ قال: اللهمّ أعنه، فسعى نحو عمرو ومعه جابر بن عبدالله الأنصاري لينظر ما يكون منه ومن عمرو، فلمّا انتهى إليه قال: يا عمرو إنّك كنت في الجاهليّة تقول: لا يدعوني رجل إلى ثلاث إلّا قبلتها أو واحدة منها، قال: أجل، قال: فإنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأن تسلم لربّ العالمين، قال: يابن أخي، أخّر هذا عنّي. قال عليه السلام: أمّا إنّها خير لك لو أخذتها، قال: فهاهنا أُخرى، قال: وما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تحدّث عنّي نساء قريش بهذا أبداً، قال: فهنا أُخرى، قال: ما هي؟ قال: تنزل فتقاتلني، فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ماكنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني عليها، إنّي أكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً، قال علي عليه السلام: لكنّي أُحبّ أن أقتلك فانزل إن شئت، فأسف عمرو ونزل فضرب وجه فرسه حتّى رجع.

قال جابر رضي الله عنه: وثارت بينهما قترة[1] فما رأيتهما وسمعت التكبير، فعلمت أنّ عليّاً عليه السلام قتله، وانكشف أصحابه وعبروا الخندق وتبادر المسلمين حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبدالله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه، فرموه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذه، ينزل بعضكم أُقاتله، فنزل إليه أميرالمؤمنين عليه السلام فضربه حتّى قتله، ولحق هبيرة فأعجزه فضرب قربوس سرجه وسقطت درعه، وفرّ عكرمة، وهرب ضرار بن الخطاب، قال جابر: فما شبّهت قتل علي عمراً إلّا بما قصّ الله من قصّة داود وجالوت.

وعن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له: يا أبا عبدالله، إنّا لنتحدّث عن علي ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنّكم تفرطون في عليّ، فهل أنت محدّثي بحديث فيه؟ فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي والذي نفسي بيده لو

---

(١) القترة: الغبار.

وضع جميع أعمال أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله في كفّة الميزان منذ بعث الله محمّداً إلى يوم القيامة ووضع عمل علي في الكفّة الأخرىٰ لرجح عمل عليّ على جميع أعمالهم. فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد. فقال حذيفة: يا لكع[1] وكيف لا يحمل وأين كان ابوبكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ود وقد دعا إلى المبارزة؟ فأحجم الناس[2] كلّهم ما خلا علياً عليه السلام فإنّه برز إليه فقتله الله على يده، والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة وأنشد الأبيات وفيها بعد (اليوم يمنعني الفرار حفيظتي):

أرديت عمراً إذ طغى بمهنّد صافي الحديد مجرّب قضّاب[3]

ولمّا قتل عمرواً أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلّل فقال له عمر بن الخطّاب: هلّا سلبته يا علي درعه، فما لأحد درع مثلها؟ فقال: إنّي استحييت أن أكشف عن سوءة ابن عمّي.

وروي أنّه لمّا قتل عمرواً احتزّ رأسه وألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقام أبوبكر وعمر فقبّلا رأس علي عليه السلام وقال أبوبكر بن عيّاش: لقد ضرب عليّ ضربة ما كان في الإسلام ضربة أعزّ منها؛ يعني ضربة عليٍّ لعمرو بن عبد ود، ولقد ضُرب عليّ ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها؛ يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله.

ورأيت في بعض الكتب ولم يحضرني الكتاب عند جمعي هذا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال حين بارز علي عمرو بن عبد ود: خرج الإسلام كلّه إلى الشرك كلّه، وفي هذه الغزاة نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[4] الآيات إلى آخرها، ولم يخلص من العتب إلّا علي عليه السلام، ولمّا قتل هؤلاء النفر، قال النبي صلى الله عليه وآله: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

وروي أنّ عبدالله بن مسعود كان يقرأ: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِعَلِيٍّ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[5]. وفي قتل عمرو يقول حسّان:

---

(١) اللكع: اللئيم والعبد الأحمق.

(٢) أحجم فلان عن الشيء: كفّ أو نكص هيبة.

(٣) المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. والقضاب بمعنى القطاع.

(٤) الأحزاب: ١٠.

(٥) الأحزاب: ٢٥.

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي ... بجنوب يثرب غارة لم تنظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب المخسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

ولمّا بلغ شعر حسان بني عامر أجابه فتى منهم فقال يردّ عليه فخره:

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبدالله أحمد في الوغا ... بكفّ عليٍّ نلتم ذاك فاقصروا
فلم تقتلوا عمرو بن ود ولا ابنه ... ولكنّه الكفؤ الجسور الغضنفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخّروا
فلمّا أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء عليّ بالمهنّد يخطر
فقالوا نعم أكفاء صدق وأقبلوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
فجال عليّ جولة هاشميّة ... فدمّرهم لمّا عتوا وتكبّروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... وليس لكم فخر يعدّ فيذكر

وقالت أُخت عمرو وقد نعي إليها أخوها: من ذا الذي اجترؤا عليه؟ قالوا: علي ابن أبي طالب، فقالت: لو لم يعد يومه[1] إلّا على يد كفو كريم لأرقأت دمعتي[2] عليه إن هرقتها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيّته على يد كريم قومه ما سمعت أفخر من هذا يا بني عامر، وأنشدت البيتين: (لو كان قاتل عمرو غير قاتله) وقد تقدّمتا، وقالت أيضاً ترثي أخاها وتذكره وعليّاً عليه الصلاة والسلام:

أسدان في ضيق المكرّ تصاولا ... فكلاهما كفو كريم باسل[3]
فتخالسا مهج النفوس كلاهما ... وسط المدار محامل ومقاتل[4]
وكلاهما حضر القراع حفيظة ... لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب عليّ فما ظفرت بمثله ... قول سديد ليس فيه تحامل

---

(١) وفي الإرشاد «لو يعد موته» مكان «لو لم يعد يومه». وخلت نسخة من الكتاب أيضاً عن لفظة «لو».
(٢) رقأ رقئاً الدمع: سكن وجف.
(٣) تصاولا: توائبا. والباسل: الشجاع البطل.
(٤) تخالسا القرنان: أي يروم كلّ منهما قتل صاحبه.

فالثار عندي يا علي لو أنني أدركته والعقل مني كامل
ذلّت قريش بعد مقتل فارس والذل مهلكها وخزي شامل

ثمّ قالت: والله لا ثارت قريش بأخي ما حنّت النيب[١].

فصل: ولمّا انهزم الأحزاب وولّوا عن المسلمين، عمل رسول الله صلى الله عليه وآله على قصده بني قريظة، وأنفذ أميرالمؤمنين عليه السلام في ثلاثين من الخزرج وقال له: انظر بني قريظة هل تركوا حصونهم؟ فلمّا شارفها سمع منهم الهجر[٢]، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: دعهم فإنّ الله سيمكن منهم، إنّ الذي أمكنك من عمرو لا يخذلك، فقف حتّى يجتمع الناس إليك وابشر بنصر الله فإنّ الله قد نصرني بالرعب بين يديّ مسيرة شهر، قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إليّ وسرت حتّى دنوت من سورهم، فأشرف عليّ شخص منهم ونادى: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر كذلك، وتصايحوا بها بينهم وألقى الله الرعب في قلوبهم، وسمعت راجزاً يرجز:

قتل عليّ عمروا صاد عليّ صقرا
قصم عليّ ظهرا أبرم عليّ أمرا
هتك علي سترا

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك.

وكان النبي صلى الله عليه وآله قال لي: سر على بركة الله فإنّ الله قد وعدكم أرضهم وديارهم، فسرت متيقّناً بنصر الله عزّوجلّ، حتّى ركزت الراية[٣] في أصل الحصن واستقبلوني يسبّون رسول الله صلى الله عليه وآله، فكرهت أن يسمعه رسول الله فأردت أن أرجع إليه فإذا به قد طلع فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فقالوا: يا أباالقاسم ماكنت جهولاً ولا سباباً، فاستحى صلى الله عليه وآله ورجع القهقري قليلاً ثمّ أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم، وأقام يحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتّى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ[٤]، فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري

---

(١) النيب جمع ناب وهي الناقة المسنّة. يقال: لا أفعله ما حنّت النيب أي أبداً.

(٢) قال الجوهري: الهجر: الهذيان، والهجر: الإسم من الإهجار وهو الإفحاش في المنطق.

(٣) ركز الرمح في الأرض أي أدخله فيها.

(٤) ووجه نزولهم على حكم سعد بن معاذ أنّهم كانوا حلفاء الأوس وكان سعد من أشراف هذه القبيلة وهو

والنساء وقسمة الأموال، فقال صلى الله عليه وآله: لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة[١] وأمر بإنزال الرجال وكانوا تسعمائة[٢].

فجيء بهم إلى المدينة وحبسوا في دار من دور بني النجار، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع السوق اليوم، وحضر معه المسلمون، وأمر أن يخرجوا وتقدّم إلى أميرالمؤمنين عليه السلام بضرب أعناقهم في الخندق، فأخرجوا إرسالاً[٣] وفيهم حيّ بن أخطب وكعب بن أسد وهما رئيسا القوم، فقالوا لكعب وهو يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تراه يصنع بنا؟ فاقل: في كلّ موطن لا تعقلون، أما ترون الداعي لا ينزع[٤]، ومن ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل، وجيء بحي مجموعة يداه إلى عنقه، فلمّا نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل، ثمّ أقبل على الناس فقال: أيّها الناس إنّه لابدّ من أمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت إلى بني إسرائيل، ثمّ أُقيم بين يدي أميرالمؤمنين وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف، فقال علي عليه السلام: إنّ الأخيار يقتلون الأشرار والأشرار يقتلون الأخيار، فويل لمن قتله الأخيار، وطوبى لمن قتله الأشرار والكفّار، فقال: صدقت لا تسلبني حلّتي، قال: هي أهون عليّ من ذاك، قال: سترتني سترك الله، ومدّ عنقه فضربها علي عليه السلام ولم يسلبه من بينهم.

وسأل أميرالمؤمنين عليه السلام الذي جاء به ما كان يقول حي وهو يقاد إلى الموت، قال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنّه من يخذل الله يخذل
فجاهَدَ حتّى بلّغ النفس جهدَها ... وحاول يبغي العزّ كلّ مغلغل

⊂ ذو فضل كثير وهو الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حقّه: «اهتزّ له العرش» وقد أُصيب سعد بن معاذ في غزوة أحد بسهم رماه رجل من بني عامر فقطع أكحله فقال: اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنّه لا قوم أحب إليّ أن أُجاهد من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتّى تقرّ عيني في بني قريظة، فلمّا دعا بذلك انقطع الدم ثمّ لمّا حكم في بني قريظة انفجر عرقه ومات من يومه رحمه الله تعالى ورضي عنه.

(١) الرقيع: سماء الدنيا وكذلك ساير السماوات وجاء به على لفظ التذكير كأنّه أراد به السقف.

(٢) وفي بعض النسخ «سبعمأة». وقد اختلفت الكلمات في عددهم.

(٣) أي قطيعاً قطيعاً.

(٤) أي لا ينتهي من الدعاء والطلب.

وكان الظفر بهم والفتح على يدي أميرالمؤمنين عليه السلام.

فصل: وكان من بلائه عليه السلام في بني المصطلق ما هو مشهور بين العلماء، وكان الفتح له في هذه الغزاة وأصيب أناس من بني عبدالمطّلب، وقتل أميرالمؤمنين رجلين من القوم وهما مالك وابنه، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً كثيراً فقسّمه في المسلمين، وكان شعار المسلمين في هذه الغزاة: «يا منصور أمت»، وسبى أميرالمؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فاصطفاها لنفسه، فجاء أبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك فقال: يا رسول الله، إنّ ابنتي لا تسبى إنّها امرأة كريمة؟ قال: اذهب فخيّرها، قال: لقد أحسنت وأجملت، فاختارت الله ورسوله، فأعتقها رسول الله وجعلها في جملة أزواجه.

فصل: قال: وتلا هذه الغزاة غزاة الحديبيّة، وكان أميرالمؤمنين الذي كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وبين سهيل بن عمرو حين ضرع إلى الصلح[1] عندما رأى توجّه الأمر عليهم، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أكتب يا علي بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: هذا كتاب بيننا وبينك فافتتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللهمّ، فقال صلى الله عليه وآله: امح ما كتبت، فقال أميرالمؤمنين: لولا طاعتك لما محوتها، فمحاها، وكتب باسمك اللهمّ.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب الذي بيننا وبينك إلى هذا لأقررت بالنبوّة، امح هذا واكتب اسمك، فقال علي: والله إنّه لرسول الله على رغم أنفك، فقال سهيل: اكتب إسمه يمضي الشرط، فقال علي: ويلك يا سهيل كفّ عن عنادك، فقال صلى الله عليه وآله: امحها يا علي، فقال: إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة، قال: فوضع يدي عليها فمحاها صلى الله عليه وآله وقال لأميرالمؤمنين: إنّك ستدعى إلى مثلها فتجيب على مضض[2]، وتمّم الكتاب وكان نظام تدبير هذه الغزاة بيد أميرالمؤمنين عليه السلام، وحقن الله دماء المسلمين.

وقد روى الناس له في هذه الغزاة فضيلتين اقترنتا بفضائله العظام ومناقبه الجسام.

---

(١) ضرع إلى الأمر: خضع.

(٢) المضض ـ محركة ـ: وجع المصيبة.

عن قائد مولى عبدالله بن سالم قال: لمّا خرج رسول الله في غزوة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماءاً، فبعث سعد بن مالك بالروايا، فغاب غير بعيد وعاد، وقال: ما أستطيع أن أمضي رعباً من القوم، فقال: اجلس ثمّ أنفذ رجلاً آخر وكان حاله كذلك، فدعا علياً عليه السلام وأرسله فخرج وهم لا يشكّون في رجوعه لما شاهدوا من صعوبة الحال، فخرج بالروايا وورد واستقى وعاد ولها زجل[1]، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله ودعا له بخير.

وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمّد، إنّ أرقّاءنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تبيّن الغضب في وجهه، ثمّ قال: لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان، يضرب رقابكم على الدين، فقال بعض من حضر: يا رسول الله أبوبكر؟ قال: لا، قيل: عمر؟ قال: لا، ولكنّه خاصف النعل في الحجرة، فتبادروا إليها ليعرفوا من هو؟ فإذا هو أميرالمؤمنين عليه السلام.

وقد روى جماعة أنّ علياً قصّ هذه القصة ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار.

وروي عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: انقطع شسع نعل[2] رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعها إلى علي يصلحها ثمّ مشى في نعل واحدة غلوة[3] أو نحوها وأقبل على أصحابه فقال: إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما يقاتل معي على التنزيل، فقال أبوبكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ فقال: لا، قال عمر: فأنا؟ فقال: لا، فأمسكوا ونظر بعضهم إلى بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكنّه خاصف النعل، وأومأ إلى علي عليه السلام، فإنّه يقاتل على التأويل إذا تركت سنّتي ونبذت، وحرّف كتاب الله وتكلّم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم على إحياء دين الله.

قلت: إن كان المفيد رحمه الله قد ذكر هذا فقد أورد الترمذي في صحيحه ما يقاربه، وهو عن ربعي بن خراش قال: حدّثنا علي بن أبي طالب بالرحبة قال: لمّا كان يوم

---

(١) الزجل: الصوت العالي.

(٢) الشسع: قبال النعل وهو زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

(٣) الغلوة: رمية السهم أو نحوها.

الحديبيّة خرج إلينا ناس من المشركين، فيهم سهيل بن عمرو وأُناس من رؤساء المشركين، فقالوا: يا رسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا ليس لهم فقه في الدين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان، قالوا: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها، قال: ثمّ التفت إلينا عليّ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار، هذا حديث حسن صحيح غريب.

غزوة خيبر

كانت في سنة سبع للهجرة (قال ابن طلحة) وتلخيص المقصد فيها على ما ذكره أبو محمّد عبدالملك بن هشام في كتاب السيرة النبويّة يرفعه بسنده عن ابن الأكوع قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله أبابكر برايته وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر، فقاتل ثمّ رجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثمّ بعث عمر بن الخطّاب كذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار. قال سلمة: فدعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينيه ثمّ قال: خذ هذه الراية فامض بها حتّى يفتح الله عليك، فخرج يهرول وأنا خلفه نتبع أثره حتّى ركّز رايته في رضم[1] من حجارة تحت الحصن، فاطّلع عليه يهودي من الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: علوتم حصناً وما أنزل على موسى أو كما قال: فما رجع حتّى فتح الله على يديه.

وروى بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خرجنا مع علي عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله برايته، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن فرمى به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله على يديه، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أثالثاً منهم نجهد على أن نقلّب الباب فلم نقلّبه وقد ذكره أحمد بن حنبل في مسنده.

---

(١) الرضم والرضام: صخور عظام يرخم بعضها فوق بعض في الأبنية. الواحدة رضمة.

قال الشيخ المفيد: ثمّ تلت الحديبيّة خيبر، وكان الفتح فيها لأميرالمؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، فظهر من فضله عليه السلام في هذه الغزاة ما أجمع عليه نقلة الرواة وتفرّد فيها بمناقب لم يشركه فيها أحد من الناس، فروى محمّد بن يحيى الأزدي عن مسعدة بن اليسع وعبيدالله بن عبدالرحيم، عن عبدالملك بن هشام، ومحمّد بن إسحاق وغيرهم من أصحاب الآثار قالوا: لمّا دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر قال للناس: قفوا، فوقفوا فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن وربّ الأرضين السبع وما أقللن وربّ الشياطين وما أضللن أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، ثمّ نزل عليه السلام تحت شجرة وأقمنا بقيّة يومنا ومن غده، فلمّا كان نصف النهار نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعنا إليه، فإذا عنده رجل جالس، فقال: إنّ هذا جاءني وأنا نائم فسلّ سيفي وقال: يا محمّد من يمنعك منّي اليوم؟ قلت: الله يمنعني منك، فشام السيف[1] وهو جالس كما ترون ولا حراك[2]، فقلنا: يا رسول الله لعلّ في عقله شيئاً، قال: نعم دعوه، ثمّ صرفه ولم يعاقبه وحاصر خيبراً بضعاً وعشرين ليلة[3]، وكانت الراية لأميرالمؤمنين، فعرض له رمد أعجزه عن الحرب، وكان المسلمون يناوشون اليهود[4] بين أيدي حصونهم وجنباتها.

فلمّا كان ذات يوم فتحوا الباب وكانوا خندقوا على أنفسهم، وخرج مرحب برجله يتعرّض للحرب فدعا رسول الله أبابكر فقال له: خذ هذه الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين فاجتهد ولم يغن شيئاً، وعاد يؤنّب القوم الذي اتبعوه ويؤنّبونه[5].

فلمّا كان من الغد تعرض لها عمر فسار بها غير بعيد، ثمّ رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي بن أبي طالب، فقيل: إنّه أرمد، فقال: أروني تروني رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يأخذها بحقّها ليس بفرّار، فجاؤوا بعلي يقودونه إليه، فقال: ما تشتكي يا

---

(١) شامه: سلّه. وشامه: أغمده وهو من الأضداد.

(٢) الحراك ـ بالفتح ـ: الحركة.

(٣) ويضع في العدد بكسر الباء وبعض العرب بفتحها وهو ما بين الثلاث إلى التسع.

(٤) المناوشة: المناولة.

(٥) أنّبه ـ بتشديد النون ـ: لامه.

علي؟ قال: رمداً ما أبصر معه، وصداعاً برأسي، فقال له: اجلس وضع رأسك على فخذي، ففعل عليّ ذلك فدعا له النبي صلى الله عليه وآله، وتفل في يده فمسحها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه، وسكن الصداع، وقال في دعائه له: اللهمّ قه الحرّ والبرد، وأعطاه الراية، وكانت بيضاء وقال: امض بها وجبرئيل معك والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي إنّهم يجدون في كتابهم أنّ الذي يدمّر عليهم اسمه إليا، فإذا لقيتهم فقل أنا علي بن أبي طالب فإنّهم يخذلون إن شاء الله تعالى.

قال علي عليه السلام: فمضيت بها حتّى أتيت الحصن، فخرج مرحب وعليه درع ومغفر قد نقّبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب

فقلت:

أنا الذي سمّتني أمّي حيدرة كليث غابات شديد قسورة[1]

أكليكم بالسيف كيل السندرة[2]

فاختلفتا ضربتين فبدرته فقدّدْتُ الحجَر والمِغفَر ورأسه حتّى وقع السيف في أضراسه وخرّ صريعاً.

وورد أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا قال: أنا علي بن أبي طالب، قال حبر منهم: غلبتهم وما أنزل على موسى، فخامرهم[3] رعب شديد، ورجع من كان مع مرحب

---

(١) وفي بعض الروايات «ضرغام آجام وليث قسورة» وغابات جمع الغابة: مأوى الأسد. وقسورة: الرجل القوي، ومن أسامي الأسد أيضاً.

(٢) قال أبو عمرو الزاهد في كتاب اليواقيت: سمعت ثعلباً اجتمعت رواة الشعر من الكوفيين والبصريين فلم يزيد على عشرة أبيات صحيحة لعلي، وأجمعوا أنّ ما زاد على العشر فهو منحول، وهذه الأبيات من الصحيحة، ومنها:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني

وقال: سمعت ثعلباً يقول: اختلف الناس في قوله «السندرة»، فقال ابن الأعرابي: هو مكيال كبير مثل القنقل، قال ثعلب: فعللي هذا أي أقتلكم قتلاً واسعاً كثيراً، وقال غيره: هي امرأة كانت تبيع القمح، وتوفي الكيل، قال ثعلب: فعلى هذا أي أكيلكم، كيلاً وافياً، وقال غيرهم: هي العجلة، يقال: رجل سندري إذا كان مستعجلاً في أموره جاداً، قال ثعلب: فعلى هذا أي أقاتلكم بسرعة وعجلة وأبادركم قبل الفرار.

(٣) أي داخلهم.

وأغلق باب الحصن، فصار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وعالجه حتّى فتحه وأكثر الناس لم يعبروا الخندق، فأخذ الباب وجعله جسراً على الخندق حتّى عبروا، وظفروا بالحصن وأخذوا الغنائم، ولمّا انصرفوا دحى به بيمناه أذرعاً، وكان يغلقه عشرون رجلاً، وقال حسان بعد أن استأذن النبي في أن يقول في ذلك شعراً فأذن له فقال:

وكان علي أرمد العين يبتغي دواءاً فلمّا لم يحس مداويـاً

وقد تقدّمت الأبيات...

وقال أبو عمر الزاهد: قال الأنصاري: فضربه علي ضربة فقدّه باثنتين.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنه: كان لعلي عليه السلام ضربتان إذا تطاول قدّ وإذا تقاصر قط.

وقال الأنصاري: فرأيت أمّ مرحب تندبه وهو بين يديها، قلت: من قتل مرحباً؟ قالت: ما كان ليقتله إلّا أحد الرجلين، قلت: فمن هما؟ قالت: محمّد أو علي، قلت: فمن قتله منهما؟ قالت: علي، وأنشدتني أبياتاً في آخرها:

لله درّ ابـن أبـي طـالب ودرّ شيخيه لقـد أنـجبا

وروي عن عليّ عليه السلام قال: لمّا عالجت باب خيبر جعلته مجناً[1] لي وقاتلت القوم، فلمّا أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثمّ رميت به في خندقهم، فقال له رجل منهم: لقد حملت منه ثقلاً؟ فقال: ما كان إلّا مثل جُنّتي التي في يدي في غير ذلك اليوم. وقيل: إنّ المسلمين راموا حمل ذلك الباب فلم يقله[2] إلّا سبعون رجلاً.

فصل: ثمّ تلا غزاة خيبر مواقف لم تجر مجرى ما تقدّمها، وأكثرها كانت بعوثاً لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا كان الإهتمام بها كغيرها لضعف العدو وغناء المسلمين فاضربنا عن تعدادها، وكان لأميرالمؤمنين عليه السلام في جميعها حظّ وافر من قول وعمل.

غزوة الفتح

وهي التي توطّد أمر الإسلام بها، وتمهّد الدين بما منّ الله سبحانه على نبيّه فيها

---

(١) المجن: الترس.

(٢) أقل الشيء: حمله ورفعه.

وإنجاز وعده في قوله: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾[١] إلى آخرها، وقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾[٢] الآية، وكانت الأعين إليها ممتدّة، والرقاب متطاولة، وكتم النبي صلى الله عليه وآله أمره حين أرادها، وأخبر به علياً عليه السلام، وكان شريكه في الرأي، وأمينه على السرّ، ثمّ عرف أبابكر وجماعة من أصحابه بعد ذلك، وجرى الأمر في ذلك على حال ما زال أميرالمؤمنين منفرداً بالفضل فيها.

فمن ذلك أنّ حاطب بن أبي بلتعة وكان من أهل مكّة وشهد بدراً، كتب إلى أهل مكة كتاباً بطلعهم على سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومسيره إليهم، فجاء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بما فعل، وكان أعطى الكتاب امرأة سوداء كانت وردت المدينة مستميحة[٣] وأمرها أن تأخذ على غير الطريق، فاستدعى صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال: إنّ بعض أصحابي قد كاتب أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم، والكتاب مع امرأة سوداء وقد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك وألحقها وانتزع الكتاب منها وخلّها وعد إليّ، وأنفذ الزبير معه فمضيا وأدركا الامرأة وسبق إليها الزبير وسألها عن الكتاب فأنكرته وحلفت، فقال الزبير: ما أرى معها كتاباً يا أباالحسن فارجع بنا إلى رسول الله نخبره ببراءة ساحتها، فقال أميرالمؤمنين: يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ معها كتاباً ويأمرني بأخذه وتقول: لا كتاب معها، ثمّ اخترط سيفه[٤] وقال: والله لئن لم تخرجي الكتاب لأضربنّ عنقك، فقالت: إذا كان كذلك فاعرض عنّي حتّى أخرجه، فأعرض بوجهه فكشفت وجهها وأخرجته من عقيصتها[٥] فأخذه أميرالمؤمنين عليه السلام وصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمر أن ينادي بالصلاة جامعة، فنودي واجتمعوا، ثمّ صعد المنبر وأخذ الكتاب فقال: أيّها الناس إني كنت سألت الله عزّ اسمه أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإنّ رجلاً كتب إلى أهله يخبرهم خبرنا، فليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي، فلم يقم

---

(١) النصر: ١.

(٢) الفتح: ٢٧.

(٣) استماحه: سأله أن يشفع له.

(٤) اخترط السيف: أخرجه من غمده.

(٥) العقيصة: الشعر المفعوص أي المشدود في القفا، واصل العقص: اللي وادخال أطراف الشعر في أصوله.

أحد، فأعاد ثانية فقام حاطب وهو يرعد كالسعفة[1] وقال: أنا صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكّاً بعد يقيني، فقال له صلى الله عليه وآله: فما الذي حملك على ذلك؟ فقال إنّ لي أهلاً بمكّة ولا عشيرة لي بها، وخفت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون الكتاب كفّاً لهم عن أهلي، ويداً لي عليهم، ولم يكن لشك منّي في الدين، فقال عمر: يا رسول الله، مرني بقتله فقد نافق، فقال: إنّه من أهل بدر ولعلّ الله اطّلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد، فجعل الناس يدفعونه في ظهره ويخرجونه وهو يلتفت إلى رسول الله ليرقّ له، فردّه وقال: قد عفوت عنك فاستغفر ربّك ولا تعد لمثل ما جنيت.

وهذه المنقبة لاحقة بمناقبه عليه السلام وفيها من جدّه في إخراج الكتاب من الامرأة وعزيمته في ذلك، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يثق في ذلك إلّا به، وأنفذ الزبير معه لأنّه في عداد بني هاشم من قبل أُمّه صفيّة بنت عبدالمطّلب، فأراد أن يتولّى سرّه أهله وكان للزبير شجاعة وفيه إقدام، ونسبه متّصل بنسب أميرالمؤمنين عليه السلام فعلم أنّه يساعده على أمره وكان الزبير تابعاً لعلي مع أنّه خالف الصواب في تنزيهها من الكتاب، فتدارك ذلك علي عليه السلام وفي ذلك من الفضيلة والمنقبة ما تفرّد به ولم يشاركه فيه أحد، وقد ذكر هذه القضيّة بقريب من هذه الألفاظ جماعة غير المفيد.

وكان النبي صلى الله عليه وآله أعطى الراية يوم الفتح سعد بن عبادة، وأمره أن يدخل بها مكة أمامه فأخذها سعد وهو يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

فقال بعض القوم للنبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع ما يقول سعد؟ والله إنّا نخاف أن تكون له اليوم صولة في قريش، فقال صلى الله عليه وآله: أدرك يا علي سعداً فخذ الراية منه وادخل بها أنت.

قلت: هكذا ذكره أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في تاريخه، فاستدرك به صلى الله عليه وآله ما كاد يفوت من صواب التدبير بتهجم سعد وإقدامه على أهل مكة، وعلم أنّ الأنصار لا توافق على عزل سيّدها وأخذ الراية منه إلّا بمثل علي عليه السلام. ولأنّ حاله في ذلك كما لو أخذها النبي صلى الله عليه وآله في جلالة قدره ورفيع مكانه، وهذا عزل خير من ولاية،

---

(١) السعفة: جريدة النخل.

فإنّ من كان بحيث لا يقوم مقامه ولا يسدّ مسدّه إلّا علي عليه السلام فله أن يطاول الأفلاك، ويفاخر الأملاك، ولو كان في الصحابة من يوافق الأنصار على عزل صاحبها به لاختاره لذلك، وندبه إليه، ولكنّه أبوالحسن القائم مقام نفسه، والمشارك له في نوعه وجنسه صلّىٰ الله عليهما وآلهما الطاهرين.

وكان عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يقاتلوا بمكة إلّا من قاتلهم سوى نفر كانوا يؤذونه، فقتل أميرالمؤمنين عليه السلام منهم الحويرث بن نفيل بن كعب وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة وبلغه عليه السلام أنّ أُخته أُم هاني قد آوت ناساً من بني مخزوم فيهم الحرث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد عليه السلام دارها وهو مقنّع بالحديد، فنادى: أخرجوا من آويتم، فخرجت إليه أُم هاني وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبدالله أنا أُم هاني بنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُخت علي بن أبي طالب انصرف عن داري، فقال: أخرجوهم، فقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله، فرفع المغفر عن رأسه، فعرفته فجاءت تشتدّ حتّى التزمته وقالت: فديتك، حلفت لأشكونّك إلى رسول الله، فقال: اذهبي فبرّي قسمك فإنّه بأعلى الوادي، قالت: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو في قبّة يغتسل وفاطمة تستره، فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامي قال: مرحباً بك يا أُم هاني وأهلا، قلت: بأبي أنت وأُمّي أشكو إليك ما لقيت من علي اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أجرت من أجارت، فقالت فاطمة: إنّما جئت يا أُم هاني تشكين عليّاً فإنّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد شكّر الله سعي عليّ وأجرت من أجارت أُم هاني لمكانها من عليّ.

ولمّا دخل صلى الله عليه وآله المسجد وجد فيه ثلاثمائة وستّين صنماً بعضاً مشدود ببعض بالرصاص، فقال: أعطني يا علي كفّاً من الحصا، فناوله كفّاً فرماها به وهو يقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[1] فلم يبق فيها صنم إلّا خرّ لوجهه وأخرجت من المسجد وكسرت.

فصل: لمّا أنفذ النبي صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى جذيمة[2] داعياً لهم إلى الإسلام ولم ينفذه محارباً، فخالف أمره ونبذ عهده فقتل القوم وهم على الإسلام، وأخفر

---

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) حذيمة في النسخة المخطوطة.

ذمّتهم وعمل في ذلك على حميّة الجاهليّة فشأن فعاله الإلام ونفر به عن النبي صلى الله عليه وآله من كان يدعوه إلى الإيمان، وكاد أن يبطل بفعله نظام التدبير في الدين، ففزع رسول الله صلى الله عليه وآله في تلافي الفارط، وإصلاح الفاسد، ودفع المعرّة عن الدين إلى أميرالمؤمنين، فأنفذه لعطف القوم وسلّ سخايمهم[1] والرفق بهم وتثبيتهم على الإيمان، وأمره أن يدي القتلى[2] ويرضي أولياءهم، فبلغ أميرالمؤمنين من ذلك مبلغ الرضا وزاد على الواجب فيما تبرّع به عليهم من عطيّة ما كان فضل معه من الأموال، وقال: قد أعطيتكم دية ما عرفتم وزدتكم لتكون دية ما لم تعلموا أنتم ولا نحن ليرضى الله عن رسوله صلى الله عليه وآله، وترضون بفضله عليكم، وقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد، فتمّ بأميرالمؤمنين عليه السلام الصلاح، وانقطعت به مواد الفساد، وشكّر النبي فعله وهي معدودة من مناقبه.

قلت: هذه القصّة من فعل خالد وبراءة النبي صلى الله عليه وآله من فعله، وإنفاذ أميرالمؤمنين عليه السلام لاستدراك الحال من الأمور المشهورة أوردها نقلة الأخبار من المخالف والمؤالف.

قال أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في تاريخه: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث خالداً حين بعث إلى ما حول مكّة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فوطىء بني جذيمة وكانوا في الجاهليّة أصابوا عوف بن عبد عوفٍ أبا عبدالرحمان بن عوف، والفاكه بن المغيرة، وكانا أقبلا تاجرين من اليمن فنزلا بهم ثمّ قتلوهما وأخذوا أموالهما، فلمّا جاء الإسلام وبعث النبي خالداً، ورأوه حملوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا فقال رجل منهم: ويلكم إنّه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلّا الأسار وما بعده إلّا القتل ولا أضع سلاحي، إنّه يريد أن يسفك دماءنا، إنّ الناس قد أسلموا ووضع الحرب، وأمن الناس وما زالوا به حتّى وضع سلاحه، فأمر بهم خالد فكتفوا ثمّ عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلمّا انتهى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله رفع يديه إلى السماء ثمّ قال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من فعل خالد وممّا صنع خالد بن الوليد، ثمّ دعا علي بن أبي طالب فقال: يا علي انطلق إلى هؤلاء القوم وانظر في أُمورهم واجعل أمر

---

(١) سل الشيء من الشيء: انتزعه وأخرجه في رفق. والسخيمة: الحقد والضغينة.

(٢) أي يعطي دية القتلى إلى أوليائهم.

الجاهليّة تحت قدميك، فخرج حتّى جاءهم ومعه مال قد بعثه النبي صلى الله عليه وآله، فردّ إليهم الدماء وما أُصيب من الأموال؟ حتّى إنّه ليدي ميلغة الكلب[1] حتّى إذا لم يبق لهم شيء من دم أو مال إلّا أدّاه، بقيت معه بقيّة من المال، فقال لهم: هل بقي لكم شيء من دم أو مال؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أعطيكم هذه البقيّة إحتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ممّا لا نعلم ولا تعلمون، ففعل ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: أصبت وأحسنت، ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتّى إنّه ليُرىٰ بياض ما تحت منكبيه وهو يقول: اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد ثلاث مرّات.

ثمّ كانت غزوة حنين، فاستظهر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بكثرة الجمع، فخرج ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فظنّ أكثرهم أن لن يُغلبوا لما شاهدوا من كثرة جمعهم وعددهم وعدّتهم، وأعجب أبابكر الكثرة يومئذ فقال: لن نُغلب اليوم من قلّة، فكان الأمر بخلاف ما ظنّوه وعانهم أبوبكر[2]، فلمّا التقوا لم يلبثوا وانهزموا بأجمعهم، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلّا تسعة من بني هاشم، وعاشرهم أيمن بن أُم أيمن، وقتل رضي الله عنه وثبت التسعة الهاشميون ورجعوا بعد ذلك وتلاحقوا، وكانت الكرّة لهم على المشركين، فأنزل الله في إعجاب أبي‌بكر بالكثرة: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[3] يريد علياً عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم، أميرالمؤمنين وثمانية: العباس بن عبدالمطّلب عن يمين رسول الله، والفضل بن العباس عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند نفر بغلته، وأميرالمؤمنين بالسيف بين يديه، ونوفل بن حرث، وربيعة بن الحرث، وعبدالله بن الزبير بن عبدالمطّلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني ... هاشم عند السيوف يوم حنين

---

(١) قال الجزري: وفي حديث علي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعثه ليدي قوماً قتلهم خالد بن الوليد فأعطاهم ميلغة الكلب: هي الإناء الذي يلغ فيه الكلب، يعني أعطاهم قيمة كلّ ما ذهب لهم حتّى قيمة الميلغة.

(٢) أي أصابهم بالعين.

(٣) التوبة: ٢٥.

هرب الناس غير تسعة رهط فهم يهتفون بالناس أين[١]
ثمّ قاموا مع النبي على الموت فآبوا زيناً لنا غير شين[٢]
وثوى أيمن الأمين من القوم شهيداً فاعتاض قرّة عين[٣]

وقال العباس بن عبدالمطلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا[٤]
وقولي إذا ما الفضل شدّ بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا[٥]
وعاشرنا لا قى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجّع[٦]

يعني به أيمن بن أُم أيمن، ولمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة القوم قال للعباس، وكان رجلاً جهوريّاً صيتاً: ناد في الناس وذكّرهم العهد، فنادى العباس: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرّون؟ أذكروا العهد الذي عاهدكم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين، وكانت ليلة ظلماء ورسول الله صلى الله عليه وآله في الوادي والمشركون قد خرجوا عليه من جنبات الوادي وشعابه ومضايقه بسيوفهم وعمدهم، فنظر إلى الناس ببعض وجهه فأضاء كأنّه القمر ليلة البدر، ثمّ نادى: أين ما عاهدتم الله عليه؟ فأسمع أوّلهم وآخرهم فلم يسمعها رجل إلّا رمى بنفسه إلى الأرض وانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي، حتّى لحقوا بالعدوّ فواقعوه، وجاء رجل من هوازن على جمل ومعه راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكب عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز:

أنا أبو جرول لا براح حتّى نبيح القوم أو نباح

فصمد له أميرالمؤمنين فضرب عجز بعيره فصرعه ثمّ ضربه فقطره[٧].

---

(١) هتف فلان بفلان: صاح.
(٢) آب: رجع.
(٣) ثوى بالمكان: أقام. واعتاض: أخذ العوض.
(٤) اقشع القوم عن المكان: أقلعوا.
(٥) أي أضرب ضربة أُخرى ليرجع القوم على أدبارهم.
(٦) الحمام: الموت.
(٧) يقال: قطره أي ألقاه على إحدى قطريه أي جانبيه.

ثمّ قال:

قد علم القوم لدى الصباح إنّي لدى الهيجاء ذو نضاح[1]

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله، ثمّ التأم المسلمون وصفّوا للعدو، فقال رسول الله ﷺ: اللهمّ إنّك أذقت أوّل قريش نكالاً فأذق آخرهم وبالاً وتجالدوا فقام النبي ﷺ في ركائبه فقال: الآن حمي الوطيس[2].

وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطّلب

فما كان أسرع من أن ولّى القوم أدبارهم وجيء بالأسرى مكتفين، ولمّا قتل أميرالمؤمنين أبا جرول ووضع المسلمون سيوفهم فيهم قتل أميرالمؤمنين ﷺ منهم أربعين رجلاً، ثمّ كانت الهزيمة والأسر حينئذ، وكان أبوبكر الذي عانهم وعلي ﷺ الذي أعانهم، وكان أبو سفيان صخر بن حرب في جملة من انهزم من المسلمين.

فروي عن معاوية قال: لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكّة، فصحت به: يابن حرب والله ما صبرت من ابن عمّك ولا قاتلت عن دينك ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك، فقال: من أنت؟ فقلت: معاوية، قال: ابن هند؟ قلت: نعم، فقال: بأبي وأمّي ثمّ وقف واجتمع معه ناس من أهل مكّة، وانضممت إليهم وحملنا على القوم، فضعضعناهم وما زال المسلمون يَقتلون ويأسِرونَ حتّى تعالى النهار.

وفي هذه الغزاة قسّم النبي ﷺ الغنائم وأجزل القسم للمؤلّفة قلوبهم كأبي سفيان ومعاوية ابنه، وعكرمة بن أبي جهل ورجال منهم، وأعطى الأنصار شيئاً يسيراً، فغضب ناس من الأنصار وبلغه عنهم مقال فأسخطه، فجمعهم وقال: اجلسوا ولا يجلس معكم أحد غيركم، فجاء النبي ﷺ ومعه أميرالمؤمنين فجلس وسطهم فقال: إنّي سائلكم فأجيبوني، ألم تكونوا ضالّين فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى فلله المنّة ولرسوله، قال: ألم تكونوا على شفا حفرة من النّار فأنقذكم الله بي؟ قالوا: بلى فلله المنّة ولرسوله، قال: ألم تكونوا أعداءاً فألّف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى فلله المنّة

---

(١) نضح القوم بالنبل: رماهم بها وفرقها فيهم. وجاء النضاح بمعنى الدفع والذب أيضاً، وأنشد «ولو بلا في محفل نضاحي» أي ذبي ونضحي عنه لكنّه يتعدّى بلفظة «عن» غالباً.

(٢) الوطيس: التنور والمستعير للحرب إذا اشتدت، ويقال إنّها لم تسمع إلّا منه ﷺ.

ولرسوله، ثمّ سكت ﷺ هنيهة وقال: ألا تجيبون بما عندكم؟ قالوا: بم نجيبك فداك آباؤنا وأمّهاتنا؟ قد أجبنا بأنّ لك المنّ والفضل والطول علينا. قال: أمّا لو شئتم لقلتم وأنت جئتنا طريداً فآويناك، وخائفاً فأمّنّاك، ومكذّباً فصدّقناك، فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم فقبّلوا يديه ورجليه وقالوا: رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك فإن شئت فاقسمها على قومك وإنّما قال من قال منّا على غير وَغر صدرٍ وغلٍّ في قلب[1]، ولكنّهم ظنّوا سخطاً عليهم وتقصيراً لهم وقد استغفروا من ذنوبهم، فاستغفر لهم يا رسول الله. فقال ﷺ: اللهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار، يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله؟ قالوا: بلى رضينا، قال ﷺ: الأنصار كرشي وعيبتي[2] لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار.

وكان النبي ﷺ أعطى العباس بن مرداس أربعة من الإبل يومئذ فسخطها وقال يومئذ:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع[3]
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان شيخي في مجمع
وما كنت دون امرىء منهم ... ومن يوضع اليوم لا يرفع

فبلغ النبي ﷺ ذلك فأحضره وقال: أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد ●

---

(١) الوغر: شدّة توقد الحرّ ومنه قيل لمي صدره علىّ وغر بالتسين اي بغضي وعداوة وتوقد من الغيض والمصدر بالتحريك تقول وغرَ صدره علىّ وغراً فهو واغر الصدر عليّ وقد أوغرت صدره عليّ أي من الغيظ أحميته، والغل بالكسر الغش والحقد وقد غلّ صدره ويغل بالكسر غلاً إذا كان ذا غش وضغن وحقد.

(٢) الكرش معروفة يقال لها: كرش وكرش، والعيبة: ما يجعل فيه الثياب والجمع عيب، وكأنّ المعنى هم موضع سرّي أودع عندهم منه وما أُريد حفظه والإنتفاع به وكتمانه، كما يودع الكرش والعيبة ما يترك فيهما للإنتفاع والحفظ، وهذا أنسب من كون الكرش يراد بها الجماعة من الناس كما قال الجوهري، فإنّه قال: الكرش الجماعة من الناس ومنه الحديث: الأنصار كرشي وعيبتي، فيخلوا الكلام من المناسبة والمدح على قوله.

(٣) عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس من أهل مكة ومن جملة المؤلفة قلوبهم وقد كان رسول الله ﷺ أعطاهما أكثر ممّا أعطاه العباس بن مرداس.

بين الأقرع وعيينة، فقال له أبوبكر: بأبي أنت وأمّي لست بشاعر؟ قال: وكيف قال؟ قال: بين عيينة والأقرع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين عليه السلام: قم يا علي إليه فاقطع لسانه، قال: فقال العباس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشدّ عليّ من يوم خثعم حين أتونا في ديارنا، فانطلق بي وإنّي لأودّ أن أخلص منه، فقلت: أتقطع لساني؟ قال: إنّي ممض فيك قول رسول الله صلى الله عليه وآله، فما زال حتّى أدخلني الخطابر[1] وقال: خذ ما بين أربع إلى مائة، فقلت: بأبي أنت وأمّي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة، قال: قلت: أشر عليّ، قال: إنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى، قلت: فإنّي أفعل، ولمّا قسم صلى الله عليه وآله غنايم حنين جاء رجل طُوال أدم أحنى[2] بين عينيه أثر السجود، فسلّم ولم يخص رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنايم؟ فقال: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت، فغضب رسول الله وقال: ويلك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال المسلمون: ألا نقتله؟ فقال: دعوه فإنّه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يدي أحبّ الخلق إليه من بعدي، فقتله أميرالمؤمنين فيمن قتل من الخوارج يوم النهروان.

فانظر إلى مفاخر أميرالمؤمنين في هذه الغزاة ومناقبه، وجل بفكرك في بدايع فضله وعجائبه، واحكم فيها برأي صحيح الرأي صايبه، واعجب من ثباته حين فرّ الشجاع على أعقابه، ولم ينظر في الأمر وعواقبه، واعلم أنّه أحق بالصحبة حين لم ير مفارقة صاحبه، وتيقّن أنّه إذا حمّ الحمام لم ينتفع المرء بغير أهله وأقاربه، فإذا صحّ ذلك عندك بدلائله وبيّناته، وعرفته بشواهده وعلاماته، فاقطع أنّ ثبات من ثبت من نتائج ثباته، وأنّهم كانوا أتباعاً له في حروبه ومقاماته، وإنّ رجوع من رجع من هزيمته، فإنّما كان عندما بان لهم من النصر وإماراته، وقتله ذلك الطاغية في أربعين من حماته، حتّى أذن الله بتفرقة ذلك الجمع وشتاته، واقتسم المسلمون ما أفاءه الله عليهم من غنايم ذلك الجيش اللهام، وإصلاحه أمر العباس حين فهم عن رسول الله فحوى

---

(١) الخطابر: الموضع الذي يحاط عليه تأوي إليه الغنم والابل وسائر الماشية يقيها البرد والريح.

(٢) الأدمة السمرة، ورجل أحنى الظهر وامرأة حيناء وحناء في ظهرها أحديداب، والطوال بالضم الطويل، فإذا فرط قيل طوّال شدد.

الكلام، وردّه بلطف توصله إلى الرضا بقسم النبي صلى الله عليه وآله، فصحّ له باتباع رأيه الثبات على الإسلام، ثمّ كلام ذلك الشقي الذي اعترض على قسمة النبي ونطق الشيطان على لسانه، فسام نفسه في المرعى الوبيل الوبى، وحكم الرسول صلى الله عليه وآله أنّه من جرز سيف الوصي، ونبّه بذلك على فضله، وأنّه على الصراط السوي، وأنّه على الحق والحق معه إخباراً من الله العلي.

وسار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطايف فحاصرها، وأنفذ أميرالمؤمنين في خيل، وأمره أن يطأ ما وجد ويكسر كلّ صنم وجده، فسار ولقيته خيل من خثعم في جمع كثير، وبرز إليه رجل منهم اسمه شهاب في وقت الصبح، فقال عليه السلام:

إنّ على كلّ رئيس حقّاً ... أن يروى الصعدة أو تندقّا[1]

وضربه فقتله وهزم جمعه وكسر الأصنام، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على الطايف، فخلا به وناجاه طويلا، قال جابر: فقال عمر بن الخطاب: أتناجيه وتخلو به دوننا؟! فقال: يا عمر ما أنا انتجيته ولكنّ الله انتجاه، وخرج من حصن الطائف نافع بن غيلان في خيل من ثقيف، فلقيه أميرالمؤمنين ببطن ربج فقتله وانهزم المشركون ودخلهم الرعب فنزل منهم جماعة وأسلموا وكان حصار الطايف بضعة عشر يوماً.

ثمّ كانت غزوة تبوك

فأمر الله رسوله بالخروج إليها بنفسه وأن يستنفر الناس للخروج إليها وأخبره أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى فيها بقتال عدو، وأنّ الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه، واختبارهم ليتميّزوا بذلك وكان الحرّ قويّاً وقد أينعت ثمارهم[2] فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من القيظ وبعد المسافة ولقاء العدو ونهض بعضهم على استثقال النهوض، وتخلف آخرون، واستخلف علي عليه السلام في اهله وولده وأزواجه ومهاجريه، وقال: يا علي إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك لأنّه خالف عليها في غيبته ممّن عساه يطمع فيها من مفسدي العرب، فاستظهر لها باستخلافه فيها، وإنّ المنافقين لمّا علموا

---

(١) وفي بعض الكتب «أن يخضب الصعدة أو تندقأ الصعدة: القناة المستوية المستقيمة.

(٢) أينع الثمر: أدرك وطاب.

باستخلافه علياً حسدوه وعظم عليهم مقامه بعد رسول الله، وعلموا أنّه لم يغب إذا حضرها، وأنّه لا مطمع للعدو فيها بوجوده، وغبطوه على الرفاهية والدعة، وتكلّف من خرج منهم المشاق، فأرجفوا[1] أنّه لم يخلفه إكراماً له ولا إجلالاً، وإنّما خلفه استثقالاً لمكانه ورغبة في بعده، فبهتوه بهذا الإرجاف كما قيل عن النبي ﷺ إنّه ساحر وإنّه شاعر وإنّما يعلّمه بشر، وهم يعلمون أنّهم يكذبون عليه، وإنّه على خلاف ما يقولون، فإنّه كان أحب الناس إليه وأقربهم من قلبه.

فلمّا سمع ﷺ أراد إظهار كذبهم وفضيحتهم، فلحق بالنبي ﷺ وقال: يا رسول الله إنّ المنافقين زعموا أنّك إنّما خلّفتني استثقالاً ومقتاً، فقال: ارجع يا أخي إلى مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، فأظهر من استخلافه وأبان من منزلته منه ما استوجب به كلّما كان وجب لهارون ﷺ، واستثنى النبوّة ليتحقق له ما عداها من الأحكام التي كانت لهارون في قوله تعالى: ﴿ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿ واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ فأجاب الله مسائلته بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾[3] فوجب لعلي ﷺ من النبي ﷺ كلّما وجب لهارون من موسى عليهما الصلاة والسلام إلّا النبوّة التي استثناها.

وهذه فضيلة ما شاركه فيها أحد من البشر، ومنقبة فات بها من بقي ومن غبر، وسيرة طرزت عيون التواريخ والسير، ومكارم نبّه لها عليّ فاستغنى عن عمر، ولو علم الله تعالى أنّ نبيّه ﷺ يحتاج في هذه الغزاة إلى حرب لم يأذن في تخلفه، ولا رضى بلبثه عنها وتوقفه، ولكنّه وعد بأنّ الجهة التي يقصدها لا يفتقر في نيلها إلى مصاولة ولا يحتاج في تملكها إلى منازلة فاستخلف علياً على حراسة دار هجرته، وحفظ ما يخالف عليه من كيد العدو ومعرّته.

ولمّا عاد رسول الله ﷺ قدم عمرو بن معد كرب الزبيدي فقال له رسول الله:

---

(١) أرجف القوم: خاضوا في الأخبار السيّئة وذكر الفتن على أن يوقعوا في الناس الإضطراب من غير أن يصحّ عندهم شيء.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) طه: ٣٢ـ٣٦.

أسلم يا عمرو يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر، فقال: ما الفزع الأكبر؟ فإنّي لا أفزع، فقال: يا عمرو إنّه ليس كما تظنّ، إنّ الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميّت إلّا نشر ولا حيّ إلّا مات إلّا ما شاء الله، ثمّ يصاح بهم صيحة أُخرى فينشر من مات، ويصعقون جميعاً وتنشق السماء، وتهدّ الأرض، وتخرّ الجبال، وتزفر النيران وترمي النار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه ذكر ذنبه، وشغل بنفسه إلّا من شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال: إنّي أسمع أمراً عظيماً وأسلم وآمن بالله ورسوله، وآمن معه ناس من قومه ورجعوا إلى قومهم.

ثمّ إنّ عمروا نظر إلى ابن أبي عثعث الخثعمي فأخذ برقبته وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أعدني على هذا الفاجر الذي قتل أبي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية، فانصرف عمرو مرتداً وأغار على قوم من بني الحرث بن كعب ومضى إلى قومه فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وأمّره على المهاجرين وأنفذه إلى بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره بقصد الجعفي، فإذا التقيا فالأمير أمير المؤمنين، فاستعمل أمير المؤمنين على مقدّمته خالد بن سعيد بن العاص، واستعمل خالد بن الوليد على مقدمته أبا موسى الأشعري، فلمّا سمعت جعفي افترقت فرقتين ذهبت إحداهما إلى اليمن ومالت الأُخرى إلى بني زبيد، فسمع أمير المؤمنين فكاتب خالداً أن قف حيث أدركك رسولي، فلم يقف، فكتب إلى خالد بن سعيد يأمره بأن تعرض له حتّى تحبسه، فاعترض له وحبسه، فأدركه أمير المؤمنين وعنّفه على خلافه وسار حتّى لقي بني زبيد، فلمّا رأوه قالوا لعمرو: وكيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة[1]؟ فقال: سيعلم إذا لقيني، وخرج عمرو فقال: من يبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقام خالد بن سعيد، فقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمّي أبارزه، فقال عليه السلام: إن كنت ترى لي عليك طاعة فقف مكانك، فوقف ثمّ برز إليه أمير المؤمنين فصاح به صيحة فانهزم عمرو وقتل أخاه وابن أخيه، وأخذت امرأته وسبى منهم نسوان وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلّف خالد بن سعيد ليقبض زكواتهم ويؤمّن من عاد منهم إليه مسلماً، فرجع عمرو بن معد يكرب واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلى

---

(١) الأتاوة: الخراج.

الإسلام وكلّمه في امرأته وولده فوهبهم له.

وكان عليه السلام اصطفى من السبي جارية فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: تقدّم الجيش وأعلمه بما فعل علي من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه وقع فيه[1]، فسار بريدة إلى باب رسول الله فلقيه بعض الجماعة وسأله عن حالهم، فأخبره وقال: إنّما جئت لأعرف النبي صلى الله عليه وآله ما فعل عليّ من اصطفائه الجارية، فقال: اذهب لما جئت فيه فإنّه سيغضب لابنته ممّا صنع علي، فدخل بريدة ومعه كتاب خالد فيما أرسله فيه فجعل يقرأه ووجه رسول الله يتغيّر، فقال بريدة يا رسول الله إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيهم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحك يا بريدة، أحدثت نفاقاً؟ إنّ علي بن أبي طالب يحلّ له من الفيء ما يحلّ لي، إنّ عليّ بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك وخير من أخلف بعدي لكافّة أُمّتي، يا بريدة إحذر أن تبغض عليّاً فيبغضك الله، قال بريدة: فتمنّيت أنّ الأرض انشقّت لي فسخت فيها وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن أبغض عليّاً أبداً ولا أقول فيه إلّا خيراً، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي هذه الغزاة من الفضل لأميرالمؤمنين والفتح على يده وإظهار النبي صلى الله عليه وآله منزلته، وأنّه يحلّ له من الفيء ما يحلّ له واختصاصه بذلك دون غيره، وما ظهر من حبّ النبي له، وتحذيره من بغضه وتعريف فضله من لم يكن يعرفه، وحثّ بريدة على حبّه وقوله: هو خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافّة أُمّتي، تعريض ـ لا والله ـ بل تصريح بخلافته وإمامته، وإشعار بمحلّه منه ومكانته، وأنّه أحقّهم بمقامه من بعده، وأخصّهم به في نفسه، وآثرهم عنده ما لا يشاركه فيه أحد، ولا يقاربه ولا يدانيه، ومن أين يشارك شأوه عليه السلام من يبتغيه، وقد اجتمع له من خلال الشرف ما اجتمع فيه صلّى الله عليه وعلى نبيّه وآله وذويه.

فصل: ثمّ كانت غزاة السلسلة، جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: إنّ قوماً من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل يريدون أن يبيتوك بالمدينة[2]، فأمر بالصلاة جامعة فاجتمعوا وعرّفهم وقال: من لهم؟ فانتدب جماعة من أهل الصفة عدّتهم ثمانون منهم

---

(١) مر من وقع فلان وقيعة: سبّه وعابه واغتابه.

(٢) بيّت القوم والعدو: أوقع بهم ليلاً من دون أن يعلموا.

ومن غيرهم، فاستدعى أبابكر وقال له: خذ اللواء وامض إلى بني سليم، فإنّهم قريب من الحرّة، فمضى ومعه القوم حتّى قارب أرضهم وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم بالوادي والمنحدر إليهم صعب، فلمّا صار أبو بكر إلى الوادي وأراد الإنحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً، فلمّا رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله عقد لعمر لواء وسيّره إليهم فكمنوا له تحت الحجارة والشجر، فلمّا ذهب ليهبط خرجوا إليه فهزموه، فساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمرو بن العاص: ابعثني إليهم يا رسول الله فإنّ الحرب خدعة، ولعلّي أخدعهم، فأنفذه مع جماعة ووصّاه، فلمّا صار إلى الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة.

ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله أيّاماً يدعو عليهم ثمّ دعا أميرالمؤمنين فعقد له ثمّ قال: أرسلته كرّاراً غير فرّار، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهمّ إن كنت تعلم أنّي رسولك فاحفظني فيه وافعل به وافعل، فدعا له ماشاء، وخرج علي عليه السلام وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يشيّعه وبلغ معه مسجد الأحزاب فشيّعه ودعا له وأنفذ معه أبابكر وعمر وعمرو بن العاص فسار بهم نحو العراق متنكّباً عن الطريق حتّى ظنّوا أنّه يريد بهم غير ذلك الوجه، ثمّ أخذ بهم على طريق غامضة واستقبل الوادي من فمه، وكان يسير الليل ويكمن النهار، فلمّا قرب من الوادي أمر أصحابه أن يخفوا حسّهم[1] وأوقفهم مكاناً وأقام أمامهم ناحية منهم، ورأى عمرو بن العاص صنيعه فلم يشك أنّ الفتح يكون له فأراد إفساد الحال وخوّف أبابكر وعمر من وحوش الوادي وذئابه وأنّ المصلحة أن تعلوا الوادي، فكلّما عليّاً عليه السلام في ذلك فلم يجبهما، فقال عمر: لا نضيع أنفسنا، انطلقوا بنا نعلو الوادي، فقال المسلمون: إنّ النبي صلى الله عليه وآله أمرنا أن لا نخالف عليّاً فكيف نخالفه ونسمع قولك؟ فما زالوا حتّى أحسّ علي الفجر، فكبس القوم[2] وهم غافلون فأمكنه الله منهم، ونزلت: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾[3] إلى آخرها.

فبشّر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بالفتح، وأمرهم باستقبال عليّ فاستقبلوه والنبي صلى الله عليه وآله يقدمهم، فقاموا صفّين، فلمّا بصر بالنبي صلى الله عليه وآله ترجّل عن فرسه، فقال له:

---

(١) وفي رواية الإرشاد «أن يحكموا الخيل».

(٢) أي هجم عليهم من كلّ جانب.

(٣) العاديات: ١ ـ ٢.

اركب فإنّ الله ورسوله عنك راضيان، فبكى أميرالمؤمنين فرحاً، فقال له النبي ﷺ: يا علي، لولا أنّني أشفق أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في المسيح بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملاء من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك.

فصل: ولمّا انتشر أمر الإسلام بعد الفتح وما ولّاه من الغزوات وفدت الوفود على رسول الله ﷺ وكان ممّن وفد عليه أبو حارثة أُسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى منهم العاقب والسيّد وعبدالمسيح، فقدموا المدينة فصارت إليهم اليهود فتساءلوا بينهم، فقالت النصارى لهم: لستم على شيء، وقالت اليهود لهم: لستم على شيء، وفي ذلك أنزل الله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ ﴾[1] إلى آخرها، فلمّا صلّى النبي العصر جاءوا إليه يقدمهم الأُسقف، فقال: يا محمّد، ما تقول في السيّد المسيح؟ فقال ﷺ: عبدالله اصطفاه وانتجبه، فقال الأُسقف: أتعرف له أباً وأُمّاً؟ فقال ﷺ: لم يكن عن نكاح فيكون له والد، فقال: كيف تقول إنّه عبد مخلوق وأنت لا ترى عبداً بغير أب؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[2].

فتلاها على النصارى ودعاهم إلى المباهلة، وقال: إنّ الله أخبرني أنّ العذاب ينزل على المبطل عقيب المباهلة، ويبيّن الله الحقّ من الباطل، فاجتمع الأُسقف وأصحابه وتشاوروا واتّفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد، فلمّا رجعوا إلى رحالهم قال الأُسقف: أنظروا محمّداً فإن غدا بأهله وولده فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شيء، فلمّا كان الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد علي ﷺ والحسن والحسين ﷺ يمشيان بين يديه، وفاطمة تمشي خلفه، فسأل الأُسقف عنهم، فقالوا: هذا عليّ ابن عمّه وهو صهره وأبو ولده وأحبّ الخلق إليه، وهذان الطفلان ابنا بنته من عليّ وهما أحبّ الخلق إليه، وهذه الجارية فاطمة ابنته وهي أعزّ

---

(١) البقرة: ١١٣.

(٢) الآيات: ٥٩ ـ ٦١.

الناس عنده وأقربهم إلى قلبه، فنظر الأسقف إلى العاقب والسيّد وعبدالمسيح، وقال لهم: أنظروا قد جاء بخاصّته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقّه، والله ما جاء بهم وهو يتخوّف الحجّة عليه فاحذروا مباهلته، والله لولا مكانة قيصر لأسلمت له ولكن صالحوه على ما يتّفق بينكم، وارجعوا إلى بلادكم وارتأوا لأنفسكم[1]، فقالوا: رأينا لرأيك تبع، فقال الأسقف: يا أباالقاسم، إنّا لا نباهلك ولكنّا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به، فصالحهم على ألفي حلّة قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم به كتاباً.

ففي هذه القضيّة بيان لفضل علي عليه السلام، وظهور معجز النبي صلى الله عليه وآله فإنّ النصارى علموا أنّهم متى باهلوه حلّ بهم العذاب، فقبلوا الصلح، ودخلوا تحت الهدنة، وإنّ الله تعالى أبان أنّ علياً هو نفس رسول الله، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبي صلى الله عليه وآله في الكمال والعصمة والآثام، وإنّ الله جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنّهما حجّة لنبيّه صلى الله عليه وآله، وبرهاناً على دينه، ونصّ على الحكم بأنّ الحسن والحسين أبناؤه، وأنّ فاطمة عليها السلام نساؤه والمتوجّه إليهنّ الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والإحتجاج، وهذا فضل لم يشاركهم فيه أحد من الأمّة وأقاربهم.

ونقلت من كتاب الكشّاف للزمخشري في تفسير هذه الآية ما صورته: يقال: بهلة الله على الكاذب منّا ومنكم، والبهلة ـ بالضم والفتح ـ: اللعنة، وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته، من قولك أبهله، إذا أهمله، وناقة باهل لا صرار عليها.

قلت: الصرار خيط يشدّ على خلفها لئلّا يرضعها ولدها.

قال: وأصل الإبتهال هذا ثمّ استعمل في كلّ دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا وروي أنّه لمّا دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبدالمسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قط فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ، فإن أبيتم إلّا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ارتأى الأمر: نظر فيه وتدبّره.

وقد غدا محتضناً الحسين[١]، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من كانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أباالقاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك، ونثبت على ديننا، قال عليه السلام: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا، قال: فإنّي أُناجزكم، فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردّنا عن ديننا على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة؛ ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده إنّ الهلاك[٢] قد تدلّ على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا.

وعن عائشة إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرجّل[٣] من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة ثمّ علي، ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٤].

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلّا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختصّ به ويمن يكاذبه فما معنى ضمّ الأبناء والنساء.

قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجراه على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده، وأحبّ الناس إليه لذلك، لم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الإستيصال إلى أن تمّت المباهلة، وخصّ الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل، وألصقهم بالقلوب، وربّما فداهم الرجل بنفسه، وحارب دونهم حتّى يقتل، ثمّ من ثمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الحرب، يسمّون الذادة عنها

---

(١) احتضن الصبي: ضمّه إلى صدره.

(٢) العذاب خ ل.

(٣) المرط: الكساء. والمرجل: الذي له طراز.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

بأرواحهم حماة الحقائق، وقدّمهم في الذكر على الأنفس ليتنبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس، مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النبي صلى الله عليه وآله، لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك (إنتهى كلام الزمخشري).

فصل: وتلا وفد نجران إنفاذ النبي صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إلى اليمن ليخمس زكواتها ويقبض ما تقرّر على أهل نجران، فتوجّه وقام بما توجّه له مسارعاً إلى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أراد رسول الله صلى الله عليه وآله الحج فأذّن في الناس به وبلغت دعوته إليه أقاصي بلاد الإسلام، فتجهّز الناس للخروج، وكاتب أميرالمؤمنين بالتوجه إلى الحج من اليمن، ولم يذكر له نوع الحج الذي عزم عليه، وخرج صلى الله عليه وآله قارناً للحجّ بسياق الهدي، وأحرم من ذي الحليفة وأحرم الناس معه، ولبّى من عند الميل الذي بالبيداء، فاتّصل مابين الحرمين بالتلبية، فلمّا قارب النبي صلى الله عليه وآله مكة من جهة المدينة قاربها علي عليه السلام من جهة اليمن بعسكره، وتقدّمهم للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله فأدركه وقد أشرف على مكة، فسلّم عليه وخبّره بما صنع، وقبض ما قبض، فسرّ به وابتهج بلقائه، فقال: بما أهللت يا علي؟ فقال: يا رسول الله إنّك لم تكتب إليّ بإهلالك، ولا عرفته فعقدت نيّتي بنيّتك، وقلت: اللهمّ إهلالاً لاكاهلال نبيّك وسقت أربعاً وثلاثين بدنة، فقال: الله أكبر قد سقت أنا ستّاً وستّين وأنت شريكي في حجّي ومناسكي وهديي، فأقم على إحرامك وعد إلى جيشك وعجّل بهم إليّ حتّى نجتمع بمكّة، فعاد فلقي أصحابه عن قرب وقد لبسوا الحلل التي معهم، فأنكر على الذي استخلفه فاستعادها ووضعها في الأعدال[1] فأطعنوا ذلك عليه وكثرت شكايتهم منه حين دخلوا مكّة فأمر رسول الله مناديه فنادى: إرفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب فإنّه خشن في ذات الله غير مداهن في دينه، فكفّوا عن ذكره وعرفوا مكانه منه وسخطه على من رام الغميزة فيه[2].

وخرج مع النبي صلى الله عليه وآله جماعة بغير سياق هدي، فأنزل الله ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

---

(١) الأعدال جمع عدل ـ بالكسر ـ: والحمل.

(٢) الغميزة: ضعف في العقل وفي العمل.

لله﴾[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دخلت العمرة في الحج ـ وشبّك إحدى أصابع يديه بالأخرىٰ ـ إلى يوم القيامة، ثمّ قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ثمّ أمر فنودي من لم يسق هدياً فليحل وليجعلها عمرة، ومن ساق هدياً فليقم على إحرامه، فأطاع بعض وخالف بعض وجرت بينهم خطوب، وقال بعضهم: رسول الله أشعث أغبر ونلبس الثياب ونقرب النساء وندّهن؟ وقال بعضهم: أما تستحيون أن تخرجوا ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسوله الله على إحرامه؟ فأنكر عليّ من خالف وقال: لولا أنّني سقت الهدي لأحللت وجعلتها عمرة فمن لم يسق فليحل، فرجع قوم وأقام آخرون فقال لبعض من أقام: هلّا أحللت ولم تسق هدياً؟ فقال: والله لا أحللت وأنت محرم، فقال له: إنّك لن تؤمن بها حتّى تموت فلذلك أقام على إنكار متعة الحج وصرّح بتحريمها ونهى عنها.

قلت: لو نقّب[2] أحد مسند أحمد بن حنبل لوجد فيه أحاديث كثيرة تقتضي الأمر بها، والحثّ عليها، والإشارة بذكرها ولعلّها تزيد على خمسين موضعاً أو أكثر.

ولمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله نسكه شرك عليّاً في هديه وقفل إلى المدينة[3] معه فانتهى إلى غدير خم، فنزل حين لا موضع نزول لعَدم الماء والمرعى، ونزل المسلمون معه، وكان سبب نزوله أنّه أمر بنصب أميرالمؤمنين خليفة في الأمة من بعده، وتقدّم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت، فأخّره إلى وقت يأمن فيه الإختلاف وعلم أنّه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلادهم وأماكنهم وبواديهم، فأراد الله أن يجمعهم لسماع النص وتأكيد الحجّة فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[4] يعني في استخلاف علي والنص عليه بالإمامة ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[5] فأكّد الفرض عليه بذلك وخوّفه من تأخير الأمر وضمن له العصمة ومنع الناس منه، فنزل كما وصفنا، وكان يوماً قائظاً شديد الحر وساق ما قدمنا ذكره من قوله: إنّي تارك فيكم الثقلين إلى آخره

---

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) نقب الأخبار: بحث عنها. ونقب ـ بتشديد القاف ـ عن الشيء: فحص فحصاً بليغاً.

(٣) أي رجع معه.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) المائدة: ٦٧.

ونعى إليهم نفسه، وقال: قد حان منّي خفوق من بين أظهركم ونادى بأعلى صوته: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللهمّ بلى، فقال على النسق، وقد أخذ بضبعي علي ﷺ فرفعهما حتّى رؤي بياض أبطيهما: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، ثمّ نزل وصلّى الظهر وأمر علياً أن يجلس في خيمة بإزائه، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّئونه بالمقام، ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعلوا ذلك وأمر ازواجه ونساء المسلمين به ففعلته، وأظهر عمر بذلك سروراً كاملا وقال فيما قال: بخٍ بخٍ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، واستأذن حسّان ﷺ في الإنشاد فأذن له فأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ واسمع بالرسول مناديا

وقد تقدّم ذكري لهذه القصّه والأبيات آنفاً بألفاظ قريبة من هذه أو مثلها.

فهذه مقاماته وحروبه ومشاهده في عهد رسول الله ﷺ على سبيل الإختصار والإجمال.

حروبه أيّام خلافته ﷺ

فأمّا حروبه في زمن خلافته ﷺ ومواقفه التي تزلزلت لبأسها ثوابت الإقدام، ومقاماته التي دفعته إليها الأقدار في مقاتلة بغاة الإسلام، وحروبه التي أنذره بها رسول الله فعرفت من قتله إيّاهم مشكلات الأحكام، واشتبه الحق فيها على قوم فقعدوا عن نصرته، فندموا في الدنيا على التخلف عن الإسلام، وأن سلّموا في الأخرى من العذاب فلن يسلّموا من التعنيف والملام وثبات جأشه الذي هو أثبت من ثبير[1]، وسطوة بأسه التي تضطرم في الحروب اضطرام السعير، وأفعاله التي تشهد بها وقعة الجمل ويوم النهروان وليلة الهرير فأنا أذكرها على عادتي في الإختصار وسبيلي في الإقتناع بجمل الأخبار.

فمن ذلك وقعة الجمل

والمجتمعون لها لمّا رفضوا علياً ﷺ ونقضوا بيعته ونكثوا عهده، وغدروا به

---

(١) اسم جبل بمكة.

وخرجوا عليه، وجمعوا الناس لقتاله مستخفّين بعقد بيعته التي لزمهم فرض حكمها مسفين إلى إثارة فتنة عامّةٍ باؤا بإثمها، لم ير إلّا مقاتلتهم على مسارعتهم إلى نكث بيعته، ومقابلتهم على الخروج عن حكم الله ولزوم طاعته، وكان من الداخلين في البيعة أوّلاً والملتزمين لها ثمّ من المحرّضين ثانياً على نكثها ونقضها طلحة والزبير، فأخرجا عايشة وجمعا من استجاب لهما، وخرجوا إلى البصرة ونصبوا لعلي ﷺ حبائل الغوايل، وألبوا عليه[1] مطيعهم من الرامح والنابل، مظهرين المطالبة بدم عثمان مع علمهم في الباطن أنّ علياً ﷺ ليس بالآمر ولا القاتل.

ومن العجب أنّ عايشة حرّضت الناس على قتل عثمان بالمدينة وقالت: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً فلقد أبى سنّة رسول الله وهذه ثيابه لم تبل، وخرجت إلى مكّة وقتل عثمان وعادت إلى بعض الطريق فسمعت بقتله وأنّهم بايعوا علياً ﷺ فورم أنفها وعادت وقالت: لأطالبنّ بدمه، فقيل لها: يا أمّ المؤمنين أنت أمرت بقتله وتقولين هذا؟ قالت: لم يقتلوه إذ قلت وتركوه حتّى تاب وعاد كالسبيكة من الفضّة وقتلوه، وخرج طلحة والزبير من المدينة على خُفية ووصلا إليها مكّة وأخرجاها إلى البصرة، ورحل علي ﷺ من المدينة يطلبهم فلمّا قرب من البصرة كتب إلى طلحة والزبير:

أمّا بعد؛ فقد علمتما أنّي لم أرد الناس حتّى أرادوني، ولم أبايعهم حتّى أكرهوني وأنتما ممّن أرادوا بيعتي وبايعوا ولم تبايعا لسلطان غالب، ولا لغرض حاضر، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله عزّوجلّ عمّا أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وإسراركما[2] المعصية، وأنت يا زبير فارس قريش وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به، وأمّا قولكما إنّي قتلت عثمان بن عفّان، فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما عن أهل المدينة، ثمّ يلزم كلّ امرىء بقدر ما احتمل، وهؤلاء بنو عثمان ـ إن قتل مظلوماً كما تقولان ـ أولياؤه وأنتما رجلان من المهاجرين وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي، وأخرجتما أمّكما من بينها الذي أمرها الله أن تقرّ فيه، والله حسبكما والسلام.

---

(١) ألب على الأمر: لزمه فلم يفارقه.

(٢) وفي بعض النسخ «كتمانكما» عوض «إسراركما».

وكتب علي عليه السلام إلى عايشة: أمّا بعد؛ فإنّك خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثمّ تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين الناس، فخبّريني ما للنساء وقود العساكر؟ وزعمتِ أنّكِ طالبة بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أميّة وأنت امرأة من بني تيم بن مرّة، ولعمري إنّ الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان، وما غضبت حتّى أغضبت ولا هجمت حتّى هيّجت، فاتّقي الله يا عايشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسلام.

فجاء الجواب إليه عليه السلام: يابن أبي طالب جلّ الأمر عن العتاب، ولن ندخل في طاعتك أبداً، فاقض ما أنت قاض، والسلام.

ثمّ تراءى الجمعان وتقاربا ورأى علي عليه السلام تصميم القوم على قتاله، فجمع أصحابه وخطبهم خطبة بليغة قال عليه السلام فيها: واعلموا أيّها الناس إنّي قد تأنّيت هؤلاء القوم وراقبتهم وناشدتهم كيما يرجعوا ويرتدعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إليّ أن أبرز إلى الطعان وأثبت للجلاد وقد كنت وما أهدّد بالحرب ولا أدعى إليها وقد أنصف القارة من راماها منها[1] فأنا أبو الحسن الذي فللت[2] حدّهم وفرّقت جماعتهم، فبذلك القلب ألقى عدوّي، وأنا على بيّنة من ربّي لما وعدني من النصر والظفر، وإنّي لعلى غير شبهة من أمري، ألا وإنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يقتل يمت، فإنّ أفضل الموت القتل والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون عَلَيّ من ميتة على الفراش.

ثمّ رفع يده إلى السماء وقال: اللهمّ إنّ طلحة بن عبيدالله أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثمّ نكث بيعتي، اللهمّ فعاجله ولا تمهله، وإنّ زبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوّي ونصب الحرب لي، وهو يعلم أنّه ظالم (إليّ) اللهمّ فاكفنيه كيف شئت.

ثمّ تقاربوا وتعبّوا لابسي سلاحهم ودروعهم متأهّبين للحرب كلّ ذلك وعليّ عليه السلام بين الصفّين عليه قميص ورداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على

---

(١) القارة: قبيلة وهم رماة.

(٢) فلل القوم: كسرهم وهزمهم.

بغلة، فلمّا رأى أنّه لم يبق إلّا مصافحة الصفاح[١] والمطاعنة بالرماح صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ؟ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر[٢] وهو مدجج في الحديد[٣]؟ فقال عليه السلام: ليس عليّ منه بأس، ثمّ نادى ثانية: فخرج إليه ودنا منه حتّى واقفه، فقال له علي عليه السلام: يا أبا عبدالله ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقال عليه السلام: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلّا هو الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحب عليّاً؟ فقلت: وما يمنعني من حبّه وهو ابن خالي، فقال لك: أمّا إنّك فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟ فقال الزبير: اللهمّ بلى فقد كان ذلك، فقال علي عليه السلام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلّمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً، فقال لك النبي: مهلاً يا زبير فليس به زهو[٤] ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟ فقال الزبير: اللهمّ بلى، ولكن أنسيت، فأمّا إذا ذكّرتني ذلك فلأنصرفنّ عنك، ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك، ثمّ رجع إلى عايشة فقالت: ما وراءك يا أبا عبدالله؟ فقال الزبير: والله ورائي إنّي ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلّا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري وما أكاد أبصر موضع قدمي ثمّ شقّ الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام وكان في ضيافته، فنفذت دعوة علي عليه السلام فيه.

وأمّا طلحة فجاءه سهم وهو قائم للقتال فقتله ثمّ التحم القتال.

وقال علي عليه السلام يوم الجمل: ﴿ وإنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾[٥] ثمّ حلف حين قرأها أنّه ما قوتل عليها منذ نزلت حتّى اليوم، واتّصل الحرب وكثر القتل والجرح، ثمّ تقدّم رجل من

---

(١) الصفاح جمع الصفح وهو من السيف: عرضه.

(٢) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع.

(٣) المدجج: الشاكي السلاح يقال: تدجج في سلاحه: إذا دخل فيه.

(٤) الزهو: الكبر والفخر.

(٥) التوبة: ١٢.

اصحاب الجمل يقال له عبدالله فجال بين الصفوف وقال: أين أبو الحسن؟ فخرج إليه علي عليه السلام وشدّ عليه وضربه بالسيف، فأسقط عاتقه ووقع قتيلاً فوقف عليه وقال: لقد رأيت أباالحسن فكيف وجدته ولم يزل القتل يؤجج ناره، والجمل يفنى أنصاره حتّى خرج رجل مدجج يظهر بأساً ويعرض بذكر علي عليه السلام حتّى قال:

أضربكم ولو أرى عليّاً عممته أبيض مشرفيّا

فخرج إليه علي عليه السلام متنكّراً وضربه على وجهه فرمى بنصف قحف رأسه[1]، فسمع صائحاً من ورائه، فالتفت فرأى ابن أبي خلف الخزاعي من أصحاب الجمل، فقال: هل لك في المبارزة يا علي؟ فقال علي: ما أكره ذلك ولكن ويحك يابن أبي خلف ما راحتك في القتل، وقدعلمت من أنا، فقال: ذرني يابن أبي طالب من بذخك[2] بنفسك وادن منّي لترى أيّنا يقتل صاحبه، فثنى عليّ عنان فرسه إليه فبدره ابن خلف بضربة، فأخذها عليّ في جحفته[3] ثمّ عطف عليه بضربة أطار بها يمينه ثمّ ثنّى بأخرى أطار بها قحف رأسه، واستعر الحرب حتّى عقر الجمل وسقط وقد احمرّت البيداء بالدماء وخذل الجمل وحزبه وقامت النوادب بالبصرة على القتلى.

وكان عدّة من قتل من جند الجمل ستّة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً وكانوا ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقتل من أصحاب عليّ عليه السلام ألف وسبعون رجلاً وكانوا عشرين ألفاً.

وكان محمّد بن طلحة المعروف بالسجّاد قد خرج مع أبيه وأوصى علي عليه السلام عليه وأن لا يقتله من عساه أن يظفر به، وكان شعار أصحاب علي عليه السلام (حم) فلقيه شريح ابن أوفى العبسي من أصحاب علي عليه السلام فطعنه فقال: (حم) وقد سبق ـ كما قيل ـ السيف العذل. فأتى على نفسه، قال شريح هذا:

وأشعث قوّام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
شككت بصدر الرمح جيب قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً عليّاً ومن لم يتبع الحق يندم

---

(١) القحف ـ بالكسر ـ: ما انفلق من الجمجمة فبان أي انفصل ولا يدعى قحفاً حتّى يبين أو ينكسر منه شيء.
(٢) البذخ: الكبر.
(٣) الجحفة ـ محركة ـ: واحدة الجحف وهو الترس بلا خشف ولا عقب.

يـــذكّرني حـــم والرمـــح شـــاجر فهلّا تـلا (حـم) قـبل التـقدم[١]

وجاء علي عليه السلام فوقف عليه وقال: هذا رجل قتله برّه بأبيه.

وكان مالك الأشتر قد لقى عبدالله بن الزبير في المعركة ووقع عبدالله إلى الأرض والأشتر فوقه، فكان ينادي: أقتلوني ومالكاً، فلم ينتبه أحد من أصحاب الجمل لذلك، ولو علموا أنّه الأشتر لقتلوه، ثمّ أفلت عبدالله من يده وهرب، فلمّا وضعت الحرب أوزارها ودخلت عايشة إلى البصرة ودخل عليها عمّار بن ياسر ومعه الأشتر، فقالت: من معك يا أبا اليقظان؟ فقال: مالك الأشتر، فقالت: أنت فعلت بعبدالله ما فعلت؟ فقال: نعم فلولا كوني شيخاً كبيراً وطاوياً[٢] لقتلته وأرحت المسلمين منه، قالت: أوما سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله: إنّ المسلم لا يقتل إلّا عن كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل النفس التي حرّم الله قتلها؟ فقال: يا أُمّ المؤمنين على أحد الثلاثة قاتلناه، ثمّ أنشد:

أعائش لولا أنّني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا

عشية يدعو والرماح تحوزه بأضعف صوت أقتلوني ومالكا

فلم يعرفوه إذ دعاهم وعمّه خِدبّ عليه في العجاجة باركا[٣]

فنجّاه منّي أكله وشبابه وإنّي شيخ لم أكن متماسكا

وعن زر أنّه سمع علياً عليه السلام يقول: أنا فقأت عين الفتنة ولولا أنا ما قتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أنّني أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيّكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً ضلالهم، عارفاً للهدى الذي نحن عليه[٤].

وعلى هذا قيل: حضر جماعة من قريش عند معاوية وعنده عدي بن حاتم وكان فيهم عبدالله بن الزبير، فقالوا: يا أميرالمؤمنين ذرنا نكلّم عدياً فقد زعموا أنّ عنده جواباً، فقال: إنّي أُحذّركموه، فقالوا: لا عليك دعنا وإيّاه، فقال له ابن الزبير: يا أبا طريف، متى فقأت عينك؟ قال: يوم فرّ أبوك وقتل شرّ قتلة وضربك الأشتر على

---

(١) شجر فلان بالرمح: طعنه به.

(٢) الطاوي: الجايع.

(٣) الخدب ـ بكسر الخاء وفتح الدال ـ: الرجل الضخم الطويل. والعجاجة: الغبار.

(٤) وفي بعض النسخ «نحن فيه».

إستك فوقعت هارباً من الزحف، وأنشد:

أمـــا وأبـــي يـابن الزبـير لو أنّـني لقيتك يوم الزحف ما رمت لي سخطا
وكـــان أبـــي فـي طـي وأبـو أبـي صحيحين لم تنزع عروقهما القـبطا
ولو رمت شتمي عـند عـدل قـضاؤه لرمت به يابن الزبـير مـدى شـحطا

فقال معاوية: قد كنت حذّرتكموه فأبيتم، الحديث ذو شجون[1].

وندمت عائشة على ما وقع منها، وكانت لا تذكر يوم الجمل إلّا أظهرت أسفاً وأبدت ندماً وبكت.

ونقلت من ربيع الأبرار للزمخشري قال جميع بن عمير: دخلت على عائشة فقلت: من كان أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت: فاطمة صلوات الله عليها، قلت لها: إنّما أسألك عن الرجال؟ قالت: زوجها، وما يمنعه فوالله إنّه كان لصوّاماً قوّاماً، ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في يده فردّها إلى فيه، قلت: فما حملك على ما كان؟ فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت: أمر قضى عليّ.

وروى أنّه قيل لها قبل موتها: أندفنك عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت: لا إنّي أحدثت بعده.

والحال في حرب أصحاب الجمل معروفة تحتمل الإطالة فاقتصرت منها على هذا القدر.

وكانت حروبه صلى الله عليه وآله مشكلة على من لم يؤت نور البصيرة، فقعد عنه قوم وشك فيه آخرون، وما فيهم إلّا من عرف أنّ الحق معه وندم على التخلف عنه، وكيف لا يكون الحق معه والصواب فيما رواه والرشد فيما أتاه، وأدعية النبي صلى الله عليه وآله قد سبقت له، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق مع عليّ كيف دار، وإذا كان دعاء النبي مستجاباً لزم أنّ وليّ عليّ وليّ الله، وأولياؤه مؤمنون، وعدوّ عليّ عدوّ الله، وأعداؤه كافرون، وإنّ ناصره منصور وخاذله مخذول، وإنّ الحقّ يدور معه ويتصرّف بتصرّفه ولا يفارقه ولا يزايله، فكلّما فعله كان فيه مصيباً، ومن خالفه في أمر أو نابذه في حال أو منعه شيئاً يريده أو حمله على ما يكرهه

---

(١) الشجون جمع الشجن: الشعبة من كلّ شيء، والحديث ذو شجون أي فنون متشعبة تأخذ منه في طرف فلا تلبث حتّى تكون في آخر ويعرض لك منه ما لم تكن تقصده.

أو عصاه فيما يأمره به أو غصبه حقاً أو شكّ فيه أو لامه على حركاته وسكناته وقضاياه وتصرّفاته، كان بمدلول دعاء النبي صلى الله عليه وآله مخطئاً لأنّ من أقدم على شيء من ذلك كان عدوّاً له عليه السلام وعدوّه عدوّ الله، وعدوّ الله كافر، وهذا واضح فتأمّل.

ومن حروبه حرب صفّين

المشتملة على وقائع يضطرب لها فؤاد الجليد، ويشيب لهولها فؤاد الوليد، ويذوب لتسعر بأسها زبر الحديد، ويجب منها قلب البطل الصنديد، ويذهب بها عناد المريد وتمرّد العنيد، فإنّها أسفرت عن نفوس أساد مختطفة باللهازم، ورؤوس أجلاد مقتطفة بالصوارم، وأرواح فرسان طائرة عن أوكارها، وأشباح شجعان قد نبذت بالعراء دون إدراك أوتارها، وفراخ هام قد أنهضت عن مجاثمها، وترائيب دوام أباح حرمتها من أمر بحفظ محارمها، فأصبحت فرائس الوحوش في السباسب، وطعمة الكواسر والكواسب، قد ارتوت الأرض من دمائها المطلولة، وغصت البيداء بأشلائها المقتولة، ورغمت أنوف حماتها، ودنت حتوف كماتها، بأيدي رجالات بني هاشم الأخيار، وسيوف سروات المهاجرين والأنصار، في طاعة سيّدها وإمامها وحامي حقيقتها من خلفها وأمامها، مفرّق جموع الكفر بعد التيامها، ومشتّت طواغيت النفاق بعد انتظامها، شيخ الحرب وفتاها، وسيّد العرب ومولاها، ذي النسب السامي، والعرق النامي، والجود الهامي، والسيف الدامي، والشجاع المحامي، والبحر الطامي، مزيل ريّ الظامي، مقتحم اللجج، صاحب البراهين والحجج، أكرم من دبّ بعد المصطفى ودرج، الذي ما حولكم إلّا وفلج، فارس الخيل، وسابق السيل، وراكب النهار والليل، تولّى عليه السلام الحرب بنفسه النفيسة، فخاض غمارها، واصطلى نارها، وأذكى أوارها، ودوّخ أعوانها وأنصارها، وأجرى بالدماء أنهارها، وحكم في مهج القاسطين بسيفه فعجّل بوارها، فصارت الفرسان تتحاماه إذا بدر، والشجعان تلوذ بالهزيمه إذا زأر، عالمة أنّه ما صافحت صفحة سيفه مهجة إلّا فارقت جسدها، ولا كافح كتيبة إلّا افترس ثعلب رمحه أسدها، وهذا حكم ثبت له بطريق الإجمال، وحال اتّصف به بعموم الإستدلال، ولابدّ من ذكر بعض مواقفه في صفّين فكثرتها توجب الإقتصار على يسيرها، وكأيّن من حادثة يستغني عن ثبوت طويلها بقصيرها.

فمنها: أنّه خرج من عسكر معاوية المخراق بن عبدالرحمن وطلب البراز،

فخرج اليه من عسكر عليّ عليه السلام المؤمّل بن عبيدالله المرادي، فقتله الشامي، ونزل فجزّ رأسه وحكّ بوجهه الأرض[1] وكبّه على وجهه، فخرج إليه فتى من الأزد اسمه مسلم بن عبدالله[2]، فقتله الشامي، وفعل به كما فعل، فلمّا رأى علي عليه السلام ذلك تنكّر والشامي واقف يطلب البراز، فخرج إليه وهو لا يعرفه، فطلبه فبدره علي عليه السلام بضربةٍ على عاتقه فرمى بشقّه، فنزل فاجتزّ رأسه وقلّب وجهه إلى السّماء وركب ونادى: هل من مبارز، فخرج إليه فارس فقتله وفعل به كما فعل، وركب ونادى: هل من مبارز، فخرج إليه فارس فقتله وفعل به كما فعل، كذا إلى أن قتل سبعة فأحجم عنه الناس ولم يعرفوه، وكان لمعاوية عبد يسمّى حرباً وكان شجاعاً، فقال له معاوية: ويلك يا حرب أخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره فقد قتل من أصحابي ما قد رأيت، فقال له حرب: والله إنّي أرى مقام فارس لو برز إليه أهل عسكرك لأفناهم عن آخرهم فإن شئت برزت إليه واعلم أنّه قاتلي وإن شئت فاستبقني لغيره. فقال معاوية: لا والله ما أحبّ أن تقتل فقف مكانك حتّى يخرج إليه غيرك، وجعل علي عليه السلام يناديهم ولا يخرج إليه أحد، فرفع المغفر عن رأسه ورجع إلى عسكره.

فخرج رجل من أبطال الشام يقال له كريب بن الصباح وطلب البراز، فخرج إليه المبرقع الخولاني، فقتله الشامي، وخرج إليه آخر فقتله أيضاً، فرأى علي عليه السلام فارساً بطلاً فخرج إليه علي عليه السلام بنفسه فوقف قبالته وقال له: من أنت؟ قال: أنا كريب بن الصباح الحميري، فقال له علي: ويحك يا كريب، إنّي أُحذّرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنّة نبيّه، فقال له كريب: من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فالله الله في نفسك فإنّي أراك فارساً بطلاً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا، وتصون نفسك من عذاب الله، ولا يدخلنّك معاوية نار جهنّم، فقال كريب: أدن منّي إن شئت وجعل يلوح بسيفه، فمشى إليه علي عليه السلام فالتقيا ضربتين بدره عليّ فقتله.

فخرج إليه عليه السلام الحارث الحميري فقتله، وآخر فقتله، حتّى قتل أربعة وهو يقول: ﴿ الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ والحُرُماتُ قِصاص فَمَنِ اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ

---

(١) حك الشيء بالشيء: أمره عليه دلكاً وصكاً.

(٢) وفي بعض النسخ «مسلم بن عبد ربه».

بِمِثْلِ ما اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ واتَّقُوا اللهَ واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المتَّقِين ﴾[١]، ثمّ صاح علي ﷺ: يا معاوية هلمّ إلى مبارزتي ولا تفنينّ العرب بيننا، فقال معاوية: لا حاجة لي في ذلك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك، فصاح شخص من أصحاب معاوية اسمه عروة ابن داود: يا علي، إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلمّ إلى مبارزتي، فذهب علي نحوه فبدره عروة بضربة فلم تعمل شيئاً فضربه عليّ فأسقطه قتيلاً، ثمّ قال: انطلق إلى النار، وكبر على أهل الشام عند قتل عروة، وجاء الليل.

وخرج علي ﷺ في يوم آخر متنكّراً وطلب البراز، فخرج إليه عمرو بن العاص وهو لا يعرف أنّه علي، وعرفه علي ﷺ فأطرد بين يديه ليبعده عن عسكره، فتبعه عمرو مرتجزاً:

يا قادة الكوفة من أهل الفتن أضربكم ولا أرى أباالحسن

فرجع إليه علي ﷺ وهو يقول:

أبوالحسين فاعلمن والحسن جاءك يقتاد العنان والرسن

فعرفه عمرو فولّى راكضاً ولحقه علي ﷺ فطعنه طعنة وقع الرمح في فصول درعه، فسقط إلى الأرض، وخشي أن يقتله عليٌّ فرفع رجليه، فبدت سوءته، فصرف علي ﷺ وجهه وانصرف إلى عسكره.

وجاء عمرو ومعاوية يضحك منه، فقال: ممّ تضحك؟ والله لو بدا لعلي من صفحتك ما بدا له من صفحتي إذاً لأوجع قذالك[٢] وأيتم عيالك وأنهب مالك، فقال معاوية: لو كنت تحتمل مزاحاً لمازحتك، فقال عمرو: وما أحملني للمزاح ولكن إذا لقى الرجل رجلاً فصدّ عنه ولم يقتله أتقطر السماء دماً؟ فقال معاوية: لا ولكنّها تعقّب فضيحة الأبد حيناً أما والله لو عرفته لما أقدمت عليه.

قلت: قد أجاد القائل ما شاء وأظنّه أبا فراس بن حمدان:

ولا خير في دفع الردى بمذلّة كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وكان في أصحاب معاوية فارس مشهور بالشجاعة اسمه بسر بن أرطاة.

قلت: هذا بسر بن أرطاة لعنه الله هو صاحب جيش معاوية إلى اليمن، وكان من

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) القذال: جماع مؤخر الرأس.

شرّ الناس وأقدمهم على معاصي الله تعالى وسفك الدماء المحرّمة، وأشدّ العالمين عداوة لله ولرسوله ولآل بيته، وأقلّهم ديناً وأكثرهم عناداً للحق، وأقربهم إلى مساوي الأخلاق، وأبعدهم من خير، وأعظمهم تمرّداً وكفراً وتسلّطاً، لا يميز بين حقّ وباطل، جاهل فاسق، فظّ غليظ، متمرّد لئيم، سيّىء الملكة قتّال.

قال ابن الأثير في تاريخه ما هذا ملخّصه قال: بعث معاوية بسر بن أرطاة في سنة أربعين في ثلاثة آلاف فارس إلى الحجاز واليمن، فأتى المدينة وفيها أبو أيّوب الأنصاري عامل عليّ عليها، فهرب وأتى عليّاً بالكوفة، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد، ونادى الأنصار: شيخي عهدته هنا فما فعل؟ يعني عثمان، ثمّ قال: والله لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بها محتلماً، وطلب جابر بن عبدالله ليبايع فهرب إلى أُم سلمة رضي الله عنها فأشارت عليه بالمبايعة، وخرج بسر إلى مكة فخاف أبو موسى الأشعري أن يقتله فهرب، وأكره الناس إلى البيعة، وسار إلى اليمن وعاملها من قبل علي عليه السلام عبيدالله بن العباس، فهرب إلى عليّ بالكوفة واستخلف على اليمن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي فأتاه بسر فقتله، وقتل ابنه وقتل ابنين لعبيدالله بن عباس، وكانا مقيمين عند شخص بالبادية، فقال: أيّ ذنب لهما، إن كنت لابدّ قاتلهما فاقتلني؟ فقتله، وقيل: إنّه حارب دونهما حتّى قُتل، وكان ينشد:

الليث من يمنع حافات الدار ... ولا يزال مصلتاً دون الجار

وخرجت امرأة فقالت: قتلت الرجال فعلام تقتل الذريّة، والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام، والله يابن أرطاة إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام لسلطان سوء. وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن، وبلغ عليّاً الخبر فأرسل حارثة بن قدامة في ألفي فارس وذهب ابن مسعود في ألفين، فسمع بهما الملعون بسر فهرب، وكانت أُمّ الصبيين المقتولين جويرية بنت فارط، وقيل عائشة بنت عبدالله بن عبدالمدان، وقد ولهت لما قتل ولداها فلا تعقل ولا تصغى ولا تزال تنشدهما في المواسم وتقول:

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف[1]

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

---

(١) تشظى الشيء: تشقق.

وهي أبيات مشهورة، ولمّا سمع أميرالمؤمنين بقتلهما جزع جزعاً شديداً ودعا على بسر، فقال: اللهمّ اسلبه دينه وعقله، فأصابه ذلك وفقد عقله، وكان يهدى بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب، وجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه فلم يزل كذلك حتّى مات.

ولمّا استقرّ الأمر لمعاوية دخل عليه عبيدالله بن العبّاس وعنده بسر بن أرطاة، فقال: وددت أنّ الأرض أنبتتني عندك حين قتلت ولديّ، فقال بسر: هاك سيفي فأهوى عبيدالله يتناوله، فأخذه معاوية وقال لبسر: أخزاك الله شيخاً قد خرفت، والله لو تمكّن منه لبدا بي، قال عبيدالله: أجل ثمّ ثنّيت به.

وقيل: إنّ مسير بسر إلى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين.

رجع الحديث فلمّا سمع بسر علياً يدعو معاوية إلى البراز ومعاوية يمتنع قال: قد عزمت على مبارزة علي فلعلّي أقتله، فأذهب في العرب بشهرته وشاور غلاماً يقال له لاحق: فقال: إن كنت واثقاً من نفسك فافعل، وإلّا فلا تبرز إليه، فإنّه والله الشجاع المطرق:

فأنت له يا بسر إن كنت مثله ... وإلّا فإنّ الليث للضبع آكل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال: ويحك هل هو إلّا الموت؟ ولابدّ من لقاء الله على كلّ الأحوال إمّا بموت أو قتل، ثمّ خرج بسر إلى علي ﷺ وهو ساكت بحيث لا يعرفه علي ﷺ لحالة كانت صدرت منه، فلمّا نزل إليه علي ﷺ حمل عليه فسقط بسر عن فرسه على قفاه ورفع رجليه وكشف عن سوأته، فصرف علي وجهه عنه ووثب بسر قائماً وسقط المغفر عن رأسه، فصاح أصحاب علي: يا أميرالمؤمنين إنّه بسر بن أرطاة! فقال ﷺ: ذروه عليه لعنة الله، فضحك معاوية من بسر، وقال: لا عليك فقد نزل بعمرو مثلها، وصاح فتى من أهل الكوفة: ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علمكم ابن العاص لعنه الله تعالى كشف الاستاء في الحروب وأنشده:

أفي كلّ يوم فارس ذو كريهة ... له عورة وسط العجاجة بادية
يكف بها عنه عليٌّ سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاوية
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنفس واقية

فلولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها من العود ثانية

وكان بسر يضحك من عمرو، فعاد عمرو يضحك منه، وتحامى أهل الشام علياً[1] وخافوه خوفاً شديداً.

وكان لعثمان مولى اسمه أحمر، فخرج يطلب البراز، فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام، فحمل عليه فقتله، فقال علي عليه السلام: قتلني الله إن لم أقتلك، ثمّ حمل عليه فاستقبله بالسيف فاتقى علي ضربته بالجحفة، ثمّ قبض ثوبه وأقلعه من سرجه وضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه، ودنا منه أهل الشام فما زاده قربهم إسراعاً، فقال له ابنه الحسن عليه السلام: ما ضرّك لو سعيت حتّى تنتهي إلى أصحابك؟ فقال: يا بني إنّ لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطىء به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي، وإنّ أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

وكان لمعاوية عبد اسمه حريث، وكان فارساً بطلاً، فحذّره معاوية من التعرّض لعلي عليه السلام، فخرج وتنكّر له عليٌّ، فقال عمرو بن العاص لحريث: لا يفوتك هذا الفارس، وعرف عمرو أنّه عليّ، فحمل حريث فداخله عليّ وضربه ضربة أطار بها قحف رأسه، فسقط قتيلاً، واغتمّ معاوية عليه غمّاً شديداً، فقال لعمرو: أنت قتلت حريثاً وغررته.

وخرج العباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي فأبلا، وخرج فارس من أصحاب معاوية فتنازلا وتضاربا، ونظر العباس إلى وهن في درع الشامي فضربه العباس على ذلك الوهن فقدّه باثنين، فكبّر جيش علي عليه السلام، وركب العباس فرسه، فقال معاوية: من يخرج إلى هذا فيقتله فله كذا وكذا، فوثب رجلان من لخم من اليمن فقالا: نحن نخرج إليه، فقال: أخرجا فأيّكما سبق إلى قتله فله من المال ما ذكرت، وللآخر مثل ذلك، فخرجا إلى مقرّ المبارزة وصاحا بالعباس ودعواه إلى المبارزة، فقال: أستأذن صاحبي وأعود إليكما، وجاء إلى علي عليه السلام ليستأذنه فقال له: أعطني ثيابك وسلاحك وفرسك فلبسها علي عليه السلام وركب الفرس وخرج إليهما على أنّه العباس، فقالا: استأذنت صاحبك فتحرّج من الكذب فقرأ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَأَنَّ اللهَ عَلَىٰ

---

(١) تحاماه الناس: توقوه واجتنبوه.

نَصْرِهِمْ لَقَدِير﴾[١] فتقدّم إليه أحد الرجلين فالتقيا ضربتين، ضربه عليّ على مراق بطنه فقطعه باثنين، فظنّ أنّه أخطاه، فلمّا تحرّك الفرس سقط قطعتين وصار فرسه إلى عسكر علي، وتقدّم الآخر فضربه علي عليه السلام فألحقه بصاحبه، ثمّ جال عليهم جولة ورجع إلى موضعه. وعلم معاوية أنّه علي، فقال: قبّح الله اللجاج إنّه لقعود ما ركبته إلّا خذلت، فقال له عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت، فقال له معاوية: أسكت أيّها الإنسان ليس هذه الساعة من ساعاتك، فقال عمرو: فإن لم تكن من ساعاتي فرحم الله اللخميين ولا أظنّه يفعل[٢].

ومن وقائع صفّين ليلة الهرير التي خاضت الفرسان فيها في دماء أقرانها وأضرمت الحرب فيها شواظ نيرانها، وتعاطى الشجعان فيها كاسات الحمام، فمالت بصاحبها وسكرانها، وجلّ الأمر عن المضاربة بسيفها والمطاعنة بسنانها، فهرّت لحقدها، كادمة بأنيابها، عاضّة بأسنانها، قد شعلت بنار الحميّة فطائفة تجهد في طاعتها، وأُخرى تدأب في عصيانها، قد صبرت هذه إتّباعاً لحقّها وَصِدقها وتلك لباطلها وبهتانها، وقاتلت هذه حسبةً في سبيل ربّها وإمامها وتلك في اتّباع غويها وشيطانها، وهذه تعلن بتلاوة كتابها وترتيل قرآنها، وتلك القاسطة تنادي بدعوى الجاهليّة وأوثانها، والإمام عليه السلام قد باشرها بنفسه، فكم قتل من رجالها وأردى من فرسانها، وكم أنحى على كتيبة فما عاد إلّا بعد تفريق جمعها وهدّ أركانها، ووصل بين الحزن وأهلها، وفرّق بين رؤوسها وأبدانها، وشتّت شمل اجتماعها، فجمع عليها بين وحوش الأرض وعقبانها، فيالها من ليلة خرست فيها الشقاشق فلا تسمع إلّا همهمة، وخشعت لها الأصوات فلا تحسّ إلّا غمغمة، وعجزت بها الألسن عن النطق فكان نطقها تمتمة، وأرادت التقريع على فعالها فلم تستطعه فاعتاضت عنه زئيراً ودمدمة، وأظلم سواد حديدها وليلها وغبارها فعُدّت بليالي، وسال بأرضها طوفان الدم فسوّى بين السافل والعالي، وأومضت في ظلمائها بوارق السيوف وبدور البيض وشهب العوالي، ودارت بها رحى الحرب فطحنت الأواخر والأوالي، وانتضب مالك لتلقى

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) وروى العياشي في التفسير قصته بأبسط من ذلك (ج٢ ص٧٩) وقد ذيلته هنا بما يفسر معضلاته. ونقله من العامة ابن قتيبة في عيون الأخبار (ج٢ ص٧٤) باختلاف يسير بينهما.

روح المعادي، واستبشر رضوان بروح الموالي، وأميرالمؤمنين فارس ذلك الجمع وأسده وإمامه ومولاه وسيّده، وهادي من اتّبعه ومرشده، يهدر كالفحل ويزأر كالأسد ويفرقهم ويجمعهم كفعله بالنقد، لا يعترضه في إقامة الحق وإدحاض الباطل فتور، ولا يلم به في إعلاء كلمة الله وخزي أعدائه قصور، يختطف النفوس، ويقتطف الرؤوس، ويلقى بطلاقة وجهه اليوم العبوس، ويذلّ بسطوة بأسه الأسود السود، والفرسان الشنوس، ويخجل بأنواره في ليل القتام الأقمار والشموس، فما لقي شجاعاً إلّا وأراق دمه، ولا بطلاً إلّا وزلزل قدمه، ولا مريداً إلّا أعدمه، ولا قاسطاً إلّا قصّر عمره وأطال ندمه، ولا جمع نفاق إلّا فرّقه، ولا بناء ضلال إلّا هدمه.

وكان كلّما قتل فارساً أعلن بالتكبير فأُحصيت تكبيراته ليلة الهرير فكانت خمسمائة وثلاثاً وعشرين تكبيرة بخمسمائة وثلاث وعشرين قتيلاً من أصحاب السعير، وقيل: إنّه في تلك الليلة فتق نيفق درعه[1] لثقل ما كان يسيل من الدم على ذراعه، وقيل: إنّ قتلاه عرفوا في النّهار فإنّ ضرباته كانت على وتيرة واحدة، إن ضرب طولاً قدّ أو عرضاً قطّ، وكانت كأنّها مكواة بالنّار..

قال كمال الدين بن طلحة: فما تحلّى بهذه المزايا والخلال، ولا أبلى بلاؤه المذكور في النزال، ولا صدرت منه هذه الأفعال إلّا عن شجاعة تذلّ لها الأبطال، وتقلّ لديها الأهوال، ولا تقوم بوصفها الأقلام والأقوال، ولا يحتاج في تحقّقها أن يثبتها الإستدلال، وعلى الجملة والتفصيل، فمقام شجاعته لا ينال، وماذا بعد الحقّ إلّا الضلال، ولمّا أسفر صبح ليلة الهرير عن ضيائه، وحسر الليل جنح ظلمائه، كانت القتلى من الفريقين ستّة وثلاثين ألف قتيل، هكذا نقله مصنّف كتاب (الفتوح) ومؤرّخ الوقايع التي نقلها بألسنة أقلامه، فهي في الرواية منسوبة إليه العهدة فيها عند تتبعها عليه، وهذه الوقايع المذكورة مع أهوالها الصعاب، وصيالها المصلى لظى الطعان والضراب، هي بالنسبة إلى بقايا وقايع صفين كالقطرة من السحاب، والشذرة من السخاب، انتهى كلام ابن طلحة.

قلت: وفي صبيحة هذه الليلة استظهر أصحاب علي عليه السلام، ولاحت لهم إمارات الظفر وعلائم الغلب، وزحف مالك الأشتر رضي الله عنه بمن معه حتّى ألجأهم إلى معسكرهم،

---

(١) نيفق الدرع: الموضع المتسع منه.

واشتدّ القتال ساعتئذ، ورأى علي عليه السلام أمارات النصر من جهة الأشتر فأمدّه برجال من أصحابه، وحين رأى عمرو بن العاص ذلك قال لمعاوية: إنّي أعددت لهذا الوقت رأياً أرجو به تفريق كلمتهم ودفع هذا الأذى المعجّل، قال معاوية: وما هو؟ قال: نرفع المصاحف (على رؤوس الرماح) وندعوهم إلى كتاب الله تعالى، فقال: أصبت، ورفعوها ورجع القرّاء عن القتال، فقال لهم علي عليه السلام: إنّها فعلة عمرو بن العاص وخديعة وفرار من الحرب، وليسوا من رجال القرآن فيدعوننا إليه، فلم يقبلوا وقالوا: لابدّ أن تنفذ وتردّ الأشتر عن موقفه وإلّا حاربناك وقتلناك أو سلّمناك إليهم، فأنفذ في طلب الأشتر فأعاد إليه أنّه ليس بوقت يجب أن تزيلني فيه عن موقفي وقد أشرفت على الفتح، فعرفه بالإختلاف الذي وقع فعاد ولام القرّاء وعنفهم وسبّهم وسبّوه وضرب وجه دوابّهم وضربوا وجه دابّته، وأبوا إلّا الإستمرار على غيّهم، وإنهماكا في بغيهم، ووضعت الحرب أوزارها.

وسأل علي عليه السلام: ما الذي أردتم برفع المصاحف؟ قالوا: الدعاء إلى ما فيها والحكم بمضمونها، وإن نقيم حكماً وتقيموا حكماً ينظران في هذا الأمر ويقرّان الحق مقرّه، فعرّفهم أميرالمؤمنين ما في طي أقوالهم من الخداع، وما يتضمّون عليه من خبث الطباع، فلم يسمعوا ولم يجيبوا وألزموه بذلك إلزاماً لا محيص عنه فأجاب على مضض[1].

ونصب معاوية عمرو بن العاص وعيّن علي عليه السلام عبدالله بن العباس فلم يوافقوا وقالوا: لا فرق بينك وبينه، فقال: فأبو الأسود؟ فأبوا عليه فاختاروا أبا موسى الأشعري، فقال عليه السلام: إنّ أبا موسى مستضعف وهواه مع غيرنا، فقالوا: لابدّ منه، فقال: إذا أبيتم فاذكروا كلّما قلت وقلتم، وكان من خدع عمرو أبا موسى وحمله على خلع علي عليه السلام وإقرارها على لسان عمرو في معاوية، وتشاتمهما وتلاعناهما ما هو مشهور في كتب السير والتواريخ.

وقد عمل في صفّين كتاب مفرد وليس كتابنا هذا بصدد ذكر ذلك وأمثاله، وإنّما غرضنا وصف مواقف أميرالمؤمنين عليه السلام وشدّة بأسه وإقدامه وتعديده مناقبه وذكر أيّامه ونذكر ملخّصاً حال معاوية عند عزمه على قتال عليّ فإنّه شاور فيه ثقاته وأهل ودّه

---

(١) المضض: وجع المصيبة.

فقالوا: هذا أمر عظيم لا يتمّ إلّا بعمرو بن العاص فإنّه قريع زمانه في الدهاء والمكر وقلوب أهل الشام مايلة إليه، وهو يَخدع ولا يُخدَع، فقال: صدقتم ولكنّه يحبّ علياً فأخاف أن يمتنع، فقالوا: رغّبه بالمال وأعطه مصر.

فكتب إليه: من معاوية بن أبي سفيان خليفة عثمان بن عفان إمام المسلمين وخليفة رسول ربّ العالمين ذي النورين، ختن المصطفى على ابنتيه، وصاحب جيش المعسرة وبئر رومة المعدوم، الناصر الكثير، الخاذل المحصور في منزله، المقتول عطشاً وظلماً في محرابه، المعذّب بأسياف الفسقة، إلى عمرو بن العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وثقته وأمير عسكره بذات السلاسل، المعظم رأيه المفخم تدبيره.

أمّا بعد؛ فلن يخفى عليك احتراق قلوب المؤمنين، وفجعتهم بقتل عثمان وما ارتكبه جاره بغياً وحسداً وامتناعه عن نصرته وخذلانه إيّاه، حتّى قتل في محرابه، فيالها مصيبة عمّت الناس، وفرضت عليهم طلب دمه من قتلته، وأنا أدعوك إلى الحظ الأجزل من الثواب، والنصيب الأوفر من حسن المآب بقتال من آوى قتلة عثمان.

فكتب إليه عمرو بن العاص: من عمرو بن العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد فقد وصل كتابك فقرأته وفهمته، فأمّا ما دعوتني إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي، والتهوّر في الضلالة معك وإعانتي إيّاك على الباطل واختراط السيف في وجه علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أخو رسول الله ووصيّه ووارثه وقاضي دينه ومنجز وعده، وزوج ابنته سيّدة نساء أهل الجنّة وأبو السبطين سيّدي شباب أهل الجنّة، وأمّا قولك إنّك خليفة عثمان فقد صدقت ولكن تبيّن اليوم عزلك من خلافته، وقد بويع لغيره، فزالت خلافته، وأمّا ما عظّمتني به ونسبتني إليه من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّي صاحب جيشه فلا اغترّ بالتزكية ولا أميل بها عن الملّة.

وأمّا ما نسبت أباالحسن أخا رسول الله ووصيّه إلى البغي والحسد لعثمان وسمّيت الصحابة فسقة وزعمت أنّه أشلاهم على قتله فهذا كذب وغواية، ويحك يا معاوية أما علمت أنّ أباالحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله وبات على فراشه وهو صاحب السبق إلى الإسلام والهجرة.

وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: هو منّي وأنا منه وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي.

وقال فيه يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من

عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

وقال فيه يوم حنين: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.

وقال فيه يوم الطير: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك فلمّا دخل قال: وإليّ وإليّ.

وقال فيه يوم النضير: عليّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

وقال فيه: عليّ وليّكم بعدي، وأكّد القول عليّ وعليك وعلى جميع المسلمين.

وقال: إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

وقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وقد علمت يا معاوية ما أنزل الله من الآيات المتلوّات في فضائله التي لا يشركه فيها أحد كقوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾، ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾، ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾، ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾، ﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن يكون سلمك سلمي، وحربك حربي، وتكون أخي ووليّي في الدنيا والآخرة، يا أباالحسن من أحبّك فقد أحبّني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أحبّك أدخله الله الجنّة، ومن أبغضك أدخله الله النار، وكتابك يا معاوية الذي هذا جوابه ليس ممّا ينخدع به من له عقل ودين، والسلام.

فكتب إليه معاوية يعرض عليه الأموال والولايات وكتب في آخر كتابه:

جهلت ولم تعلم محلك عندنا ... فأرسلت شيئاً من خطاب وما تدري
فثق بالذي عندي لك اليوم آنفاً ... من العزّ والإكرام والجاه والنصر
فاكتب عهداً ترتضيه مؤكّداً ... وأشفعه بالبذل منّي وبالبرّ

فكتب إليه عمرو:

أبى القلب منّي أن أخادع بالمكر ... بقتل ابن عفّان أجر إلى الكفر

أبيات ليست بالشعر الجيد يطلب فيها مصر، فكتب له معاوية بذلك وأنفذه إليه، ففكّر عمرو ولم يدر ما يصنع وذهب عنه النوم فقال:

---

(١) الآية الأولى في سورة الإنسان: ٧. والثانية في سورة المائدة: ٥٥. والثالثة في سورة هود: ١٧. والرابعة في سورة الأحزاب: ٢٣. والخامسة في سورة الشورى: ٢٣.

تـــطاول ليـلى بـالهموم الطـوارق فصافحت من دهري وجوه البوائـق
أأخـــدعه والخـــدع مـنّي سـجيّة أم أعطيه من نفسي نصيحة وامق[1]
أم اقعد في بـيتي وفـي ذاك راحـة لشيخ يخاف الموت في كلّ شارق[2]

فلمّا أصبح دعا مولاه وردان وكان عاقلاً، فشاوره في ذلك فقال وردان: إنّ مع علي آخرة ولا دنيا معه، وهي التي تبقى لك وتبقى فيها، وإنّ مع معاوية دنيا ولا آخرة معه وهي التي لا تبقى على أحد فاختر ما شئت، فتبسّم عمرو وقال:

يـــا قـــاتل الله وردانـــاً وفـطنته لقد أصاب الذي في القـلب وردان
لمّا تعرّضت الدنـيا عـرضت لهـا بحرص نفس وفي الأطباع أدهـان
نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها والمرء يأكل نـتناً وهـو غـرثان[3]
أمّـــا عـلي فـدين ليس يشـركه دنـــياً وذاك له دنـــياً وســـلطان
فاخترت من طمعي دنياً على بصر ومـا مـعي بـالذي أخـتار بـرهان
إنّـي لأعـرف مـا فـيها وأبـصره وفـــيّ أيـــضاً لمـا أهـواه ألوان
لكنّ نفسي تحبّ العيش في شرف وليس يرض بـذل العـيش إنسـان

ثمّ إنّ عمرواً رحل إلى معاوية فمنعه ابنه عبدالله ووردان فلم يمتنع، فلمّا بلغ مفرق الطريقين الشام والعراق قال له وردان: طريق العراق طريق الآخرة، وطريق الشام طريق الدنيا فأيّهما تسلك؟ قال: طريق الشام.

قلت: لا يغني عبدالله ووردان وقد قاده إلى جهنّم الشيطان، وباع حظّه من الآخرة، وشهد عليه ما جرى على لفظه فأحلّه في الساحرة، وكان من جملة آثاره المذمومة وأفعاله المشؤمة رفع المصاحف التي خرج بها الخوارج فتنكّبوا بها عن الصراط المستقيم، وأخذوا على أميرالمؤمنين الرضا بالتحكيم، وانقادوا إلى امتثال أمر الشيطان الرجيم، وهناك نجم أمر الخوارج فأساؤا في التأويل، ففارقوا الحق وتنكّبوا سواء السبيل، وعملوا بآرائهم المدخولة، فتنوّعت لهم فنون الضلالات والأباطيل، وسأذكر كيفيّة أمرهم وحالهم وما جرى عليهم جزاء كفرهم وضلالهم، وما أباحه الله

---

(١) ومقه: أحبّه.
(٢) الشارق: الشمس حين تشرق.
(٣) الغرثان: الجايع.

على يد وليّه من دمارهم ووبالهم، عند إنجازي ذكر زوايد أذكرها من أخبار صفّين، وعلى الله أتوكّل وبه أعتضد وأستعين.

في هذه الحرب قتل أبواليقظان عمّار بن ياسر رضي الله عنه، وقد تظاهرت الروايات أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: عمّار بن ياسر جلدة بين عيني، تقتله الفئة الباغية.

وفي صحيح مسلم عن أُمّ سلمة إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية.

قال ابن الأثير رحمه الله: وخرج عمّار بن ياسر على الناس فقال: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهمّ إنّك تعلم لو أنّي أعلم أنّ رضاك في أن أضع ظبة سيفي[1] في بطني ثمّ أنحني عليها حتّى تخرج من ظهري لفعلت، وإنّي لا أعلم اليوم عملاً أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته، والله إنّي لأرى قوماً ليضربنّكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، والله لو ضربونا حتّى بلغونا سعفات هجر[2] لعلمنا أنّا على الحق وأنّهم على الباطل، ثمّ قال: من يبتغي رضوان الله لا يرجع إلى مال ولا ولد، فأتاه عصابة فقال: أقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون بدم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنّهم ذاقوا الدنيا واستحقبوها، وعلموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرّغون فيه منها، ولم تكن لهم سابقة يستحقّون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: إمامنا قُتِل مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، فبلغوا ما ترون، ولولا هذه الشبهة لما تبعهم رجلان من الناس، اللهمّ إن تنصرنا فطال ما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم، ثمّ مضى ومعه العصابة، فكان لا يمرّ بواد من أودية صفين إلّا تبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي الوقاص وهو المرقال وكان صاحب راية علي عليه السلام فقال: يا هاشم، أعوراً وجبناً؟ لا خير في أعور لا يغشى البأس، اركب يا هاشم، فركب ومضى معه وهو يقول:

أعور يبغي أهله محلّا قد عالج الحياة حتّى ملّا

---

(١) ظبة السيف: حدّه.

(٢) سعفات جمع السعفة ـ بالتحريك ـ: جريدة النخل. وهجر: اسم لجميع ارض بحرين. وقيل: إنّما خص هجر في هذا الحديث لبعد المسافة ولكثرة النخيل بها.

وعمّار يقول: تقدّم يا هاشم، الجنّة تحت ظلال السيوف، والموت تحت أطراف الأسل[1]، وقد فتحت أبواب السماء، وزيّنت الحور العين، اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه، وتقدّم حتّى دنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو، بعت دينك بمصر، تبّاً لك تبّاً لك، فقال: لا، ولكن أطلب بدم عثمان، قال له: أشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله تعالى، وإنّك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نيّاتهم، ما نيّتك لغد فإنّك صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وهذه الرابعة، وما هي بأبر ولا أتقى، ثمّ قاتل عمّار ولم يرجع وقُتل.

قال حبّة بن جوين العرني: قلت لحذيفة بن اليمان: حدّثنا فإنّا نخاف الفتن، فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سميّة، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: تقتلته الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، فإنّ آخر رزقه ضياح من لبن. قال حبّة: فشهدته يوم قُتل يقول: إئتوني بآخر رزق لي من الدنيا، فأُتي بضياح من لبن[2] في قدح أروح بحلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة بقياس شعره، فقال: اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه. وقال: والله لو ضربونا حتّى بلغونا سعفات هجر لعلمت أنّنا على الحق وأنّهم على الباطل، ثمّ قُتل عليه السلام. قيل: قتله أبوالعادية، واحتزّ رأسه ابن جوى السكسكي، وكان ذوالكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن.

ونقلت من مناقب الخوارزمي قال: شهد خزيمة بن ثابت الأنصاري الجمل وهو لا يسل سيفاً وصفّين، وقال: لا أُصلّي أبداً خلف إمام حتّى يقتل عمّار فأنظر من يقتله، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية. قال: فلمّا قُتل عمّار قال خزيمة: قد جاءت لي الصلاة، ثمّ اقترب فقاتل حتّى قُتل، وكان الذي قتل عمّاراً أبوالعادية المزني طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين سنة، فلمّا وقع أكبّ عليه رجل فاحتزّ رأسه، فأقبلا يختصمان كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلّا في النّار، فسمعها معاوية فقال لعمرو: وما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنّكما تختصمان في النّار،

---

(١) الأسل: الرماح.

(٢) الضيح والضياح -بالفتح-: اللبن الرقيق الممزوج.

فقال عمرو: هو والله ذاك وإنّك لتعلمه، ولوددت أنّي متُّ قبل هذا بعشرين سنة.

وبالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا نعمر المسجد، وكنّا نحمل لبنة لبنة، وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وآله فجعل ينفض التراب عنه[1] ويقول: ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟ قال: إنّي أُريد الأجر من الله تعالى، قال: فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويحك تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلى النّار، قال عمّار: أعوذ بالرحمن أظنّه قال: من الفتن. قال أحمد بن الحسين البيهقي: وهذا صحيح على شرط البخاري.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص لأبيه عمرو حين قُتل عمّار: قتلتم عمّاراً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال؟ فقال عمرو لمعاوية: أتسمع ما يقول عبدالله؟ فقال: إنّما قتله من جاء به، فسمعه أهل الشام فقالوا: إنّما قتله من جاء به، فبلغت عليّاً صلى الله عليه وآله فقال: أيكون النبي صلى الله عليه وآله قاتل حمزة عليه السلام لأنّه جاء به.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل عن عبدالله بن الحرث قال: إنّي لأسير مع معاوية في منصرفه من صفّين، بينه وبين عمرو بن العاص، قال: فقال عبدالله بن عمرو: يا أبة أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: ويحك يا ابن سميّة تقتلك الفئة الباغية؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا يزال يأتينا نهبة أنحن قتلناه؟ إنّما قتله الذين جاؤا به.

ومن مسند أحمد أيضاً عن محمّد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: ما زال جدّي كافاً سلاحه يوم الجمل حتّى قُتل عمّار بصفّين، فسلّ سيفه فقاتل حتّى قُتل، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتل عمّار الفئة الباغية.

ومن المسند عن علي عليه السلام: إنّ عمّاراً استأذن على النبي صلى الله عليه وآله فقال: الطيّب المطيّب ائذن له.

ومن المناقب عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيّوب الأنصاري فقلنا: يا أبا أيّوب، إنّ الله أكرمك بنبيّه إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ضيفاً لك، فضيلة فضّلك الله بها، أخبرنا عن مخرجك مع علي، قال: فإنّي أقسم لكما أنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا البيت الذي أنتما فيه، وليس في البيت غير

---

(١) وفي بعض النسخ «عن رأس عمار».

رسول الله وعلي جالس عن يمينه، وأنا عن يساره، وأنس قائم بين يديه، إذ تحرّك الباب، فقال عليه السلام: أُنظر من في الباب، فخرج أنس وقال: هذا عمّار بن ياسر، فقال: افتح لعمّار الطيّب المطيّب، ففتح أنس ودخل عمّار فسلّم على رسول الله فرحّب به، وقال: إنّه سيكون من بعدي في أُمّتي هنات حتّى يختلف السيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب، وإن سلك الناس كلّهم وادياً فسلك علي وادياً فاسلك وادي عليّ، وخلّ عن الناس، إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يدلّك على ردى، يا عمّار طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله.

وروي أنّ أويس القرني رحمه الله تعالى قُتل مع علي عليه السلام في صفّين، وكان في فضله وشرفه مشهوراً.

وروى أنّ قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال: إنّي لأجد نفس الرحمان من قبل اليمن عنه، وقيل عن الأنصار.

وروي أنّه لمّا رأى جيش علي عليه السلام قاصداً حرب معاوية، فسأل فعرف، فقال: حضر الجهاد ولا يمكن التخلّف عنه، فسار معهم وقاتل حتّى قُتل.

وروي أنّ عبدالله بن عمرو بن العاص كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجتهداً في العبادة، وتزوّج امرأة واشتغل عنها بالصيام والقيام، فسألها أبوه عن حاله معها، فقالت: نعم الرجل عبدالله ولكنّه قد ترك الدنيا، فذكر عمرو ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله، فدعا به وقال: يا عبدالله أتصوم النهار؟ قال: نعم، قال: أتقوم الليل؟ قال: نعم، فقال صلى الله عليه وآله: لكنّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأمس النساء، يا عبدالله إنّ لربّك عليك حقّاً، ولعينك عليك حقّاً، ولعرسك عليك حقّاً، ولزورك عليك حقّاً، فأت كلّ ذي حقّ حقّه.

فلمّا كان حرب صفّين حضرها مع أبيه فأمره بالقتال فامتنع، وقال: كيف أُقاتل وقد كان من عهد رسول الله ما قد علمت؟ فقال: نشدتك الله أما كان آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليك أن قال لك: أطع عمرو بن العاص؟ فقال: بلى، قال: فإنّي قد أمرتك أن تقاتل، فقاتل عبدالله.

وروي أنّه قاتل بسيفين، وقال يصف حالهم في تلك الحرب مع أهل العراق هذا:

ولو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفّين يوماً شاب منه الذوائب

عشيّة جاء أهل العراق كأنّهم ... سحاب ربيع رفعته الجنائب
وجئناهم نردى[1] كأنّ خيولنا ... من البحر موج مدّة متراكب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم ... سراة النّهار[2] ما تولّى المناكب
إذا قلت قد ولّوا سراعاً بدت لنا ... كتائب منهم وارجحنت[3] كتائب
فقالوا لنا إنّا نرى أن تبايعوا ... علياً فقلنا بل نرى أن نضارب

قلت: وإنّما أوردت حديث عبدالله بن عمرو لأوضح لك غلط هؤلاء الأغنام في التأويل، ودخولهم في الكفر والفسق بالدليل، هذا عبدالله كان زاهداً وأمره النبي بطاعة أبيه كما ورد، وهو روى أنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية، وما أحسّ أنّ طاعة أبيه إنّما يجب اتّباعها إذا كانت في خير وطاعة، أتراه لم يسمع: لا طاعة لمخلوق في عصيان الخالق، وهو كما روي أنّ أوّل كلام قاله أبوبكر حين ولّي الخلافة، أولم يسمع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾[4] الآية إلى آخرها؟

وقد روى أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت أباالقاسم صلى الله عليه وآله يقول: سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرونكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله تعالى، فلا تعتلوا بربّكم عزّوجلّ، وكذا حال كلّ من عاند علياً عليه السلام، فإنّ منهم من عرف فضله وسابقته وشرفه، لكنّهم غلبوا حبّ الدنيا على الآخرة، وباعوا نصيبهم منها بعاجل حصل لهم، فكانوا من الأخسرين أعمالا، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا كمعاوية وعمرو بن العاص وأمثالهما، ومنهم من أخطأ في التأويل كعبدالله بن عمر والخوارج، ومنهم من قعد عنه شاكّاً في حروبه ومغازيه وهم جماعة، وندموا عند موتهم حين لا ينفع الندم كعبدالله ابن عمر وغيره، فإنّه ندم على تخلّفه عن علي عليه السلام حين لا ينفع الندم كما ورد ونقلته الرواة، ومنهم من ظهرت له أمارات الحقّ وأدركه الله برحمته فاستدرك الفارط كما جرى لخزيمة بن ثابت، فإنّه ما زال شاكّاً معتزلاً الحرب في الجمل، وفي بعض أيّام صفّين، فلمّا قُتل عمّار رضي الله عنه أصلت سيفه وقاتل حتّى قُتل، ولا أكاد أعذر أحداً ممّن

---

(١) يقال تردى الفرس بالفتح يردى رديا ورديانا إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشي الشديد.
(٢) سراة النهار: وسطه.
(٣) ارجحن: مال واهتزّ.
(٤) لقمان: ١٥.

تخلّف عنه صلوات الله عليه، ولا أنسب ذلك منهم إلّا إلى بله وقلّة تمييز وعدم تعقّل وغباوة عظيمة، فإنّ دخول عليّ في أمر ما دليل على حقيّة ذلك الأمر وصحّته وثباته ووجوب العمل به لفضله وعلمه في نفسه، ولقول النبي صلى الله عليه وآله في حقّه: أقضاكم عليّ، أدر الحقّ مع عليّ، لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق، في أمثال لذلك كثيرة ولكنّ التوفيق عزيز والله يهدي لنوره من يشاء.

وأنشدني بعض الأصحاب هذه الأبيات وقال: إنّها وجدت مكتوبة على باب مشهد بصفّين:

رضيت بأن ألقى القيامة خائضاً ... دماء نفوس حاربتك جسومها
أبا حسن إن كان حبّك مدخلي ... جحيماً فإنّ الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النّار من بات موقناً ... بأنّك مولاه وأنت قسيمها

وانتشر أمر الخوارج وقاموا على سوقهم في مخالفة ملّة الإسلام، واعتلوا بكلمة حقّ يراد بها باطل، كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام، واتّبعوا أهواء نفوسهم، فمرقوا من الدين مروق السهام، فتجرّد أميرالمؤمنين لاستيصالهم بسيوف الإنتقام، وصدّقهم الحملة بعزيمته التي لا تنى دون إدراك القصد ونيل المرام.

وتلخيص حالهم كما أورده ابن طلحة رحمه الله ـ وكانت هذه الوقايع مسطورة مبسوطة في كتب المؤرخين والأخباريين ـ أنّ علياً عليه السلام لمّا عاد من صفّين إلى الكوفة بعد إقامة الحكمين، أقام ينتظر انقضاء المدّة التي بينه وبين معاوية ليرجع إلى المقاتلة والمحاربة إذ انخزلت طائفة من خاصّة أصحابه في أربعة آلاف فارس وهم العبّاد والنسّاك، فخرجوا من الكوفة وخالفوا علياً عليه السلام وقالوا: لا حكم إلّا لله، ولا طاعة لمن عصى الله، وانحاز إليهم نيّف عن ثمانية آلاف ممّن يرى رأيهم فصاروا اثنا عشر ألفاً وساروا إلى أن نزلوا بحروراء، وأمّروا عليهم عبدالله بن الكوّا، فدعا علي عليه السلام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فأرسله إليهم فحادثهم وأطال فلم يرتدعوا، وقالوا: ليخرج إلينا عليّ بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه، فرجع ابن عباس فأخبره، فركب في جماعة ومضى إليهم، فركب ابن الكوّا في جماعة منهم فواقفه، فقال له علي عليه السلام: يا ابن الكوّا إنّ الكلام كثير فأبرز إليّ من أصحابك لأكلّمك، فقال: وأنا آمن من سيفك؟ فقال: نعم، فخرج إليه في عشرة من أصحابه.

فقال له عليه السلام عن الحرب مع معاوية وذكر له رفع المصاحف على الرماح وأمر

الحكمين، وقال: ألم أقل لكم إنّ أهل الشام يخدعونكم بها فإنّ الحرب قد عضّتهم فذروني أناجزهم فأبيتم؟ ألم أرد أنصب أبن عمّي حكماً؟! وقلت: إنّه لا ينخدع فأبيتم إلّا أبا موسى الأشعري، وقلتم: رضينا به حكماً، فأجبتكم كارهاً، ولو وجدت في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم، وشرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته والسنّة الجامعة، وأنّهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما عليّ كان ذلك أو لم يكن؟

قال ابن الكوّا: صدقت قد كان هذا كلّه فلم لا ترجع الآن إلى محاربة القوم؟ فقال: حتّى تنقضي المدّة التي بيننا وبينهم، قال ابن الكوّا: وأنت مجمع على ذلك؟ قال: نعم ولا يسعني غيره، فعاد ابن الكوّا والعشرة الذين معه إلى أصحاب علي عليه السلام راجعين عن دين الخوارج وتفرّق الباقون وهم يقولون: لا حكم إلّا لله.

وأمّروا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، وعسكروا بالنهروان، وخرج عليّ فسار حتّى بقي على فرسخين منهم، وكاتبهم وراسلهم فلم يرتدعوا، فأركب إليهم ابن عبّاس وقال: سلهم ما الذي نقموا وأنا أردفك فلا تخف منهم، فلمّا جاءهم ابن عبّاس قال: ما الذي نقمتم من أميرالمؤمنين؟ قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفّرناه بها، وعلي عليه السلام وراءه يسمع ذلك، فقال ابن عباس: يا أميرالمؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحقّ بالجواب.

فتقدّم وقال: أيها الناس، أنا علي بن أبي طالب، فتكلّموا بما نقمتم عَلَيّ، قالوا: نقمنا عليك أوّلاً أنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة فلمّا أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذريّة فكيف حلّ لنا ما في العسكر ولم تحل لنا النساء؟ فقال لهم علي عليه السلام: يا هؤلاء، إنّ أهل البصرة قاتلونا وبدؤنا بالقتال فلمّا ظفرتم أقتسمتم سلب من قاتلكم ومنعتكم من النساء والذريّة فإنّ النساء لم يقاتلن، والذريّة ولدوا على الفطرة ولم ينكثوا ولا ذنب لهم، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منّ على المشركين فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين فلم أسب نساءهم ولا ذريّتهم.

وقالوا: نقمنا عليك يوم صفّين كونك محوت اسمك من إمرة المؤمنين، فإذا لم تكن أميرنا فلا نطيعك ولست أميراً لنا، فقال: يا هؤلاء إنّما اقتديت برسول الله حين صالح سهيل بن عمرو وقد تقدّمت قصّته.

قالوا: فإنّا نقمنا عليك أنّك قلت للحكمين أنظرا كتاب الله فإن كنت أفضل من

معاوية فأثبتاني في الخلافة، فإذا كنت شاكّاً في نفسك فنحن فيك أشدّ وأعظم شكّاً، فقال عليه السلام: إنّما أردت بذلك النصفة، فإنّي لو قلت أحكما لي وذرا معاوية لم يرض ولم يقبل، ولو قال النبيّ صلى الله عليه وآله لنصارى نجران لمّا قدموا عليه: تعالوا حتّى نبتهل وأجعل لعنة الله عليكم لم يرضوا، ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله تعالى فقال: ﴿ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكاذبين ﴾[1] فأنصفهم من نفسه فكذلك فعلت أنا ولم أعلم بما أراد عمرو ابن العاص من خدعه أبا موسى.

قالوا: فإنّا نقمنا عليك أنّك حكّمت حكماً في حقّ هو لك. فقال: إنّ رسول الله حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل، وأنا اقتديت به، فهل بقي عندكم شيء؟

فسكتوا وصاح جماعة منهم من كلّ ناحية: التوبة التوبة يا أميرالمؤمنين، واستأمن إليه ثمانية آلاف، وبقي على حربه أربعة آلاف، فأمر عليه السلام المستأمنين بالإعتزال عنه في ذلك الوقت، وتقدّم بأصحابه حتّى دنا منهم، وتقدّم عبدالله بن وهب وذوالثدية حرقوص وقالا: ما نريد بقتالنا إيّاك إلّا وجه الله والدار الآخرة، فقال علي عليه السلام: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعمالاً الّذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُون صُنْعا ﴾[2].

ثمّ التحم القتال بين الفريقين، واستعرت الحرب بلظاها، وأسفرت عن زرقة صبحها وحمرة ضحاها، فتجادلوا وتجالدوا بالسنة رماحها، وحداد ظباها، فحمل فارس من الخوارج يقال له الأخنس الطائي وكان شهد صفّين مع علي عليه السلام، فحمل وشقّ الصفوف يطلب عليّاً، فبدره عليّ بضربة فقتله، فحمل ذوالثدية ليضرب عليّاً فسبقه علي عليه السلام وضربه ففلق البيضة ورأسه فحمله فرسه وهو لما به فألقاه في آخر المعركة في جرف دالية[3] على شط النهروان.

وخرج من بعده ابن عمّه مالك بن الوضّاح وحمل على عليّ فضربه علي فقتله، وتقدّم عبدالله بن وهب الراسبي فصاح: يا ابن أبي طالب، والله لا نبرح من هذه المعركة

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الكهف: ١٠٣.

(٣) الجرف ـ بضمتين ـ: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر كلّ ساعة يسقط بعض منه.

أو تأتي على أنفسنا أو نأتي على نفسك، فابرز إليّ وأبرز إليك، وذر الناس جانباً، فلمّا سمع علي عليه السلام كلامه تبسّم وقال: قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه، أمّا إنّه ليعلم أنّي حليف السيف وخدين الرمح[1] ولكنّه قد يئس من الحياة وإنّه ليطمع طمعاً كاذباً، ثمّ حمل على علي عليه السلام فضربه علي وقتله وألحقه بأصحابه القتلى، واختلطوا فلم يكن إلّا ساعة حتّى قُتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف.

فما أفلت منهم إلّا تسعة أنفس: رجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان وبهما نسلهما، ورجلان إلى بلاد عمّان وبهما نسلهما، ورجلان صارا إلى اليمن وبهما نسلهما وهم الأباضية، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبوازيج وإلى شاطىء الفرات، وصار آخر إلى تل موزن.

وغنم أصحاب علي عليه السلام غنائم كثيرة، وقُتل من أصحاب علي عليه السلام تسعة بعدد من سلم من الخوارج، وهي من جملة كرامات علي عليه السلام فإنّه قال: نقتلهم ولا يُقتل منّا عشرة، ولا يُسلم منهم عشرة، فلمّا قُتلوا قال علي عليه السلام: التمسوا المخدج[2]، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي عليه السلام بنفسه حتّى أتى ناساً قد قُتل بعضهم على بعض، فقال: أخّروهم، فوجدوه ممّا يلي الأرض، فكبّر علي عليه السلام وقال: صدق الله وبلّغ رسوله. قال أبوالرضي: فكأنّي أنظر إليه حبشي عليه قريطق[3] إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة، عليها شعرات مثل شعرات ذنب اليربوع. وهذا أبوالرضي هو عباد بن نسيب القيسي تابعي يروي عنه هذا القول أبو داود في سننه كما قال.

فهذا تلخيص مواقفه عليه السلام في منازلة الطوائف المتّبعة تضليل أهوائها، ومقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين في مقاتلها بأعبائها، وذكر كيفيّة قذفه بحقّه لإزهاق باطلها وكفّ غوائلها، وإرهاق عصيّها صعود بوارٍ قاضٍ عليه بشقائها، وقد تضمّن هذا الفصل من وقائعه المذكورة ومواقفه المأثورة ما فيه غنية كافية وكفاية مغنية، في أنّه قد ملك عصم الشجاعة، وأنّه من أكفاء أكفائها، ومن تأمّل إقدامه عليه السلام في مأزق وقايعه ومضايق مواقفه، ومعارك كره على الأبطال وهجومه على الأقران، وافتراس نفوس

---

(١) الخدين: الصاحب، الرفيق، الصديق.

(٢) المخدج: الناقص الخلقة وهو لقب حرقوص بن زهير وكان ناقص اليد وقد مر ايضاً في مواضع شتّى من الكتاب.

(٣) قريطق ـ تصغير قرطق ـ: قباء ذو طاق واحد.

أخصامه ببأسه قاطّاً بحسامه رقاب الهمام، مفلقاً بشباه مفارق الرؤوس، قاداً بحدّه أوساط المارقين، وشاهد غلظته على أعداء الله تعالى واستيصال شأفتهم، وتفصيل أوصالهم، وتفريق جموعهم، وتمزيقهم كلّ ممزّق غير ثانٍ عنان عزمه، وأعمال بطشه عن الإقدام على الصفوف المرصوصة والكتائب المرصوفة والكراديس المصفوفة، مبدّداً شمل اجتماعها، مشمراً عن ساق شجاعته لها، موغلا في غمرات القتال، مولعاً صارمه في دماء الطلى والأحشاء، تحقّق واستيقن أنّ هجيرَاهُ عليه السلام مكابدة الحروب وإدارة رحاها، وأنّ إليه في جميع الأحوال مردّها ومنتهاها، وأنّه منها قدوة شيخها وكهلها وفتاها، وعلم علماً لا يعترضه شك أنّ الله عزّ وعلا قد أتاه عليه السلام خصائص تكاد توصف بالتضادد، وحلاه بلطائف تجمع أشتات التعاند، إذ أين هذه الشدّه والبطش والغلظة والبأس، والقد والقط وشقّ الهام وخفّة الإقدام، وتجديل الحجاج وإذلال الكماة، وإلصاق معاطسها الأبيّة بالرغام من خشوعه وخضوعه، راغباً راهباً، وتدرّعه من الزهادة والعبادة بسربال سابغ، ورداء سابل، واتّصافه عليه السلام برقّة قلب، وهموع طرف، وانسكاب دمع، وتأوّه حزين، وإخبات منيب، وشعف عيشةٍ، وجشب غذاء، وتقلّل قوت، وخشونة لباس، وتطليق الدنيا وزهرتها، ومواصلة الأوراد، واستغراق الأوقات بها، والإشفاق على الضعيف، والرحمة للمسكين، والتحلّي بخلال خير لا يتأتّى إلّا لمنقطع في كنّ جبل لا يصحب أنساً ولا يسمع من البشر حسّاً، مع المبالغة في معاتبة نفسه على التقصير في الطاعة، وهو مطيل في العبادة، هذا إلى فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه، وكلامه المتين في الزهد، والحثّ على الإعراض عن الدنيا، ومبالغته في مواعظه الزاجرة، وزواجره الواعظة، وتذكيره القلوب الغافلة، وإيقاظه الهمم الراقدة، مطلقاً في إيراد أنواع ذلك لساناً لا يفل عضبه، ولا يكل حدّه، ولا يسأم سامعه جنا حكمه، ولا ألفاظ بدايعه، ولا يمل عند إطالته لاستحلائه واستعذابه، بل يفتح السمع إليه مقفل أبوابه، ويرفع له مسبل حجابه.

صفات أميرالمؤمنين من اقتفى ... مدارجها أقنته ثوب ثوابه[1]
صفات جلال ما اغتدى بلبانها ... سواه ولا حلّت بغير جنابه

---

(١) أقناه: أغناه وأرضاه وأعطاه ما يقتنى.

تـــذوّقها طـفلا وكـهلا فأيـنعت معاني المعالي فهي ملء إهابه[١]
مناقب من قـامت بـه شـهدت له بـإزلافه مـن ربّـه واقـترابـه[٢]
مـــناقب لطـــف الله أنـــزلها له وشـــرّف ذكـراه بـها فـي كـتابه

(هذا آخر كلام كمال الدين بن طلحة).

قال الشيخ المفيد رحمه الله: ومن آيات الله الخارقة للعادة في أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال مثل ما عرف لأميرالمؤمنين من كثرة ذلك على مرّ الزمان، ثمّ لم يوجد في ممارسي الحروب إلّا من عرته بشرّ ونيل منه بجراح أو شين إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه لم ينله مع طول مدّة زمان حربه جراح من عدوّه، ولا وصل إليه أحد منهم بسوء، حتّى كان من أمره مع ابن ملجم لعنه الله على اغتياله إيّاه ما كان، وهذه أعجوبة أفرده الله تعالى فيها بالآية، وخصّه بالعلم الباهر في معناها، ودلّ بذلك على مكانه منه وتخصّصه بكرامته التي بان بفضلها من كافّة الأنام.

ومن آيات الله فيه عليه السلام: أنّه لا يذكر ممارس للحروب لقى فيها عدوّاً إلّا وهو ظافر به حيناً وغير ظافر به حيناً، ولا نال أحد منهم خصمه بجراح إلّا وقضى منها وقتاً وعوفي منها وقتاً، ولم يعهد من لم يفلت منه قرن في الحرب ولا نجا من ضربته أحد فصلح منها إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّه لا مرية في ظفره بكلّ قرن بارزه، وإهلاكه كلّ بطل نازله، وهذا أيضاً ممّا انفرد به عليه السلام من كافّة الأنام، وخرق الله به العادة في كلّ حين وزمان، وهو من دلائله الواضحة.

ومن آيات الله تعالى أيضاً فيه مع طول ملاقاته الحروب وملابسته إيّاها، وكثرة من منى به فيها من شجعان الأعداء وصناديدهم، وتجمّعهم عليه واحتيالهم في الفتك[٣] به، وبذل الجهد في ذلك، ما ولّى قط عن أحد منهم ظهره، ولا انهزم عن أحد منهم ولا تزحزح عن مكانه، ولا هاب أحداً من أقرانه، ولم يلق أحد سواه خصماً له في حرب إلّا ثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً، وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه زماناً، وإذا كان

---

(١) أينع بمعنى أدرك. والإهاب: الجلد.

(٢) الإزلاف: التقرب.

(٣) الفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل حتّى يشدّ عليه فيقتله.

الأمر على ما وصفناه ثبت ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة والمعجزة الظاهرة وخرق العادة فيه، بما دلّ الله وكشف به عن فرض طاعته، وأبانه بذلك من كافّة خليقته.

وقلت أمدحه عليه السلام من قصيدة طويلة، وأنشدتها بحضرته في مشهده المقدّس صلوات الله على الحالّ به.

وإلى أميرالمؤمنين بعثتها ... مثل السفاين عمن في تيّار[1]
تحكى السهام إذا قطعن مفازة ... وكأنّها في دقّة الأوتار
تنجو بمقصدها أغرّ شأى الورى ... بزكاء أعراق وطيب نجار[2]
حمّال أثقال ومسعف طالب ... وملاذ ملحوف وموئل جار[3]
شرف أقرّ به الحسود وسؤدد ... شاد العلاء ليعرب ونزار[4]
وسماحة كالماء طاب لوارد ... ظام إليه وسطوة كالنار
ومآثر شهد العدو بفضلها ... والحق أبلج والسيوف عواري[5]
سل عنه بدراً إذ جلا هبواتها ... بشباة خطيّ وحدّ غرار[6]
حيث الأسنّة كالنجوم منيرة ... تخفى وتبدو في سماء غبار
واسأل بخيبر إن عرتك جهالة ... بصحايح الأخبار والآثار
واسأل جموع هوازن عن حيدر ... وحذار من أسد العرين حذار[7]
واسأل بخمّ عن علاه فإنّها ... تقضي بمجد واعتلاء منار
بولائه يرجو النجاة مقصّر ... وتحطّ عنه عظايم الأوزار

منها:

يا راكباً يفلي الفلاة بجسرة ... زيّافة كالكوكب السيّار[8]

---

(١) التيار: موج البحر الهائج. وفي كتاب الغدير «غمن بالتيار» بالغين وهو من غم الشيء: غطاه.
(٢) شأى القوم: سبقهم. والنجار: الأصل والنسب.
(٣) الموئل: الملجأ.
(٤) شاد بمعنى رفع.
(٥) الأبلج: الواضح من كلّ شيء.
(٦) الهبوات جمع الهبوة: الغبار. والشباة من السيف: قدر ما يقطع به. حدّ كلّ شيء. والغرار: حدّ لسيف.
(٧) العرين: مأوى الأسد.
(٨) الجسرة ـ مؤنث الجسر ـ: العظيم من الإبل. الزيافة مؤنث الزياف: المتبختر.

حرّف براها السير حتّى أصبحت ... كيراعة أنحى عليها الباري[١]
عرّج على أرض الغري وقف به ... والثم ثراه وزره خير مزار
واخلع بمشهده الشريف معظّماً ... تعظيم بيت الله ذي الأستار
وقل السلام عليك يا خير الورى ... وأباالهداة السادة الأبرار
يا آل طه الأكرمين إليّة ... بكم وما دهري يمين فجار
إنّي منحتكم المودّة راجياً ... نيل المنى في الخمسة الأشبار
فعليكم منّي السلام فأنتم ... أقصى رجاي ومنتهى إيثاري

وقلت أمدحه ﷺ وأنشدتها في حضرته من قصيدة:

سل عن عليّ مقامات عرفن به ... شدّت عرى الدين في حلّ ومرتحل
بدراً وأحداً وسل عنه هوازن في ... أوطاس واسأل به في وقعة الجمل[٢]
واسأل به إذ أتى الأحزاب يقدمهم ... عمرو وصفين سل إن كنت لم تسل
مآثر صافحت شهب النجوم علا ... مشيّدة قد سمت قدراً على زحل
وسنّة شرعت سبل الهدى وندى ... أقام للطالب الجدوى على السبل
كم من يد لك فينا يا أباحسن ... يفوق نائلها صوب الحيا الهطل[٣]
وكم كشفت عن الإسلام فادحة ... أبدت لتفرس عن أنيابها العضل[٤]
وكم نصرت رسول الله منصلتاً ... كالسيف عُرْيَ متناه من الخلل
وربّ يوم كظلّ الرمح ما سكنت ... نفس الشجاع به من شدّة الوهل[٥]
ومأزق الحرب ضنك لا مجال به[٦] ... ومنهل الموت لا يغني على النهل
والنقع قد ملأ الأرجاء عِثْيَرُهُ[٧] ... فصار كالجبل الموفى على الجبل

---

(١) الحرف (صفة الجسرة في البيت السابق): الناقة الضامرة الصلبة، شبهت بحرف الجبل في شدتها وصلابتها. يرى السهم: نحتها. والحيوان: هزلها وأذهب لحمها. والباري: ناحت السهم. وأنحى على فلان: أقبل. ويراعة بمعنى القصب.

(٢) اوطاس: واد بديار هوازن وهي من النوادر التي جاءت بلفظ الجمع للواحد.

(٣) الهطل: المطر المتتابع العظيم القطر.

(٤) الفادحة: النازلة. وفرس الشيء: قطعه. وأفرس الشيء: أخذه وترك منه بقية. والعضل: جمع العضلة.

(٥) الوهل: الفزع.

(٦) المأزق ـ كمجلس ـ: موضع الحرب.

(٧) النقع: الغبار. وعثير ـ بكسر العين وسكون الياء وفتحها ـ: التراب والعجاج.

جلوته بشبا البيض القواضب و ... الجرد السلاهب والعسالة الذبل[١]
بذلت نفسك في نصر النبي ولم ... تبخل وما كنت في حال أخا بخل
وقمت منفرداً كالرمح منتصباً ... لنصره غير هيّاب ولا وكل[٢]
تردى الجيوش بعزمٍ لو صدمت به ... صمّ الصفا لهوى من شامخ القلل
يا أشرف الناس من عرب ومن عجم ... وأفضل الناس في قول وفي عمل
يا من به عرف الناس الهدى وبه ... ترجى السلامة عند الحادث الجلل
يا من أعاد رسوم العدل جالية ... وطالما سترتها وحشة العطل
يا فارس الخيل والأبطال خاضعة ... يا من له كلّ خلق الله كالخول[٣]
يا سيّد الناس يا من لا مثيل له ... يا من مناقبه تسرى سرى المثل
خذ من مديحي ما أسطيعه كرماً ... فإن عجزت فإنّ العجز من قبلي
وسوف أهدي لكم مدحاً أحبره ... إن كنت ذا قدرة أو مدّ في أجلي

فصل

في ذكر كراماته وما جرى على لسانه من إخباره بالمغيّبات

قال ابن طلحة عليه السلام: اعلم أكرمك الله بالهداية إليه، أنّ الكرامة عبارة عن حالة تصدر لذي التكليف خارقة للعادة، لا يؤمر بإظهارها، وبهذا القيد يظهر الفرق بينها وبين المعجز، فإنّ المعجز مأمور بإظهارها لكونها دليل صدق النبي في دعواه النبوّة، فالمعجزة مختصّة بالنبي لازمة له، إذ لابدّ له منها، فلا نبي إلّا وله معجزة، والكرامة مختصّة بالولي إكراماً له، لكن ليست لازمة له، إذ توجد الولاية من غير كرامة، فكم من ولي لم يصدف عنه شيء من الخوارق.

إذا عرفت هذه المقدّمة، فقد كان علي عليه السلام من أولياء الله تعالى، وكان له عليه السلام كرامات صدرت خارقة للعادة أكرمه الله بها.

---

(١) البيض: السيف. القواضب جمع قاضب يقال: سيف قاضب: شديد القطع. رجل قضابة: قطاع للأمور مقتدر عليها. والجرد: الترس. والسلاهب جمع السلهب: الطويل. والعسالة من الرمح: ما يهتز ليناً. والذبل جمع الذابل: الدقيق المهزول، توصف بها الرماح.

(٢) الهياب: الخائب. والوكل: الجبان العاجز.

(٣) الخول: العبيد والإماء.

فمنها إخباره عليه السلام بحال الخوارج المارقين، وأنّ الله تعالى أطلعه على أمرهم فأخبر به قبل وقوعه، وخرق به العادة، وكان كرامة له عليه السلام، وذلك أنّهم لمّا اجتمعوا وأجمعوا على قتاله، وركب إليهم، لقيه فارس يركض فقال له: يا أميرالمؤمنين، إنّهم سمعوا بمكانك فعبروا النهروان منهزمين، فقال له عليه السلام: أنت رأيتهم عبروا؟ فقال: نعم. فقال عليه السلام: والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله لا يعبرون ولا يبلغون قصر بنت كسرى حتّى يقتل مقاتلتهم على يدي، فلا يبقى منهم إلّا أقلّ من عشرة، ولا يقتل من أصحابي إلّا أقلّ من عشرة، وركب وقاتلهم كما تقدم، وجرى الأمر على ما أخبر في الجميع ولم يعبروا النهر، وهي مسطورة في كراماته، نقلها صاحب تاريخ فتوح الشام.

ومنها ما أورده ابن شهر آشوب في كتابه أنّ علياً عليه السلام لمّا قدم الكوفة وفد عليه الناس وكان فيهم فتى، فصار من شبعته يقاتل بين يديه في مواقفه، فخطب امرأة من قوم فزوّجوه، فصلّى أميرالمؤمنين عليه السلام يوماً الصبح وقال لبعض من عنده: إذهب إلى موضع كذا تجد مسجداً إلى جانبه بيت، فيه صوت رجل وامرأة يتشاجران، فأحضرهما إليّ، فمضى وعاد وهما معه، فقال لهما: فيم طال تشاجركما الليلة؟ فقال الفتى: يا أميرالمؤمنين، إنّ هذه المرأة خطبتها وتزوّجتها، فلمّا خلوت بها وجدت في نفسي منها نفرة منعتني إن ألمّ بها، ولو استطعت إخراجها ليلاً لأخرجتها قبل النهار، فنقمت عليّ ذلك وتشاجرنا إلى أن ورد أمرك، فصرنا إليك.

فقال عليه السلام لمن حضره: ربّ حديث لا يؤثر من يخاطب به إن يسمعه غيره، فقام من كان حاضراً ولم يبق عنده غيرهما، فقال لها علي عليه السلام: أتعرفين هذا الفتى؟ فقالت: لا، فقال عليه السلام: إذا أنا أخبرتك بحالة تعلمينها فلا تنكريها؟ قالت: لا يا أميرالمؤمنين، قال: ألست فلانة بنت فلان؟ قالت: بلى، قال عليه السلام: ألم يكن لك ابن عمّ وكلّ منكما راغب في صاحبه؟ قالت: بلى، قال: أليس إنّ أباك منعك عنه ومنعه عنك ولم يزوّجه بك وأخرجه من جواره لذلك؟ قالت: بلى، قال: أليس (قد) خرجت ليلة لقضاء الحاجة فاغتالك وأكرهك ووطأك فحملت وكتمت أمرك عن أبيك وأعلمت أُمّك، فلمّا آن الوضع أخرجتك أُمّك ليلاً فوضعت ولداً فلففته في خرقة وألقيته من خارج الجدران حيث قضاء الحوائج، فجاء كلب يشمّه، فخشيت أن يأكله فرميته بحجر فوقعت في رأسه فشجّته، فعدت إليه أنت وأُمّك فشدّت رأسه أُمّك بخرقة من جانب

مرطها[١] ثمّ تركتماه ومضيتما ولم تعلما حاله؟ فسكتت، فقال لها: تكلّمي بحقّ، فقالت: بلى والله يا أميرالمؤمنين إنّ هذا الأمر ما علمه منّي غير أُمّي، فقال: قد أطلعني الله عليه، فأصبح فأخذه بنو فلان فربي فيهم إلى أن كبر، وقدم معهم الكوفة وخطبك وهو ابنك.

ثمّ قال للفتى: إكشف رأسك، فكشفه فوجد أثر الشجّة، فقال عليه السلام: هذا ابنك قد عصمه الله تعالى ممّا حرّمه عليه، فخذي ولدك وانصرفي فلا نكاح بينكما وله في هذه الواقعة عليه السلام ما يقضى بولايته ويسجّل بكرامته.

ومنها ما رواه الحسن بن ذكردان الفارسي قال: كنت مع أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب وقد شكا إليه الناس وأنا زيادة الفرات، وإنّها قد أهلكت مزارعهم، ونحب أن تسأل الله أن ينقصه عنّا، فقام ودخل بيته والناس مجتمعون ينتظرونه، فخرج وعليه جبّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمامته وبرده، وفي يده قضيبه، فدعا بفرسه فركبها ومشى ومعه أولاده والناس وأنا معهم رجالة، حتّى وقف على الفرات، فنزل عن فرسه فصلّى ركعتين خفيفتين ثمّ قام وأخذ القضيب بيده ومشى على الجسر، وليس معه سوى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وأنا، فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقص ذراعاً، فقال: أيكفيكم؟ فقالوا: لا يا أميرالمؤمنين، فقام وأومى بالقضيب وأهوى به إلى الماء فنقصت الفرات ذراعاً آخر، هكذا إلى أن نقصت ثلاثة أذرع، فقالوا: حسبنا يا أميرالمؤمنين، فركب عليه السلام فرسه وعاد إلى منزله، وهذه كرامة عظيمة ونعمة من الله جسيمة.

قلت: فكان هو عليه السلام أولى وأحق بقول القائل:

لو قلت للسيل دع طريقك و ... الموج عليه كالهضب يعتلج[٢]

لارتد أوساخ أو لكان له ... في جانب الأرض عنك منعرج[٣]

ومنها: إخباره عليه السلام بقصّة قتله، وذلك أنّه لمّا فرغ من قتال الخوارج، عاد إلى الكوفة في شهر رمضان، فأمّ المسجد فصلّى ركعتين، ثمّ صعد المنبر فخطب خطبة

---

(١) المرط ـ بالكسر ـ: كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتزر به، وربما تلقيه المرأة على رأسها.

(٢) الهضب: الجبل خلق من صخرة واحدة. واعتلج الموج: التطم.

(٣) انعرج عن الطريق: مال.

حسناء، ثمّ التفت إلى ابنه الحسن عليه السلام فقال: يا أبا محمّد، كم مضى من شهرنا هذا؟ فقال: ثلاثة عشر يا أميرالمؤمنين؟ ثمّ سأل الحسين عليه السلام فقال: يا أبا عبدالله، كم بقي من شهرنا ـ يعني رمضان ـ هذا؟ فقال: سبع عشرة يا أميرالمؤمنين، فضرب يده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء، فقال: ليخضبنّها بدمها إذ انبعث أشقاها، ثمّ قال:

أريد حياته ويريد قتلي ... خليلي من عديري من مرادي[1]

وعبدالرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله يسمع، فوقع في قلبه من ذلك شيء، فجاء حتّى وقف بين يدي علي عليه السلام، وقال: أُعيذك بالله يا أميرالمؤمنين هذه يميني وشمالي بى يديك فاقطعهما، أو فاقتلني، فقال علي عليه السلام: وكيف أقتلك ولا ذنب لك؟ ولو أعلم أنّك قاتلي لم أقتلك، ولكن هل كانت لك حاضنة يهوديّة، فقالت لك يوماً من الأيّام: يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: قد كان ذلك يا أميرالمؤمنين، فسكت علي عليه السلام، فلمّا كانت ليلة ثلاث وعشرين من الشهر[2] قام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح وقال: إنّ قلبي يشهد بأنّي مقتول في هذا الشهر، ففتح الباب، فتعلّق الباب بمئزره[3]، فجعل ينشد:

أشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بناديك[4]

فخرج فقُتل صلوات الله عليه.

قال ابن طلحة رحمه الله: وهذه من جملة الكرامات المضافة إليه، ولم أصرف الهمة إلى تتبع ما ينسب إليه من كراماته وما أكرمه الله به من خوارق عاداته، لكثرة غيرها من مزاياه وتعدّد مناقب مقاماته.

إذا ما الكرامات اعتلى قدر ربّها ... وحلّ بها أعلى ذرى عرفاته

---

(١) ويروى: عذيرك من خليلك من مراد. والحباء: العطية وعذير فعيل بمعنى فاعل أي هات من يعذرك فيه. والشعر من الأمثال ويأتي الكلام فيه في موضعه انشاء الله.

(٢) وهذا يخالف ما هو المشهور بين الشيعة من أنّ هذه الواقعة كانت في ليلة التاسعة وسيأتي الخلاف في ذلك في تاريخ شهادته عليه السلام.

(٣) المئزر: الإزار.

(٤) الحيازيم جمع الحيزوم: وسط الصدر وما يضمّ عليه الحزام، وشدّ الحيازيم: كناية عن الصبر. والنادي: المجلس.

فإنّ عليّاً ذاالمناقب والنهى كراماته العليا أقلّ صفاته

(هذا آخر كلام ابن طلحة رحمه الله تعالى).

وروي عن جندب بن عبدالله الأزدي قال: شهدت مع عليّ الجمل وصفين، ولا أشك في قتالهم حتّى نزلنا النهروان، فدخلني شك وقلت: قرّاءنا وخيارنا نقتلهم، أنّ هذا لأمر عظيم!! فخرجت غدوة أمشي ومعي أداوة[1] حتّى برزت عن الصفوف فركزت رمحي ووضعت ترسي إليه واستترت من الشمس، فإنّي لجالس إذ ورد عَلَيّ أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أخا الأزد معك طهور؟ قلت: نعم، فناولته الأدواة، فمضى حتّى لم أره، وأقبل وقد تطهّر، فجلس في ظلّ الترس فإذا فارس يسأل عنه، فقلت: هذا يا أميرالمؤمنين فارس يريدك، قال: فأشر إليه، فأشرت إليه فجاء، فقال: يا أميرالمؤمنين، قد عبر القوم وقد قطعوا النهر، فقال: كلّا ما عبروا، قال: بلى والله لقد فعلوا، قال: كلّا ما فعلوا، قال: فإنّه لكذلك إذ جاء آخر، فقال: يا أميرالمؤمنين قد عبر القوم، قال: كلّا ما عبروا، قال: والله ما جئت حتّى رأيت الرايات في الجانب والأثقال، قال: والله ما فعلوا، وإنّه لمصرعهم ومهراق دمائهم، ثمّ نهض ونهضت معه، فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل وعرّفني أمره هذا أحد رجلين: إمّا كذّاب جريء أو على بيّنة من أمره، وعهد من نبيّه، اللهمّ إنّي أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله وأوّل من يطعن بالرمح في عينه، وإن كانوا لم يعبروا لم أأثم على المناجزة والقتال.

فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال بحالها، فأخذ بقفاي ودفعني وقال: يا أخا الأزد، أتبيّن لك الأمر؟ قلت: أجل يا أميرالمؤمنين، قال: فشأنك بعدوّك، فقتلت رجلاً ثمّ قتلت آخر ثمّ اختلفت أنا ورجل آخر يضربني وأضربه، فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي فما أفقت حتّى فرغ من القوم، وهذا خبر شايع مستفيض قد نقله الجمّ الغفير، وفيه إخبار بالغيب وإبانة عن علم الضمير، ومعرفة بما في النفوس، والآية فيه باهرة لا يعادلها إلّا ما ساواها في معناها من عظيم المعجز وجليل البرهان.

ومن ذلك حديث ميثم التمّار وإخباره إيّاه بحاله وصلبه وموضعه، والنخلة التي

---

(١) الأداوة ـ بالكسر ـ: إناء صغير من جلد.

يُصلب عليها والقصّة مشهورة.

ومن ذلك أنّ الحجّاج طلب كميل بن زياد، فهرب منه، فقطع عطاء قومه، فلمّا رأى ذلك قال: إنّي شيخ كبير قد نفد عمري، فلا ينبغي أن أحرم قومي أعطياتهم، فخرج إلى الحجاج فقال: قد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلا، فقال له كميل: لا تصرف على أنيابك فما بقي من عمري إلّا القليل فاقض ما أنت قاض، فإنّ الموعد لله وبعد القتل الحساب، ولقد أخبرني أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّك قاتلي، فضرب عنقه، وهذا نقله العامّة والخاصّة، وهو من البراهين الواضحة والمعجزات الباهرة.

ومن ذلك أنّ الحجاج قال ذات يوم: أُحب أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب، فأتقرّب إلى الله بدمه، فقيل له: ما نعلم أحداً أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه، فطلبه فأُتي به، فقال: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي، وأميرالمؤمنين علي ولي نعمتي، قال: إبرأ من دينه، قال: دلّني على دين أفضل منه، قال: إنّي قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك؟ قال: قد صيّرت ذلك إليك، قال: لِمَ؟ قال: لا تقتلني قتلة إلّا قتلتك مثلها، ولقد خبّرني أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ، فأمر به فذُبح، وهذا أيضاً من الأخبار التي صحّت عن أميرالمؤمنين ودخلت في باب المعجز القاهر والدليل الباهر، والعلم الذي خصّ الله به حججه من أنبيائه ورسله وأوصيائه عليهم السلام، وهو لاحق بما قدّمناه.

ومن ذلك أنّه قال للبراء بن عازب: يا براء يُقتل ولدي الحسين عليه السلام وأنت حي فلا تنصره، فلمّا قُتل الحسين، عليه السلام قال البراء: صدق عليّ عليه السلام، قُتل الحسين ولم أنصره وأظهر الحسرة على ذلك والندم.

ومن ذلك أنّه وقف في كربلاء في بعض أسفاره ناحية من عسكره، فنظر يميناً وشمالاً واستعبر باكياً ثمّ قال: هذا والله مناخ ركابهم وموضع منيتهم. فقلنا: يا أميرالمؤمنين، ما هذا الموضع؟ قال: هذا كربلاء، يُقتل فيه قوم يدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ سار ولم يعرف الناس تأويل قوله، حتّى كان من أمر الحسين، عليه السلام ما كان.

ومن ذلك ما رواه الناس أنّه لمّا توجّه عليه السلام إلى صفّين واحتاج أصحابه إلى الماء فالتمسوه يميناً وشمالاً فلم يجدوه، فعدل بهم أميرالمؤمنين عليه السلام عن الجادة قليلاً فلاح لهم دير في البرية، فسار وسأل من فيه عن الماء، فقال: بيننا وبين الماء فرسخان، وما هنا منه شيء، وإنّما يُجلب لي من بعد، واستعمله على التقتير ولولا ذلك لمتّ

عطشاناً. فقال أميرالمؤمنين: اسمعوا ما يقول الراهب، فقالوا: تأمرنا أن نسير إلى حيث أومأ إلينا لعلّنا ندرك الماء وبنا قوّة؟ فقال عليه السلام: لا حاجة بكم إلى ذلك، ولوى عنق بغلته نحو القبلة وأشار إلى مكان بقرب الدير أن اكشفوه، فكشفوه فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أميرالمؤمنين هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي، فقال: هذه الصخرة على الماء فاجتهدوا في قلعها فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء، فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا واستصعبت عليهم، فلمّا رأى ذلك لوى رجله عن سرجه وحسر عن ساعده، ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها وقلعها بيده ودحا بها أذرعاً كثيرة، فظهر لهم الماء، فبادروه وشربوا فكان أعذب ماء شربوه في سفرهم وأبرده وأصفاه، فقال: تزوّدوا وارتووا ففعلوا، ثمّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت، وأمر أن يعفى أثرها بالتراب، والراهب ينظر من فوق ديره، فنادى: يا قوم أنزلوني فأنزلوه، فوقف بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا هذا أنت نبيّ مرسل؟ قال: لا، قال: فملك مقرّب؟ قال: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصي رسول الله محمّد بن عبدالله خاتم النبيّين، قال: أبسط يدك على يدي أسلم على يديك، فبسط أميرالمؤمنين يده وقال له: أشهد الشهادتين، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله، وأحقّ الناس بالأمر من بعده، فأخذ عليه شرايط الإسلام وقال له: ما الذي دعاك إلى الإسلام بعد إقامتك على دينك طول المدّة؟ فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى على ذلك عالم قبلي لم يدركوا ذلك فرزقنيه الله عزّوجلّ، إنّا نجد في كتبنا ونأثر على علمائنا أنّ في هذا الموضع عيناً عليها صخرة (عظيمة) لا يعرفها إلّا نبي أو وصي نبي، وأنّه لابدّ من وليّ الله يدعو إلى الحقّ، آيته معرفة مكان هذه الصخره وقدرته على قلعها، ولمّا رأيتك قد فعلت ذلك تحقّق ماكنّا ننتظره، وبلغت الأمنية، وأنا اليوم مسلم على يدك ومؤمن بحقّك ومولاك.

فلمّا سمع أميرالمؤمنين ذلك بكى حتّى اخضلّت لحيته من الدموع، وقال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسيّاً، الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً، ثمّ دعا الناس فقال: اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم، فسمعوا وحمدوا الله وشكروه إذ ألهمهم

أميرالمؤمنين عليه السلام، وسار والراهب بين يديه وقاتل معه أهل الشام واستشهد، فتولّى أميرالمؤمنين الصلاة عليه ودفنه وأكثر من الإستغفار له، وكان إذا ذكره يقول: ذاك مولاي.

وفي هذا الخبر ضروب من المعجز: (أحدها) علم الغيب، والقوّة التي خرق بها العادة، وتميزه بخصوصيّتها من الأنام مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأُولى، وفي ذلك يقول إسماعيل بن محمّد الحميري المعروف بالسيّد في قصيدته البائيّة:

ولقد سرى فيما يسير بليلة ... بعد العشاء بكربلا في موكب
حتّى أتى متبتّلاً في قائم ... ألقى قواعده بقاع مجدب[1]
فدنا فصاح به فأشرف مائلاً[2] ... كالنسر فوق شظية[3] من مرقب[4]
هل قرب قائمك الذي بوّأته ... ماء يصاب؟ فقال: ما من مشرب
إلّا بغاية فرسخين ومن لنا ... بالماء بين نقاً[5] أو سبسب[6]
فثنى الأعنّة نحو وعث[7] فاجتلى ... ملساء تلمع كاللجين[8] المذهب
قال اقلبوها إنّكم إن تقلبوا ... ترووا ولا تروون إن لم تقلب
فاعصوصبوا[9] في قلبها فتمنّعت ... منهم تمنّع صعبة[10] لم تركب
حتّى إذا أعيتهم أهوى لها ... كفّاً متى يرد المغالب تغلب

---

(١) القاع: أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. وجدب المكان: محل والمحل: انقطاع المطر ويبس الأرض.

(٢) مائلاً: قائماً منتصباً.

(٣) الشظية الفلقة من العصا ونحوها في الأصل، وأراد بها هنا عقبة دقيقة ذات حرف، تشبيهاً بها.

(٤) المرقب: الموضع المشرف.

(٥) النقا بالقصر: الكثيب من الرمل، وتثنيته نقوان ونقيان أيضاً، والنقى: القفر، وكذلك القوى والقواء بالمد والقصر، ومنزل قوّاء لا أنيس به.

(٦) السبسب: المفازة، وبلد سبسب وسباب.

(٧) الوعث: المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام، ويشقّ على من يمشي فيه، وأوعثوا وقعوا في الوعث، والدهس والدهاس: المكان السهل اللين، لا يبلغ أن يكون رملاً وليس هو بتراب ولا طين.

(٨) اللجين: الفضة جاء مصغراً كالثريا والكميت.

(٩) اعصوصبوا: اجتمعوا واشتدّوا.

(١٠) الصعبة الناقة التي لم ترض ولم تذلّل.

فكأنّـــها كـــرّة بكـــفّ حـــزور[1] عبل الذراع دحى بها[2] في مـلعب
فسـقاهم مـن تـحتها مـتسلسلاً عـــذباً يـــزيد عـلى الألذّ الأعـذب
حـــتّى إذا شـــربوا جـميعاً ردّهـا ومضى فـخلت مكـانها لم يـقرب
أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل فـــي فـــضله وفـعاله لم يكـذب

وممّا رواه أصحابنا من الآيات التي ظهرت على يديه الشاهدة بما تدلّ مناقبه ومزاياه عليه، ردّ الشمس عليه مرّتين في عهد النبي صلى الله عليه وآله مرّة وبعد وفاته مرّة.

روت أســماء بـنت عـميس وأُم سـلمة رضـي الله عـنهما وجـابر بـن عـبدالله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعلي عليه السلام بين يديه، إذ جاءه جبرئيل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه، فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ أميرالمؤمنين عليه السلام ولم يرفع رأسه حتّى غابت الشمس، فصلّى العصر جالساً إيماءاً، فلمّا أفاق قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: فـاتتك العـصر؟ قـال: صلّيتها قاعداً إيماءاً، فقال: أُدع الله يردّ عليك الشمس حتّى تصلّيها قائماً في وقتها، فإنّ الله يجيبك لطاعتك لله ولرسوله، فسأل الله في ردّها، فردّت عليه حـتّى صـارت فـي موضعها من السماء وقت العصر، فصلّاها ثمّ غربت، قالت أسماء وأُم سلمة: أما والله سمعنا لها عند غروبها كصرير المنشار.

وبعد النبي صلى الله عليه وآله حين أراد أن يعبر الفرات ببابل، واشتغل كـثير مـن أصـحابه بتعبير دوابّهم، فصلّى هو عليه السلام مع طـائفة مـن أصـحابه العـصر، وفـاتت جـمهورهم، فتكلّموا في ذلك، فلمّا سمع سأل الله في ردّها ليجتمع كـافّة أصـحابه عـلى الصـلاة، فأجابه الله تعالى وردّها، فكانت كحالها وقت العصر، فلمّا سلّم بالقوم غابت وسمع لها وجيب شديد هال الناس، وأكثروا التسبيح والتهليل والإسـتغفار، والحـمد لله عـلى نعمته التي ظهرت فيهم، وسار خبر ذلك في الآفاق، وفي ذلك يقول السيّد إسماعيل ابن محمّد الحميري:

ردّت عليه الشـمس لمّـا فـاته وقت الصلاة وقد دنت للـمغرب
حتّى تـبلج نـورها فـي وقـتها للعصر ثمّ هوت هوي الكـوكب

---

(١) الحزور بالتخفيف والتشديد: الغلام إذا اشتدّ وقوي وخدم والجمع الحزاورة.
(٢) أي رمى بها.

وعـــليه قـــد ردّت بـبابل مـرّة أخرى ومـا ردّت لخـلق مـعرب
إلّا ليـــوشع أو له مـــن بـــعده ولردّها تأويـل أمـر مـعجب[1]

ومن ذلك أنّ علياً عليه السلام اتّهم رجلاً يقال له الغيرار برفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحده، فقال أميرالمؤمنين: لتحلف بالله إنّك ما فعلت؟ قال: نعم، وبدر يحلف، فقال علي عليه السلام: إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك، فما دارت عليه الجمعة حتّى عمي وأخرج يُقاد وقد أذهب الله بصره.

ومن ذلك أنّه عليه السلام نشد الناس من سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أميرالمؤمنين: يا أنس ما منعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟ قال: يا أميرالمؤمنين كبرت ونسيت، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: اللهمّ إن كان كاذباً فأضربه ببياض أو بوضح لا تواريه العمامة. قال طلحة بن عمير: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه.

ومن ذلك أنّه نشد الناس فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، فقام اثنا عشر بدرياً؛ ستّة من الجانب الأيسر، وستّة من الجانب الأيمن، فشهدوا بذلك، قال زيد بن أرقم: وكنت فيمن سمع ذلك فكتمته، فذهب الله ببصري، وكان يتندّم على ما فاته من الشهادة ويستغفر.

ومن ذلك أنّ أميرالمؤمنين قال على المنبر: أنا عبدالله وأخو رسول الله، ورثت نبيّ الرحمة ونكحت سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنا سيّد الوصيّين وآخر أوصياء النبيّين، لا يدّعي ذلك غيري إلّا أصابه الله بسوء، فقال رجل من عبس: من لا يحسن أن يقول

---

(١) قال ابن حجر في الصواعق (ص١٢٦ ط مصر): ومن كراماته الباهرة أنّ الشمس ردّت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصلّ العصر ـ وذكر الحديث إلى أن قال ـ: قال سبط ابن الجوزي: وفي الباب حكاية عجيبة حدّثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق أنّهم شاهدوا أبا منصور المظفّر بن أردشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه، وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتّى ظنّ النّاس أنّها قد غابت فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشدها:

لا تغربي يا شمس حتّى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثنائهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن هـذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا: فانحاب السحاب عن الشمس وطلعت.

هذا، أنا عبدالله وأخو رسول الله؟ فلم يبرح من مكانه حتّى تخبّطه الشيطان، فجرّ برجله إلى باب المسجد، فسألنا قومه هل تعرفون به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهمّ لا.

ومن ذلك ما نقلته من كتاب لطف التدبير صنعة الشيخ أبي عبدالله محمّد بن عبدالله الخطيب قال: حكي أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة: كيف لنا أن نعلم ما تؤول إليه العاقبة في أمرنا؟ قال جلساؤه: ما نعلم لذلك وجهاً، قال: فأنا أستخرج علم ذلك من علي عليه السلام، فإنّه لا يقول الباطل، فدعا ثلاثة رجال من ثقاته وقال لهم: امضوا حتّى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة، ثمّ تواطوا على أن تنعوني بالكوفة[1] وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلّة واليوم والوقت وموضع القبر، ومن تولّى الصلاة عَلَيّ وغير ذلك حتّى لا تختلفوا في شيء، ثمّ ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي، ثمّ ليدخل الثاني فيخبر بمثله، ثمّ ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبه، وانظروا ما يقول عليّ.

فخرجوا كما أمرهم معاوية ثمّ دخل أحدهم وهو راكب مغذّ شاحب[2]، فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟ قال: من الشام، قالوا له: الخبر! قال: مات معاوية، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: رجل راكب من الشام يخبر بموت معاوية، فلم يحفل علي عليه السلام بذلك[3]، ثمّ جاء آخر من الغد وهو مغذ، فقال له الناس: ما الخبر؟ فقال: مات معاوية، وخبّر بمثل ما خبّر صاحبه، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: رجل راكب آخر يخبر عن موت معاوية بمثل ما خبر صاحبه ولم يختلف كلامهما، فأمسك علي عليه السلام ثمّ دخل الآخر في اليوم الثالث، فقال الناس: ما وراك؟ قال: مات معاوية، فسألوه عمّا شاهد؟ ولم يخالف قول صاحبه، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: يا أميرالمؤمنين صحّ الخبر، هذا راكب ثالث قد خبّر بمثل ما خبّر صاحباه، فلمّا كثروا عليه قال عليّ صلوات الله عليه: كلّا أو تخضب هذه من هذه ـ يعني لحيته من هامته ـ ويتلاعب بها ابن آكلة الأكباد، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية.

---

(١) أي تخبروا بموتي.

(٢) غذ في السير: أسرع. الشاحب: المتغير اللون.

(٣) أي لم يبال عليه السلام به.

ورأيت له صلوات الله عليه خطبة يذكر فيها واقعة بغداد[١] كأنّه يشاهدها، ويقول فيها: كأنّي والله أنظر إلى القائم من بني العبّاس، وهو يقاد بينهم كما يقاد الجزر[٢] إلى الأضحية، لا يستطيع دفعاً عن نفسه، ويحه ثمّ ويحه ما أذلّه فيهم لإطراحه أمر ربّه وإقباله على أمر دنياه.

يقول فيها: والله لو شئت لأخبرتكم بأسمائهم وكناهم وحلاهم ومواضع قتلاهم ومساقط رؤوسهم إلى غير ذلك من إخباره بالغيوب وأخباره التي جرت في كلّ الأحوال على أُسلوبه وإطّلاعه على الحقائق وإتيانه بالأمور الخوارق ومعجزاته التي أربت على الأواخر والأوائل ووقف عند صفاتها بيان كلّ قائل.

وقد روى الحافظ العالم محبّ الدين محمّد بن محمود بن الحسن بن النجّار في كتابه في ترجمة أحمد بن محمّد الدّلا عن رجال ذكرهم قال: سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت سيّدتي فاطمة عليها السلام تقول: ليلة دخل بي علي بن أبي طالب أفزعني في فراشي، فقلت: أفزعت يا سيّدة النساء؟ قالت: سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها فأصبحت وأنا فزعة، فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله فسجد سجدة طويلة ثمّ رفع رأسه وقال: يا فاطمة، أبشري بطيب النسل، فإنّ الله فضّل بعلك على سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها.

وقال بعض أرباب الطريقة: إنّ عليّاً عليه السلام إنّما قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً في أوّل امره وابتداء حاله، وأمّا في آخر أمره فإنّ الغطاء كشف له والحجاب رفع دونه.

وعلى الجملة أيّ مناقبه أردت وصفها، وأيّ مآثره ابتغيت وصفها، وجدتها بحراً لا يُدرك ساحله، ولا يطمع في المفاخرة مساجله، فاقتصرت على هذا القدر

---

(١) وهي الخطبة المشهورة بالزوراء، يقول صلوات الله عليه: الزوراء وما أدراك ما الزوراء؟ أرض ذات أثل يشيد فيها البنيان، وتكثر فيها السكان، ويكون فيها مخازن وخزّان، يتّخذها ولد العباس موطناً، ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار لهو ولعب، يكون بها الجور الجائر والخيف المخيف، والأئمّة الفجرة والأمراء الفسقة، والوزراء الخونة يخدمهم أبناء فرس وروم، لا يأتمرون بمعروف إذا عرفوه ولا يتناهون عن منكر إذا نكروه، تكفى الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء إلى آخر ما ذكره المجلسي رحمه الله في المجلد التاسع من كتاب بحار الأنوار فراجع.

(٢) الجزر: ما ذبح من الشاة.

اقتداء بمن اقتصر، وكففت عن عزب القلم وما به من قصور ولا قصر، ودللت على ما لم أذكر بما ذكرته، وقد يُستدلّ على الشجرة بالواحدة من الثمر[١].

في ذكر رسوخ الإيمان في قلبه عليه أفضل الصلاة والسلام

نقلت من مناقب الخوارزمي رحمه الله عن منصور بن ربعي بن خراش قال: قال علي عليه السلام: اجتمعت قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله وفيهم سهيل بن عمرو، فقالوا: يا محمّد، أرقّاؤنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتّى رؤي الغضب في وجهه، ثمّ قال: لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً منكم، امتحن الله قلبه بالإيمان، يضرب رقابكم على الدين. قيل: يا رسول الله، أبوبكر؟ قال: لا، فقيل: عمر، قال: لا، ولكنّه خاصف النعل الذي في الحجرة، قال: فاستفظع الناس[٢] ذلك من علي بن أبي طالب، فقال: أمّا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تكذبوا عَلَيّ فإنّه من كذب عليّ متعمّداً يلج النار[٣]، وقد تقدّم ذكر ما هو قريب من هذا.

ومنه قال علي عليه السلام: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر: لو لا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النّصارىٰ في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ على ملأ من المسلمين إلّا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، وأنت تؤدّي دَيني، وتقاتل على سنّتي، وأنت في الآخرة أقرب الناس منّي، وإنّك غداً على الحوض خليفتي، تذود عنه المنافقين، وأنت أوّل من يرد عَلَيّ الحوض، وأنت أوّل داخل الجنّة من أُمّتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور رواء مرويّون، مبيضّة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنّة جيراني، وإنّ عدوّك غداً ظماءٌ مظمؤون، مسودّة وجوههم مفحمون[٤]، حربك حربي، وسلمك

---

(١) وقد أفرد الفاضل المتتبع الشيخ ذبيح الله المحلاتي دامت بركاته العالية رسالة فارسية وسمّاه: «أخبار غيبية» وجمع فيها جلّ ما أخبر به أميرالمؤمنين عليه السلام من الأخبار بالملاحم والفتن والغيوب وطبع مرّة بطهران.

(٢) استفظع الأمر: وجده فظيعاً.

(٣) أي يدخل.

(٤) المفحم: العيي وهو العاجز عن التكلّم.

سلمي، وسرّك سرّي، وعلانيتك علانيتي، وسريرة صدرك كسريرة صدري، وأنت باب علمي، وإنّ ولدك ولدي، ولحمك لحمي، ودمك دمي، وإنّ الحقّ معك والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وإنّ الله عزّوجلّ أمرني أن أُبشّرك أنّك وعترتك في الجنّة، وإنّ عدوّك في النّار، ولا يرد عَلَيّ الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محبّ لك.

قال: قال علي ﷺ: فخررت لله سبحانه وتعالى ساجداً وحمدته على ما أنعم به عَلَيّ من الإسلام والقرآن، وحبّبني إلى خاتم النبيّين وسيّد المرسلين ﷺ.

ومنه قال: بلغ عمر بن عبدالعزيز أنّ قوماً تنقّصوا علياً ﷺ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ وذكر علياً وفضله وسابقته، ثمّ قال: حدّثني عراك بن مالك الغفاري عن أُمّ سلمة رضي الله عنها، قالت: بينا رسول الله ﷺ عندي إذ أتاه جبرئيل فناجاه، فتبسّم رسول الله ﷺ ضاحكاً، فلمّا سرى عنه قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما أضحكك؟ فقال: أخبرني جبرئيل أنّه مرّ بعلي ﷺ وهو يرعى ذوداً[1] له وهو نائم قد أبدى بعض جسده، قال: فرددت عليه ثوبه فوجدت برد إيمانه قد وصل إلى قلبي.

ومنه عن فخر خوارزم أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري عن رجاله، قال: جاء رجلان إلى عمر فقالا له: ما ترى في طلاق الأمة؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال: ما ترى في طلاق الأمة؟ فقال: اثنتان، فالتفت إليهما فقال: اثنتان، فقال له أحدهما: جئناك وأنت أميرالمؤمنين فسألناك عن طلاق الأمة، فجئت إلى رجل فسألته؟ فوالله ما كلّمك، فقال عمر: ويلك أتدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أنّ السماوات والأرض وضعت في كفّة ووضع إيمان علي في كفّة لرجح إيمان علي.

ومن المناقب عن عمر بن الخطّاب قال: أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفّة ميزان، ووضع إيمان علي في ميزان، لرجح إيمان علي.

---

(١) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة وقيل غير ذلك، ولا يكون إلّا من أناث، وهو واحد وجمع كالفلك.

ومنه قال: رأى أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله يتفل في فيّ علي، فقال: ما هذا يا محمّد؟ قال: إيمان وحكمة، فقال أبو طالب لعلي: يا بني انصر ابن عمّك وآزره.

في ذكر أنّه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه مولى من كان مولاه

أمّا قوله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وقوله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قد أوردت ذلك في عدّة مواضع، وهو من الأحاديث المشهورة التي لم ينفرد أحد بإيرادها دون أحد، بل أوردها أصحاب الصحاح جميعهم، وتداولوا حتّى تنزّلت منزلة التواتر الذي لا يتداخله ريب ولا يتطرّق عليه لبس.

ونقلت من مناقب الخوارزمي وقد أورده (أحمد في مسنده) عن ابن عباس عن بريدة الأسلمي قال: غزوت مع علي إلى اليمن، فرأيت منه جفوة[1]، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت علياً فتنقّصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله تغيّر، فقال: يا بريدة، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن بريدة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سريّة، قال: فلمّا قدمنا قال: كيف رأيتم صحابة صاحبكم؟ قال: فإمّا شكوته أو شكاه غيري. قال: فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكباباً[2]، قال: فإذا النبي صلى الله عليه وآله قد احمرّ وجهه وهو يقول: من كنت وليّه فعليّ وليّه.

وبالإسناد المذكور نقلاً عن مسند أحمد قال عبدالله بن بريدة: قال حدّثني أبو بريدة قال: أبغضت علياً لم أبغضه أحداً قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبّه إلّا على بغضه علياً عليه السلام، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصحبه إلّا على بغضه علياً، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ابعث لنا من يخمسه، قال: فبعث إلينا علي عليه السلام، وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي، قال: وقسّم فخرج ورأسه يقطر، فقلنا: يا أباالحسن، ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في

---

(١) أي بحسب زعمه.

(٢) المكباب: الكثير النظر إلى الأرض.

السبي، فإنّي قسّمت وخمّست فصارت في الخمس، ثمّ صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ صارت في آل علي ووقعت بها، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وآله، فقلت: إبعثني مصدقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، قال: أتبغض عليّاً؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبّه فازدد له حبّاً، فوالذي نفس محمّد بيده لنصيب عليّ في الخمس أفضل من وصيفة، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليّ من علي. قال عبدالله: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي صلى الله عليه وآله في هذا الحديث غير أبي بريدة.

وبالإسناد عن بريدة من المسند المذكور قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين إلى اليمن؛ على أحدهما علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعليّ على الناس، وإن افترقتما[1] فكلّ واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زبيد من أهل اليمن، فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذريّة، فاصطفى عليّ امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلمّا أتيت النبي صلى الله عليه وآله دفعت الكتاب فقُرِىء عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائذ بك، بعثتني مع رَجل وأمرتني بطاعته، ففعلت ما أُرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقع في علي فإنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي.

ومن صحيح الترمذي عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب، فمشى في السريّة وأصاب جارية، فأنكروا عليه وتعاقدوا أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله فسلّموا عليه ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السريّة سلّموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله، فقام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته

---

(١) وفي نسخة «وإذا افترقتما».

فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه فقال: ما تريدون من علي؟ إنّ علياً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي.

ومن صحيحه من كنت مولاه فعلي مولاه.

ومنه رحم الله علياً، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار.

وأنت أيّدك الله بلطفه إذا اعتبرت معاني هذه الأحاديث الواردة من هذه الطرق أمكنك معرفة الحق، فإنّ قوله: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وقوله: وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي، إلى غير ذلك صريح في إمامته، وظاهر في التعيين عليه، لا ينكره إلّا من يريد دفع الحق بعد ثبوته، والتغطية على الصواب بعد بيانه، وستر نور الشمس بعد انتشار أشعّتها.

وليس يصحّ في الإفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

ومن أغرب الأشياء وأعجبها أنّهم يقولون: إنّ قوله صلى الله عليه وآله في مرضه: مروا أبابكر يصلّي بالناس نصّ خفي في توليته الأمر وتقليده أمر الأمّة، وهو على تقدير صحّته لا يدلّ على ذلك، ومتى سمعوا حديثاً في أمر علي عليه السلام نقلوه عن وجهه وصرفوه عن مدلوله، وأخذوا في تأويله بأبعد محتملاته، منكبين عن المفهوم من صريحه، أو طعنوا في راويه وضعّفوه، وإن كان من أعيان رجالهم وذوي الأمانة في غير ذلك عندهم، هذا مع كون معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومغيرة بن شعبة، وعمران بن حطان الخارجي وغيرهم من أمثالهم من رجال الحديث عندهم، وروايتهم في كتب الصحاح عندهم ثابتة عالية، يقطع بها ويعمل عليها في أحكام الشرع، وقواعد الدين، ومتى روى أحد عن زين العابدين علي بن الحسين وعن ابنه الباقر وابنه الصادق وغيرهم من الأئمّة عليهم السلام نبذوا روايته وأطرحوها، وأعرضوا عنها، فلم يسمعوها وقالوا: رافضي لا إعتماد على مثله، وإن تلطّفوا قالوا: شيعي مالنا ولنقله؟ مكابرة للحقّ وعدولاً عنه، ورغبة في الباطل وميلاً إليه، واتّباعاً لقول من قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾[1] أو لعلّهم رأوا ما جرت الحال عليه أوّلاً من الإستبداد بمنصب الإمامة، فقاموا بنصر ذلك محامين عنه غير مظهرين لبطلانه، ولا معترفين به

---

(١) الزخرف: ٢٣.

استباناً بحميّة الجاهليّة، وهذا مجال طويل لا حاجة بنا إليه.

ومن مناقب الخوارزمي عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا خلق السماوات والأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهنّ نبوّتي وولاية علي بن أبي طالب فقبلتاهما، ثمّ خلق الله الخلق وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا، نحن المحلّون لحلاله، والمحرّمون لحرامه.

وروى الخطيب فخر خوارزم أيضاً حديث غدير خم، وكونه صلى الله عليه وآله أخذ بضبعه حتّى نظر الناس إلى بياض إبطه، ثمّ لم يفترقا حتّى نزل: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[1] الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي بن أبي طالب، ثمّ قال: اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأنشد حسّان بن ثابت أبياتاً وقد تقدّمت.

وعنه عن رجاله عن المطّلب بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف حين جاؤوه: لتسلمنّ أو ليبعثنّ الله رجلاً منّي ـ أو قال: مثل نفسي ـ فليضربنّ أعناقكم، وليسبينّ ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم. فقال عمر بن الخطّاب عليه السلام: فوالله ما تمنّيت الإمارة إلّا يومئذ، جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هو هذا، فالتفت إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام فأخذ بيده، فقال: هو هذا هو هذا!

ومنه عن جابر قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والله ما أنا انتجيته، ولكن الله انتجاه.

وذكره النسائي في صحيحه، وأورده الترمذي أيضاً في صحيحه وذكر بعده: ولكن الله انتجاه ـ يعني إنّ الله أمرني ـ.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل وقد تكرّر هذا الحديث ولكنّي أوردته حيث جاءت معانيه والفضائل فيه مجموعة في حديث واحد عن عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس إلى ابن عبّاس إذ أتاه تسعة رهط قالوا: يا ابن عبّاس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا بهؤلاء؟ قال: فقال ابن عبّاس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدأوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، فجاء ينفض ثوبه ويقول: أُف وتف،

---

(١) المائدة: ٣.

وقعوا في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال له النبي صلى الله عليه وآله: لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبّ الله ورسوله، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: أين عليّ؟ قالوا: هو في الرحل يطحن، قال: وما كان أحدكم يطحن، قال: فجاء وهو أرمد (العين) لا يكاد أن يبصر شيئاً، قال: فنفث في عينه ثمّ هزّ الراية ثلاثاً، فأعطاه إيّاه، فجاء بصفيّة بنت حيي.

قال: ثمّ بعث فلاناً بسورة التوبة، فبعث عليّاً عليه السلام خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلّا رجل هو منّي وأنا منه.

قال: وقال لبني عمّه: أيّكم يوالينيي في الدنيا والآخرة؟ قال: وعليّ معهم جالس، فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، قال: فتركه، ثمّ أقبل على رجل منهم فقال: أيّكم يوالينيي في الدنيا والآخرة، فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة.

قال: وكان علي عليه السلام أوّل من أسلم من الناس معه بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين رحمة الله عليهم، فقال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[1].

قال: وشرى عليّ نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه.

قال: وكان المشركون يرمون رسول الله، فجاء ابوبكر رضي الله عنه وعليّ نائم وأبوبكر يحسب أنّه نبيّ الله، قال: فقال: يا نبي الله! قال: فقال له علي: إنّ نبيّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، فانطلق أبوبكر، فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يُرمىٰ بالحجارة كما كان يُرمى نبي الله وهو يتضوّر[2]، وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتّى أصبح، ثمّ كشف عن رأسه، فقالوا: إنّك للئيم، كان صاحبك نرميه ولا يتضوّر وأنت تتضوّر، وقد استنكرنا ذلك.

قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك قال: فقال له علي: أخرج معك، فقال له نبي الله صلى الله عليه وآله: لا، فبكى علي عليه السلام فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) مرّ معناه غير مرّة.

موسى عليه السلام إلّا أنّك لست بنبي، لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي.

قال: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وليّي في كلّ مؤمن من بعدي.

قال: وسدّ أبواب المسجد غير باب عليّ، قال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

قال: وقال: من كنت مولاه فإنّ مولاه علي، وذكر أنّه كان بدريّاً.

قلت: وهي فضيلة شاركه فيها غيره ممّن شهد بدراً، والباقيات تفرّد بهنّ عليه السلام.

وقد أوردنا هذا الحديث فيما تقدّم من مسند أحمد أيضاً، وتبعناه في إيراده مرّتين لاختلاف رواته، والحديث إذا أورده جماعة كان الوثوق به أشد والإعتماد على صحّته أقوى.

ومن مناقب الخوارزمي عن عون بن أبي رافع عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: دخلت على نبي الله صلى الله عليه وآله وهو مريض، فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق والنبي صلى الله عليه وآله نائم، فلمّا دخلت إليه قال الرجل: أدن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي، فدنوت منهما، فقام الرجل وجلست مكانه ووضعت رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجري كما كان في حجر الرجل، فمكث ساعة ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استيقظ فقال: أين الرجل الذي كان رأسي في حجره؟ فقلت: لمّا دخلت عليك دعاني ثمّ قال: أدن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي، ثمّ قال: فجلست مكانه. فقال النبي صلى الله عليه وآله فهل تدري من الرجل؟ فقلت: لا بأبي أنت وأُمّي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك جبرئيل عليه السلام كان يحدّثني حتّى خفّ عليّ[1] وجعي ونمت ورأسي في حجره.

ومن كتاب المناقب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين، ثمّ قال: يا علي أنت أخي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي، أما علمت يا علي أنّ أوّل من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي، قال: فأقوم عن يمين العرش في ظلّه فأكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ألا وإنّي أُخبرك يا علي أنّ أُمّتي أوّل الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثمّ أنت أوّل من يُدعى لقرابتك منّي ومنزلتك عندي، ويُدفع إليك لوائي ولواء

---

(١) وفي نسخة «خف عنّي».

الحمد، فتسير به بين السماطين آدم وجميع الخلق يستظلّون بظلّ لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، قضيبه فضّة بيضاء، وزجّه[1] درّة خضراء، أوّله ثلاث ذوائب من نور، ذوابة في المشرق، وذوابة في المغرب، والثالثة وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأوّل ـ بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني ـ الحمد لله ربّ العالمين، والثالث ـ لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة، وتسير بلوائي والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك، حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش، ثمّ تُكسى حلّة خضراء من الجنّة، ثمّ ينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، أبشر يا علي (أبشر يا علي) إنّك تُكسى إذا كُسيت وتُدعى إذا دُعيت وتُحيى إذا حييت.

وعن كتاب المناقب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي، وقال: يا أُم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، وعيبة علمي، وبابي الذي أوتىٰ منه، وأخي في الدنيا، وخدني[2] في الآخرة، ومعي في السنام الأعلى.

ومنه عن سليمان بن عبدالله بن الحرث عن جدّه عن علي عليه السلام قال: مرضت مرضاً فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل عَلَيّ وأنا مضطجع، فأتى إلى جنبي ثمّ سجّاني بثوبه[3]، فلمّا رآني قد ضعفت قام إلى المسجد فصلّى، فلمّا قضى صلاته جاء فرفع الثوب عنّي، ثمّ قال: قم يا علي فقد برئت، فقمت كأنّي ما اشتكيت قبل ذلك، فقال: ما سألت ربّي شيئاً إلّا أعطاني، وما سألت شيئاً إلّا سألت لك.

ومنه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّى.

ومنه عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الخندق: اللهمّ إنّك أخذت منّي عبيدة بن الحرث يوم بدر،

---

(١) الزج ـ بالضم ـ: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٢) الخدن ـ بكسر الخاء وسكون الدال ـ: الصاحب، الحبيب، الرفيق، الصديق.

(٣) أي غطّاني به.

وحمزة بن عبدالمطّلب يوم أُحد، وهذا علي بن أبي طالب فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

ومنه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليٌّ منّي مثل رأسي من بدني.

ومنه عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مكتوب على باب الجنّة: محمّد رسول الله علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام.

ومنه عن سلمان قال: سمعت حبيبي المصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّوجلّ مطيفاً، يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبدالمطّلب؛ فجزء أنا وجزء علي.

ومنه بالإسناد عن الحسين بن علي عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف سنة، فلمّا خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله ينقله من صلب إلى صلب حتّى أقرّه في صلب عبدالمطّلب ثمّ أخرجه من صلب عبدالمطّلب فقسّمه قسمين؛ قسماً في صلب عبدالله، وقسماً في صلب أبي طالب؛ فعليّ منّي وأنا منه، لحمه من لحمي، ودمي من دمه، فمن أحبّه فبحبّي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه.

ومنه عن أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ـ وكانت ألطف نسائه وأشدّهنّ له حبّاً ـ قال: وكان لها مولى يحضنها وربّاها، وكان لا يصلّي صلاة إلّا سبّ عليّاً وشتمه. قالت: يا أبه ما حملك على سبّ عليّ؟ قال: لأنّه قتل عثمان وشرك في دمه. قالت: أمّا أنّه لولا أنّك مولاي وربّيتني وأنّك عندي بمنزلة والدي ما حدّثتك بسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن اجلس حتّى أُحدّثك عن علي وما رأيته: أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يومي وإنّما كان يصيبني في تسعة أيّام يوم واحد، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهو مخلل أصابعه في أصابع علي، واضعاً يده عليه، فقال: يا أُم سلمة أخرجي من البيت وأخليه لنا، فخرجت وأقبلا يتناجيان، فأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان، حتّى إذا قلت: قد انتصف النهار وأقبلت فقلت: السلام عليكم أألج؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تلجي وارجعي مكانك، ثمّ تناجيا طويلاً حتّى قام عمود الظهر، فقلت: ذهب يومي وشغله عليّ، فأقبلت أمشي حتّى وقفت على الباب فقلت: السلام عليكم أألج؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تلجي، فرجعت

فجلست مكاني حتّى إذا قلت: قد زالت الشمس الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي ولم أر قط أطول منه، فأقبلت أمشي حتّى وقفت فقلت: السلام عليكم أألج؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: نعم فلجي، فدخلت وعلي واضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله قد أدنى فاه من أُذن النبي صلى الله عليه وآله، وفم النبي صلى الله عليه وآله على أُذن علي وهما يتسارّان وعلي يقول: أفأمضي وأفعل؟ والنبي صلى الله عليه وآله يقول: نعم.

فدخلت وعلي معرض وجهه حتّى دخلت وخرج فأخذني رسول الله صلى الله عليه وآله وأقعدني في حجره فالتزمني فأصاب ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والإعتذار ثمّ قال: يا أُم سلمة لا تلوميني فإنّ جبرئيل أتاني من الله بأمر أن أوصي به عليّاً بما هو كائن بعدي وكنت جالساً بين جبرئيل وعلي، وجبرئيل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر عليّاً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذري ولا تلوميني، إنّ الله عزّوجلّ اختار من كلّ أُمّة نبيّ واختار لكلّ نبيّ وصيّاً فأنا نبي هذه الأُمّة وعلي وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي من بعدي، فهذا ما شهدت من أمر علي، الآن يا أبتاه فسبّه أو فدعه، فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار: اللهمّ اغفر لي ما جهلت من أمر عليّ، فإنّ وليّي وليّ علي، وعدوّي عدوّ علي، فتاب المولى توبة نصوحاً، وأقبل فيما بقي من دهره يدعو الله تعالى أن يغفر له.

ومن المناقب عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه، فإذا فيها مكتوب على أحدهما: لا إله إلّا الله محمّد النبي، ومكتوب على الآخر: لا إله إلّا الله علي الوصي.

وعن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم.

قلت: رواه الخوارزمي بسنده عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وآله: لمن حاربتم ولمن سالمتم، بالتاء.

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فقال: أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم، بالكاف.

ومن مسند أحمد رحمه الله عن رياح بن الحرث قال: جاء رهط إلى علي عليه السلام بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا

رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه، قال رياح: فلمّا مضوا أتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري.

ومن مناقب الخوارزمي أنّ أباذر أسند ظهره إلى الكعبة فقال: يا أيّها الناس، هلمّوا أُحدّثكم عن نبيّكم صلى الله عليه وآله، سمعت رسول الله يقول: لعلي ثلاث لإن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، سمعت رسول الله يقول لعلي: اللهمّ أعنه واستعن به، اللهمّ انصره وانتصر به، فإنّه عبدك وأخو رسولك.

قال: وروى الناصر للحق بإسناده في حديث طويل قال: لمّا قدم علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح خيبر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أن تقول فيك طائفة من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملاء إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك، ومن فضل طهورك، يستشفون به ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنّك منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، وأنّك تبرىء ذمّتي، وتقاتل على سنّتي، وأنّك في الآخرة غداً أقرب الناس منّي، وأنّك أوّل من يرد عليّ الحوض، وأوّل من يكسى معي، وأوّل داخل في الجنّة من أُمّتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور، وأنّ الحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك.

الآثار: عن سالم قال: قيل لعمر عليه السلام: نراك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: إنّه مولاي.

وعن أبي جعفر عليه السلام **قال:** جاء أعرابيان إلى عمر يختصمان، فقال: يا أباالحسن، اقض بينهما، فقضى على أحدهما، فقال المقضيّ عليه: يا أميرالمؤمنين هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر فأخذ بتلبيبه ولبّبه[1] ثمّ قال: ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

عن عبد خير قال: اجتمع عند عمر عليه السلام جماعة من قريش فيهم علي بن أبي طالب، فتذاكروا الشرف وعلي عليه السلام ساكت، فقال عمر: مالك يا أباالحسن ساكتاً؟ وكان عليّاً عليه السلام كره الكلام، فقال عمر: لتقولنّ يا أباالحسن، فقال علي عليه السلام:

الله أكـــرمنا بـــنصر نـــبيّه ... وبـــنا أعـــزّ شـــرائع الإســـلام

---

(١) يقال لبّب الرجل تلبيباً: إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثمّ جررته.

في كلّ معترك تزيل سيوفنا ... فيه الجماجم عن فراخ الهام[١]
ويزورنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام
فنكون أوّل مستحلّ حلّه ... ومحرّم لله كلّ حرام
نحن الخيار من البريّة كلّها ... ونظامها وزمام كلّ زمام
إنّا لنمنع من أردنا منعه ... ونقيم رأس الأصيد[٢] القمقام[٣]
وتردّ عادية الخميس[٤] سيوفنا ... فالحمد للرحمان ذي الأنعام

قال السيّد الحميري رحمه الله:

يا بايع الدين بدنياه ... ليس بهذا أمر الله
من أين أبغضت عليّ الرضا ... وأحمد قد كان يرضاه
من الذي أحمد من بينهم ... يوم غدير الخم ناداه
أقامه من بين أصحابه ... وهم حواليه وسمّاهُ
هذا علي بن أبي طالب ... مولى لمن قد كنت مولاه
فوال من والاه يا ذا العلى ... وعاد من قد كان عاداه

ولبديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني:

يا دار منتجع الرسالة ... بيت مختلف الملائك
يابن الفواطم والعواتك ... والترايك والأرايك[٥]
أنا حائك إن لم أكن ... مولى ولائك وابن حائك

في بيان أمر سورة براءة وكون النبي صلى الله عليه وآله أمر عليّاً عليه السلام بتبليغها

نقلت من مسند أحمد بن حنبل رحمة الله عليه مرفوعاً إلى أبي بكر رضي الله عنه أنّ

---

(١) المعترك: موضع القتال والجدال. والجماجم جمع الجمجمة. والهام: الرأس.
(٢) الصيد بالتحريك مصدر الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً ومنه للملك أصيد، وأصله داء يصيب البعير فيرفع رأسه، وإنّما قيل للملك لأنّه لا يلتفت يميناً وشمالاً، وكذلك الذي لا يستطيع الإلتفات من داء يقول منه صيد بكسر الياء.
(٣) القمقام السيّد وكذلك القماقم.
(٤) الخميس: الجيش، وعاديته: ظلمه وجوره وشرّه.
(٥) الترائك جمع تريكة: الروضة.

النبي صلى الله عليه وآله بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ولا تدخل الجنّة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله. قال: فسارّ بها ثلاثاً ثمّ قال لعلي عليه السلام: ألحقه فردّ يا علي أبابكر وبلّغها أنت، قال: ففعل، قال: فلمّا قدم على النبي صلى الله عليه وآله أبوبكر بكى وقال: يا رسول الله، حدث فيّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلّا خير، ولكن أُمرت أن لا يبلّغه إلّا أنا أو رجل منّي، وقد تقدّم ذكر هذا وأمثاله وهو مشهور فلا حاجة بنا إلى التطويل وتعديد الرواة والروايات.

في بيان ما نزل من القرآن في شأنه عليه السلام

نقلت من مناقب أبي المؤيد الخوارزمي رحمه الله يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: أقبل عبدالله بن سلام ومعه نفر من قومه ممّن قد آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله، قالوا: يا رسول الله، إنّ منازلنا بعيدة ليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس، وإنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا بالله ورسوله وصدّقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلّمونا، فشقّ ذلك علينا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[1]، ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، وبصر بسائل، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم من ذهب؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: من أعطاكه؟ قال: ذلك القائم، وأومى بيده إلى أميرالمؤمنين علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: على أيّ حال أعطاك؟ قال: أعطاني وهو راكع، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله ثمّ قرأ: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[2]، وأنشأ حسان بن ثابت يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبر ضايع[3] ... وما المدح في جنب الإله بضايع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس القوم يا خير راكع

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) المائدة: ٥٦.

(٣) حبّر الشعر ـ بتشديد الباء ـ: حسّنه وزيّنه.

فأنـــزل فـــيك الله خـــير ولايـــة وبيّنها فـــي مـــحكمات الشـــرايـــع

ومن المناقب عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي عليه السلام، قال: سمعت علياً يقول: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري، فقال: أي علي ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[1] هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدم الحوض إذا جئت الأمم للحساب يدعون غرّاً محجّلين.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنزل الله آية وفيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلّا وعليّ رأسها وأميرها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه وقد ذكره الثعلبي وغيره من مفسري القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾[2] قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدّهما رسول الله: صلى الله عليه وآله ومعه أبوبكر وعمر، وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا أباالحسن، لو نذرت على ولديك نذراً، وكلّ نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء، فقال علي عليه السلام: إن برىء ولداي ممّا بهما صمت (لله) ثلاثة أيّام شكراً، وقالت فاطمة عليها السلام: إن برىء ولداي ممّا بهما صمت لله ثلاثة أيّام شكراً، وقالت جارية يقال لها فضة: إن برىء سيّداي ممّا بهما صمت لله ثلاثة أيّام شكراً.

فألبس الغلامان العافية وليس عند آل محمّد قليل ولا كثير، فانطلق أميرالمؤمنين عليه السلام إلى شمعون الخيبري وكان يهوديّاً فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير.

وفي حديث المزني عن ابن مهران الباهلي: فانطلق إلى جار له من اليهود يعالج الصوف يقال له شمعون بن حانا، فقال له: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك بنت محمّد صلى الله عليه وآله بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة بذلك، فقبلت وأطاعت.

قالوا: فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحنته واختبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد منهم قرص، وصلّى علي عليه السلام المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت

---

(١) البينة: ٧.

(٢) الإنسان: ٧.

محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فسمعه علي، فقال:

فاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائعاً حزين
كلّ امرىء بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين
موعده جنّة عليّين ... حرّمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين ... تهوى له النار إلى سجّين

شرابه الحميم والغسلين

فقالت فاطمة عليها السلام:

أمرك يابن عمّ سمع طاعة ... ما بي من لوم ولا ضراعة

وأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلّا الماء القراح، فلمّا كان اليوم الثاني طحنت فاطمة عليها السلام صاعاً واختبزته وأتى علي عليه السلام من الصلاة، ووضع الطعام بين يديه، فأتاهم يتيم، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، يتيم من أولاد المهاجرين، استشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنّة، فسمعه علي وفاطمة عليهما السلام فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلّا الماء القراح.

فلمّا كان في اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلّى عليّ عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله المغرب، ثمّ أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم أسير فوقف على الباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، تأسروننا ولا تطعموننا، أطعموني فإنّي أسير محمّد، أطعمكم الله على موائد الجنّة، فسمعه علي عليه السلام فآثره وآثروه، ومكثوا ثلاثة أيّام ولياليها لم يذوقوا سوى الماء.

فلمّا كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم، أخذ علي الحسن بيده اليمنى والحسين باليسرى وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، فلمّا بصر به النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أباالحسن ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلّي قد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع وغارت عيناها، فلمّا رآها النبي صلى الله عليه وآله قال: وا غوثاه بالله يا أهل بيت محمّد تموتون جوعاً؟ فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: خذ يا محمّد هنّاك الله في أهل بيتك، قال:

وما آخذ يا جبرئيل ؟ فأقرأه ﴿ هَلْ أَتىٰ على الإنْسان ﴾ إلى قوله: ﴿ إنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنْكُمْ جَزاء ولا شُكُورا ﴾[1] إلى آخر السورة.

قال الخطيب الخوارزمي حاكياً عنه وعن الراوندي: وزادني ابن مهران الباهلي في هذا الحديث: فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتّى دخل على فاطمة عليها السلام، فلمّا رأى ما بهم انكبّ عليهم يبكي وقال: أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم؟ فهبط جبرئيل بهذه الآيات: ﴿ إنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا * عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرا ﴾[2] قال: هي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين.

وروى الخطيب في هذا رواية أُخرى وقال: في آخرها فنزل فيهم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ ﴾ أي على شدّة شهوة ﴿ مِسكيناً ﴾ قرص ملّة والملّة الرماد، ﴿ ويَتِيماً ﴾ خزيرة[3] ﴿ وَأَسِيراً ﴾ حبيساً ﴿ إنَّما نُطْعِمُكُمْ ﴾ يخبر عن ضمائرهم ﴿ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ يقول: إرادة ما عند الله من الثواب، ﴿ لا نُريدُ مِنْكُمْ ﴾ يعني في الدنيا ﴿ جَزاءً ﴾ ثواباً ﴿ وَلا شُكُورا ﴾.

قلت: الضمير في حبّه يجوز أن يعود إلى الطعام كما ذكر، ويجوز أن يعود إلى الله تعالى، فإنّ إطعامهم إنّما كان خالصاً لوجهه، وهذه السورة نزلت في هذه القضيّة بإجماع الأمّة لا أعرف أحداً خالف فيها.

وروى في قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرائِكِ يَنْظُرُون ﴾[4]، قيل: نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وغيرهم من مشركي مكة، كانوا يضحكون من بلال وعمّار وغيرهما من أصحابهما، وقيل: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام جاء في نفر من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، وقالوا لأصحابهم: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فأنزل الله تعالى الآية قبل أن يصل إلى النبي صلى الله عليه وآله.

وعن مقاتل والكلبي لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلّا الْمَوَدَّةَ

---

(١) سورة الإنسان.

(٢) الإنسان: ٥ ـ ٦.

(٣) كذا في الأصل وفي بعض النسخ «خريوة» ولا يخلو عن التصحيف.

(٤) المطففين: ٣٤ ـ ٣٥.

في القُرْبىٰ﴾[١] قالوا: هل رأيتم أعجب من هذا يسفّه أحلامنا ويشتم آلهتنا ويرى قتلنا ويطمع أن نحبّه؟ فنزل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[٢] أي ليس لي من ذلك أجر، لأنّ منفعة المودّة تعود عليكم وهو ثواب الله تعالى ورضاه.

وروى في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾[٣] يعني عن ولاية علي عليه السلام.

وقوله تعالى): ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُون﴾[٤]، قيل: نزلت في قصّة بدر في حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث، لمّا برزوا لقتال عتبة وشيبة والوليد.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[٥] نزلت في أهل الحديبية. قال جابر: كنّا يومئذ ألفاً وأربعمائة، فقال لنا النبي صلى الله عليه وآله: أنتم اليوم خيار أهل الأرض، فبايعنا تحت الشجرة على الموت، فما نكث إلّا جزء بن قيس، وكان منافقاً، وأولى الناس بهذه الآية علي بن أبي طالب عليه السلام لأنّه تعالى قال: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[٦] يعني فتح خيبر وكان ذلك على يد علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: روى السيّد أبو طالب بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: من أحبّك وتولّاك أسكنه الله معنا، ثمّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٨] قيل: هم الذين صلّوا إلى القبلتين، وقيل: السابقون إلى الطاعة، وقيل: إلى الهجرة، وقيل: إلى الإسلام وإجابة الرسول، وكلّ ذلك موجود في أميرالمؤمنين علي عليه السلام على وجه التمام والكمال، والغاية التي لا يقاربه فيها أحد من الناس.

وعن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ

---

(١) الشورى: ٢٣.
(٢) سبأ: ٤٧.
(٣) الصافات: ٢٤.
(٤) الجاثية: ٢١.
(٥) الفتح: ١٨.
(٦) الفتح: ١٨.
(٧) القمر: ٥٤ـ٥٥.
(٨) الواقعة: ١٠ـ١٢.

السَّابِقُون * أُولَئِكَ المُقَرَّبُون * فِي جَنَّاتِ النَّعِيم﴾ فقال: قال لي جبرئيل عليه السلام: ذاك عليّ وشيعته هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون من الله بكرامته لهم.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة﴾[1] وقد تقدم ذكر هذه الآية والأمّة مجتمعة على أنّها نزلت ولم يعمل بها أحد غيره، ونزلت الرخصة.

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[2] روى الزبير بن العوام عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو النساء إلى البيعة حين نزلت هذه الآية، فكانت فاطمة بنت أسد أُم علي بن أبي طالب عليه السلام أوّل امرأة بايعت.

وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام إنّ فاطمة بنت أسد أُم علي بن أبي طالب أوّل امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها، وكانت أبرّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة، فقالت: وا سوأتاه، فقال لها: فإنّي أسأل الله أن يبعثك كاسية، وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: وا ضعفاه، فقال صلى الله عليه وآله: إنّي أسأل الله أن يكفيك ذلك.

قلت: هكذا أورده وما قبله الخوارزمي رحمه الله، وهو بأول هذا الكتاب أنسب حيث ذكرنا أُم أميرالمؤمنين فلينقل إلى هناك.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ عبدالله بن أبي[3] وأصحابه خرجوا فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عبدالله بن أبي لأصحابه: أنظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد علي عليه السلام وقال: مرحباً يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام: يا عبدالله اتّق الله ولا تنافق، فإنّ المنافق شرّ خلق الله، فقال: مهلاً يا أباالحسن والله إنّ إيماننا كإيمانكم، ثمّ تفرّقوا، قال ابن أبي لأصحابه: كيف رأيتم ما فعلت؟ فأثنوا عليه خيراً ونزل على رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) الممتحنة: ١٢.

(٣) عبدالله بن أبي بن أبي سلول هو رئيس منافقي المدينة، وهو الذي قال «ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل» ونزلت في ذلك سورة المنافقين، ورد عليه ابنه استذلالاً له، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله حين ورد المدينة: يا هذا اذهب إلى الذين غروك وخدعوك، ولا تغشنا في دارنا فسلّط الله على دورهم فخرب ديارهم وقصّة كيده لرسول الله صلى الله عليه وآله في قتله وردّه عليه مشهورة.

﴿ وإذا لَقُوا الَّذينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وإذا خَلَوْا إلىٰ شَياطينِهِمْ قالُوا إنّا مَعَكُمْ إنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِءُون ﴾[1] فدلّت الآية على إيمان علي عليه السلام ظاهراً، وباطناً وعلى القطع بقوله في أمر المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْه ﴾[2] قال ابن عباس: هو علي شهد للنبي صلى الله عليه وآله وهو منه.

وقوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً ﴾[3] قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب.

وروى زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: لقيني رجل فقال: يا أباالحسن أما والله إنّي أُحبّك في الله، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بقول الرجل، فقال: لعلّك صنعت إليه معروفاً؟ فقال: والله ما صنعت إليه معروفاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك[4] بالمودّة، فنزل قوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْديلا ﴾[5] قيل: نزل قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ ﴾ في عبيدة وحمزة وأصحابهم كانوا تعاهدوا لا يولّون الأدبار فجاهدوا مقبلين حتّى قُتلوا ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام مضى على الجهاد ولم يبدّل ولم يُغيّر.

قلت: وآية المباهلة قد تقدم ذكرها وكون النبي صلى الله عليه وآله دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أمر مشهور متواتر أورده أصحاب الصحاح في كتبهم وأرباب السير والتواريخ في سيرهم وتواريخهم، فاستوى في إيراده المؤالف والمخالف، وأحاط علماً بحقيّته الجاهل والعارف، وأنا ذاكر هنا ما أورده (الزمخشري في كشافه) في

---

(١) البقرة: ١٤.

(٢) هود: ١٧.

(٣) مريم: ٩٦.

(٤) تاق إليه توقاً: اشتاق.

(٥) الأحزاب: ٢٣.

تفسير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾[١] أي يدعو كلّ منّي ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منّا ومنكم، والبهلة بالفتح والضم اللعنة، وبهله الله: لعنه الله وأبعده من رحمته، من قولك أبهله إذا أهمله، وناقة باهل لا صرار عليها، وهو خيط يشدّ به ضرعها، وأصل الإبتهال هذا ثمّ استعمل في كلّ دعاءٍ يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

وروي أنّه دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً نبيّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ فإن أبيتم إلّا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتُهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أباالقاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا. قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا. فقال: فإنّي أُناجزكم[٢]، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن نؤدّي إليك في كلّ عام ألفي حلّة، ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول عليهم كلّهم حتّى يهلكوا[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله ثمّ فاطمة ثمّ علي ثمّ قال:

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) ناجزه: قاتله وبارزه. وفي بعض النسخ «أحاربكم» مكان «أناجزكم».

(٣) قد مرّ الحديث بتمامه مع شرح معضلاته فراجع.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا ﴾[١].

فإن قلت ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلّا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختصّ به وبمن كان يكاذبه فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله، واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده، وأحبّ الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له على ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه، وهلاكه مع أحبّته وأعزّته هلاك الإستيصال أن تمّت المباهلة وخصّ الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب، وربّما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتّى يُقتل، ومن ثمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعاين[٢] في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمّون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق، وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانتهم، وقرب منزلته، وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه لم ير واحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك، وهذا آخر كلام الزمخشري رحمه الله وقد تقدم ذكرها.

ونقلت ممّا خرّجه صديقنا العزّ المحدّث الحنبلي الموصلي في قوله تعالى: ﴿ إهدِنَا الصراطَ المُستقيم ﴾ قال بريدة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هو صراط محمّد وآله عليهم السلام.

وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِين ﴾[٣] هو علي بن أبي طالب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾[٤] نزلت في مبيت عليّ على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدم ذكرها.

وذكر ابن الأثير رحمه الله **في كتابه كتاب الإنصاف** الذي جمع فيه بين الكاشف والكشّاف، أنّها نزلت في علي عليه السلام، وذلك حين هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وترك عليّاً في بيته

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الظعاين: النساء.

(٣) الآية: ٤٣.

(٤) البقرة: ٢٠٧.

بمكة وأمره أن ينام على فراشه، ليوصل إذا أصبح ودايع الناس إليهم، فقال الله عزّوجلّ لجبرئيل وميكائيل: إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر أخاه بالبقاء؟ فاختار كلّ منهما الحياة، فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي آخيت بينه وبين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ إهبطا إليه فاحفظاه من عدوّه، فنزلا إليه فحفظاه جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ يابن أبي طالب من مثلك وقد باهى الله بك الملائكة.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] قال: كان عند علي عليه السلام أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[3]. قال الثعلبي: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل رجل معتمّ بعمامة، فجعل كلّما قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الرجل: قال رسول الله، فقال له ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه نفسي، أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري،، سمعت رسول الله بهاتين وإلّا صمّتا، ورأيته بهاتين وإلّا عميتا، يقول: علي قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أمّا إنّي صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الظهر يوماً من الأيّام، فسأل سائل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهمّ أشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختّم فيه، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من يده بعين رسول الله، فلمّا فرغ من

---

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) المائدة: ٥٥ـ٥٦.

صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّ أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[1] فأنزلت: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾[2] اللهمّ وأنا محمّد نبيّك وصفيّك، اللهمّ فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به أزري، قال أبوذر: فما استتمّ رسول الله كلامه حتّى نزل جبرئيل يقول له: اقرأ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ ورسوله ﴾[3] الآية.

ونقلت ممّا خرّجه العزّ المحدّث قال: وروي عن عبدالله بن مسعود قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمّد ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾[4] على ما بُعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ومحمّد بن علي الباقر عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾[5] أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[6] قال: هو علي بن أبي طالب وهو رأس المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ﴾[7] نزلت في ملاحاة[8] العباس وعلي، قال له العباس: لإن سبقتمونا بالإيمان والهجرة فقد كنّا نسقي الحجيج ونعمر المسجد الحرام، فنزلت.

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٣٢.
(٢) القصص: ٣٥.
(٣) المائدة: ٥٥.
(٤) الزخرف: ٤٥.
(٥) المائدة: ٦٧.
(٦) الأنفال: ٦٤.
(٧) التوبة: ١٩.
(٨) الملاحاة: المنازعة.

وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الّذين آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِين ﴾[١] قال ابن عباس: كونوا مع علي وأصحابه.

وقوله تعالى: ﴿ إنّما أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هاد ﴾[٢] قال ابن عباس: لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر وأومى بيده إلى منكب عليّ وقال: أنت الهادي يا علي، يهتدي بك المهتدون من بعدي.

قوله تعالى: ﴿ كَفَى بِاللهِ شَهيداً بَيْنِي وبَيْنَكم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتاب ﴾[٣] قال محمّد بن الحنفيّة عليه السلام: هو علي بن أبي طالب.

قوله تعالى: ﴿ إنَّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحمٰنُ وُدّاً ﴾[٤] قال ابن عباس: نزلت في علي بن أبي طالب جعل الله له وداً في قلوب المؤمنين.

ومن سورة الحج في البخاري ومسلم من حديث أبي ذر أنّه كان يقسم قسماً أنّ ﴿ هٰذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ ﴾[٥] نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث الذين بارزوا المشركين يوم بدر، عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد ابن عتبة.

قوله تعالى: ﴿ إنَّ الّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَنَاكِبُون ﴾[٦] يعني صراط محمّد وآله عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿ أفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقيهِ ﴾[٧] هو علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ أفَمَنْ كانَ مُؤمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوون ﴾[٨] المؤمن عليّ والفاسق الوليد، وقد تقدّم ذكر ذلك مستوف.

قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤولون ﴾[٩] قال أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب.

---

(١) التوبة: ١١٩.
(٢) الرعد: ٧.
(٣) الرعد: ١٣.
(٤) مريم: ٩٦.
(٥) الحج: ١٩.
(٦) المؤمنون: ٧٤.
(٧) القصص: ٦١.
(٨) السجدة: ١٨.
(٩) الصافات: ٢٤.

قوله تعالى: ﴿ سلامٌ علىٰ آلِ ياسين ﴾[١] قال ابن السايب: آل ياسين آل محمّد صلّىٰ الله عليه وعليهم.

قوله تعالى: ﴿ والّذي جاء بالصِّدْقِ وصدَّقَ بهِ ﴾[٢] الذي جاء بالصدق: رسول الله، والذي صدّق به: علي بن أبي طالب قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَاً إلّا المَوَدَّةَ في القُربىٰ ﴾[٣] في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تؤذوا فاطمة وعلياً وولديهما.

قوله تعالى: ﴿ السَّابِقُونَ السَّابِقُون * أُولئك المُقَرَّبُون ﴾[٤] هو علي عليه السلام وكان ينشد:

سبقتكم إلى الإسلام طُرّاً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

قوله تعالى: ﴿ والَّذينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلَهُ أولئكَ هُمُ الصدّيقونَ والشُّهداء عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم أجْرُهُمْ ونُورُهُمْ ﴾[٥] نزلت في علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقة ﴾[٦] نزلت في علي عليه السلام وقد تقدّم ذكرها.

قوله تعالى: ﴿ فَإنَّ اللهَ هُوَ مَولاهُ وَجبريلُ وَصَالِحُ المُؤمِنين ﴾[٧] قال مجاهد: هو علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النبيّ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبأيْمانِهِم ﴾[٨] نزلت في علي وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ أُولئكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ ﴾[٩] قالوا: نزلت في علي عليه السلام.

---

(١) الصافات: ١٣٠.
(٢) الزمر: ٣٣.
(٣) الشورى: ٢٣.
(٤) الواقعة: ١٠ ـ ١١.
(٥) الحديد: ١٩.
(٦) المجادلة: ١٢.
(٧) التحريم: ٤.
(٨) الحديد: ١٢.
(٩) البينة: ٧.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1] قيل إنّها نزلت في علي عليه السلام، هذا آخر ما أورده صديقنا العزّ المحدّث فيما نزل فيه عليه السلام.

وأما ما أورده الحافظ أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه فأنا أذكره على سياقته وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب، قال يرفعه بسنده عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية وفيها ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلّا وعليّ رأسها وقائدها.

وروى عن علي عليه السلام قال: نزل القرآن أرباعاً؛ فربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سير وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن.

وعن ابن عباس ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي عليه السلام.

وعن مجاهد نزل في علي سبعون آية.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾[2] وعن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي قل: اللهمّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك وداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة، فنزلت وقد أورده بذلك من عدّة طرق.

قوله تعالى: ﴿ ولكلّ قَومٍ هَاد ﴾ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾** وأومى بيده إلى صدره **﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾** وأشار بيده إلى علي، بك يهتدي المهتدون بعدي، وهو أيضاً من عدّة طرق، وكذا كلّما يورده عليه السلام، فإنّما أقتصر على طريق واحدة، ومن أراد الزيادة فقد دللته على الكتاب.

قوله عزّوجلّ: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ ﴾ المؤمن علي عليه السلام والفاسق الوليد.

وقد تقدم قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ قال عباد بن عبدالله الأسدي: سمعت عليّاً يقول وهو على المنبر: ما من رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه آية أو آيتان، فقال رجل ممّن تحته: فما نزل فيك أنت؟ فغضب ثمّ قال: أمّا إنّك لو لم تسألني على رؤوس القوم ما حدّثتك، ويحك هل تقرأ سورة هود، ثمّ قرأ

---

(١) العصر: ٣.

(٢) قد مضى ذكر السورة ورقم الآية وكذا أكثر الآيات الآتية فلا نذكر إلّا ما لم يسبق ذكرها.

علي عليه السلام: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ رسول الله على بيّنة وأنا الشاهد منه.

قوله عزّوجلّ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ عن ابن عباس: إنّهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ عن ابن عباس قال: مع علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾، عن ابن عباس قال: نزلت في علي عليه السلام كانت عنده أربعة دراهم فتصدّق بالليل والنهار سرّاً وعلانية.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ وقد سبق ذكر هذه الآية وأنّه لم يعمل بها أحد غيره قبله ولا بعده.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ قد سبق ذكرها وأوردت ما ذكره الثعلبي فيها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه إنّ عبدالله بن سلام ونفراً ممّن آمن معه أقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: إنّ منازلنا بعيدة لا نجد أحداً يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد، وإنّ قومنا لمّا رأونا قد صدّقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة، وقد أقسموا أن لا يخالطونا ولا يواكلونا، فشقّ ذلك علينا، فينماهم يشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عليّ قد تصدّق بخاتمه في الصلاة نزلت، ولمّا رأوه وقد أعطاه الخاتم كبّروا قال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾ ـ وقد مرّ ذكر هذا بألفاظ تزيد على هذه الرواية نقلاً من مناقب أبي المؤيّد ـ.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ ﴾ قال علي عليه السلام: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري قال: أي علي ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جئت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين.

قوله تعالى: ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ ﴾ آية المباهلة وقد ذكرتها آنفاً مستوفاة.

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَوىٰ عَلىٰ سُوقِهِ ﴾[١] عن الحسن قال: استوى الإسلام بسيف علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صالح المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وعن ابن عباس مثله.

قوله تعالى: ﴿ جَنّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٍ وَنَخيلٍ صِنْوانٍ وَغَيْرَ صِنْوانٍ يُسْقىٰ بِماءٍ واحِدٍ ﴾[٢] عن جابر بن عبدالله عليه السلام أنّه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: الناس من شجر شتّى وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة، ثمّ قرأ النبي صلى الله عليه وآله.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ والَّذينَ مَعَهُ ﴾[٣] عن ابن عباس قال: أوّل مَنْ يُكسى من حُلل الجنّة إبراهيم لخلّته من الله عزّوجلّ، ثمّ محمّد لأنّه صفوة الله ثمّ علي يُزفّ بينهما إلى الجنان، ثمّ قرأ ابن عباس الآية وقال: علي وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ مسكيناً ﴾ وقد تقدمت.

وقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ وقد ذكرت.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقّ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ الم * أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون ﴾[٦] قال علي عليه السلام: قلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة؟ قال: يا علي بك وإنّك تخاصم فأعد للخصومة.

وقال علي: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا ﴾ نحن أولئك.

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الرعد: ٤.

(٣) التحريم: ٨.

(٤) الفاطر: ٣٢.

(٥) يوسف: ١٠٨.

(٦) العنكبوت: ١ ـ ٢.

وعن أبي جعفر: ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾[1] قال: في أمر علي عليه السلام.

وعنه: ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾[2] قال: علي بن أبي طالب.

﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ علي بن أبي طالب وآل محمّد.

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ علي بن أبي طالب.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عن ابن عباس: ما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلّا وعليّ أميرها وشريفها.

وعنه: ما ذكر الله في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلّا وعليّ شريفها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في آي من القرآن وما ذكر علياً إلّا بخير.

وعنه: مثله، وفيه: إلّا كان عليّ رأسها وأميرها.

وفيه ولقد أمرنا بالإستغفار له.

وعنه: مثله، وفيه: رأسها وقايدها.

وعن حذيفة إلّا كان لعليّ لبّها ولبابها.

وعن مجاهد فإنّ لعليّ سابقة ذلك، لأنّه سبقهم إلى الإسلام.

وعن ابن عباس إلّا وعليّ شريفها وأميرها.

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾[3] عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: هو من ردّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ﴾ عن أبي رافع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وجّه علياً عليه السلام في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إنّ القوم قد جمعوا لكم ﴿ فَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ ابن مسعود كان يقرأ هذا الحرف ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بعلي بن أبي طالب وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾.

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٢

(٢) هود: ٣.

(٣) الزمر: ٣٢.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ إنّها نزلت في بيان الولاية.

وعن زيد بن علي قال: لمّا جاء جبرئيل عليه السلام بأمر الولاية ضاق النبي صلى الله عليه وآله بذلك ذرعاً، وقال: قومي حديثوا عهد بجاهلية، فنزلت.

قال رياح بن الحرث: كنت في الرحبة مع أميرالمؤمنين عليه السلام إذ أقبل ركب يسيرون حتّى أناخوا بالرحبة ثمّ أقبلوا يمشون حتّى أتوا علياً عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال: مَنِ القوم؟ قالوا: مواليك يا أميرالمؤمنين، قال: فنظرت إليه وهو يضحك ويقول: من أين وأنتم قوم عَرَبٌ؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم وهو آخذ بعضدك يقول: أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: إنّ مولاي وأنا مولى المؤمنين وعلي مولى من كنت مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، فقال: أنتم تقولون ذلك؟ قالوا: نعم، قال: وتشهدون عليه؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم، فانطلق القوم وتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من أنتم يا عبدالله؟ قالوا: نحن رهط من الأنصار، وهذا أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخذت بيده فسلّمت عليه وصافحته.

قلت: وقد مرّت هذه الرواية بألفاظ أخصر من هذه من مسند أحمد بن حنبل ورياح بن الحارث.

وفي هذا المعنى ما روي عن حبيب بن يسار عن أبي رميلة أنّ ركباً أربعة أتوا علياً عليه السلام حتّى أناخوا بالرحبة ثمّ أقبلوا إليه فقالوا: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال: وعليكم السلام، أنّى أقبل الركب؟ قالوا: أقبل مواليك من أرض كذا وكذا، قال: أنّى أنتم موالي؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.

وعن ابن عباس قال: لمّا أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله أن يقوم لعلي عليه السلام فيقول له ما قال، فقال صلى الله عليه وآله: يا رب إنّ قومي حديثوا عهد بجاهلية، ثمّ مضى بحجّه، فلمّا أقبل راجعاً نزل بغدير خم أنزل الله عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية، فأخذ بعضد عليّ ثمّ خرج إلى الناس، فقال: أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: اللهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأعِنْ من أعانه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأحبّ من

أحبّة، وأبغض من أبغضه. قال ابن عباس: فوجبت والله في رقاب القوم، وقال حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ واسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولم تر منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

وعن ابن هارون العبدي قال: كنت أرى رأي الخوارج لا رأي لي غيره، حتّى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعته يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، فقال له رجل: يا أبا سعيد ما هذه الأربع التي عملوا بها؟ قال: الصلاة والزكاة والحج والصوم، صوم شهر رمضان، قال: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي ابن أبي طالب، قال: وإنّها مفترضة معهنّ؟ قال: نعم، قال: فقد كفر الناس؟ قال: فما ذنبي!

عن زر بن عبدالله قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ علياً مولى المُؤْمِنين وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس ﴾**.

قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ ﴾[1] عن أنس وبريدة قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾** إلى قوله: **﴿ القُلُوبُ والأَبْصار ﴾** فقام رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقال أبوبكر عليه السلام: يا رسول الله هذا البيت منها؛ يعني بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام؟ قال: نعم من أفاضلها.

قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ﴾[2] قيل: كان علي عليه السلام في أُناس من الصحابة عزموا على تحريم الشهوات فنزلت.

وعن قتادة إنّ علياً عليه السلام وجماعة من الصحابة منهم عثمان بن مظعون أرادوا أن

---

(١) النور: ٣٦.
(٢) المائدة: ٨٧.

يتخلّوا عن الدنيا ويتركوا النساء، ويترهّبوا فنزلت. وعن ابن عباس إنّها نزلت في علي وأصحاب له.

قوله تعالى: ﴿ واجْعَلْ لي لِسانَ صِدْقٍ في الآخرين ﴾[1] عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: هو علي بن أبي طالب عرضت ولايته على إبراهيم عليه السلام فقال: اللهمّ اجعله من ذريّتي ففعل الله ذلك.

قوله تعالى: ﴿ والنَّجْمِ إذا هَوىٰ * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوىٰ * وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ ﴾[2] عن حبّة العرني: لمّا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بسدّ الأبواب التي في المسجد شقّ عليهم، قال حبّة: إنّي لأنظر إلى حمزة بن عبدالمطّلب وهو تحت قطيفة حمراء وعيناه تذرفان[3] ويقول: أخرجت عمّك وأبابكر وعمر والعباس وأسكنت ابن عمّك؟ فقال رجل يومئذ: ما يألو في رفع ابن عمّه! فعلم رسول الله أنّه قد شقّ عليهم، فدعا الصلاة جامعة فصعد المنبر فلم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله خطبة كان أبلغ منها تمجيداً وتوحيداً، فلمّا فرغ قال: يا أيّها الناس، ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجتكم وأسكنته وقرأ ﴿ والنَّجْمِ إذا هَوىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ إنْ هُوَ إلّا وَحيٌ يُوحىٰ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ * إلّا الّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحات ﴾ عن ابن عباس: ﴿ إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ ﴾ يعني أبا جهل، ﴿ إلّا الّذين آمَنُوا ﴾ علي وسلمان.

﴿ والسّابِقُون الأوّلُون ﴾[4] علي وسلمان.

﴿ وَبَشِّرِ المُخْبِتين ﴾ إلى قوله: ﴿ وَممّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُون ﴾[5] قال: منهم علي وسلمان رضي الله عنهما.

قوله تعالى: ﴿ وَتَواصَوْا بالصَّبْرِ ﴾ عن ابن عباس إنّها نزلت في علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ إنَّ الّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا الحُسْنىٰ أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُون ﴾[6] عن

---

(١) الشعراء: ٨٤.

(٢) النجم: ١ـ٣.

(٣) ذرف الدمع: سال.

(٤) التوبة: ١٠٠.

(٥) الحج: ٣٥.

(٦) الأنبياء: ١٠١.

النعمان بن بشير إنّ علياً عليه السلام تلاها ليلة وقال: أنا منهم وأُقيمت الصلاة فقام وهو يقول: ﴿ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾[1] عن أبي سعيد: لتعرفنّهم في لحن القول ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2] عن علي عليه السلام قال: الحسنة حبّنا أهل البيت، والسيّئة بغضنا، من جاء بها أكبّه الله على وجهه في النّار.

قوله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾ عن أبي جعفر عليه السلام قال: هو علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[3] عن أبي جعفر: دعاكم إلى ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكر أصحابه الجنّة، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل أهل الجنّة دخولاً إليها علي بن أبي طالب. قال أبو دجانة الأنصاري: يا رسول الله أخبرتنا إنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتّى تدخلها أُمّتك، قال: بلى يا أبا دجانة، أما علمت أنّ لله لواءً من نور وعموداً من ياقوت مكتوب على ذلك النور لا إله إلّا الله محمّد رسولي آل محمّد خير البريّة، صاحب اللواء إمام القيامة وضرب بيده إلى علي بن أبي طالب، قال: فسرّ رسول الله بذلك علياً فقال: الحمد لله الذي كرّمنا وشرّفنا بك، فقال له: أبشر يا علي ما من عبد ينتحل مودّتنا[4] إلّا بعثه الله معنا يوم القيامة، ثمّ قرأ رسول الله: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[5] عن علي عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ فيك مثلاً من عيسى أحبّه قوم فهلكوا فيه وأبغضه قوم فهلكوا فيه، فقال المنافقون: أما رضى له مثلاً إلّا عيسى فنزلت.

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٠.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) وفي بعض النسخ «مودتك» بدل «مودتنا».

(٥) الزخرف: ٥٧.

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[1] عن زاذان عن علي عليه السلام: تفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ وهم أنا وشيعتي.

قوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[2] عن بريدة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إنّ الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أُعلّمك وأن تعي، فنزلت، وحقّ على الله أن تعي فنزلت.

وعن مكحول قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية ثمّ أقبل على عليّ فقال: إنّي سألت الله أن يجعلها أُذنك.

وبالإسناد قال: فسألت ربي فقلت: اللهمّ اجعلها أُذن عليّ فكان عليّ عليه السلام يقول: ما سمعت من نبيّ الله صلى الله عليه وآله كلاماً إلّا وعيته وحفظته فلم أنسه.

قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ ﴾ الآية، وقد تقدّم ذكرها.

قوله تعالى: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ﴾[3] عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام إنّها نزلت في علي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾[4] عن مقاتل ابن سليمان إنّها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك أنّ نفراً من قريش كانوا يؤذونه ويكذبون عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وبِالرَّسُولِ وأَطَعْنَا ﴾[5] عن ابن عباس إنّها نزلت في عليّ ورجل من قريش ابتاع منه أرضاً.

قوله تعالى: ﴿ وهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾[6] هو علي وفاطمة عليهما السلام.

---

(١) الأعراف: ١٨١.

(٢) الحاقة: ١٢.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) الأحزاب: ٥٨.

(٥) النور: ٤٧.

(٦) الفرقان: ٥٤.

قوله تعالى: ﴿وَأُولوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ في كِتابِ الله مِنَ المؤْمِنين والمُهاجرين﴾[1] قيل: ذلك علي عليه السلام لأنّه كان مؤمناً مهاجراً ذا رحم.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون ● أولئِكَ المُقَرَّبُون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يوشع بن نون سبق إلى موسى بن عمران عليه السلام، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى بن مريم، وعلي بن أبي طالب عليه السلام سبق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينكم﴾ الآية، عن أبي سعيد حديث غدير خم ورفعه بيد علي عليه السلام فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وآله: الله أكبرُ على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغاء مَرضات الله﴾ نزلت في مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تقدم ذكرنا لها.

قوله تعالى: ﴿وأَطيعُوا اللهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولى الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2] عن عبدالغفار بن القاسم قال: سألت جعفر بن محمّد عليهما السلام عن (أولى الأمر) في هذه الآية فقال: كان والله عليّ منهم.

قوله تعالى: ﴿وأَذانٌ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾[3] هو حين أذن علي عليه السلام بالآيات من سورة براءة وقد تقدم ذكرنا لها من مسند أحمد بن حنبل حين أنفذها مع أبي بكر رضي الله عنه وأتبعه بعلي عليه السلام وقال: قد أمرت أن لا يبلغها إلّا أنا أو واحد منّي.

قوله تعالى: ﴿طُوبىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مآب﴾[4] عن محمّد بن سيرين قال: هي شجرة في الجنّة أصلها في حجرة عليّ وليس في الجنّة حجرة إلّا وفيها غصن من أغصانها.

---

(١) الأحزاب: ٦٠.

(٢) المائدة: ٥٩.

(٣) التوبة: ٣.

(٤) الرعد: ٢٩.

قوله تعالى: ﴿ فإمَّا نَذْهَبَنَّ بك فإنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُون ﴾[1] عن ابن عباس قال: منتقمون بعلي عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيان ﴾[2] عن أنس قال: عليّ وفاطمة **﴿ يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤلؤ والمَرجان ﴾** قال: الحسن والحسين عليهما السلام.

وعن ابن عباس علي وفاطمة **﴿ بَيْنَهُما برزخ ﴾** النبي صلى الله عليه وآله **﴿ يَخْرُجُ مِنْهُما ﴾** الحسن والحسين صلوات الله عليهم.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إلّا المَوَدَّةَ في القُربىٰ ﴾ عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من هؤلاء الذين يجب علينا حبّهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما، قالها ثلاث مرّات. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿ والَّذي جاء بالصِّدْقِ وصدَّقَ بهِ ﴾ عن مجاهد: نزلت في علي عليه السلام.

وعن أبي جعفر عليه السلام **﴿ الَّذي جاء بالصِّدْقِ ﴾** محمّد صلى الله عليه وآله والذي **﴿ صدَّقَ بِهِ ﴾** علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُون ﴾ عن علي عليه السلام قال: ناكبون عن ولايتنا.

قوله تعالى: ﴿ مَنْ جاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَومئذٍ آمِنُون * وَمَنْ جاء بالسيّئة فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النَّار ﴾ قال علي عليه السلام: الحسنة حبّنا، والسيّئة بغضنا.

قوله تعالى: ﴿ ونادىٰ أصْحابُ الأعْرافِ رجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بسيماهُمْ ﴾[3] عن علي عليه السلام قال: نحن أصحاب الأعراف من عرفناه بسيماه أدخلناه الجنّة.

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ وَهُوَ على صراطٍ مُستقيم ﴾[4] قيل: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ سَلامٌ علىٰ آلِ ياسين ﴾، وقوله: **﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتاب ﴾**، وقوله: **﴿ وَأمَّا مَنْ أُوتيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ ﴾** عن ابن عباس: آل ياسين آل محمّد، ونحن

---

(١) الزخرف: ٤١.

(٢) الرحمن: ٢١.

(٣) الأعراف: ٤٨.

(٤) النحل: ٧٦.

كباب حطّة في بني إسرائيل، ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ علي عليه السلام. وقوله ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام.

﴿ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ على صراطٍ مُستقيم ﴾ قيل: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ الآية، وقد تقدم ذكر ما أوردته أُم سلمة وعائشة رضي الله عنهما وغيرهما في ذلك، وقد أورد الحافظ أبوبكر ابن مردويه ذلك من عدّة طرق لعلّها تزيد على المائة فمن أرادها فقد دللته.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقيهِ ﴾ عن مجاهد: نزلت في علي وحمزة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجري مِنْ تَحتها الأَنْهار ﴾ قيل: نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث حين بارزوا عتبة وشيبة والوليد، فأمّا الكفّار فنزل فيهم: ﴿ هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَذابَ الحَريق ﴾ وفي علي وأصحابه: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا في صُدُورهم مِنْ غِلٍّ إِخْواناً على سُرُرٍ مُتقابِلين ﴾[1] عن أبي هريرة قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله أيّما أحبّ إليك أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحبّ إليّ منك وأنت أعزّ عليّ منها، وكأنّي بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس وإنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنّة إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنّة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ إِخْواناً على سُرُرٍ مُتقابِلين ﴾، لا ينظر أحدهم في قفاء صاحبه.

قوله تعالى: ﴿ يُعْجِبُ الزُّرّاع لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفَّار ﴾[2] عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

قوله عزّوجلّ: ﴿ وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعين ﴾ عن ابن عباس: نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ خاصة وهما أوّل من صلّى وركع.

قلت: هذا ما نقلته ممّا نزلت فيه عليه السلام من طرق الجمهور، فإنّ العزّ المحدّث كان

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) الفتح: ٢٩.

صديقنا وكنّا نعرفه وكان حنبلي المذهب، وابن مردويه وإن كان قد جمع كتاباً في مناقبه عليه الصلاة والسلام اجتهد فيه وبالغ فيما أورده ولم يأل جهداً، فقد أورد فيه مواضع لا يقولها الشيعة ولا يوردونها، ولم أذكر نزول القرآن فيه عليه السلام من طرق أصحابنا دفعاً للمكابرة واستغناءاً بما نقلوه من مناقبه عليه الصلاة والسلام.

قال فيه البليغ ما قال ذو ... العى فكلّ بفضله منطيق
وكذاك العدو لم يبعد أن ... قال جميلا كما يقول الصديق

في ذكر المؤاخاة له عليه السلام

من مسند أحمد بن حنبل عن سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين الصحابة، فبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوبكر وعمر وعلي فآخى بين أبي بكر وقال لعلي عليه السلام: أنت أخي.

وبالإسناد عن عمر بن عبدالله عن أبيه عن جدّه أنّ النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك عليّاً حتّى بقي آخرهم، لا يرى له أخاً فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني؟ قال: ولمن تراني تركتك، إنّما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب.

وبالإسناد عن زيد بن آدمي قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر عليه السلام قصّة مواخاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فقال عليّ: لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط عليّ فلك العتبى والكرامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق ما اخترتك إلّا لنفسي فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي، قال: قال: وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: ما ورث الأنبياء قبلي؛ كتاب الله وسنّة نبيّهم، وأنت معي في قصري في الجنّة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي، ثمّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[1] المتحابّون في الله ينظر بعضهم إلى بعض.

وبالاسناد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه إنّ عليّاً كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتّى

---

(١) الصافات: ٤٤.

أموت، والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارثه ومن أحقّ به منّي ؟!

وبالإسناد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: طلبني رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدني في حائط نائماً، فضربني برجله وقال: قم والله لأرضينّك، أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنّتي، من مات على عهدي فهو في كنف الله[1]، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبّك بعد موتك يختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت.

عن جابر مثله وفي آخره: عليّ أخي وصاحب لوائي.

وعن علي عليه السلام بالإسناد قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبدالمطلب فيهم رهط كلّهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق[2]، قال: فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتّى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمس، ثمّ دعا بغمر[3] فشربوا حتّى رووا وبقي الشراب كأنّه لم يشرب منه ولم يمس، فقال: يا بني عبدالمطّلب إنّي بعثت إليكم خاصّه وإلى الناس عامّة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ؟ قال: فلم يقم إليه أحد، فلمّا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي.

قال أفقر عباد الله تعالى إلى رحمته علي بن عيسى بن أبي الفتح عفى الله تعالى عنه: هذا الحديث قد سبق ذكره أبسط من هذا، ولكنّي نقلته هنا من كتاب العمدة لابن البطريق أحسن الله جزاه فتبعت ما رواه.

قال: ومن مناقب الفقيه أبي الحسن بن المغازلي عن أنس قال: لمّا كان يوم المباهلة آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعلي واقف يراه ويعرف مكانه ولم يواخ بينه وبين أحد، فانصرف علي باكي العين فافتقده النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما فعل أبوالحسن ؟ قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله، قال: يا بلال اذهب فأتني به، فمضى بلال إلى علي عليه السلام وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة: ما يُبكيك لا أبكى الله عينيك ؟ قال: يا فاطمة آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يواخ بيني وبين أحد! قالت عليها السلام: لا يحزنك الله، لعلّه إنّما ادّخرك

---

(١) وفي المخطوطتين «في كنز الله» مكان «كنف الله».

(٢) الجذعة مؤنث الجذع وهو من البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية. والفرق مكيال قيل إنّه ستة عشر رطلاً.

(٣) الغمر ـ كصرد ـ: قدح صغير وقيل: أصغر الأقداح.

لنفسه، فقال بلال: يا علي أجب النبي صلى الله عليه وآله، فأتى علي النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا أباالحسن؟ فقال: واخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تواخ بيني وبين أحد؟ قال: إنّما ذخرتك لنفسي ألا يسرّك أن تكون أخا نبيّك؟ قال: بلى يا رسول الله، أنّىٰ لي بذلك؟ فأخذ بيده فأرقاه المنبر، فقال: اللهمّ إنّ هذا منّي وأنا منه، إلّا أنّه منّي بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه. قال: فانصرف علي قرير العين، فأتبعه عمر بن الخطاب عليه السلام فقال: بخٍ بخٍ يا أباالحسن أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم.

وبالاسناد عن زيد بن أرقم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّي مواخ بينكم كما آخى الله تعالى بين الملائكة، ثمّ قال لعلي: أنت أخي ورفيقي ثمّ تلا هذه الآية ﴿ **إخْوَاناً علىٰ سُرُرٍ مُتقابِلِين** ﴾ الأخلاء في الله ينظر بعضهم إلى بعض.

وعن الدارقطني يرفعه إلى ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وبالإسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير إخواني علي.

وبالإسناد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يوم المواخاة: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وبالإسناد عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، كان يواخي بين الرجل ونظيره، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي. قال حذيفة: فرسول الله صلى الله عليه وآله سيّد المرسلين وإمام المتقين ورسول ربّ العالمين الذي ليس له شبيه ولا نظير، وعلي أخوه.

ينيل العدوّ والصديق وإنّما يعادي الفتى أمثاله ويصادِقُ

وبالإسناد عن أبي الحمراء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت على ساق العرش الأيمن: أنا وحدي لا إله غيري، غرست جنّة عدن بيدي، محمّد صفوتي، أيّدته بعلي.

ومن الجمع بين الصحاح الست لرزين العبدي في باب مناقب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: وبالإسناد المقدم من سنن أبي داود وصحيح الترمذي عن ابن عمر قال: لمّا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه جاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد؟ قال: فسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: أنت

أخي في الدنيا والآخرة.

قال يحيى بن الحسن بن البطريق: قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت أخي في الدنيا والآخرة أراد بذلك غاية المدحة له، ونهاية المبالغة في علوّ المنزلة، لأنّه صلى الله عليه وآله لمّا آخى بين المرء ونظيره ولم يجد لعلي عليه السلام نظيراً غيره فهو نظيره من وجوه:

نظيره في الأصل: بدليل شاهد النسب الصريح بينهما بالا إرتياب.

ونظيره في العصمة: بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيرا** ﴾.

ونظيره في أنّه ولي الأمّة بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾، واختصاص هذه الآية بأمير المؤمنين عليه السلام قد تقدم من الصحاح.

ونظيره في الأداء والتبليغ بدليل الوحي الوارد عليه يوم إعطاء سورة براءة لغيره فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: لا يؤدّيها إلّا أنت أو من هو منك، فاستعادها منه فأدّاها علي عليه السلام بوحي الله تعالى في الموسم بما تقدّم ثبوت طرقه، وبما يأتي ذكره أنّه لا يؤدّي عنه إلّا هو أو علي في باب ذكر خاصف النعل.

ونظيره في كونه عليه السلام مولى الأمّة بدليل قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه بما تقدم ذكره من عدّة طرق.

ونظيره في مماثلة نفسيهما وأنّ نفسه قامت مقام نفسه صلى الله عليه وآله، وأنّ الله قد جعله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَائَنَا وَنِسَائَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ فجعل نفس عليّ نفسه صلى الله عليه وآله لأنّه صلى الله عليه وآله قال: ﴿ **تَعَالَوْا نَدْعُ** ﴾ والداعي لا يدعو نفسه وإنّما يدعو غيره فثبت أنّ المراد بنفسه في الدعاء نفس علي عليه السلام وبذلك ورد تفسير هذه الآية وقد تقدم ذكرها.

ونظيره في فتح بابه في المسجد كفتح باب رسول الله صلى الله عليه وآله، وجوازه في المسجد كجوازه، ودخوله في المسجد جنباً كحال رسول الله على السواء، وقد ذكرت ذلك وسأذكره فيما بعد.

فثبتت المناظرة والمشابهة والمشاكلة له بالنبي صلى الله عليه وآله إلّا ما استثناه من الأمر الذي لا نظير له فيه، وهو النبوّة بقوله: إلّا أنّه لا نبي بعدي، فلذلك صحّ من النبي صلى الله عليه وآله

أن يجعله أخاه في الدنيا والآخرة، بما ثبت له من المشابهة والمشاكلة في هذه المنازل، بمشاركته له في منزله في الجنّة بما تضمّنته هذه الأخبار.

في ذكر سدّ الأبواب

من مسند أحمد بن حنبل رحمة الله عليه عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد، فقال يوماً: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي، قال: فتكلّم في ذلك أُناس، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكنّي أُمرت بشيء فاتّبعته.

وبالإسناد المتقدم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه أنّ عمر بن الخطاب عليه السلام قال: لقد أُوتي علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاثاً لأن أكون أوتيتها أحبّ إليّ من أن أُعطى حمر النّعم: جوار رسول الله صلى الله عليه وآله له في المسجد، والراية يوم خيبر، والثالثة نسيها سهيل.

وبالإسناد عن ابن عمر قال: كنّا نقول: خير الناس أبوبكر وعمر، ولقد أوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله بنته، وولدت له، وسدّ الأبواب إلّا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر.

ومن مناقب الفقيه ابن المغازلي عن عدي بن ثابت قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسجد فقال: إنّ الله أوحى إلى نبيّه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا موسى وهارون وإبنا هارون، وإنّ الله أوحى إليّ أن ابني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا أنا وعلي وابنا علي.

وبالإسناد المتقدم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لمّا قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله المدينة لم يكن لهم بيوت فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا، ثمّ إنّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبابكر عليه السلام، فقال: إنّ رسول الله يأمرك أن تخرج من المسجد وتسدّ بابك، فقال: سمعاً وطاعة، فسدّ بابه وخرج من المسجد، ثمّ أرسل إلى عمر عليه السلام فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله

غير أنّي راغب إلى الله تعالى في خوخة في المسجد، فأبلغه معاذ ما قاله عمر، ثمّ أرسل إلى عثمان عليه السلام وعنده رقية فقال: سمعاً وطاعة، فسدّ بابه وخرج من المسجد، ثمّ أرسل إلى حمزة عليه السلام فسدّ بابه فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، وعلي عليه السلام على ذلك متردّد لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج؟ وكان النبي صلى الله عليه وآله قد بنى له في المسجد بيتاً بين أبياته، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أُسكن طاهراً مطهّراً، فبلغ حمزة قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي، فقال: يا محمّد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبدالمطلب؟ فقال له نبي الله: لو كان الأمر إلي ما جعلت دونكم من أحد، والله ما أعطاه إيّاه إلّا الله وإنّك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر فبشّره النبي صلى الله عليه وآله فقُتل يوم أُحد شهيداً، ونفّس ذلك رجال على علي عليه السلام، فوجدوا في أنفسهم وتبيّن فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقام خطيباً فقال: إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أسكن عليّاً في المسجد، والله ما أخرجتهم ولا أسكنت، إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى موسى وأخيه أن ﴿ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وأقيموا الصّلاة ﴾[1] وأمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله إلّا هارون وذريّته، وإنّ عليّاً بمنزلة هارون من موسى وهو أخي دون أهلي ولا يحلّ مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلّا علي وذريّته، فمن ساءه فهاهنا وأومى بيده نحو الشام.

وبالإسناد عن سعيد بن أبي وقّاص قال: كانت لعلي مناقب لم تكن لأحد، كان يبيت في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر، وسدّ الأبواب إلّا باب علي.

وبالإسناد عن البراء بن عازب قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبوابٌ شارعة في المسجد، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سدّوا هذه الأبواب غير باب علي، فتكلّم في ذلك ناس فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي عليه السلام، فقال قائلكم، وإنّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشيء فأتبعته.

وبالإسناد المقدم عن سعد أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر بسدّ الأبواب فسدّت وترك باب علي، فأتاه العباس عليه السلام فقال: يا رسول الله سددت أبوابنا وتركت باب علي؟ فقال: ما أنا فتحتها ولا أنا سددتها.

---

(١) يونس: ٨٧.

وبالإسناد عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله سدّ أبواب المسجد غير باب علي.

وبالإسناد عن ابن عباس أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بسدّ الأبواب كلّها فسُدّت إلّا باب علي.

وبالإسناد عن نافع مولى ابن عمر قال: قلت لابن عمر: من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: ما أنت وذاك لا أُمّ لك؟ ثمّ استغفر الله وقال: خيرهم بعده من كان يحلّ له ما يحلّ له، ويحرم عليه ما يحرم عليه. قلت: من هو؟ قال: علي، سدّ أبواب المسجد وترك باب علي، وقال: لك في هذا المسجد مالي وعليك فيه ما عليّ، وأنت وارثي ووصيّي، تقضي ديني وتنجز عداتي، وتقتل على سنّتي، كذب من زعم أنّه يبغضك ويحبّني.

قال الشيخ العالم يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي رحمه الله: فقد أبان الله سبحانه وتعالى الفرق بين أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبين غيره، فيما حلّ له وحرّم على غيره، وإذا كان الحرام على غيره حلاًّ له وجبت ميزته، وثبتت عصمته، لموضع الأمن منه لوقوع ما يكره الله سبحانه، ووقوعه من غيره وهذا محمول على ما تقدّم من شواهد الكتاب العزيز له ولولديه وزوجته عليهم السلام، وهو قوله تعالى: ﴿ **إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيرا** ﴾ والنبي صلى الله عليه وآله فتح أبواب الجميع على ظاهر الحال لأنّ ظاهرها كانت صالحة ولا يعلم النبي من حال الأُمّة غير الظاهر إلّا ما يطلعه عليه القديم تعالى الذي يعلم الغيوب والبواطن، ففتح الأبواب للجميع ولم يفرق بين القريب والصاحب لظاهر الأحوال الصالحة، فمنع القديم تعالى للقوم من الجواز وسدّ أبوابهم لا يخلو من قسمين: إمّا أن يكون على ظاهر الحال أو على باطنها؛ فظاهر الحال قد بيّنّا أنّها كانت صالحة، وهي التي بيّن النبي صلى الله عليه وآله فيها فعله في الإباحة، فلم يبق إلّا أن يكون منع الله تعالى لهم على باطن الحال لا على ظاهره، لأنّه سبحانه وتعالى هو المتولّي للبواطن، فعلم سبحانه وتعالى من حاله وصلاحها ما لم يحط به النبي صلى الله عليه وآله علماً إلّا بعد وحي الله تعالى إليه، لأنّ علم الغيب إليه لا إلى غيره تعالى ولا يحيط بعلم الغيب ولا يظهر عليه إلّا لمن ارتضاه الله من رسله، كما قال: ﴿ **فلا يُظْهِرُ علىٰ غَيبِهِ أحداً إلّا مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رسول** ﴾[1]، وإذا كان عليه السلام قد انفرد بصلاح

---

(١) الجن: ٢٦ ـ ٢٧.

الباطن دون غيره وشاركهم في صلاح الظاهر فقد اتّفق له صلاحهما معاً فظهرت ميزته على الناس بما عرّفه الله من باطن حاله ولم يعرّفه من غيره وهذا واضح.

ثمّ إنّ منعهم من الجواز إمّا أن يكون بسبب موجب أو لغير سبب ولا جائز أن يعرى من سبب، لأنّ العبث والخلق من الحكمة في أفعال الله محال، فتعيّن أن يكون لسبب وحكمة، وإذا ثبت وجه الحكمة في منع غيره وإباحته هو ﷺ فثبت له ما لا يشاركه فيه غيره، فوجب له الفضل على غيره، ووجب اتّباعه والإقتداء به لتخصّصه بهذه المنزلة الحاصلة له بوحي من الله تعالى، وأقوال النبي ﷺ فيه تعضد هذا، أو تدلّ على صلاح باطنه ﷺ كقوله: عليّ منّي وأنا منه، وكقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وكقوله: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وكقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله ﷺ: صلّت الملائكة عَلَيَّ وعلى عليّ سبع سنين قبل الناس، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيرا ﴾ وغير ذلك من مناقبه ومزاياه ومآثره وسجاياه، التي تفوت الحد وتتجاوز العد ولولا ثبوت ذلك له لما أنزله من نفسه بهذه المنازل، ولما أقامه مقام نفسه في شيء من ذلك، ولا أذن له في تخصيصه وتبيّن مكانه بما ميّزه عن الأمثال والأضراب باستبداده، وبصلاح باطنه ومشاركته غيره في الظاهر.

وكما تميّز على الأصحاب في فتح بابه دون أبوابهم بصلاح الباطن فقد امتاز عليهم في الظاهر وهو أنّه يعتبر بأشياء أوّلها العلم وهو موجب للفضل بدليل قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُون والَّذين لا يَعْلَمُون ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ﴾ وقوله عزّوجلّ: ﴿ وما يَعْقِلُها إِلَّا العالِمُون ﴾، وعلي ﷺ أعلم الأمّة بعد رسول الله ﷺ لرجوع الصحابة إلى حكمه، وعملهم في كثير من قضاياهم برأيه، ولم يسأل هو أحداً، ولا رجع إلى حكمه وهذا ثابت واضح قد نقله الناس في كتبهم وصحاحهم، ولأنّه وارثه بقوله: ترث منّي ما ورث الأنبياء من قبلك، وهو كتاب الله وسنّة نبيّهم، ومن ورث الكتاب والسنّة فهو أعلم الناس لأنّ العلم لا يخرج عنهما.

في ذكر أحاديث خاصف النعل

أذكر أحاديث في ذكر خاصف النعل من الصحاح الستة لرزين العبدري من الجزء الثالث في ذكر غزوة الحديبية من سنن أبي داود وصحيح الترمذي بالإسناد

الأول، قال: لمّا كان يوم الحديبية خرج إلينا أُناس من المشركين من رؤسائهم، فقالوا: قد خرج إليكم من أبنائنا وأرقّائنا، وإنّما خرجوا فراراً من خدمتنا فارددهم إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر قريش لتنتهنّ عن مخالفة أمر الله أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف، الذين قد امتحن الله قلوبهم للتقوى. قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: من أولئك يا رسول الله؟ قال: منهم خاصف النعل، وكان قد أعطى عليّاً عليه السلام نعله يخصفها.

ومن مسند أحمد بن حنبل رحمة الله عليه عن علي عليه السلام أنّ سهيل بن عمرو أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ قومنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب حتّى رؤي الغضب في وجهه ثمّ قال: لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين، قيل: يا رسول الله، أبوبكر؟ قال: لا، قيل: فعمر؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل في الحجرة، ثمّ قال علي: أمّا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تكذبوا عَلَيّ فمن كذّب عَلَيّ متعمّداً أولجته النّار.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليبعثنّ أو لأبعثنّ إليهم رجلاً يمضي فيهم أمري، فيقتل المقاتلة، ويسبي الذرّيّة. قال: فقال أبوذر: فما راعني إلّا بردُ كفّ عمر في حجرتي من خلفي، قال: من تراه يعني؟ قلت: ما يعنيك ولكن يعني خاصف النعل يعني عليّاً عليه السلام.

قال علي بن عيسى عفى الله عنه: قد سبق ذكري لهذه الأحاديث بألفاظ تقارب هذه، وإنّما أوردتها هاهنا لأذكر عقيبها ما أورده ابن البطريق عقيب إيرادها.

قال عليه السلام: اعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما قال ذلك تنويهاً بذكر أميرالمؤمنين ونصّاً عليه بأمور منها: إنّه وليّ الأمّة بعده، لأنّه قال: يضرب رقابكم على الدين بعد قوله: امتحن الله قلبه للإيمان، وجعل ذلك ببعث الله سبحانه وتعالى له لا من قِبَل نفسه، وهذا نصّ منه صلى الله عليه وآله ومن الله سبحانه وتعالى على أميرالمؤمنين عليه السلام لاستحقاق استيفاء حقّ الله تعالى له ممّن كفر ولا يستحقّ ذلك بعد النبي إلّا الإمام، ودليل صحّته قوله صلى الله عليه وآله في خبر من هذه الأخبار رجلاً منّي، أو قال: مثل نفسي، فدلّ على أنّ المراد بذلك التنويه باستحقاق الولاء لكونه مثل نفسه، إذ قال: مثل نفسي، ويزيده بياناً وإيضاحاً قول عمر بن الخطّاب عليه السلام في حديث آخر: وقسمه بالله تعالى أنّه ما اشتهى الإمارة إلّا يومئذ، والمتمنّي والمشتهي لا يطلب ما هو دون قدره بدليل قوله تعالى:

﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ ﴾[1] فالمتمنّى يكون بما فضّل به البعض على البعض لا لما استووا فيه، ويزيده بياناً ما تقدّم في الخبر من قول أبي بكر: أنا هو يا رسول الله صلّى الله عليك وآلك؟ قال: لا، ولو لم يعلما أنّ ذلك كان علامة من النبي ﷺ تدلّ على مستحقّ الأمر بعده ما تطاولا إلى طلبه ذلك.

فإن قيل: إنّما تطاولا لذلك ذلك لأنّه أمر محبوب إلى كلّ أحد أن يكون قد امتحن الله قلبه للإيمان لا لموضع استحقاق الأمر بعده.

قلنا: الذي يدلّ على أنّه لاستحقاق الولاء دون ما عداه قوله ﷺ: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فجعل القاتلين سواء لأنّه ذكرهما بكاف التشبيه لأنّ انكار التأويل كإنكار التنزيل لأنّ منكر التنزيل جاحد لقبوله، ومنكر التأويل جاحد لقبول العمل به، فهما سواء في الجحود، وليس مرجع قتال الفريقين إلّا إلى النبي أو إلى من يقوم مقامه، فدلّ على أنّ الكتابة إنّما كانت لاستحقاق الإمامة كما تقدم.

فأمّا ما ورد في الخبر بلفظ الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وهو واحد فلا يخلو إمّا أن يكون الراوي غيّره إمّا غلطاً وإمّا تعمّداً للغلط ليضيّع الفائدة أو يكون ورد هكذا، فإن كان الأوّلان فالواقع من كون المعيّن واحداً يدلّ على بطلانه، وإن كان الثالث فهو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ فذكره سبحانه في هذه الآية في موضعين بلفظ الذين وهو واحد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وأَنْفُسَنا وأَنْفُسَكُم ﴾ على الجمع وهو واحد.

وأمّا قوله ﷺ: منهم خاصف النعل، فلم يرد أن ثمّ من هو بهذه الصفة ولكنّه أراد أنّ هذه الصفة موجودة فيه لا في غيره، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ ومِنْهُمُ الَّذِين يُؤْذُونَ النبي ﴾ لم يرد بذلك إلّا جميع من قال بهذه المقالة ولم يستثن بعضاً من كل. وقوله تعالى: ﴿ ومِنْهُمْ أُمِّيّونَ لا يَعْلَمُون الكِتَابَ إلّا أَمَانِيَّ ﴾ وأراد بذلك جميع من كان بهذه الصفة وإبانة من هو مستحق لإطلاقها عليه. وقوله تعالى: ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ لم يرد أنّه ترك البعض ممّن هو بهذه الصفة ترك البعض وإنّما أراد بيان من هو مستحق لهذه الصفة دون غيره لا لأنّه بعض.

---

(١) النساء: ٣٢.

في قول النبي صلى الله عليه وآله: أنت وارثي وحامل لوائي وما هو مكتوب على باب الجنّة

من مسند أحمد بن حنبل رضي الله عنه إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين وقال: أنت يا علي منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي، أما علمت يا علي أنّ أوّل من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي، فأقوم عن يمين العرش فأكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمّ يُدعى بالنبيّين بعضهم على أثر بعض، فيقومون سماطين[1] عن يمين العرش ويُكسَوْن حلل خضراً من حلل الجنّة، ألا إنّي أُخبرك يا علي أنّ أُمّتي أوّل الأُمم يحاسبون يوم القيامة، ثمّ أنت أوّل من يُدعى بك لقرابتك ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد، فتسير به بين السماطين آدم عليه السلام وجميع خلق الله يستظلّون بظلّ لوائي، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، وله ثلاث ذوائب من نور، ذوابة في المشرق، وذوابة في المغرب، والثالثة وسط الدنيا، مكتوب عليها ثلاثة أسطر: الأوّل ـ بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني ـ الحمد لله ربّ العالمين، والثالث ـ لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، طول كلّ سطر ألف سنة، وعرضه ألف سنة.

قال علي بن عيسى عفى الله عنه: هكذا أورده ابن البطريق رضي الله عنه، وقدرة الله لا يعظم فيها شيء من الممكنات.

قال: فتسير باللواء والحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش، ثمّ تُكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمّ ينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ، أبشر يا علي إنّك تُكسى إذا كُسيت وتُدعى إذا دُعيت، وتُحيى إذا حييت.

وبالإسناد المتقدم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُعطيت في عليّ خمس خصال هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها:

أمّا واحدة فهو كاب[2] بين يدي الله عزّوجلّ حتّى يفرغ الناس من الحساب.

وأمّا الثانية: فلواء الحمد بيده وآدم عليه السلام ومن ولد تحته.

---

(١) السماط: الجماعة من الناس.

(٢) من قولهم كبى لوجهه: سقط.

وأمّا الثالثة: فواقف على عقر حوضي[١] يسقي من عرف من أُمّتي.

وأمّا الرابعة: فساتر عورتي ومسلّمي إلى ربّي عزّوجلّ.

وأمّا الخامسة: فلست أخشى عليه أن يرجع زانياً بعد إحصان، ولا كافرا بعد إيمان[٢].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت مكتوباً على باب الجنّة لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي أخوه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: مكتوب على باب الجنّة محمّد رسول الله عليّ أخو رسول الله قبل أن تخلق السماوات بألفي عام، ومثله من مناقب الخوارزمي.

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: لكلّ نبي وصي ووارث، وإنّ وصيّي ووارثي علي بن أبي طالب.

قال ابن البطريق: اعلم أنّ في هذه الأخبار دليل على نفي الشك عن أميرالمؤمنين إلّا أن يكون رسول الله ﷺ أوّلاً لأنّه قال: إنّه وارثه، وفسّر ما يرثه منه، فقال: كتاب الله وسنّة الرسول، وذكر أنّ ذلك هو وراثة الأنبياء قبله، وهذا هو؟ غاية التنويه بذكره في استحقاق الأمر بعده. لأنّ الميراث هو حقّ جعله الله تعالى لمستحقّه ليس بجعل المتوفى، فإذا كان ميراث الأنبياء هو الكتاب والسنّة وهما مستحقّان من قبل الله تعالى، وبهما صحّت النبوّة، والإمامة فرع عليها فوارثهما قائم مقام الأنبياء، وجارٍ على طرائقهم، وحينئذ يجب على الأُمّة اتّباعه والإنقياد إلى طاعته، فيكونوا عند ذلك لربّهم طائعين ولنبيّهم تابعين، لأنّ من كان وارثاً لما به صحّت النبوّة كان أعلم به، ووجب اتّباعه، وقد ثبتت الإمامة لعلي عليه السلام بما ثبتت به النبوّة للنبي ﷺ، فتارك الإقتداء بإمامته عليه السلام كتارك الإقتداء بنبوّته ﷺ.

قال علي بن عيسى رحمه الله: هذا ما لخّصته من كتاب ابن البطريق من فصل ذكر المواخاة إلى هنا، فإن ذكرت شيئاً من كتابه بعد هذا نبّهت عليه.

---

(١) العقر ـ بالضم ـ: مؤخر الحوض وقبل مقام الشارب منه.

(٢) كأنّه تعريض على غيره ممّن رجع كافراً بعد الإيمان بعد موت رسول الله ﷺ او في زمن حياته.

ذكر مخاطبته بأميرالمؤمنين في عهد النبي صلّىٰ عليه وآله الطاهرين

يقول علي بن عيسى مستمدّاً من الله حسن التوفيق، ومستهدياً برحمته إلى سواء الطريق: إنّ الشيعة مجمعون على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خاطبه بإمرة المؤمنين مراراً منها: ما صدر عن وحي وأمر من الله له بذلك، ومنها ما قاله له من تلقاء نفسه، وحكم ذلك أيضاً حكم الوحي، لأنّه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى، فذكر ذلك من طرق الشيعة لا معنى له، ولا يكون حجّة على من ينكر ذلك من الجمهور، على أنّي باحثت بعض علمائهم من مدرّسي مذهب أحمد بن حنبل رحمة الله عليه فأوردت عليه حديثاً من مسند إمامه فقال: أحاديث المسند لم يلتزم أحمد فيها بالصحّة، فتكون حجّة على ما وردت مثل ذلك الحديث من صحيح الترمذي فطعن في رجل من رجاله، فقلت له: تعذّر وامتنع البحث معكم، فقال: كيف؟ قلت: لأنّكم تطعنون فيما نورده نحن، وفيما توردونه أنتم عن مشايخكم وأئمّتكم، فكيف يتحقّق بيننا بحث، أو يقوم على ما ندّعيه دليله؟ ولكن نورد من ذلك ما هو من طرقهم، فإن أذعنوا وانقادوا فذاك، وإلّا فسبيله سبيل غيره ممّا أنكروه وعاندوا فيه الحق، ليس عليك هداهم.

وقد كان السعيد رضي الدين علي بن موسى بن طاوس رحمه الله وألحقه بسلفه جمع في ذلك كتاباً سمّاه كتاب اليقين باختصاص مولانا علي، عليه السلام بإمرة المؤمنين، ونقل ذلك ممّا يزيد على ثلاثمائة طريق فاقتصرت من ذلك على ما أوردته نقلاً من كتابه رحمه الله ونسبت كلّ حديث إلى من أورده من علماء الجمهور مقتصراً عليهم دون من عداهم.

قال: قال الحافظ أبوبكر أحمد بن مردويه وهو من عظماء علماء الجمهور وقد رأيت في مدحه في كتاب معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي من ترجمة إسكاف ما هذا لفظه: وممّن ينسب إليها أبوبكر بن مردويه، ومات بإسكاف سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان ثقة، وذكر الحافظ أسعد بن عبدالقاهر في كتاب رشح الوولاء في شرح الدعاء في إسناد الحديث المتضمّن لوصف مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّه إمام المتقين عن أبي بكر بن مردويه: إنّه الإمام الحافظ النافذ ملك الحفاظ، طراز المحدّثين أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه.

وذكر أخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد المكّي في كتاب المناقب في

الفصل التاسع في فضائل شتّى في جملة إسناده إلى أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه ما هذا لفظه: الإمام الحافظ طراز المحدثين أحمد بن مردويه. وهذا لفظ حديثه من كتاب مناقب مولانا علي عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في بيته عليلاً فغدا إليه علي عليه السلام وكان يحب أن لا يسبقه أحد فدخل فإذا النبي ـ في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فدخل علي عليه السلام فقال: السلام عليك كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بخير، قال له دحية: إنّي لأحبّك وإنّ لك مدحة أزفّها إليك أنت أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، أنت سيّد ولد آدم ما خلا النبيّين والمرسلين لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفّ أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه إلى الجنان زفّاً قد أفلح من تولّاك، وخسر من تخلّاك[1]، محبّوا محمّد محبّوك ومبغضوا محمّد مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله، أدن منّي يا صفوة الله، فأخذ رأس النبي صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره، فانتبه صلى الله عليه وآله فقال: ما هذه الهمهمة، فأخبره الحديث، قال: لم يكن دحية الكلبي، كان جبرئيل عليه السلام سمّاك باسم سمّاك الله به، وهو الذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين ورهبتك[2] في صدور الكافرين.

قال رضي الدين عليه السلام: إنّ من ينقل هذا عن الله جلّ جلاله برسالة جبرئيل عليه السلام، وعن محمّد صلوات الله عليه لمحجوج يوم القيامة بنقله إذا حضر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وسأله يوم القيامة عن مخالفته لما نقله واعتمد عليه.

وعنه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس اسكب لي وضوءاً وماءاً، فتوضّأ وصلّى ثمّ انصرف فقال: يا أنس أوّل من يدخل عَلَيّ اليوم أمير لمؤمنين وسيّد المسلمين، وخاتم الوصيّين، وإمام الغرّ المحجّلين فجاء علي حتّى ضرب الباب، فقال: من هذا يا أنس؟ قلت: هذا علي، قال: افتح له، فدخل.

وعن ابن مردويه برفعه إلى بريدة قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نسلّم على علي بيا أمير المؤمنين.

وبالإسناد عن سالم مولى علي قال: كنت مع علي في أرض له وهو يحرثها حتّى

---

(١) تخلّاه: تركه.

(٢) الرهبة ـ بفتح الراء ـ: الخوف.

جاء أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فقالا: سلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقيل: كنتم تقولون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك؟ فقال عمر: هو أمرنا.

ومن مناقب ابن مردويه عن عبدالله قال: دخل عليّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده عائشة رضي الله عنها، فجلس بين رسول الله وبين عائشة، فقالت: ما كان لك مجلس غير فخذي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله على ظهرها فقال: مه، لا تؤذيني في أخي فإنّه أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين يوم القيامة، يقعد على الصراط فيدخل أولياءه الجنّة، ويدخل أعداءه النّار.

ومنه عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أُم حبيبة بنت أبي سفيان، فقال: يا أُم حبيبة، اعتزلينا، فأنا على حاجة ثمّ دعا صلى الله عليه وآله بوضوء فأحسن الوضوء ثمّ قال: إنّ أوّل من يدخل من هذا الباب أميرالمؤمنين وسيّد العرب وخير الوصيّين، وأولى الناس بالناس. قال أنس: فجعلت أقول: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، قال: فدخل علي فجاء يمشي حتّى جلس إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح وجهه بيده ثمّ يمسح بها وجه علي بن أبي طالب، فقال علي: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: إنّك تبلّغ رسالتي من بعدي، وتؤدّي عنّي وتسمع الناس صوتي، وتعلّم الناس من كتاب الله ما لا يعلمون.

ومن المناقب عن أنس قال: كنت خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله فبينا أنا يوماً أوضّيه إذ قال: يدخل رجل وهو أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين، وأولى الناس بالمؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، قال أنس: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن المناقب أيضاً عن أنس بن مالك قال: بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن يدخل سيّد المسلمين وأميرالمؤمنين وخير الوصيّين، وأولى الناس بالنبيّين، إذ طلع علي بن أبي طالب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ وإليّ وإليّ، قال: فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح العرق من جبهته ووجهه، ويمسح به وجه علي بن أبي طالب، ويمسح العرق من وجه علي ويمسح به وجهه، فقال له علي: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، أنت أخي ووزيري وخير من أخلف بعدي،

تقضي ديني وتنجز وعدي[1] وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي، وتعلّمهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا، وتجاهدهم على التأويل كما جاهدتهم على التنزيل.

ومن المناقب عن نافع مولى عائشة قال: كنت غلاماً أخدمها، فكنت إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندها أكون قريباً أعاطيها، قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم عندها إذ جاء جاء فدقّ الباب، قال: فخرجت إليه فإذا جارية معها إناء مغطّى، قال: فرجعت إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: أدخلها، فدخلت فوضعته بين يدي عائشة فوضعته عائشة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل يأكل وخرجت الجارية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليت أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وإمام المتّقين عندي يأكل معي، فجاء جاء فدقّ الباب، فخرجت إليه فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فرجعت فقلت: هذا علي؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: أدخله، فلمّا دخل قال له النبي صلى الله عليه وآله: مرحباً وأهلاً لقد تمنّيتك مرّتين حتّى لو أبطأت عَلَيّ لسألت الله عزّوجلّ أن يأتي بك اجلس فكل معي.

ومن المناقب عن أنس بن مالك قال: بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: يطلع الآن، قلت: فداك أبي وأمّي من ذا؟ قال: سيّد المسلمين وأميرالمؤمنين وخير الوصيّين وأولى الناس بالنبيين، قال: فطل علي، ثمّ قال لعلي: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى.

وعن الحافظ ابن مردويه عن داود بن أبي عوف قال: حدّثني معاوية ابن ثعلبة الليثي قال: ألا أُحدّثك بحديث لم يختلط؟ قلت: بلى، قال: مرض أبوذر فأوصى إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال بعض من يعوده: لو أوصيت إلى أميرالمؤمنين عمر لكان أحمل لوصيّتك من علي، فقال: والله لقد أوصيت إلى أميرالمؤمنين حقّ أميرالمؤمنين، والله إنّه للربيع الذي يسكن إليه، ولو قد فارقكم لقد أنكرتم الناس وأنكرتم الأرض، قال: قلت: يا أباذر إنّا لنعلم أن أحبّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّهم إليك، قال: أجل، قلنا: فأيّهم أحبّ إليك؟ قال: هذا الشيخ المضطهد المظلوم حقّه يعني علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعن أبي ذر من طريق أُخرى من كتاب المناقب قال معاوية بن ثعلبة الليثي: مرض أبوذر عليه الرحمة مرضاً شديداً حتّى أشرف على الموت، فأوصى إلى علي بن أبي

---

(١) وفي بعض النسخ «وتنجز موعدي».

طالب عليه السلام فقيل له: لو أوصيت إلى عمر بن الخطّاب عليه السلام كان أحمل لوصيّتك من علي! فقال أبوذر: أوصيت والله إلى أميرالمؤمنين حقّاً حقّاً، وإنّه لربّى[1] الأرض الذي يسكن إليها ويسكن إليه، ولو قد فارقتموه أنكرتم الأرض ومن عليها.

وعن الحافظ ابن مردويه عن رجاله عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة من أُمّتي، فهبت أن أسأله من هم، فأتيت أبابكر فقلت: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة من أُمّتي فسله من هم؟ فقال: أخاف أن لا أكون منهم فيعيّرني (به) بنو تيم، فأتيت عمر فقلت له مثل ذلك، فقال: أخاف ألّا أكون منهم فيعيّرني (به) بنو عدي، فأتيت عثمان فقلت له مثل ذلك، فقال: أخاف ألّا أكون منهم فيعيّرني بنو أميّة، فأتيت عليّاً وهو في ناضح له[2]، فقلت له: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة من أُمّتي فسله من هم؟ فقال: والله لأسألنّه فإن كنت منهم لأحمدنّ الله عزّوجلّ، وإن لم أكن منهم لأسألنّ الله أن يجعلني منهم وأودّهم.

فجاء وجئت معه إلى النبي صلى الله عليه وآله فدخلنا على النبي صلى الله عليه وآله ورأسه في حجر دحية الكلبي، فلمّا رآه دحية قام إليه وسلّم عليه وقال: خذ رأس ابن عمّك يا أميرالمؤمنين، فأنت أحقّ به منّي، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله ورأسه في حجر علي، فقال له: يا علي[3] ما جئتنا إلّا في حاجة، قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، دخلت ورأسك في حجر دحية الكلبي فقام إليّ وسلّم عَلَيّ وقال: خذ برأس ابن عمّك إليك فأنت أحقّ به منّي يا أميرالمؤمنين، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فهل عرفته؟ فقال: هو دحية الكلبي، فقال له: ذلك جبرئيل، فقال له: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله أعلمني أنس أنّك قلت: إنّ الجنّة مشتاقة إلى أربعة من أُمّتي فمن هم؟ فأومى إليه بيده فقال: أنت والله أوّلهم، أنت والله أوّلهم، ـ ثلاثاً ـ فقال: بأبي أنت وأُمّي فمن الثلاثة؟ فقال له: المقداد، وسلمان وأبوذر.

قال علي بن عيسى عفى الله عنه: وعلى هذا فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً إلى بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يحبّ من أصحابي أربعة أخبرني أنّه يحبّهم، وأمرني أن أحبّهم، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: إنّ عليّاً منهم،

---

(١) ربّى من قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ وهم الجماعة الكثيرون.

(٢) الناضح: البعير يستقى عليه ثمّ استعمل في كلّ بعير وإن لم يحمل الماء.

(٣) وفي بعض النسخ «يا أباالحسن».

وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي.

قال السيّد رضي الدين رحمه الله تعالى: وممّا نقلت من تاريخ الخطيب مرفوعاً إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، قال: فقام عمّه العباس فقال: فداك أبي وأُمّي أنت ومن؟ قال: أمّا أنا فعلى دابّة الله البراق، وأمّا أخي صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، وعمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضباء، وأخيي وابن عمّي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة مدبجة الظهر[1]، ورحلها من زمرّد أخضر، مضبب[2] بالذهب الاحمر، رأسها من الكافور الأبيض،، وذنبها من العنبر الأشهب، وقوائمها من المسك الأذفر، وعنقها من لؤلؤ، عليها قبّة من نور، وباطنها عفو الله، وظاهرها رحمة الله، بيده لواء الحمد، فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلّا قالوا: هذا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو حامل عرش ربّ العالمين.

فينادي مناد من لدن العرش ـ أو قال: من بطنان العرش ـ: ليس هذا ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً ولا حامل عرش ربّ العالمين، هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين إلى جنّات ربّ العالمين، أفلح من صدّقه وخاب من كذّبه، ولو أنّ عبداً عبد الله بن الركن والمقام ألف عام وألف عام حتّى يكون كالشنّ البالي، ولقى الله مبغضاً لآل محمّد أكبّه الله على منخريه في نار جهنّم.

ومن مناقب موفّق بن أحمد الخوارزمي مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء ثمّ من السماء إلى السدرة المنتهى وقفت بين يدي ربّي عزّوجلّ، فقال لي: يا محمّد، قلت: لبيك وسعديك، فقال: قد بلوت خلقي فأيّهم رأيت أطوع لك؟ قال: قلت: ربّي عليّاً، قال: صدقت يا محمّد، فهل اتّخذت لنفسك خليفة يؤدّي عنك، ويعلّم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت: فاختر لي فإنّ خيرتك خيرتي، قال: قد اخترت لك عليّاً فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّاً، ونحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين حقّاً لم ينلها أحد قبله وليست لأحد بعده، يا محمّد عليّ راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي وهي الكلمة التي ألزمتها المتقين، من

---

(١) أي مزينة بالديباج.

(٢) ضبب الشيء بالشيء: ألبسه به.

أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشّره بذلك يا محمّد.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: قلت: ربّي قد بشّرته، فقال علي: أنا عبدالله وفي قبضته؛ إن يعاقبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً، وإن تمّم لي وعدي فالله مولاي، قال: أجل واجعل ربيعه الإيمان به، قال: قد فعلت ذلك يا محمّد، غير أنّي مختصّه بشيء من البلاء لم أخصّ به أحداً من أوليائي، قال: قلت: ربّ أخي وصاحبي، قال: قد سبق في علمي أنّه مبتلى، لولا علي لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي.

ومن مناقب الخوارزمي عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمُهُ من دمي وهو منّي بمنزلة هارون من موسىٰ غير أنّه لا نبيّ بعدي وقال يا أُم سلمة اشهدي واسمعي هذا عليّ أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وعيبة علمي وبابي الذي أُوتىٰ منه، أخي في الدين وخَدَني[1] في الآخرة، ومعي في السنام الأعلىٰ.

ومن مناقب الخوارزمي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته، فغدا عليه عليّ الغداة، وكان لا يحبّ أن يسبقه إليه أحد، فدخل فإذا النبي صلى الله عليه وآله في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية الكلبي، فقال: السلام عليكم فكيف أصبح رسول الله؟ فقال: بخير يا أخا رسول الله، قال: فقال علي جزاك عنّا أهل البيت خيراً.

قال له دحية: إنّي أُحبّك وإنّ لك عندي مدحة أزفّها إليك[2]، أنت أميرالمؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، أنت سيّد ولد آدم ما خلا النبيّين والمرسلين لواء الحمد بيدك يوم القيامة تزفّ أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه إلى الجنان زفّاً، قد أفلح من تولّاك وخسر من تخلّاك[3] محبّوا محمّد محبّوك، ومبغضوا محمّد مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله: أدن منّي يا صفوة الله فأخذ رأس النبي صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره، فانتبه النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما هذه الهمهمة؟ فأخبره الحديث، فقال: لم يكن دحية الكلبي، كان جبرئيل سمّاك باسم سمّاك الله به، وهو الذي ألقى محبّتك في صدور

---

(١) الخدن ـ بالكسر ـ: الصاحب والرفيق، وقد مرّ أيضاً.

(٢) أي أهديها إليك.

(٣) تخلّاه: تركه، وقد مرّ أيضاً.

المؤمنين، وهيبتك في صدور الكافرين.

قال علي بن عيسى عفى الله عنه: قد أورد السيّد السعيد رضي الدين علي بن طاوس قدّس الله روحه وألحقه بسلفه هذه الأحاديث من ثلاثمائة طريق وزيادة اقتصرت منها على ما أوردته في هذا الكتاب المختصر، فاكتفيت بما ذكرته منها، فلم أذكر كلّما ذكر وعلمت أنّه يمكن أن يستدل بما أثبتّه على ما لم أثبته كما تدلّ الثمرة الواحدة على الشجرة وما ادّعى حصر مناقبه ومآثره وليس ذلك في قوّة البشر.

في ذكر تزويجه عليه السلام فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام

من مناقب الخوارزمي عن علي عليه السلام قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت لي مولاة لي: هل علمت أنّ فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله فيزوّجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوّج به؟ قالت: إنّك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وآله زوّجك، فوالله ما زالت ترجّيني حتّى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله جلالة وهيبة.

فلمّا قعدت بين يديه أفحمت[1] فوالله ما استطعت أن أتكلّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما جاء بك، ألك حاجة؟ فسكتُّ، فقال: لعلّك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء فتستحلّها به؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، قال: ما فعلت درع سلحتكها[2] فوالذي نفس عليّ بيده إنّها لحطميّةٌ ما ثمنها إلّا أربعمائة درهم، فقلت: عندي، فقال: قد زوّجتكها فابعث إليها بها فاستحلّها بها فإنّها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعنه عن أنس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلمّا أفاق قال لي: يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أمرني أن أزوّج فاطمة من علي، فانطلق فادع لي أبابكر وعمر وعثمان وعليّاً وطلحة والزبير وبعددهم من الأنصار، قال: فانطلقت فدعوتهم له فلمّا أن أخذوا

---

(١) قال الطريحي: كلّمته حتّى أفحمته إذا أسكته في الخصومة أو غيرها، ومنه الدعاء: ربّ أفحمتني ذنوبي أي أسكتتني عن سؤالك والطلب منك.

(٢) سلحه بالسيف وغيره: جعله سلاحه.

مجالسهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ إنّ الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً، وشبّج بها الأرحام[1] وألزمها الأنام، فقال تبارك اسمه وتعالى جدّه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ فأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره، فلكلّ قضاء قدر، ولكلّ قدرٍ أجل، ولكلّ أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب.

ثمّ إنّي أُشهدكم أنّي قد زوّجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضّة، إن رضي علي بذلك وكان غائباً قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله في حاجة، ثمّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا، ثمّ قال: انتهبوا[2].

فبينا نحن كذلك إذ أقبل علي فتبسّم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا علي إنّ الله أمرني أن أُزوّجك فاطمة وقد زوّجتكها على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت؟ قال: رضيت يا رسول الله، ثمّ قام عليّ فخرّ لله ساجداً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: جعل الله فيكما الكثير الطيّب، وبارك فيكما. قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيّب.

ومن المناقب عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة زوّجتك سيّداً في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين، إنّه لمّا أراد الله أن أملكك من علي أمر الله جبرئيل فقام في السماء الرابعة، فصفّ الملائكة صفوفاً ثمّ خطب عليهم فزوّجك من علي، ثمّ أمر الله شجر الجنان فحملت الحليُّ والحلل، ثمّ أمرها فنثرت على الملائكة، فمن أخذ منها شيئاً أكثر ممّا أخذ غيره افتخر به إلى يوم القيامة.

وعنه عن ابن عباس قال: كانت فاطمة تذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله فلا يذكرها أحد إلّا صدّ عنه، حتّى ييئسوا منها، فلقي سعد بن معاذ علياً فقال: إنّي والله ما أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يحبسها إلّا عليك، فقال له علي: فلم ترى ذلك؟ فوالله ما أنا بواحد الرجلين:

---

(١) من قولهم: شبج الشراب بالماء مزجه وخلطه.

(٢) الإنتهاب بمعنى الأخذ والتناول.

ما أنا بصاحب دنياً يلتمس ما عندي وقد علم مالي صفراء ولا بيضاء، وما أنا بالكافر الذي يترفّق بها عن دينه يعني يتألّفه، وإنّي لأوّل من اسلم. قال سعد: فإنّي أعزم عليك لتفرّجها عنّي، فإنّ لي في ذلك فرجاً، قال: فأقول ما ذا؟ قال: تقول: جئت خاطباً إلى الله وإلى رسوله فاطمة بنت محمّد.

قال: فانطلق عليّ فعرض للنبي صلى الله عليه وآله وهو ثقيل حصر[1]، فقال النبي صلى الله عليه وآله: كأنّ لك حاجة يا علي؟ قال: أجل، جئتك خاطباً إلى الله وإلى رسوله فاطمة بنت محمّد. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: مرحباً كلمة ضعيفة فعاد إلى سعد فأخبره، فقال: أنكحك، فوالذي بعثه بالحقّ إنّه لا خلف الآن ولا كذب عنده، أعزم عليك لتأتينّه غداً ولتقولنّ يا نبيّ الله متى تبيّن لي؟ قال علي: هذا أشدّ عَلَيّ من الأوّل أو لا أقول يا رسول الله حاجتي؟ قال: قل كما أمرتك، فانطلق علي عليه السلام فقال: يا رسول الله متى تبيّن لي؟ قال: الليلة إن شاء الله.

ثمّ دعا بلالاً فقال: يا بلال إنّي قد زوّجت ابنتي من ابن عمّي وأنا أحبّ أن تكون من سنّة أُمّتي الطعام عند النكاح، فائت الغنم فخذ شاتاً منها، وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة[2] لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فأذني بها فانطلق ففعل ما أمر به، ثمّ أتاه بقصعة فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله صلى الله عليه وآله في رأسها، ثمّ قال: أدخل عَلَيّ الناس زفة زفة[3]، ولا تغادر زفة إلى غيرها؛ يعني إذا فرغت زفة لم تعد ثانية.

قال: فجعل الناس يزفّون، كلّما فرغت زفة وردت أُخرى حتّى فرغ الناس، ثمّ عمد النبي صلى الله عليه وآله إلى فضل ما فيها فتفل فيه وبارك وقال: يا بلال أحملها إلى أُمّهاتك وقل لهنّ كلن وأطعِمْن من غشيكنّ، ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله قام حتّى دخل على النساء فقال: إنّي زوّجت ابنتي ابن عمّي وقد علمتنّ منزلتها منّي وإنّي لدافعها إليه، ألا فدونكنّ ابنتكنّ، فقام النساء فغلقنها[4] من طيبهنّ وحليهنّ وجعلن في بيتها فراشاً حشوه ليف

---

(١) الحصر ـ ككتف ـ: الضيق الصدر والكلام. يقال حصر الرجل إذا عيي ولم يقدر على النطق.

(٢) القصعة: إناء كبير منبسط تشبع العشرة.

(٣) أي طائفة بعد طائفة سمّيت به لزفيفها في مشيها وإقبالها بسرعة. والزفيف: السرعة في المشي.

(٤) أي لطخنها.

ووسادة وكساءاً خيبريّاً ومخضباً[١]، واتّخذت أُم أيمن بوابة، ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل فلمّا رأته النساء وثبن وبينهنّ وبين النبي صلى الله عليه وآله سترة، وتخلّفت أسماء بنت عميس فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: كما أنت على رسلك[٢] من أنت؟ قالت: أنا التي أحرس ابنتك، إنّ الفتاة ليلة يبني بها لابدّ لها من امرأة تكون قريبة منها إن عرضت لها حاجة أو أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها، قال: فإنّي أسأل الله أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم.

ثمّ صرخ بفاطمة فأقبلت، فلمّا رأت عليّاً جالساً إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله حصرتْ وبكتْ فأشفق النبي صلى الله عليه وآله أن يكون بكاؤها لأنّ عليّاً لا مال له، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ فوالله ما ألوتك في نفسي[٣] ولقد أصيب بك القدر، فقد أصبت لك خير أهلي[٤] وأيم الذي نفسي بيده لقد زوّجتك سيّداً في الدّنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين، فلان منها وأمكنته من كفّها.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لله يا أسماء أتيتني بالمخضب فملأته ماءاً فمجّ النبي صلى الله عليه وآله فيه وغسل قدميه ووجهه، ثمّ دعا بفاطمة فأخذ كفّاً من ماء فضرب به على رأسها، وكفّاً بين يديها، ثمّ رشّ جلده وجلدها ثمّ التزمها، فقال: اللهمّ إنّها منّي وأنا منها، اللهمّ كما أذهبت عنّي الرجس وطهّرتني فطهرها، ثمّ دعا بمخضب آخر ثمّ دعا عليّاً فصنع به كما صنع بها، ثمّ دعا له كما دعا لها، ثمّ قال لهما: قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما وبارك في نسلكما، وأصلح بالكما، ثمّ قام فأغلق عليه بابه.

قال ابن عباس: فأخبرتني أسماء بنت عميس أنّها رمقت رسول الله صلى الله عليه وآله[٥] فلم يزل يدعو لهما خاصة لا يشركهما في دعائه أحداً حتّى توارى في حجرته.

قال الخوارزمي: وأنبأني أبو العلا الحافظ الهمداني يرفعه إلى الحسين بن علي عليهما السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أُم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً، في كلّ رأس ألف لسان يسبّح الله ويقدّسه بلغة لا تشبه الأُخرى، راحته أوسع من سبع

---

(١) المخضب: المركن تغسل فيه الثياب.

(٢) الرسل ـ بالفتح ـ: السهل من السير.

(٣) الا في الأمر الواً: قصر وأبطأ.

(٤) وفي بعض النسخ «زوجتك خير أهلي».

(٥) رمقه: أطال النظر إليه.

سماوات وسبع أرضين، فحسب النبي صلى الله عليه وآله أنّه جبرئيل عليه السلام فقال: يا جبرئيل لم تأتني في مثل هذه الصورة قط؟ قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل بعثني الله إليك لتزوج النور من النور، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مَن مِنْ مَن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب عليهما السلام، فزوّج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل، قال: فنظر النبي صلى الله عليه وآله فإذا بين كتفي صرصائيل: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علي بن أبي طالب مقيم الحجة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا صرصائيل منذ كم هذا كتب بين كتفيك؟ قال: قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة.

ومن كتاب المناقب عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام عبدالرحمان بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي وإنّ الله زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان، فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً يعني صكاكا[1] بعدد محبّي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور في الناس فلا يبقى محبّ لأهل البيت إلّا دفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النّار، ودفع إلى كلّ ملك صكّاً فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة بأخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النّار.

ومن المناقب عن ابن عباس قال: لمّا أن كانت ليلة زفّت فاطمة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله قدّامها، وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتّى طلع الفجر.

ومن المناقب عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمّد إنّ الله عزّوجلّ يقرأ عليك السلام ويقول: قد زوّجت فاطمة من علي، فزوّجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدر والياقوت والمرجان، وإنّ أهل السماء قد فرحوا لذلك، وسيولد منهما ولدان سيّدا شباب أهل الجنّة، وبهما تزيّن الجنّة، فابشر يا محمّد فإنّك خير الأوّلين والآخرين.

ومن المناقب عن أُم سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب عليه السلام وكلّ قالوا: إنّه لمّا أدركت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل

---

(١) الصك: الكتاب والجمع: صكاك.

الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال، وكان كلّما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بوجهه، حتّى كان الرجل منهم يظنّ في نفسه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساخط عليه أو قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وحي من السماء.

ولقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله أبوبكر الصدّيق رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرها إلى ربّها، وخطبها بعد أبي بكر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كمقالته لأبي بكر، قال: وإنّ أبابكر وعمر رضي الله عنهما كانا ذات يوم جالسين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله معهما سعد بن معاذ الأنصاري ثمّ الأوسي، فتذاكروا أمر فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبوبكر: قد خطبها الأشراف من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ أمرها إلى ربّها إن شاء أن يزوّجها زوجها، وإنّ علي بن أبي طالب لم يخطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يذكرها له، ولا أراه يمنعه من ذلك إلّا قلّة ذات اليد، وإنّه ليقع في نفسي أنّ الله عزّوجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله إنّما يحبسانها عليه.

قال: ثمّ أقبل أبوبكر على عمر بن الخطّاب وعلى سعد بن معاذ رضي الله عنهم فقال: هل لكما في القيام إلى علي بن أبي طالب عليه السلام حتّى نذكر له هذا؟ فإن منعه قلّة ذات اليد واسيناه وأسعفناه؟ فقال له سعد بن معاذ: وفّقك الله يا أبابكر فما زلت موفّقاً، قوموا بنا على بركة الله وبمنّه.

قال سلمان الفارسي: فخرجوا من المسجد والتمسوا علياً في منزله فلم يجدوه وكان ينضح ببعير كان له الماء على نخل رجل من الأنصار بأجرة، فانطلقوا نحوه، فلمّا نظر إليهم علي عليه السلام قال: ما وراءكم وما الذي جئتم له؟ فقال أبوبكر: يا أباالحسن إنّه لم تبق خصلة من خصال الخير إلّا ولك فيها سابقة وفضل، وأنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان الذي قد عرفت من القرابة والصحبة والسابقة، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة عليها السلام فردّهم وقال: إنّ أمرها إلى ربّها إن شاء أن يزوّجها زوجها فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله صلى الله عليه وآله وتخطبها منه؟ فإنّي لأرجو أن يكون الله عزّوجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله إنّما يحبسانها عليك.

قال: فتغرغرت عيناً علي عليه السلام بالدموع[١] وقال: يا أبابكر لقد هيّجت منّي ساكناً وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً، والله إنّ فاطمة لموضع رغبةٍ وما مثلي قعد عن مثلها غير أنّه يمنعني من ذلك قلّة ذات اليد، فقال أبوبكر: لا تقل هذا يا أباالحسن فإنّ الدنيا وما فيها عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله كهباءٍ منثور.

قال: ثمّ إنّ علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله حلّ عن ناضحه[٢] وأقبل يقوده إلى منزله فشدّه فيه ولبس نعله، وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فكان رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل زوجته أُم سلمة ابنة أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي، فدقّ عليّ عليه السلام الباب، فقالت أُم سلمة: من في الباب؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل أن يقول علي: أنا علي، قومي يا أُم سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّهما، فقالت أُم سلمة: فداك أبي وأُمّي ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال: مه يا أُم سلمة فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق[٣]، هذا أخي وابن عمّي وأحبّ الخلق إليّ، قالت أُم سلمة: فقمت مبادرة أكاد أن أعثر بمرطي[٤] ففتحت الباب فإذا أنا بعلي بن أبي طالب عليه السلام، ووالله ما دخل حين فتحت حتّى علم أنّي قد رجعت إلى خدري.

ثمّ إنّه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: وعليك السلام يا أباالحسن، اجلس. قالت أُم سلمة: فجلس علي بن أبي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل ينظر إلى الأرض كأنّه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبديها، فهو مطرق إلى الأرض حياءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت أُم سلمة: فكأنّ النبي صلى الله عليه وآله علم ما في نفس علي عليه السلام فقال له: يا أباالحسن إنّي أرى أنّك أتيت لحاجة؟ فقل ما حاجتك، وأبدِ ما في نفسك، فكلّ حاجة لك عندي مقضيّة.

---

(١) تغرغرت عينه بالدمع: تردد فيها الدمع وأصله من تغرغر فلان بالماء والدواء إذا رددهما في حلقه فلا يمجهما ولا يسيغهما.

(٢) الناضح: البعير يستقى عليه.

(٣) خرق ـ بكسر الراء ـ خرقاً فهو خرق: ككتف ـ دهش، وخرق الرجل في البيت: أقام فلم يبرح ولازق بالأرض. والنزق: خفة في كلّ أمر وعجلة في جهل وحمق فلعلّ المعنى ـ والله أعلم ـ: هذا رجل ليس متكاسلاً مبطئاً في الأمور كمن لزق بالأرض وتحير، ولا بمعجول وارد فيه من غير بصيرة.

(٤) المرط: كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به.

قال علي عليه السلام : فقلت ، فداك أبي وأُمّي إنّك لتعلم أنّك أخذتني من عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي لا عقل لي ، فغذّيتني بغذائك ، وأدّبتني بأدبك ، فكنت لي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة ، وإنّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك ، واستنقذني ممّا كان عليه آبائي وأعمامي من الحيرة والشرك ؟!! وإنّك والله يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة ، يا رسول الله فقد أحببت مع ما (قد) شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة أسكن إليها ، وقد أتيتك خاطباً راغباً أخطب إليك ابنتك فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟

قالت أُم سلمة : فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلّل فرحاً وسروراً[1] ثمّ تبسّم في وجه علي عليه السلام فقال : يا أباالحسن فهل معك شيء أُزوّجك به ؟ فقال له علي : فداك أبي وأُمّي والله ما يخفى عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي ، وما أملك شيئاً غير هذا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي أمّا سيفك فلا غنى بك عنه تجاهد به في سبيل الله ، وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك ، لكنّي قد زوّجتك بالدرع ورضِيت بها منك .

يا أباالحسن أبشّرك ؟ قال عليّ عليه السلام فقلت : نعم فداك أبي وأُمّي بشّرني ، فإنّك لم تزل ميمون النقيبة ، مبارك الطائر[2] ، رشيد الأمر صلّى الله عليك . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : أبشر يا أباالحسن فإنّ الله عزّوجلّ قد زوّجكها من السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض ، ولقد هبط عَلَيّ في موضعي من قبل أن يأتيني ملك من السماء له وجوه شتّى وأجنحة شتّى لم أر قبله من الملائكة مثله ، فقال لي : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أبشر يا محمّد باجتماع الشمل وطهارة النسل ، فقلت : وما ذاك أيّها الملك ؟ فقال لي : يا محمّد أنا سيطائيل الملك ، الموكّل بإحدى قوائم العرش ، سألت ربّي عزّوجلّ أن يأذن لي في بشارتك ، وهذا جبرئيل على أثري يخبرك عن ربّك

---

(١) تهلل الوجه : تلألأ .

(٢) قال الجزري : وفي الحديث إنّه ميمون النقيبة أي منجح الفعال مظفر الغالب والنقيبة النفس ، وقيل الطبيعة والخليقة (إنتهى) . وقال غيره : النقيبة : العقل والمشورة ونفاذ الرأي وفلان ميمون النقيبة أي محمود المختبر . وقال أيضاً : وطائر الإنسان : ما حصل له في علم الله ممّا قدر له ومنه الحديث : بالميمون طائره أي بالمبارك حظّه ويجوز أن يكون أصله من الطير السانح والبارح .

عزّوجلّ بكرامة الله عزّوجل. قال النبي صلى الله عليه وآله: فما استتمّ كلامه حتّى هبط عَلَيّ جبرئيل (الأمين) عليه السلام، فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته يا نبي الله[1].

ثمّ إنّه وضع بين يدي حريرة بيضاء من حرير الجنّة، وفيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: يا حبيبي جبرئيل ما هذه الحريرة وما هذه الخطوط؟ فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد إنّ الله عزّوجلّ اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه، فابتعثك برسالاته، ثمّ اطلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً، فزوّجه ابنتك فاطمة رضي الله عنها، فقلت: يا حبيبي جبرئيل من هذا الرجل؟ فقال لي: يا محمّد أخوك في الدنيا وابن عمّك في النسب علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنّ الله أوحى إلى الجنان أن تزخرفي، فتزخرفت الجنان، وإلى شجرة طوبى أن احملي الحلي والحلل، وتزيّنت الحور العين وأمر الله الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور، فهبط من فوقها إليها وصعد من تحتها إليها، وأمر الله عزّوجلّ رضوان فنصب منبر الكرامة على باب بيت المعمور، وهو الذي خطب عليه آدم يوم عرض الأسماء على الملائكة، وهو منبر من نور، فأوحى إلى ملك من ملائكة حجبه يقال له: راحيل[2] أن يعلو ذلك المنبر وأن يحمده بمحامده ويمجّده بتمجيده وأن يثني عليه بما هو أهله، وليس في الملائكة أحسن منطقاً منه، ولا أحلى لغة من راحيل الملك، فعلا المنبر وحمد ربّه ومجّده وقدّسه وأثنى عليه بما هو أهله، فارتجّت السماوات فرحاً وسروراً.

قال جبرئيل عليه السلام: ثمّ أوحى الله إلى أن أعقد عقدة النكاح، فإنّي قد زوّجت أمتي فاطمة بنت حبيبي محمّد، من عبدي علي بن أبي طالب، فعقدت عقدة النكاح وأشهدت على ذلك الملائكة أجمعين، وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة، وقد أمرني ربّي عزّوجلّ أن أعرضها عليك وأن أختمها بخاتم مسك، وأن أدفعها إلى رضوان، وأنّ الله عزّوجلّ لمّا أشهد الملائكة على تزويج علي من فاطمة أمر شجرة طوبى أن تنثر حملها من الحلي والحلل، فنثرت ما فيها والتقطته الملائكة والحور العين وإنّ الحور ليتهادينه ويفخرن به إلى يوم القيامة.

---

(١) وفي نسخة «يا محمّد».

(٢) وفي بعض النسخ «زاجيل».

يا محمّد إنّ الله عزّوجلّ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض فاطمة عليها السلام، وتبشّرهما بغلامين زكيّين نجيبين طاهرين طيّبين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة يا أباالحسن فوالله ما عرج الملك من عندي حتّى دققت الباب، ألا وإنّي مُنفّذ فيك أمر ربّي عزّوجلّ، امض يا أباالحسن أمامي فإنّي خارج إلى المسجد ومزوّجك على رؤوس الناس، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك وأعين محبّيك في الدنيا والآخرة.

قال علي: فخرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله مسرعاً وأنا لا أعقل فرحاً وسروراً، فاستقبلني أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فقالا: ما وراك؟ فقلت: زوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة وأخبرني أنّ الله عزّوجلّ زوّجنيها من السماء، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله خارج في أثري ليظهر ذلك بحضرة الناس، ففرحا بذلك فرحاً شديداً، ورجعا معي إلى المسجد، فما توسّطناه حتّى لحق بنا رسول الله، وإنّ وجهه ليتهلّل سروراً وفرحاً، فقال: يا بلال، فأجابه فقال: لبّيك يا رسول الله، قال: أجمع إليّ المهاجرين والأنصار، فجمعهم ثمّ رقى درجة من المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: معاشر الناس إنّ جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربّي عزّوجلّ أنّه جمع ملائكة عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمة ابنة رسول الله من عبده علي ابن أبي طالب، وأمرني أن أزوّجه في الأرض وأشهدكم على ذلك، ثمّ جلس وقال لعلي عليه السلام: قم يا أباالحسن فاخطب أن لنفسك.

قال: فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلّا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلّى الله على محمّد صلاة تزلفه وتخطيه، والنكاح ممّا أمر الله عزّوجلّ به ورضيه، ومجلسنا هذا ممّا قضاه الله وأذن فيه، وقد زوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا، وقد رضيت بذلك فاسألوه، واشهدوا فقال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله: زوّجته يا رسول الله؟ فقال: نعم، فقالوا: بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أزواجه فأمرهنّ أن يدفّفن لفاطمة، فضربن بالدفوف.

قال علي: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أباالحسن انطلق الآن فبع درعك وأتني بثمنه حتّى أُهيّىء لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما، قال علي: فانطلقت وبعته بأربعمائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فلمّا قبضت الدراهم منه وقبض الدرع منّي قال: يا أباالحسن ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم منّي؟

فقلت: بلى، قال: فإنّ الدرع هديّة منّي إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له بخير وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله قبضة من الدراهم ودعا بأبي بكر فدفعها إليه وقال: يا أبابكر اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها وبعث معه سلمان الفارسي وبلالاً ليعيناه على حمل ما يشتريه.

قال أبوبكر: وكانت الدراهم التي أعطانيها ثلاثة وستّين درهماً، فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر[1] محشواً بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل، وعباة خيبرية، وقربة للماء، وكيزاناً، وجراراً[2]، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيقاً، وحملناه جميعاً حتّى وضعناه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا نظر إليه بكى وجرت دموعه ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف، قال علي: ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله باقي ثمن الدرع إلى أُم سلمة، وقال: أتركي هذه الدراهم عندك، ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة عليها السلام بشيء استحياءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أنّي كنت إذا خلوت برسول الله يقول: يا أباالحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، أبشر يا أباالحسن فقد زوّجتك سيّدة نساء العالمين.

قال علي عليه السلام: فلمّا كان بعد شهر دخل عَلَيّ أخي عقيل بن أبي طالب وقال: يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله يدخلها عليك فنقرّ عيناً باجتماع شملكما؟ قال علي عليه السلام: والله يا أخي إنّي لأحبّ ذلك وما يمنعني من مسألته إلّا الحياء منه، فقال: أقسمت عليك إلّا قمت معي، فقمنا نريد رسول الله، فلقينا في طريقنا أُم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل ودعنا نحن نكلّمه، فإنّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال، ثمّ انثنت راجعة فدخلت على أُم سلمة فأعلمتها بذلك، وأعلمت نساء النبي صلى الله عليه وآله فاجتمعن عند رسول الله وكان في بيت عائشة فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأُمّهاتنا يا رسول الله، قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الأحياء

---

(١) الخيش: نسيج خشن من الكتان.

(٢) الجرار جمع الجرة ـ بالفتح ـ: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

لقرّت بذلك عينها، قالت أُم سلمة: فلمّا ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدّقتني حين كذّبني الناس، وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها، إنّ الله عزّوجلّ أمرني أن أُبشّر خديجة ببيت في الجنّه من قصب الزمرّد لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أُم سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا وأُمّهاتنا يا رسول الله، إنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلّا وقد كانت كذلك، غير أنّها قد مضت إلى ربّها فهنّاها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في درجات جنّته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمّك في النسب علي بن أبي طالب عليه السلام يحبّ أن تدخل عليه زوجته فاطمة عليها السلام وتجمع بها شمله، فقال: يا أُم سلمة فما بال عليّ لا يسألني ذلك؟ فقلت: يمنعه الحياء منك يا رسول الله، قالت أُم أيمن: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلقي إلى علي فأتيني به.

فخرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا عليّ ينتظرني ليسالني عن جواب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا رآني قال: ما وراءك يا أُم ايمن؟ قلت: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فدخلت عليه وقمن أزواجه فدخلن البيت، وجلست بين يديه مطرقاً نحو الأرض حياءاً منه[1]، فقال: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت ـ وأنا مطرق ـ: نعم فداك أبي وأُمّي، فقال: نعم وكرامة يا أباالحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله، فقمت فرحاً مسروراً[2]، وأمر صلى الله عليه وآله أزواجه أن يزيّنّ فاطمة عليها السلام ويطيّبنها ويفرشن لها بيتاً ليدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من الدراهم التي سلّمها إلى أُم سلمة عشرة دراهم فدفعها إلى علي عليه السلام وقال: اشتر سمناً وتمراً وأقطاً[3] فاشتريت وأقبلت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فحَسَر صلى الله عليه وآله[4] عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدَمَ، وجعل يُشَدِّخُ[5] التمر والسمن ويخلطهما بالأقط، حتّى اتّخذه حيساً.

ثمّ قال: يا علي، ادع من أحببت، فخرجت إلى المسجد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله متوافرون، فقلت: أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً وأقبلوا نحو

---

(١) أطرق: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.

(٢) وفي بعض النسخ «وسروراً».

(٣) الأقط ـ بالتثليث وأفصحها الأقط ككتف ـ: الجبن المتخذ من اللبن الحامض، ويقال بالفارسية «كشك».

(٤) أي كشف.

(٥) الشدخ: كسر الشيء الرطب أو الأجوف.

النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته أنّ القوم كثير، فجلّل السفرة بمنديل[١] وقال: أدخل عَلَيّ عشرة بعد عشرة، ففعلت وجعلوا يأكلون ويخرجون ولا ينقص الطعام حتّى لقد أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل وامرأة ببركة يده صلى الله عليه وآله.

قالت أُم سلمة: ثمّ دعا بنته فاطمة عليها السلام ودعا بعلي عليه السلام، فأخذ علياً بيمينه وفاطمة بشماله وجمعهما إلى صدره فقبّل بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى علي، وقال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثمّ أقبل على فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة نعم البعل بعلك، ثمّ قام معهما يمشي بينهما حتّى أدخلهما بيتهما الذي هيّىء لهما، ثمّ خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: طهّركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما أنا حرب لمن حاربكما، استودعكما الله واستخلفه عليكما.

قال علي: ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلمّا كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعميّة فقال لها: ما يقفك هاهنا وفي الحجرة رجل؟ فقالت له: فداك أبي وأُمّي، إنّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها، فأقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة عليها السلام وأقوم بأمرها، فتغرغرت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالدموع وقال: يا أسماء قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة.

قال علي عليه السلام: وكانت غداة قرّة وكنت أنا وفاطمة تحت العباء، فلمّا سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء ذهبنا لنقوم، فقال: بحقّي عليكما لا تفترقا حتّى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا ودخل صلى الله عليه وآله وجلس عند رؤوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة عليها السلام رجله اليسرى فضمّتها إلى صدرها، وجعلنا ندفي رجليه من القر حتّى إذا دفئتا[٢] قال: يا علي ائتني بكوز من ماء، فأتيته، فتفل فيه ثلاثاً وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى، ثمّ قال: يا علي اشربه واترك فيه قليلاً ففعلت ذلك فرشّ باقي الماء على رأسي وصدري، وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أباالحسن وطهّرك تطهيراً وقال: ائتني بماء جديد، فأتيته به، ففعل كما فعل، وسلّمه إلى ابنته عليها السلام وقال لها: اشربي واتركي منه قليلاً، ففعلت، فرشّه

---

(١) جلل الشيء: غطاه.

(٢) أدفاء إدفاءاً من البرد: أسخنه.

على رأسها وصدرها وقال: أذهب الله عنك الرجس وطهّرك تطهيراً، وأمرني بالخروج من البيت.

وخلا بابنته وقال: كيف أنت يا بنية وكيف رأيت زوجك؟ قالت له: يا أبة خير زوج إلّا أنّه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله من فقير لا مال له، فقال لها: يا بنية ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت عَلَيّ خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند الله ربّي عزّوجلّ، يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمجت الدنيا في عينك[1]، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً أن زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، يا بنية إنّ الله عزّوجلّ اطّلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً، ثمّ صاح بي رسول الله: يا علي، فقلت: لبّيك يا رسول الله، فقال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فإنّ فاطمة بضعة منّي يؤلمني ما يؤلمها، ويسرّني ما يسرّها، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما.

قال علي عليه السلام: فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتّى قبضها الله عزّوجلّ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان.

قال علي عليه السلام: ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله لينصرف، فقالت له فاطمة: يا أبة لا طاقة لي بخدمة البيت فأخدِمني خادماً يخدمني ويعينني على أمر البيت، فقال لها: يا فاطمة أو لا تريدين خيراً من الخادم؟ فقال علي: قولي بلى، قالت: يا أبة خيراً من الخادم[2]؟ فقال: تسبّحين لله عزّوجلّ في كلّ يوم ثلاثاً وثلاثين مرّة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرّة، وتكبّرينه أربعاً وثلاثين مرّة، فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان، يا فاطمة إنّك إن قلتها في صبيحة كلّ يوم كفاك الله ما أهمّك من أمر الدنيا والآخرة.

ونقلت من كتاب الذريّة الطاهرة تصنيف أبي بشير محمّد بن أحمد بن حمّاد الأنصاري المعروف بالدولابي، من نسخة بخط الشيخ ابن وضّاح الحنبلي

---

(١) سمج الشيء: قبح.

(٢) وفي بعض النسخ «ما خير من الخادم؟».

الشهراباني[١] وأجاز لي أن أروي عنه كلّما يرويه عن مشايخه، وهو يروي كثيراً، وأجاز لي السيّد جلال الدين بن عبدالحميد بن فخار الموسوي الحايري أدام الله شرفه أن أرويه عنه عن الشيخ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي المحدّث إجازة في محرّم سنة عشرة وستمائة، وعن الشيخ برهان الدين أبي الحسين أحمد بن علي الغزنوي إجازة في ربيع الأوّل سنة أربع عشرة وستمائة كلاهما عن الشيخ الحافظ أبي الفضل محمّد بن ناصر السلامي بإسناده، والسيّد أجاز لي قديماً رواية كلّ ما يرويه بهذا الكتاب في ذي الحجة في سنة ست وسبعين وستمائة، عن علي عليه السلام قال: خطب أبوبكر وعمر رضي الله عنهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما، فقال عمر: أنت لها يا علي، فقال: مالي من شيء إلّا درعي أرهنها، فزوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فلمّا بلغ ذلك فاطمة رضي الله عنها بكت، قال: فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: مالك تبكين يا فاطمة؟ فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأوّلهم سلماً.

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: تزوّج علي فاطمة رضي الله عنهما في شهر رمضان، وبنى بها في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة.

وعن مجاهد عن علي عليه السلام قال: خطبت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت مولاة لي: هل علمت أنّ فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا، فقالت: قد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيزوّجك، فقلت: وهل عندي شيء أتزوّج به؟ فقالت: إنّك إن جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله زوّجك، فوالله ما زالت ترجّيني حتّى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت له جلالة وهيبة، فلمّا قعدت بين يديه صلى الله عليه وآله أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلّم، فقال: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكتّ، فقال: لعلّك جئت أن تخطب فاطمة؟ قلت: نعم، قال: فهل عندك من شيء تستحلّها به؟ قلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت الدرع التي سلحتكها[٢]؟ فقلت: عندي، والذي نفسي بيده إنّها لحطمية[٣] ما ثمنها أربعمائة درهم، قال: قد زوّجتكها فابعث

---

(١) نسبته إلى شهر آبان: قرية كبيرة عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي بغداد من سمت الشرق.

(٢) مرّ معناه آنفاً فراجع.

(٣) قال الجزري: في حديث زواج فاطمة رضي الله عنها: إنّه قال لعلي: أين درعك الحطمية؟ هي التي

بها، فإنّها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن عطاء بن أبي ربّاح قال: لمّا خطب علي عليه السلام فاطمة أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ عليّاً قد ذكرك، فسكتت فخرج فزوجها.

وعن ابن بريدة عن أبيه قال: قال نفر من الأنصار لعلي بن أبي طالب: اخطب فاطمة، فأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّم عليه فقال له: ما حاجة علي بن أبي طالب؟ قال: يا رسول الله، ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مرحباً وأهلاً، لم يزد عليها، فخرج عليّ على أولئك الرهط من الأنصار وكانوا ينتظرونه، قالوا: ما وراك؟ قال: ما أدري غير أنّه قال: مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله أحدهما أعطاك الأهل والرحب، فلمّا كان بعد ذلك قال: يا علي إنّه لابدّ للعرس من وليمة، فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرّة[1] فلمّا كان ليلة البناء قال لعلي: لا تحدثنّ شيئاً حتّى تلقاني فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بماء فتوضّأ منه ثمّ أفرغه على علي، وقال: اللهمّ بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك لهما في شبليهما، وقال ابن ناصر: في نسليهما.

وعن أسماء بنت عميس قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فلمّا أصبحنا جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الباب فقال: يا أُم أيمن ادعي لي أخي، قالت: هو أخوك وتنكحه ابنتك؟ قال: نعم يا أُم أيمن، قال: وسمع النساء صوت النبي صلى الله عليه وآله فتنحّين واختبأت أنا في ناحية، فجاء علي عليه السلام فنضح النبي صلى الله عليه وآله من الماء[2] ودعا له، ثمّ قال: ادعي لي فاطمة، فجاءت خرقة من الحياء[3]، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: اسكني لقد أنكحتك أحبّ أهل بيتي إليّ ثمّ نضح عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثمّ رجع صلى الله عليه وآله فرأى سواداً بين يديه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا أسماء بنت عميس، قال: جئت في

⇐ تحطم السيوف أي تكسرها وقيل هي العريضة الثقيلة، وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبدالقيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع، وهذا أشبه الأقوال.

(١) آصع: جمع صاع ذكره الفيروزآبادي في مادة فرق وهذا من باب نقل الهمزة من موضع العين إلى موضع الفاء كما يقولون في جمع البئر «آبار وأبآر». والذرة: حب معروف.

(٢) نضح عليه الماء: رشّه.

(٣) قال الجزري: وفي حديث تزويج فاطمة عليّاً رضي الله عنهما: فلمّا أصبح دعاها، فجاءت خرقة من الحياء أي خجلة مدهوشة من الخرق: التحير، وروي أنّها أتته تعثر في مرطها من الخجل.

زفاف فاطمة تكرمينها ؟ قلت : نعم ، قالت : فدعا لي .

قال علي بن عيسى عفى الله عنه : وحدّثني السيّد جلال الدين بن عبدالحميد ابن فخار الموسوي بما هذا معناه ، وربّما اختلفت الألفاظ ، قال : أسماء بنت عميس هذه حضرت وفاة خديجة عليها السلام فبكت ، فقلت : أتبكين وأنت سيّدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي صلى الله عليه وآله ومبشرّة على لسانه بالجنّة ؟ فقالت : ما لهذا بكيت ، ولكن المرأة ليلة زفافها لابدّ لها من امرأة تفضي إليها بسرّها وتستعين بها على حوائجها ، وفاطمة حديثة عهدٍ بصبىً وأخاف أن لا يكون لها من يتولّى أمورها حينئذ ، فقلت : يا سيّدتي لك عَلَيّ عهد الله إنّي إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر ، فلمّا كانت تلك الليلة وجاء النبي صلى الله عليه وآله أمر النساء فخرجن وبقيت ، فلمّا أراد الخروج رأى سوادي ، فقال : من أنت ؟ فقلت : (أنا) أسماء بنت عميس ، فقال : ألم آمرك أن تخرجي ؟ فقلت : بلى يا رسول الله فداك أبي وأمّي وما قصدت خلافك ، ولكنّي أعطيت خديجة رضي الله عنها عهداً وحدّثته ، فبكى وقال : تالله لهذا وقفت ؟ فقلت : نعم والله ، فدعا لي .

عدنا إلى ما أورده الدولابي وعن أسماء بنت عميس قالت : لقد جهّزت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب وما كان حشو فرشهما ووسايدهما إلّا ليف ، ولقد أولم عليّ لفاطمة عليها السلام ، فما كانت وليمة في ذلك الزمان ، أفضل من وليمته رهن درعه عند يهودي ، وكانت وليمته آصعاً من شعير وتمر وحيس .

قال علي بن عيسى : قد تظاهرت الروايات كما ترى أنّ أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة وفعلت ، وأسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب عليه السلام ، ولم تعد هي ولا زوجها إلّا يوم فتح خيبر ، وذلك في سنة ست من الهجرة ولم تشهد الزفاف لأنّه كان في ذي الحجّة من سنة اثنتين ، والتي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس أُختها ، وهي زوجة حمزة بن عبدالمطّلب عليه السلام ، ولعلّ الأخبار عنها ، وكانت أسماء أشهر من أختها عند الرواة فرووا عنها ، أو سهىٰ راوٍ واحد فتبعوه .

ومن كتاب كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب تأليف محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي عن أبي هريرة قال : قالت فاطمة : يا رسول الله ، زوّجتني علي ابن أبي طالب وهو فقير لا مال له ، فقال : يا فاطمة أما ترضين أنّ الله اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختار منها رجلين ، أحدهما أبوك والآخر بعلك .

وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيّها الناس هذا علي بن أبي

طالب وأنتم تزعمون أنّي زوّجته ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إليّ أشراف قريش فلم أجب، كلّ ذلك أتوقّع الخير من السماء حتّى جاءني جبرئيل عليه السلام ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان، فقال: يا محمّد العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في واد يقال له الأفيح[1] تحت شجرة طوبى، وزوّج فاطمة عليّاً وأمرني فكنت الخاطب، والله تعالى الولي، وأمر شجرة طوبى فحملت الحلي والحلل والدرّ والياقوت ثمّ نثرته، وأمر الحور العين فاجتمعن فلقطن فهنّ يتهادينه إلى يوم القيامة، ويقلن هذا نثار فاطمة.

وعن علقمة عن عبدالله قال: أصاب فاطمة عليها السلام صبيحة العرس رعدة، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: زوّجتك سيّداً في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة إنّي لمّا أردت أن أملكك بعلي أمر الله شجر الجنان فحملت حلياً وحللا، وأمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منه يومئذ شيئاً أكثر ممّا أخذ منه صاحبه أو أحسن افتخر به على صاحبه إلى يوم القيامة، قالت أُم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفتخر على النساء لأنّ أوّل من خطب عليها جبرئيل.

قال: هذا حديث حسن رزقناه عالياً وفيه مناقب كثيرة لعلي بن أبي طالب:

منها: إنّ الله عزّوجلّ زوّجه من السماء وكان هو وليّه.

ومنها: إنّ جبرئيل عليه السلام خطب لعقدة نكاحه.

ومنها: شهود الملائكة إملاكه.

ومنها: تخصيصه بنثار شجر الجنّة على عرسه.

ومنها: شهادة النبي صلى الله عليه وآله له بالسيادة في الدنيا والآخرة.

ومنها: إنّه في الآخرة لمن الصالحين ومع الصالحين، وهم الأنبياء والمرسلون، وقد دعا الأنبياء والمرسلون بمثل ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾[2].

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام ليلة عرسها بقدح من لبن،

---

(١) قد اختلفت النسخ في اسم الوادي ففي بعضها «الأفتيح» وفي أخرى «الأقيح» والمختار هو عين ما في نسخة الأصل.

(٢) النمل: ١٩.

فقال: اشربي هذا، فداك أبوك، ثمّ قال لعلي عليه السلام: اشرب فداك ابن عمّك.

وروي أنّه لمّا زفّت فاطمة إلى علي عليه السلام نزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وهم سبعون ألف ملك، وقدمت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الدلدل، وعليها فاطمة عليها السلام مشتملة، قال: فأمسك جبرئيل باللجام، وأمسك إسرافيل بالركاب، وأمسك ميكائيل بالثفر[1]، ورسول الله صلى الله عليه وآله يسوى عليها الثياب، فكبّر جبرئيل وكبّر إسرافيل، وكبّر ميكائيل، وكبّرت الملائكة، وجرت السنة بالتكبير في الزفاف إلى يوم القيامة.

وعن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام إنّ أبابكر عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله زوّجني فاطمة، فأعرض عنه، فأتاه عمر عليه السلام فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، فأتيا عبدالرحمن بن عوف فقالا: أنت أكثر قريش مالاً فلو أتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فخطبت إليه فاطمة زادك الله مالاً إلى مالك وشرفاً إلى شرفك، فأتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له ذلك، فأعرض عنه، فأتاهما فقال: قد نزل بى مثل الذي نزل بكما، فأتيا علي بن أبي طالب وهو يسقي نخلا، فقالا: قد عرفنا قرابتك من رسول الله وقدمتك في الإسلام فلو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فخطبت إليه فاطمة لزادك الله فضلاً إلى فضلك، وشرفاً إلى شرفك، فقال: لقد نبّهتماني فانطلق فتوضّأ ثمّ اغتسل ولبس كساءاً قطرياً[2]، وصلّى ركعتين، ثمّ أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله زوّجني فاطمة. قال صلى الله عليه وآله: إذا زوّجتكها فما تصدّقها؟ قال: أصدّقها سيفي وفرسي ودرعي وناضحي، قال: أمّا ناضحك وسيفك وفرسك فلا غناء بك عنهما، تقاتل المشركين، وأمّا درعك فشأنك بها، فانطلق علي وباع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً قطرية فصبّها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يسأله عن عددها ولا هو أخبره.

فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وآله قبضة فدفعها إلى المقداد بن الأسود فقال: ابتع من هذا ما تجهّز به فاطمة، وأكثر لها من الطيب، فانطلق المقداد فاشترى لها رحاً وقربة ووسادة من أدم، وحصيراً قطرياً، فجاء به فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وأسماء بنت عميس معه، فقالت: يا رسول الله خطب إليك ذووا الأسنان والأموال من قريش ولم

---

(١) الثفر ـ بالتحريك وقد يسكن ـ: السير الذي في مؤخر السرج.

(٢) قطر: بلد بأرض بحرين.

تزوّجهم فزوّجتها هذا الغلام ؟ فقال : يا أسماء أمّا إنّك ستزوّجين بهذا الغلام وتلدين له غلاماً.

هذا مع ما روي أنّها كانت بالحبشة غريب فإنّها تزوّجت بأمير المؤمنين عليه السلام وولدت منه كما ذكر صلّى الله عليه وآله.

فلمّا كان الليل قال لسلمان : إئتني ببغلتي الشهباء فأتاه بها ، فحمل عليها فاطمة عليها السلام ، فكان سلمان يقودها ورسول الله صلّى الله عليه وآله يقوم بها ، فبينا هو كذلك إذ سمع حسّاً خلف ظهره ، فالتفت فإذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جمع كثير من الملائكة عليهم السلام ، فقال : يا جبرئيل ما أنزلكم ؟ قال : نزلنا نزفّ فاطمة عليها السلام إلى زوجها ، فكبّر جبرئيل ، ثمّ كبّر ميكائيل ، ثمّ كبّر إسرافيل ، ثمّ كبّرت الملائكة ، ثمّ كبّر النبي صلّى الله عليه وآله ، ثمّ كبّر سلمان الفارسي ، فصار التكبير خلف العرائس سنّة من تلك الليلة ، فجاء بها فأدخلها على علي عليه السلام فأجلسها إلى جنبه على الحصير القطري ، ثمّ قال : يا علي هذه بنتي فمن أكرمها فقد أكرمني ومن أهانها فقد أهانني ، ثمّ قال : اللهمّ بارك لهما وعليهما واجعل منهما ذريّة طيّبة إنّك سميع الدعاء ، ثمّ وثب فتعلّقت به وبكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فلقد زوّجتك أعظمهم حلماً وأكثرهم علماً.

وعن ابن عباس وقد كتبته قبل هذا ولكن اختلفت الروايات فحسن عندي إثباته وكتب الحديث لأتعرى من التكرار لاختلاف الطريق والروايات ، وكلّما كثرت رواتها وتشعّبت طرقها كان أدلّ على صحّتها ، وتوفّر الدواعي على قبولها ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله تذكر فلا يذكرها أحد لرسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا أعرض عنه ، فقال سعد بن معاذ الأنصاري لعلي بن أبي طالب عليه السلام : إنّي والله ما أرى النبي صلّى الله عليه وآله يريد بها غيرك ، فقال علي : أترى ذلك وما أنا بواحد من الرجلين ، ما أنا بذي دنياً يلتمس ما عندي لقد علم صلّى الله عليه وآله أنّه مالي حمراء ولا بيضاء ، فقال سعد : لتفرجنّها عنّي أعزم عليك لتفعلنّ ، قال : فقال له علي : فأقول ماذا ؟ قال : تقول له : جئتك خاطباً إلى الله تعالى وإلى رسوله فاطمة بنت محمّد ، فإنّ لي في ذلك فرحاً ، فانطلق عليّ حتّى تعرّض لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله : كأنّ لك حاجة ؟ فقال : أجل ، فقال : هات ، قال : جئتك خاطباً إلى الله وإلى رسوله فاطمة بنت محمّد ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : مرحباً وحبّاً ولم يزده على ذلك ، ثمّ تفرّقا.

فلقي علياً سعد بن معاذ فقال له سعد : ما صنعت ؟ فقال : قد فعلت الذي كلّفتني ،

فما زاد عَلَيّ أن رحّب بي، فقال له سعد: ما أرفعه وأبركه لقد أنكحك والذي بعثه بالحق، إنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يخلف ولا يكذب، أعزم عليك لتلقينه غداً ولتقولنّ له: يا رسول الله متى تبيّن لي؟ فقال له: هذه أشدّ عَلَيّ من الأولى أو لا أقول حاجتي؟ فقال له: لا، فانطلق حتّى لقى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله متى تبيّن لي؟ فقال: الليلة إن شاء الله تعالى، ثمّ انصرف.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بلالاً فقال: إنّي قد زوّجت فاطمة ابنتي بابن عمّي، وأنا أحبّ أن يكون من أخلاق أُمّتي الطعام عند النكاح، اذهب يا بلال إلى الغنم وخذ شاتاً وخمسة أمداد شعيراً واجعل لي قصعة فلعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، قال: ففعل ذلك وأتاه بها حين فرغ فوضعها بين يديه، قال: فطعن في أعلاها ثمّ تفل فيها وبرك ثمّ قال: يا بلال ادع الناس إلى المسجد ولا تفارق رفقة إلى غيرها، فجعلوا يردّون عليه رفقة رفقة كلّما وردت رفقة نهضت أُخرى حتّى تتابعوا ثمّ كفت وفضل منها فتفل عليه وبرك ثمّ قال: يا بلال احملها إلى أُمّهاتك، فقل لهنّ: كلن وأطعمن من غشيكنّ، ففعل ذلك بلال.

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على النساء فقال لهنّ: إنّي قد زوّجت ابنتي لابن عمّي وقد علمتنّ منزلتها منّي، وإنّي دافعها إليه ألا فدونكنّ ابنتكنّ، فقمن إلى الفتاة فعلّقن عليها من حليهنّ وطيّبنها وجعلن في بيتها فراشاً حشوه ليف، ووسادة وكساءاً خيبريّاً ومخضباً وهو المركن، واتّخذت أُم أيمن بوابة.

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فهتف بفاطمة وهي في بعض البيوت فأقبلت فلمّا رأت زوجها مع رسول الله صلى الله عليه وآله حصرت[1] وبكت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ادني منّي فدنت منه فأخذ بيدها ويد علي، فلمّا أراد أن يجعل كفّها في كفّ علي حصرت ودمعت عيناها، فرفع رسول الله رأسه إلى علي وأشفق أن يكون بكاؤها من أجل أنّه ليس له شيء، فقال لها: ما ألوتك من نفسي ولقد أصبت بك القدر، وزوّجتك خير أهلي وأيم الله لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين.

قال: فلان منها وأمكنته من كفّها، فقال لهما: اذهبا إلى بيتكما بارك الله لكما وأصلح بالكما فلا تهيّجا شيئاً حتّى آتيكما، فأقبلا حتّى جلسا عليهما السلام مجلسهما،

---

(١) حصر حصراً: ضاق صدره.

وعندهما أُمّهات المؤمنين، وبينهنّ وبين علي حجاب، وفاطمة مع النساء، ثمّ أقبل النبي صلى الله عليه وآله حتّى دقّ الباب، فقالت أُمّ أيمن: من هذا؟ فقال: أنا رسول الله، ففتحت له الباب وهي تقول: بأبي أنت وأُمّي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: أثم أخي يا أُمّ أيمن؟ فقلت له: ومن أخوك؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقالت: يا رسول الله هو أخوك وزوّجته ابنتك؟ فقال: نعم، فقالت: إنّما نعرف الحلال والحرام بك، فدخل وخرج النساء مسرعات وبقيت أسماء بنت عميس.

فلمّا بصرت برسول الله صلى الله عليه وآله مقبلاً تهيّأت للخروج، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: على رسلك من أنت؟ فقالت: أنا أسماء بنت عميس، بأبي أنت وأُمّي إنّ الفتاة ليلة بنائها لا غنى بها عن امرأة إن حدثت لها حاجة أفضت بها إليها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أخرجك إلّا ذلك؟ فقالت: إليّ والذي بعثك بالحق ما أكذب والروح الأمين يأتيك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فأسأل إلهي أن يحرسك من فوقك ومن تحتك ومن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم، ناوليني المخضب واملئيه ماءاً.

قال: فنهضت أسماء فملأت المخضب ماءاً وأتته به، فملأ فاه ثمّ مجّه فيه ثمّ قال: اللهمّ إنّهما منّي وأنا منهما، اللهمّ كما أذهبت عنّي الرجس وطهّرتني تطهيراً فأذهب عنهما الرجس وطهّرهما تطهيراً، ثمّ دعا فاطمة فقامت إليه وعليها النقبة وأزارها، فضرب كفّاً من ماء بين يديها وبأُخرى على عاتقها وبأُخرى على هامتها ثمّ نضح جيدها وجيده ثمّ التزمها وقال: اللهمّ إنّهما منّي وأنا منهما، اللهمّ فكما أذهبت عنّي الرجس وطهّرتني تطهيراً فطهّرهما، ثمّ أمرها أن تشرب بقيّة الماء وتتمضمض وتستنشق وتتوضّأ، ثمّ دعا بمخضب آخر فصنع به كما صنع بالأوّل، ودعا عليّاً فصنع به كما صنع بصاحبته، ودعا له كما دعا لها، ثمّ أغلق عليهما الباب وانطلق، فزعم عبدالله ابن عباس عن أسماء بنت عميس أنّه لم يزل يدعو لهما خاصة حتّى توارى في حجرته ما شرك معهما في دعائه أحداً.

قال محمّد بن يوسف الكنجي: هكذا رواه ابن بطة العكبري الحافظ وهو حسن عال، وذكر أسماء بنت عميس في هذا الحديث غير صحيح لأنّ أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وتزوّجها بعده أبوبكر فولدت له محمّداً وذلك بذي الحليفة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكّة في حجّة الوداع، فلمّا مات أبوبكر عليه السلام تزوّجها علي

ابن أبي طالب عليه السلام فولدت له، وما أرى نسبتها في هذا الحديث إلّا غلطاً وقع من بعض الرواة، لأنّ أسماء التي حضرت في عرس فاطمة عليها السلام إنّما هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري، وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب بالحبشة هاجر بها الهجرة الثانية، وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع، وقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أدري بأيّهما أسرّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ وكان زواج فاطمة عليها السلام بعد وقعة بدر بأيّام يسيرة، فصحّ بهذا أنّ أسماء المذكورة في هذا الحديث إنّما هي أسماء بنت يزيد، ولها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله، روى عنها شهر بن حوشب وغيره من التابعين، حقّق ذلك محمّد بن يوسف الكنجي في الوجهة قبل هذا.

وروى الحافظ أبو محمّد عبدالعزيز بن أخضر الجنابذي قال: لمّا كانت ليلة أُهديت فاطمة إلى علي عليه السلام، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تحدث شيئاً حتّى آتيك، فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وآله أن أتبعهما، فقام على الباب فاستأذن فدخل، فإذا عليّ منتبذ منها[1]، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي قد علمت أنّك تهاب الله ورسوله، فدعا بماء فتمضمض به ثمّ أعاده في الإناء ثمّ نضح به صدرها وصدره.

قال: وروي أنّ علياً عليه السلام قال: لمّا أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فقلت: والله ما عندي من شيء، ثمّ ذكرت وصلته فخطبتها إليه، فقال لي: عندك شيء؟ فقلت: لا، قال: أين درعك الحطمية التي أعطيتكها يوم بدر، قال: قلت: هي عندي، فزوّجني عليها، وقال: لا تحدثنّ شيئاً حتّى آتيكما، قال: فجاء النبي صلى الله عليه وآله ونحن نيام، فقال: مكانكما، فقعد بيننا، فدعا بماء فرشّه علينا، قال: فقلت: يا رسول الله أنا أحبّ إليك أم هي؟ قال: هي أحبّ إليّ منك، وأنت أعزّ عَلَيّ منها.

وروى النّجاد في أماليه أنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة بعدما بنى بها بأيام، فصنعت كما تصنع الجارية إذا رأت بعض أهلها، فبكت، فقال لها: ما يبكيك يا بنية لقد زوّجتك خير من أعلم؟

قال علي بن عيسى بن أبي الفتح عفى الله عنه: قد ثبت لعلي عليه السلام بما تقدم في هذا الكتاب من المزايا ما بذّ به الأمثال، وتقرّر له من شرف السجايا ما فات به الأصحاب والآل، وظهر له من علوّ الشأن ما توحّد به وتفرّد، وعرف له من سموّ

---

(١) انتبذ عن الشيء: اعتزل وتنحّى عنه.

المكان ما ثبت به فضله وتوطّد، وصرّح النبي صلى الله عليه وآله بما يجب له على الأمّة بما هو أشهر من النهار، وكنّى وعرّض وأشار فما قبلوا ما أشار، فقامت حجّته عليه السلام بالدليل، ودحض الله بما شاع من شرفه ما اختلق من الأباطيل، وشهد بفضله النبي فحكم به حاكم التنزيل، وأتمّ الله شرفه بفاطمة عليها السلام وناهيك بهذا التمام، ونظمت عقود فضائله فازدان العقد بالنظام، فإنّها العقيلة الكريمة، والدرّة اليتيمة، والموهبة العظيمة، والمنحة الجسيمة، والعطيّة السنيّة، والسيّدة السريّة، والبضعة النبويّة، والشمس المنيرة المضيئة، والبتول الطاهرية المحمّديّة، سيّدة النساء المخصوصة بالثناء والسناء، المؤيّدة بعناية ربّ السماء، أُمّ أبيها صلّى الله عليه وعليها وعلى بعلها وبنيها، فإنّها زادته شرفاً إلى شرفه القديم، وكسته حلّة مجد أوجبت له مزيّة التقديم، ورفعت له منار سؤدد ظاهر الترحيب والتعظيم، وكانت هذه الكريمة صالحة لذلك الكريم.

أتاه المجد من هنّا وهنّا وكان له بمجتمع السيول

اتّصل بها رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة تزيد على اتّصاله، واختصّ بسببها به اختصاصاً رفعه على أصحابه وآله، فلهذا جعل نفسه نفسه، ونساءه نساءه، وأبناءه أبناءه، حين قدم النجرانيّون لمباهلته وجداله، وكفاك بها مناقب سمت على النجوم الظاهرة، ومراتب يغبطها أهل الدنيا والآخرة، لا يدفعها إلّا من يدفع الحقّ بعد ظهوره، ولا ينكرها إلّا من ادّعى أنّ الليل يغلب النهار بنوره، وسيظهر لك أيّدك الله عند ذكرها ما تعرف به حقيقة أمرها، وتستدلّ به على شرف قدرها.

فصل

في ذكر مناقب شتّى وأحاديث متفرّقة أوردها الرواة والمحدّثون وأخبار وآثار دالّة على ما نحن بصدده من ذكر فضله

من كفاية الطالب عن وهب بن منبه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بعثت علياً في سريّة إلّا رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره والسحابة تظلّه حتّى يرزقه الله الظفر.

ومن الكتاب المذكور عن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش: نعم

الأب أبوك إبراهيم خليل الرحمن، ونعم الأخ أخوك علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه عن ابن أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فإنّه أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحقّ والباطل.

قال: هذا حديث صحيح حسن قال، رواه الحافظ في أماليه.

قال أبو علي الكوكبي عن أبي السمري عن عوانة بن الحكم، عن أبي صالح قال: ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام عند عائشة وابن عباس حاضر، فقالت عائشة: كان من أكرم رجالنا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ابن عباس: وأي شيء يمنعه عن ذاك، اصطفاه الله بنصرة رسول الله، وأرضاه رسول الله صلى الله عليه وآله لأخوّته، واختاره لكريمته، وجعله أبا ذريّته، ووصيّه من بعده، فان ابتغيت شرفاً فهو في أكرم منبت وأورق عوداً، وإن أردت إسلاماً فأوفر بحظّه وأجزل بنصيبه، وإن أردت شجاعة فبهمّة حرب وقاضية حتم يصافح السيوف أنساً لا يجد لموقعها حسّاً، ولا ينهنه نعنعة[1] ولا تقله الجموع، الله ينجده وجبرئيل يرفده[2] ودعوة الرسول تعضده، أحدّ الناس لساناً وأظهرهم بياناً، وأصدعهم بالثواب في أسرع جواب، عظته أقل من عمله، وعمله يعجز عنه أهل دهره، فعليه رضوان الله وعلى مبغضيه لعاين الله.

ونقلت من أمالي الطوسي أنّ عبدالرحمن بن أبي ليلى قام إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين إنّي سائلك لآخذ عنك ولقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا كان بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته أنت؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما نقلناه عنك وسمعناه من فيك، إنّا كنّا نقول: لو رجعت إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك، فإن قلت ذلك فعلام نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع؟ فقال: أيّها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه، وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولّاهم؟

---

(١) قوله عليه السلام ينهنه كأنّه بالبناء للمفعول من نهنه عن الشيء نهنهة: كف عنه وزجره والنعنعة: الضعف والإضطراب. وفي بعض النسخ «نغنغة» بالمعجمتين وهو بمعنى التحريك.

(٢) نجده: أعانه. ورفده بمعناه أيضاً.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا عبدالرحمن إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبي الله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي[1] لأقررت سمعاً لله وطاعة، وإنّ أوّل ما انتقصنا بعده إبطال حقّنا في الخمس[2]، فلمّا رقّ أمرنا طمعت ريعان[3] من قريش فينا، وقد كان لي على الناس حقّ لو ردّوه إليّ عفواً قبلته وقمت فيه إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على الناس حقّ إلى أجل، فإن عجّلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزن[4] وإنّما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، وإذا سكت فاعفوني، فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم فكفّوا عنّي ما كففت عنكم، فقال عبدالرحمن: يا أميرالمؤمنين فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان

وعن الأصبغ بن نباتة قال: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: أيّها الناس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي، إنّ الخيلاء من التجبّر[5]، والنخوة من التكبّر، وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل، ألا إنّ المسلم أخو المسلم فلا تنابزوا ولا تخاذلوا، فإنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن فارقها محق[6]، ليس المسلم بالخائن إذا اؤتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذوب إذا نطق، نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الحق وفعلنا القسط، ومنّا خاتم النبيّين، وفينا قادة الإسلام وأُمناء الكتاب، ندعوكم إلى الله ورسوله، وإلى جهاد عدوّه، والشدّة في أمره، وابتغاء رضوانه، وإلى إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، وتوفير الفيء لأهله. ألا وإنّ أعجب العجب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السهمي يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، وإنّي والله لم أُخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط،

---

(١) خزم أنف فلان أي أذلّه وسخره واللفظ كناية.

(٢) وفي نسخة «من الخمس».

(٣) ريعان كلّ شيء: أوّله.

(٤) أي أخذ الحزونة وهي الأرض الغليظ.

(٥) الخيلاء ـ بضم الأولى وفتح الثانية ـ: العجب والكبر.

(٦) مرق من الدين: خرج منه ببدعة أو ضلالة. والمحق: نقص الشيء قليلاً قليلاً.

ولم أعصه في أمر قط، أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وترعد منها الفرائص[1]، بقوّة أكرمني الله بها فله الحمد، ولقد قُبض النبي صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لفي حجري، ولقد ولّيت غسله بيدي، تقلّبه الملائكة المقرّبون معي، وأيم الله ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها إلّا ظهر باطلها على حقّها إلّا ما شاء الله.

وعن سعيد بن المسيّب قال: سمعت رجلاً سأل عبدالله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له ابن عباس: إنّ علياً صلّى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزلم ولا قدح[2]، ولد على الفطرة، ولم يشرك بالله طرفة عين. فقال الرجل: إنّي لم أسألك عن هذا، إنّما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتّى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثمّ سار إلى الشام فلقى حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتّى قتلهم، ثمّ أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم، فقال له ابن عباس: أعليٌّ أعلم عندك أم أنا؟ فقال: لو كان علي أعلم عندي منك ما سألتك، قال: فغضب ابن عباس حتّى اشتدّ غضبه ثمّ قال: ثكلتك أُمّك، عليٌّ علّمني وكان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله علمه من الله من فوق عرشه، فعلم النبي من الله وعلم علي من النبي وعلمي من علم علي، وعلم أصحاب محمّد كلّهم في علم علي كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر!

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصي، فقلت: إلى من يا رب؟ فقال: أوص يا محمّد إلى ابن عمّك علي بن أبي طالب، فإنّي قد أثبته في الكتب السابقة، وكتبت فيها أنّه وصيّك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبيّة، ولك يا محمّد بالنبوّة، ولعلي بن أبي طالب بالولاية.

ومن أمالي الطوسي عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً وأعطى علياً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّاً جوامع

---

(١) نكص عن الأمر: تكأكأ عنه وأحجم. والفرائص جمع الفريصة: اللحمة بين الجنب والكتف أو بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع.

(٢) الزلم واحد الأزلام وهي القداح التي كانت في الجاهلية وكانوا يتفألون بها عند إرادة السفر والتزويج أو أمر مهم آخر غيرهما.

العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه، ثمّ بكى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلت: ما يبكيك فداك أبي وأُمّي؟ فقال: يابن عبّاس إنّ أوّل ما كلّمني به أن قال: يا محمّد انظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إليّ فكلّمني وكلّمته وكلّمني ربّي عزّوجلّ.

فقلت: يا رسول الله، بم كلّمك ربّك؟ قال: قال لي: يا محمّد إنّي جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فاعلمه بها، فها هو يسمع كلامك، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزّوجلّ، فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تسلّم عليه، ففعلت، فردّ عليهم السلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملأ منهم إلّا هنّوني وقالوا: يا محمّد والذي بعثك بالحق لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّوجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش وقد نكّسوا رؤوسهم، فسألت جبرئيل عليه السلام فقال: إنّهم استأذنوا الله في النظر إليه فأذن لهم، فلمّا هبطت الأرض جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني، فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلّا وقد كشف لعلي عنه.

فقال ابن عباس: فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال: عليك بحبّ علي بن أبي طالب، قلت: يا رسول الله أوصني، قال: عليك بمودّة علي بن أبي طالب، والذي بعثني بالحق نبيّاً إنّ الله لا يقبل من عبد حسنة حتّى يسأله عن حبّ علي بن أبي طالب وهو تعالى أعلم، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان فيه، وإن لم يأته بولايته لم يسأله عن شيء وأمر به إلى النّار.

يابن عباس والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ النّار لأشدّ غضباً على مبغض علي منها على من زعم أنّ لله ولداً.

يابن عباس لو أنّ الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذّبهم الله بالنّار. قلت: يا رسول الله وهل يبغضه أحد؟ فقال: يابن عباس نعم يبغضه قوم يذكرون أنّهم من أُمّتي، لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً.

يابن عباس إنّ من علامة بغضهم له تفضيل من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق نبيّاً ما خلق الله نبيّاً أكرم عليه منّي، ولا وصيّاً أكرم عليه من وصيّي علي.

قال ابن عباس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله ووصّاني بمودّته وأنّه لأكبر عملي عندي.

قال ابن عباس: ثمّ مضى من الزمان ما مضى، وحضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، وحضرته، فقلت له: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله قد دنا أجلك فما تأمرني؟ فقال: يابن عباس خالف من خالف عليّاً، ولا تكوننّ لهم ظهيراً ولا وليّاً. قلت: يا رسول الله فَلِمَ لا تأمر الناس بترك مخالفته؟ قال: فبكى صلى الله عليه وآله حتّى أُغمي عليه، ثمّ قال: يابن عباس سبق الكتاب فيهم وعلم ربي، والذي بعثني بالحق نبيّاً لا يخرج أحد ممّن خالفه من الدنيا وأنكر حقّه حتّى يغيّر الله ما به من نعمة، يابن عباس إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راض فاسلك طريقة علي بن أبي طالب، ومل معه حيث ما مال، وارض به إماماً، وعاد من عاداه، ووال من والاه، يابن عباس احذر أن يدخلك شك فيه، فإنّ الشك في علي كفر بالله.

وعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام قال: لمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بطن قديد[1] قال لعلي عليه السلام: يا علي إنّي سألت الله عزّوجلّ أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يواخي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يجعلك وصيّي ففعل، فقال رجل من القوم: والله لصاع من تمر في شن بال خير ممّا سأل محمّد ربّه، هلّا سأله ملكاً يعضده أو كنزاً يستعين به على فاقته، فأنزل الله تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحىٰ إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولوا لَولا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَك إِنَّما أَنْتَ نَذيرٌ واللهُ علىٰ كُلِّ شَيءٍ وَكيل** ﴾[2].

وعن حبش بن المعتمر قال: دخلت على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته، كيف أمسيت؟ قال: أمسيت محبّاً لمحبّنا، ومبغضاً لمبغضنا، وأمسى محبّنا مغتبطاً برحمة من الله[3] كان ينتظرها، وأمسى عدوّنا يؤسس بنيانه على شفا جرف هار فكان قد انهار به في نار جهنّم، وكان أبواب الرحمة قد فتحت لأهلها فهنيئاً لأهل الرحمة رحمتهم، والتعس لأهل النار

---

(١) قديد ـ بضم القاف وفتح الدال ـ: اسم موضع قرب مكة.

(٢) هود: ١٢.

(٣) اغتبط: كان في مسرة وحسن حال.

والنّار لهم، يا حبش من سرّه أن يعلم أمحبّ هو لنا أم مبغض فليمتحن قلبه، فإن كان يحبّ وليّاً لنا فليس بمبغض لنا، وإن كان يبغض وليّنا فليس بمحبّ لنا، إنّ الله أخذ الميثاق لمحبّنا بمودّتنا، وكتب في الذكر الحكيم اسم مبغضنا، نحن النجباء وأفراطنا[1] أفراط الأنبياء.

وعن المنهال بن عمرو قال: أخبرني رجل من تميم قال: كنّا مع علي عليه السلام بذي قار[2] ونحن نرى أنّا سنتخطف[3] في يومنا، فسمعته يقول: والله لنظهرنّ على هذه الفرقة، ولنقتلنّ هذين الرجلين - يعني طلحة والزبير - ولنستبيحنّ عسكرهما. قال التميمي: فأتيت عبدالله بن العباس فقلت: أما ترى إلى ابن عمّك وما يقول؟ فقال: لا تعجل حتّى تنظر ما يكون، فلمّا كان من أمر البصرة ما كان، أتيته فقلت: لا أرى ابن عمّك إلّا قد صدق، فقال: ويحك إنّا كنّا نتحدّث أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أنّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره، فلعلّ هذا ممّا عهد إليه.

وعن وايلة الكناني قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: إنّ أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتّباع الهوى؛ فأمّا طول الأمل فينسي الآخرة، وأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق، ألا وإنّ الدنيا قد ولّت مدبرة، والآخرة قد أقبلت مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل عليه السلام نزل عَلَيّ وقال: إنّ الله يأمرك أن تقوم بتفضيل علي بن أبي طالب خطيباً على أصحابك ليبلغوا من بعدهم ذلك، ويأمر جميع الملائكة أن تسمع ما تذكره، والله يوحي إليك يا محمّد أنّ من خالفك في أمره فله النّار، ومن أطاعك فله الجنّة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله منادياً فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج حتّى علا المنبر، فكان أوّل ما تكلّم به:

---

(١) الأفراط: السابقون إلى الماء، وفي الحديث: أنا فرطكم إلى الحوض أي سابقكم، ومنه يقال للطفل الميّت: اللهمّ اجعله لنا فرطاً أي أجراً يتقدمنا.

(٢) ذوقار: موضع قريب البصرة خطب به علي عليه السلام وفي حديث ابن عباس قال: دخلت على أميرالمؤمنين بذي قار وهو يخصف نعلاً فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها؛ قال: والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلّا أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً.

(٣) تخطف الشيء: استلبه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم. ثمّ قال: أيها الناس أنا البشير وأنا النذير، وأنا النبي الأمّي، إنّي أُبلّغكم عن الله عزّوجلّ في أمر رجل لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة العلم، وهو الذي انتجبه الله من هذه الأمّة، واصطفاه وهداه وتولّاه، وخلقني وإيّاه، وفضّلني بالرسالة وفضّله بالتبليغ عنّي، وجعلني مدينة العلم وجعله الباب، وجعله خازن العلم والمقتبس منه الأحكام، وخصّه بالوصيّة، وأبان أمره وخوّف من عداوته، وأزلف من والاه وغفر لشيعته، وأمر الناس جميعاً بطاعته، وإنّه عزّوجلّ يقول: من عاداه فقد عاداني، ومن والاه فقد والاني، ومن ناصبه ناصبني، ومن خالفه خالفني، ومن عصاه عصاني، ومن آذاه آذاني، ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبّه أحبّني، ومن أراده أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني. يا أيّها الناس اسمعوا ما أمركم به وأطيعوه، فإنّي أخوفكم عقاب الله يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه.

ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال: معاشر الناس هذا مولى المؤمنين، وحجّة الله على الخلق أجمعين، والمجاهد للكافرين، اللهمّ إنّي قد بلّغت وهم عبادك، وأنت قادر على صلاحهم فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين، أستغفر الله لي ولكم، ونزل. فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول: جزاك الله خيراً عن تبليغك، فقد بلّغت رسالات ربّك، ونصحت لأمّتك، وأرضيت المؤمنين، و أرغمت الكافرين، يا محمّد إنّ ابن عمّك مبتلى ومبتلىٰ به، يا محمّد قل في كلّ أوقاتك: الحمد لله ربّ العالمين ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.

وعن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال: كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشر لم يعطاهنّ أحد قبلي، قال لي: يا علي أنت أخي في الدنيا، ومعي في الآخرة، وأنت أقرب الناس منّي موقفاً يوم القيامة، ومنزلي ومنزلك في الجنّة متواجهان كمنزل الأخوين، وأنت الوصي وأنت الولي، وأنت الوزير، عدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله، ووليّك وليّي ووليّي ولي الله.

عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليهم السلام فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمّد اشمأزّت قلوبهم، والذي نفس محمّد بيده لو أنّ عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيّاً ما قبل الله ذلك منه حتّى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي.

وعن أبي وجزة السعدي[1] عن أبيه قال: أوصى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحسن بن علي عليهما السلام وقال فيما أوصى به إليه:

يا بني، لا فقر أشدّ من الجهل، ولا عدم أعدم من عدم العقل، ولا وحشة أوحش من العجب، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكف عن محارم الله، ولا عبادة كالتفكر في صنعة الله.

يا بني، العقل خليل المرء، والحلم وزيره، والرفق والده، والصبر خير جنوده.

يا بني، إنّه لابدّ للعاقل أن ينظر في شأنه فليحفظ لسانه، وليعرف أهل زمانه.

يا بني، إنّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من ذلك مرض البدن وأشدّ من ذلك مرض القلب، وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من ذلك صحّة البدن، وأفضل من ذلك تقوى القلوب.

يا بني، للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذّتها فيما يحلّ ويحمل، وليس للمؤمن بدّ من أن يكون شاخصاً في ثلاث[2]: مرمّة لمعاش، أو خطوة لمعاد، أو لذّة في غير محرم.

وعن ميثم التمّار رضي الله عنه وقد تقدم مثله وكان هذا الحديث أبسط فذكرته قال: تمسينا ليلة عند أميرالمؤمنين عليه السلام فقال لنا: ليس من عبد امتحن الله قلبه للإيمان إلّا أصبح يجد مودّتنا على قلبه، ولا أصبح عبد ممّن سخط الله عليه إلّا يجد بغضنا على قلبه، وأصبحنا نفرح بحبّ المحبّ لنا، ونعرف بغض المبغض لنا، وأصبح محبّنا مغتبطاً بحبّنا برحمة من الله ينتظرها كلّ يوم، وأصبح مبغضنا يؤسّس بنيانه على شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنّم، وكأن أبواب الرحمة قد فتحت لأهل الرحمة، فهنيئاً لهم رحمتهم، وتعساً لأهل النّار مثواهم، إنّ عبداً لن يقصر في حبّنا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبّنا من يحبّ مبغضنا، إنّ ذلك لا يجتمع في قلب واحد ﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[3] يحب بهذا قوماً ويحب بالآخر

---

(١) أبو وجزة ـ بالزاء المعجمة ـ هو يزيد بن عبيد السعدي المدني الشاعر المتوفى سنة ١٣٠ وهو من الثقات عند العامة.

(٢) قال ابن الأثير: يقال للرجل إذا أتاه ما يقلقه قد شخص به كأنّه رفعه من الأرض لقلقه وانزعاجه؛ ومنه شخوص المسافر: خروجه عن منزله ومنه حديث أبي أيوب فلم يزل شاخصاً في سبيل الله.

(٣) الأحزاب: ٤.

عدوّهم، والذي يحبّنا فهو يخلص حبّنا كما يخلص الذهب الذي لا غش فيه، نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصي الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله، والفئة الباغية حزب الشيطان، فمن أحبّ أن يمتحن[1] حاله في حبّنا فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حبّ من ألب علينا[2] فليعلم أنّ الله عدوّه وجبرئيل وميكائيل والله عدوّ للكافرين.

وعن أبي سخيلة قال: حججت أنا وسلمان فمررنا بالربذة وجلسنا إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، فقال لنا: أمّا إنّه ستكون بعدي فتنة ولابدّ منها، فعليكم بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب فالزموهما، فإنّي أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي سمعته وهو يقول: عليّ أوّل من آمن بي وأوّل من صدّقني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة وهو الصدّيق الأكبر وهو فاروق هذه الأمّة؛ يفرق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين.

وعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام قال: لمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بطن قديد قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي إنّي سألت الله عزّوجلّ أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يواخي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يجعلك وصيّي ففعل، فقال رجل من القوم: والله لصاع من تمر في شنّ بال خير ممّا قد سأل محمّد ربّه، هلّا سأله ملكا يعضده على عدوّه، أو كنزاً يستعين به على فاقته، فأنزل الله تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحىٰ إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَولا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذيرٌ واللهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكيل** ﴾.

وعن المنهال بن عمرو قال: أخبرني رجل من تميم قال: كنّا مع علي بن أبي طالب عليه السلام بذي قار، ونحن نرى أنّا سنخطف في يومنا، فسمعته يقول: والله لنظهرنّ على هذه الفرقة ولنقتلنّ هذين الرجلين ـ يعني طلحة والزبير ـ ولنستبيحنّ عسكرهما، قال التميمي: فأتيت ابن عباس فقلت: ألا ترى إلى ابن عمّك وما يقول؟ فقال: لا تعجل حتّى تنظر ما يكون، فلمّا كان من أمر البصرة ما كان أتيته فقلت: لا أرى ابن عمّك إلّا قد صدق، قال: ويحك إنّا كنّا نتحدّث أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أنّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره، فلعلّ هذا ممّا عهد إليه.

---

(١) وفي بعض النسخ «أن يعرف».

(٢) أي جمع الناس علينا، من ألف الإبل والجيش: جمعهم.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل نزل عَلَيّ وقال: إنّ الله يأمرك أن تقوم الساعة بتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام خطيباً على أصحابك ليبلغوا من بعدهم ذلك عنك، ويأمر جميع الملائكة أن تسمع ما تذكره، والله يوحي إليك يا محمّد إنّ من خالفك في أمره فله النّار، ومن أطاعك فله الجنّة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله منادياً فنادى بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج حتّى علا المنبر، فكان أوّل ما تكلّم به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ قال: يا أيّها الناس أنا البشير وأنا النذير، وأنا النبي الأمّي، إنّي مبلّغكم عن الله عزّوجلّ في أمر رجل لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة العلم، وهو الذي انتجبه الله من هذه الأمّة واصطفاه وهداه وتولّاه، وخلقني وإيّاه، وفضّلني بالرسالة وفضّله بالتبليغ عنّي، وجعلني مدينة العلم وجعله الباب، وجعله خازن العلم والمتقبس منه الأحكام، وخصّه بالوصيّة وأبان أمره، وخوّف من عداوته وأزلف من والاه[1] وغفر لشيعته، وأمر الناس جميعاً بطاعته، وإنّه عزّوجلّ يقول: من عاداه عاداني، ومن والاه والاني، ومن ناصبه ناصبني، ومن خالفه خالفني، ومن عصاه عصاني، ومن آذاه آذاني، ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبّه أحبّني، ومن أراده أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني. يا أيّها الناس، اسمعوا لما أمركم به وأطيعوا، فإنّي أخوفكم عقاب الله ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ** ﴾.

ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال: معاشر الناس هذا مولى المؤمنين، وحجّة الله على الخلق أجمعين، والمجاهد للكافرين، اللهمّ إنّي قد بلّغت وهم عبادك، وأنت القادر على صلاحهم فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين، أستغفر الله لي ولكم ثمّ نزل عن المنبر، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ الله يقرئك السلام ويقول: جزاك الله عن تبليغك خيراً، فقد بلّغت رسالات ربّك ونصحت لأمّتك، وأرضيت المؤمنين وأرغمت الكافرين، يا محمّد إنّ ابن عمّك مبتلى ومبتلىً به، يا محمّد قل في كلّ أوقاتك الحمد لله ربّ العالمين ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ ـ وقد تقدّمت الرواية آنفاً ـ.

---

(١) أزلفه: قربه.

وعن عياض بن عياض عن أبيه قال: مرّ علي بن أبي طالب عليه السلام بملأ فيهم سلمان رحمة الله عليه، فقال لهم سلمان: قوموا فخذوا بحجزة هذا، فوالله لا يخبركم بسرّ نبيّكم صلى الله عليه وآله أحد غيره.

وعن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام ما ثبّت الله حبّ علي بن أبي طالب في قلب أحد فزلّت له قدم إلّا ثبتت له قدم أُخرى.

وعن زاذان قال: سمعت سلمان رضي الله عنه يقول: لا أزال أحبّ عليّاً عليه السلام، فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يضرب فخذه ويقول: محبّك لي محبّ، ومبغضك لي مبغض، ومبغضي لله تعالى مبغض، الحديث ذو شجون[1].

قيل لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: ما أكثر ما تذكر سلمان الفارسي؟! فقال: لا تقولوا الفارسي وقولوا المحمّدي، إنّ ذكري له لثلاث خصال: أحدها إيثاره هوى أميرالمؤمنين على هوى نفسه، والثانية: حبّه للفقراء واختياره إيّاهم على أهل الثروة والعدد، والثالثة: حبّه للعلم والعلماء، إنّ سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.

وعن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام **قال:** جلس جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينتسبون ويفتخرون وفيهم سلمان رضي الله عنه، فقال له عمر: ما نسبك أنت يا سلمان وما فضلك[2]؟ فقال: أنا سلمان بن عبدالله؛ كنت ضالّاً فهداني الله بمحمّد صلى الله عليه وآله، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمّد صلى الله عليه وآله، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمّد صلى الله عليه وآله فهذا حسبي ونسبي يا عمر، ثمّ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر له سلمان ما قال عمر وما أجابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر قريش إنّ حسب المرء دينه، ومروّته خلقه، وفضله عقله[3]، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[4] ثمّ أقبل على سلمان رضي الله عنه فقال له: يا سلمان إنّه ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلّا بتقوى الله عزّوجلّ، فمن

---

(١) الشجون جمع الشجن: الشعبة من كلّ شيء والحديث ذو شجون أي فنون متشعبة تأخذ منه في طرف فلا تلبث حتّى تكون في آخر ويعرض لك منه ما لم تكن تقصده.

(٢) وفي نسخة «أصلك».

(٣) وفي نسخة «أصله».

(٤) الحجرات: ١٣.

كنت أتقى منه فأنت أفضل منه.

أقول: إنّ فضل سلمان مشهور معلوم، ومكانه من علوّ المكانة والزهادة مفهوم، ولولا الخروج عن عرض هذا الكتاب لذكرت من فضله ما يشهد بنبله، ولا مللت من مناقبه ما يؤذن باعتلاء مراتبه التي أغنته عن مناسبه، وأنت لو فكّرت لعلمت، ورأيت أنّه يكفيه نسباً قوله صلى الله عليه وآله: سلمان منّا أهل البيت وإن مدّ الله في الأجل، وفسح في رقعة المهل، فسوف أفرد كتاباً في فضل أصحاب علي عليه السلام من فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنبّه فيه على شرف محلّهم المرفوع، وأبيّن أنّه لابدّ من مشابهة ما بين التابع والمتبوع.

وعن سلمان رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله على النصح للمسلمين، والإئتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له.

وعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام إنّ الله تعالى ضمن للمؤمن ضماناً، قال: قلت: وما هو؟ قال: ضمن له إن أقرّ لله بالربوبيّة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعلي عليه السلام بالإمامة، وأدّى ما افترض الله عليه أن يسكنه في جواره. قال: قلت: هذه والله هي الكرامة التي لا تشبهها كرامة الآدميّين، ثمّ قال أبو عبدالله: إعملوا قليلاً تنعّموا كثيراً.

وعنه عليه السلام في قوله الله عزّوجلّ: ﴿ **وَعَلامَات وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون** ﴾[1] قال: النجم هو رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات الأئمّة من بعده عليه وعليهم السلام.

وعن علي الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمّد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم، وعلى المعترض عليهم، والساب لهم، أولئك لا خلق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم.

وعن علي عليه السلام **قال:** والله لأذودنّ بيدي هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله أعداءنا وليردّونه أحبّاؤنا.

وعنه عليه السلام **قال:** من أحبّني رآني يوم القيامة حيث يحب، ومن أبغضني رآني يوم القيامة حيث يكره.

---

(١) النحل: ١٦.

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطاني الله خمساً وأعطى عليّاً خمساً، أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطى عليّاً السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطى عليّاً الإلهام، وأسرى بي إليه وفتح له أبواب السماء حتّى رأى ما رأيت ونظر إلى ما نظرت. ثمّ قال: يابن عباس من خالف عليّاً فلا تكوننّ ظهيراً له ولا وليّاً، فوالذي بعثني بالحقّ (نبيّاً) ما يخالفه أحد إلّا غير الله ما به من نعمة وشوّه خلقه[1] قبل إدخاله النار. يابن عباس لا تشك في علي فإنّ الشك فيه كفر يخرج عن الإيمان، ويوجب الخلود في النّار.

وعن جابر بن عبدالله قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله من وصيّك؟ قال: فأمسك عنّي عشراً لا يجيبني، ثمّ قال: يا جابر الا أخبرك عمّا سألتني؟ فقلت: بأبي أنت وأُمّي أما والله لقد سكتّ عنّي حتّى ظننت أنّك وجدت عَلَيّ، فقال: ما وجدت عليك يا جابر ولكنّي كنت أنتظر ما يأتيني من السّماء، فأتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقول لك: إنّ علي بن أبي طالب وصيّك وخليفتك على أهلك وأُمّتك، والذائد عن حوضك، وهو صاحب لوائك يقدمك إلى الجنّة، فقلت: يا نبي الله أرأيت من لا يؤمن بهذا أقتله؟ قال: نعم يا جابر، ما وضع هذا الموضع إلّا ليتابع عليه، فمن تابعه كان معي غداً، ومن خالفه لم يرد عَلَيّ الحوض أبداً.

وعن أبي ذر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ضرب على كتف علي بن أبي طالب عليه السلام بيده وقال: يا علي من أحبّنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلج[2]، وشيعتنا هم أهل البيوتات والمعادن والشرف، ومن كان مولده صحيحاً، وما على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها براء، وإن لله ملائكة يهدمون سيّئات شيعتنا كما يهدم القوم البنيان.

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء وانتهيت إلى السدرة المنتهى نوديت يا محمّد استوص بعلي خيراً، فإنّه سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين يوم القيامة.

وعنه عن آبائه عليهم السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: أيّها الناس إنّه

---

(١) شوه وجهه: قبح.

(٢) العلج ـ بكسر العين ـ: الرجل من كفار العجم وغيرهم.

كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشر خصال لهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الخلائق إلى يوم القيامة في الموقف بين يدي الجبّار، ومنزلك في الجنّة مواجه منزلي كما يتواجه منازل الإخوان في الله عزّوجلّ، وأنت الوارث منّي، وأنت الوصي من بعدي، في عداتي وأُسرتي، وأنت الحافظ لي في أهلي عند غيبتي، وأنت الإمام لأُمّتي والقائم بالقسط في رعيّتي، وأنت وليّي ووليّي وليّ الله، وعدوّك عدوّي عدوّ الله.

وعن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين هؤلاء القوم الذين تقاتلهم، الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحجّ واحد، فبم نسمّيهم؟ قال: سمّهم بما سمّاهم الله تعالى في كتابه، فقال: ما كلّ ما في الكتاب أعلمه، قال: أما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وآتَيْنَا عيسَى بن مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وأَيَّدْنَاهُ بِرُوحُ القُدسِ وَلَو شَاءَ اللهُ ما اقْتَتَلَ الَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمْ البَيِّنَات وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مِنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرْ ﴾[1] فلمّا وقع الإختلاف كنّا نحن أولى بالله عزّوجلّ وبالنبي صلى الله عليه وآله وبالكتاب وبالحق، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم بمشيئته وإرادته وقد أحسن السيّد الحميري رحمه الله في قوله:

أقسم بالله وآلائه ... والمرء عمّا قال مسؤول
إنّ عليّ بن أبي طالب ... على التّقى والبرّ مجبول[2]
وإنّه كان الإمام الذي ... له على الأمّة تفضيل
يقول بالحقّ ويعني به ... ولا تلهيه الأباطيل[3]
كان إذا الحرب مرتها القنا[4] ... وأحجمت عنها البهاليل[5]

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) الجبلة ـ بفتحتين ـ: الخلقة والطبيعة يقال جبله الله على الكرم أي فطره عليه.

(٣) لهاه عنه تلهية: شغله.

(٤) يقال: مرت الريح السحاب إذا استدرته، يريد أنّ القنا تستدر الحرب.

(٥) البهلول الضحاك ولعلّه لشجاعته وبسالته لا بكثرث بالحرب فيتبسّم في الحالة التي تقطب فيها الرجال لخوف الحرب كما قال أبوالطيب:

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم

يمشي إلى القرن وفي كفّه أبيض ماضي الحدّ مصقول
مشى العَفَنْزي[١] بين أشباله أبرزه للقنص الغيل[٢]
ذاك الذي سلّم في ليلة عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مدداً أنزلوا كأنّهم طير أبابيل[٣]
فسلّموا لمّا أتوا نحوه وذاك إعظام وتبجيل

وعن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا رجع علي عليه السلام من وقعة الجمل[٤]، اجتاز بالزوراء[٥]، فقال للناس: إنّها الزوراء فسيروا وجنّبوا عنها فإنّ الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة[٦]، فلمّا أتى موضعاً من أرضها قال: ما هذه الأرض؟ قيل: أرض بحرا، فقال: أرض سباخ جنّبوا ويمّنوا[٧]، فلمّا أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له: يا راهب أنزل هاهنا؟ فقال له الراهب: لا تنزل بجيشك هذه الأرض، قال: ولِمَ؟ قال: لأنّه لا ينزلها إلّا نبي أو وصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل الله عزّوجلّ، هكذا نجد في كتبنا، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: فأنا وصيّ سيّد الأنبياء وسيّد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت إذاً أصلع قريش وصي محمّد صلى الله عليه وآله، قال له أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا ذلك، فنزل الراهب إليه فقال: خذ عَلَيّ شرائع الإسلام، إنّي وجدت في الإنجيل نعتك فإنّك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: قف ولا تخبرنا بشيء، ثمّ أتى موضعاً فقال: إلكزوا هذا،

---

(١) العفرني: الأسد وهو فعلني.

(٢) الغيل بالكسر: الأجمة وبيت الأسد مثل الخميس والجمع غيول، وقال الأصمعي: الغيل الشجر الملتف.

(٣) أبابيل جماعات متفرقة ويجيء بمعنى التكثير، وهو من الجمع الذي لا واحد له، وقال بعضهم: واحده أبول مثل عجول، وقيل: أبيل، قال: ولم أجد العرب تعرف له واحداً.

(٤) وفي بعض النسخ «من وقعة الخوارج».

(٥) الزوراء: اسم لارض بغداد وعن الأزهري إنّه اسم مدينة ببغداد في الجانب الشرقي وقال غيره: في الجانب الغربي، قال ياقوت: وهو أصح ممّا ذهب إليه الأزهري بإجماع أهل السير (إنتهى). والزوراء اسم لمواضع أخر أيضاً لكن الظاهر أنّه المراد في هذا الحديث.

(٦) النخالة ـ بالضم ـ: ما نخل أي صفي أو غربل.

(٧) يمن فلان ـ بتشديد الميم ـ: ذهب ذات اليمين.

فلكزه عليه السلام[١] فانبجست برجله عين خرارة[٢]، فقال: هذه عين مريم التي أنبعت لها، ثمّ قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف وإذا بصخرة بيضاء، فقال عليه السلام: على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلّت هاهنا، فنصب أميرالمؤمنين عليه السلام الصخرة وصلّى عليها، وأقام هناك أربعة أيّام يتمّ الصلاة، وجعل الحرم في خيمة من الموضع، ثمّ قال: أرض برانا هذا بيت مريم عليها السلام، هذا موضع مقدس صلّى فيه الأنبياء.

قال أبو جعفر محمّد بن علي عليه السلام: ولقد وجدنا أنّه صلّى فيه إبراهيم قبل عيسى عليه السلام.

قلت: أرض برانا هذه عند باب محول على قدر ميل أو أكثر من ذلك من بغداد، وجامع برانا هناك وهو خراب وحيطانه باقية إلّا شيء منها، دخلت وصلّيت فيه وتبرّكت به.

وعن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أتّخذك أخاً ووصيّاً، فأنت أخي ووصيّي وخليفتي على أهلي في حياتي وبعد موتي، من تبعك فقد تبعني، ومن تخلّف عنك فقد تخلّف عنّي، ومن كفر بك فقد كفر بي، ومن ظلمك فقد ظلمني، يا علي أنا منك وأنت منّي، يا علي لولا أنت ما قوتل أهل النهر، قال: فقلت: يا رسول الله ومن أهل النهر؟ قال: قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية[٣].

وعن سويد بن غفلة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: والله لو صببت الدنيا على المنافق صبّاً ما أحبّني، ولو ضربت بسيفي هذا خيشوم المؤمن[٤] لأحبّني، وذلك أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

وعن عبدالله بن عبدالرحمان الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطيت في علي تسعاً؛ ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، واثنتين أرجوهما له،

---

(١) لكزه: ضربه بجمع كفه. وقيل: اللكز: الضرب بجميع الجسد.

(٢) الخرير: صوت الماء والريح والخرار: الكثير الخرير.

(٣) قال الجزري في النهاية: في حديث الخوارج: يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، أي يجوزونه ويتعدونه كما يخرق السهم الشيء المرمى به ويخرج منه، وقد تكرر في الحديث ومنه حديث علي: أُمِرْتُ بقتال المارقين يعني الخوارج.

(٤) الخيشوم: أقصى الأنف.

وواحدة أخافها عليه، فأمّا الثلاثة التي في الدنيا: فساتر عورتي، والقائم بأمر أهلي ووصيّي فيهم، وأمّا الثلاثة التي في الآخرة: فإنّي أُعطى لواء الحمد يوم القيامة فأدفعه إليه فيحمله عنّي، وأعتمد عليه في مقام الشفاعة، ويعينني على حمل مفاتيح الجنّة، وأمّا اللتان أرجوهما له: فإنّه لا يرجع من بعدي ضالاً ولا كافراً[1]، وأمّا التي أخافها عليه: فغدر قريش به من بعدي.

وعن أبي عبدالله العنزي قال: إنّا لجلوس مع علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل إذ جاءه الناس يهتفون به يا أميرالمؤمنين وقالوا: لقد نالنا النبل والنشاب، فتنكّر ثمّ جاء آخرون فذكروا مثل ذلك وقالوا: قد جرحنا، فقال عليه السلام: يا قوم من يعذرني من قوم يأمروني بالقتال ولم تنزل بعد الملائكة؟ فقال: إنّا لجلوس ما نرى ريحاً ولا نحسّها إذ هبّت ريح طيّبة من خلفنا، والله لوجدت بردها بين كتفي من تحت الدرع والثياب. فلمّا هبّت صبّ أميرالمؤمنين عليه السلام درعه، ثمّ قام إلى القوم فما رأيت فتحاً كان أسرع منه.

وعن جابر بن عبدالله قال: سمعت عليّاً ينشد ورسول الله يسمع:

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي ... معه ربيت وسبطاه هما ولدي
جدّي وجدّ رسول الله منفرد ... وفاطم زوجتي لا قول ذي فند[2]
فالحمد لله شكراً لا شريك له ... البرّ بالعبد والباقي بلا أمد

قال: فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: صدقت يا علي.

وعلى أمثال هذا روي عن أبي عبدالله قال: من زار أميرالمؤمنين عليه السلام عارفاً بحقّه غير متجبّر ولا متكبّر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وبُعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله فإن مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالإستغفار إلى قبره.

وعن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول بغديرخم[3]: إنّ الصدقة لا تحلّ لي ولا لأهل بيتي، لعن الله من ادّعى إلى غير أبيه، لعن الله من تولّى غير مواليه، الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر، وليس لوارث وصيّة، ألا وقد سمعتم منّي

---

(١) كأنّه تعريض على من كفر بعده صلى الله عليه وآله وارتد بتركه ما أمر به وفعله ما نهاه كالأول والثاني ومن حذا حذوهما.

(٢) فند الرجل في القول: أخطأ وكذب.

(٣) وفي بعض النسخ «يوم غدير خم».

ورأيتموني، ألا من كذب عَلَيّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار، ألا وإنّي فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الأمم يوم القيامة فلا تسوّدوا وجهي، ألا لأستنقذنّ رجالاً من النّار وليستنقذنّ من يدي أقوام، إنّ الله مولاي وإنّي مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه.

وقال السيّد الحميري:

إنّ امرئاً خصمه أبو حسن ... لعازب الرأي داحض الحجج[1]

لا يقبل الله منه معذرة ... ولا يلقيه حجّة الفلج[2]

وسئل أنس بن مالك من كان آثر الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رأيت؟ قال: ما رأيت أحداً بمنزلة علي بن أبي طالب عليه السلام إن كان يبعث في جوف الليل إليه فيستخلي به حتّى يصبح، هذا كان له عنده حتّى فارق الدنيا.

قال: ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: يا أنس تحب علياً؟ قلت: والله يا رسول الله إنّي لأحبّه لحبّك إيّاه، فقال: أمّا إنّك إن أحببته أحبّك الله وإن أبغضته أبغضك الله وإن أبغضك الله أولجك النّار.

وعن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عهد إليّ عهداً فقلت: يا ربّ بيّنه لي، قال: اسمع، قلت: سمعت، قال: يا محمّد إنّ عليّاً راية الهدى بعدك، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمها الله المتقين، فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشّره بذلك.

وعن ميثم التمّار رضي الله عنه قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يجود بنفسه يقول: يا حسن، فقال الحسن: لبّيك يا أبتاه، فقال: إنّ الله أخذ ميثاق أبيك على بغض كلّ منافق وفاسق، وأخذ ميثاق كلّ منافق وفاسق على بغض أبيك.

ومن أخبار ابن مهدي رواية أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي عليه السلام، عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من زعم أنّه آمن بي وبما جئت به وهو مبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن.

وعن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب فقال

---

(١) عزب: أبعد. ودحضت الحجة: بطلت. وداحض الحجة: باطلها.

(٢) الفلج: الفوز والظفر.

النبي صلى الله عليه وآله: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال: إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيّة، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزية. قال: فنزل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾[1] قال: وكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إذا اقبل علي قالوا: قد جاء خير البريّة[2].

ومن أخبار أبي محمّد الفحّام رواية الطوسي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ﴾[3] يعني عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعنه عن سعيد بن حذيفة عن أبيه حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبّة من خردل من حبّ علي إلّا أدخله الله عزّوجلّ الجنّة.

وعنه عن عبدالرحمان بن أبي ليلى قال: قال أبي: دفع النبي صلى الله عليه وآله الراية يوم خيبر إلى علي عليه السلام ففتح الله عليه.

وأوقفه يوم غدير خم فأعلم الناس أنّه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وقال: أنت منّي وأنا منك.

وقال: تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل.

وقال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

---

(١) البينة: ٧.

(٢) أقول: وروى السيوطي في در المنثور هذا الحديث بعينه عن ابن عساكر عن جابر مثله. وعن ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية. وعن ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿ **إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ألم تسمع قول الله ﴿ **إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين (إنتهى). فالحمد لله الذي جعلنا من شيعة علي أميرالمؤمنين عليه السلام ومن المتمسكين بحبل ولايته، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(٣) الصافات: ٢٤.

وقال له: أنا سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت.

وقال له: أنت العروة الوثقى.

وقال له: أنت تبيّن لهم ما اشتبه عليهم بعدي.

وقال له: أنت إمام كلّ مؤمنة ومؤمنة بعدي، ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي.

وقال له: أنت الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ﴾[1].

وقال له: أنت الآخذ بسنّتي والذابّ عن ملّتي.

وقال له: أنا أوّل من تنشقّ الأرض عنه، وأنت معي.

وقال له: أنا عند الحوض وأنت معي.

وقال له: أنا أوّل من يدخل الجنّة وأنت معي، تدخلها والحسن والحسين وفاطمة.

وقال له: إنّ الله أوحى إليّ بأن أقوم بفضلك فقمت به في الناس، وبلّغتهم ما أمرني الله بتبليغه.

وقال له: اتّق الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلّا بعد موتي، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. ثمّ بكى النبي صلى الله عليه وآله فقيل: ممّ تبكي يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّهم يظلمونه ويمنعونه حقّه ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده، وأخبرني جبرئيل عن الله عزّوجلّ أنّ ذلك يزول إذا قام قائمها وعلت كلمتهم واجتمعت الأمّة على محبّتهم وكان الشانىء لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم، وذلك حين تغيّر البلاد وضعف العباد والأياس من الفرج، فعند ذلك يظهر القائم فيهم. قال النبي صلى الله عليه وآله: اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي، هو من ولد ابنتي، يظهر الله الحق بهم ويخمد الباطل بأسيافهم، ويتبعهم الناس بين راغب إليهم وخائف لهم.

قال: وسكن البكاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: معاشر المؤمنين ابشروا بالفرج، فإنّ وعد الله لا يخلف، وقضاؤه لا يرد وهو الحكيم الخبير، وإنّ فتح الله قريب، اللهمّ فإنّهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، اللهمّ أكلأهم وارعهم وكن لهم

---

(١) البراءة: ٣.

وانصرهم وأعنهم وأعزّهم ولا تذلّهم واخلفني فيهم إنّك على كلّ شيء قدير.

وعن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾[1] قال: الصدق ولايتنا أهل البيت.

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند اضطرارهم إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه.

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: أتى أميرالمؤمنين عليه السلام سوق القميص فساوم شيخاً منهم، فقال: يا شيخ بعني قميصاً بثلاثة دراهم، فقال: حبّاً وكرامة، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، فلبسه مابين الرسغين[2] إلى الكعبين وأتى المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثمّ قال: الحمد لله الذي رزقني من الرياش[3] ما أتجمّل به في الناس، وأؤدّي فيه فريضتي، وأستر به عورتي، فقال له رجل: أعنك تروى هذا أو شيء سمعته؟ قال: بل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله عند الكسوة.

وعن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد التوسّل إلي وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم.

ونقلت من أمالي الطوسي رحمه الله وقد تقدم قريب منه قال: بلغ أُم سلمة أنّ عبداً لها ينتقص عليّاً عليه السلام ويتناوله، فأحضرته وقالت: يا بني سمعت عنك كذا وكذا؟ فقال: نعم، فقالت: اجلس ثكلتك أُمّك حتّى أُحدّثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ اختر لنفسك، إنّه كانت ليلتي ويومي من رسول الله فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا، فكبوت كبوة شديدة[4] مخافة أن يكون ردّني من سخطة أو نزل فيّ شيء من السماء، ثمّ جئت ثانية فجرى ما جرى في الأُولى، فأتيت الثالثة فأذن لي، فقال: أدخلي، فدخلت، وعلي عليه السلام جاث بين يديه وهو يقول: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر، فأعاد القول ثانية وهو يأمره

---

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الرسغ ـ بالضم ـ: مفصل مابين الساعد والكف والساق والقدم.

(٣) الرياش: اللباس الفاخر.

(٤) كبا لوجهه: انكب، والكبوة: اسم منه.

بالصبر، فأعاد الثالثة فقال: يا علي إذا كان ذلك منهم فسلّ سيفك وضعه على عاتقك واضرب قدماً قدماً حتّى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم. ثمّ التفت صلى الله عليه وآله إليّ فقال: ما هذه الكآبة يا أُم سلمة[1]؟ قلت: لما كان من ردّك إيّاي يا رسول الله، فقال: والله ما رددتك عن موجدة وإنّك لعلى خير من الله ورسوله، ولكن أتيتني وجبرئيل عن يميني وعليّ عن يساري، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي وأمرني أن أوصي بذلك عليّاً.

يا أُم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة.

يا أُم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طاب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة.

يا أُم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا والآخرة (وحامل) لواء الحمد في الآخرة[2].

يا أُم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي.

يا أُم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان.

فقال مولى أُم سلمة: فرّجت عنّي فرّج الله عنك، والله لا سببت عليّاً أبداً.

قلت: أبعد الله هذا العبد وأبعد داره، ولا قرب منزله ولا أدنى جواره، لأنّه حين كان مبغضاً لأمير المؤمنين عليه السلام كان ذا عقيدة ذميمة وطريقة غير مستقيمة، فلمّا عرف الصواب تاب عن سبّه ولم يمل إلى صحبته، ولا قال أعتقد ما يجب منه حبّه وأكون معه ومن حزبه، وهل يرضى بذلك إلّا من غطّى الله على عينه وقلبه.

---

(١) الكآبة: الحزن والغم.

(٢) وفي نسخة «غداً في القيامة».

ورضى الله عن أُم المؤمنين أُم سلمة فلقد أدّت الأمانة في مقالها، وقدمت هذه الشهادة أمام ارتحالها عن الدنيا وانتقالها، وستجني رحمها الله ورضى عنها ثمرة أعمالها عند مآلها.

وعن القاسم بن أبي سعيد قال: أتت فاطمة النبي صلى الله عليه وآله فذكرت عنده ضعف الحال فقال: أما تدرين ما منزلة علي عندي؟ كفاني أمري وهو ابن اثنى عشرة سنة، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ست عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة، وفرّج همومي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وكان لا يرفعه خمسون رجلاً، قال: فأشرق لون فاطمة ولم تقرّ قدماها على الأرض حتّى أتت علياً عليه السلام فأخبرته، فقال: كيف ولو حدّثك بفضل الله كلّه عَلَيّ؟

وعن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً مقبلاً على علي بن أبي طالب وهو يتلو: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾[1] فقال: يا علي إنّ ربّي عزّوجلّ ملكني الشفاعة في أهل التوحيد من أُمّتي وحظر ذلك على من ناصبك أو ناصب ولدك من بعدك.

وعن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا أباذر من أحبّنا أهل البيت فليحمد الله على أوّل النعم، قال: يا رسول الله، وما أوّل النعم؟ قال: طيب الولادة؛ إنّه لا يحبّنا أهل البيت إلّا من طاب مولده.

عن ثابت مولى أبي ذر رضي الله عنه قال: شهدت مع علي بن أبي طاب يوم الجمل، فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني من الشك بعض ما يدخل الناس، فلمّا زالت الشمس كشف الله ذلك عنّي فقاتلت مع أميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ أتيت بعد ذلك أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله رضي الله عنها فقصصت عليها قصّتي، فقالت: كيف صنعت حيث طارت القلوب مطائرها؟ قال: قلت: إلى أحسن ذلك والحمد لله كشف الله ذلك عنّي عند زوال الشمس، فقاتلت مع أميرالمؤمنين عليه السلام قتالاً شديداً، فقالت: أحسنت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عَلَيّ الحوض.

وعن عمّار بن ياسر عليه السلام وأبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو عبيدة: وحدّثنيه سنان بن أبي سنان أنّ هند بن هند بن أبي هالة الأسيدي حدّثه عن أبيه هند بن

---

(١) الإسراء: ٧٩.

أبي هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأُمّه خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وأُخته لأُمّه فاطمة صلوات الله عليها ، قال أبو عبيدة : وكان هؤلاء الثلاثة : هند بن أبي هالة ، وأبو رافع ، وعمّار بن ياسر يحدّثون عن هجرة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ، ومبيته من قبل ذلك على فراشه .

قال : وصدر هذا الحديث عن هند بن أبي هالة واقتصاصه عن الثلاثة ، وقد دخل حديث بعضهم في بعض ، قالوا : كان الله عزّوجلّ ممّا يمنع نبيّه صلى الله عليه وآله بعمّه أبي طالب ، فما كان يخلص إليه من قومه أمر يسوءه مدّة حياته ، فلمّا مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله بغيتها ، وأصابته بعظيم من أذى حتّى تركته لقى[1] ، فقال صلى الله عليه وآله : ما أسرع ما وجدنا فقدك يا عم وصلتك رحم ، وجزيت خيراً يا عم ، ثمّ ماتت خديجة بعد أبي طالب بشهر واجتمع بذلك على رسول الله حزنان حتّى عرف ذلك فيه .

قلت : وسمّى تلك السنة عام الحزن .

قال هند : ثمّ انطلق ذووا الطول والشرف من قريش إلى دار الندوة[2] ليرتأوا ويأتمروا[3] في رسول الله صلى الله عليه وآله وأسرّوا بذلك بينهم وقالوا : نبني له برجاً نستودعه فيه فلا يخلص من الصباة إليه[4] أحد ، ثمّ لا يزال في رنق من العيش[5] حتّى يأتيه المنون ، وأشار بذلك العاص بن وائل وأُميّة وأُبيّ ابنا خلف ، فقال قائل : كلّا ما هذا لكم برأي ولئن صنعتم ذلك ليتمنّون له الحدب[6] والحميم[7] ، والمولى والحليف ، ثمّ ليأتينّ المواسم في الأشهر الحرم بالأمن ، فلينتزعنّ من أُنشوطتكم[8] ، قولوا قولكم .

---

(١) اللقاء : الشي الملقى لهوانه ، والجمع إلقاء .

(٢) الندىُ على فعيل : مجلس القوم ومتحدّثهم ، وكذلك النّدوة والنّادي والمستندى ، فإن تفرّق القوم فليس بنَديّ ، ومنه سمّيت دارالنّدوة بمكة التي بناها قصي ، لأنّهم كانوا يندون فيها أي يجتمعون للمشاورة .

(٣) ارتأى في الأمر : نظر وتدبره . وأتمروا بفلان : إذا همّوا به وتشاوروا فيه .

(٤) والصباة إليه : المايلون إلى دينه ، من صبا يصبو أو من صبا الرجل صبواً : خرج من دينٍ إلى دينٍ . قال أبو عبيدة : صبا من دينه إلى دين آخر كما تصبا النجوم أي تخرج من مطالعها وهو أنسب والأول صحيح المعنى ، وصبا أيضاً أي صار صابياً ، والصابئون جنس من أهل الكتاب ، وليس من قبيل ما نحن بصدده .

(٥) ماء رنق بالتسكين : كدر ، وعيش رنق بالكسر كذلك .

(٦) يقال : حدب عليه وحدب أي عطف عليه .

(٧) حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره .

(٨) الأنشوطة : عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة .

فقال عتبة وشيبة وشركهما أبوسفيان قالوا: فإنّا نرى أن نرحل له بعيراً صعباً[١] ونوثق محمّداً عليه كتافاً وشدّاً ثمّ نخز[٢] البعير بأطراف الرماح فيوشك أن يقطعه بين الدكادك[٣] إرباً إرباً، فقال صاحب رأيهم: إنّكم لم تصنعوا بقولكم هذا شيئاً، أرأيتم إن خلص به البعير سالماً إلى بعض الأفاريق[٤] فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه وطلاقة لسانه فصبا القوم إليه واستجابت له القبائل وسار إليكم فأهلككم، قولوا قولكم.

فقال أبوجهل: لكن أرى أن تعمدوا إلى قبائلكم العشر فتنتدبوا[٥] من كلّ قبيلة رجلاً نجداً وتبيتون[٦] ابن أبي كبشة[٧] فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً فلا تستطيع قومه محاربة الناس فيرضون حينئذ بالعقل[٨]، فقال صاحب رأيهم: أصبت يا أباالحكم.

قلت: وقد ورد أنّ هذا الرأى أشار به إبليس عليهم، وجاءهم في زي رجل من نجد.

قال: فأوحى الله إلى نبيّه بما كان من كيدهم[٩] وتلا عليه جبرئيل عليه السلام: ﴿وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الّذين كَفَرُوا﴾[١٠] الآية، وأمره بالهجرة، فدعا عليّاً عليه السلام لوقته فأخبره بما أوحى الله إليه وما أُمر به، وأنّه أمرني أن آمرك بالمبيت على فراشي أو على مضجعي ليخفى

---

(١) الصعب: نقيض الذّلول.

(٢) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر.

(٣) الدكداك من الرمل: ما التبد منه بالأرض، والجمع الدكادك.

(٤) الفرقة: الطائفة من الناس والفريق أكثر منهم، وفي الحديث: أفاريق العرب، وهو جمع أفراق وأفراق جمع فرقة.

(٥) انتدبه لأمر فانتدب هو له: أي دعاه له فأجاب لازم متعد. ورجل نجد أي شجاع ماض في ما يعجز غيره سريع الإجابة فيما دعي إليه.

(٦) البيات: معروف.

(٧) قال الجزري: كان المشركون ينسبون النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور، فلمّا خالفهم النبي صلى الله عليه وآله في عبادة الأوثان شبّهوه به، وقيل: إنّه كان جد النبي صلى الله عليه وآله من قبل أُمّه فأرادوا أنّه نزع في الشبه إليه.

(٨) العقل: الدية، قال الأصمعي: وسمّيت بذلك لأنّ الإبل كانت تُعقِلُ في فناء وليّ المقتول، ثمّ كثر استعمالهم هذا الحرف حتّى قالوا: عَقِلت المقتولَ إذا أعطيت ديته دراهمَ أو دنانير.

(٩) الكَيدُ: المكرُ، كاده يكيدُه كيداً ومكيدةً وكذلك المكايدة، وربّما سمّيت الحرب كيداً.

(١٠) الأنفال: ٣٠.

بمبيتك عليه أمري، فما أنت قائل وصانع؟ فقال علي عليه السلام: أو تسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم، فتبسّم علي عليه السلام ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه به رسول الله صلى الله عليه وآله من سلامته، وكان أوّل من سجد شكراً، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ رفع رأسه وقال: امض لما أمرت به فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه كمسرتك، وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلّا بالله.

قال: إنّي أخبرك يا علي إنّ الله يختبر أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاءاً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك[1] الله يابن أُم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن الله به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل، فصبراً صبراً فإنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين، ثمّ ضمّه النبي صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى وجداً به وبكى علي عليه السلام حزناً[2] لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله.

واستتبع رسول الله صلى الله عليه وآله أبابكر بن أبي قحافة وهند بن أبي هالة وأمرهما أن ينتظراه بمكان عيّنه لهما من طريقه إلى الغار، ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكانه يوصي عليّاً ويأمره بالصبر، وخرج في فحمة العشاء[3]، والرصد[4] من قريش قد طافوا بالدار ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً** ﴾[5] الآية، ورماهم بقبضة من تراب فما شعروا به ومضى حتّى انتهى إلى صاحبيه، فنهضا معه ووصلوا إلى الغار، ورجع هند إلى مكّة بما أمره به النبي صلى الله عليه وآله، ودخل هو وأبوبكر إلى الغار.

فلمّا نامت الأعين أقبل القوم إلى علي قذفاً[6] بالحجارة ولا يشكّون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح هجموا على علي عليه السلام، وكانت دور مكة يومئذ بغير أبواب، فلمّا بصر بهم عليّ قد انتضوا السيوف وأقبلوا

---

(١) امتحنه: اختبره.

(٢) وفي نسخة «جزعاً».

(٣) فحمة العشاء: ظلمته، يقال: أفحموا من الليل أي لا يسيروا في أوّل فحمته.

(٤) الراصد للشيء: الراقب له، يقال: رَصَده يرصده رصداً ورصداً، والترصد: الترقب.

(٥) يس: ٩.

(٦) القذف بالحجارة الرمي بها، وَخَتْله.

يقدمهم خالد بن الوليد وثب به عليّ فختله[١] وهمز[٢] يده وأخذ سيفه وشدّ عليهم فأجفلوا[٣] فعرفوه وقالوا: إنّا لم نردك فما فعل صاحبك؟ فقال: لا علم لي، فأذكت قريش عليه العيون[٤] وركبت في طلبه الصّعب والذلول.

ولمّا اعتمّ علي[٥] انطلق هو وهند إلى الغار وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبوبكر: قد كنت أعددت لي ولك يا رسول الله راحلتين ترتحلهما إلى يثرب، فقال: لا آخذهما إلّا بالثمن، قال: هي لك يا رسول الله بذلك، فأمر علياً فأقبضه الثمن ووصّاه بحفظ ذمّته وأداء أمانته، وكانت قريش تدعو النبي صلى الله عليه وآله في الجاهليّة الأمين وتودعه أموالها، وبعث والحال كذلك، فأمر علياً أن يقيم صارخاً بالأبطح يهتف[٦] غدوة وعشيّاً: من كان له قبل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلتؤدّ إليه أمانته، وقال له النبي صلى الله عليه وآله: لن يصلوا إليك من الآن بأمر تكرهه حتّى تقدم عَلَيّ فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً. ثمّ إنّي أستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربّي عليكما، وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن يهاجر معه من بني هاشم، وقال لعلي: إذا أبرمت ما أمرتك به فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إليّ لقدوم كتابي عليك، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله يؤم المدينة وأقام في الغار ثلاثاً[٧]، ومبيت عليّ على فراشه أوّل ليلة، وقال علي عليه السلام في ذلك:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمّد لمّا خاف أن يمكروا به ... فوقاه ربّي ذوالجلال من المكر
وبتّ أراعيهم متى يأسرونني ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

---

(١) ختله وخاتله خادعه.

(٢) والهمز مثل الغمز والضغط.

(٣) أجفل القوم: أسرعوا في الهرب.

(٤) أذكت عليه العيون: إذا أرسلت عليه الطلائع.

(٥) اعتم الرجل: دخل في العتمة وهي ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق وقيل وقت صلوة العشاء الآخرة.

(٦) هتف به هتافاً: أي صاح.

(٧) وفي نسخة بعد قوله وأقام في الغار هكذا: «ثلاثة أيام بلياليهنّ وخرج يوم الاربع من ربيع الأول وكان مبيت علي عليه السلام اه».

اقــام ثــلاثاً ثــمّ زمت قــلائص[١] قلائص يفرين الفلا أينما يــفرى[٢]

ولمّا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل في بني عمرو بن عوف بقبا، وأرادوه على الدخول إلى المدينة فقال: ما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن عمّي وابنتي يعني عليّاً وفاطمة عليهما السلام.

قال أبو اليقظان: وحدّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن بقبا عمّا أرادت قريش من المكر به ومبيت عليّ على فراشه وقال: أوحى الله عزّوجلّ إلى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه (الحديث بتمامه) وقد ذكرته قبل هذا.

ونقلت من الكشّاف للزمخشري قال: وكتب النبي صلى الله عليه وآله إلى علي يأمره بالتوجه إليه، فلمّا وصله الكتاب تهيّأ للخروج والهجرة، وخرج بالفواطم: فاطمة بنت محمّد عليهما السلام، وفاطمة بنت أسد أُمّه، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطّلب رضي الله عنهما، وخرج معه أيمن بن أُم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وجماعة من ضعفاء المؤمنين، ولحقهم جماعة من قريش، فقتل رضي الله عنه منهم فارساً وعادوا عنه، فانطلق حتّى نزل ضجنان[٣] فأقام بها قدر يومه، ولحق به نفر من مستضعفي المؤمنين وفيهم أُم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فصلّى ليلته تلك هو والفواطم، وباتوا يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فما زالوا كذلك حتّى طلع الفجر، فصلّى بهم صلاة الفجر وساروهم يصنعون ذلك منزلاً فمنزلا، يعبدون الله عزّوجلّ ويرغبون إليه حتّى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ** ﴾ فالذكر عليّ والأُنثى فاطمة وفاطمة وفاطمة ﴿ **بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ** ﴾ يقول: عليّ من فاطمة، والفواطم من علي ﴿ **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ**

---

(١) قلائص وجمع القلص قلاص، قال العدوي: القلوص أوّل ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثنى، فإذا أثنت فهي ناقة، والقعود: أوّل ما يركب من ذكور الإبل، فإذا أثنى فهو جمل.

(٢) وفي نسخة مخطوطة بدل المصراع الأخير هكذا «ويفرين عزماً للفلا أينما يفرى» وزم البعير: خطمه، وفرى الأرض: سارها.

(٣) ضجنان: جبل بناحية مكة.

وأُوذُوا في سبيلي﴾[1] الآية.

قال: وقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا علي أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك ـ والذي نفسي بيده ـ إلّا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلّا منافق أو كافر.

أقول: خبر الغار أوردته في أوّل هذا الكتاب من طريق آخر، وأوردته هنا لما فيه من زيادات تتعلّق بأميرالمؤمنين عليه السلام، وكان طويلاً فاختصرت بعض ألفاظه، وفيه ألفاظ أُنبّه عليها كما شرطت.

قال أبو ثابت مولى أبي ذر رضي الله عنه يقول: سمعت أُم سلمة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول ـ وقد امتلأت الحجرة من أصحابه ـ: أيّها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإنّي مُخلّف فيكم كتاب الله ربّي عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها، فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي خليفتان نصيران لا يفترقان حتّى يردا عَلَيّ الحوض فأسألهما ماذا خلفت فيهما.

وعن أُم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ـ وهو آخذ بكفّ علي عليه السلام ـ: الحق بعدي مع علي يدور معه حيث ما دار.

وعن رافع مولى أبي ذر رضي الله عنه قال: صعد أبوذر على درجة الكعبة حتّى أخذ بحلقة الباب، ثمّ أسند ظهره إليه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبوذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما مثل أهل بيتي في هذه الأُمّة كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تركها هلك.

وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإنّ الجسد لا يهتدى إلّا بالرأس، ولا يهتدى الرأس إلّا بالعينين.

وعن علي عليه السلام قال: كنّا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه في حجري فتذاكرنا الدجّال، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله محمراً وجهه فقال: لغير الدجال أخوف عليكم

---

(١) آل عمران: ١٩١.

من الدجال، الأئمّة المضلّون وسفك دماء عترتي من بعدي، أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم.

وعن عمر وسلمة ابني سلمة ربيبي رسول الله صلى الله عليه وآله قالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حجّته: عليّ يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين، عليّ أخي ومولى المؤمنين من بعدي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّ الله ختم النبوّة فلا نبي بعدي، وهو الخليفة في الأهل والمؤمنين بعدي.

وعن علي قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه فكان رأسه في حجري والعباس يذبّ عن وجهه، فأُغمي عليه ثمّ فتح عينه فقال: يا عباس يا عم رسول الله اقبل وصيّتي واضمن ديني وعداتي، فقال العباس: يا رسول الله أنت أجود من الريح المرسلة، وليس في مالي وفاء لدينك وعداتك، فقال ذلك ثلاثاً والعباس يجيب بما قال أوّلاً، فقال عليه السلام: لأقولنّها لمن يقبلها ولا يقول مثل مقالتك يا عباس، وقال: يا علي اقبل وصيّتي واضمن ديني وعداتي، فخنقتني العبرة وارتجّ جسدي[1] ونظرت إلى رأسه عليه السلام يذهب ويجيء في حجري فقطرت دموعي على وجهه ولم أقدر أن أجيبه، ثمّ ثنّى فقال: يا علي اقبل وصيّتيي واضمن ديني وعداتي؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأُمّي، قال: اجلسني فأجلسته فكان ظهره في صدري فقال: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، ووصيّي وخليفتي في أهلي.

ثمّ قال: يا بلال هلمّ سيفي ودرعي وبغلتي وسرجها ولجامها ومنطقتي التي أشدّها على درعي، فجاء بلال بهذه الأشياء فوقف البغلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي قم فاقبض، قال: فقمت وقام العباس فجلس في مكاني وقبضت ذلك، قال: فانطلق به إلى منزلك، فانطلقت به، ثمّ جئت فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً فنظر إليّ ثمّ عمد إلى خاتمه فنزعه ثمّ دفعه إليّ فقال: هاك يا علي هذا لك في الدنيا والآخرة، والبيت غاص من بني هاشم والمسلمين. فقال: يا بني هاشم، يا معشر المسلمين لا تخالفوا عليّاً فتضلّوا ولا تحسدوه فتكفروا، ومن تمامه من حديث آخر في معناه.

---

(١) خنقه: عصر حلقه، والعبرة: الدمع، وخنقته العبرة أي غص بالبكاء حتّى كان الدموع أخذت بحلقه. ارتج: اضطرب.

فقال: يا بلال ائتني بولدَيَّ الحسن والحسين، فانطلق فجاء بهما، فأسندهما إلى صدره فجعل يشمّهما، قال علي عليه السلام: فظننت أنّهما قد غمّاه أي أكرباه، فذهبت لأؤخّرهما عنه، فقال: دعهما يا علي يشمّاني وأشمّهما، ويتزوّدا منّي وأتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدي زلزالاً وأمراً عضالا، فلعن الله من يخيفهما[1]، اللهمّ إنّي أستودعكهما وصالح المؤمنين.

وقيل: سمع عامر بن عبدالله بن الزبير وكان من عقلاء قريش ابناً له ينتقص عليّاً، فقال: يا بني لا تنتقص عليّاً فإنّ الدين لم يبن شيئاً فاستطاعت الدنيا أن تهدمه، وإنّ الدنيا لم تبن شيئاً إلّا وهدمه الدين، يا بني إنّ بني أُميّة لهجوا[2] بسبّ علي بن أبي طالب في مجلسهم، ولعنوه على منابرهم، فكأنّما يأخذون ـ والله ـ بضبعه إلى السماء مدّاً وإنّهم لهجوا بتقريظ[3] ذويهم وأوائلهم فكأنّما يكشفون عن أنتن من بطون الجيف فأنهاك عن سبّه.

وسأل معاوية خالد بن معمر: على ما أحببت عليّاً؟ قال: على ثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى عدله إذا ولّى.

قلت: رحمه الله خالد بن معمر فقد وصف عليّاً عليه السلام ببعض ما فيه ونفى عن معاوية بعض ما فيه.

وعن يونس بن حبيب النحوي وكان عثمانياً، قال: قلت للخليل بن أحمد: أُريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عَلَيّ؟ فقال: قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال فتكتمه أنت أيضاً؟ قال: قلت: نعم، أيّام حياتك، قال: سل، قلت: ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمهم كأنّهم كلّهم بنو أُم واحدة وعلي بن أبي طالب من بينهم كأنّه ابن علّةٍ؟ فقال: إنّ عليّاً يقدمهم إسلاماً، وفاقهم علماً، وبذّهم شرفاً[4]، ورجّحهم زهداً، وطالهم جهاداً، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم فافهم.

قيل: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة، قال

---

(١) حاف حيفاً: جار وظلم.

(٢) لهج بالكسر بالشيء يلهج لهجاً إذا أغرى فثابر عليه.

(٣) يقال: التقريظ بالظاء والضاد: المدح بحقّ أو باطل.

(٤) يقال بذه يبذه بذاً أي غلبه، وبنوا العلات: أولاد الرجل من نسوة شتى.

الأصبغ بن نباتة: وكنت فيمن دخل، فجعل الحرث يتأوّد في مشيته[١] ويخبط الأرض بمحجنه[٢] وكان مريضاً، فأقبل عليه أميرالمؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة، فقال: كيف تجدك يا حار؟ قال: نال الدهر منّي يا أميرالمؤمنين وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك[٣]، قال: وفيم خصومتهم؟ قال: في شأنك والبلية من قبلك، فمن مفرط غالٍ ومبغض قالٍ، ومن متردّد مرتابٍ لا يدري أيقدم أم يحجم[٤]؟ قال: فحسبك يا أخا همدان[٥]، ألا إنّ خير شيعتي النمط[٦] الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي.

قال: لو كشفت فداك أبي وأُمّي الرّين عن قلوبنا[٧]، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا، قال: قدك فإنّك امرؤٌ ملبوس عليك[٨]، إنّ دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، والآية العلامة فاعرف الحق تعرف أهله، يا حار إنّ الحقّ أحسن الحديث، والصادع مجاهد[٩]، وبالحقّ أخبرك فأرعني سمعك ثمّ خبّر به منه كانت له حصاة من أصحابك[١٠].

ألا إنّي عبدالله وأخو رسوله وصدّيقه الأوّل؛ صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في أُمّتكم حقّاً، فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصّته يا

---

(١) أود الشيء ـ بالكسر ـ بأوداوداً: أي اعوج، ونأود: تعوج.

(٢) المحجن كالصولجان قلت: وهو العصا المنعطفة الرأس.

(٣) الأوار بالضم ـ: حرارة النار والشمس والعطش، والغل والغلة والغليل: حرارة العطش أيضاً تقول: غل الرجل يغل غلا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله، هذا حقيقته لغة وكثر حتى صار كل أمر يوجب ألم القلب وحرارة الصدر وأذى النفس يسمى أواراً وغليلا.

(٤) حجم عن الشيء: كف. وأحجم بمعناه أيضاً.

(٥) أي كفاك هذا القول.

(٦) النمط: الجماعة من الناس.

(٧) قلت: الرين: الطبع والدنس، يقال: إنّ ذنبه على قلبه يرين رينا وريوناً أي غلب قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أي غلب، وقال الحسن: هو الذنب حتى يسود القلب، وقال أبو عبيدة: كلّما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك (منه عليه السلام).

(٨) قدك بمعنى حسبك وقدى وقدني بمعنى حسبي.

(٩) يقال صدع بالحق: إذا تكلم به جهاراً.

(١٠) يقال فلان ذو حصاة أي ذو عقل ولب، قال كعب بن سعد الغنوي:

وإنّ لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

حار وخالصته وصنوه ووصيّه ووليّه وصاحب نجواه وسرّه، أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد، وأُيّدت ـ أو قال: أُمددت ـ بليلة القدر نفلاً وإنّ ذلك ليجري لي ومن استحفظ من ذريّتي[1] ما جرى الليل والنهار، حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، وأُبشّرك يا حار ليعرفني ـ والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ـ وليّي وعدوّي في مواطن شتّى، ليعرفني عند الممات وعند الصراط وعند المقاسمة، قال: وما المقاسمة يا مولاي؟ فقال لي: مقاسمة النّار، أقسمها قسمة صحاحاً، أقول: هذا وليّي وهذا عدوّي، ثمّ أخذ أميرالمؤمنين عليه السلام بيد الحارث وقال: يا حارث أخذت بيدك كما أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي ـ واشكتيت إليه حسدة قريش والمنافقين ـ: إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل أو حجزة يعني عصمة من ذي العرش تعالى، وأخذت أنت يا علي بحجزتي وأخذ ذريّتك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزكم، فماذا يصنع الله بنبيّه؟ وما يصنع نبيّه بوصيّه؟ وما يصنع وصيّه بأهل بيته؟ وما صنع أهل بيته بشيعتهم؟ خذها إليك يا حار قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت ـ أو قال: ما اكتسبت ـ قالها ثلاثاً، فقال الحارث: وقام يجرّ رداءه جذلا[2] ما أُبالي وربّي بعد هذا ألقيت الموت أو لقيني.

قال جميل بن صالح: فأنشدني السيّد ابن محمّد في كلمة له:

قول علي لحارث عجب ... كم ثمّ أعجوبة له جملا
يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه ... بنعته واسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط تعرفني ... فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ ... تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنار حين تعرض للـ ... ـعرض دعيه لا تقربي الرجلا
دعيه لا تقربيه إنّ له ... حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا

---

(١) النفل والنافلة: عطية التطوع من حيث لا يجب يقال حفظته الكتاب: أي حملته على حفظه واستحفظته: سألته أن يحفظ.

(٢) الجذل ـ بالتحريك ـ: الفرح وجذل بالكسر يجذل فهو جذلان؛ وأجذله غيره أفرحه واجتذل: ابتهج.

قلت: السيّد الحميري رحمه الله كان كيسانيّاً يقول برجعة أبي القاسم محمّد بن الحنفيّة عليه السلام، فلمّا عرفه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام الحق والقول بمذهب الإماميّة الإثنى عشرية ترك ماكان عليه ورجع إلى الحق وقال به، وشعره رحمه الله في مذهبه مشهور لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره، وكان نظّاماً للوقائع مجيداً، وهو كثير الشعر، ولا يوجد من شعره إلّا القليل.

وروي أنّه وجد حمّال وهو يمشي بحمل ثقيل، فقيل: ما معك؟ قال: ميميّات السيّد، وغلب هذا الإسم عليه فلم يكن علويّاً فإنّه بطريق تسميته السيّد يتوهّم ذلك وعلى ذكره.

حدّث الحسين بن عون قال: دخلت على السيّد ابن محمّد الحميري عائداً في علّته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيّد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض مابين السالفين[1]، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ثمّ لم تزل تنمى وتزيد حتّى طبّقت وجهه بسوادها، فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتّى بدت في ذلك في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد أيضاً وتنمى حتّى اصفرّ وجهه وأشرق وافترّ السيّد ضاحكاً[2] وقال:

كذب الزاعمون أنّ عليّاً ... لم ينجّي محبّه من هنات[3]
قد وربّي دخلت جنّة عدن ... وعفا لي الإله عن سيّئاتي
فابشروا اليوم أولياء علي ... وتولّوا عليّ حتّى الممات
ثمّ من بعده تولّوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصفات

ثمّ أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، أشهد أنّ محمّداً رسول الله حقّاً حقّاً، أشهد أنّ عليّاً أميرالمؤمنين حقّاً حقّاً، أشهد أن لا إله إلّا الله، ثمّ أغمض عينه لنفسه، فكأنّما كانت روحه ذبالة طفيت[4] أو حصاة سقطت.

قال علي بن الحسين: قال لي أبي الحسين بن عون وكان أذينة حاضراً فقال: الله

---

(١) رحب الوجه: واسعه. والسالفة: صفحة العنق عند معلق القرط.

(٢) افتر الرجل: ضحك ضحكاً حسناً.

(٣) الهنات: الداهية.

(٤) الذبالة: الفتيلة.

أكبر ما من شهد كمن لم يشهد، أخبرني ـ وإلّا صمّتا ـ الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام أنّهما قالا: حرام على روح أن تفارق جسدها حتّى ترى الخمسة محمّداً وعليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، بحيث تقرّ عينها أو تسخن عينها، فانتشر هذا الحديث في الناس، فشهد جنازته ـ والله ـ الموافق والمفارق.

عن عبدالله بن الصامت ابن أخي أبي ذر قال: حدّثني أبوذر وكان صفوه وانقطاعه إلى علي وأهل هذا البيت[1] قال: قلت: يا نبي الله إنّي أُحبّ أقواماً ما أبلغ أعمالهم؟ قال: فقال: يا أباذر المرء مع من أحبّ وله ما اكتسب، قلت: فإنّي أحبّ الله ورسوله وأهل بيت نبيّه، قال: فإنّك مع من أحببت. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في ملأ من أصحابه، فقال رجال منهم: فإنّا نحبّ الله ورسوله ولم يذكروا أهل بيته، فغضب صلى الله عليه وآله وقال: أيّها الناس أحبّوا الله عزّوجلّ لما يغذوكم به من نعمه، وأحبّوني بحبّ ربّي، وأحبّوا أهل بيتي بحبّي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً صفن[2] بين الركن والمقام صائماً وراكعاً وساجداً، ثمّ لقى الله عزّوجلّ غير محبّ لأهل بيتي لم ينفعه ذلك. قالوا: ومن أهل بيتك يا رسول الله؟ أو أي أهل بيتك هؤلاء؟ قال: من أجاب منهم دعوتي، واستقبل قبلتي، ومن خلقه الله منّي ومن لحمي ودمي، فقالوا: نحن نحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فقال: بخ بخ فأنتم إذاً منهم أنتم إذاً منهم، والمرء مع من أحب وله ما اكتسب.

وعن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عن أبيه عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه كان ذات يوم جالساً بالرحبة[3] والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك الله عزّوجلّ به، وأبوك يعذّب بالنّار؟ فقال: مه فضّ الله فاك[4]، والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أأبي يُعذّب بالنّار وابنه قسيم (الجنّة) والنّار، ثمّ قال: والذي

---

(١) يقال: صفوه معك وصفوه وصفاه أي ميله.

(٢) والصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابع على طرف الحافر، يقال: صفن يصفن صفوناً، والصافن: الذي يصفّ قدميه، وفي الحديث: كنّا إذا صلّينا خلفه فرفع رأسه من الركوع قمنا خلفه صفوفاً.

(٣) محلة بالكوفة.

(٤) فضّ الله فاه: نثر أسنانه.

بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلق إلّا خمسة أنوار: نور محمّد ونوري ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ومن ولدته من الأئمّة، لأنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام.

وعن زيد بن علي عن أبيه أنّ الحسين بن علي عليهما السلام أتى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وهو على المنبر يوم الجمعة فقال له: أنزل عن منبر أبي، فبكى عمر ثمّ قال: صدقت يا بني منبر أبيك لا منبر أبي، فقال علي عليه السلام: ما هو والله عن رأيي، فقال: صدقت والله ما أتّهمك يا أباالحسن، ثمّ نزل من المنبر فأخذه فأجلسه إلى جانبه على المنبر فخطب الناس وهو جالس على المنبر معه، ثمّ قال: أيّها الناس سمعت نبيّكم صلى الله عليه وآله يقول: احفظوني في عترتي وذريّتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم ثلاثاً.

قال أفقر عباد الله تعالى علي بن عيسى بن أبي الفتح عفا الله عنه: قد كنت طالعت كتاب الموفقيّات للزبير بن بكّار الزبيري، فرأيت فيها أخباراً ما كنت أظنّه يروي مثلها لموضع مذهبه، ولمن جمع له الكتاب، وسمّاه باسم نسبه إليه وهو الأمير الموفق أبو أحمد طلحة بن المتوكل أخو المعتمد وولي عهده، وكان يخطب له بلقبين اللهمّ أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد طلحة الموفق بالله وولي عهد المسلمين وأخا أميرالمؤمنين ومات في ثاني رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين، لقّب بالناصر حين فرغ من أمر محمّد بن علي صاحب الزنج، وهو متولّي حروبه وكان هو وأبوه وبنو أبيه في إنحرافهم عن أهل البيت في أبعد الغاية لاسيّما الموفّق والمتوكل، وحربه لصاحب الزنج وإن كان محافظة على الملك، وإنّما قوى هممهم على مطاولته واتّصال الحروب بينهم ما أظهره ذلك الخائن من انتسابه إلى أهل البيت، وإنّه علوي وكان مدّعياً لم يصحّح النسّابون نسبه، وحكى العمري النسّابة رحمه الله إنّه كان دعياً وكان من قرية اسمها ورزنين من قرى الري، فلم يزالوا على حربه ومنازلته جرى من قتله وتفرقة جموعه ما جرى، وكان انتماؤه إلى هذا البيت الشريف أقوى الموجبات لاستئصاله، هذا حال من عمل الكتاب من أجله.

فأمّا جامعه فقد حكى ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء كلاماً هذا مختصره: الزبير بن بكّار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام يكنّى أبا عبدالله الكثير العلم، الغزير الفهم، أعلم الناس قاطبة بأخبار قريش وأنسابها

ومآثرها وأشعارها، ولد ونشأ بالحجاز ومات بمكة في ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين عن أربع وثمانين سنة، وكان أبوه على قضاء مكّة وولاه (المتوكل) القضاء بها بعد أبيه ومات وهو قاضيها، ودخل بغداد عدّة دفعات آخرها سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وكان فتى في شعره ومروّته وبطالته مع سنّه وعفافه، ومثل هذا على صدقه عندهم إذا روى شيئاً يكون صحيحاً قطعاً، لأنّ الزمان قديم، والمخبر صدوق، والمصنّف له متعنّت، وكيف يقدم على تصنيف كتابه باسمه وفيه ما يناقض مذهبه ويخالف عقيدته، ويجبهه بردّه عليه ما قد عقد عليه خنصره، وجعله دينه الذي يرجو به الفوز في آخرته.

حدّث الزبير بن بكار قال: حدّثني عمّي مصعب عن جدّي عبدالله بن مصعب، قال: تقدّم وكيل المونسة إلى شريك بن عبدالله القاضي مع خصم له، فإذا الوكيل مدلّ بموّضعِه من مونسة، فجعل يسطو على خصمه ويغلظ له، فقال له شريك: كف لا أُمّ لك، فقال: أو تقول لي هذا وأنا قهرمان مونسة[1]؟! فقال: يا غلام أصفعه فصفعه عشر صفعات[2] فانصرف بخزي، فدخل على مونسة فشكا إليها ما صنع به، فكتبت رقعة إلى المهدي تشكو شريكاً وما صنع بوكيلها، فعزله وكان قبل هذا قد دخل إليه فأغلظ له الكلام وقال له: ما مثلك من يولّي أحكام المسلمين، قال: ولِمَ يا أميرالمؤمنين؟ قال: لخلافك الجماعة ولقولك بالإمامة، قال: ما أعرف ديناً إلّا عن الجماعة فكيف أخالفها وعنها أخذت ديني، وأمّا الإمامة فما أعرف ديناً إلّا كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فهما إماماي وعليهما عقدي، فأمّا ما ذكر أميرالمؤمنين أنّ ما مثلي يولّى أحكام المسلمين فذاك شيء أنتم فعلتموه فإن كان خطأ وجب عليكم الإستغفار منه، وإن كان صواباً وجب عليكم الإمساك عنه.

قال: ما تقول في علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: ما قال فيه جدّك العباس وعبدالله، قال: وما قالا فيه؟ قال: أمّا العباس فمات وهو عنده أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد شاهد كبراء الصحابة والمهاجرين يحتاجون إليه في الحوادث، ولم يحتج إلى أحد منهم حتّى خرج من الدنيا، وأمّا عبدالله بن عباس رضي الله عنه فضارب معه بسيفين، وشهد

---

(١) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج.

(٢) صفعه صفعاً: ضرب قفاه أو بدنه بكفه مبسوطة.

حروبه، وكان فيها رأسا متّبعاً وقائداً مطاعاً، فلو كانت إمامته جوراً كان أوّل من يقعد عنه أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله، فسكت المهدي وخرج شريك، فما كان بين عزله وبين هذا المجلس إلّا جمعة أو نحوها.

وعن الزبير عن رجاله عن الحسن البصري أنّه قال: أربع خصال في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة، ابتزاؤه[1] على هذه الأمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد من بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الولد للفراش وللعاهر[2] الحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر.

قلت: هذا الخبر وإن لم يكن من غرض هذا الكتاب لكن ساق إليه ما بينهما من أمرٍ مّا.

وعلى هذا حدّث الزبير عن رجاله قال: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة على معاوية وكان أبي يأتيه فيتحدّث معه ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّاً منذ الليلة، فانتظرته ساعة وظننت أنّه لشيء قد حدث فينا وفي علمنا، فقلت: مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئت من عند أخبث الناس، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له ـ وقد خلوت به ـ: إنّك قد بلغت سنّاً يا أميرالمؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال: هيهات هيهات، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل أبوبكر، ثمّ ملك أخو بني عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل عمر، ثمّ ملك عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإنّ أخا بني هاشم يصاح به في كلّ يوم خمس مرّات أتشهد أنّ محمّداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى بعد هذا لا أُمّ لك، لا

---

(١) ابتزاؤه: توثّبه، وبزّه يبزّ بزّاً: سلبه، وابتزّها: سلبها.

(٢) العهر: الزنا، وعهر فهو عاهر والإسم العهر بالكسر.

والله إلّا دفناً دفناً.

فانظر أيّدك الله إلى قول معاوية في النبي عليه الصلاة والسلام وعقيدته فيه يهن عندك فعله مع علي عليه السلام كما قدّمنا أنّ حبّ علي فرع على حبّ الرسول صلى الله عليه وآله والإقرار بنبوّته وتصديقه.

وإنّ الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد

حدّث الزبير عن رجاله قال: إنّ ابن الزبير قال لابن عباس: قاتلت أُمّ المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وأفتيت بتزويج المتعة؟ قال: أنت أخرجتها وأبوك وخالك وبنا سمّيت أُمّ المؤمنين، كنّا لها خير بنين فتجاوز الله عنها، وقاتلت أنت وأبوك عليّاً، فإن كان علي مؤمناً فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين، وإن كان كافراً فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف، وأمّا المتعة فانا نحلّها سمعت النبي صلى الله عليه وآله يحلّها ويرخص فيها فأفتيت فيها وذكر الحديث.

وحدّث الزبير عن رجاله عن ابن عباس قال: إنّي لأماشي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في سكّة من سكك المدينة إذ قال لي: يابن عباس ما أظنّ صاحبك إلّا مظلوماً، قلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين فاردد ظلامته، فانتزع يده من يدي ومضى وهو يهمهم ساعة ثمّ وقف فلحقته فقال: يابن عباس ما أظنّهم منعهم منه إلّا استصغروه، فقلت في نفسي: هذه والله شرّ من الأُولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من صاحبك، قال: فأعرض عنّي.

قال علي بن عيسى عفى الله عنه: قد ذكرت بهذا الحديث حديثاً يشابهه نقلت من كتاب عزالدين عبدالحميد بن أبي الحديد في تفسير نهج البلاغة، قال: نقلت من كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر بسنده عن ابن عباس قال: دخلت على عمر رضي الله عنه في أوّل خلافته وقد ألقي له صاع[1] من تمر على خصفة[2]، فدعاني للأكل، فأكلت تمرة واحدة وأقبل يأكل حتّى أتى عليه، ثمّ شرب من جرّ كان عنده[3] واستلقى على مرفقة[4] له وطفق يحمد الله يكرّر ذلك ثمّ قال: من أين جئت يا عبدالله؟ قلت: من

---

(١) الصاع أربعة أمداد والمد مكيال أيضاً، وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق.

(٢) الخصفة بالتحريك: الجلّة من الخوص تعمل للتمر وجمعها خصف وخصاف.

(٣) الجرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع ويقال له الإبريق.

(٤) المرفقة بالكسر: المخدّة وقد تمرفق إذا أخذها.

المسجد، قال: كيف خلّفت بني عمّك؟ فظننت يعني عبدالله بن جعفر، فقلت: خلّفته يلعب مع أترابه، قال: لم أعن ذلك إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلّفته يمتح[1] بالغرب[2] على نخلات له وهو يقرأ القرآن، فقال: يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتنيها، أبقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها له؟ قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه قال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذرء من قول[3] لا يثبت حجّة ولا يقطع عذراً، وقد كان يزيغ[4] في أمره وقتاً مّا، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحفيظة على الإسلام، لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو ولّيها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم.

قلت: يشير إلى اليوم الذي قال فيه: آتوني بدواة وكتف (الحديث) فقال عمر عليه السلام: إنّ الرجل ليهجر.

حدّث الزبير عن رجاله قال: دخل محفن بن أبي محفن الضبي على معاوية فقال: يا أميرالمؤمنين جئتك من عند ألأم العرب وأبخل العرب وأعيا العرب وأجبن العرب، قال: ومن هو يا أخا بني تميم؟ قال: علي بن أبي طالب، قال معاوية: اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخوكم العراقي فابتدروه أيّهم ينزله عليه ويكرمه، فلمّا تصدّع الناس عنه قال له: كيف قلت؟ فأعاد عليه، فقال له: ويحك يا جاهل، كيف يكون ألأم العرب وأبوه أبوطالب وجدّه عبدالمطّلب وامرأته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وأنّى يكون أبخل العرب؟ فوالله لو كان له بيتان بيت تبن وبيت تبر[5] لأنفذ تبره قبل تبنه، وأنّى يكون أعيا العرب؟ فوالله ما سنّ البلاغة لقريش غيره، ولما قامت أُم محفن عنه

---

(١) المائح: المستقي وكذلك المنوح، تقول: متح الماء يمتحه متحاً إذا نزعه.

(٢) الغرب: الدلو العظيمة.

(٣) ذره من قول: أي طرف منه ولم يتكامل.

(٤) أزاغ يزيغ: إذا طلب وأراد.

(٥) التبر ـ بكسر التاء ـ: الذهب غير مضروب.

ألأم وأبخل وأجبن وأعيا لبظر أُمّه[١]، فوالله لولا ما تعلم لضربت الذي فيه عيناك، فإيّاك ـ عليك لعنة الله ـ والعود إلى مثل هذا.

قال: والله أنت أظلم منّي، فعلى أيّ شيء قاتلته وهذا محلّه؟ قال: على خاتمي هذا حتّى يجوز به أمري، قال: فحسبك ذلك عوضاً من سخط الله وأليم عذابه، قال: لا يابن محفن، ولكنّي أعرف من الله ما جهلت حيث يقول: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢].

قلت: قد شهد معاوية من فضل علي عليه السلام بماكان يعرف أضعافه، ورأى مع ذلك عصيانه ومنابذته وخلافه، وناصبه العداوة حتّى قتل بينهما ألوف متعددة واستمرّ على سبّه على المنابر بهمّة لا وانية في ذلك ولا متردّدة، وأوصى على الإستمرار عليها بنيه وبني أبيه، واتّخذها سنّة جرى على بدعتها هو ومن يقتفيه إلى أن أجرى الله رفعها على يد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فوفّقه الله لصوابها وهداه إلى ثوابها وأنجاه من أليم عذابها، ووبيل عقابها.

ثمّ إنّ معاوية يجعل عذره فيما صنع واعتماده في الفتنة التي خبّ فيها ووضع عصره في الدماء التي أراقها وملاذه في النار التي وراها وقوّى إحراقها الإعتماد على رحمة الله، ولعمري إنّها قريبة من المحسنين[٣]، فأين إحسانه؟ وحاصله لصالحي المؤمنين فأين صلاحه وإيمانه؟ وشفاعة نبيّه معدّة للمذنبين أفيشفع له وهذا شأنه، هيهات إنّها من أماني النفوس الكاذبة، وتعللاتها الباطلة الخائبة.

حملوها يوم السقيفة أوزارا ... تخف الجبال وهي ثقال
ثمّ جاؤا من بعدها يستقيلون ... وهيهات عثرة لا تقال

وحدّث الزبير عن رجاله قال: قدم ابن عباس على معاوية وكان يلبس أدنى ثيابه ويخفض من شأنه لمعرفته أنّ معاوية كان يكره إظهاره لشأنه، وجاء الخبر إلى معاوية

---

(١) قال الجزري: البظر ـ بفتح الباء ـ: الهنة التي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان. ثمّ قال بعد كلام له: والعرب تطلق هذا اللفظ في الذم وإن لم تكن أم من يقال له خاتنة واللام للتعليل، وما قامت عنه أنّه كناية عنه نفيه.

(٢) الأعراف: ١٥٦.

(٣) لقوله تعالى ﴿ **إنّ رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ وليس بمعلون أنّ معاوية ناسى في ذلك الكلام عن هذه الآية أم تناسى، أو رأى أنّ ابن محفن لم يكن حارباً لكتاب الله وآياته فتمسك بالآية لإحجامه.

بموت الحسن بن علي عليهما السلام ، فسجد شكراً لله تعالى وبان السرور في وجهه !! في حديث طويل ذكره الزبير وذكرت منه موضع الحاجة إليه ، وأذن للناس وأذن لابن عباس بعدهم ، فدخل فاستدناه وكان قد عرف بسجدته ، فقال له : أتدري ما حدث بأهلك ؟ قال : لا ، قال : فإنّ أبا محمّد عليه السلام توفي رحمه الله ، فعظّم الله لك الأجر ، فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، عند الله نحتسب المصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله وعند الله نحتسب مصيبتنا بالحسن بن علي رحمه الله ، أنّه قد بلغتني سجدتك فلا أظنّ لك إلّا لوفاته ، والله لا يسدّ جسده حفرتك ، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك ، ولطال ما رزينا بأعظم من الحسن[1] ثمّ جبر الله .

قال معاوية : كم كان أتى له من العمر ؟ قال : شأنه أعظم من أن يجهل مولده ، قال : أحسبه ترك صبية صغاراً ، قال : كلّنا كان صغيراً فكبر ، قال : أصبحت سيّد أهلك ، قال : امّا ما أبقى الله أبا عبدالله الحسين بن علي فلا ، ثمّ قام وعينه تدمع ، فقال معاوية : لله درّه لا والله ما هيّجناه قط إلّا وجدناه سيّداً .

ودخل على معاوية بعد انقضاء العزاء فقال : يا أباالعباس أما تدري ما حدث في أهلك ؟ قال : لا ، قال : هلك أُسامة بن زيد ، فعظّم الله لك الأجر ، قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحم الله أسامة ، وخرج وأتاه بعد أيام وقد عزم على محاقته[2] ، فصلّى في الجامع يوم الجمعة واجتمع الناس عليه يسألونه عن الحلال والحرام والفقه والتفسير وأحوال الإسلام والجاهلية وهو يجيب ، وافتقد معاوية الناس فقيل إنّهم مشغولون بابن عباس ، ولو شاء أن يضربوا معه بمائة ألف سيف قبل الليل لفعل ، فقال : نحن أظلم منه حبسناه عن أهله ومنعناه حاجته ونعينا إليه أحبّته ، انطلقوا فادعوه ، فأتاه الحاجب فدعاه ، فقال : إنّا بني عبد مناف إذا حضرت الصلاة لم نقم حتّى نصلّي ، أُصلّي إن شاء الله وآتيه .

فرجع وصلّى العصر وأتاه ، فقال : ما حاجتك ؟ فما سأله حاجة إلّا قضاها وقال : أقسمت عليك لمّا دخلت بيت المال فأخذت حاجتك ، وإنّما أراد أن يعرف أهل الشام ميل ابن عباس إلى الدنيا ، فعرف ما يريده ، فقال : إنّ ذلك ليس لي ولا لك ، فإن أذنت أن

---

(١) الرزء والرزية : المصيبة العظيمة .

(٢) حاق محاقة في الأمر : خاصمه ورافعه وادّعى أنّه أولى بالحق .

أعطي كلّ ذي حقّ حقّه فعلت، قال: أقسمت عليك إلّا دخلت فأخذت حاجتك، فدخل فأخذ برنس خز أحمر[1] يقال: إنّه كان لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ خرج، فقال: يا أميرالمؤمنين بقيت لي حاجة، فقال: ما هي؟ قال: علي بن أبي طالب قد عرفت فضله وسابقته وقرابته، وقد كفاكه الموت، أحبّ أن لا يشتم على منابركم، قال: هيهات يابن عباس، هذا أمر دينٍ أليس أليس؟ وفعل وفعل؟ فعدّد مابينه وبين علي كرّم الله وجهه، فقال ابن عباس: أولى لك[2] يا معاوية والمود القيامة ولكلّ نبأٍ مستقر وسوف تعلمون، وتوجّه إلى المدينة.

فأمّا إقدام معاوية وطغيانه واستمراره على ما سوّل له شيطانه، وإعلانه على رؤوس الأشهاد بما نطق به لسانه، وجعله سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام من أمور الدين فاغراً بذلك فاه بين المسلمين، منتهكاً بذلك ما وجب له عليه السلام من الحرمة، غير مراقب في ذلك إلّاً ولا ذمّة، خارجاً على الإمام، واثباً على الأمّة فممّا يقضي منه العجب لفرط تمرّده، وتتحيّر الخواطر من جريه في حلبات عصيانه في أمسه ويومه وغده، وتذهل الألباب من ادّعائه الإسلام مع جناية يده، وإن كان قد جعله ستراً دون أفعاله، ووقاية لجاهه وماله، ونظراً لدنياه مع غفلة عن ماله، نعوذ بالله من الفتنة في الأديان، والتورّط في حبالات الشيطان.

وحدّث الزبير عن رجاله عن ابن عباس أنّ معاوية أقبل عليه وعلى بني هاشم فقال: إنّكم تريدون أن تستحقّوا الخلافة كما استحققتم النبوّة، ولا يجتمعان لأحد، حجّتكم في الخلافة شبهة على الناس، تقولون نحن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فما بال خلافة النبي صلى الله عليه وآله في غيرنا؟ وهذه شبهة لأنّها تشبه الحق، فأمّا الخلافة فتنقلب في أحياء قريش برضى العامّه وشورى الخاصة، فلم يقل الناس ليت بني هاشم ولّونا ولو أنّ بني هاشم ولّونا لكان خيراً لنا في دنيانا وآخرتنا، فلا هم حيث اجتمعوا على غيركم تمنّوكم، ولو زهدتم فيها أمس لم يقاتلوا عليها اليوم، وأمّا ما زعمتم أنّ لكم ملكاً هاشميّاً ومهديّاً قائماً، فالمهدي عيسى بن مريم عليه السلام وهذا الأمر في أيدينا حتّى نسلّمه

---

(١) البرنس: كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه متصلاً به.

(٢) أولىٰ لك، قال الجوهري: تهديد ووعيد وقال الأصمعي: أي قاربه ما يهلكه أي نزل به، قال ثعلب: لم يقل أحد في أولى أحسن ممّا قاله الأصمعي.

إليه، ولعمري لئن ملكتمونا ما رائحة عاد وصاعقة ثمود بأهلك اليوم منكم لنا، ثمّ سكت.

فقال له عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أمّا قولك إنّا نستحق الخلافة بالنبوة فنعم، فإذا لم نستحقّها بها فبم تستحقّها؟

وأمّا قولك: إنّ النبوة والخلافة لا يجتمعان لأحد فأين قول الله تعالى: ﴿ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبراهيمَ الكِتابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ﴾[1] فالكتاب: النبوة، والحكمة: السنّة، والملك: الخلافة، ونحن آل إبراهيم، أمر الله فينا وفيهم والسنّة لنا ولهم جارية.

وأمّا قولك: إنّ حجّتنا مشتبهة، فوالله لهي أضوأ من الشمس وأنور من نور القمر، وإنّك لتعلم ذلك ولكن شيء عطفك وصعرك[2] قتلنا أخاك وجدّك وأخاه وخالك، فلا تبك على أعظم حائلة[3] وأرواح أهل النّار، ولا تغضبنّ لدماء أحلّها الشرك ووضعها.

فأمّا ترك الناس أن يجتمعوا علينا فما حرموا منّا أعظم ممّا حرمنا منهم.

وأمّا قولك: إنّا زعمنا أنّ لنا ملكاً مهديّاً، فالزعم في كتاب الله تعالى شرك، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الّذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾[4] وكلّ يشهد أنّ لنا ملكاً، ولو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لبعث الله لأمره منّا من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، لا تملكون يوماً واحداً إلّا ملكنا يومين، ولا شهراً إلّا ملكنا شهرين، ولا حولاً إلّا ملكنا حولين.

وأمّا قولك: إنّ المهدي عيسى بن مريم، فإنّما ينزل عيسى على الدجال، فإذا رآه يذوب كما تذوب الشحمة، والإمام منّا رجل يصلّي خلفه عيسى بن مريم ولو شئت سمّيته.

وأمّا ريح عاد وصاعقة ثمود، فإنّهما كانا عذاباً وملكنا ـ والحمد لله ـ رحمة.

حدّث الزبير قال: حج معاوية فجلس إلى ابن عباس، فأعرض عنه ابن عباس، فقال معاوية: لِمَ تعرض عنّي؟ فوالله إنّك لتعلم أنّي أحقّ بالخلافة من ابن عمّك، قال

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) الصعر: الميل في الخد خاصة وقد صعر خده.

(٣) أعظم جمع العظم وقوله حائلة أي متغيرة بالية. من قولهم حال الشيء: أتى عليه أحوال أي سنون.

(٤) التغابن: ٧.

ابن عباس: لِمَ ذاك لأنّه كان مسلماً وكنت كافراً؟ قال: لا، ولكن ابن عمّي عثمان قُتل مظلوماً، قال ابن عباس: وعمر رضي الله عنه قتل مظلوماً؟ قال: إنّ عمر قتله كافر وإنّ عثمان قتله المسلمون، قال ابن عباس: ذاك أدحض لحجّتك[1]، فأسكت معاوية.

وحدّث الزبير عن رجاله عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصي من آمن بالله وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولّاه فقد تولّاني ومن تولّاني فقد تولّى الله، ومن أحبّه فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله.

أقول: لا ريب أنّ القلم استحلى المناقب فجرى سعياً على رأسه، ووجد مجالاً فسيحاً فأعنق في حلبة قرطاسه[2]، ورأى مكان القول ذا سعة فقال: واعتقلته الأيّام مدّة، فالآن حين ألقى العقال، ولولا كفّ غربه لاستمرّ على غلوائه[3]، فإن طلبه حصر ما لا يتناهى معدود من ضعف رأيه، ومن أين يحصر مناقب الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام وهي تتجاوز حدّ الإكثار؟ وكيف يمكن عدّ مفاخره وبيته بيت الشرف والفخار؟ إليه تنتهي مكارم الأخلاق، وعنه يحدث بزكاء الأعراق، وهو الحجّة على العباد، والمحجة المسلوكة ليوم المعاد، ونور الله الذي من استضاء به اهتدى، وعروته التي من اعتلق بها فما راح عن الحق ولا اعتدى، وبابه الذي منه الدخول إلى طاعته ورضوانه، وسبيله الذي يؤدّي إلى الفوز بعالي جنانه، وعصمته التي من اعتلق بحبالها اعتصم، وميثاقه الذي من التزم به فقد التزم، وإذا كانت الإطالة لا تبلغ وصف كماله، والإطناب لا يحيط بنعت فضله وإفضاله، فالأولى أن يقتصر على ما ذكرناه من شرفه وجلاله، فحاله صلى الله عليه وآله أشهر من أن يحتاج إلى التنبيه على حاله.

وهذه الأخبار التي أوردتها ونسبتها إلى ناقليها ربّما قال قائل: هذه أخبار آحاد لا يعوّل عليها، ولا يستند في إثبات مطلوب إليها.

فالجواب عن ذلك: إنّا معاشر الشيعة ننقل ما ننقله في فضائله من طرق أصحابنا وإجماعهم، وفيهم الإمام المعصوم، فلا حاجة هنا إلى آحادكم ولا متواتركم، وأنتم تعملون بأخبار الآحاد فدونكم إلى العمل بها، ثمّ إنّ هذه الأخبار قد يحصل

---

(١) دحض الحجة: أبطلها.

(٢) الحلبة: الدفعة من الخيل في الرهان خاصة.

(٣) الغرب: الحدة والنشاط وكففت من غربه: أي من حدته. وغلواء الشباب ـ بضم العين وفتح اللام ـ: نشاطه وسرعته.

المجموع ما جاؤا به معنى التواتر، كما أنّه إذا سمعنا أنّ إنساناً ما بلغ من الملك مكانة جليلة، ثمّ بلغنا أنّ الملك يتزيد في الإحسان إليه وإنّا في كلّ يوم نسمع من جهات مختلفة بتخصيصه إيّاه بضروب من إنعامه فإنّا نستفيد من جملة ذلك أنّ مكانته منه مكينة، وأنّ محلّه منه عظيم، فكذاك الحال في هذا، وحيث ملنا إلى الإقتصار على هذا القدر فلنشرع في ذكر مقتله عليه السلام وكيف جرت الحال فيه.

في ذكر قتله ومدّة خلافته وذكر عدد أولاده عليه السلام

قال أبوالمؤيد الخوارزمي رحمه الله **في كتاب المناقب**: برفعه إلى أبي سنان الدؤلي أنّه عاد عليّاً في شكوى اشتكاها، قال: فقلت له: لقد تخوّفنا عليك يا أميرالمؤمنين في شكواك هذه، فقال: لكنّي والله ما تخوّفت على نفسي لأنّي سمعت رسول الله الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله يقول: إنّك ستضرب ضربة هاهنا ـ وأشار إلى صدغيه[1] ـ فيسيل دمها حتّى تخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود.

قلت: الضمير في أشقاها يعود إلى الأمّة وإن لم يجر لها ذكر، كما قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾[2] وكما قال: حتّى إذا ألقت يداً في كافر[3]، ويدلّ عليه: أشقى ثمود.

ومن المناقب مرفوعاً إلى إسماعيل بن راشد قال: كان من حديث ابن ملجم لعنه الله وأصحابه: أنّ عبدالرحمان بن ملجم والبرك بن عبدالله التميمي وعمرو بن بكر

---

(١) الصدغ: مابين العين والأذن.

(٢) سورة ص: ٣٢. والضمير في توارت في الآية يرجع إلى الشمس وإن لم يجر لها ذكر لأنّه شيء قد عرف. قال الطبرسي رحمه الله: وهذا كقوله سبحانه ﴿ **إنّا أنزلناه** ﴾ يعني القرآن ولم يجر له ذكر، وقوله ﴿ **كلّ من عليها فان** ﴾ يعني الأرض. ونقل عن الزجاج أنّه قال: في الآية دليل على الشمس وهو قوله ﴿ **إذ عرض عليه بالعشي** ﴾ فهو في معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتّى توارت الشمس بالحجاب؛ قال: وليس يجوز الإضمار إلّا أن يجري ذكر أو دليل بمنزلة الذكر.

(٣) وبعده «وأجن عورات الثغور ظلامها» وهو من معلقات لبيد بن ربيعة يصف الليل وظلمته، والضمير في ألقت يرجع إلى الشمس وقال الزوزني: الكافر: الليل سمّيت به لكفره الأشياء أي لستره والكفر: الستر والأجنان: الأستار أيضاً. والثغر: موضع المخافة وعورته: أشدّه مخافة. يقول: حتّى إذا ألقت الشمس يدها في الليل أي ابتدأت في الغروب وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد لأنّ من ابتدء بالشيء قيلألقى يده فيه، وستر الظلام مواضع المخافة، والضمير في ظلامها للعورات.

التميمي اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس وعابوا على ولاتهم، ثمّ ذكروا أهل النهروان فترحّموا عليهم وقالوا: والله ما نصنع بالحياة بعدهم شيئاً، وقالوا: إخواننا الذين كانوا دعاة الناس إلى عبادةربّهم الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمّة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم أمر علي بن أبي طالب، وكان من أهل مصر، وقال البرك بن عبدالله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتوافقوا لا ينكل الرجل عن صاحبه الذي وجّه إليه حتّى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمّوها واتّعدوا لتسع عشرة ليلة من رمضان يثب[1] كلّ واحد منهم إلى صاحبه الذي توجّه إليه، فأقبل كلّ واحد إلى المصر الذي فيه صاحبه.

فأمّا ابن ملجم المرادي فخرج فلقى أصحابه بالكوفة فكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، فرأى ذات يوم أصحاباً له من تيم الرباب وكان علي عليه السلام قتل منهم يوم النهر عدداً، فذكروا قتلاهم، ولقى من يومه ذلك امرأه منهم يقال لها قطام وكان عليّ قتل أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال، فلمّا رآها التبس عقله فنسي حاجته التي جاء لها، فخطبها، فقالت: لا أتزوّجك حتّى تشتفي لي، قال: وما تشائين؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبداً وقينة[2]، وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهرك؛ فأمّا قتل علي فلا أراك تدركينه ولكن أضربه ضربة، قالت: فالتمس غرّته[3] فإن اصبته انتفعت بنفسك ونفسي، وإن هلكت فما عند الله خير وأبقى لك من الدنيا وزبرج أهلها[4].

فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلّا قتل علي بن أبي طالب، قالت: فإذا أدركت ذلك فإنّي أطلب لك من يشدّ ظهرك ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من أهلها من تيم الرباب يقال له: وردان، فكلّمته فأجابها، وجاء ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة، قال: وما

---

(١) وثب: نهض وقام.

(٢) القينة: الأمة المغنية، وقيل: الأمة مغنية كانت أو غير مغنية.

(٣) الغرة ـ بالكسر ـ: الخدعة.

(٤) الزبرج ـ بالكسر ـ: الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك وقيل هو الذهب.

ذاك ؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أُمّك لقد جئت شيئاً إدّاً[١]، كيف تقدر على ذلك ؟ قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفيت أنفسنا وأدركنا ثارنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا، فقال له: ويحك لو كان غير علي كان أهون عَلَيّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أجدني أنشرح لهذا، قال: ألم تعلم أنّه قتل أهل النهر العباد المصلّين ؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا.

فأجابه، فجاؤوا حتّى دخلوا على قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة فيه، فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي بن أبي طالب، قالت: فإذا أردتم ذلك فأتوني ثمّ عادوا ليلة الجمعة التي قتل علي في صبيحتها سنة أربعين، فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبيّ أن يقتل كلّ واحد منّا صاحبه، فأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلمّا خرج شدّ عليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب أو بالطاق وضربه ابن ملجم بالسيف وهرب وردان، فدخل منزله ودخل عليه رجل من بني أُميّة ورأى سيفه فسأله فعرفه فقتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة فلقيه رجل من حضرموت وفي يد شبيب السيف فقبض عليه الحضرمي وأخذ سيفه، فلمّا رأى الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خاف على نفسه فتركه، فنجا في غمار الناس[٢].

فشدّوا على ابن ملجم فأخذوه وشدّ عليه رجل من همدان فضرب رجله فصرعه، وتحامل علي عليه السلام[٣] فصلّى بالناس الغداة، وقال عَلَيّ بالرجل، فأُدخل عليه، فقال: أي عدوّ الله ألم أحسن إليك ؟ قال: بلى، قال: فما حملك على هذا، قال: شحذته[٤] أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه، قال علي: فلا أراك إلّا مقتولاً به وما أراك إلّا من شرّ خلق الله عزّ وجلّ.

فذكروا أنّ محمّد بن حنيف قال: والله إنّي لأُصلّي تلك الليلة في رجال كثير من المصر قريباً من السدة من أوّل الليل إلى آخره، إذ خرج عَلَيّ لصلاة الغداة فجعل ينادي

---

(١) الإد: الداهية والأمر الفظيع.

(٢) الغمار ـ بالضم وبفتح ـ: جماعة الناس ولفيفهم يقال دخلت في غمار الناس أي في جمعهم المتكاثف.

(٣) تحامل في الأمر وبالأمر: تحمله على أعياء ومشقة.

(٤) شحذ السكين: أحده.

أيّها الناس الصلاة الصلاة، فنظرت إلى بريق السيوف وسمعت قائلاً يقول: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً ثمّ رأيت ثانياً وسمعت عليّاً يقول: لا يفوتنّكم الرجل، وشدّ عليه الناس من كلّ جانب فلم أبرح حتّى أُخذ وأُدخل على عليّ، فدخلت فسمعت عليّاً يقول: النفس بالنفس فإن هلكت فاقتلوه كما قتلني، فإن بقيت رأيت فيه رأيي.

ودخل الناس على الحسن فزعين وابن ملجم مكتوف بين يديه، فنادت أُم كلثوم بنت علي: أي عدو الله إنّه لا بأس على أمير المؤمنين والله مخزيك، فقال لعنه الله: على ما تبكين إذاً؟ والله لقد اشتريته بالف وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة بجميع أهل المصر ما بقي منهم أحد.

قال: ودعا عليّ حسناً وحسيناً عليهما السلام فقال: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما[1]، وقولا بالحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع، واصنعا للأُخرى، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، إعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثمّ نظر إلى محمّد بن الحنفيّة فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإنّي أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقّهما عليك، فلا توثق أمراً دونهما، ثمّ قال: أوصيكما به فإنّه شقيقكما[2] وابن أبيكما وقد علمتما أنّ أباكما كان يحبّه، وقال للحسن: أوصيك يا بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، فإنّه لا صلاة إلّا بطهور، ولا تقبل الصلاة ممّن منع الزكاة، وأوصيك بعفو الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبّت في الأمور[3]، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش، فلمّا حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيّته عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى

---

(١) الإبتغاء بمعنى الطلب. وزوى عنه حقه: منعه إيّاه.

(٢) الشقيق: الأخ كأنّه شقّ نسبه من نسب أخيه.

(٣) وفي بعض النسخ «في الأمر».

ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، ثمّ إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين.

ثمّ أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن يبلغه كتابي بتقوى الله ربّكم ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إنّ صلاح ذات البين[1] أفضل من عامّة الصلاة والصيام، فانظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب.

والله الله في الأيتام فلا تغيّروا أفواههم، ولا يضيعنّ بحضرتكم[2].

والله الله في جيرانكم، فإنّه وصيّة نبيّكم صلّى الله عليه وآله، ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورثهم.

والله الله في القرآن فلا يسبقكم بالعمل به غيركم.

والله الله في الصلاة فإنّها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربّكم فلا تخلونّ به ما بقيتم، فإنّه إن يترك لن تناظروا.

والله الله في شهر رمضان فإنّ صيامه جنّة من النّار.

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.

والله الله في الزكاة فإنّها تطفىء غضب الرب.

والله الله في ذريّة نبيّكم فلا تظلموا بين ظهرانيكم.

والله الله في أصحاب نبيّكم فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصى بهم.

والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم.

والله الله فيما ملكت أيمانكم فإنّ آخر ما تكلّم به رسول الله صلّى الله عليه وآله أن قال: أوصيكم بالضعيفين: نساؤكم وما ملكت أيمانكم.

الصلاة الصلاة لا تخافنّ في الله لومة لائم يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولّى الأمر شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم، عليكم بالتواصل والتباذل،

---

(١) وفي بعض النسخ «صلوح» وفي آخر «إصلاح».

(٢) أنظر إلى قوله عليه السلام: لا تغيّروا أفواههم وأعجب من حسن هذه الكناية، فإنّه أراد لا تجيعوهم فتغيّر أفواههم، فاكتفى بذلك عن التصريح بذكر الجوع وكلّ أحواله وأقواله عليه السلام عجب.

وإيّاكم والتدابر والتقاطع والتفرّق، وتعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيّكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة وبركاته.

ولم ينطق إلّا بلا إله إلّا الله حتّى قُبض عليه السلام في شهر رمضان سنة أربعين، وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبّر عليه الحسن تسع تكبيرات.

وكان عليه السلام نهى الحسن عن المثلة فقال: يا بني عبدالمطلب لا ألفينّكم[1] تخوضون (في) دماء المسلمين (خوضاً) تقولون: قتل أميرالمؤمنين! ألا لا يقتلنّ بي إلّا قاتلي، أنظر يا حسن إن أنا متّ من ضربتي هذه فاضربه ضربة ولا تمثّل بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور[2].

فلمّا قبض عليه السلام بعث الحسن عليه السلام إلى ابن ملجم فقتله، ولفّه الناس في البواري وأحرقوه، وكان أنفذ إلى الحسن يقول: إنّي والله ما أعطيت الله عهداً إلّا وفيت به، إنّي عاهدت أن أقتل عليّاً ومعاوية أو أموت دونهما فإن شئت خلّيت بيني وبينه ولك الله عَلَيّ أن أقتله فإن قتلته وبقيت لآتينّك حتّى أضع يدي في يدك، فقال: أما والله حتّى تعاين النّار ثمّ قدمه فقتله.

وذكر أبوالمؤيّد في مناقبه يرفعه أنّ عليّاً عليه السلام قال لأُم كلثوم: يا بنية ما أراني إلّا قلّ ما أصحبكم، قالت: ولم يا أبة؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله البارحة في المنام وهو يمسح الغبار عن وجهي، ويقول لي: يا علي لا عليك قضيت ما عليك.

وعنه قال: لمّا ضرب علي عليه السلام تلك الضربة قال: فما فعل ضاربي؟ أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقّي، وإن متُّ فاضربوه ضربة ولا تزيدوه عليها، ثمّ أوصى الحسن فقال: لا تغال في كفني فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تغالوا في الكفن وامشوا بين المشيتين فإن كان خيراً عجلتموني، وإن كان شرّاً ألقيتموني[3] عن أكتافكم.

---

(١) ألفاه: وجده.

(٢) العقور من الحيوان: الذي يعقر أي يخرج ويقتل ويفترس كالأسد والنمر والذئب والفهد وما أشبهها واشتركها الكلب في السبعية.

(٣) وفي نسخة لقيتموه.

وبالإسناد عن الزهري قال: قال عبدالملك بن مروان: أي واحد أنت إن حدّثتني ماكانت علامة يوم قُتل علي عليه السلام؟ قال: يا أميرالمؤمنين ما رفعت حصاة ببيت المقدس إلّا كانت تحتها دم عبيط، فقال: إنّي وإيّاك غريبان في هذا الحديث.

وعنه قال أبوالقسام الحسن بن محمّد المعروف بابن الرفا بالكوفة قال: كنت بالمسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم، فقلت: ما هذا؟ قالوا: راهب أسلم، فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف، عظيم الخلق، وهو قاعد بحذاء مقام إبراهيم، فسمعته يقول: كنت قاعداً في صومعتي فأشرفت منها فإذا طائر كالنسر قد سقط على صخرة على شاطىء البحر، فتقيّأ فرمى بربع إنسان ثمّ طار، فتفقّدته فعاد فتقيّأ فرمى بربع إنسان كذا إلى أن تقيّأ باقيه ثمّ طار، فدنت الأرباع فقام رجلاً فهو قائم وأنا أتعجّب حتّى أنحدر الطير فضربه وأخذ ربعه وطار، وفعل به في الثلاثة الأرباع كذلك، فبقيت أتفكّر وأتحسّر ألّا أكون سألته من هو؟ فبقيت أتفقّد الصخرة حتّى رأيت الطير فأقبل وفعل كما فعل، فالتامت الأرباع وصار رجلاً، فنزلت وقمت بإزائه ودنوت منه وسألته: من أنت؟ فسكت عنّي، فقلت: بحقّ من خلقك من أنت؟ فقال: أنا ابن ملجم، فقلت: وما فعلت؟ قال: قتلت علي بن أبي طالب، فوكّل الله بي هذا الطائر يقتلني كلّ يوم قتلة، فهذا خبري، وانقض للطائر فأخذ ربعه وطار، فسألت عن علي؟ فقالوا: ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت.

قلت: قد اختصرت بعض ألفاظ هذه القصة لما فيها من تكرار، فأثبت معناها وهي تناسب قول النبي صلى الله عليه وآله حين سأله عليه السلام من أشقى الناس؟ قال: عاقر الناقة وضاربك على يافوخك هذا[1].

وعنه عن عثمان بن المغيرة قال: لمّا أن دخل رمضان كان علي يتعشّى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم، يقول: يأتيني أمر الله وأنا خميص[2] إنّما هي ليلة أو ليلتان فأُصيب من الليل.

وبإسناده عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: ولّى علي بن أبي طالب خمس سنين،

---

(١) اليافوخ: الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل.

(٢) يقال: فلان خميص الحشا أي ضامر البطن.

وقُتل سنة أربعين من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث وستّين سنة، قُتل يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان، ومات يوم الأحد ودفن بالكوفة.

وبإسناده عن جابر قال: إنّي لشاهد لعليّ وقد أتاه المرادي يستحمله فحمله ثمّ قال:

عذيري من خليلي من مراد[1] أريد حباءه ويريد قتلي

كذا أورده فخر خوارزم، والذي نعرفه: أُريد حياته ويريد قتلي * عذيري (البيت)[2].

ثمّ قال: هذا والله قاتلي، قالوا: يا أميرالمؤمنين أفلا تقتله؟ قال: لا، فمن يقتلني إذاً، ثمّ قال:

أُشدد[3] حيازيمك[4] للموت فإنّ الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بناديك

وبإسناده قال إسماعيل بن عبدالرحمان: كان عبدالرحمان بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج من تيم الرباب يقال لها قطام، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علي بن أبي طالب عليه السلام، ففي ذلك قال الفرزدق:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمّم[5]

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا قتل إلّا دون قتل ابن ملجم

وذكرت بهذه الأبيات قول القائل:

فلا غرو للأشراف قد عبثت بها ذئاب الأعادي من فصيح وأعجم

---

(١) قال الجزري: قال علي وهو ينظر إلى ابن ملجم «عذيرك من خليلك من مراد» يقال: عذيرك من فلان بالنصب أي هات من يعذرك فيه، فعيل بمعنى فاعل.

(٢) وقال الميداني أيضاً في حرف الراء «أريد حباءه ويريد قتلي» هذا مثل تمثّل به أميرالمؤمنين علي كرّم الله وجهه حين ضربه ابن ملجم لعنه الله وباقي البيت «عذيرك من خليلك من مراد».

(٣) لفظ أُشدد زيادة على عروض البيت.

(٤) الحيزوم: وسط الصدر، وما يشدّ عليه الحزام، والحزيم مثله.

(٥) الحسام ـ بالضم ـ: السيف القاطع. وصمم السيف: مضى في العظم وقطعه.

فحربة وحشي سقت حمزة الردى وحتف علي من حسام ابن ملجم[١]

وذكر الشيخ كمال الدين بن طلحة رحمه الله في كتاب مناقبه قال: قد تقدم القول في ولادته وبيان وقتها، وإذا كان مبدأ عمره مضبوطاً وهو الطرف الأول، وكان آخر عمره مضبوطاً وهو الطرف الثاني، يستلزم ذلك ظهور مقدار مدّة عمره، وقد صحّ النقل أنّه صلى الله عليه وآله ضربه عبدالرحمان بن ملجم ليلة الجمعة، لكن قيل: لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل: لتسعة عشر ليلة وقد نقله جماعة، وقيل: ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، وقيل: ليلة الثالث والعشرين منه، ومات ليلة الأحد ثالث ليلة ضُرب من سنة أربعين للهجرة، فيكون عمره خمساً وستّين سنة، وقيل: بل كان ثلاثاً وستّين، وقيل: بل ثمان وخمسين سنة، وقيل: بل كان سبعاً وخمسين سنة، وأصحّ هذه الأقوال هو القول الأول، فإنّه يعضده ما نقل عن معروف عليه السلام قال: سمعت من أبي جعفر محمّد ابن علي الرضا سلام الله عليهما يقول: قُتل علي بن أبي طالب وله خمس وستّون سنة فهذه مدّة عمره.

وأمّا تفصيل قتله فقد نقل أنّه عليه السلام لمّا فرغ من قتل الخوارج وأخذ في الرجوع إلى الكوفة سبقه عبدالرحمان بن ملجم إلى الكوفة يبشّر أهلها بهلاك الشراة الخوارج[٢]، فمرّ بدار من دور الكوفة فيها جمع، فخرج منها نسوة فرأى فيهنّ امرأه يقال لها قطام بنت الأصبغ التميمي، بها مسحة من حسن، فأحبّها وساق كمال الدين حديث قتله قريباً ممّا أورده فخر خوارزم.

وقال: فخرج في تلك الليلة وفي داره إوز، فلمّا صار في صحن الدار تصايح في وجهه، فقال عليه السلام: صوايح تتبعها نوايح ـ وقيل: صوارخ ـ فقال ابنه الحسن عليه السلام: ما هذه الطيرة؟ فقال: يا بني لم أتطيّر ولكن قلبي يشهد أنّي مقتول، وقال: إنّه ضربه وقد استفتح وقرأ وسجد سجدة، فضربه على رأسه فوقعت الضربة على ضربة عمرو بن ود يوم الخندق بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) وقد مرّ البيت في الجزء الأول في قصة أُحد وشهادة حمزة عليه السلام أيضاً لكن بلفظ آخر وهو قوله:

ولا عار للأشراف إن ظفرت بهم كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

الخ

(٢) قال الجزري: الشراة هم الخوارج؛ وإنّما لزمهم هذا اللقب لأنّهم زعموا أنّهم شروا دنياهم بالآخرة أي باعوها، والشراة جمع شار ويجوز أن يكون من المشارة: الملاحة.

قال ابن طلحة: فلمّا مات عليه السلام غسله الحسن والحسين ومحمّد يصبّ الماء، ثمّ كفن وحنط وحمل ودفن في جوف الليل بالغري، وقيل: بين منزله والجامع الأعظم والله أعلم.

قال: وإذا كانت مدّة عمره عليه السلام خمساً وستّين سنة على ما ظهر، فاعلم منحك الله بألطاف تأييده، إنّه عليه السلام كان بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أوّل عمره خمساً وعشرين سنة؛ فمنها بعد المبعث والنبوّة ثلاث عشرة سنة، وقبلها اثنى عشرة سنة، ثمّ هاجر وأقام مع النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة إلى أن توفى عشر سنين ثمّ بقي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قتل ثلاثين سنة، فذلك خمس وستّون سنة (آخر كلامه).

وقال الشيخ المفيد رحمه الله قريباً ممّا ذكره ابن طلحة رحمه الله والخوارزمي وزاد عليه ما أورده أنّهم كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس[1] ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أميرالمؤمنين وواطأهم عليه، وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه، وكان حجر بن عدي رحمه الله في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجا النجا بحاجتك[2] فقد فضحك الصبح، فأحسّ حجر

---

(١) أشعث بن قيس الكندي قد عدّه الشيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ عدّه من أصحاب علي عليه السلام وقال: ثمّ صار خارجياً ملعوناً. وعن الكشي بسنده عن بعض أصحابنا أنّ رجلين من ولد الأشعث بن قيس استأذنا على أبي عبدالله عليه السلام فلم يأذن لهما، فقلت: إنّ لهما مبلاً ومودّة لكم؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أقواماً فجر اللعن فيهم وفي أعقابهم إلى يوم القيامة، وحديث بيعته وعمرو بن حريث وجماعة مع الضب في خارج الكوفة وتسميته أميرالمؤمنين استهزاءاً وإخبار علي عليه السلام بهذه القضية معروف مشهور في الأخبار وقال في تنقيح المقال: ويكفي في خبث هذا الخبيث نهي أميرالمؤمنين عليه السلام عن الصلوة في المسجد الذي بناه بل عدّه الباقر عليه السلام من المساجد الملعونة وذكر الخبر في ترجمة شبث بن ربعي ثمّ قال: ومات بعد مقتل علي عليه السلام بأربعين ليلة ودفن بكوفة: وقيل غير ذلك «انتهى».
أقول: وكان الرجل ذاثروة ومنعة في قبيلة كندة وله صولة وشجاعة وكان ممّن خرج مع علي عليه السلام إلى صفّين لقتال معاوية وقصة شجاعته في وقعة القتال على الماء وثباته في الحرب مع عسكر معاوية قبل رفع المصاحف على الرماح معروفة في كتب التواريخ. لكن الشيطان استحوذ عليه وصار من الخوارج وأعداء علي عليه السلام وقد ورثت ولده الخيانة والشقاوة والسعي في إهلاك آل الرسول وفت أفلاذ كبد البتول من أبيهم فهذه جعدة ابنته زوجة الإمام الحسن بن علي عليه السلام وهي التي سقته السم فمات منه كما ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة وغيره وغيره، وهذا ابنه محمّد بن الأشعث الذي سار مع عمر بن سعد إلى كربلا وصار من قتلة سيّدالشهداء عليه آلاف التحية والثناء فعليهم لعائن الله والملائكة والنّاس أجمعين.

(٢) نجا نجاءاً في الأمر: أسرع وسبق. وقولهم النجاء النجاء أي أسرع أسرع.

بما أراد الأشعث، فقال له: قتلته يا أعور؟ وخرج مبادراً ليمضي إلى أميرالمؤمنين ليخبره الخبر ويحذّره القوم فخالفه أميرالمؤمنين عليه السلام[1] فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم لعنه الله فضربه بالسيف وأقبل حجر والناس يقولون: قُتل أميرالمؤمنين.

وقال المفيد رحمه الله: وهرب القوم نحو أبواب المسجد، وتبادر الناس لأخذهم؛ فأمّا شبيب بن بجرة فأخذه رجل وصرعه وجلس على صدره وأخذ السيد من يده ليقتله، فرأى الناس يقصدون نحوه فخشي أن يعجّلوا عليه ولا يسمعوا منه فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف عن يده ومضى شبيب هارباً حتّى دخل منزله، ودخل عليه ابن عمّ له فرآه يحلّ الحرير عن صدره، فقال له: ما هذا، لعلّك قتلت أميرالمؤمنين؟ فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، فمضى ابن عمّه فاشتمل على سيفه ثمّ دخل عليه فضربه حتّى قتله.

وأمّا ابن ملجم لعنه الله فإنّ رجلاً من همدان لحقه فطرح عليه قطيفة كانت في يده، ثمّ صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وأفلت الثالث فانسلّ بين الناس[2]، ولمّا دخل ابن ملجم لعنه الله على أميرالمؤمنين عليه السلام نظر إليه ثمّ قال: النفس بالنفس، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي. فقال ابن ملجم لعنه الله: والله لقد ابتعته بألف، وسممته بألف، فإن خانني فأبعده الله، قال: ونادته أُم كلثوم: يا عدوّ الله قتلت أميرالمؤمنين؟ قال: إنّما قتلت أباك، قالت: يا عدوّ الله إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس، فقال لها: فأراك إنّما تبكين عليّ إذاً؟ والله لقد ضربته ضربة لو قسّمت على أهل المصر لأهلكتهم، فأخرج من بين يدي أميرالمؤمنين وإنّ الناس لينهشون لحمه بأسنانهم[3] كأنّهم سباع وهم يقولون: يا عدوّ الله ماذا فعلت؟ أهلكت أُمّة محمّد وقتلت خير الناس، وإنّه لصامت ما ينطق، وجاء الناس إلى أميرالمؤمنين فقالوا: مرنا بأمرك في عدوّ الله، فقد أهلك الأُمّة وأفسد الملّة، فقال لهم: إن عشت رأيت فيه رأيي، وإن هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبي؛ أقتلوه ثمّ حرّقوه بعد ذلك بالنار.

---

(١) أي في الطريق.

(٢) أفلت أي خلص. وانسل من الزحام: انطلق في استخفاء.

(٣) نهشه: عضّه أو أخذه بأضراسه.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده قال: لمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله عليّاً عليه السلام الضربة، قال علي عليه السلام: افعلوا به كما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل برجل أراد قتله، فقال: اقتلوه ثمّ حرّقوه، فلمّا قضى أميرالمؤمنين عليه السلام نحبه وفرغ أهله من دفنه، جلس الحسن عليه السلام وأمر أن يؤتى بابن ملجم، فجيء به، فلمّا وقف بين يديه قال: يا عدوّ الله قتلت أميرالمؤمنين وأعظمت الفساد في الدّين؟ ثمّ أمر به فضربت عنقه، واستوهبت أُم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه لتتولّى إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنار.

وأمّا الرجلان اللذان كانا مع ابن ملجم في العقد على قتل معاوية وعمرو بن العاص، فإنّ أحدهما ضرب معاوية وهو راكع فوقعت ضربته في إليته ونجا منها، وأُخذ فقُتل من وقته، وأمّا الآخر فإنّه وافى عمرو بن العاص في تلك الليلة وقد وجد علّة فاستخلف رجلاً يصلّي بالناس يقال له خارجة بن أبي حبيبة العامري فضربه بسيفه وهو يظن أنّه عمرو بن العاص، فأُخذ وأتي به عمرواً فقتله ومات خارجة في اليوم الثاني.

قلت: هذا موضع بيت ابن زيدون وقد تقدم.

فليتها إذ فدت عمرواً بخارجة ... فدت علياً بمن شاءت من البشر

هذا آخر ما ذكره المفيد رحمه الله في حديث مقتله، وإنّما أوردته ليعلم موضع نقل أصحابنا وأصحابهم فيه فما الخلاف فيه بطائل.

وقد ورد في موضع مدفنه بالغري من جهة أصحابنا ما هو كاف شاف، وليس ذكر ذلك ممّا يتعلّق به غرض، والخلاف فيه ظاهر، كلّ الشيعة متّفقون على أنّه دُفن بالغري حيث هو معروف الآن يزار، بأخبار يروونها عن السلف وفيهم الإمام المعصوم والجمهور يذكرون مواضع أحدها هذا الموضع وهذا لا يضرّنا فيه خلاف من خالف وليكن هذا القدر كافياً والله المستعان.

ذكر أولاده الذكور والإناث عليه وعليهم السلام

قال المفيد رحمه الله: سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأُنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وزينب الصغرى المكناة أُم كلثوم أُمّهم فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين بنت سيّد المرسلين محمّد خاتم النبيّين صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين، ومحمّد المكنّى أباالقاسم، أُمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة وعمر ورقيّة كانا توأمين وأُمّهما أُم حبيبة بنت ربيعة، والعباس وجعفر وعثمان وعبدالله الشهداء مع أخيهم

الحسين صلوات الله عليه وعليهم السلام بطف كربلا أُمّهم أُم البنين بنت حزام بن خالد ابن دارم، ومحمّد الأصغر المكنّى أبابكر وعبيدالله الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف أُمّهما ليلى بنت مسعود الدارمية، ويحيى وعون أُمّهما أسماء بنت عميس الخثعميّة رضي الله عنها، وأُمّ الحسن ورملة أُمّهما أُم مسعود بن عروة بن مسعود الثقفي، ونفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأُم هاني وأُم الكرام وجمانة المكناة بأُم جعفر، وأمامة، وأُم سلمة، وميمونة وخديجة، وفاطمة رحمة الله عليهنّ لأُمّهات أولاد شتّى.

وفي الشيعة من يذكر أنّ فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ذكراً كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حمل محسناً، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أميرالمؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون ولداً والله أعلم.

وقال كمال الدين بن طلحة رحمه الله: الفصل الحادي عشر: في ذكر أولاده عليه السلام: إعلم أيّدك الله بروح منه أنّ أقوال الناس اختلفت في عدد أولاده عليه السلام ذكوراً وإناثاً، فمنهم من أكثر فعد منهم السقط ولم يسقط ذكر نسبه، ومنهم من أسقطه ولم ير أن يحتسب في العدّة به، فجاء قول كلّ واحد بمقتضى ما اعتمده في ذلك ويحسبه، والذي نقل من كتاب صفوة الصفوة وغيره من تأليف الأئمّة المعتبرين، أنّ أولاده الذكور أربعة عشر ذكراً، وأولاده الإناث تسعة عشر انثى وهذا تفصيل أسمائهم.

الذكور: الحسن، والحسين، ومحمّد الأكبر، وعبيدالله، وأبوبكر، والعباس، وعثمان، وجعفر، وعبدالله، ومحمّد الأصغر، ويحيى، وعون، وعمر، ومحمّد الأوسط عليهم السلام.

الإناث: زينب الكبرى، وأُم كلثوم الكبرى، وأُم الحسن، ورملة الكبرى أُم هاني، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأُم كلثوم الصغرى، ورقية، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأُم الكرام، وأُم سلمة، وأُم جعفر، وجمانة، وتقية، بنت أُخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة.

وذكر قوم آخرون زيادة على ذلك وذكروا فيهم محسناً شقيقاً للحسن والحسين عليهما السلام، كان سقطاً، فالحسن والحسين وزينب الكبرى وأُم كلثوم هؤلاء الأربعة رضي الله عنهم من الطهر البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومحمّد الأكبر هو ابن الحنفيّة واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية وقيل غير ذلك، وعبيدالله

وأبوبكر أُمّهما ليلى بنت مسعود، والعباس وعثمان وجعفر وعبدالله وأُمّهم أُمّ البنين بنت حزام بن خالد، ويحيى وعون أُمّهما أسماء بنت عميس، ومحمّد الأوسط أُمّه أمامة بنت أبي العاص، وهذه أمامة هي بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، وأُمّ الحسن ورملة الكبرى أُمّهما أُم سعيد بنت عروة، فهؤلاء من المعقود عليهنّ نكاحاً وبقيّة الأولاد من أُمّهات شتّى أُمّهات أولاد.

وكان يوم قتله عليه السلام عنده أربع حراير في نكاح، وهنّ أمامة بنت أبي العاص، وهي بنت زينب بنت رسول الله ﷺ تزوّجها بعد موت خالتها البتول فاطمة عليها السلام، وليلى بنت مسعود التميميّة، وأسماء بنت عميس الخثعميّة، وأُم البنين الكلابية، وأُمّهات أولاد ثمانية عشر أُم ولد.

هذا آخر ما أردت إثباته من مناقب مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنا أعتذر إلى كرمه من التقصير، وأتنصّل من ميلي في جميع مزاياه إلى المعاذير، كوني إذ شرعت في إثباتها لم أستقصها، وحين عددتها لم أحصها، وقد ضرب قبل المثل (مكره أخوك لا بطل) وما ذاك إلّا لعجزي عن الإحاطة بمفاخره، وقصوري عن الإتيان بمآثره، وكيف أحصي شرف من صاحبه المجد فما جانبه، ووافقه السداد فما فارقه، وحالفه الرشاد فما حالفه، الله يؤيّده، والقرآن يعضده، والرسول يسدّده، وهمّته تنجده، والطاهرة زوجته، وولدها ولده الطهارة تكتنفه، والنسب الهاشمي يعرفه، والقرابة القريبة تشرفه، والإخوة تقدمه، والصهر يعظمه، وأنفسنا تكرمه، والأب شريف الفخار، والعم أسد الله الكرار، والأخ جعفر الطيار، والأُم ذات الشرف والفخار، في الدين متين: ومن النبي مكين، وعلى أسراره أمين، ولكشف الكروب عن وجهه ضمّين، فما الليث الخادر أجرى منه جناناً، ولا الغيث الماطر أندى منه بناناً، ولا السيف الباتر أمضى منه لساناً، الفتى بشهادة جبرئيل، المؤمنين باسجال التنزيل، المجاهد في ذات الله بحكم البرهان والدليل، المتصدّق وكلّ مانع أو بخيل، المناجي لمّا جفا الصديق وضنّ بالقليل، الهادي فما عراه لبس ولا تضليل، سيّد أبو سيّدين، فارس بدر وأحد وحنين، زوج البتول، أبو الريحانتين، قرار القلب قرّة العين، وأي شرف ما افترع هضابه، وأي فخر ما أفضى ركابه[1]، وأي معقل عزّ ما فتح بابه، وأي منار مجد ما امتطى

---

(١) فرع الجبل: صعده. وافترع بمعناه. وافترع البكر: أزال بكارتها. والهضاب: أعالي الجبل. والإفضاء:

غاربه[١]، وأي أمد جلال ما حاز مشارقه ومغاربه، أحاطت به الرئاسة من كلّ جهاته، وظهرت السماحة والحماسة من صلاته[٢] وصولاته، وبذّ النظراء ولا نظير له في دينه المتين وصلواته، وجرى بإرادة الله ورسوله في حركاته وسكناته، فعفافه وطهارته متساوين في منامه ويقظاته، سيف الله وحجّته، وصراطه المستقيم ومحجّته.

وماذا عسى أن أقول وفي أي جلباب أوصافه أجول، وفي أي نعوته أطلق لساني، وبأي روية أفكّر فيما له من المعاني وأين ثمرات سوده من يد الجاني؟ وما قصرت عنها إلّا وغيري مقصر، ولا قهقهرت إلّا وغيري مقهقر، وما اعتذرت إلّا في موضع الإعتذار، ولا ثنيت جواد بلاغتي إلّا بعد أن قصرت الجياد في هذا المضمار، وحبّي يقتضي المبالغة في الإكثار وصعوبة هذه السبيل تحمّلني على الإقتصار، وما أشبه الحال بقول من قال:

أحبّك حبّاً لو يفيض يسيره ... على الخلق مات الخلق من شدّة الحب
وأعلم أنّي بعد ذاك مقصر ... لأنّك في أعلى المراتب من قلبي

فالبيت الثاني وصف حالي، ومن الله ذي المعالي أسأل أن يجعل ما اعتمدته في جمع هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وموجباً لإحسانه العميم، وامتنانه الجسيم، فيه تعالى وتقدّس اهتدينا إلى محبّتهم، وإليه جلّ وعلا نتقرّب بمودّتهم، وهم الأدلّاء على الله الكريم، والهداة إلى نهجه القويم وصراطه المستقيم، والملازمة واضحة الدليل وعلى الله قصد السبيل.

نجز الجزء الأول من كشف الغمة في معرفة الأئمّة نقلاً من نسخة بخط المولى الصدر الكبير العالم العامل الكامل جامع شتات الفضائل المبرز على الأواخر والأوائل مجد الدين الفضل بن يحيى بن علي بن المظفر بن الطيبي تغمّده الله برحمته، وحشره بكرمه مع ساداته وأئمّته، والنسخة المشار إليها منقولة من نسخة الأصل بخط المصنف قدّس الله روحه ونوّر ضريحه مقابلة به وقع الفراغ منه يوم السبت لثلاث

⊂ الوصول إلى الشيء. وأفضى إلى المرأة غشيها وقيل: إذا خلا بها أفضى غشى أو لم يغش، وكأن من هذا الباب إفضاء المرأة لمن جعل مسلكها مسلكاً واحد وفي الكلام استعارة لطيفة لا تخفى على المتأمل.

(١) امتطى الشيء جعلها مطية وركبها. والغارب: الكاهل وهو مابين الكتفين أو موصل العنق في الصلب.

(٢) إشارة إلى قصة إعطائه الخاتم في الركوع ونزول آية ﴿إنّما وليّكم الله﴾ الخ.

ليال بقين من شهر رمضان المبارك من سنة تسع وسبعمائة الهلالية[1] على يد كاتبه أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته محمّد بن محمّد بن حسن بن الطويل الحلّي الصفّار الساكن يومئذ بواسط القصب، رحم الله من نظر فيه وسأل الله مغفرة ذنوبه وستر عيوبه، والحمد لله حقّ حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد بن عبدالله خاتم النبيين، وسيّد المرسلين وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، وأصحابه الكرام المنتجبين وهو حسبي ونعم الوكيل، ويتلوه في الجزء الثاني أخبار سيّدة نساء العالمين فاطمة ابنة سيّد المرسلين محمّد ﷺ وأخبار الأئمّة من ولدها عليهم السلام حسب ما شرط في صدر الكتاب، والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّىٰ الله على محمّد النبي وآله الطاهرين.

صورة ماكان مكتوباً على مجلّد الأصل بخط المصنّف

أسكنه الله بحبوحة جنانه

نجز الجزء الأوّل من كشف الغمّة في معرفة الأئمّه على يد جامعه أفقر عباد الله إلى رحمته، وشفاعة نبيّه وأئمّته، علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي عفى الله عنه، في ثالث شعبان من سنة ثمان وسبعين وستمائة ببغداد، في داره بالجانب الغربي على شاطىء دجلة، ويتلوه بعون الله وحسن توفيقه في المجلد الثاني أخبار سيّدة نساء العالمين فاطمة ابنة سيّد المرسلين، محمّد صلّىٰ الله عليه وعليها وعلى بعلها، وأخبار الأئمّة من ولدها عليهم السلام حسب ما شرطناه في صدر هذا الكتاب، والحمد لله بجميع محامده كما هو أهله ومستحقّه، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليم كثيراً.

إلى هنا كلام المؤلف رحمه الله ورضى عنه وأرضاه بحقّ سيّد العابدين محمّد وآله المعصومين وحشره معهم في عقبى.

---

(١) وقد اختلفت النسخ هنا ففي نسخة «يوم الإثنين» بدل «السبت» وتسع عشرة وسبعمائة ـ بزيادة «عشرة» بعد تسع.

وكان على أصل هذه النسخة إجازة لمجدالدين افضل بن يحيى الطيبي رحمه الله تعالى

من جامع هذا الكتاب قدّس الله روحه ونوّر ضريحه، وجعل الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام في الجنّة مصابيحه بمنّه وسعة رحمته، وهذه صورتها:

قرأت هذا الكتاب وهو الجزء الأوّل من كتاب كشف الغمّة في معرفة الأئمّه على جامعه المولى الصدر والصاحب الكبير المعظم، مولى الأيادي، ملك العلماء والفضلاء، واسطة العقد أبي الحسن علي بن السعيد فخرالدين عيسى بن أبي الفتح الإربلي، أطال الله عمره وأجزل ثوابه وحشره مع أئمّته، وسمعه الجماعة المسمّون فيه، وهم الصدر عمادالدين عبدالله بن محمّد بن مكّي، والشيخ العالم الفقيه شرف‌الدين أحمد بن عثمان النصيبي المدرس المالكي، وشرف‌الدين أحمد بن الصدر تاج الدين محمّد ولد مؤلّفه، ووالده المذكور سمعاً بعضاً وأجيز لهما الباقي، والصدر الكبير عزّالدين أبو علي الحسن بن أبي الهيجاء الإربلي، وتاج الدين أبوالفتح ابن حسين بن أبي بكر الإربلي سمع الجميع، والشيخ العالم مولانا ملك الفضلاء والعلماء أمين الدين عبدالرحمان بن علي بن أبي الحسن الجزري الأصل، الموصلي المنشأ، سمعه أجمع معارضاً بنسخة الأصل، وحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عياش الموصلي سمعه جميعه، ومحمود بن علي بن أبي القاسم سمع بعضاً وأُجيز البعض، والشيخ العالم تقي الدين إبراهيم بن محمّد بن سالم سمع المجلسين الأخيرين وأُجيز له الباقي، وكتب العبد الفقير إلى رحمة الله وشفاعة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرة الفضل بن يحيى بن علي بن المظفر بن الطيبي كاتبه، وذلك في مجالس عدّة آخرها الإثنين رابع عشرى شهر رمضان المبارك من سنة إحدى وتسعين وستمائة، وصلواته على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله، وسمع السيّد شمس الدين محمّد بن الفضل العلوي الحسني بعضاً وأُجيز له البعض، وكتب في التاريخ المذكور وهو رابع عشر شهر رمضان من السنة.

هذا صحيح وقد أجزت لهم نفعهم الله وإيّانا رواية ذلك عنّي بشروطه، وكتب العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى عبدالله علي بن عيسى بن أبي الفتح في التاريخ حامداً لله ومصلّياً على رسوله وآله الطاهرين، وسمع علي[1] بن محمّد بن جامعه بعضاً وأُجيز الباقي، وكتب علي بن عيسى.

---

(١) عيسى خ ل.

الجزء الثاني
من كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين

جمع الصاحب الكبير المعظم، جامع شتات الفضائل، المبرز في جلسات السبق على الأواخر والأوائل، مالك أزمّة البيان، واسطة عقد الزمان، ملك الفصحاء، قدوة البلغاء، بهاء الحق والملّة والدين، ركن الإسلام والمسلمين، أبوالحسن علي بن السعيد فخرالدين عيسى بن أبي الفتح الإربلي تغمّده الله برحمته ورضوانه، وأجزل له مضاعفات الخير من فضله وكرمه وإحسانه، وأسكنه على الغرفات في دار خلده وجنانه، بكرمه وامتنانه إنّه جواد كريم، ذوالطول العظيم والفضل العميم وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

قال المؤلف علي بن عيسى بن أبي الفتح أيّده الله تعالى: لا شبهة أنّ بني علي عليهم السلام لهم شرف ظاهر على بني الأعمام، وفضائل تجري على ألسنة الخاص والعام، ومناقب يرويها كابر عن كابر[1]، وسجايا يهديها أوّل إلى آخر، لما ثبت لأميرالمؤمنين عليه السلام من المفاخر المشهورة، والمآثر المأثورة، والأفعال هي التي في صفحات الأيّام مسطورة، وبألسنة الكتاب والأثر مشكورة، ولما له من حقّ السابقة إلى الإسلام، والجهاد الذي ثلّ به عروش عباد الأصنام[2]، ولمواقفه التي ذبّ بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد لاذ من لاذ بالإنهزام، ولمواساته له في اليقظة وبذل نفسه دونه في المنام، ولموضع تربيته إيّاه وتفرّسه فيه الإستعداد وما قارب سنّ الإحتلام، وهذه الصفات تستند إلى نصوص لا شك فيها ولا لبس، وكيف لا وقد خصّه من تقريبه بما لم يزل يومه فيه مريباً على الأمس، ورفعه في درج الإصطفاء منتقلاً من الكوكب إلى القمر إلى الشمس، ونبّه على مكانة منّه بلسان القرآن نائباً عنه، فجعله بمنزلة النفس

---

(١) الكابر: الكبير الرفيع الشأن والشرف.

(٢) ثل عرش القوم أي ذهب عزهم وهدم ملكهم.

فعلا شرفه بذلك عن المحاولة، وارتفعت سماؤه عن اللمس، ومع هذه الشيم، والخلال فقد استضافوا بفاطمة عليها السلام إلى مزاياهم مزايا، وأنار بها شرفهم فأشرق إشراق المزايا، وزادوا بها عزّاً أفادهم المرباع من المجد والصفايا[1]، وقضى لهم القدر بعلوّ القدر في كلّ القضايا.

ولبني فاطمة عليها السلام على إخوتهم من بني عليّ شرف إذا عدّت مراتب الشرف، ومكانة حصلوا منها في الرأس وإخوتهم في الطرف، وجلالة ادرعوا برودها، وعزّة ارتضعوا برودها، وعلاء بلغ السماء ذات البروج، ومحلّ علا توقلوه فلم يطمع غيرهم في الإرتقاء إليه والعروج، فإنّهم شاركوا بني أبيهم في سؤدد الآباء، وانفردوا بسؤدد الأمّهات، وقد أوضح الله ذلك فقال: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾[2]، فجمعوا بين مجدين تليد وطريف، وضمّوا إلى علامة تعريفهم علامة تعريف، وعدوا النبي صلّى الله عليه وآله أباً وجدّاً، وارتدّوا من نسبه من قبل أبيهم برداً، ومن قبل أُمّهم برداً، فأصبح كلّ منهم معلم لطرفين ظاهر الشرفين، مترفّعاً عن الأمثال والأنظار، متعالياً عن أعين النظّار، سابقاً من يجاريه إلى المضمار، وهذا مجال للقلم فيه سنح، وإجمال له إيضاح وشرح.

فلنبدأ الآن بذكر فاطمة عليها السلام التي زاد إشراق هذا النسب باشراق أنوارها، واكتسب فخراً ظاهراً من فخارها، واعتلى على الأنساب بعلوّ منارها، وشرف قدره بشرف محلّها ومقدارها، فهي مشكاة النبوة التي أشاء لألاؤها، وتشعشع ضياؤها، وسحت بسحب الغرّ أنواؤها، وعقيلة الرسالة التي علت السبع الشداد مراتب علا وعلاء، ومناصب آل وآلاء، ومناسب سناً وسناء، الكريمة الكريمة الأنساب، الشريفة الشريفة الأحساب، الطاهرة الطاهرة الميلاد، الزهراء الزهراء الأولاد، السيّدة بإجماع أهل السداد، الخيرة من الخير، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، أُمّ الأئمّة الغرر، الصافية من الشوب والكدر، الصفوة على رغم من جحد أو كفر، الحالية بجواهر الجلال، الحالة على أعلى رتب الكمال، المختارة على النساء والرجال، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، السادة الأنجاب، وارثي النبوة والكتاب، وسلّم وشرّف وكرّم وعظّم.

---

(١) المرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس لنفسه.

(٢) الزخرف: ٣٢.

فاطمة عليها السلام

قال المؤلف علي بن عيسى بن أبي الفتح أيّده الله تعالى: أذكر على عادتي ما ورد في أمرها من طرق الجمهور، وأذكر بعد ذلك ما أورده أصحابنا.

قال ابن الخشاب في تاريخ مواليد ووفاة أهل البيت نقله عن شيوخه، يرفعه عن أبي جعفر محمّد بن علي قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوّة نبيّه، وأنزل عليه الوحي بخمس سنين، وقريش تبني البيت، وتوفّيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعين يوماً، وفي رواية صدقة: ثمانية عشر سنة وشهر وخمسة عشر يوماً، وكان عمرها مع أبيها عليه السلام بمكة ثمانية سنين، وهاجرت إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقامت معه عشر سنين، فكان عمرها ثمانية عشرة، فأقامت مع علي أميرالمؤمنين بعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً، وفي رواية أُخرى: أربعين يوماً، وقال الذارع: أنا أقول فعمرها على هذه الرواية ثمانية عشرة سنة وشهر وعشرة أيام، وولدت الحسن ولها أحد عشر سنة بعد الهجرة بثلاث سنين (آخر كلامه).

ونقلته من نسخة بخط ابن وضّاح على ماكتبه بصورته، وقد أجاز لي رواية كلّ ما يرويه، ونقلت من كتاب معالم العترة النبويّة العليّة ومعارف أئمّة أهل البيت الفاطميّة العلويّة، تصنيف الحافظ أبي محمّد عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي رحمه الله وهذا الكتاب أرويه إجازة عن الشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي رحمه الله عن مصنّفه قال: أمّ الأئمّة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّها خديجة بنت خويلد بن أسد رضوان الله عليها.

وروى بأسانيده مرفوعاً إلى قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة بنت محمّد.

وبإسناده إلى أحمد بن حنبل يرفعه إلى أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد عليها السلام، وآسية امرأة فرعون.

وبإسناده عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

ومنه قالت عائشة رضي الله عنها لفاطمة عليها السلام: ألا أُبشّرك؟ إنّي سمعت رسول

الله صلى الله عليه وآله يقول: سيّدات نساء أهل الجنّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمّد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

وبإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة خير نساء أهل الجنّة، إلّا ما كان من مريم بنت عمران.

ومنه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع غضّوا أبصاركم حتّى تمرّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليها ريطتان[1] خضراوان، قال أبو مسلم: قال لي أبو قلابة: وكان معنا عند عبدالحميد ـ حلّتان حمراوان ـ.

وبإسناده مرفوعاً عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن حسين بن علي عن أُمّه فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، قالت: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله عشية عرفة، فقال: إنّ الله عزّوجلّ باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعليّ خاصة، وإنّي رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، إنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته.

ومنه عن أبي فاختة أنّه سمع عليّاً يقول: استأذن علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مضاجع فاطمة، وحسن وحسين إلى جنبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا ـ يعني عليّاً ـ وابناك[2] وهما الحسن والحسين يوم القيامة في مكان واحد.

قلت: كذا رأيته في هذه النسخة، وأنا أنقله من غير هذا الكتاب أوضح من هذا، أذكره في مكانه إن شاء الله تعالى.

ونقلت من مسند أحمد بن حنبل رحمه الله وقد تقدم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي في الجنّة يوم القيامة.

ومنه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام، قال: فقدم من غزاة فأتاها فإذا هو بمسح على بابها[3] ورأى على الحسن والحسين عليهما السلام قلبين من

---

(١) الريطة: الملاءة (وهو ثوب رقيق لين) إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً.

(٢) كذا في أكثر النسخ وفي نسخة «وابناه».

(٣) المسح ـ بالكسر ـ الكساء من شعر.

فضة[١] فرجع ولم يدخل عليها، فلمّا رأت ذلك فاطمة ظنّت أنّه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما، فبكى الصبيان فقسمته بينهما فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يبكيان، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهما وقال: يا ثوبان إذهب بهذا إلى بني فلان أهل بيت بالمدينة ـ واشتر لفاطمة قلادة من عصب[٢] وسوارين من عاج فإنّ هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيّباتهم في حياتهم الدنيا.

ومن المسند عن حذيفة بن اليمان قال: سألتني أُمّي: متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وآله؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا، قال: فنالت منّي[٣] وسبّتني، قال: فقلت لها: دعيني فإنّي آتي النبي صلى الله عليه وآله فأصلّي معه المغرب ثمّ لا أدعه حتّى يستغفر لي ولك، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فصلّيت معه المغرب، فصلّى النبي صلى الله عليه وآله العشاء ثمّ انفتل[٤] فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثمّ ذهب فأتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة، قال: مالك فحدّثته بالأمر، فقال: غفر الله لك ولأمّك، ثمّ قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل؟ قال: قلت: بلى، قال: هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربّه عزّوجلّ أن يسلّم عَلَيّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين.

ومنه ولعلّه تقدم عن أبي هريرة قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي والحسن

---

(١) قال الجزري: وفي حديث ثوبان: إنّ فاطمة أحلّت الحسن والحسين بقلبين من فضة القلب (بالضم): السوار. قلت: ويقال له بالفارسية «دستبند».

(٢) العصب ـ بفتح اللام وسكون العين ـ ضرب من برود اليمن سمّي عصباً لأنّ غزله يعصب أي يدرج ثمّ يحاك، وقال الجزري في الحديث أنّه قال لثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج، قال الخطابي في المعالم: إن لم تكن الثياب اليمانية فلا أدري ما هي وما أرى أنّ القلادة تكون منها، وقال أبو موسى يحتمل عندي أنّ الرواية إنّما هي العصب بفتح الصاد وهي أطناب مفاصل الحيوانات وهو شيء مدوّر فيحتمل أنّهم كانوا يأخذون عصب بعض الحيوانات الطاهرة فيقطعونه ويجعلونه شبه الخرز، فإذا يبس يتخذون منه القلائد وإذا جاز وأمكن أن يتخذ من عظام السلحفاة (دابة برية ونهرية وبحرية) وغيرها إلّا سورة جاز وأمكن أن يتخذ من عصب أشباهها خرز تنظم منه القلائد، قال: ثمّ ذكر لي بعض أهل اليمن أنّ العصب سن دابة بحرية تسمّى فرس فرعون يتخذ منها لاخرز وغير الخرز من نصاب سكين وغيره ويكون أبيض.

(٣) نال من عرض فلان: سبّه.

(٤) انفتل: صلّى النوافل.

والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، فقال: أنا حرب لم حاربكم، سلم لمن سالمكم.

ومنه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

ومن المسند عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة عليها السلام تمشي كأنّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مرحباً يا ابنتي، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ إنّه أسرّ إليها حديثاً فبكت، فقالت: استخصّك رسول الله صلى الله عليه وآله بحديثه ثمّ تبكين؟ ثمّ إنّه أسرّ إليها حديثاً فضحكت، فقالت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عمّا قال؟ فقالت: ما لكنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها، فقالت: أسرّ إليّ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة، وإنّه عارضني به العام مرّتين، ولا أراه إلّا قد حضر أجلي، وإنّك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأمّة ـ أو نساء المؤمنين ـ؟ قالت: فضحكت لذلك.

ومنه عن عائشة قالت: لمّا مرض رسول الله صلى الله عليه وآله دعا ابنته فاطمة فسارّها فبكت ثمّ سارّها فضحكت، فسألتها عن ذلك؟ فقالت: أمّا حيث بكيت فإنّه أخبرني أنّه ميّت فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به فضحكت.

وروى الحافظ عبدالعزيز الجنابذي المذكور آنفاً في كتابه المذكور يرفعه إلى عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه ـ وكان إذا دخل عليها قامت إليه فقبّلته وأخذت بيده فأجلسته في مكانها ـ من غير الكتاب ولعلّ الناسخ سها، فالحديث معروف ـ فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه وذكرت بمعناه من السرار والضحك والبكاء.

أقول: هذا الحديث قد ورد من عدّة طرق، وقد دلّ بمضمونه على أنّ فاطمة عليها السلام هي سليلة النبوّة، ورضيعة درّ الكرم والأبوّة، ودرّة صدف الفخار، وغرّة شمس النهار، وذبالة مشكاة الأنوار، وصفوة الشرف والجود، وواسطة قلادة الوجود، نقطة دائرة المفاخر، قمر هالة المآثر، الزهرة الزهراء، والغرّة الغرّاء، العالية المحل، الحالة في رتبة العلاء السامية، المكانة المكينة في عالم السماء، المضيئة النور المنيرة الضياء، المستغنية باسمها عن حدّها ووسمها، قرّة عين أبيها وقرار قلب أُمّها، الحالية بجواهر

علاها، العاطلة من زخرف دنياها، أمة الله وسيّدة النساء، جمال الآباء شرف الأبناء، يفخر آدم بمكانها، ويبوح نوح بشدّة شأنها، ويسمو إبراهيم بكونها من نسله، وينجح إسماعيل على إخوته إذ هي فرع أصله، وكانت ريحانة محمّد من بين أهله، فما يجاريها في مفخر إلّا مغلب، ولا يباريها في مجد إلّا مؤنب، ولا يجحد حقّها إلّا مأفون، ولا يصرف عنها وجه إخلاصه إلّا مغبون.

وبيان ذلك وتفصيل جمله أنّ الطباع البشريّة مجبولة على كراهة الموت، مطبوعة على النفور منه، محبّة للحياة، مايلة إليها، حتّى الأنبياء عليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله تعالى ومنازلهم من محال قدسه، وعلمهم بما تؤل إليه أحوالهم وتنتهي إليهم أمورهم أحبّوا الحياة ومالوا إليها، وكرهوا الموت ونفروا منه، وقصّة آدم عليه السلام مع طول عمره وامتداد أيّام حياته معلومة.

قيل: إنّه وهب داود عليه السلام حين عرضت عليه ذريّته أربعين سنة من عمره، فلمّا استوفى أيّامه وحانت منيّته وانقضت مدّة أجله وحمّ حمامه جاءه ملك الموت يقبضه نفسه التي هي وديعة عنده، فلم تطب بذلك نفسه وجزع وقال: إنّ الله عرفني مدّة عمري وقد بقيت منه أربعون سنة، فقال: إنّك وهبتها ابنك داود، فأنكر أن يكون ذلك، قال النبي صلى الله عليه وآله: فجحد فجحدت ذريّته.

ونوح عليه السلام كان أطول الأنبياء عمراً، أخبر الله تعالى عنه أنّه لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، فلمّا دنا أجله قيل له: كيف رأيت الدنيا؟ فقال: كدار ذات بابين دخلت في باب وخرجت من باب، وهذا يدلّ بمفهومه على أنّه لم يرد الموت ولم يؤثر مفارقة الدنيا ولا استطال أمد الإقامة فيها.

وإبراهيم عليه السلام روي أنّه سأل الله تعالى أن لا يميته حتّى يسأله، فلمّا استكمل أيّامه التي قدّرت له خرج فرأى ملكاً على صورة شيخ فانٍ كبير قد أعجزه الضعف وظهر عليه الخراف[1] ولعابه يجري على لحيته، وطعامه وشرابه يخرجان من سبيله عن غير اختياره، فقال له: يا شيخ كم عمرك؟ فأخبره بعمر يزيد على عمر إبراهيم سنة، فاسترجع وقال: أنا أصير بعد سنة إلى هذه الحال، فسأل الموت.

وموسى عليه السلام لمّا جاءه ملك الموت ليقبض روحه لطمه فأعوره كما ورد في

---

(١) الخراف: فساد العقل من الكبر.

الحديث، فقال: ربّ إنّك أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت، فأوحى الله إليه أن ضع يدك على متن ثور، ولك بكلّ شعرة وارتها يدك سنة، فقال: ثمّ ماذا؟ فقال: الموت، فقال: انته إلى أمر ربّك في كلام هذا معناه، فإنّ الحديث لم يحضرني وقت نقل هذا الموضع فأثبته بصورة ألفاظه.

فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام وهم ممّن قد عرفت شرفهم وعلا شأنهم، وارتفاع مكانهم ومحلّهم في الآخرة، وقد عرفوا ذلك وأبت طباعهم البشريّة إلّا الرغبة في الحياة، وفاطمة عليها السلام امرأة حديثة عهد بصبى، ذات أولاد صغار وبعل كريم، لم تقض من الدنيا إرباً[1] وهي في غضارة عمرها، وعنفوان شبابها، يعرّفها أبوها أنّها سريعة اللحاق به فتسلو موت أبيها صلى الله عليه وآله، وتضحك طيّبة نفسها بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها فرحة بالموت، مائلة إليه، مستبشرة بهجومه، مسترسلة عند قدومه، وهذا أمر عظيم لا تحيط الألسن بصفته، ولا تهتدي القلوب إلى معرفته، وما ذاك إلّا لأمر علمه الله من أهل هذا البيت الكريم، وسرّ أوجب لهم مزيّة التقديم، فخصّهم بباهر معجزاته، وأظهر عليهم آثار علايمه وسماته، وأيّدهم ببراهينه الصادعة ودلالاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، الحديث ذو شجون.

وروى أحمد في مسنده يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وفاطمة سيّدة نسائهم صلّى الله عليهم إلّا ماكان لمريم ابنة عمران.

فأمّا آية الطهارة:

فقد أوردها أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في مسنده عن أمّ سلمة وعائشة رضي الله عنهما بطرق كثيرة لفاطمة عليها السلام ولولديها عليهما السلام فيها من الحظ ما لعلي عليه السلام وقد أوردتها في أخباره صلى الله عليه وآله فلم أعدها هنا.

وروى ابن خالويه في كتاب الآل قال: حدّثني أبو عبدالله الحنبلي قال: (حدّثنا) محمّد بن أحمد بن قضاعة قال: حدّثنا أبو معاذ عبدان بن محمّد قال: حدّثني مولاي أبو محمّد الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه، علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه

---

(١) الإرب ـ بالكسر: الحاجة.

محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا خلق الله آدم وحوّاء تبخترا في الجنّة، فقال آدم لحوّاء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله إلى جبرئيل إئت بعبدي الفردوس الأعلى، فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة[1]، وعلى رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور، قد أشرقت الجنان من نور وجهها، فقال آدم: حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها[2]؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمّد نبي الله من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلها[3] علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: فما القرطان اللذان في أُذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين، قال آدم: حبيبي أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله[4] قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة.

وعن ابن خالويه من كتاب الآل يرفعه إلى علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

وزاد ابن عرفة عن رجاله يرفعه إلى أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة عليها السلام على الصراط، فتمرّ ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين.

ومنه عن نافع ابن أبي الحمراء قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية أشهر إذا خرج إلى صلاة الغداة مرّ بباب فاطمة عليها السلام فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا** ﴾.

ومن كتاب الآل مرفوعاً إلى مالك بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الدرنوك: ستر له خمل.

(٢) وفي نسخة «من نور وجهها».

(٣) قال ابن خالويه: ابعل في كلام العرب خمسة أشياء: الزوج، والصنم من قوله: ﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلاً** ﴾ والبعل اسم امرأة وبها سمّيت بعلبك، والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقي، والبعل السماء، والعرب تقول: السماء بعل الأرض.

(٤) الغامض من الشيء خلاف الواضح.

متبسّماً يضحك فقام إليه عبدالرحمان بن عوف فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما الذي أضحكك؟ قال: بشارة أتتني من عند الله عزّوجلّ في ابن عمّي وابنتي، إنّ الله تعالى لمّا زوّج فاطمة عليها السلام أمر رضوان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً يعني بذلك صكاكاً[1] بعدد محبّينا أهل البيت، ثمّ أنشأ من تحتها ملائكة من نور من بعد، فأخذ كلّ ملك رقّاً فإذا استوت القيامة بأهلها ماجت الخلائق والملائكة فلا يلقون محبّاً لنا أهل البيت محضاً إلّا أعطوه رقّاً فيه براءة من النار، فنثار أخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النّار، هذا الحديث ذكرته في أخبار علي عليه السلام، وذكرته هنا لما فيه من ذكر فاطمة عليها السلام، وكان ذكره عند تزويجه بها عليها السلام أولى وأينما ذكر فهو دالّ على شرفهما صلّى الله عليهما.

ومن كتاب الآل عن الحسين بن علي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا فاطمة إنّ الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك.

وقد جمع الشيخ الفقيه أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي نزيل الري رحمه الله من أصحابنا كتاباً مقصوراً على مولد فاطمة عليها السلام، وفضائلها وتزويجها وظلامتها ووفاتها ومحشرها صلوات الله على أبيها وعليها وعلى بعلها وعلى الأئمّة من ذريّتها، وأنا أذكر على عادتي ما يسوغ ذكره وإن كان ممّا نقله الجمهور نبّهت عليه جرياً على طريقتي فيه وبالله التوفيق.

روى حديثاً مرفوعاً إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله عزّوجلّ خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين من نور، فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا، فسبّحنا فسبّحوا، وقدّسنا وقدّسوا، وهلّلنا فهلّلوا، ومجّدنا فمجّدوا، ووحّدنا فوحّدوا، ثمّ خلق السماوات والأرضين وخلق الملائكة، فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً، فسبّحنا فسبّحت شيعتنا فسبّحت الملائكة، وكذلك في البواقي فنحن الموحّدون حيث لا موحّد غيرنا، وحقيق على الله عزّوجلّ كما اختصّنا واختصّ شيعتنا أن ينزلنا وشيعتنا في أعلى عليّين، إنّ الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن تكون أجساماً، فدعانا فأجبنا فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله تعالى.

---

(١) وهو الكتاب.

قلت: قد اختصرت بعض ألفاظ هذا الحديث بقولي، وكذا في البواقي لأنّ فيه (وقدّسنا فقدّست شيعتنا، فقدّست الملائكة) إلى آخرها، ونبّهت على ذلك لتعلّمه.

وروى عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد.

وعن حذيفة بن اليمان قال: دخلت عائشة على النبي صلى الله عليه وآله وهو يقبّل فاطمة صلوات الله عليها، فقالت له: يا رسول الله أتقبّلها وهي ذات بعل؟ فقال لها: أما والله لو علمت ودّي لها إذاً لازددت لها حبّاً، إنّه لمّا عُرِج بي إلى السماء فصرت إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام ميكائيل ثمّ قال لي: أدن، فقلت: أدنو وأنت بحضرتي؟ فقال لي: نعم إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلك أنت خاصّة، فدنوت فصلّيت بأهل السماء الرابعة، فلمّا صلّيت وصرت إلى السماء السادسة إذا أنا بملك من نور على سرير من نور عن يمينه صفّ من الملائكة، وعن يساره صفّ من الملائكة، فسلّمت فردّ عليّ السلام وهو متّكىء، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: أيّها الملك سلّم عليك حبيبي وخيرتي من خلقي فرددت السلام عليه وأنت متّكىء؟ وعزّتي وجلالي لتقومنّ ولتسلّمنّ عليه، ولا تقعدنّ إلى يوم القيامة، فوثب الملك وهو يعانقني ويقول ما أكرمك على ربّ العالمين يا محمّد.

فلمّا صرت إلى الحجب نوديت ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ** ﴾ فألهمت فقلت: ﴿ **والمُؤْمِنُون كُلٌّ آمَنَ باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ** ﴾ ثمّ أخذ جبرئيل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنّة وأنا مسرور، فإذا أنا بشجرة من نور مكلّلة بالنور، وفي أصلها ملكان يطويان الحلي والحلل إلى يوم القيامة، ثمّ تقدّمت أمامي فإذا أنا بقصر من لؤلؤة بيضاء لا صدع فيها ولا وصل، فقلت: حبيبي جبرئيل لمن هذا القصر؟ قال: لابنك الحسن، ثمّ تقدّمت أمامي فإذا أنا بتفّاح لم أر تفّاحاً هو أعظم منه، فأخذت تفّاحة ففلقتها فإذا أنا بحوراء كأنّ أجفانها مقاديم أجنحة النسور، فقلت: لمن أنت؟ فبكت ثمّ قالت: أنا لابنك المقتول ظلماً الحسين بن علي صلوات الله عليه، ثمّ تقدّمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد الزلال، وأحلى من العسل، فأكلت رطبة منها وأنا أشتهيها، فتحوّلت الرطبة نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة فإذا اشتقت إلى رايحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها.

ومنه عن ابن عباس مثله وفيه زيادة تتعلق بفضل أميرالمؤمنين عليه السلام وفيه شجرة، فقلت: لمن هذه الشجرة؟ فقال: لأخيك علي بن أبي طالب، وهذان الملكان يطويان الحلي والحلل إلى يوم القيامة: وليس فيه ذكر الحسن والحسين عليهما السلام.

وفيه فأخذت رطبة فأكلتها فتحوّلت.

وفيه قبل هذا فصلّيت بأهل السماء الرابعة، ثمّ التفت عن يميني فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام في روضة من رياض الجنّة، قد اكتنفه جماعة من الملائكة.

وفيه فنوديت في السادسة: يا محمّد نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي.

أقول: ربّما سمع أمثال هذه الأحاديث التي تفرّد أصحابنا الشيعة بنقلها في هذا المعنى وغيره بعض المتسرّعين فيطلق لسانه بالطعن فيها، وتكذيب من رواها، غير ناظر في الأمر الذي من أجله صدّق ما رواه وكذّب غيره، وأنا أذكر فصلاً غرضي فيه الإنصاف وقصدي فيه توخي الحق، والله يعلم أنّها عادتي في كلّ ما أورده، وطريقي كلّما أتيته، وأنت أيّدك الله متى نظرت في ذلك نظر من يريد تحقيق الحق ظهر لك صحّة ما أوردته، وحقيقة ما أردته.

وبيان هذا أنّه لا يقتضي عقل من يؤمن بالله واليوم الآخر ويقول بالبعث والنشور ويصدّق بالجنّة والنّار، أن يسعى لنفسه في البعد من الله ورسوله وجنّته، والقرب من عذاب الله وسخطه وناره، نعوذ بالله من ذلك، فمن المحال أنّ الشيعي يعلم أنّ حديثاً ورد في حقّ أحد من الصحابة فيقول ببطلانه ويميل إلى تكذيبه، أو يحرّفه عمّا ورد لأجله مكابرة للحق ودفعاً له بالراح وإقداماً على الله ورسوله، وكذباً على الله ورسوله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كذب عَلَيّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار، وقال: من كذب عَلَيّ كلف أن يعقد شعيرتين من نار وليس بعاقد، فعلى هذا لا يكون الرجل مسلماً وهو يكذب على الله ورسوله وكيف يفعل الشيعي مثل هذا أو يقدم عليه، وفيه من الخطر وسوء العاقبة ما ذكرت لك.

والذي يجب أن يقال أنّ الشيعة روت أحاديث نقلها رجالهم المعروفون عندهم بالأمانة والعدالة، فنقلوها عنهم، ولم يعرفوا رجال الجمهور لينقلوا عنهم، وكذا حال أولئك فيما رووه عن رجالهم، فأخبار هؤلاء لا تكون حجة على أولئك وبالعكس، ثمّ إنّ طوائف الجمهور ينقل بعضهم ما لا ينقله الباقون ويحرم بعضهم ما أحلّه الآخرون،

ولا يتسرّعون فيما بينهم فيقولون كذب فلان وقد خالفه، بل ربّما اعتذر عنه وسمّاه مجتهداً، وقال: إلى هذا أدّى اجتهاده، واختلاف الأمّة رحمة في أمثال ذلك. ومتى سمعوا حديثاً رواه الشيعة أقدموا على ردّه وكذبوا ناقله وراويه، مسترسلين إلى ذلك، وإنّما روى بالطريق التي بها رووا فهلّا عاملوه معاملتهم لأصحابهم الذين خالفوهم.

ونضرب مثلاً يحصل به التأنيس بهذه المقدمة، ويقوم به عذر الشيعة عند من عساه ينصف ويقارب وقليل ما هم: لا شبهة أنّ كتاب الجمع بين الصحيحين لمسلم والبخاري من أوثق الكتب وأصحّها نقلاً وأثبتها رجالاً عند الجمهور.

ومن رواة الأحاديث فيه طلحة والزبير وعائشة وهم في مناصبتهم علياً عليه السلام ومظاهرتهم عليه وحربهم له معروفوا الحال، حتّى قتل في وقعة الجمل ألوف من الفريقين.

ومن رواة الحديث في هذا الكتاب معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وقد فعلا بعلي عليه السلام ما فعلا، وأقدما على سبّه وحربه، ونازعاه رداء الإمامة وحروبهم في صفّين معروفة، وسرايا معاوية إلى الحجاز واليمن وقتل شيعة علي تحت كلّ حجر ومدر واضح جلي.

ومن رواة هذا الكتاب المغيرة بن شعبة وحاله في الإنحراف عن علي عليه السلام حاله.

ومن رواة هذا الكتاب عمران بن حطان وكان خارجياً يلعن علياً ويقول بكفره إلى غير ذلك.

فهل يلام متشيّع إذا وقف في تصديق من هذا سبيله؟ فالشيعة تبع رجالهم الثقات عندهم، وأولئك تبع رجالهم الثقات عندهم، وقد جرت العادة أنّه إذا تعارضت البيّنات وتكافأت الأدلّة أن يرجح الحاكم إن وجد مرجّحاً، والشيعة يسقطون ما رووه ويأخذون حاجتهم ممّا رواه الجمهور، فيحصل مرادهم بإجماع الطائفتين وهذا مرجّح ظاهر لمن تأمّله، وهذا الحديث الذي أوجب إيراد هذا الكلام ليس بأغرب من حديث رووه في الصحاح أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر: إنّي رأيت قصراً في الجنّة من صفته كذا ومن صفته كذا، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لعمر، وكنت أردت دخوله فذكرت غيرتك

فوليّت مدبراً، فبكى عمر وقال: ومنك أغار؟ في حديث هذا معناه[1]، فكيف يصدق أمثال هذا ويكذب أمثال ذاك؟ لولا الميل نعوذ بالله من شرور أنفسنا وغلبة الأهواء علينا.

وليكن هذا القول في كلّ ما نورده من الأحاديث التي يرويها أصحابنا كافياً، وفضل فاطمة عليها السلام مشهور ومحلّها من الشرف من أظهر الأمور، كان النبي صلى الله عليه وآله يعظم شأنها ويرفع مكانها، وكان يكنّيها بأُمّ أبيها ويحلّها من محبّته محلّاً لا يقاربها فيه أحد ولا يوازيها.

سأله علي عليه السلام يوماً فقال: يا رسول الله أنا أحب إليك أم فاطمة؟ فقال: أنت عندي أعزّ منها، وهي أحب منك.

وقد تقدم في المجلد الأول أنّه عليه السلام حين سأله علي وجعفر وزيد من أحب الناس إليك؟ قال: فاطمة.

وقد روى المخالف والمؤالف أنّها كانت عليها السلام إذا جاءت إلى أبيها صلى الله عليه وآله قام لها وقبّلها وأجلسها مكانه، وأنّها تفعل كذلك إذا جاء صلى الله عليه وآله إليها، والأوّل العجيب ولولا أنّ فيها سرّاً إلهيّاً ومعنى لاهوتيّاً لكان لها أُسوة بأولاده عليهم السلام، أو لقاربوا منزلتها، ولكنّ الله يصطفي من يشاء.

ومن كتاب أبي إسحاق الثعلبي عن جميع بن عمير عن عمّته قالت: سألت عائشة رضي الله عنها: من كان أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت: فاطمة عليها السلام، قلت: إنّما أسألك عن الرجال؟ قالت: زوجها، وما يمنعه فوالله إن كان ما علمت صوّاماً قوّاماً جديراً أن يقول بما يحبّ الله ويرضى.

وعن جابر قال: ما رأيت فاطمة عليها السلام تمشي إلّا ذكرت مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، تميل على جانبها الأيمن مرّة، وعلى جانبها الأيسر مرّة.

وعن عائشة رضي الله عنها وذكرت فاطمة عليها السلام: ما رأيت أصدق منها إلّا أباها.

ونعود إلى ذكر شيء ممّا أورده ابن بابويه القمي قال: يرفعه إلى أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: وقد كنت شهدت فاطمة عليها السلام وقد ولدت بعض

---

(١) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص٩ ط مكة باب فضائل عمر، وصحيح مسلم ج ٤ ص١٠٣ ط مصر باب فضائله.

أولادها، فلم أر لها دماً، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة خلقت حورية في صورة إنسيّة.

وروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لفاطمة تسعة أسماء عند الله عزّوجلّ: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والرضية، والمرضية، والمحدّثة[1]، والزهراء، قال: وسمّيت فاطمة لأنّها فطمت من الشر، ولولا علي عليه السلام لما كان لها كفو في الأرض.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك فأنطق به لسان محمّد صلى الله عليه وآله فسمّاها فاطمة، ثمّ قال: إنّي فطمتك بالعلم وفطمتك من الطمث، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث في الميثاق.

وفي رواية أُخرى عن أبي هريرة قال: إنّما سمّيت فاطمة لأنّ الله عزّوجلّ فطم من أحبّها من النّار.

وعن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أتدرين لِمَ سمّيت فاطمة؟ قال علي: يا رسول الله لِمَ سمّيت؟ قال: لأنّها فطمت هي وشيعتها من النّار.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل مؤمن أو كافر؛ فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً، فتقول: إلهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذريّتي من النّار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّوجلّ: صدقت يا فاطمة إنّي سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحبّ ذريّتك وتولّاهم من النّار، ووعدي الحق، وأنا لا أخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفّعك، فيتبيّن لملائكتي وأنبيائي وأهل الموقف موقعك منّي ومكانك عندي، فمن قرأت بين عينه مؤمناً أو محبّاً فخذي بيده وأدخليه الجنّة.

وعن علي عليه السلام إنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل ما البتول؟ فإنّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنّ مريم بتول وفاطمة بتول، فقال: البتول التي لم تر حمرة قط أي لم تحض فإنّ الحيض

---

(١) وقد ورد في أحاديثنا أنّها سلام الله عليها سمّيت بهذا الإسم لأنّ الملائكة كانت تحدّثها وجبرئيل فيهم من دون المعاينة.

مكروه في بنات الأنبياء.

وروى في تسميتها الزهراء عليها السلام عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل لِمَ سمّيت الزهراء؟ قال: لأنّ الله تعالى خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري أسكنته في سمائي وخلقته من عظمتي أخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضّله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري ويهدون إلى حقّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي.

وحكى لي السعيد تاج الدين محمّد بن نصر بن الصلايا العلوي الحسيني سقى الله ثراه وأحسن عن أفعاله الكريمة جزاه أنّ بعض الوعّاظ ذكر فاطمة عليها السلام ومزاياها وكون الله تعالى وهبها من كلّ فضيلة مرباعها وصفاياها، وذكر بعلها وأباها واستخفه الطرب فأنشد:

خجلاً من نور بهجتها ... تتوارى الشمس بالشفق
وحياءاً من شمائلها ... يتفطّى الغصن بالورق

فشقّ كثير من الناس ثيابهم وأوجب وصفها بكاءهم وانتحابهم.

وروى مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يا بنية إنّ الله أشرف على الدنيا فاختارني على رجال العالمين، ثمّ اطلع ثانية فاختار زوجك على رجال العالمين، ثمّ اطلع ثالثة فاختارك على نساء العالمين، ثمّ اطلع الرابعة فاختار ابنيك على شباب العالمين.

وروى في معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قال: سأله بحقّ محمّد وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام[1].

وعن ابن عباس قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّى آدم من ربّه فتاب عليه، قال: سأله بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عَلَيَّ فتاب عليه.

---

(١) وللمحقق الأستاذ العلامة الطباطبائي في معنى هذا الحديث وما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلّها** ﴾ (الآية) من أنّ المراد بالأسماء أسماء حججه عليهم السلام بيان لطيف فراجع الميزان ج١ ص١١٦ ـ ١٢٢ وص١٤٩.

وروى عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّ امرأة من الجنّ يقال لها عفراء وكانت تنتاب النبي صلى الله عليه وآله[1] فتسمع من كلامه فتأتي صالحي الجن فيسلّمون على يديها، وفقدها النبي صلى الله عليه وآله وسأل عنها جبرئيل عليه السلام، فقال: إنّها زارت أُختاً لها تحبّها في الله تعالى، فقال صلى الله عليه وآله: طوبى للمتحابّين في الله، إنّ الله تبارك وتعالى خلق في الجنّة عموداً من ياقوتة حمراء عليها سبعون ألف قصر، في كلّ قصر سبعون ألف غرفة خلقها الله تعالى للمتحابّين في الله، وجاءت عفراء فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: يا عفراء أين كنت؟ فقالت: زرت أُختاً لي، فقال: طوبى للمتحابّين في الله والمتزاورين، يا عفراء أيّ شيء رأيت؟ قالت: رأيت عجائب كثيرة، قال: فأعجب ما رأيت؟ قالت: رأيت إبليس في البحر الأخضر على صخرة بيضاءَ ماداً يديه إلى السماء وهو يقول: إلهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنّم فأسألك بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا خلّصتني منها وحشرتني معهم، فقلت: يا حارث[2] ما هذه الأسماء التي تدعو بها؟ فقال: رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله عزّوجلّ آدم بسبعة آلاف سنة، فعلمت أنّها أكرم الخلق على الله فأنا أسأله بحقّهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم الله.

وأنا أقول: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أن تغفر ذنوبي وتتجاوز عن سيّئاتي وتصلح شأني في الدنيا والآخرة، وترزقني خير الدنيا والآخرة، وتصرف عنّي الشرّ في الدّنيا والآخرة، وتفعل كذلك بالمؤمنين والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويرحم الله عبداً قال آمينا.

وروى أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: اشتاقت الجنّة إلى أربع من النساء: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وهي زوجة النبي في الجنّة، وخديجة بنت خويلد زوجة النبي في الدنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمّد.

وروى عن علي عليه السلام قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبروني أيّ شيء خير للنساء؟ فعيينا بذلك كلّنا حتّى تفرّقنا، فرجعت إلى فاطمة عليها السلام فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس أحد منّا عَلِمَهُ ولا عَرفهُ، فقالت: ولكنّي أعرفه، خير للنساء أن

---

(١) من قولهم انتاب القوم: أتاهم مرّة بعد أخرى.

(٢) من أسامي ابليس لعنه الله.

لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله سألتنا أيّ شيء خير للنساء، وخير لهنّ أن لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال، قال: من أخبرك فلم تعلمه وأنت عندي؟ قلت: فاطمة، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّ فاطمة بضعة منّي.

وروى عن مجاهد قال النبي صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: من عرف هذه لقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

وروى عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها.

وبهذا الإسناد عنه مثله فقال له: يابن رسول الله بلغنا إنّك قلت: (وذكر الحديث) قال: فما تنكرون من هذا؟ فوالله إنّ الله ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاها.

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة شجنة[1] منّي يسخطني ما أسخطها ويرضيني ما أرضاها. وبالإسناد عنه عليه السلام مثله.

ونقلت من كتاب لأبي إسحاق الثعلبي عن مجاهد قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام وقال: من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله.

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة عليها السلام شعرة منّي فمن آذى شعرة منّي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه ملأ السماوات والأرض.

وعن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينام حتّى يقبل عرض وجنة فاطمة عليها السلام أو بين ثدييها.

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله لا ينام ليلة حتّى يضع وجهه بين ثديي فاطمة عليها السلام.

---

(١) الشجنة: الشعبة من كل شيء.

وعن حبيب بن ثابت قال: كان بين علي وفاطمة عليهما السلام كلام فدخل النبي صلى الله عليه وآله فألقى له مثال[1] فاضطجع وجاء علي عليه السلام فاضطجع من جانب، وجاءت فاطمة عليها السلام فاضطجعت من جانب، فأخذ بيد علي فوضعها على سرّته، وأخذ بيد فاطمة عليها السلام فوضعها على سرّته، ولم يزل حتّى أصلح بينهما ثمّ خرج فقيل: يا رسول الله دخلت على حال وخرجت على حال ونحن نرى البشر في وجهك، قال: وما يمنعني ذلك وقد أصلحت بين اثنين أحبّ اثنين في الأرض إليّ.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النّار.

قال حمّاد بن عثمان: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما معنى هذا الحديث؟ فقال: المعتقون من النّار ولد بطنها الحسن والحسين وأُم كلثوم.

وروى عن جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيه عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن علي عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: رأيت أُمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتّى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثمّ الدار.

وعن الحسن أيضاً عليه السلام قال: كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها فقالت مثله.

وروى أنّ محمّد بن أبي بكر عليه السلام قرأ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ** ﴾ قلت: وهل تحدّث الملائكة إلّا الأنبياء؟ قال: مريم لم تكن نبيّة، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة وبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيّة، وفاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت محدّثة ولم تكن نبيّة.

قلت: وما ينكرون من هذا؟ وقد رووا أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إن يكن من أُمّتي مخاطبون ومحدّثون فإنّك منهم يا عمر، اللهمّ إلّا أن يصحّحوا هذا ويكذبوا غيره على عادتهم.

---

(١) المثال ـ بالكسر ـ: الفراش الذي ينام عليه.

وروى وأظنّني ذكرته في أخبار علي عليه السلام بغير روايته عن أبي سعيدالخدري قال: أصبح علي عليه السلام ذات يوم فقال: يا فاطمة عندك شيء تغذّينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أصبح اليوم[1] عندي شيء أغذّيكه، وماكان عندي شيء منذ يومين إلّا شيء كنت أوثرك به على نفسي وعلى ابني هذين حسن وحسين، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً؟ فقالت: يا أباالحسن إنّي لأستحي من إلهي أن تكلّف نفسك ما لا تقدر عليه.

فخرج علي عليه السلام من عند فاطمة عليها السلام واثقاً بالله حسن الظنّ به عزّوجلّ فاستقرض ديناراً فأخذه ليشتري لعياله ما يصلحهم فعرض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحر قد لوحته الشمس من فوقه[2] وآذته من تحته، فلمّا رآه علي عليه السلام أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ فقال: يا أباالحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عمّا ورائي، قال: يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتّى أعلم علمك، فقال: يا أباالحسن رغبت إلى الله عزّوجلّ وإليك أن تخلّي سبيلي ولا تكشفني عن حالي، فقال: يا أخي إنّه لا يسعك أن تكتمني حالك، فقال: يا أباالحسن أمّا إذا أبيت فوالذي أكرم محمّداً بالنبوّة وأكرمك بالوصية ما أزعجني من رحلي إلّا الجهد، وقد تركت عيالي جياعاً فلمّا سمعت بكاءهم لم تحملني الأرض فخرجت مهموماً راكباً رأسي هذه حالي وقصّتي.

فانهملت عينا علي عليه السلام بالبكاء[3] حتّى بلّت دموعه لحيته، فقال: أحلف بالذي حلفت به ما أزعجني إلّا الذي أزعجك، وقد اقترضت ديناراً فهاكه فقد آثرتك على نفسي، فدفع الدينار إليه ورجع حتّى دخل المسجد فصلّى الظهر والعصر والمغرب، فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مرّ بعلي عليه السلام وهو في الصف الأوّل فغمزه برجله[4]، فقام علي عليه السلام فلحقه في باب المسجد فسلّم عليه فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا أباالحسن هل عندك عشاء تعشّيناه فنميل معك؟ فمكث مطرقاً لا يحير جواباً[5] حياءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عرف ماكان من أمر الدينار من أين أخذه وأين وجّهه

---

(١) وفي نسخة «الغداة» بدل «اليوم».

(٢) لوّحه: غيّر لونه.

(٣) انهملت عينه: فاضت وسالت.

(٤) غمزه: نخسه وأصل الغمز: الكبس والعصر باليد.

(٥) أطرق الرجل: سكت ولم يتكلم، أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، وأحار الجواب: ردّه.

بوحي من الله إلى نبيّه وأمره أن يتعشّى عند علي عليه السلام تلك الليلة، فلمّا نظر إلى سكوته قال: يا أباالحسن مالك لا تقول لا فأنصرف أو نعم فأمضي معك؟ فقال: حياءاً وتكرّماً؟ فاذهب بنا.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فانطلقا حتّى دخلا على فاطمة عليها السلام وهي في مصلّاها، قد قضت صلاتها وخلفها جفنة تفور دخاناً، فلمّا سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله خرجت من مصلّاها فسلّمت عليه، وكانت أعزّ الناس إليه، فردّ السلام ومسح بيديه على رأسها وقال لها: يا بنتاه كيف أمسيت رحمك الله؟ قالت: بخير، قال: عشّينا رحمك الله وقد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، فلمّا نظر علي عليه السلام إلى الطعام وشمّ ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شحيحاً[1] قالت له فاطمة: سبحان الله ما أشحّ نظرك وأشدّه؟ هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً أستوجب به منك السخط؟ فقال: وأيّ ذنب أعظم من ذنب أصبتيه؟ أليس عهدي بك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعاماً منذ يومين؟ قال: فنظرت إلى السماء وقالت: إلهي يعلم ما في سمائه وأرضه إنّي لم أقل إلّا حقّاً، فقال لها: يا فاطمة أنّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه ولم أشم مثل رائحته قط ولم آكل أطيب منه؟

قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله كفّه الطيّبة المباركة بين كتفي علي عليه السلام فغمزها ثمّ قال: يا علي هذا بدل عن دينارك، هذا جزاء دينارك من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثمّ استعبر النبي صلى الله عليه وآله باكياً[2] ثمّ قال: الحمد لله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتّى يجريك يا علي مجرى زكريا ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران.

قلت: حديث الطعام قد أورده الزمخشري في كشّافه عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾ الآية، وذكرته آنفاً في المجلّد الأوّل، وحديث المسكين واليتيم والأسير المذكورين في سورة هل أتى قد تقدّم إيضاحه، والخبر عن النجرانيين عندما دعاهم إلى المباهلة قد أشرقت غرره وأوضاحه، وهما قصّتان فضلهما شهير، ومحلّهما خطير، وشرف فاطمة فيهما مشرق

---

(١) الشحيح بمعنى الحريص.

(٢) استعبر الرجل: جرت عبرته وهي الدمع.

الأسارير، ونشر مجدها بهما أضوع من العبير، فهما درّتان في قرطي نبلها، وقمران في سماء فضلها.

وحديث طلبها الخادم من النبي صلى الله عليه وآله وأمره إيّاها بما هو خير من ذلك وهو تسبيح الزهراء وقد نقله الرواة والمحدّثون:

روى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تسبيح فاطمة عليها السلام كلّ يوم في دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له، ويبدأ بالتكبير.

وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة، فأعرض عنها، فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول الله: أنت منّي يا فاطمة، ثمّ جاء سائل فناوله القلادة، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشتدّ غضب الله على من أهراق[1] دمي وآذاني في عترتي.

وروى أنّ عائشة رضي الله عنها ذكرت فاطمة عليها السلام فقالت: ما رأيت أحداً أصدق منها إلّا أباها.

وعن أُم سلمة أُم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى عن علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة من صلّى عليك غفر الله له، وألحقه بي حيث كنت من الجنّة.

وروى عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لولا أنّ الله تبارك وتعالى خلق أميرالمؤمنين لفاطمة عليها السلام ماكان لها كفؤ على وجه الأرض، آدم فمن دونه.

قلت: قد أورد صاحب كتاب الفردوس في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله: لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ.

وروى صاحب الفردوس أيضاً عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله: يا علي إنّ الله

---

(١) الهاء في أهراق عوض عن الهمزة من «أراق» وقال الجوهري وغيره في مادة هرق أنّه قد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال أهراقه بهريقه تشبيهاً له باسطاع يسطيع.

عزّوجلّ زوّجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك[١] مشى حراماً.

وروى ابن بابويه من حديث طويل أورده في تزويج أميرالمؤمنين بفاطمة عليهما السلام: أنّه أخذ في فيه ماءاً ودعا فاطمة فأجلسها بين يديه، ثمّ مجّ الماء في المخضب وهو المركن ـ وغسّل فيه قدميه ووجهه، ثمّ دعا فاطمة عليها السلام وأخذ كفّاً من ماء فضرب به على رأسها وكفّاً بين يديها، ثمّ رشّ جلدها ثمّ دعا بمخضب آخر ثمّ دعا عليّاً عليه السلام فصنع به كما صنع بها، ثمّ التزمهما فقال: اللهمّ إنّهما منّي وأنا منهما، اللهمّ كما أذهبت عنّي الرّجس وطهّرتني تطهيراً فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ثمّ قال: قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما، وبارك في سيركما وأصلح بالكما، ثمّ قام فأغلق عليهما الباب بيده.

قال ابن عباس: فأخبرتني أسماء بنت عميس أنّها رمقت برسول الله صلى الله عليه وآله[٢] فلم يزل يدعو لهما خاصة لا يشركهما في دعائه أحداً حتّى توارى في حجرته.

وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله قال: بارك الله لكما في سيركما، وجمع شملكما، وألف على الإيمان بين قلوبكما، شأنك بأهلك السلام عليكما.

وروى عن جابر بن عبدالله قال: لمّا زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليه السلام كان الله تعالى مزوّجه من فوق عرشه، وكان جبرئيل عليه السلام الخاطب، وكان ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، وأوحى الله إلى شجرة طوبى أن انثري ما فيك من الدرّ والياقوت واللؤلؤ، وأوحى الله إلى الحور العين أن التقطنه فهنّ يتهادينه بينهنّ إلى يوم القيامة فرحاً بتزويج فاطمة عليّاً عليهما السلام.

وعن شرحبيل بن سعيد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام في صبيحة عرسها بقدح فيه لبن، فقال: اشربي فداك أبوك، ثمّ قال لعلي عليه السلام: اشرب فداك ابن عمّك.

وعن شرحبيل بن سعيد الأنصاري قال: لمّا كانت صبيحة العرس أصابت

---

(١) وفي بعض النسخ «مبغضاً لها» وكأنّه الأشبه.

(٢) رمقه: أطال النظر إليه.

فاطمة عليها السلام رعدة[1]، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: زوّجتك سيّداً في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: شكت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فقالت: يا رسول الله ما يدع شيئاً من رزقه إلّا وزّعه بين المساكين، فقال لها: يا فاطمة أتسخطيني في أخي وابن عمّي؟ إنّ سخطه سخطي وإنّ سخطي سخط الله، فقالت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله.

وروى عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: والله لأتكلّمنّ بكلام لا يتكلّم به غيري إلّا كذّاب، ورثت نبي الرحمة، وزوّجني خير نساء الأمّة، وأنا خير الوصيّين.

وحيث يقتضي ذكرها عليها السلام ذكر شيء من كلامها فلابدّ من ذكر فدك إذ كانت خطبتها التي تحيّر البلغاء، وتعجز الفصحاء بسبب منعها من التصرّف فيها، وكفّ يدها عليها السلام عنها وسأورد في ذلك ما ورد من طريقي الشيعة والسنّة جارياً على عادتي في توخي النصفة، غير مائل إلى هوى النفس فيما أظن، ومن الله أسأل التوفيق والتسديد بمنّه ورحمته.

روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في الجزء السادس عن عمر، عن أبي بكر المسند منه فقط وهو: لا نورث ما تركنا صدقة لمسلم.

من رواية جويرية بن أسماء عن مالك وعن عائشة بطوله إنّ فاطمة سألت أبابكر أن يقسم لها ميراثها.

وفي رواية أُخرى أنّ فاطمة والعباس أتيا أبابكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال أبوبكر: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه فيه إلّا صنعته.

وزاد في رواية صالح بن كيسان إنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، قال: فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس فغلبه عليها علي، وأمّا خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لحقوقه التي تعروه

---

(١) الرعدة ـ بالكسر وتفتح ـ: النافض أي الإضطراب يكون من الفزع وغيره.

ونوابيه، وأمرهما إلى من ولي الأمر قال: فهما على ذلك اليوم.

قال غير صالح في روايته في حديث أبي بكر: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه في ذلك حتّى ماتت، فدفنها علي عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر، قال: وكان لعلي وجه من الناس في حياة فاطمة، فلمّا توفّيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي عليه السلام، ومكثت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر ثمّ توفّيت، فقال رجل للزهري: فلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟ قال: لا والله، ولا أحد من بني هاشم حتّى بايعه علي.

وفي حديث عروة فلمّا رأى علي عليه السلام انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر فأرسل إلى أبي بكر آتينا ولا تأتنا معك بأحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدّة عمر، فقال عمر: لا تأتهم وحدك، فقال أبوبكر: والله لآتينّهم وحدي ما عسى أن يصنعوا بي فانطلق أبوبكر فدخل على علي عليه السلام وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد، فلم يمنعنا أن نبايعك يا أبابكر إنكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنّا كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم علينا ثمّ ذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وحقّهم، فلم يزل علي يذكر حتّى بكى أبوبكر وصمت علي وتشهد أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد فوالله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ أن اصل من قرابتي، وإنّي والله ما ألوت[1] في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم عن الخير، ولكنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال وإنّي والله لا أدع أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا صنعته إن شاء الله.

وقال علي عليه السلام: موعدك للبيعة العشية، فلمّا صلّى أبوبكر الظهر أقبل على الناس يعذر علياً ببعض ما اعتذر به، ثمّ قام علي فعظم من حقّ أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته، ثمّ قام إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس على علي فقالوا: أصبت وأحسنت، وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف رضي الله عنهم أجمعين، هذا آخر ما ذكره الحميدي.

وقد خطر لي عند نقلي لهذا الحديث كلام أذكره على مواضع منه ثمّ بعد ذلك

---

(١) أي ما قصرت وما أبطأت وفي جملة من النسخ «مالكوت» وفي نسخة البحار «مالكات» وكأنّه من تلكأ عن الأمر: أبطأ وتوقف.

أورد ما نقله أصحابنا في المعنى ملتزماً بما اشترطته من العدل في القول والفعل وعلى الله قصد السبيل.

قول أبي بكر رضي الله عنه في أوّل الحديث وآخره: (وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه فيه إلّا صنعته) وهو رضي الله عنه لم ير النبي صلى الله عليه وآله صنع فيها إلّا أنّه اصطفاها، وإنّما سمع سماعاً أنّه بعد وفاته لا يورث كما روى، فكان حقّ الحديث أن يحكي ويقول: وإنّي والله لا أدع أمراً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله إلّا عملت بمتقضى قوله أو ما هذا معناه.

وفيه فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس فغلبه عليها علي.

أقول: حكم هذه الصدقة التي بالمدينة حكم فدك وخيبر، فهلّا منعهم الجميع كمافعل صاحبه إن كان العمل على ما رواه، أو صرفهم في الجميع إن كان الأمر بضدّ ذلك، فأمّا تسليم البعض ومنع البعض فإنّه ترجيح من غير مرجّح اللهمّ إلّا أن يكونوا نقلوا شيئاً لم يصل إلينا في إمضاء ذلك، وفي قوله فغلبه عليها عليّ دليل واضح على ما ذهب إليه أصحابنا من توريث البنات دون الأعمام فإنّ علياً عليه السلام لم يغلب العباس على الصدقة من جهة العمومة، إذ كان العباس أقرب من علي في ذلك، وغلبته إيّاه على سبيل الغلب والعنف مستحيل أن يقع من علي في حق العباس، ولم يبق إلّا أنّه غلبه عليها بطريق فاطمة وبنيها عليهم السلام.

وقول علي عليه السلام: كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً فاستبددتم علينا فتأمّل معناه يصحّ لك مغزاه[1] ولا حاجة بنا إلى كشف مغطاه.

وروى أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في مسنده ما يقارب ألفاظ ما رواه الحميدي ولم يذكر حديث عليّ وأبي بكر ومجيئه إليه في هذا الحديث.

وروى ابن بابويه مرفوعاً إلى أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت: ﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ** ﴾[2] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة لك فدك.

وفي رواية أُخرىٰ عن أبي سعيد مثله.

وعن عطية قال: لمّا نزلت ﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ** ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) مغزى الكلام: مقصده.

(٢) الروم: ٣٨.

فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك[١].

وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فدك.

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدك؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وقفها، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله حقّها، قلت: رسول الله أعطاها؟ قال: بل الله تبارك وتعالى أعطاها، وقد تظاهرت الرواية من طرق أصحابنا بذلك وثبت أنّ ذا القربى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وعلى هذا فقد كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما لمّا وليا هذا الأمر يرتبان في الأعمال والبلاد القريبة والنائية من الصحابة والمهاجرين والأنصار من لا يكاد يبلغ مرتبة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ولا يقاربها، فلو اعتقداهم مثل بعض الولاة وسلّما إليهم هذه الصدقة التي قامت النائرة في أخذها وعرّفاهم ما روياه وقالا لهم: أنتم أهل البيت وقد شهد الله لكم بالطهارة وأذهب عنكم الرجس وقد عرفناكم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، وقد سلّمناها إليكم وشغلنا ذممكم بها، والله من وراء أفعالكم فيها، وهو سبحانه بمرأى منكم ومسمع فاعملوا فيها بما يقرّبكم منه ويزلفكم عنده، فعلى هذا سلّمناها إليكم وصرفناكم فيها فإن فعلتم الواجب الذي أمرتكم به وفعلتم فيها ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أصبتم وأصبنا وإن تعدّيتم الواجب وخالفتم ما حدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أخطأتم وأصبنا فإنّ الذي علينا الإجتهاد ولم نأل في اختياركم جهداً وما علينا بعد بذل الجهد لائمة وهذا الحديث من الإنصاف كما ترى والله الموفّق والمسدّد.

وروى أنّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبابكر من يرثك إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي، قالت: فمالي لا أرث رسول الله؟ قال: يا بنت رسول الله إنّ النبي لا يورث ولكن أنفق على من كان ينفق عليه رسول الله وأعطى ما كان يعطيه، قالت: والله لا أكلّمك بكلمة ما حييت فما كلّمته حتّى ماتت.

وقيل: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر عليه السلام فقالت: أعطني ميراثي من رسول

---

(١) من قولهم أقطع الإمام الجند البلد: جعل لهم غلّته رزقاً.

الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: إنّ الأنبياء لا تورث ما تركوه فهو صدقة، فرجعت إلى علي عليه السلام فقال: ارجعي فقولي: ما شأن سليمان عليه السلام ورث داود عليه السلام وقال زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب ﴾ فأبوا وأبى.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام إنّ أبابكر قال لفاطمة عليها السلام: النبي لا يورث، قالت: قد ورث سليمان داود وقال زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب ﴾ فنحن أقرب إلى النبي من زكريا إلى يعقوب.

وعن أبي جعفر عليه السلام **قال**: قال علي لفاطمة عليها السلام: انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاءت إلى أبي بكر عليه السلام فقالت: أعطني ميراثي من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، فقالت: ألم يرث سليمان داود؟ فغضب وقال: النبي لا يورث، فقالت عليها السلام: ألم يقل زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب ﴾ فقال: النبي لا يورث، فقالت عليها السلام: ألم يقل: ﴿ يُوصيكُمُ اللهُ في أَوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ فقال: النبي لا يورث.

وعن أبي سعيد الخدري قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءت فاطمة عليها السلام تطلب فدكاً، فقال أبوبكر عليه السلام: إنّي لأعلم إن شاء الله أنّك لن تقولي إلّا حقّاً، ولكن هاتي بيّنتك، فجاءت بعلي عليه السلام فشهد، ثمّ جاءت بأُمّ أيمن فشهدت، فقال: امرأة أُخرى أو رجلاً فكتبت لك بها.

أقول: هذا الحديث عجيب، فإنّ فاطمة عليها السلام إن كانت مطالبة بميراث فلا حاجة بها إلى الشهود، فإنّ المستحق للتركة لا يفتقر إلى الشاهد إلّا إذا لم يعرف صحّة نسبه واعتزائه إلى الدارج[1]، وما أظنّهم شكّوا في نسبها عليها السلام وكونها ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن كانت تطلب فدكاً وتدّعي أنّ أباها صلى الله عليه وآله وسلم نحلها إيّاها احتاجت إلى إقامة البيّنة، ولم يبق لما رواه أبوبكر من قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث معنى، وهذا واضح جدّاً فتدبّره.

وروى أنّ عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما اللتان شهدتا بقوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ومالك بن أوس النضري، ولمّا ولّى عثمان قالت له عائشة رضي الله عليها: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر، فقال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في

---

(١) الدارج: الميت.

السنّة ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل، قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله، فقال: أليس جئت فشهدت أنت ومالك بن أوس النضري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، فأبطلت حقّ فاطمة، وجئت تطلبينه، لا أفعل، قال: فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص (وتقول) إنّه قد خالف صاحب هذا القميص، فلمّا آذته صعد المنبر فقال: إنّ هذه الزّعراء[1] عدوّة الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب: ﴿امرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿وقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِين﴾[2] فقالت له: يا نعثل يا عدوّ الله إنّما سمّاك رسول الله صلى الله عليه وآله باسم نعثل اليهودي الذي باليمن فلاعنته ولاعنها، وحلفت أن لا تساكنه بمصر أبداً وخرجت إلى مكّة.

قلت: قد نقل ابن الأعثم صاحب الفتوح أنّها قالت: أقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً فلقد أبلى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه ثيابه لم تبل، وخرجت إلى مكّة.

وروى غيره أنّه لمّا قتل جاءت إلى المدينة فلقيها فلان فسألته عن الأحوال فخبرها، فقال: إنّ الناس اجتمعوا على علي عليه السلام، فقالت: والله لأطالبنّ بدمه، فقال لها: فأنت حرصت على قتله، قالت: إنّهم لم يقتلوه حيث قلت ولكن تركوه حتّى تاب ونقى من ذنوبه، وصار كالسبيكة وقتلوه.

وأظن أنّ ابن أعثم رواه كذا أو قريباً منه، فإنّ كتابه لم يحضرني وقت بلوغي هذا الموضع.

وحيث انتهى بنا القول إلى هنا فلنذكر خطبة فاطمة عليها السلام فإنّها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوّة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف، ونقلتها من كتاب (السقيفة) عن عمر بن شبه[3] تأليف أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلّفها المذكور، قرئت

---

(١) زعراء مؤنث الأزعر: القليل الشعر والمتفرقة. وفي هامش المطبوع يقال للرجل إذا انحسر الشعر عن جانبي جبهته أنزع، ولا يقال امرأة نزعاء ولا يقال الأزعراء.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) نقل العسقلاني في وثاقته وصدقه في الحديث كلمات أصحابهم كالدارقطني وابن أبي حاتم والخطيب والمرزباني وغيرهم من علماء الرجال وذكر وفاته سنة ٢٠٢. راجع تهذيب التهذيب ج٧ ص ٤٦٠ ط حيدرآباد.

عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من عدّة طرق أنّ فاطمة عليها السلام لمّا بلغها إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها[١]، وأقبلت في لميمة[٢] من حفدتها[٣] ونساء قومها تجرّ أدراعها[٤]، تطأ في ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله[٥]، حتّى دخلت على أبي بكر، وقد حشد[٦] المهاجرين والأنصار، فضُرب بينهم بريطة[٧] بيضاء ـ وقيل قبطية[٨] ـ فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء[٩]، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فورتهم[١٠]، ثمّ قالت عليها السلام:

أبتدىء بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ[١١] آلاء[١٢] أسداها[١٣]، وإحسان منن أولاها[١٤]، جمّ عن[١٥] الإحصاء عددها، ونأى عن المجازاة مزيدها[١٦]، وتفاوت عن الإدراك أبدها[١٧]، واستتب الشكر

---

(١) أصل اللوث في العمامة يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً أي عصبها، واستعير للخمار.

(٢) لميمة: جميعة.

(٣) الحفدة: الأعوان والخدم.

(٤) درع المرأة: قميصها والجمع أدراع.

(٥) ما خرمت منه شيئاً: ما نقصت.

(٦) حشدهم: جمعهم.

(٧) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة لفّتين والجمع ريط ورياط.

(٨) القبطية: ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وقد تضم لأنّهم يغيرون في النسبة، كما قالوا سهلي ودهري.

(٩) الجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمّه وقد تهيّأ للبكاء.

(١٠) فارت القدر تفور فوراً وفوراناً: جاشت ومنه قولهم: ذهبت في حاجة ثمّ أتيت فلاناً من فوري أي قبل أن أسكن.

(١١) السبوغ: الكمال.

(١٢) الآلاء: النعماء جمع الى ـ بالفتح والقصر وقد يكسر الهمزة ـ.

(١٣) أسدى إليه: أحسن.

(١٤) أولاها: أي تابعها بإعطاء نعمة بعد أُخرى بلا فصل.

(١٥) جم الشيء: كثر. وفي البحار: إنّ التعدية بعن لتضمين معنى التعدي والتجاوز.

(١٦) نأى: بعد. وفي بعض النسخ «المجاراة» بالمهملة وهي بمعنى الموافقة وفي البحار «ونأى عن الجزاء أمدها» وقال في شرحه: أي بعد عن الجزاء بالشكر غايتها.

(١٧) وفي جملة من النسخ «أمدها».

بفضائلها[١]، واستخذى الخلق بإنزالها[٢]، واستحمد[٣] إلى الخلائق بإجزالها، وأمر بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمَّن القلوب موصولها[٤]، وأبان[٥] في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام الإحاطة به، أبدع الأشياء لا من شيء كان قبله، وأنشأها بلا احتذاء مثله[٦]، وسماها بغير فائدة زادته، إلّا إظهاراً لقدرته[٧]، وتعبّداً لبريّته، وإعزازاً لأهل دعوته، ثمّ جعل الثواب لأهل طاعته[٨]، ووضع العذاب على أهل معصيته، زيادة لعباده عن نقمته، وحياشةً لهم

---

(١) استتب الأمر: اطرد واستقام واستمر.

(٢) استخذى: خضع وذل.

(٣) قولها واستحمد: أي طلب منهم الحمد.

(٤) قال المجلسي رحمه الله في قولها: «كلمة جعل الإخلاص تأويلها» المراد بالإخلاص جعل الأعمال كلّها خالصة لله تعالى وعدم شوب الريا والأغراض الفاسدة وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور فهذا تأويل كلمة التوحيد لأنّ من أيقن بأنّه الخالق والمدبّر وبأنّه لا شريك له في الإلهيّة فحقّ له أن لا يشرك في العبادة غيره ولا يتوجّه في شيء من الأمور إلى غيره.

وفي قولها: «وضمن القلوب موصولها» هذه الفقرة تحتمل وجوهاً:

الأول: إنّ الله ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركبه تعالى وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك ممّا يؤل إلى التوحيد.

الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب بما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم أو بما فطرهم عليه من التوحيد.

الثالث: أن يكون المعنى لم يكلّف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها بل إنّما كلّف عامة القلوب الإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها وهو المراد بالموصول.

الرابع: أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب أي لم يلزم القلوب إلّا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة والدقائق المستنبطة منها أو مطلقاً، ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأول بل مطلقاً.

(٥) وفي بعض النسخ كنسخة البحار «وأنار».

(٦) وفي البحار «بلا احتذاء أمثلة امتثلها» واحتذى مثاله: أي اقتدى به.

(٧) وفي هامش المطبوع ـ بعد قوله «مثله» ـ كونها بقدرته وذرأها بمشيّته من غير حاجة منه [إلى تكوينها] ولا فائدة له في تصويرها إلّا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته وإظهاراً لقدرته الخ. كذا في غير الكتاب.

(٨) وفي بعض النسخ «وإعزازاً لدعوته ثمّ جعل الثواب على طاعته».

إلى جنّته[١].

وأشهد أنّ أبي محمّداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله[٢]، واصطفاه قبل أن يبتعثه، وسماه قبل أن يستجبيه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مضمونة[٣]، وبنهايا العدم مقرونة، علماً منه بمآيل الأمور[٤]، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة منه بمواقع المقدور، وابتعثه إتماماً لعلمه[٥]، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حقّه[٦]، فرأى صلّى الله عليه وآله الأمم فَرَقاً (في أديانها)، وعابدة لأوثانها، عكّفاً على نيرانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي صلى الله عليه وآله ظُلَمها، وفرّج عن القلوب بُهمها[٧]، وجلا عن الأبصار عمهها[٨]، ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة بمحمّد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفّار، وجوار الملك الجبّار، فصلّى الله عليه، أمينه على الوحي، وخيرته من الخلق، ورضيّه عليه السلام ورحمة الله وبركاته.

ثمّ قالت عليها السلام: وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحَمَلةِ كِتاب اللهِ ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاءه إلى الأمم حولكم، لله فيكم عهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم؛ كتاب الله بيّنة بصائره، وآيٍ منكشفة سرائره، وبرهان فينا متجلّية ظواهره، مديماً للبريّة إستماعه، قائداً إلى الرضوان أتباعه، ومؤدّياً إلى النجاة

---

(١) حاش الصيد يحوشه حوشاً: جاء من حواليه ليصرفه إلى الحبالة. قال المجلسي رحمه الله: ولعلّ التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنة.

(٢) جبله: خلقه. وزيادة البناء لعلّها من جهة المبالغة كما قال المجلسي رحمه الله تنبيهاً على أنّه خلق عظيم. وفي بعض النسخ «يحتبله» بالحاء المهملة وهو من الإحتبال بمعنى الإصطياد فيكون المراد الخلق أو البعث مجازاً.

(٣) وفي نسخة «مصونة».

(٤) أي عواقبها. وفي بعض النسخ «مآل الأمور» بصيغة المفرد.

(٥) وفي بعض النسخ «لأمره».

(٦) وفي بعض النسخ كرواية البحار «حتمه» بدل «حقّه».

(٧) البهم جمع البهيم: الأسود.

(٨) العمه: التحيّر والتردد.

أشياعه[١]، فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومواعظه المكرورة، ومحارمه المحذورة، وأحكامه الكافية، وبيّناته الجالية، وجمله الكافية[٢]، وشرايعه المكتوبة[٣]، ورخصه الموهوبة، ففرض الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزييداً [لكم] في الرزق، والصيام تبييناً إمامتنا[٤]، والحج تسنية للدين[٥]، والعدل تنسكاً للقلوب[٦]، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا لمّاً للفرقة[٧]، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر مؤنة للإستيجاب[٨]، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، والبرّ بالوالدين وقاية من السخطة، وصلة الأرحام منسأة للعمر ومنماة للعدد[٩]، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذور تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجاباً من اللعنة، والإجتناب عن شرب الخمور تنزيهاً من الرجس، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفّة، والتنزّه عن أكل أموال الأيتام والإستيثار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناساً للرعية، والتبرّي من الشرك إخلاصاً للربوبيّة، فاتّقوا الله حقّ تقاته وأطيعوه فيما أمركم به، فإنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ[١٠].

ثمّ قالت عليها السلام: أنا فاطمة بنت محمّد[١١]، أقول عوداً على بدء، وما أقول ذلك

---

(١) وفي بعض النسخ «ومؤد إلى النجاة استماعه».

(٢) الشافية خل.

(٣) المكنونة خل.

(٤) وفي بعض النسخ «تثبيتاً» أي لتشييد الإخلاص وإبقائه.

(٥) أي سبباً لرفعة الدين وعلوّه. وفي بعض الروايات «تشييداً» وفي آخر «تسلية» وذكر المجلسي رحمه الله لكلّ منهما وجهاً في البحار فراجع.

(٦) التنسك: العبادة. قال في البحار: لأنّ العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح.

(٧) لمّ الشيء: جمعه وضمّه.

(٨) وفي بعض النسخ «على الإستيجاب» أي استيجاب الأجر كما في ساير الروايات إذ به يتمّ فعل الطاعات وترك السيّئات كما قاله المجلسي رحمه الله.

(٩) أي يصير سبباً لكثرة عدد الأولاد والعشائر كما أنّ قطعها يذر الديار بلاقع من أهلها (بحار الأنوار).

(١٠) وفي هامش المطبو: «وأحمد الله الذي بعظمته ونوره يبغي من في السماوات والأرض إليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة أنبيائه» كذا في غير الكتاب.

(١١) وفي نسخة «وأبي محمّد».

سرفاً ولا شططاً[١] [فاسمعوا إليّ بأسماع واعية وقلوب راعية].

ثمّ قالت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فإن تعزوه[٢] تجدوه أبي دون نسائكم[٣]، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، فبلّغ الرسالة صادعاً بالرسالة[٤]، ناكباً[٥] عن سنن مدرجة المشركين[٦]، ضارباً لثبجهم[٧]، آخذاً بأكظامهم[٨]، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذّ الأصنام[٩]، وينكث الهام[١٠]، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدّبر، وحتّى تفرّى الليل عن صبحه[١١]، وأسفر الحق[١٢] عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين[١٣]، وفُهتم بكلمة الإخلاص مع النفر البيض الخماص[١٤]، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وكنتم على شفا حفرة

---

(١) يقال رجع عوداً على بدء أي لم يقطع ذهابه حتّى وصله برجوعه. والسرف: الجهل. والشطط ـ بالتحريك ـ: البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كلّ شيء.

(٢) أي إن ذكرتم نسبه وعرفتموه تجدوه أبي. وفي بعض النسخ «تعرزوه».

(٣) وفي بعض النسخ «آبائكم».

(٤) وفي بعض النسخ «النذارة» بدل «الرسالة» في الموضعين.

(٥) مائلاً خ ل.

(٦) المدرجة: المذهب والمسلك.

(٧) الثبج: مابين الكاهل إلى الظهر.

(٨) يقال: أخذ بكظمه أي بمخرج نفسه والجمع أكظام.

(٩) جذذت الشيء: كسرته وقطعته والجذاذ: ماكسر منه والضم أفصح.

(١٠) والنكث أن تضرب في الأرض بقضيب فتؤثر فيها، ويقال: طعنه فنكته أي ألقاه على رأسه فانتكت هو، والهام: رأس كلّ شيء. وفي بعض النسخ «ويفلق الهام».

(١١) قولها عليها السلام: حتّى تفرى الخ أي انشق حتّى ظهر ضوء الصباح.

(١٢) أسفر الصبح: أضاء.

(١٣) في البحار: الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنّما يشبه بالفحل وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي.

(١٤) وفاه بالكلام لفظ به، وفيه تعريض بأنّه لم يكن إيمانهم عن قلوبهم. والبيض جمع أبيض وهو من الناس خلاف الأسود. والخماص ـ بالكسر ـ جمع خميص والخماصة تطلق على دقة البطن خلقة وعلى خلوه من الطعام.

من النّار فأنقذكم منها، مذقة الشارب[١]، ونهزة الطامع[٢]، وقبسة العجلان، وموطاة[٣] الأقدام[٤]، تشربون الطّرق[٥]، وتقتاتون القِدّ[٦]، أذلّة خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بنبيّه صلى الله عليه وآله[٧] بعد اللتيا والتي[٨]، وبعد أن مُنى ببُهم الرجال[٩] وذُؤبان العرب[١٠]، كلّما حشوا ناراً للحرب أطفأها الله[١١]، ونجم قرن الضلالة، وفغر فاغر من المشركين قذف أخاه في لهواتها[١٢] فلا ينكفىء حتّى يطأ صماخها بأخمصه[١٣]، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً ذؤباً في ذات الله[١٤]، وأنتم في رفهينة ورفغينة وادعون آمنون[١٥]، تتوكفون

---

(١) مذقة الشارب: إشارة إلى تصغير أمرهم.

(٢) النهزة: الفرصة، تريد أنّ كلّ طامع كان قادراً عليكم وكنتم عنده فرصة ينتهزها أي يغتنمها.

(٣) وموطأة: خل، وموطى: خل.

(٤) كلّ هذه الكلمات تشير بها إلى ذلّهم قبل أن أعزّهم الله بالإسلام.

(٥) الطرق والطروق: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر، وقال إبراهيم: الوضوء من الطرق أحب إليّ من التيمم، حكاه الجوهري.

(٦) يقتاتون القد: من القوت والقد ـ بالكسر ـ: إناء من جلد غير مدبوغ.

(٧) وفي بعض النسخ «حتّى أنقذكم برسوله».

(٨) اللتيا والتي: إسمان من أسماء الداهية ويستعملان في مثل هذا أي بعد جهد وصعوبة.

(٩) البهمة ـ بالضم ـ: الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدّة بأسه والجمع بهم، ويقال للجيش بهمة ومنه قولهم فارس بهمة.

(١٠) ذؤبان العرب: صعاليكها الذين يتلصصون.

(١١) حش النار: أوقدها.

(١٢) فغر فاه إذا فتحه، وفغر فوه: إذا انفتح يتعدى ولا يتعدى، ولمّا استعارت عليها السلام الفم هنا حسن قولها «قذف أخاه في لهواتها» ولا عجب أنّها من بيت الفصاحة ومعدن البلاغة ولا أقول أكثر من أنّ أباها محمّد، وبعلها علي، صلوات الله عليهم أجمعين.

أنتم ذووا النسب القصير فطولكم ... بساد على الكبراء والأشراف
والخمر إن قيل ابنة العنب اكتفت ... باب من الألقاب والأوصاف

(١٣) الصماخ: خرق الأذن، وقيل: الأذن. وبالسين لغة. والأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي.

(١٤) المكدود: المتعب. دأب فلان في عمله أي جدّ وتعب دأباً ودؤباً فهو دئب وأدأبته أنا.

(١٥) رجلاً رافه أي وادع وهو في رافهة من العيش أي سعة ورفاهية على فعالية، ورفهينة (بتخفيف الياء) وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره وصارت ياءاً لكسر ما قبلها. والرفغ السعة والخصب ورفغ عيشه

الأخبار[١]، وتنكصون عن النزال[٢]، فلمّا اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه، وأتمّ عليه ما وعده، ظهرت حسيكة النفاق[٣]، وسمل[٤] جلباب الإسلام[٥]، فنطق كاظم[٦] ونبغ خامل[٧]، وهدر فينق الكفر[٨]، يخطر[٩] في عرصاتكم[١٠]، فاطّلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم[١١]، فوجدكم لدعائه مستجيبين[١٢]، وللغرّة فيه ملاحظين[١٣]، واستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فوجدكم غضاباً[١٤]، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها شرباً ليس لكم، والرسول لمّا يُقبر بدار، أزعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين.

فهيهات منكم وكيف بكم[١٥] وأنّى تؤفكون، وكتاب الله جلّ وعزّ بين

بالضم رفاغة: اتّسع فهو عيش رافغ أي واسع طيّب وترفغ الرجل توسع وهو في رفاغية من العيش مثال ثمانية ورفغينة ملحق. والدعة: الخفض والهاء عوض من الواو وتقول منه ودع الرجل فهو ودبع أي ساكن.

(١) التوكيف: التوقع.

(٢) النكوص: الإحجام عن الشيء يقال: نكص على عقبيه ينكص وينكص: رجع.

(٣) يقال في صدره حسيكة وحساكة أي عداوة وضغن.

(٤) السمل: الخلق من الثياب، وسمل: خلق.

(٥) وفي نسخة «جلباب الدين» وسيأتي تفسير اللغات.

(٦) الكاظم: ساكت.

(٧) نبغ الشيء ينبغ ظهر نبغاً ونبوغاً. والخامل: الساقط الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولاً وأخملته أنا.

(٨) الفينق: الفحل المكرم، قال أبو زيد: هو اسم من أسمائه والجمع فنق، ذكره في كتاب الأوائل، وقال ابن دريد: الجمع أفناق. وهدر هديراً: ردد صوته في حنجرته.

(٩) يخطر ـ بالكسر ـ في مشيته ـ وبالضم ـ في خاطره.

(١٠) وفي بعض النسخ «ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأوّلين وهدر فتن المبطلين فخطر في عرصاتكم».

(١١) يقال فلان غارز رأسه في سنته عبارة عن الجهل والذهاب عمّا عليه وله من التحفظ. والهتف: الصوت، وهتف به هتافاً أي صاح به.

(١٢) وفي بعض النسخ «صارخاً بكم فدعاكم وألفاكم بدعوته مستجيبين».

(١٣) الغرة: الغفلة، والغار: الغافل، واغتره: أتاه على غرة منه.

(١٤) أحمشكم أغضبكم وإذا اعتبرت هذه الألفاظ ومقاصدها دلّتك على المعنى المطلوب فتدبّرها.

(١٥) وفي نسخة «وأنّى بكم».

أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيّرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لايحة، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرين ﴾. هذا ثمّ لم تبرحوا ريثاً ـ وقال بعضهم هذا ولم يريثوا أخذتها إلّا ريث[1] ـ إن تسكن نفرتها[2]، ويسلس قيادها[3]، ثمّ أخذتم تورون وقدتها[4]، تهيّجون جمرتها[5]، تشربون حسواً في ارتغاء[6]، وتمشون لأهله وولده في الخَمَر والضرّاء[7]، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى [ووخز السنان في الحشاء][8] ثمّ أنتم أولاء تزعمون أن لا إرث ليه[9]، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُد ﴾[10] مع ما اقتصّ من خبر يحيى وزكريّا إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب واجعله ربّ رضيّاً ﴾[11] وقال تبارك وتعالى: ﴿ يُوصيكُمُ اللهُ في أَوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْن ﴾[12] فزعمتم أن لا حظّ لي ولا إرث لي من أبيه[13]، أفحكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي صلّى الله عليه وآله؟ ﴿ أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾.

---

(١) الريث: مقدار المهلة من الزمان. وفي بعض النسخ كرواية البحار هكذا «ولم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن اه».

(٢) نفرة الدابة: ذهابها وعدم انقيادها.

(٣) السلس: السهل اللين المنقاد.

(٤) ورى الزند: إذا خرجت ناره، ووقدة النار: لهبها.

(٥) الجمرة: المتوقد من الحطب.

(٦) هذا مثل والإرتغاء: شرب الرغوة (وهو زبد اللبن) والحسو: شرب اللبن بضرب لمن يفعل في الباطن شيئاً ويظهره غيره.

(٧) الخمر ـ بالتحريك ـ ما واراك من شجر وغيره. والضراء: الشجر الملتف.

(٨) والخز: القطع. والوخز: الطعن لا يكون نافذاً.

(٩) وفي بعض النسخ «لي» وفي آخر «لنا».

(١٠) النحل: ١٦.

(١١) مريم: ٥ ـ ٦.

(١٢) النساء: ١١.

(١٣) الهاء للسكت وكذا فيما يأتي في قولها أرثيه.

إيهاً معاشر المسلمة أأبتزّ[١] إرثيه أألله أن ترث أباك ولا أرث أبيه؟ لقد جئتم شيئاً فريّا[٢]، فدونكها مرحولة مخطومة مزمومة[٣]، تلقاك يوم حشرك فَنِعم الحَكَم الله والزعيم محمّد، والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ما توعدون، ولكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

قال: ثمّ التفتت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[٤]

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك لمّا غبت وانقلبوا[٥]

أبدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لمّا قضيت وحالت دونك الترب

وزاد في بعض الروايات هنا:

ضاقت عَلَيّ بلادي بعد ما رحبت ... وسيم سبطاك خسفاً فيه لي نصب

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... قوم تمنّوا فأعطوا كلّما طلبوا

تجهمّتنا رجال واستخف بنا ... مذ غبت عنّا فنحن اليوم نغتصب[٦]

الأبيات

قال: فما رأيت أكثر باكية وباك منه يومئذ، ثمّ عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت:

يا معشر البقية ويا عماد الملّة وحصنة الإسلام ما هذه الفترة في حقّي والسِّنة عن ظلامتي؟ أما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يحفظ في ولده؟ سرعانَ ما أحدثتم وعجلان ذا إهالةٍ[٧]، أتزعمون مات رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فخطب جليل، أستوسع

---

(١) ابتزّه: استلبه.

(٢) وفي بعض النسخ «يابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فريّا!».

(٣) الرحل للناقة كالسرج للفرس والخطام كل ما يوضع في أنف البعير ليقاد به والضمير راجع إلى فدك.

(٤) الهنبثة: الإختلاط في القول ويقال: الأمر الشديد.

(٥) الوابل: المطر الشديد.

(٦) وفي بعض النسخ بدل المصراع الأخير هكذا «مذ غبت عنّا وكلّ الإرث قد غصبوا» وأكثر النسخ خالية من قوله أبدت رجال ـ إلى ـ هنا.

(٧) أي سرع والإهالة الودك قال الخليل: هي ثلاث كلمات سرعان وعجلان ووشكان وفي وشكان وسرعان ثلاث لغات، الفتح، والضم، والكسر، تقول العرب: لسرعان ما خرجت ولسرعان ما صنعت كذا وأصل المثل إنّ رجلاً كانت له نعجة (وهي الأنثى من الضأن) عجفاء (أي مهزولة) وكان رعامها يسيل،

وهنه، واستهتر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض له، واكتأبت لخيرة الله[١] وخشعت الجبال، وأكدت الآمال[٢]، وأضيع الحريم، وأديلت الحرمة، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في قبلتكم[٣] ممساكم ومصبحكم هتافاً هتافاً[٤]، ولقبله ما حلّت بأنبياء الله ورسوله ﴿وما مُحَمَّدٍ إلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

إيهاً بني قيلة[٥]! أأهضم[٦] تراث أبيه[٧] وأنتم بمرءاً وبمسمع؟! تلبسكم الدعوة ويشملكم الخبرة[٨]، وفيكم العدّة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم الأولى، نخبة الله التي انتخبت، وخيرته التي اختار لنا أهل البيت، فباديتم العرب[٩] وبادهتم الأمور[١٠]، وكافحتم البهم[١١]، لا نبرح وتبرحون[١٢]، نأمركم فتأتمرون، حتّى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب البلاد، وخبت نيران الحرب[١٣]، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى جرتم

فقال: ودكها (وهو الدسم من اللحم والشحم) فقال السائل سرعان ذاإهالة ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الوعام بالعين المهملة وهو المخاط أي سرع هذا الرعام حال كونه إهالة، ويجوز أن يحمل على التميز على تقدير نقل الفعل، مثل قولهم تصبب زيد عرقاً يضرب لمن يخبر بكينونة الشي، قبل وقته.

(١) الإكتئاب افتعال من الكآبة بمعنى الحزن.

(٢) أكدى فلان أي بخل أو قلّ خيره.

(٣) أفنيتكم خل.

(٤) الهتاف: الصياح.

(٥) بنو قيلة: الأوس والخزرج. قال الجزري: قيلة اسم أُمّ لهم قديمة وهي قيلة بنت كاهل.

(٦) الهضم: الكسر.

(٧) الهاء في أبيه للسكت كما مر.

(٨) قال المجلسي رحمه الله: المراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة وبالخبرة علمهم بمظلوميتها صلوات الله عليها والتعبير بالإحاطة والشمول للمبالغة أو للتصريح بأنّ ذلك قد عمّهم جميعاً.

(٩) بادى فلاناً: كاشفه وجالاه.

(١٠) بادهه: فاجاه.

(١١) المكافحة: التعرض للدفع من غير توان وضعف. والبهم: الشجعان جمع البهمة.

(١٢) قال المجلسي رحمه الله: العطف على مدخول النفي أي لا نبرح ولا تبرحون. وعطفه على النفي إشعاراً بأنّه قد كان يقع منهم براح عن الإطاعة كما في غزوة أحد وغيرها بخلاف أهل البيت إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية بعيد عن المقام.

(١٣) خبت النار: سكنت وخمدت وطفئت.

بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم، ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة فمججتم الذي أوعيتم[1] ولفظتم الذي سوّغتم[2]، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغني حميد، ألا وقد قلتُ الذي قلت على معرفةٍ منّي بالخذلة التي خامرتكم[3]، وخور القناة[4]، وضعف اليقين، ولكنّه فيضة النفس ونفثة الغيظ وبثّة الصدر[5]، ومعذرة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظّهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة بشنار الأبد[6]، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، إنّها عليهم مؤصدة، فبعين الله ما تفعلون، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ وأنا بنت نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون.

هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة وكانت النسخة مع قدمها مغلوطة فحققتها من مواضع آخر.

وروى صاحب كتاب السقيفة عن رجاله عن عبدالله بن حسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين قالت: لمّا اشتدّت بفاطمة عليها السلام الوجع واشتدّت علّتها اجتمعت عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت عن ليلتك؟ قالت:

---

(١) مج الشيء من فيه: رمى به. وأوعى الشيء: حفظه وجمعه.

(٢) ولفظ بمعنى مج. ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.

(٣) خامرتكم أي خالطتكم.

(٤) الخور: الضعف. قال المجلسي رحمه الله: لعلّ المراد بخور القنا ضعف النفس عن الشرة وكتمان الضرأ وضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو والأوّل أنسب.

(٥) فاض الخبر: شاع، والمراد به هنا إظهر المضمر في النفس لاستيلاء الهم وغلبة الحزن. والبث: النشر والإظهار والهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثّه أي يفرقه.

(٦) الشنار: العيب والعار.

أصبحت والله عايفة دنياكم[١]، قالية لرجالكم[٢]، لفظتهم بعد إذ عجمتهم[٣]، وشنأتهم بعد أن سبرتهم[٤]، فقبحاً لفلول الحد[٥] وخور القناة، وخطل الرأي[٦] وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جَرَم لقد قلّدتهم ربقتها[٧]، وسننت عليهم عارتها[٨]، فجدعاً[٩] وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة[١٠]، وقواعد النبوّة ومهبط الروح الأمين، والضنين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين.

وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله نكير سيفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله عزّوجلّ[١١]، وتالله لو تكافوا[١٢] عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله لاعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه[١٣]، ولا يتعتع راكبه[١٤]، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفّتاه[١٥]، ولأصدرهم بطاناً قد تختّر بهم الريّ[١٦] غير متحلّ منه بطائل إلّا بغمر الماء، وردعه سورة الساغب[١٧].

---

(١) عاف الشيء عيفاً: كرهه.

(٢) قلاه: أبغضه.

(٣) عجم فلاناً: امتحنه.

(٤) شنأه بمعنى قلاه، وسبره بمعنى عجمه.

(٥) فلول السيف: كسور في حدّه.

(٦) الخطل: الإضطراب.

(٧) الربقة: العروة.

(٨) سنّ على القوم سنة وضعها وسنّ عليه الدرع أو الماء: صبّها.

(٩) الجدع: قطع الأنف.

(١٠) زحزحه عنه: باعده. والرواسي: الجبال الثوابت الرواسخ.

(١١) نمر وتنمّر: غضب.

(١٢) تكافوا عن الأمر: امتنعوا.

(١٣) يقال مشية سجح أي سهلة. والخشاش ـ بالكسر ـ: خشبة تدخل في أنف البعير، والبرة من صفر والخزامة من شعر؛ الواحدة خشاشة.

(١٤) تعتعه: قلعه أو أكرهه في الأمر حتّى قلق.

(١٥) المنهل: المشرب والمورد. والنمير: الزاكي الناجع من الماء. وفي هامش المطبوع: الفضفاض: الواسع. والضفة ـ بالكسر ـ: جانب النهر، وضفتاه: جانباه.

(١٦) صدرهم: أتبعهم. وفي الهامش: التختر: التقتر والإسترخاء والكسل، يقال: شرب اللبن حتّى تختر.

(١٧) الغمر: القدح الصغير. تريد عليها السلام أنّ علياً عليه السلام لو ولي الأمر لم يتحل من ولايته إلّا بشرب الماء القليل وكسر سورة الجوع.

ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلمّ فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، إلى أيّ لجأ أسندوا؟ وبأيّ عروة تمسّكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بَدَلاً، إستبدلوا والله الذّنابى بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صُنعاً، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون ﴾، أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وذعافاً ممقراً[1]، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غِبَّ ما أسّس الأوّلون، ثمّ طيبوا عن أنفسكم أنفسنا فطامنوا للفتنة جاشاً[2]، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدفع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم وأنّىٰ لكم وقد عميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين.

وروى أنّه لمّا حضرت فاطمة صلّى الله عليها الوفاة دعت عليّاً عليه السلام فقالت: أمنفّذ أنت وصيّتي وعهدي أو والله لأعهدنّ إلى غيرك؟ فقال عليه السلام: بلى أنفذها، فقالت عليها السلام: إذا أنا متُّ فادفنّي ليلاً ولا تؤذنّ بي أبابكر وعمر. قال: فلمّا اشتدّت عليها اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار فقلن: كيف أصبحت يا ابنة رسول الله؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم وذكر الحديث نحوه.

وروى عن أبي عبدالله عليه السلام وقد سأله أبو بصير فقال: لِمَ لَمْ يأخذ أميرالمؤمنين فدكاً لمّا ولّى الناس؟ ولأيّ علّة تركها؟ فقال: لأنّ الظالم والمظلومة قدما على الله وجازى كلّاً على قدر استحقاقه، فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه الغاصب وأثاب المغصوبة.

وقد روى أنّه كان لأميرالمؤمنين عليه السلام في ترك فدك أسوة برسول الله صلّى الله عليه وآله فإنّه لمّا خرج من مكّة باع عقيل داره، فلمّا فتح مكّه قيل له: يا رسول الله ألا ترجع إلى

---

(١) طلاع الشيء ملؤه والعبيط من الدم: الطري الخالص. والذعاف: السم. ويقال: مقر الشيء ـ بالكسر ـ يمقر مقراً: صار مرّاً فهو شيء مقر. والمقر: الصبر وربّما سكن، وأمقر الشيء: صار مرّاً فهو ممقر.

(٢) طامنه: سكنه. والجأش ـ كفلس ـ: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ونفس الإنسان.

دارك ؟ فقال عليه السلام : وهل ترك لنا عقيل داراً ، وأبى أن يرجع إليها وقال : إنّا أهل بيت لا نسترجع ما أخذ منّا في الله عزّوجلّ .

وروى مرفوعاً أنّ عمر بن عبدالعزيز لمّا استخلف قال : يا أيّها الناس إنّي قد رددت عليكم مظالمكم وأوّل ما أردّ منها ما كان في يدي ، قد رددت فدك على ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولد علي بن أبي طالب فكان أوّل من ردّها .

وروى أنّه ردّها بغلّاتها منذ ولّي ، فقيل له : نقمت على أبي بكر وعمر فعلهما ؟ فطعنت عليهما ونسبتهما إلى الظلم والغصب ، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء ، فقال عمر بن عبدالعزيز : قد صحّ عندي وعندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادّعت فدك وكانت في يدها ، وما كانت لتكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع شهادة عليّ وأُم أيمن وأُم سلمة ، وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي ، وإن لم تقم البيّنة وهي سيّدة نساء أهل الجنّة ، فأنا اليوم أردّها على ورثتها أتقرّب بذلك إلى رسول الله ، وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين يشفعون لي في يوم القيامة ، ولو كنت بدل أبي بكر وادّعت فاطمة كنت أصدّقها على دعواها ، فسلّمها إلى محمّد بن علي الباقر عليه السلام [وعبدالله بن الحسن][1] فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبدالعزيز .

وروى أنّه لمّا صارت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز ردّ عليهم سهام الخمس : سهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسهم ذي القربى ، وهما من أربعة أسهم ردّ على جميع بني هاشم ، وسلّم ذلك إلى محمّد بن علي الباقر عليه السلام وعبدالله بن الحسن .

وقيل أنّه جعل من بيت ماله سبعين حملاً من الورق والعين من مال الخمس فردّ عليهم ذلك ، وكذلك كلّما كان لبني فاطمة وبني هاشم ممّا حازه أبوبكر وعمر وبعدهما عثمان ومعاوية ويزيد وعبدالملك ردّ عليهم واستغنى بنو هاشم في تلك السنين ، وحسنت أحوالهم ، وردّ عليهم المأمون ، والمعتصم والواثق وقالا : كان المأمون أعلم منّا به فنحن نمضي على ما مضى هو عليه ، فلمّا ولّي المتوكّل قبضها وأقطعها حرملة

---

(١) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالمحض وسمّي بذلك لأنّ أباه الحسن بن الحسن وأُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان شيخ بني هاشم في زمانه ويتولّى صدقات أمير المؤمنين عليه السلام بعد أبيه الحسن ويظهر من بعض الأخبار أنّه ادّعى الإمامة ويظهر من بعضها مدحه والكلام فيه طويل الذيل فراجع تنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٦ .

الحجام وأقطعها بعده لفلان البازيار من أهل طبرستان وردّها المعتضد وحازها المكتفي.

وقيل: إنّ المقتدر ردّها عليهم.

قال شريك: كان يجب على أبي بكر رضي الله عنه أن يعمل مع فاطمة بموجب الشرع، وأقلّ ما يجب عليه أن يستحلفها على دعواها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها فدك في حياته، فإنّ عليّاً وأُمّ أيمن شهدا لها وبقي ربع الشهادة، فردّها بعد الشاهدين لا وجه له، فإمّا أن يصدّقها أو يستحلفها ويمضي الحكم لها. قال شريك: الله المستعان مثل هذا الأمر يجهله أو يتعمّده.

وقال الحسن بن علي الوشا: سألت مولانا أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: هل خلّف رسول الله صلى الله عليه وآله غير فدك شيئاً؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خلّف حيطاناً بالمدينة صدقة، وخلّف ستّة أفراس وثلاث نوق: العضباء والصهباء والديباج، وبغلتين: الشهباء والدلدل، وحماره اليعفور، وشاتين حلوبتين، وأربعين ناقة حلوباً، وسيفه ذاالفقار، ودرعه ذات الفضول، وعمامته السحاب، وحبرتين يمانيتين، وخاتمه الفاضل، وقضيبه الممشوق، وفراشاً[1] من ليف، وعبائتين قطوانيتين، ومخاداً من أدم، صار ذلك إلى فاطمة عليها السلام، ما خلا درعه وسيفه وعمامته وخاتمه، فإنّه جعله لأمير المؤمنين عليه السلام.

وممّا يدلّ على شرف محلّها وعلوّ مرتبتها ونبلها ومكانتها من لطف الله وفضلها وما أعدّه الله لها من المزيّة التي ليست لأحد من بعدها ولا قبلها، وكيف لا تكون كذلك وإذا شئت فانظر إلى نفسها الكريمة، وأبيها وبعلها، فإنّك إذا نظرت وجدتهم قد استولوا على موجبات الفضل والشرف كلّها، وحازوا قصبات سبقها، وفازوا بخصلها[2].

ما روي عن الزهري عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام لفاطمة: سألت أباك فيما سألت أين تلقينه يوم القيامة؟ قالت: نعم، قال لي: اطلبيني عند الحوض، قلت: إن لم أجدك هاهنا؟ قال: تجديني إذاً مستظلّاً بعرش ربّي، ولن

---

(١) وفي بعض النسخ «مراتبأه».

(٢) الخصل ـ بالفتح ـ: إصابة الغرض وقيل أن يقع السهم بلزق القرطاس. يقال أحرز فلان خصله أي غلب.

يستظلّ به غيري، قالت فاطمة: فقلت: يا أبة أهل الدنيا يوم القيامة عراة؟ فقال: نعم يا بنية، فقلت له: وأنا عريانة؟ قال: نعم وأنت عريانة، وإنّه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد، قالت فاطمة عليها السلام: فقلت له: وا سوأتاه يومئذ من الله عزّوجلّ؛ فما خرجت حتّى قال لي: هبط عَلَيّ جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال لي: يا محمّد اقرأ فاطمة السلام وأعلمها أنّها استحيت من الله تبارك وتعالى، فاستحى الله منها، فقد وعدها أن يكسوها يوم القيامة حلّتين من نور، قال علي عليه السلام: فقلت لها: فهلّا سألتيه عن ابن عمّك؟ فقالت: قد فعلت، فقال: إنّ عليّاً أكرم على الله عزّوجلّ من أن يعريه يوم القيامة.

وقريب منه ما روى ابن عبّاس قال: قالت فاطمة عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وهو في سكرات الموت: يا أبة أنا لا أصبر عنك ساعة من الدنيا، فأين الميعاد غداً؟ قال: أمّا إنّك أوّل أهلي لحوقاً بي، والميعاد على جسر جهنّم، قالت: يا أبة أليس قد حرّم الله عزّوجلّ جسمك ولحمك على النّار؟ قال: بلى ولكنّي قائم حتّى تجوز أُمّتي، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني عند القنطرة السابعة من قناطر جهنّم، أستوهب الظالم من المظلوم، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني في مقام الشفاعة وأنا أشفع لأُمّتي، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني عند الميزان، وأنا أسأل الله لأُمّتي الخلاص من النار، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني عند الحوض؛ حوضي عرضه مابين أيلة إلى صنعاء، على حوضي ألف غلام بألف كأس كاللؤلؤ المنظوم، وكالبيض المكنون، من تناول منه شربة فشربها لم يظمأ بعدها أبداً، فلم يزل يقول حتّى خرجت الروح من جسده صلى الله عليه وآله.

وروى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في سكرات الموت، فانكبّت عليه تبكي، ففتح عينه وأفاق، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا بنية أنت المظلومة بعدي، وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني[1]، ومن سرّك فقد سرّني، ومن برّك فقد برّني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنّك منّي وأنا منك، وأنت بضعة منّي، وروحي التي بين جنبيّ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إلى الله أشكو ظالميك من أُمّتي.

ثمّ دخل الحسن والحسين عليهما السلام فانكبّا على رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يبكيان

---

(١) وفي بعض النسخ «ومن غاضبك فقد غاضبني».

ويقولان: أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول الله، فذهب علي عليه السلام لينحّيهما عنه، فرفع رأسه إليه ثمّ قال: يا علي دعهما يشمّاني وأشمّهما، ويتزوّدان منّي وأتزوّد منهما، فإنّهما مقتولان بعدي ظلماً وعدواناً، فلعنة الله على من يقتلهما، ثمّ قال: يا علي وأنت المظلوم المقتول بعدي، وأنا خصمٌ لمن أنت خصمه يوم القيامة.

ذكر حالها بعد أبيها عليهما السلام

روي عن الباقر عليه السلام قال: ما رؤيت فاطمة عليها السلام ضاحكة مستبشرة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قبضت.

وعن أبي عبدالله عليه السلام **قال:** البكّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعلي بن الحسين عليهم السلام؛ فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية، وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره وحتّى قيل له: ﴿ **تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** ﴾، وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن فقالوا: إمّا أن تبكي النهار وتسكت الليل وإمّا أن تبكي الليل وتسكت النهار، فصالحهم على واحد منهما، وأمّا فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأذّىٰ بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتينا بكثرة بكاءك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتّى تقضي حاجتها ثمّ تنصرف، وأمّا علي بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وُضِعَ بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يابن رسول الله إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة عليهم السلام إلّا خنقتني لذلك العبرة.

مناقب فاطمة عليها السلام لو كاثرت النجوم كانت أكثر، ولو ادّعت شمس النهار الظهور كانت مزاياها أظهر، ولو فاخرها الأملاك كانت عليها السلام أشرف وأفخر، بيتها من قريش في سنامه وغاربه[1]، وأبوها الذي أحاط به الشرف من كلّ جوانبه، وكان قاب قوسين من مراتبه ومناصبه، وبعلها الذي شاركه في علائه ومناسبه، ورفعه بما نبّه به على منزلته على أصحابه وأقاربه، وابناها عليهما السلام المعدودان من أحبّ حبائبه، المخصوصان بأوفر

---

(١) غارب كلّ شيء: أعلاه.

نصيب من مآثره ومناقبه، وهي عليها السلام شجرة مجد هذه أصولها وفروعها، ومزنة[1] فخار صفا ماؤها وطاب ينبوعها، وقصة سؤدد اعتدل في أسباب العلاء منقولها ومسموعها، فكيف يبلغ وصف فضلها وقد بلغت الغاية في نبلها، واستولت على قصبات المسابقة وخصلها، وما عدّت فضيلة إلّا وهي لها بالإصالة أو هي من أهلها، فمن عراه شك فيما قلته فليأت بمثلها أو مثل أبيها وبنيها وبيتها وبعلها، صلّى الله عليهم صلاة تقوم بشرف محلّهم ومحلّها، وحيث ذكرنا من أوصافها ما تيسّر، واقتصرنا على الأقل لتعذّر الإحاطة بالأكثر، فلنذكر وفاتها صلّى الله عليها، ونشرع في ترتيب ذكر بنيها ترتيب العقد في النظام، والله تعالى يهدي إلى دار السلام.

ذكر وفاتها وما قبل ذلك من ذكر مرضها ووصيّتها صلّى الله عليها

روي أنّ أبا جعفر عليه السلام أخرج سفطاً[2] أو حقّاً فأخرج منه كتاباً فقرأه وفيه وصيّة فاطمة عليها السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله، أوصت بحوايطها السبعة إلى علي بن أبي طالب، فإن مضى فإلى الحسن، فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكابر من ولدي، شهد المقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب.

وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصتني فاطمة عليها السلام أن لا يغسلها إذا ماتت إلّا أنا وعلي، فغسلتها أنا وعلي عليه السلام.

وقيل: قالت فاطمة عليها السلام لأسماء بنت عميس حين توضّت وضوءها للصلاة: هاتي طيبي الذي أتطيّب به، وهاتي ثيابي التي أُصلّي فيها، فتوضّأت ثمّ وضعت رأسها، فقالت: اجلسي عند رأسي فإذا جاء وقت الصلاة فأقيميني فإن قمت وإلّا فأرسلي إلى علي، فلمّا جاء وقت الصلاة قالت: الصلاة يا بنت رسول الله، فإذا هي قد قبضت، فجاء علي فقالت له: قد قبضت ابنة رسول الله، قال: متى؟ قالت: حين أرسلت إليك، قال: فأمر أسماء فغسلتها وأمر الحسن والحسين عليهما السلام يدخلان الماء ودفنها ليلاً، وسوّى

---

(١) المزن ـ بالضم ـ السحاب أو أبيضه أو ذو الماء. والمزنة: قطعة منه.

(٢) السفط: الوعاء الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه.

قبرها، فعوتب على ذلك فقال: بذلك أمرتني.

وروي أنّها بقيت بعد أبيها أربعين صباحاً، ولمّا حضرتها الوفاة قالت لأسماء: إنّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله لمّا حضرته الوفاة بكافور من الجنّة، فقسّمه أثلاثاً: ثلث لنفسه، وثلث لعلي، وثلث لي، وكان أربعين درهماً، فقالت: يا أسماء ائتيني ببقيّة حنوط والدي من موضع كذا وكذا، فضعيه عند رأسي، فوضعته، ثمّ تسجّت بثوبها[1] وقالت: انتظريني هنيهة ثمّ ادعيني فإن أجبتك وإلّا فأعلمي أنّي قد وفدت على أبي، فانتظرتها هنيئة ثمّ نادتها فلم تجبها، فنادت: يا بنت محمّد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصا، يا بنت من كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، قال: فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبّلها وهي تقول: فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله صلى الله عليه وآله فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

فبينا هي كذلك دخل الحسن والحسين فقالا: يا أسماء ما ينيم أُمّنا في هذه الساعة؟ قالت: يا بني رسول الله ليست أُمّكما نائمة، قد فارقت الدّنيا، وفوقع عليها الحسن يقبّلها مرّة ويقول: يا أُمّاه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني، قال: وأقبل الحسين يقبّل رجلها ويقول: يا أُمّاه أنا ابنك الحسين كلّميني قبل أن ينصدع قلبي[2] فأموت، قالت لهما أسماء: يا بني رسول الله انطلقا إلى أبيكما علي فأخبراه بموت أُمّكما، فخرجا حتّى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهم جميع الصحابة فقالوا: ما يبكيكما يا بني رسول الله لا أبكى الله أعينكما؟ لعلّكما نظرتما إلى موقف جدّكما صلى الله عليه وآله فبكيتما شوقاً إليه؟ فقالا: لا أوليس قد ماتت أُمّنا فاطمة صلوات الله عليها، قال: فوقع عليّ على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمّد؟ كنت بك أتعزّى ففيم العزاء من بعدك؟ ثمّ قال:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الفراق قليل
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

ثمّ قال علي: يا أسماء غسّليها وحنّطيها وكفّنيها، قال: فغسّلوها وكفّنوها

---

(١) سجى الميت: مدّ عليه ثوباً وغطّاه به.

(٢) انصدع: انشق.

وحنّطوها وصلّوا عليها ليلاً ودفنوها بالبقيع، وماتت بعد العصر.

قال ابن بابويه رحمه الله: جاء هذا الخبر هكذا والصحيح عندي أنّها دفنت في بيتها، فلمّا زاد بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد.

قلت: الظاهر المشهور ممّا نقله الناس وأرباب التواريخ والسير أنّها عليها السلام دفنت بالبقيع كما تقدّم.

وروى مرفوعاً إلى سلمى أُم بني رافع قالت: كنت عند فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله وعليها في شكواها التي ماتت فيها، قالت: فلمّا كان في بعض الأيّام وهي أخف ما نراها فغدا علي بن أبي طالب عليه السلام في حاجة وهو يرى يومئذ أنّها أمثل ما كانت، فقالت: يا أمة الله اسكبي لي غسلاً، ففعلت فاغتسلت كأشدّ ما رأيتها اغتسلت، ثمّ قالت لي: أعطيني ثيابي الجدّد، فأعطيتها فلبست، ثمّ قالت: ضعي فراشي واستقبليني، ثمّ قالت: إنّي قد فرغت من نفسي فلا اكشفنّ أنّي مقبوضة الآن، ثمّ توسّدت يدها اليمنى واستقبلت القبلة فقضت، فجاء علي عليه السلام ونحن نصيح، فسأل عنها فأخبرته، فقال: إذاً والله لا تكشف، فاحتملت في ثيابها فغيّبت.

أقول: إنّ هذا الحديث قد رواه ابن بابويه كما ترى.

وقد روى أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في مسنده عن أُم سلمة قالت: اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها التي قبضت فيها، فكنت أُمرّضها، فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها ذلك، قالت: وخرج علي عليه السلام لبعض حاجته فقالت: يا أُمّاه اسكبي لي غسلاً، فسبكت لها غسلاً فاغتسلت كأحسنِ ما رأيتها تغتسل، ثمّ قالت: يا أُمّاه أعطيني ثيابي الجدّد فأعطيتها فلبستها، ثمّ قالت: يا أُمّاه قدّمي لي فراشي وسط البيت ففعلت فاضطجعت واستقبلت القبلة، وجعلت يدها تحت خدّها، ثمّ قالت: يا أُمّاه إنّي مقبوضة الآن وقد تطهّرت فلا يكشفني أحد، فقبضت مكانها، قالت: فجاء علي عليه السلام فأخبرته.

واتّفاقهما من طريق الشيعة والسنّة على نقله، مع كون الحكم على خلافه عجيب، فإنّ الفقهاء من الطريقين لا يجيزون الدفن إلّا بعد الغسل إلّا في مواضع ليس هذا منها، فكيف رويا هذا الحديث ولم يعلّلاه، ولا ذكرا فقهه، ولا نبّها على الجواز ولا المنع، ولعلّ هذا أمر يخصّها عليها السلام، وإنّما استدلّ الفقهاء على أنّه يجوز للرجل أن يغسل زوجته بأنّ علياً عليه السلام غسل فاطمة عليها السلام وهو المشهور.

وروى ابن بابويه مرفوعاً إلى الحسن بن علي عليهما السلام أنّ علياً غسل فاطمة عليها السلام.

وعن علي عليه السلام أنّه صلّى على فاطمة وكبّر عليها خمساً ودفنها ليلاً.

وعن محمّد بن علي عليه السلام أنّ فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً.

ونقلت من كتاب الذرّيّة الطاهرة للدولابي في وفاتها عليها السلام ما نقله عن رجاله قال: لبثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أشهر، وقال ابن شهاب: ستّة أشهر، وقال الزهري: ستّة أشهر[1]، ومثله عن عائشة رضي الله عنها، ومثله عن عروة بن الزبير.

وعن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام خمساً وتسعين ليلة، في سنة إحدى عشرة.

وقال ابن قتيبة في معارفه: مائة يوم.

وقيل: ماتت في سنة إحدى عشرة، ليلة الثلاثاء لثلاث ليال من شهر رمضان، وهي بنت تسع وعشرين سنة أو نحوها.

وقيل: دخل العباس على علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأحدهما يقول لصاحبه: أيّنا أكبر؟ فقال العباس رضي الله عنه: ولدت يا علي قبل بناء قريش البيت بسنوات، وولدت ابنتي وقريش تبني البيت ورسول الله صلى الله عليه وآله ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين.

وروى أنّها أوصت علياً وأسماء بنت عميس أن يغسلاها.

وعن ابن عباس قال: مرضت فاطمة مرضاً شديداً، فقالت لأسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت، فلا تحمليني على سرير ظاهر؟ فقالت: لا لعمري ولكن أصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة، قالت: فأريني، فأرسلت إلى جرايد رطبة، فقطعت من الأسواق، ثمّ جعلت على السرير نعشاً وهو أوّل ما كان النعش، فتبسّمت وما رُئيت متبسّمة إلّا يومئذ، ثمّ حملناها فدفنّاها ليلاً، وصلّى عليها العباس

---

(١) كتب في هامش نسخة مخطوطة: اعلم أنّ ابن شهاب والزهري واحد فإن وقع من الكاتب فلا بأس، وإن توهم المصنف أنّهما شخصان فيعد من كبرة الجواد وعثرة العباد والله الهادي إلى طريق السداد (إنتهى).

أقول: قال في تنقيح المقال: ابن شهاب قد مرّ في ترجمة عبدالرحمن بن أبي ليلى وقوعه في سند رواية الكشي وروايته عن الأعمش وزعم الحائري كونه محمّد بن شهاب الزهري العامي ولم أقف له على شاهد ومحمّد بن شهاب متعدد جرمي وبارقي وعبدي وكندي فمن أين يتعين الزهري (إنتهى) فمن ذلك يعلم عدم اتحادهما ولو أنّ إطلاقه على الزهري أكثر من غيره.

ابن عبدالمطّلب، ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل بن العباس.

وعن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة بنت رسول الله قالت لأسماء: إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، قال: فدعت بجريدة رطبة فحنتها[1] ثمّ طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة عليها السلام: ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل، قال: قالت فاطمة: فإذا متّ فغسّليني أنت ولا يدخلنّ عَلَيّ أحد، فلمّا توفّيت فاطمة عليها السلام جاءت عائشة لتدخل عليها، فقالت أسماء: لا تدخلي، فكلّمت عائشة أبابكر، فقالت: إنّ هذه الخثعميّة تحول بيننا وبين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فجاء أبوبكر فوقف على الباب، فقال: يا أسماء ما حالك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وجعلت لها مثل هودج العروس؟ فقالت أسماء لأبي بكر: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع لها ذلك، فقال أبوبكر: اصنعي ما أمرتك، فانصرف، وغسّلها علي وأسماء.

وروى الدولابي حديث الغسل الذي اغتسلته قبل وفاتها وكونها دفنت به ولم تكشف وقد تقدّم ذكره.

وروى من غير هذا أنّ أبابكر وعمر عاتبا عليّاً كونه لم يؤذنهما بالصلاة عليها، فاعتذر أنّها أوصته بذلك، وحلف لهما فصدّقاه وعذّراه.

وقال علي عليه السلام عند دفن فاطمة عليها السلام كالمناجي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره: السلام عليك يا رسول الله، عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قَلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي[2]، إلّا أنّ في التأسّي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك[3] موضع تعزّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدرك نفسك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة وأُخذت

---

(١) حن الشيء ـ بتشديد النون ـ: عطفه.

(٢) قال ابن أبي الحديد: قوله عن صفيّتك أجله صلى الله عليه وآله عن أن يقول عن ابنتك فقال: صفيّتك وهذا من لطيف عبارته ومحاسن كنايته، يقول عليه السلام: ضعف جلدي وصبري عن فراقها لكنّي أتأسّى بفراقي لك فأقول كلّ عظيم بعد فراقك جلل وكلّ خطب بعد موتك يسير.

(٣) الفادح: الصعب المثقل.

الرهينة[١]، أمّا حزني فسرمد وأمّا ليلي فمسهّد[٢]، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستُنبّئك ابنتك فاحفها السؤال[٣] واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ولم يخلق الذكر، والسلام عليكما سلام مودّع لا قال ولا سئم[٤]، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، الحديث ذو شجون.

أنشدني بعض الأصحاب للقاضي أبي بكر بن أبي قريعة رحمه الله تعالى:

يا من يسائل دائباً ... عن كلّ معضلة سخيفة[٥]
لا تكشفنّ مغطّئاً ... فلربّما كشفت جيفة
ولربّ مستور بدا ... كالطبل من تحت القطيفة
أنّ الجواب لحاضر ... لكنّني أخفيه خيفة
لولا اعتداء رعيّة ... ألغى سياستها الخليفة
وسيوف أعداء بها ... هاماتنا أبداً نقيفة[٦]
لنشرت من أسرار آ ... ل محمّد جملاً طريفة
تغنيكم عمّا رواه ... مالك وأبو حنيفة
وأريكم أنّ الحسين ... أصيب في يوم السقيفة
ولأيّ حال لحدّت ... بالليل فاطمة الشريفة
ولما حمت شيخيكم ... عن وطىء حجرتها المنيفة
آه لبنت محمّد ... ماتت بغصّتها أسيفة

وقد ورد من كلامها عليها السلام في مرض موتها ما يدلّ على شدّة تألّمها وعظم موجدتها، وفرط شكايتها ممّن ظلمها ومنعها حقّها أعرضت عن ذكره، وألغيت القول فيه، ونكبت عن إيراده لأنّ غرضي من هذا الكتاب نعت مناقبهم ومزاياهم وتنبيه

---

(١) قال المجلسي رحمه الله: واستعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس الكريمة لأنّ الأزواج كالوديعة والرهن في الأيدان أو لأنّ النساء كالودايع والرهاين عند الأزواج (إنتهى). وقال ابن أبي الحديد: كأنّها عليها السلام كانت عند عوضاً من رؤية رسول الله كما تكون الرهينة عوضاً عن الأمر الذي أخذت رهينة عليه.

(٢) المسهّد: القليل النوم.

(٣) أحفاه: حمله على أن يحثّ عن الخبر.

(٤) القلا: البغض. السأمة: الملالة.

(٥) دأب في العمل فهو دائب: جدّ وتعب واستمرّ عليه.

(٦) الهامات جمع الهامة: الرأس. ونقيفة من نقف هامة الرجل: كسرها عن الدماغ فعيل بمعنى مفعول.

الغافل عن موالاتهم فربّما تنبّه ووالاهم، ووصف ما خصّهم الله به من الفضائل التي ليست لأحد سواهم، فأمّا ذكر الغير والبحث عن الشرّ والخير فليس من غرض هذا الكتاب، وهو موكول إلى يوم الحساب، وإلى الله تصير الأمور.

وفي رواية أُخرى زيادة على قول علي عليه السلام عند موتها: (أمّا حزني فسرمد وأمّا ليلي فمسهّد) ولا نبرح أو يختار الله تعالى لي دارك التي أنت فيها مقيم، سرعان ما فُرّق بيننا وإلى الله أشكو، وستُنبّئك ابنتك بتظافر أُمّتك على هضمها حقّها[1]، فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً[2]، فستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين، والسلام عليكما سلام مودّع، لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإنْ أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعده الله الصابرين، فالصبر أيمن وأجمل فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً وتهتضم حقّها، وتمنع إرثها ولم يبعد العهد، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلوات الله عليك وعليها معك.

وروى أبو عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل العرش: يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم حتّى تمرّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فتكون أوّل من تُكسى.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: لفاطمة في الجنّة بيت من قصب لا أذى فيه ولا نصب، بين مريم وآسية.

وعن محمّد بن الحنفيّة رحمه الله **قال**: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: دخلت يوماً منزلي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وفاطمة بين يديه، وهو يقول: يا حسن ويا حسين أنتما كفّتا الميزان، وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفّتان إلّا باللسان، ولا يقوم اللسان إلّا على الكفّتين، أنتما الإمامان ولأمّكما الشفاعة، ثمّ التفت إليّ فقال: يا أباالحسن أنت توفي المؤمنين أجورهم، وتقسم الجنّة بينهم وبين شيعتك[3].

---

(١) الهضم: الظلم والغصب.

(٢) الغليل: حرارة الجوف. والإعتلاج: الإضطراب. والبث: النشر.

(٣) وفي نسخة: «وبين أهلها وهم شيعتك».

فصل
في مناقب خديجة بنت خويلد أُم فاطمة عليها السلام

حيث ذكرت ما أمكن من مناقب فاطمة عليها السلام غير مدّع الإستقصاء، فإنّ مناقبها تجلّ عن العدّ والإحصاء، شرعت في ذكر شيء من فضائل أُمّها عليها السلام ليعلم أنّ الشرف قد اكتنفها من جميع أقطارها، وأنّ المجد أوصلها إلى غاية يعجز المجارون عن خوض غمارها، ومهما ذكره ذاكر فهو على الحقيقة دون مقدارها.

نقلت من مسند أحمد بن حنبل رحمه الله عن عبدالله بن جعفر عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله خير نسائها[1] خديجة وخير نسائها مريم.

ومنه عن عبدالله بن جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت أن أُبشّر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب[2].

ومنه عن ابن عباس: إنّ أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله بعد خديجة علي عليه السلام ـ وقال مرّة أسلم ـ وقد تقدّم ذكر تقدّم إسلامها عليها السلام، وأنّها سبقت الناس كافّة، فلا حاجة إلى إعادة ذلك وهو مشهور.

ومن المسند عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية (ابنة مزاحم) امرأة فرعون.

ومنه عن عبدالله بن أبي أوفى قال: بشّر رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وروى أنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أنّ ربّها يقرئها السلام.

وروى أبو هريرة قال: أتى جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله فقال: هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطّى فيه أدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها

---

(١) وكأنّ الضمير يرجع إلى الأُمّة، يدلّ عليه سياق الكلام وقد مرّ الكلام في نظيره في قوله أشقاها في باب قتل أمير المؤمنين عليه السلام فراجع.

(٢) قال الجزري: الصخب الضجة واضطراب الأصوات للخصام ومنه حديث خديجة: لا صخب فيه ولا نصب. وقال في موضع آخر: النصب: التعب.

ومنّي، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب[1] لا صخب فيه ولا نصب.

وقال شريك وقد سُئل عن القصب أنّه قصب الذهب.

وروى أنّ عجوزاً دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فلاطفها، فلمّا خرجت سألته عنها عائشة رضي الله عنها، فقال: إنّها كانت تأتينا زمن خديجة وأنّ حسن العهد من الإيمان.

وعن علي عليه السلام قال: ذكر النبي صلى الله عليه وآله خديجة يوماً وهو عند نسائه فبكى، فقالت عائشة: ما يبكيك على عجوز حمراء من عجائز بني أسد؟ فقال صلى الله عليه وآله: صدّقتني إذ كذّبتم، وآمنت بي إذ كفرتم، وولدت لي إذ عقمتم، قالت عائشة: فما زلت أتقرّب إلى رسول الله بذكرها.

ونقلت من كتاب معالم العترة النبوية لأبي محمّد عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي الحنبلي، وذكر خديجة بنت خويلد أُمّ المؤمنين وتقدّم إسلامها وحسن مؤازرتها، وخطر فضلها وشرف منزلتها.

وذكر مرفوعاً عن محمّد بن إسحاق قال: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرةً، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إيّاه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجّاراً، فلمّا بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ماكانت تعطي غيره من التجّار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج في مالها ذلك، ومعه غلامها ميسرة حتّى قدم الشام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا الرجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلّا نبي.

ثمّ باع رسول الله صلى الله عليه وآله سلعته التي خرج فيها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثمّ أقبل قافلاً إلى مكّة ومعه ميسرة، وكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ قال: إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ نزل ملكان يظلّلانه من الشمس وهو يسير على بعيره، فلمّا قدم مكّة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً.

---

(١) قال الجوهري: القصب أنابيب من جوهر وذكر الحديث، وقال غيره: اللؤلؤ، وقال صاحب النهاية في غريب الحديث: والقصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف.

وحدّثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من أظلال الملكين، فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: ـ فيما يزعمون ـ يابن عمّ إنّي قد رغبت فيك لقرابتك منّي، وشرفك في قومك، وسطتك فيهم[1] وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك، ثمّ عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وكلّ قومها قد كان حريصاً على ذلك لم يقدروا عليه[2]، فلمّا قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله ما قالت ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة بن عبدالمطّلب حتّى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى بإسناده عن ابن شهاب الزهري قال: لمّا استوى رسول الله صلى الله عليه وآله وبلغ أشدّه وليس له كثير مال، استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة، وهو سوق بتهامة، واستأجرت معه رجلا آخر من قريش، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأيت من صاحبة لأجير خيراً من خديجة، وما كنّا نرجع أنا وصاحبي إلّا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا.

ومنه قال الدولابي يرفعه عن رجاله أنّه كان من بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه رأى في المنام رؤيا فشقّ عليه، فذكر ذلك لصاحبته خديجة، فقالت له: أبشر فإنّ الله تعالى لا يصنع بك إلّا خيراً، فذكر لها أنّه رأى أنّ بطنه أخرج وطهّر وغسّل ثمّ أُعيد كما كان، قالت: هذا خير فابشر، ثمّ استعلن له جبرئيل فأجلسه على ما شاء الله أن يجلسه عليه وبشّره برسالة ربّه حتّى اطمأنّ ثمّ قال: اقرأ، قال: كيف أقرأ؟ قال: ﴿ **إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ * إقْرأ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ** ﴾ فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة ربّه، واتّبع الذي جاء به جبرئيل من عند الله، وانصرف إلى أهله، فلمّا دخل على خديجة قال: أرأيتك الذي كنت أحدّثك ورأيته في المنام؟ فإنّه جبرئيل استعلن وأخبرها بالذي جاءه من عند الله وسمع، فقالت: أبشر يا رسول الله فوالله لا يفعل الله بك إلّا خيراً، فأقبل الذي أتاك (الله) وابشر فإنّك رسول الله حقّاً.

وروى مرفوعاً إلى الزهري قال: كانت خديجة أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) سطتك ـ بكسر السين وفتح المهملة ـ: أي شرفك وسامي منزلتك.

(٢) وفي بعض النسخ «لو يقدر عليه».

وعن ابن شهاب أنزل الله على رسوله القرآن والهدى، وعنده خديجة بنت خويلد.

وقال ابن حمّاد: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج خديجة على اثنتى عشرة أوقية ذهباً، وهي يومئذ ابنة ثماني وعشرين سنة.

وحدّثني ابن البرقي أبوبكر، عن ابن هشام عن غير واحد عن أبى عمرو ابن العلا قال: تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وعن قتادة بن دعامة قال: كانت خديجة قبل أن يتزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله عند عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم فقال: ولدت له جارية وهي أُم محمّد بن صيفي المخزومي، ثمّ خلّف عليها عبد عتيق أبو هالة هند بن زرارة التيمي، فولدت له هند بن هند، ثمّ تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبإسناده يرفعه إلى محمّد بن إسحاق قال: كانت خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به من الله، ووازرته على أمره، فخفف الله بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلّا فرّج الله ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفّف عنه وتهون عليه أمر الناس حتّى ماتت رحمها الله.

وعن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنّه حدّث عن خديجة أنّها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أي ابن عمّ أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني، فجاء جبرئيل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لخديجة: يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني، قالت: قم يابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاقعد على فخذي اليمنى، فتحوّل فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فاجلس في حجري ففعل، قالت: هل تراه؟ فقال: لا، قالت: يابن عم أثبت وأبشر فوالله إنّه لملك (كريم) وما هو بشيطان.

قال ابن إسحاق: وقد حدّث بهذا الحديث عبدالله بن الحسن، قال: قد سمعت أُمّي فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلّا أنّي سمعتها تقول:

أدخلت رسول الله صلى الله عليه وآله بينها وبين درعها[١] فذهب عند ذلك جبرئيل عليه السلام، فقالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا لملك وما هو بشيطان.

وعن إبن إسحاق أنّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد، فتتابع على رسول الله صلى الله عليه وآله هلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يسكن إليها.

وعن عروة بن الزبير قال: توفّيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أريت لخديجة بيتاً من قصب لا صخب فيه ولا نصب[٢].

وقال ابن هشام: حدّثني من أثق به أنّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: اقرأ خديجة من ربّها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا خديجة هذا جبرئيل يقرئك من ربّك السلام، قالت خديجة: الله السلام ومنه السلام وعلى جبرئيل السلام.

وروى أنّ آدم عليه السلام قال: إنّي لسيّد البشر يوم القيامة إلّا رجل من ذريّتي نبيّ من الأنبياء يقال له أحمد، فضّل عَلَيّ باثنتين: زوجته عاونته وكانت له عوناً، وكانت زوجتي عَلَيّ عوناً، وإنّ الله أعانه على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوّضك الله من كبيرة السن؟ قالت: فرايت رسول الله صلى الله عليه وآله غضب غضباً شديداً، فسقطت في يدي[٣] فقلت: اللهمّ إنّك إن أذهبت بغضب رسولك صلى الله عليه وآله لم أعد لذكرها بسوء ما بقيت، قالت: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، ورزقت منّي الولد حيث حرمتموه، قالت: فغدا وراح عَلَيّ بها شهراً[٤].

---

(١) درع المرأة: قميصها، وقيل: ما تلبسه فوق القميص.

(٢) قال ابن هشام: القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف.

(٣) سقط في يده: ندم وتحيّر.

(٤) قال المجلسي رحمه الله: لعلّ المعنى أنّه صلى الله عليه وآله كان إلى شهر يذكر خديجة وفضلها في الغدو والرواح، أو لما علم ندامتي في أمرها كان يغدو ويروح إلي لطفاً بي (إنتهى) وقيل إنّ المعنى كان يغدو ويروح شهراً

وروى أنّ خديجة رضي الله عنها كانت تُكنّى أُم هند.

وعن ابن عباس إنّ عمّ خديجة عمرو بن أسد زوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ أباها مات قبل الفجار[1].

وعن ابن عباس أنّه تزوّجها وهي ابنة ثماني وعشرين سنة، ومهرها النبي اثنتى عشرة أوقية وكذلك كانت مهور نسائه.

وقيل: إنّها ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وتزوّجها صلى الله عليه وآله وهي بنت أربعين سنة، ورسول الله صلى الله عليه وآله ابن خمس وعشرين سنة.

وحديث عفيف ورؤيته النبي صلى الله عليه وآله وخديجة وعليّاً يصلّون حين قدم تاجراً إلى العباس، وقوله: لا والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، قد تقدم ذكره بطرقه، فلا حاجة لنا إلى ذكره لأنّه لم يختلف في أنّها عليها السلام أوّل الناس إسلاماً.

وقال ابن سعد يرفعه إلى حكيم بن حزام قال: توفّيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوّة، وهي ابنة خمس وستّين، فخرجنا بها من منزلها حتّى دفنّاها بالحجون[2]، فنزل رسول الله في حفرتها، ولم يكن يومئذ صلاة على الجنازة، قيل: ومتى ذلك يا أبا خالد؟ قال: قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها وبعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير، قال: وكانت أوّل امرأة تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاده كلّهم منها إلّا إبراهيم فإنّه من مارية القبطيّة.

(هذا آخر ما نقلته من كتاب الجنابذي) وربّما اختصرت في بعض المواضع.

⊃ بهذه الحالة أي بحالة الغضب ولا يخفى أنّ هذا الإحتمال ساقط مع ما نعلم من عفوه العميم الشامل للعدو والحميم كيف وقد قال الله في شأنه ﴿إنّك لعلى خلق عظيم﴾.

(١) الفجار يوم من أيام العرب وهي أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة، ومن قيس عيلان في الجاهلية، وكانت الدبرة على قيس، وإنّما سمّت قريش هذه الحرب فجاراً لأنّها كانت في الأشهر الحرم فلمّا قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسمّيت فجاراً.

(٢) قال ياقوت: الحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

ذكر الإمام الثاني أبي محمّد الحسن التقي عليه السلام

قال ابن طلحة رحمه الله: الباب الثاني في أبي محمّد الحسن التقي عليه السلام، وفيه اثنا عشر فصلاً: في ولادته، في نسبه، في تسميته عليه السلام، في كنيته ولقبه، فيما ورد في حقّه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهاهنا نذكر إمامته فإنّ كمال الدين بن طلحة لم يذكر ذلك في فصوله، في علمه، في عبادته، في كرمه، في كلامه، في أولاده، في عمره، في وفاته.

الأول: في ولادته عليه السلام

أصحّ ما قيل في ولادته: إنّه ولد بالمدينة في النصف من شهر رمضان، سنة ثلاث من الهجرة، وكان والده علي بن أبي طالب عليه السلام قد بنى بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة، وكان الحسن عليه السلام أوّل أولادها، وقيل: ولدته لستّة أشهر والصحيح خلافه.

ولمّا ولد عليه السلام وأعلم به النبي صلى الله عليه وآله أخذه وأذّن في أُذنه، ومثل ذلك روى الجنابذي أبو محمّد عبدالعزيز بن الأخضر.

وروى ابن الخشّاب أنّه ولد عليه السلام لستّة أشهر، ولم يولد لستّة أشهر مولود فعاش إلّا الحسن وعيسى بن مريم عليهما السلام.

وروى الدولابي في كتابه المسمّى كتاب الذريّة الطاهرة قال: تزوّج علي فاطمة عليها السلام فولدت له حسناً بعد أُحد بسنتين، وكان بين وقعة أُحد وبين مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سنتان وستّة أشهر ونصف، فولدته لأربع سنين وستّة أشهر ونصف من التاريخ وبين أُحد وبدر سنة ونصف.

وروى أنّها عليها السلام ولدته في شهر رمضان سنة ثلاث.

وروى أنّه ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث، وكنيته أبو محمّد.

وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقّ عنه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدّق بزنته فضّة.

وروى أنّ فاطمة عليها السلام أرادت أن تعقّ عنه بكبش، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعقّي

عنه ولكن احلقي رأسه ثمّ تصدّقي بوزنه من الورق في سبيل الله عزّوجلّ.

ومنه عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقّ عن الحسن كبشاً وعن الحسين كبشاً.

وقال الكنجي الشافعي في كتاب كفاية الطالب: الحسن بن علي كنيته أبو محمّد، ولد بالمدينة ليلة النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في كتاب إعلام الورى: الباب الأول في ذكر الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الثاني، والسبط الأول سيّد شباب أهل الجنّة، ويتضمّن خمسة فصول: في ذكر مولده، ومبلغ عمره، ومدّة خلافته، ووقت وفاته، وموضع قبره عليه السلام.

ولد عليه السلام ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: سنة اثنتين، وكنيته أبو محمّد و جاءت به أمّه فاطمة سيّدة النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنّة، نزل بها جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فسمّاه حسناً، وعقّ عنه كبشاً، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وله سبع سنين وأشهر، وقيل: ثماني سنين.

وقام بالأمر بعد أبيه عليه السلام وله سبع وثلاثون سنة، وأقام في خلافته ستّة أشهر وثلاثة أيّام، وصالح معاوية سنة إحدى وأربعين، وإنّما هادنه[1] خوفاً على نفسه لأنّ جماعة من رؤساء أصحابه كاتبوا معاوية وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّ عَسْكَرِهِ مِنْ عَسْكَرِهِ، ولم يكن منهم من يأمن غائلته إلّا جماعة من شيعته لا يقومون بأهل الشام.

وكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وبعث بكتب أصحابه إليه، فأجابه إلى ذلك بعد أن شرط عليه شروطاً كثيرة (منها) أن يترك سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام، والقنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمّن شيعته ولا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه، فأجابه معاوية إلى ذلك كلّه، وعاهده على الوفاء به، فلمّا استتمّت الهدنة قال في خطبته: إنّي منيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له.

---

(١) هادنه: صالحه. والهدنة: المصالحة.

وخرج الحسن عليه السلام إلى المدينة وأقام بها عشر سنين، ومضى إلى رحمة الله تعالى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع وأربعون سنة وأشهر، مسموماً، سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكان معاوية قد دسّ إليها من حملها على ذلك وضمن لها أن يزوّجها من يزيد ابنه، وأعطاها مائة ألف درهم فسقته السم، وبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً، وتولّى أخوه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بالبقيع.

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده: باب ذكر الإمام بعد أميرالمؤمنين عليه السلام وتاريخ مولده، ودلائل إمامته، ومدّة خلافته، ووقت وفاته، وموضع قبره، وعدد أولاده، وطرف من أخباره:

والإمام بعد أميرالمؤمنين صلوات الله عليه ابنه الحسن بن سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت محمّد سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله الطاهرين، وكنيته أبو محمّد.

ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وساق ما أورده الطبرسي إلى قوله: وعقّ عنه كبشاً قال: وروى ذلك جماعة عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

وكان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وهدياً[1] وسؤدداً.

وعن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليهما السلام.

وروى أنّ فاطمة عليها السلام أتت بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها فقالت: يا رسول الله! هذان ابناك فورّثهما شيئاً، فقال: أمّا الحسن فإنّ له هديي وسؤددي، وأمّا الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي.

ورواه الجنابذي: أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي.

فهذا ذكر الإختلاف في مولده عليه السلام وذكرت فيه ما أورده السنّة والشيعة ليتلخّص لك معرفة ذلك وبالله التوفيق.

---

(١) الهدي ـ كتمر ـ: السيرة والهيئة والطريقة.

الثاني: في نسبه عليه السلام

قال كمال الدين محمّد بن طلحة: حصل للحسن ولأخيه الحسين عليهما السلام ما لم يحصل لغيرهما، فإنّهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله، وريحانتاه، وسيّدا شباب أهل الجنّة، فجدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوهما علي بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم عليه السلام، وأمّهما الطهر البتول فاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة النساء.

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عموداً

أقول: إنّ نسبه عليه السلام هو النسب الذي تتضاءل عنده الأنساب[١]، وشرفه الشرف الذي أسجل بصحّته الأثر والكتاب، فهو وأخوه دوحتا[٢] النبوّة التي طابت فرعاً وأصلاً، وشعبتا الفتوّة التي سمت رفعة ونبلا، وإنسانا عيني السيادة والفخار[٣]، وسليلا الشرف الذي أظهر الخيلاء في مضر ونزار[٤]، قد اكتنفهما العزّ والشرف، ولازمهما السؤدد فما له عنهما منصرف، وأحاط بهما المجد من طرفيهما، وتصوّرا من الجلالة فكادت أن تقطر من عطفيهما، وتكوّنا من الأريحية[٥] فهي تلوح على شمائلهما، وتبدو كما يبدو النهار على مخايلهما، بذا الأضراب والأمثال، وأين الضريب والمماثل؟ وترفعا في أوج الفتوّة عن العديل والمساجل، وأين العديل والمساجل وفاقا في طيب الأعراق وطهارة الأخلاق رتبة الأواخر والأوائل، فعلت سماء فضلهما من اللمس، حتّى قيل أين الثريا من يد المتناول؟ نسبهما يتّصل بمحمّد صلى الله عليه وآله من قبل أُمّهما بغير فصل، ومن قبل أبيهما يجتمع في عبدالمطّلب فأعجب لطيب فرع وزكاء أصل.

أنتم ذووا النسب القصير وطولكم ... باد على الكبراء والأشراف
والخمرُ إن قيل ابنة العنب اكتفت ... باب من الألقاب والأوصاف

---

(١) تضائل: ضعف وحقر وصغر.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة.

(٣) إنسان العين: المثال الذي يرى في سوادها وقيل إنسان العين ناظرها.

(٤) الخيلاء ـ بالضم ـ: العجب والكبر.

(٥) الأريحية: خصلة يرتاح بها إلى الندى يقال «أخذته الأريحية» أي الهشاشة لابتذال العطايا.

الثالث: في تسميته عليه السلام

قال ابن طلحة: اعلم أنّ هذا الإسم الحسن سمّاه به جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه لمّا ولد عليه السلام قال: ما سمّيتموه؟ قالوا: حرباً، قال صلى الله عليه وآله: بل سمّوه حسناً، ثمّ إنّه صلى الله عليه وآله عقّ عنه كبشاً، وبذلك احتجّ الشافعي في كون العقيقة سنّة عن المولود.

وتولّى ذلك النبي صلى الله عليه وآله ومنع أن تفعله فاطمة عليها السلام، وقال لها: احلقي رأسه وتصدّقي بوزنه الشعر فضّة، ففعلت ذلك، وكان وزن شعره يوم حلقه درهماً وشيئاً، فتصدّقت به، فصارت العقيقة والصدقة بزنة الشعر سنّة مستمرّة بما شرعه النبي صلى الله عليه وآله في حقّ الحسن عليه السلام، وكذا اعتمد في حقّ الحسين عليه السلام عند ولادته وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وروى الجنابذي أنّ علياً عليه السلام سمّى الحسن حمزة، والحسين جعفراً، فدعا رسول الله علياً وقال له: إنّي قد أُمرت أن أُغيّر اسم ابني هذين، قال: فما شاء الله ورسوله؟ قال: فهما الحسن والحسين.

ويظهر من كلامه أنّه بقي الحسن عليه السلام مسمّى حمزة إلى حين ولد الحسين وغيّرت أسماؤهما عليهما السلام وقتئذ، وفي هذا نظر لمتأمّله، أو يكون قد سمّى الحسن وغيره، ولمّا ولد الحسين وسمّى جعفراً غيره فتكون التسمية في زمانين والتغيير كذلك.

الرابع: في كنيته عليه السلام وألقابه

قال ابن طلحة: كنيته أبو محمّد لا غير، وأمّا ألقابه فكثيرة: التقي، والطيّب، والزكي، والسيّد، والسبط، والولي، كلّ ذلك كان يقال له ويطلق عليه، وأكثر هذه الألقاب شهرة: التقي، لكن أعلاها رتبة وأولاها به ما لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله حيث وصفه به وخصّه بأن جعله نعتاً له، فإنّه صحّ النقل عن النبي صلى الله عليه وآله فيما أورده الأئمّة الأثبات والرواة الثقات، أنّه قال: ابني هذا سيّد.

وسيأتي هذا الحديث بتمامه في الفصل الآتي ردف هذا إن شاء الله تعالى، فيكون أولى ألقابه: السيّد.

وقال ابن الخشّاب: كنيته أبو محمّد، وألقابه: الوزير، والتقي، والقائم، والطيّب، والحجّة، والسيّد، والسبط، والولي.

الخامس: فيما ورد في حقّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وما رواه عليه السلام وإمامته

قال ابن طلحة: هذا فصل أصله مقصود، وفضله معقود، ونقله مشهور، وظلّه ممدود، ووروده مورود، وسدره مخضود، وطلحه منضود، وهو من أسنى السجايا والمدايح معدود، فإنّه جمع من أشتات الإشارت النبويّة، والأفعال والأقوال الطاهرة الزكيّة، ما أشرقت به أنوار المناقب، وسمقت[1] بالحسن إلى أشرف شرف المراتب، وأحدقت مزايا المآثر به من جميع الجوانب، فإنّ من امتطى مطا رسول الله صلى الله عليه وآله رقى قدم شرفه على مناكب الكواكب، فبخٍّ بخٍّ لمن خصّه الله تعالى من رسوله المصطفى بهذه المواهب.

فمنها ما اتّفقت الصحاح على إيراده، وتطابقت على صحّة إسناده، وروي مرفوعاً إلى أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي[2] قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه مرّة ويقول: إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (رواه الجنابذي)[3].

وروى من صحيحي مسلم والبخاري مرفوعاً إلى البراء بن العازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن بن علي على عاتقه يقول: اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه.

وروى عن الترمذي مرفوعاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما إنّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله حامل الحسن بن علي على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ونعم الراكب هو. (رواه الجنابذي)

وروى عن الحافظ أبي نعيم ما أورده في حليته عن أبي بكرة قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يصلّي بنا فيجي الحسن وهو ساجد وهو صغير حتّى يصير على ظهره أو رقبته، فيرفعته رفعاً رفيقاً، فلمّا صلّى قالوا: يا رسول الله إنّك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد؟ فقال: إنّ هذا ريحانتي وإنّ ابني هذا سيّد، وعسى أن يصلح الله به بين

---

(١) سمق: علا وطال.

(٢) نفيع بضمّ أوّله وفتح الفاء.

(٣) قال الجزري: وفي الحديث أنّه قال للحسن بن علي رضي الله عنهما إنّ ابني هذا سيّد، قيل: اراد به الحليم لأنّه قال في تمامه: وإنّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

فئتين من المسلمين. (رواه الجنابذي في كتابه)

وروى عن الترمذي من صحيحه يرفعه بسنده إلى أنس بن مالك قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة صلّى الله عليهم: ادعي إليّ ابنَيّ فيشمّهما ويضمّهما إليه.

وروى عن مسلم والبخاري بسنديهما عن أبي هريرة قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله طائفة من النهار لا يكلّمني ولا أُكلّمه حتّى جئنا سوق بني قينقاع[1]، ثمّ انصرف حتّى أتى مخبئاً وهو المخدع[2] فقال: أثم لكّع أثم لكّع[3]؟ يعني حسناً، فظننّا إنّما تحبسه أُمّه لأن تغسله أو تلبسه سخاباً[4]، فلم يلبث أن جاء يسعى حتّى اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ إنّي أحبّه وأحبّ من يحبّه.

وفي رواية أُخرى اللهمّ إنّي أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه.

قال أبو هريرة: فما كان أحد أحبّ إليّ من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال فيه.

وروى عن الترمذي في صحيحه مرفوعاً إلى أُسامة بن زيد قال: طرقت النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج وهو مشتمل على شيء فما أدري ما هو، فلمّا فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه[5] فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهمّ إنّي أحبّهما وأحبّ من يحبّهما.

وروى عن الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

---

(١) بفتح القاف وضم النون كما في النهاية وهم بطن من بطون يهود مدينة أضيفت السوق إليهم.

(٢) أي الخزانة.

(٣) قال ابن الأثير: اللكع قد يطلق على الصغير ومنه الحديث أنّه صلى الله عليه وآله جاء يطلب الحسن بن علي قال: أثم لكع؟ وقال الجوهري في الصحاح: ويقال للجحش لكع وللصبي الصغير أيضاً وفي حديث أبي هريرة: أثم لكع؟ يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٤) قال ابن الأثير: السخاب خيط ينظم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجواري وقيل هو قلادة تتخذ من قرنفل ومحلب وسك ونحوه وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء ومنه حديث فاطمة رضي الله عنها: فألبسته سخاباً أي الحسن ابنها.

(٥) الورك ـ ككتف ـ: ما فوق الفخذ.

وعن ابن عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: هما ريحانتاي من الدنيا.

وروى عن النسائي بسنده عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً فتقدم النبي صلى الله عليه وآله فوضعه ثمّ كبّر للصلاة فصلّى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة فأطالها قال: إنّي رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنّك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتّى ظننّا أنّه قد حدث أمر أو أنّه يوحى إليك؟ قال: كلّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني [1] فكرهت أن أُعجّله حتّى يقضي حاجته.

وروى عن الترمذي والنسائي في صحاحهم كلّ منهم بسنده يرفعه إلى بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثمّ قال: صدق الله ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما.

ورواه الجنابذي بألفاظ قريبة من هذا وأخصر.

وروى عن الترمذي بسنده في صحيحه يرفعه إلى أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الحسن بن علي يشبهه.

وعن أنس قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي.

وعن علي عليه السلام قال: كان الحسن بن علي أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك.

وروى عن البخاري في صحيحه يرفعه إلى عقبة بن الحرث قال: صلّى أبوبكر العصر، ثمّ خرج يمشي ومعه علي عليه السلام، فرأى الحسن يلعب بين الصبيان، فحمله أبوبكر على عاتقه، وقال:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي عليه السلام يضحك.

---

(١) قال الجزري: وفي الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلمّا فرغ سئل عنه؟ فقال: إنّ ابني ارتحلني فكرهت أن أعجّله أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري.

وروى الجنابذي هذا الحديث فقال: بأبي شبه النبي لا شبيهاً بعلي، قال: وعلي يتبسّم.

وروى عن إسماعيل بن خالد قال: قلت لأبي جحيفة: هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم والحسن بن علي يشبهه.

وروى عن أبي هريرة قال: ما رأيت الحسن بن علي إلّا فاضت عيناي دموعاً، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يوماً فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي فاتّكأ عَلَيّ ثمّ انطلقت حتّى جئنا إلى سوق بني قينقاع، فما كلّمني فطاف فنظر ثمّ رجع ورجعت معه، فجلس في المسجد فاحتبى[1] ثمّ قال: ادع لي لكع فأتى حسن يشتدّ حتّى وقع في حجره فجعل يدخل يده في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح فمه ويدخل فمه في فمه ويقول: اللهمّ إنّي أُحبّه وأحبّ من يحبّه ثلاثاً.

وروى بسنده عن عبدالرحمان بن عوف قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبدالرحمان الا أُعلّمك عوذة كان يعوذ بها إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق وأنا أُعوّذُ بها ابني الحسن والحسين، قل كفى بسمع الله واعياً لمن دعا ولا مرمى وراء أمر الله لرام رمى.

وروى عن الدولابي مرفوعاً إلى جبير بن هبير عن أبيه قال: قدمت المدينة فقال الحسن بن علي عليهما السلام: كانت جماجم العرب[2] بيدي يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين.

وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبصر الحسن بن علي مقبلاً فقال: اللهمّ سلّمه وسلّم منه.

وروى مرفوعاً إلى أُمّ الفضل قالت: قلت: يا رسول الله رأيت كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي؟ قال: خيراً رأيت، تلد ابنتي فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قثم[3]، فولدت الحسن فأرضعته بلبن قثم.

وروى مرفوعاً إلى إسحاق بن سليمان الهاشمي عن أبيه قال: كنّا عند أميرالمؤمنين هارون الرشيد فتذاكروا علي بن أبي طالب، فقال أميرالمؤمنين هارون:

---

(١) احتبى بالثوب: اشتمل به.

(٢) جمع الجمجمة.

(٣) بضم القاف وفتح الثاء المثلثة كما في التقرب وهو ابن عباس عبدالمطلب. ذكر ابن حجر في التهذيب أيضاً أنّه كان أخا الحسين بن علي عليهما السلام من الرضاعة.

تزعم العوام أنّي أبغض عليّاً وولده حسناً وحسيناً، ولا والله ما ذلك كما يظنّون، ولكن ولده هؤلاء طالبنا بدم الحسين معهم في السهل والجبل حتّى قتلنا قتلته، ثمّ أفضى إلينا هذا الأمر فخالطناهم فحسدونا، وخرجوا علينا فحلّوا قطيعتهم، والله لقد حدّثني (أبي) أميرالمؤمنين المهدي، عن أميرالمؤمنين أبي جعفر المنصور عن محمّد بن علي بن عبدالله، عن عبدالله بن عباس، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة عليها السلام تبكي، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله إنّ الحسن والحسين خرجا فوالله ما أدري أين سلكا؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تبكين فداك أبوك، فإنّ الله جلّ وعزّ خلقهما وهو أرحم بهما، اللهمّ إن كانا أخذا في برّ فاحفظهما، وإن كانا في بحر فسلّمهما، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد لا تغتم ولا تحزن هما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما في حظيرة بني النجار نائمين، وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقمنا معه حتّى أتينا حظيرة بني النجار فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك قد غطّاهما بأحد جناحيه، فحمل النبي صلى الله عليه وآله الحسن وأخذ الحسين الملك، والناس يرون أنّه حاملهما، فقال له أبوبكر الصديق وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهما: يا رسول الله ألا نخفف عنك بحمل أحد الصبيين؟ فقال: دعاهما فإنّهما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما.

ثمّ قال: والله لأشرّفنّهما اليوم بما شرّفهما الله، فخطب فقال: أيّها الناس ألا أُخبركم بخير الناس جدّاً وجدّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّتهما خديجة بنت خويلد، ألا أُخبركم أيّها الناس بخير الناس أباً وأُمّاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ أبوهما علي بن أبي طالب وأُمّهما فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، ألا أُخبركم أيّها الناس بخير الناس عمّاً وعمّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أم هاني بنت أبي طالب، ألا أيها الناس ألا أُخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ خالهما القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا إنّ أباهما في الجنّة، وأُمّهما في الجنّة، وجدّهما في الجنّة، وجدّتهما في الجنّة، وخالهما في الجنّة، وخالتهما في الجنّة، وعمّهما في الجنّة،

وعمّتهما في الجنّة، وهما في الجنّة، ومن أحبّهما في الجنّة، ومن أحبّ من أحبّهما في الجنّة.

وروى مرفوعاً إلى أحمد بن محمّد بن أيّوب المغيري قال: كان الحسن بن علي عليهما السلام أبيض مشرباً حمرة، أدعج العينين[1]، سهل الخدّين، دقيق المسربة[2]، كثّ اللحية، ذا وفرة، وكأنّ عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس، بعيد مابين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن.

وروى مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال: لمّا حضرت ولادة فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس وأُم سلمة: أحضراها فإذا وقع ولدها واستهلّ فأذّنا في أُذنه اليمنى، وأقيما في أُذنه اليسرى، فإنّه لا يفعل ذلك بمثله إلّا عصم من الشيطان، ولا تحدثا شيئاً حتّى آتيكما، فلمّا ولدت فعلتا ذلك، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله فسرّه ولبّاه بريقه، وقال: اللهمّ إنّي أُعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم.

ومن كتاب الفردوس عن النبي صلى الله عليه وآله: أُمرت أن أُسمّي ابنيّ هذين حسناً وحسيناً.

ومنه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله: سألت الفردوس من ربّها فقالت: أي ربّ زيّني فإنّ أصحابي وأهلي أتقياء أبرار، فأوحى الله عزّوجلّ إليها: ألم أُزيّنك بالحسن والحسين.

ومنه عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله: سمّى هارون ابنيه شبّراً وشبيراً، وإنّي سمّيت ابنيّ الحسن والحسين بما سمّى هارون ابنيه.

وروى أبو عمرو الزاهد في كتاب اليواقيت قال زيد بن أرقم: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده جالساً، فمرّت فاطمة صلوات الله عليها خارجة من بيتها إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعها الحسن والحسين عليهما السلام، ثمّ تبعها علي عليه السلام، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليّ فقال: من أحبّ هؤلاء فقد أحبّني، ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضني.

---

(١) الدعج: شدّة سواد العين مع سعتها، يقال عين دعجاء.

(٢) والمسربة ـ بضمّ الراء ـ: الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة. كلّ عضلين التصقا في مفصل فهو كردوس مثل المنكبين والركبتين والوركين.

وممّا جمعه صديقنا العزّ المحدّث مرفوعاً إلى ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، على باغضهم لعنة الله.

وبإسناده قال عمر عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن فاطمة وعليّاً والحسن والحسين في حظيرة القدس، في قبّة بيضاء سقفها عرش الرحمان عزّوجلّ.

وبإسناده منه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ابناي هذين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما.

ومن كتاب الآل لابن خالويه اللغوي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، من أحبّهما أحبّني ومن أبغضهما أبغضني.

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة من أهلي قد أحبّهم الله، وأمرني بحبّهم: علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، والمهدي عليهم السلام، الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام.

ومن كتاب الآل مرفوعاً إلى عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت الجنّة: يا رب أليس قد وعدتني أن تسكنّي ركناً من أركانك؟ قال: فأوحى الله إليها أما ترضين أنّي زيّنتك بالحسن والحسين، فأقبلت تميس كما تميس العروس[1].

ومن كتاب الأربعين للفتواني عن جابر بن عبدالله عليه السلام قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وهو يمشي على أربع والحسن والحسين على ظهره ويقول: نِعْم الجمل جملكما، ونِعْم الجمّالان أنتما.

وروى الفتواني أنّ النبي صلى الله عليه وآله دعا الحسن فأقبل وفي عنقه سخاب[2] فظننت أنّ أُمّه حبسته لتلبسه، فقال النبي صلى الله عليه وآله هكذا، وقال الحسن عليه السلام هكذا بيده فالتزمه فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه، وأحبّ من أحبّه ثلاثاً، قال: وهو متّفق على صحّته من حديث عبدالله بن أبي يزيد، ورواه البخاري في السير عن علي عن سفيان.

وروى الحافظ أبوبكر محمّد الفتواني عن أبي هريرة أنّ الحسن بن علي عليهما السلام

---

(١) ماس: تبختر.

(٢) قال الهروي: السخاب خيط ينظم فيه خرز يلبسه الصبيان والجواري وجمعه سخب.

قال: السلام عليكم، فردّ أبوهريرة، فقال: بأبي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي، فسجد فجاء الحسن عليه السلام فركب ظهره وهو ساجد، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فركب ظهره مع أخيه وهو ساجد، فثقلا على ظهره فجئت فأخذتهما عن ظهره ـ وذكر كلاماً سقط على أبي يعلى ـ ومسح على رؤوسهما وقال: من أحبّني فليحبّهما ثلاثاً.

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

وروى أنّ العباس رضي الله عنه جاء يعود النبي صلى الله عليه وآله في مرضه، فرفعه وأجلسه في مجلسه على سريره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: رفعك الله يا عم، فقال العباس: هذا علي يستأذن، فقال: يدخل، فدخل ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فقال العباس رضي الله عنه: هؤلاء ولدك يا رسول الله صلّى الله عليك؟ قال: هم ولدك يا عم أتحبّهما؟ قال: نعم، قال: أحبّك الله كما أحبّهما.

وعن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وآله أُتي بتمر من تمر الصدقة، فجعل يقسّمه، فلمّا فرغ حمل الصبي وقام، فإذا الحسن في فيه تمر يلوكها[1]، فسال لعابه عليه، فرفع رأسه ينظر إليه فضرب شدقه[2] وقال: كخ أي بني[3] أما شعرت أنّ آل محمّد لا يأكلون الصدقة.

قلت: وقد أورده أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده بألفاظ غير هذه، قال الحسن: فأدخل إصبعه في فمي وقال: كخ كخ، وكأنّي أنظر لعابي على إصبعه.

وروى عن أبي عميرة رشيد بن مالك هذا الحديث بألفاظ أخرى، وذكر أنّ رجلاً أتاه بطبق من تمر فقال: أهذا هدية أم صدقة؟ قال الرجل: صدقة، فقدمها إلى القوم، قال: وحسن بين يديه صغير[4]، قال: فأخذ الصبي تمرة فجعلها في فيه، قال: ففطن له رسول الله صلى الله عليه وآله فأدخل إصبعه في فم الصبي، فانتزع التمرة ثمّ قذف بها، وقال: إنّا آل محمّد لا نأكل الصدقة.

---

(١) لاك اللقمة يلوكها لوكاً: مضغها أهون المضغ وأدارها في فمه.

(٢) الشدق ـ بكسر الشين وفتحها ـ: زاوية الفم من باطن الخدّين.

(٣) كخ بفتح الكاف وكسرها وسكون الخاء وشدّها صوت يقال عند زجر الصبي عن تناول شيء وعند التقذر من شيء.

(٤) وفي بعض النسخ «يتعفر» بدل «صغر» ولعلّه الظاهر وهو من تعفّر في التراب: تمرغ فيه.

قال اللفتواني: لم يخرج الطبراني لأبي عميرة السعدي في معجمه سوى هذا الحديث الواحد.

وفي حديث آخر إنّا آل محمّد لا نأكل الصدقة.

قال معرّف[1]: فحدّثني أنّه (جعل) يدخل إصبعه ليخرجها، فيقول هكذا كأنّه يلتوي عليه[2] ويكره أن يؤذيه.

وروى مرفوعاً إلى أسامة بن يزيد أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقعده على فخذه ويقعد الحسين على الفخذ الأخرى ويقول: اللهمّ ارحمهما فإنّي أرحمهما. رواه البخاري في الأدب.

وروى مرفوعاً إلى أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن إلى جانبه، ينظر إلى الناس مرّة وإليه مرّة أخرى: إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به مابين فئتين من المسلمين.

وروى عن زيد بن أرقم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم.

وقد روى أحمد بن حنبل رحمة الله عليه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال ـ وقد نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام ـ: من أحبّ هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

وهذه الأحاديث قد تقدم أمثالها وهي بأنفسها وإنّما أذكرها مكررة لأنّ في اختلاف طرقها وكثرة رواتها دلالة على صحّتها، وبرهانها على القطع بورودها عنه صلى الله عليه وآله على الحقيقة.

وروى الدولابي في كتاب الذريّة الطاهرة وهذا الكتاب أرويه بالإجازة عن السيّد جلال الدين عبدالحميد بن فخار الموسوي الحائري عن الشيخ عبدالعزيز الأخضر المحدّث إجازة في المحرّم سنة عشرة وستمائة

وعن الشيخ برهان الدين أبي الحسين أحمد بن علي المعروف بالغزنوي إجازة

---

(١) بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الراء المكسورة من رواة العامة ومحدّثيهم وقد أثنى عليه ابن حجر وغيره ووثقوه في الحديث.

(٢) التوى اليد: ثناه.

في ربيع الأول سنة أربع عشرة وستمائة، كلاهما عن الشيخ الحافظ أبي الفضل محمّد ابن ناصر السلامي بإسناده وأجاز لي السيّد قديماً، وفي سنة ست وسبعين وستمائة.

روى عن أبي بكرة قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب إذ صعد إليه الحسن، فضمّه إليه وقال: إنّ ابني هذا سيّد، وإنّ الله علّه[1] أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين.

قلت: وإلى هذا أشار الحسن عليه السلام، وقد رواه الدولابي وغيره مرفوعاً إلى يزيد ابن خمير[2] عن جبير بن نفير عن أبيه قال: قدمت المدينة فقال الحسن بن علي عليهما السلام: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله عزّوجلّ، وحقن دماء المسلمين.

وروى عن محمّد بن عبدالرحمان بن لبيبة[3] مولى بني هاشم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبصر الحسن بن علي مقبلاً، فقال: اللهمّ سلّم به وسلّم منه.

وروى أنّ أُمّ الفضل قالت: رأيت عضواً من أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيتيه، تلد فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قثم[4]، فولد الحسن عليه السلام فأرضعته بلبن قثم.

وروى أنّ الحسن عليه السلام روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لي: إنّ من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم[5].

وروى أنّ الحسن قال رواية عن أبيه عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من رجلين اصطرما[6] فوق ثلاث إلّا طويت عنهما صحيفة الزيادت، قلت: يا رسول الله وما صحيفة الزيادات؟ قال: الصلاة النافلة، وما كان من التطوّع ما لم يشاكل الفرض.

وبإسناده عن أبيه صلّى الله عليهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حيث ما كنتم فصلّوا

---

(١) لغة في لعل.

(٢) خمير ـ كزبير ـ مصغراً.

(٣) لبيبة بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتانية وفتح الموحدة الأخرى كما عن التقريب، وفي بعض النسخ ـ لبينة ـ بالنون وهو مصحف ويقال إنّ لبينة أُمّه وأبا لبيبة أبوه واسمه وردان.

(٤) مرّ ضبطه وترجمته آنفاً فراجع.

(٥) هذا الحديث وما يليه إلى البحث عن إمامته عمّا رواه عليه السلام عن رسول الله وكان على المصنّف أن يجعله تحت عنوان متمايزاً ممّا سبق عمّا ورد في حقّه عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل في ذكر إمامته وبيعته عليه السلام فيما يأتي.

(٦) أي يهجر كلّ منهما صاحبه ويقطع مكالمته وفي بعض النسخ «اضطربا» وهو مصحف.

عَلَيّ، فإنّ صلاتكم تبلغني، صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وبإسناده عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أظلم الظالمين من ظلم الظالم، دعوا الظالم حتّى يلقى الله عزّوجلّ بوزره يوم القيامة كاملاً.

ذكر إمامته وبيعته عليه السلام

الكلام في الحسن بن علي عليه السلام في باب الإمامة لا يخالفنا فيه أحد من المسلمين، فأمّا غيره من الأئمّة عليهم السلام فالمخالفة فيهم، ونحن نقرّر في هذا قاعدة تطرد في الجميع، فإنّ القائلين بإمامة الجماعة بعد النبي صلى الله عليه وآله قائلون بإمامة الحسن عليه السلام بما رووه أنّ الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثمّ تعود ملكا، وبأنّ علياً عليه السلام أوصى بها إليه، وأفاض رداءها عليه، فهو عليه السلام مسألة إجماع، وقد سلّم مدّعى إمامته عن النزاع.

وأمّا أصحابنا فإنّهم يقولون بوجوب الإمامة في كلّ وقت، وقد ثبت ذلك من طريق العقل في كتب الأصول، وأنّ الإمام لابدّ أن يكون معصوماً منصوصاً عليه، وأنّ الحق لا يخرج عن أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

فإذا ثبت ذلك فالناس بعد علي عليه السلام إمّا قائل بأن لا حاجة إلى إمام وقوله باطل، بما ثبت من وجوب وجود الإمام في كلّ وقت، وإمّا قائل بإمام ولا يشترط العصمة وقوله باطل أيضاً بما ثبت من وجوب العصمة، وإمّا قائل بوجوب إمامة الحسن بن علي عليه السلام لوجود الشروط المأخوذة في حد الإمام فيه، فيجب الرجوع إلى قوله والعمل به، وإلّا خرج الحق عن أقوال الأمّة.

وفي تواتر الشيعة ونقلهم خلفاً عن سلف أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام نصّ على ابنه الحسن وحضر شيعته واستخلفه عليهم بصريح القول، وليس لأحد أن يدّعي كذبهم فيما تواتر عندهم، لأنّ ذلك يقدح في كلّ ما ادّعى أنّه علم بالتواتر، وفي هذا الموضع بحوث طويلة مذكورة في كتب الكلام ليس ذكرها في هذا الكتاب من شرطه، وقد اشتهر عند الناس قاطبة وصيّة علي عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام، وتخصيصه بذلك من بين ولده، ورواه المخالف والمؤالف والوصيّة من الإمام الحق توجب استخلافه لمن أوصى إليه، وكذا وقعت الحال وهي مشهورة وقد أجمع عليها آل محمّد عليه وعليهم السلام.

ومن الأخبار الواردة في ذلك ممّا رواه محمّد بن يعقوب الكليني وهو من

أجلّ رواة الشيعة وثقاتها، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن، وأشهد على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال له: يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمّد فاقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومنّي السلام.

وعنه عن عدّة من أصحابه يرفعه إلى أبي الجارود عن أبي جعفر قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حضرته الوفاة قال لابنه الحسن: أُدن منّي حتّى أسرّ إليك ما أسرّ إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأئتمنك على ما ائتمنني عليه، ففعل.

وبإسناده يرفعه إلى شهر بن حوشب أنّ علياً عليه السلام لمّا سار إلى الكوفة استودع أُم سلمة رضي الله عنها كتبه والوصيّة، فلمّا رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه.

وقد ثبت عند فرق الإسلام كافّة أنّ علياً عليه السلام لمّا مات دعا الحسن عليه السلام إلى الأمر بعد أبيه فبايعه الناس على أنّه الخليفة والإمام.

وقد روى جماعة أنّه خطب صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولم يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله[1] فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه يديه، ولقد توفّي في الليلة التي عُرج فيها بعيسى بن مريم، وفيها قبض يوشع بن نون عليه السلام، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضّلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثمّ قال: أنا ابن البشير النذير، وأنا ابن

---

(١) اكتنفه القوم: أحاطوا به وكانوا منه يمنة ويسرة.

الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من أذهب الله[١] عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله طاعتهم في كتابه فقال: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾[٢] فالحسنة مودّتنا أهل البيت.

ثمّ جلس فقام عبدالله بن العباس بين يديه فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيّكم ووصيّ إمامكم فبايعوه، فتبادر الناس إلى بيعته.

فهذه أدلّة قاطعة بحقيّة إمامته.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ابناي إمامان قاما أو قعدا.

وقول صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وعصمتهما معلومة ثابتة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٣].

أقول: بعض هذه الخطبة قد رواها أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علي عليه السلام فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم، ولم يدركه الآخرون، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه بالراية، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتّى يُفتح له.

وقد رواها الدولابي في كتاب العترة بألفاظ تقارب ما رواه الجماعة، ومن حديث آخر في المسند بمعناه، وفي آخره: وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله، وهذا قد رواه الحافظ أبو نعيم في حليته.

وهذه الخطبة قد رواها جماعة من الجمهور أيضاً، وقد شهد القرآن بطهارته في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فلابدّ أن يكون عليه السلام محقّاً في دعوته، صادقاً في إمامته.

---

(١) وفي نسخة «أنا ابن الذين أذهب الله اه».

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) الأحزاب: ٣٣. وقال القاضي في الإحقاق أنّه قد أجمع المفسّرون وروى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ سرد في ذيله أسماء مدارك الحديث من العامة على كثرتهم فراجع الطبع الجديد ج ٢ ص ٥٠٢. وقد مرّ فيه شطر كلام من المؤلف رحمه الله أيضاً في مواضع شتى من الجزء الأوّل.

وقد نقل أنّ حبابة الوالبية أتت علياً عليه السلام في رحبة المسجد، فقالت: يا أميرالمؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك الله؟ فقال: ائتيني بتلك الحصاة ـ بيده إلى حصاة ـ فأتته بها، فطبع لي فيها بخاتمه، وقال: يا حبابة إن ادّعى مدّع الإمامة وقدر أن يفعل كما فعلت فاعلمي أنّه محقّ مفترض الطاعة، فالإمام لا يعزب عنه شيء يريده. قالت: ثمّ انصرفت حتّى قبض أميرالمؤمنين عليه السلام، فأتيت الحسن عليه السلام وهو في مجلس أميرالمؤمنين والناس يسألونه، فقال لي: حبابة الوالبية؟ فقلت: نعم يا مولاي، قال: هات ما معك، فأعطيته الحصاة فطبع فيها كما طبع أميرالمؤمنين عليه السلام، قالت: ثمّ أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فقرّب ورحّب وقال: أتريدين دلالة الإمامة؟ فقلت: نعم يا سيّدي، فقال: هات ما معك، فناولته الحصاة، فطبع فيها كما طبع أميرالمؤمنين عليه السلام، قالت: ثمّ رأيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر وأنا أعد مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعاً وساجداً مشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة، فأومى إليّ بالسبابة، فعاد إليّ شبابي، قالت: فقلت: يا سيّدي كم مضى من الدنيا وكم بقي؟ فقال: أمّا ما مضى فنعم، وأمّا ما بقي فلا[1]، ثمّ قال: هاتي ما معك، فأعطيته الحصاة فطبع فيها، ثمّ أتيت أبا جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا عبدالله عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أباالحسن موسى بن جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيت الرضا عليه السلام فطبع لي فيها، وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكره عبدالله بن هشام.

وروى الكليني قال: حدّثنا علي بن محمّد قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي عن أبيه موسى بن جعفر عليهم السلام، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد عليهم السلام، أنّ عليّ بن الحسين دعا لحبابة الوالبية فردّ الله عليها شبابها وأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها، ولها يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة.

والشيخ المفيد رحمه الله ذكر قريباً ممّا ذكره الطبرسي ومنه نقل الطبرسي رحمهم الله أجمعين.

وروى الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في مسنده عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله كلمات أقولهنّ في قنوت الوتر: اللهمّ اهدني

---

(١) قال المجلسي رحمه الله: أمّا ما مضى فنعم أي لنا به علم، وأمّا ما بقي فليس لنا به علم، أو فسّره لها ولم تنقل.

فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولّني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، فإنّك تقضي ولا يُقضى عليك، إنّه لا يذلّ من واليت، تباركت ربّنا وتعاليت.

ومن المسند عن أبي الحوراء قال: قلت للحسن بن علي عليهما السلام: ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أذكر أنّي أخذت من تمر الصدقة تمرة، فألقيتها في فمي، فانتزعها رسول الله صلى الله عليه وآله بلعابها فألقاها في التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة، فقال: إنّا لا نأكل الصدقة، قال: وكان يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإنّ الصدقة طمأنينة، والكذب ريبة.

وفي حديث آخر إنّا آل محمّد لا تحلّ لنا الصدقة.

(وفي حديث آخر وعقلت عنه الصلوات الخمس.

وقال الحسن عليه السلام: لمّا حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي فقال: هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب عليه السلام أخو محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه وصاحبه، أوّل وصيّتي: إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسوله وخيرته اختاره بعلمه، وارتضاه بخيرته، وأنّ الله باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور.

ثمّ إنّي أوصيك يا حسن وكفى بك وصيّاً بما وصّاني به رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان ذلك يا بني فألزم بيتك وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همّك.

وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والإقتصاد والعدل في الرضا والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود، وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم، والتواضع فإنّه من أفضل العبادة، وقصر الأمل، وذكر الموت، والزهد في الدنيا، فإنّك رهن موت وعرض بلاء وطريح سقم.

وأوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع بالقول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّ حتّى تصيب رشدك فيه[1].

---

(١) وهذا أحد المعاني في وصيّته الأخرى في قوله عليه السلام: إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً.

وإيّاك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإنّ قرين السوء يغرّ جليسه، وكن لله يا بني عاملاً، وعن الخنا زجوراً[١]، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً[٢]، وآخ الإخوان في الله، وأحبّ الصالح لصلاحه، ودار الفاسق عن دينك، وأبغضه بقلبك، وزايله بأعمالك، لئلّا تكون مثله.

وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودع الممارات ومجاراة من لا عقل له ولا علم، واقتصد يا بني في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، وألزم الصمت تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير تعلم، وكن ذاكراً لله على كلّ حال، وارحم من أهلك الصغير، ووقّر منهم الكبير، ولا تأكلن طعاماً حتّى تتصدّق منه قبل أكله، وعليك بالصوم فإنّه زكاة البدن وجُنّة لأهله، وجاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالس الذكر، وأكثر من الدعاء فإنّي لم آلك يا بني نصحاً[٣] وهذا فراق بيني وبينك.

وأوصيك بأخيك محمّدٍ خيراً فإنّه شقيقك[٤] وابن أبيك، وقد تعلم حبّي له، وأمّا أخوك الحسين فهو ابن أُمّك ولا أزيدك الوصاية بذلك[٥]، والله الخليفة عليكم، وإيّاه أسأل أن يصلحكم وأن يكفّ الطغاة البغاة عنكم، والصبر الصبر حتّى ينزل الله الأمر، ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.

وقد أورد السيّد الرضي الموسوي رحمه الله تعالى وألحقه بسلفه الطاهر في نهج البلاغة وصيّة لأميرالمؤمنين عليه السلام كتبها إلى ابنه الحسن عليه السلام وهي طويلة جامعة لأدب الدين والدنيا، كثيرة الفائدة والجدوى، نافعة في الآخرة والأولى، قد أخذت بمجامع الفضائل، وأعجزت بمقاصدها الأواخر والأوائل، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي إذا قال بذّ كلّ قائل[٦]، وعاد سحبان عنده مثل باقل[٧]، فإن أنكرت فسائل، وليس

---

(١) الخنا: الفحش في القول.

(٢) وفي بعض النسخ «وبالمنكر ناهاً».

(٣) قال الجوهري: الا يألو: قصر وفلان لا يألوك نصحاً فهو آل.

(٤) الشقيق: الأخ.

(٥) وفي نسخة «ولا أزيد لك الوصاة».

(٦) بذّه: غلبه وفاقه.

(٧) سحبان: رجل باهلي يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة فيقال: «أخطب من سحبان وائل وأفصح» وباقل: رجل يقرب به المثل في العي.

هذا الكتاب موضعاً لإثباتها، وقد دللتك عليها، فإن أردتها فإنّها تجد البيان والبلاغة، وتشاهد آداب الدنيا والآخرة، ببدائع ألفاظ تريك، ورد البيان صافياً، وبرد الفصاحة ضافياً، وحظّ السمع والقلب وافياً، وليكن هذا القدر في صفتها وإن لم يكن كافياً كافياً.

قال الشيخ المفيد في إرشاده: لمّا قبض أميرالمؤمنين عليه السلام خطب الناس الحسن بن علي عليه السلام، وذكر حقّه، فبايعه أصحاب أبيه عليه السلام على حرب من حارب وسلم، من سالم.

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى قال: حدّثني أشعث بن سوار، عن أبي إسحاق السبيعي وغيره قالوا: خطب الحسن بن علي عليه السلام صبيحة الليلة التي قبض فيها أميرالمؤمنين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجّهه برايته، يكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فلا يرجع حتّى يفتح الله على يديه، ولقد توفي عليه السلام في الليلة التي عُرج بعيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قبض يوشع بن نون، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم، فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثمّ قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت افترض الله مودّتهم[1] في كتابه فقال تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾[2] فالحسنة مودّتنا أهل البيت ثمّ جلس.

فقام عبدالله بن العباس رحمة الله عليهما مابين يديه فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيّكم ووصيّ إمامكم فبايعوه، فاستجاب له الناس، وقالوا: ما أحبّه إلينا وأوجب حقّه علينا، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة.

وذلك في يوم الجمعة الواحد والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين من

---

(١) وفي بعض النسخ «طاعتهم» بدل: «مودّتهم».

(٢) الشورى: ٢٣.

الهجرة، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء، وأنفذ عبدالله بن العباس إلى البصرة ونظر في الأمور، ولمّا بلغ معاوية موت أميرالمؤمنين علي عليه الصلاة والسلام وبيعة الحسن عليه السلام أنفذ رجلاً من حمير إلى الكوفة وآخر من بني القين إلى البصرة ليطالعاه بالأخبار، ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمور وقلوب الناس، فعرف بهما وحصلهما وأمر بقتلهما، وكتب إلى معاوية: أمّا بعد؛ فإنّك دسست الرجال للإحتيال والإغتيال، وأرصدت العيون كأنّك تحبّ اللقاء، وما أوشك ذلك فتوقّعه إن شاء الله. وبلغني أنّك شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى[1]، وإنّما مثلك في ذلك كما قال الأوّل:

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تجهّز لأخرى مثلها فكأن قد[2]

فإنّا ومن قد مات منّا لكالّذي ... يروح فيمسي في المبيت ليغتدى

وكان بينه وبين الحسن عليه السلام مكاتبات، واحتجّ عليه الحسن عليه السلام في استحقاقه الأمر وتوثّب من تقدّم على أبيه عليه السلام[3] وابتزازه سلطان ابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله[4] وصار معاوية نحو العراق، وتحرّك الحسن عليه السلام، وبعث حجر بن عدي واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّوا ومعه أخلاط من الناس، بعضهم من شيعته وشيعة أبيه عليه السلام وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة[5]، وبعضهم أصحاب طمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتّبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين، ثمّ صار حتّى نزل ساباط دون القنطرة وبات هناك.

فلمّا أصبح أراد عليه السلام أن يمتحن أصحابه ويستبرىء أحوالهم في طاعته، ليميز أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية، فأمر أن ينادى في الناس بالصلاة جامعة فاجتمعوا، فصعد المنبر فخطبهم فقال:

الحمد لله كلّما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلّا الله كلّما شهد له شاهد، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحق وأئتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله، أمّا بعد؛ فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت

---

(١) شمت: فرح ببلية. والمعنى فرحت بموت علي الذي أصبح كلّ ذي لبّ مغموماً بموته.

(٢) أي فكأن قد نزلت أو جاءت وحذف مدخول قد وذلك شايع.

(٣) توثب عليه استولى ظلماً.

(٤) ابتزّ منه الشيء: استلبه قهراً.

(٥) وهم الخوارج أي لم يهمّوا على نصر الحسن وإنّما كان همّهم قتال معاوية.

محتملاً على امرىء مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة[١]، وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة، وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردوا على رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّة والرضا.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنّ أنّه يريد أن يصالح معاوية، ويسلّم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل وشدّوا على فسطاطه، فانتهبوه حتّى أخذوا مصلّاه من تحته، ثمّ شدّ عليه رجل يقال له عبدالرحمان ابن عبدالله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه[٢] عن عاتقه فبقي جالساً متقلّداً السيف بغير رداء، ثمّ دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته، ومنعوا منه من أراده، ودعا ربيعة وهمدان فأطافوا به ومنعوه، فسار ومعه شوب من غيرهم.

فلمّا مرّ في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد اسمه الجراح بن سنان وأخذ بلجام فرسه وبيده مِغْول[٣] وقال: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه في فخذه فشقّه حتّى بلغ العظم، فاعتنقه الحسن عليه السلام وخرّا جميعاً إلى الأرض، فأكبّ عليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام فقتله بمغوله وقتل معه شخص آخر كان معه، وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل علي عليه السلام بها، فأقرّه الحسن عليه السلام على ذلك واشتغل بمعالجة جرحه.

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة سرّاً واستحثّوه على سرعة المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن عليه السلام ذلك.

وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي الله عنه، وكان قد أنفذه مع عبيدالله بن العباس في مسيره من الكوفة ليلقى معاوية فيردّه عن العراق، وجعله أميراً على الجماعة، وقال: إن أُصيب فالأمير قيس بن سعد، يخبره أنّهم نازلوا معاوية بإزاء مسكن وأنّ معاوية أرسل إلى عبيدالله بن العباس يرغّبه في المسير إليه، وضمن له ألف ألف درهم يعجّل

---

(١) الضغينة: الحقد. والغائلة: الحقد الباطن. الشر.

(٢) المطرف ـ بضم الميم وفتحها ـ: رداء من خزد وأعلام.

(٣) المغول: سوط في جوفه سيف دقيق سمّي بذلك لأنّ صاحبه يغتال به عدوّه من حيث لا يحتسبه.

له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة، فانسلّ عبيدالله ليلاً إلى معسكر معاوية ومعه خاصّته وأصبح الناس بغير أمير، فصلّى بهم قيس عليه السلام ونظر في أُمورهم، فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلانهم له وفساد نيّات المحكمة فيه وما أظهروه له من سبّه وتكفيره واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلّا خاصّه من شيعته وشيعة أبيه عليهما السلام، وهم جماعة لا يقومون بحرب أهل الشام.

فكتب إلى معاوية في الهدنة والصلح، فأنفذ إليه كتب أصحابه التي ضمنوا فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط في إجابته إلى الصلح شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله واغتياله، غير أنّه لم يجد بدّاً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة لما كان من ضعف بصائر أصحابه في حقّه والفساد عليه ومخالفته، واستحلال كثير منهم دمه وتسليمه إلى خصمه، وخذلان ابن عمّه له[1] ومصيره إلى عدوّه، وميلهم جميعاً إلى الدنيا وعاجلها.

فتوثّق لنفسه عليه السلام من معاوية تأكيداً للحجّة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى، وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام، والعدول عن القنوت عليه في الصلاة، وأن يؤمّن شيعته رضي الله عنهم ولا يتعرّض لأحد مهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه، فأجابه معاوية إلى ذلك جميعه وعاهده عليه وحلف له بالوفاء.

فلمّا استتمّت الهدنة سار معاوية حتّى نزل بالنخيلة وكان يوم جمعة، فصلّى بالناس ضحى النهار وخطبهم فقال في خطبته: إنّي والله ما أُقاتلكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإنّي كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمَيّ لا أفي له بشيء منها.

ثمّ سار ونزل الكوفة فأقام بها أيّاماً، فلمّا استتمّت بيعته صعد المنبر فخطب الناس وذكر أميرالمؤمنين والحسن عليهما السلام فنال منهما، وكان الحسين عليه السلام حاضراً، فأراد أن يقوم ويجيبه فأخذ الحسن بيده وأجلسه وقام وقال: أيّها الذاكر عليّاً أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة وأُمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك

---

(١) يعني عبيدالله بن عباس.

حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك فتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً[١] وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين.

وخرج الحسن إلى المدينة كاظماً غيظه، منتظراً أمر ربّه، لازماً منزله إلى أن تمّ لمعاوية عشر سنين من إمارته، وأراد أخذ البيعة لابنه، دسّ إلى زوجة الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث بن قيس من حملها على سمّه، وأرسل إليها مائة ألف درهم، وضمنه تزويجها بابنه يزيد، فسقته السمّ، فبقي أربعين يوماً مريضاً ومضى لسبيله في صفر في من سنة خمسين من الهجرة، وعمره يومئذ ثمان وأربعون سنة.

وكانت خلافته عشر سنين، وتولّى أخوه ووصيّه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه، ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف عليه السلام.

السادس: في علمه عليه السلام

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: كان الله عزّ وعلا قد رزقه الله الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه الفطنة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه، وخصّه بالجبلة التي ردّت لها أخلاف مادتها بسور العلم ومعانيه، ومرّت له أطباء الإهتداء من نجدى جدّه وأبيه[٢]، فجنى بفكرة منجبة نجاح مقاصد ما يقتفيه، وقريحة مصحبة في كلّ مقام يقف فيه، وكان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج القائلين.

وروى الإمام أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي رحمه الله **في تفسيره الوسيط** ما يرفعه بسنده أنّ رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة فإذا أنا برجل يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله والناس حوله، فقلت له: أخبرني عن ﴿ **شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾[٣] فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم عرفة، فجزته إلى آخر يحدّث، فقلت له: أخبرني عن ﴿ **شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام كأنّ وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) خمل ذكره: خفي.

(٢) مرت الشيء: ملسه. والأطباء جمع الطبى: حلمة الثدي. والنجد: الثدي.

(٣) البروج: ٣.

فقلت: أخبرني عن ﴿ شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ؟ فقال: نعم، أمّا الشاهد فمحمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلك يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾[2].

فسألت عن الأوّل؟ فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني؟ فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان قول الحسن أحسن.

ونقل أنّه عليه السلام اغتسل وخرج من داره في حلّة فاخرة، وبزّة طاهرة[3]، ومحاسن سافرة، وقسمات ظاهرة[4]، ونفحات ناشرة، ووجهه يشرق حسناً، وشكله قد كمل صورة ومعنى، والإقبال يلوح من أعطافه، ونضرة النعيم تعرف في أطرافه، وقاضي القدر قد حكم أنّ السعادة من أوصافه، ثمّ ركب بغلة فارهة غير قطوف[5]، وسار مكتنفاً من حاشيته وغاشيته بصفوف[6]، فلو شاهده عبد مناف لأرغم بمفاخرته به معاطس أنوف[7]، وعدّه وآبائه وجدّه في إحراز خصل الفخار يوم التفاخر بألوف، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود همّ في هدم قد أنهكته العلّة[8]، وارتكبته الذلّة، وأهلكته القلّة، وجلده يستر عظامه، وضعفه يقيّد أقدامه، وضرّه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبّب إليه حمامه[9]، وشمس الظهيرة تشوي شواه[10]، وأخمصه تصافح ثرى ممشاه[11]، وعذاب عرّعريه قد عراه[12]، وطول طواه قد أضعف بطنه

---

(١) الأحزاب: ٤٥.

(٢) هود: ١٠٣.

(٣) البزة: الثياب.

(٤) القسمات جمع القسمة: الحسن.

(٥) فره: نشط. وقطفت الدابة ضاق مشيها وبطأ أو أسانت السير.

(٦) غاشية الرجل: خدمه وزواره الذين يغشونه.

(٧) المعاطس جمع المعطس: الأنوف.

(٨) المحاويج: المحتاجون. الهم ـ بالكسر ـ: الشيخ الفاني. والهدم ـ بالكسر أيضاً ـ الثوب البالي. ونهكت الحمى فلاناً: أضنته وجهدته ونقصت لحمه.

(٩) الحمام: الموت.

(١٠) الشوى: اليدان والرجلان وقحف الرأس وصلدته وما كان غير مقتل من الأعضاء.

(١١) الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم وربّما يراد به القدم كلّها. تصافح الشيئان: انطبق بعضها على بعض.

(١٢) العر ـ بتشديد الراء ـ الجرب.

وطواه[١]، وهو حامل جرّ مملوءاً ماءاً على مطاه[٢]، وحاله يعطف عليه القلوب القاسية عند مرآه، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال: يابن رسول الله أنصفني، فقال عليه السلام: في أي شيء؟ فقال: جدّك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلّا جنّة لك تتنعّم بها وتستلذّ فيها؟ وما أراها إلّا سجناً لي قد أهلكني ضرّها وأتلفني فقرها؟

فلمّا سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد، واستخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه، وأوضح لليهودي خطأ ظنّه، وخطل زعمه، وقال: يا شيخ! لو نظرت إلى ما أعدّ الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة ممّا لا عين رأت ولا أُذن سمعت، لعلمت أنّي قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضنك، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكلّ كافر في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم، ونكال عذاب المقيم، لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه الآن في جنّة واسعة، ونعمة جامعة.

فانظر إلى هذا الجواب الصادع بالصواب كيف قد تفجّرت بمستعذبه عيون علمه، وأينعت بمستغربه فنون فهمه، فياله جواباً ما أمتنه، وصواباً ما أبينه، وخطاباً ما أحسنه، صدر عن علم مقتبس من مشكاة نور النبوّة، وتأييد موروث من آثار معالم الرسالة (هذا آخر كلام ابن طلحة).

نقلت من كتاب معالم العترة الطاهرة للجنابذي رحمة الله عليه عن عقبة ابن الحرّثِ قال: مرّ النبي صلى الله عليه وآله مع أبي بكر رضي الله عنه إذ رأى الحسن بن علي عليه السلام وهو يلعب، فأخذه فحمله على عاتقه فقال: بأبي شبيه النبي لا شبيهاً بعلي، قال: وعلي عليه السلام يتبسّم.

وعن ابن مالك قال: كان الحسن بن علي عليه السلام أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لأبي جحيفة: هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وكان الحسن بن علي عليه السلام يشبهه صلى الله عليه وآله.

وعن أبي هريرة قال: ما رأيت الحسن بن علي عليه السلام إلّا فاضت عيناي دموعاً، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم فوجدني في المسجد فأخذ بيدي فاتّكأ عَلَيّ ثمّ انطلقت معه حتّى جئنا إلى سوق بني قينقاع، فما كلّمني فطاف فنظر، ثمّ رجع

---

(١) الطوى: الجوع. ولعل المراد بالطوى ثانياً انطوى عليه بطنه من الأحشاء والأمعاء.

(٢) الجر: الإناء من خزف. والمطا: الظهر.

ورجعت معه، فجلس في المسجد فاحتبى ثمّ قال: ادع لي لكع فأتى حسن يشتدّ حتّى وقع في حجره فجعل يدخل يده في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح فمه ويدخل فمه في فمه ويقول: اللهمّ إنّي أحبّه وأحبّ من يحبّه ـ ثلاثاً ـ.

وعن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران، يعثران ويقومان، فلمّا رآهما نزل وأخذهما ثمّ صعد فوضعهما في حجره، ثمّ قال: صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ رأيت هذين فلم أصبر حتّى أخذتهما.

وعن عبدالرحمان بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبدالرحمان ألا أُعلّمك عوذة كان يعوّذ بها إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق وأنا أعوّذ بها ابني الحسن والحسين؟ قل كفى بسمع الله واعياً لمن دعا، ولا مرمى وراء أمر الله لرام رمى.

وعن محمّد بن عمر قال: لمّا ولد الحسن بن علي عقّ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بكبش، وحلق رأسه وأمر أن يتصدّق بزنته فضّة.

وعن أنس بن مالك قال: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله ـ يعني أهل البيت ـ حسن بن علي.

وعن علي عليه السلام قال: أشبه الحسن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ مابين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وآله ما كان من أسفل من ذلك.

وعن أبي بكرة قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب إذ صعد إليه الحسن فضمّه إليه وقال: إنّ ابني هذا سيّد، وإنّ الله علّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين.

وعن جبير بن نفير عن أبيه قال: قدمت المدينة فقال الحسن بن علي عليه السلام: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين.

وعن النبي صلى الله عليه وآله رأى الحسن مقبلاً فقال: اللهمّ سلّمه وسلّم منه.

وقالت أُم الفضل: يا رسول الله رأيت كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قثم، فولدت الحسن فأرضعته بلبن قثم.

قال: وخطب الحسن بن علي عليه السلام حين قتل علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيه رايته ويقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فما يرجع

حتّى يفتح الله عليه، وما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضّلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثمّ قال: أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، ومن أهل البيت الذي كان جبرئيل ينزل فيه ويصعد من عندنا، وأنا من أهل بيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل بيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم فقال لنبيّه: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً** ﴾ فالحسنة مودّتنا أهل البيت.

وعن عبدالله بن عباس قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة عليها السلام تبكي، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله إنّ الحسن والحسين خرجا فوالله ما أدري أين سلكا؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تبكين فداك أبوك، فإنّ الله عزّوجلّ خلقهما وهو أرحم بهما، اللهمّ إن كانا قد أخذا في برّ فاحفظهما، وإن كانا قد أخذا في بحر فسلّمهما، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد لا تغتم ولا تحزن هما فاضلان في الدنيا، فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما في حظيرة بني النجّار نائمين، وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقمنا معه حتّى أتينا حظيرة بني النجّار، فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك قد غطّاهما بأحد جناحيه، فحمل النبي صلى الله عليه وآله الحسن وأخذ الحسين الملك، والناس يرون أنّه حاملهما، فقال له أبوبكر الصديق، وأبو أيّوب الأنصاري رضي الله عنهما: يا رسول الله ألا نخفّف عنك بحمل أحد الصبيّين؟ فقال: دعاهما فإنّهما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما.

ثمّ قال: والله لأشرّفنّهما بما شرّفهما الله، فخطب فقال: أيّها الناس ألا أُخبركم بخير الناس جدّاً وجدّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّتهما خديجة بنت خويلد، ألا أُخبركم بخير الناس أباً وأُمّاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ أبوهما علي بن أبي طالب، وأُمّهما فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، ألا أُخبركم أيّها الناس بخير الناس عمّاً وعمّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أُم هاني بنت أبي

طالب، أيّها الناس ألا أُخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين؛ خالهما القاسم بن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا إنّ أباهما في الجنّة، وأُمّهما في الجنّة، وجدّهما في الجنّة، وجدّتهما في الجنّة، وخالهما في الجنّة، وخالتهما في الجنّة، وعمّهما في الجنّة، وعمّتهما في الجنّة، وهما في الجنّة، ومن أحبّهما في الجنّة، ومن أحبّ من أحبّهما في الجنّة.

وقال أحمد بن محمّد بن أيّوب المغيري: كان الحسن بن علي عليهما السلام أبيض مشرباً حمرة، أدعج العينين، سهل الخدّين، دقيق المسربة، كثّ اللحية، ذا وفرة، وكأنّ عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس[1]، بعيد مابين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن، توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة، وولّى غسله الحسين، ومحمّد والعباس أخواه من علي بن أبي طالب عليه السلام وصلّى عليه سعيد بن العاص في سنة تسع وأربعين.

وعن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله حاملاً للحسن بن علي على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ونعم الراكب هو.

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها أتت رسول الله صلى الله عليه وآله ومعها الحسن والحسين في مرضه الذي توفي فيه، قالت: يا رسول الله إنّ هذين لم تورثهما شيئاً؟ قال: أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي.

وعن عائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقبل نحر فاطمة ويشمّه.

وعن أم عثمان أم ولد علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: كانت لآل رسول الله صلى الله عليه وآله قطيفة يجلس عليها جبرئيل، لا يجلس عليها غيره، وإذا خرج طويت وكان إذا عرج انتفض فيسقط من زغب ريشه فيقوم فيتبعه ويجعله في تمائم الحسن والحسين[2].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات في حجّة

---

(١) مرّ تفسير اللغات آنفاً فراجع.

(٢) الزغب: صغار الريش، والتمائم جمع التميمة: عوذة تعلق على صغار الإنسان مخافة العين.

الوداع: إنّي تارك فيكم الثقلين، وأحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي لا يفترقان حتّى يردا عَلَيّ الحوض، ألا إنّ كتاب الله حبل ممدود أصله في الأرض وطرفه في العرش، مثله كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومثلهم كباب حطّة من دخله غفرت له الذنوب.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً: كتاب الله وأهل بيتي.

وعن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غديرخم يقول إنّي تارك فيكم كتاب الله حبل ممدود من السماء، من استمسك به كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي أذكّركم الله عزّوجلّ في أهل بيتي، أذكّركم الله عزّوجلّ في أهل بيتي، أذكّركم الله عزّوجلّ في أهل بيتي، قال: فقلت لزيد: من أهل بيته؟ فقال: الذين لا تحلّ لهم الصدقة، آل علي وآل عباس وآل جعفر وآل عقيل.

وعن ذكوان مولى معاوية قال: قال معاوية: لا أعلمنّ أحداً سمّى هذين الغلامين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن قولوا ابني علي عليه السلام، قال ذكوان: فلمّا كان بعد ذلك أمرني أن أكتب بنيه[1] في الشرف، قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته، ثمّ أتيته بالكتاب فنظر فيه فقال: ويحك لقد أغفلت كبر بنيّ فقلت: من؟ فقال: أمّا بنو فلانة لابنته بني، أمّا بنو فلانة لابنته بني، قال: قلت: الله أيكون بنو بناتك بنيك ولا يكون بنو فاطمة بني رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: مالك قاتلك الله، لا يسمعن هذا أحد منك.

وعن عوف بن الأزرق بن قيس وذكر حديث المباهلة.

وعن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حامل الحسن بن علي عليهما السلام على عاتقه، وهو يقول: اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه.

وفي رواية وأحب من يحبّه.

وعن أبي هريرة قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالكم.

وعن عقبة بن الحرث قال: خرجت مع أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الضمير يرجع إلى معاوية.

بليال، وعلي عليه السلام يمشي إلى جنبه، فمرّ بالحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

قال: وعلي عليه السلام يضحك.

وعن عبيدالله بن عبيد بن عمير قال: حج الحسن بن علي عليهما السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإنّ الجنايب[1] لتقاد معه.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

وعن علي عليه السلام قال: لمّا حضرت ولادة فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس ولأُم سلمة: أحضراها فإذا وقع ولدها واستهلّ[2] فأذّنا في أُذنه اليمنى، وأقيما في أُذنه اليسرى، فإنّه لا يفعل ذلك بمثله إلّا عصم من الشيطان، ولا تحدثا شيئاً حتّى آتيكما، فلمّا ولدت فعلتا ذلك، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله فسرّه ولبأه بريقه[3]، وقال: اللهمّ إنّي أُعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم.

وعن سويد بن غفلة قال: كانت عائشة الخثعميّة عند الحسن بن علي عليهما السلام، فلمّا أُصيب علي عليه السلام وبويع الحسن عليه السلام بالخلافة قالت: لتهنّك الخلافة يا أمير المؤمنين قال: يقتل علي عليه السلام فتظهرين الشماتة؟ اذهبي فأنت طالق ثلاثاً، فتلفعت بساجها ومضت[4]، فلمّا انقضت عدتها بعث إليها ببقيّة بقيت من صداقها عشرة آلاف درهم فقالت: (متاع قليل من حبيب مفارق) فلمّا بلغه قولها بكى، وقال: لولا أنّي سمعت جدّي أو حدّثني أبي أنّه سمع جدّي صلى الله عليه وآله يقول: أيّما رجل طلّق امرأته ثلاثاً قبل الإقراء، أو ثلاثة مبهمة فلا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره.

---

(١) الجنائب جمع الجنيبة ـ ككتائب وكتيبة ـ: الدابة تقاد وكلّ طائع منقاد جنيب.

(٢) استهل الصبي: رفع صوته بالبكاء عند الولادة وكذا كلّ متكلم رفع صوته أو خفضه فقد استهل.

(٣) سرّ الصبي: قطع سره وهو ما تقطعه القابلة من سرته. وقال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث ولادة الحسن بن علي وألبأه بريقه أي صب ريقه في فيه كما يصبب اللبأ في فم الصبي وهو أوّل ما يحلب عند الولادة.

(٤) تلفع المرأة بمرطها: تلحفت. والساج: الطيلسان الأخضر.

كذا في الأصل فأمّا أن يكون حذف الجواب للعلم به أو يكون الناسخ قد أخلّ به.

وعن علي بن عقبة عن أبيه قال: دخل الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية وعنده شباب من قريش يتفاخرون، والحسن ساكت، فقال له: يا حسن والله ما أنت بكليل اللسان ولا بمأشوب الحسب[1]، فَلِم لا تذكر فخركم وقديمكم؟ فأنشأ الحسن يقول:

فيم الكلام وقد سبقت مبرزاً ... سبق الجواد من المدى المتباعد
نحن الذين إذا القروم تخاطروا ... طبنا على رغم العدوّ الحاسد[2]

وعن يونس بن عبيد قال: لمّا حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع فأكب عليه ابنه عبدالله، فقال: يا أبة هل رأيت شيئاً؟ فقد غممتنا، فقال عليه السلام: أي بني هي والله نفسي التي لم أصب بمثلها.

وبإسناده قال: لمّا حضرت الحسن بن علي الوفاة كأنّه جزع عند الموت، فقال له الحسين عليه السلام ـ كأنّه يعزّيه ـ: يا أخي ما هذا الجزع؟ إنّك ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وهما أبواك، وعلى خديجة وفاطمة وهما أمّاك، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك، وعلى حمزة وجعفر وهما عمّاك، فقال له الحسن: أي أخي إنّي أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل فيه.

من روى من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عنه عن النبي صلى الله عليه وآله

زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

عن زيد بن الحسن بن علي عن أبيه قال: لمّا آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بين الصحابة آخى بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين حمزة بن عبدالمطّلب وبين زيد بن حارثة، وبين عبدالله بن مسعود وبين المقداد بن عمرو رضي الله عنهم أجمعين، فقال علي عليه السلام: آخيت بين أصحابك وأخّرتني قال: ما أخّرتك إلّا لنفسي.

الحسن بن الحسن عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ من واجب

---

(١) فلان مأشوب: أي مخلوط غير صريح في نسبه.

(٢) القروم جمع القرم ـ بالفتح ـ: السيّد العظيم تشبيهاً بالفحل والتخاطر: توائب الفحول عند الهياج.

المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم.

عبدالله بن الحسن[١] عن أبيه الحسن بن علي عليهم السلام عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرحم شجنة[٢] من الرحمان عزّوجلّ؛ من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

وعن عبدالله بن الحسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة عليها السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد قال: بسم الله والحمد لله وصلّى الله على رسول الله، اللهمّ اغفر لي ذنوبي وسهّل لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال مثل ذلك إلّا أنّه يقول: اللهمّ اغفر لي ذنوبي، وسهّل لي أبواب (رحمتك) وفضلك.

وعن عبدالله بن حسن عن أبيه عن فاطمة الكبرى قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما التقى جندان ظالمان إلّا تخلّى الله عنهما، ولم يبال أيّهما غلب وما التقى جندان ظالمان إلّا كانت الدبرة على أعتاهما.

وعن عبدالله بن الحسن عن أبيه الحسن بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للنساء عشر عورات، فإذا تزوّجت المرأة ستر الزوج عورة، وإذا ماتت ستر القبر عشر عورات.

وعن محمّد بن حرب قال: قال عبدالله بن الحسن بن الحسن لابنه محمّد: استعن على السلامة بطول الصمت، في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإنّ الصمت حسن على كلّ حال.

وعن زياد بن المنذر قال: قال عبدالله بن حسن بن حسن لابنه: إيّاك ومعاداة الرجال فإنّك لا تأمن مكر حليم ومبادرة لئيم.

حسن بن حسن[٣] عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بنت رسول

---

(١) هو عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الملقب بالمحض وأُمّه فاطمة بنت الحسين عليهم السلام ترجمه علماء الرجال من العامة في كتبهم قال ابن حجر ـبعد ذكر نسبه ـ: روى عن أبيه وأُمّه وابن عم جدّه اه.

(٢) قلت: قال الجوهري: الشجنة عروق الشجر المشتبكة، بيني وبينه شجنة رحم أي قرابة مشتبكة، وفي الحديث: الرحم شجنة من الله أي الرحم مشتقة من الرحمن، يعني أنّها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق.

(٣) وهو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعبر عنه بالحسن المثلث وهو أخو عبدالله بن الحسن

الله صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يلومنّ إلّا نفسه من بات وفي يده غمر. [قلت: الغمر: السهك][1].

وعن المنذر بن زياد حدّثنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من أجرى الله على يديه فرجاً لمسلم، فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة.

وقال في عقبه عن أبيه عن جدّه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليلتهم، غفر الله له تعالى ذنوبه.

وعن محمّد بن حرب قال: أوصى محمّد بن علي بن الحسين ابنه جعفر بن محمّد عليه السلام فقال: يا بني اصبر للنوايب ولا تعرض للحتوف ولا تعط نفسك ما ضرّه عليك أكثر من نفعه لغيرك، يا بني إنّ الله تعالى رضيني لك فحذرني فتنتك[2] ولم يرضك لي فأوصاك بي.

وقال أبو حمزة الثمالي: أخبرنا محمّد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: كان يقول لولده: يا بني إذا أصابتكم مصيبة الدنيا أو نزلت بكم فاقة فليتوضّأ الرجل، فيحسن وضوءه وليصلّ أربع ركعات أو ركعتين، فإذا انصرف من صلاته فليقل: «يا موضع كلّ شكوى، يا سامع كلّ نجوى، يا شافي كلّ بلاء، ويا عالم كلّ خفيّة، ويا كاشف ما يشاء من بليّة، يا منجي موسى، يا مصطفى محمّد، يا خليل إبراهيم، أدعوك دعاء من اشتدّت فاقته، وضعفت قوته، وقلّت حيلته، دعاء الغريب الغريق، الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلّا أنت يا أرحم الراحمين، لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين».

قال علي بن الحسين: لا يدعو بها رجل أصابه بلاء إلّا فرّج الله تعالى عنه.

(آخر ما أورده الحافظ عبدالعزيز رحمه الله تعالى)، وما أورده عن الإمام زين العابدين عليه وعلى آبائه السلام كان ينبغي أن يورده عند ذكر أخباره عليه السلام، وإنّما تبعته أنا ولم أنقله إلى بابه لأنّي خفت أن يشذّ عنّي، أو أسهو عنه عند شروعي في ذكره،

⊃ أباً وأمّاً وقد مدحه أبوالفرج في المقاتل بأنّه كان متألّهاً فاضلاً ورعاً وقال ابن حجر: مات سنة ١٤٥ في حبس منصور وهو ابن ٦٨ سنة.

(١) قال ابن الأثير: وفي الحديث: من بات وفي يده غمر. الغمر بالتحريك: الدسم والزهومة من اللحم. وقال غيره: السهك: قبح رائحة اللحم إذا خنز.

(٢) كأنّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾.

فكتبته هنا لأنّ كلّما ذكرته في مناقبهم لو قصرته على أحدهم لكانوا فيه شركاء على السوية، وما أُعطي أحدهم منزلة شرف إلّا وكلّهم مخصوصون بمثل تلك العطيّة، فهم صلّى الله عليهم خلاصة الوجود، ومعادن الكرم والجود، وشجن الولي وشجى الحسود[1]، والعدة والعتاد في اليوم الموعود والسلام.

السابع: في عبادته

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة رحمه الله تعالى: اعلم وصلك الله بحبل تأييده، وأوصلك بلطفه إلى مقام توفيقه وتسديده، إنّ العبادة تنقسم إلى ثلاثة أنواع: بدنيّة، وماليّة، ومركّبة منهما، فالبدنيّة كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن الكريم، وأنواع الذكر، والمالية كالصدقات والصلات والمبرّات، والمركّب منهما كالحج والجهاد والإعتمار، وقد كان الحسن عليه السلام ضارباً في كلّ واحد من هذه الأنواع بالقدح الفائز والقدح الحائز.

أمّا الصلاة والأذكار وما في معناهما فقيامه بها مشهور، واسمه على أربابها مذكور.

وأمّا الصدقات فقد صحّ النقل في ما رواه الإمام الحافظ أبو نعيم بسنده في حليته أنّه عليه السلام خرج من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرّات، وتصدّق به حتّى أنّه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلا، وسيأتي تمام ذلك في الفصل الثامن المعقود لذكر كرمه وصلاته إن شاء الله تعالى.

وأمّا العبادة المركبة نقل الحافظ المذكور في حليته بسنده أنّه عليه السلام قال: إنّي لأستحيي من ربّي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة إلى مكّة على رجليه.

وروى صاحب كتاب صفوة الصفوة بسنده عن علي بن زيد بن جدعان قال: حجّ الحسن عليه السلام خمس عشرة حجة ماشياً، وإنّ النجائب لتقاد معه، فأيّ زهد أعظم من هذا (آخر كلامه).

قال أفقر عباد الله تعالى علي بن عيسى: فضائل الحسن وفواضله ومكارمه

---

(١) الشجن ـ محركة ـ: الحاجة. والشجا: ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه.

ونوافله وعبادته وزهادته وسيرته التي جرت بها عادته وسريرته، التي عرفت بها قاعدته، من الأمور التي اشتهرت وظهرت، وكم رام الأعداء سترها فما استترت، وهل يخفى النهار لذي عينين، ومن الذي يبلغ شأو الحسن والحسين[1]، وكيف لا وقد خصّا بالولدين والسيّدين والريحانتين، فمناقبهما صلّى الله عليهما تملى، وقلم القدر يكتب بالتصديق، ويسجل لمواليهما بحسن الإهتداء ومعاونة التوفيق.

ومن كلامه الدال على عبادته ونزاهته، الشاهد بقوّة تمكّنه وعلوّ مكانته، قوله في بعض مواعظه: يابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسّم الله سبحانه تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عدلا، إنّه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيّداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً[2] وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً يابن آدم إنّك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أُمّك، فخذ ممّا في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمن يتزوّد، والكافر يتمتّع.

وكان يتلو بعد هذه الموعظة: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التقوى ﴾.

فتدبّر معاني هذا الكلام بفكرك، وأعطه نصيباً وافراً من فهمك تجد مشرع (العبادة و) الفصاحة نميراً[3] ويتحقّق قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ إن وجدت قلباً عقولاً وطرفاً بصيراً.

وروى الكليني رحمه الله تعالى مرفوعاً عن أبي أُسامة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة سنة ماشياً فورّمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم؟ فقال: كلّا إذا أتينا هذا المنزل فإنّه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه[4]، فقال له مولاه: بأبي أنت وأُمّي ما قدّمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء، قال: بلى إنّه أمامك دون المنزل، فساروا أميالاً فإذا هم بالأسود، فقال الحسن بن علي عليه السلام لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن وأعطه الثمن، فقال له الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال: للحسن بن علي عليه السلام، فقال: انطلق بي

---

(١) الشأو: الغاية والأمد.

(٢) قوماً بوراً أي هالكين، من بار بمعنى هلك.

(٣) المشرع: مورد الشاربة إذا كان نهراً. والنمير: الزاكي من الماء.

(٤) ماكسه في البيع: استحطه الثمن واستنقصه إيّاه.

إليه، فانطلق به فأدخله إليه، فقال: بأبي أنت وأُمّي لم أعلم أنّك تحتاج إلى هذا، ولست آخذ له ثمناً، إنّما أنا مولاك، ولكن ادع الله لي أن يرزقني ولداً ذكراً سويّاً محبّكم أهل البيت، فإنّي خلّفت أهلي تمخض[١] فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سويّاً وهو من شيعتنا.

وممّا رواه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي عليهما السلام في بعض عُمَره ومعه رجل من ولد الزبير يقول بإمامته، فنزلوا منهلاً[٢] تحت نخل يابس، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة، وللزبيري تحت أخرى، فقال الزبيري: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن: وإنّك لتشتهي الرطب؟ فقال الزبيري: نعم، فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه فاخضرّت النخلة، ثمّ صارت إلى حالها، وأورقت وحملت رطباً، فقال الجمّال الذي اكتروا منه: سحر والله، فقال له الحسن: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي الله مستجابة فصعدوا وصرموا[٣] ما كان في النخلة فكفاهم.

الثامن: في كرمه وجوده وصلاته

قال ابن طلحة رحمة الله تعالى: الجود والكرم غريزة مغروسة فيه، وصرفه لصنوف زخارف الدنيا عنه نهج ما زال يقتفيه، وإيصال صلاته إلى المعتفين[٤] يعتده من مناقب معانيه، وإبقاء الأموال عنده يعتقده من مثالب من يعانيه، ويرى إخراج الدنيا عنه خير ما يحتقبه[٥] من عمله ويجتبيه، وحجّته في ذلك واضحة فإنّه حرام على الولد مجامعة مطلقة أبيه، وقد نقل عنه من تتابع ارفاده بموجوده[٦]، ووقايع استنفاده[٧] فيه جلّ مجهوده، ما يشهد له بكرمه وجوده، وينضده في سلك سجاياه مع ركوعه وسجوده.

---

(١) مخضت الحامل: دنا ولادها وأخذها الطلق.

(٢) المنهل: المورد موضع الشرب على الطريق.

(٣) صرم الشيء قطعه.

(٤) اعتفى فلاناً اعتفاءاً: أتاه يطلب معروفه.

(٥) احتقب الشيء: ادّخره.

(٦) أرفده: أعطاه وأعانه.

(٧) استنفد الشيء أفناه.

فمنها ما نقل عنه عليه السلام رواه سعيد بن عبدالعزيز قال: إنّ الحسن عليه السلام سمع رجلاً يسأله ربّه تعالى أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه.

ومنها: أنّ رجلاً جاء إليه عليه السلام وسأله حاجة فقال له: يا هذا حقّ سؤالك يعظم لدي، ومعرفتي بما يجب لك يكبر لدي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله عزّوجلّ قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور، ورفعت عنّي مؤنة الإحتفال[1]، والإهتمام لما أتكلّفه من واجبك فعلت؟ فقال: يابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطيّة، وأعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها، فقال: هات الفاضل من الثلاث مائة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفاً قال: فما فعل الخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي قال: أحضرها، فأحضرها، فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل فقال: هات من يحملها لك، فأتاه بحمالين فدفع الحسن عليه السلام إليه رداءه لكرى الحمالين، فقال مواليه: والله ما بقي عندنا درهم! فقال: لكنّي أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

ومنها: ما رواه أبوالحسن المدائني قال: خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر عليهم السلام حجاجاً، ففاتهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا، فمرّوا بعجوز في خباءلها، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم فأناخوا بها، وليس لها إلّا شويهة في كسر الخيمة[2]، فقالت: أحلبوها وامتذقوا لبنها[3]، ففعلوا وقالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلّا هذه الشاة فليذبحنّها أحدكم حتّى أُهيّىء لكم شيئاً تأكلون، فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها[4] ثمّ هيّأت لهم طعاماً فأكلوا ثمّ أقاموا حتّى أبردوا، فلمّا ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فالمي بنا[5] فإنّا صانعون إليك خيراً.

ثمّ ارتحلوا وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة، فغضب الرجل وقال:

---

(١) إحتفل في الأمر: بالغ فيه.

(٢) شويهة تصغير الشاة، والكسر ـ بالكسر ـ: الناحية.

(٣) امتذق اللبن: اختلط بالماء.

(٤) أي نزع جلدها.

(٥) ألم به ـ بتشديد الميم ـ نزل به وزاره.

ويحك أتذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ثمّ تقولين نفر من قريش، ثمّ بعد مدّة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويعيشان منه، فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن عليه السلام على باب داره جالس، فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث غلامه فردّها فقال لها: يا أمة الله، أتعرفينني ؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا، فقالت العجوز: بأبي أنت وأُمّي (لست أعرفك، فقال: فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك) فأمر الحسن عليه السلام فاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة، وأمر لها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام، فقال: بكم وصلك أخي الحسن ؟ فقالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها بمثل ذلك، ثمّ بعث بها مع غلام إلى عبدالله بن جعفر عليه السلام فقال: بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام ؟ فقالت: بألفي دينار وألفي شاة، فأمر لها عبدالله بألفي دينار وألفي شاة، وقال: لو بدأت بي لأتعبتهما، فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك.

قلت: هذه القصة مشهورة، وفي دواوين جودهم مسطورة، وعنهم عليهم السلام مأثورة، وكنت نقلتها على غير هذه الرواية، وأنّه كان معهم رجل آخر من أهل المدينة وأنّها أتت عبدالله بن جعفر فقال: ابدئي بسيّدَيّ الحسن والحسين، فأتت الحسن فأمر لها بمائة بعير، وأعطاها الحسين ألف شاة، فعادت إلى عبدالله بن جعفر فسألها فأخبرته فقال: كفاني سيّداي أمر الإبل والشاة، وأمر لها بمائة ألف درهم، وقصدت المدني الذي كان معهم، فقال لها: أنا لا أُجاري أولئك الأجواد في مدى، ولا أبلغ عشر عشيرهم في الندى، ولكن أعطيتك شيئاً من دقيق وزبيب، فأخذت وانصرفت.

رجع الكلام إلى ابن طلحة رحمه الله.

قال: وروي عن ابن سيرين قال: تزوّج الحسن امرأة فأرسل إليها بمائة جارية مع كلّ جارية ألف درهم.

قال: إشارة عزيزة، وعبارة وجيزة، كلّ من علم أنّ الدنيا غرور، والتمتّع بها غرور[1]، وامسكاها محذور، ومن اغترّ بها يجور، فإنّه يجود ببذلها ولا ترغب نفسه في وصلها، وقد كان الحسن عليه السلام عارفاً بختلها[2]، عازفاً عن الركون إلى أهلها[3]، وكان

---

(١) الغرور ـ بالفتح ـ ما غرك وخدعك وصفة غالبة للدنيا، والغرور ـ بالضم ـ ما اغتر به من متاع الدنيا.
(٢) الختل: الخدعة.

كثيراً ما يتمثّل ويقول:

يا أهل لذّات الدنيا لا بقاء لها إنّ اغتراراً بظلّ زائل حمق

وروى ابن عايشة قال: دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلاً راكباً بغلة حسنة، قال: لم أر أحسن منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه، فقيل لي: إنّه للحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فامتلأ قلبي غيظاً وحنقاً وحسداً أن يكون لعلي عليه السلام ولد مثله، فقمت إليه فقلت: أنت ابن علي بن أبي طالب؟ فقال: أنا ابنه، فقلت: أنت ابن من ومن ومن؟ وجعلت اشتمه وأنال منه ومن أبيه، وهو ساكت حتّى استحييت منه، فلمّا انقضى كلامي ضحك وقال: أحسبك غريباً شامياً؟ فقلت: أجل، فقال: فمل معي إن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإلى مال أرفدناك[٤]، وإلى حاجة عاونّاك، فاستحييت منه وعجبت من كرم أخلاقه فانصرفت وقد صرت أحبّه ما لا أحبّ أحداً غيره.

تنبيه من غفلة وإيقاظ من غفوة

منار مبرّات الاجواد، وآثار مقامات الأمجاد، يتفاوت مقدارها بين العباد بحسب أقطار أقدارها في الإعتقاد، وقد جاد الحسن عليه السلام بما لم تجد بمثله نفس جواد، وتكرّم بما يبخل به كلّ ذي كرم وإرفاد، فإنّه لا رتبة أعظم من الخلافة، ولا أعلى من مقامها، ولا حكم لملك في الملّة الإسلاميّة إلّا وهو مستفاد من أحكامها، ولا ذو إيالةٍ ولا ولاية إلّا وهو منقاد ببرّة زمامها، واقف في قضايا تصرّفاتها بين نقضها وإبرامها، فهي المنصب الأعلى والمنتصب لها صاحب الدنيا، فالأمر والنهي متّصل بأسبابه، والجاه والمال محصل من أبوابه، والنباهة والشهرة يستفاد من اقترابه، والتقدّم والتأخّر يرتاد من ارضائه وإغضابه، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمّته لإقامة أحكامه وآدابه.

وكان الحسن عليه السلام قد تقلّد بعقد انعقادها، واستبدّ بعقد إيجادها، وارتدى بمفوف أبرادها[٥]، وبايعته أُلوف لا تفرّ يوم جلادها، وتابعته سيوف لا تقرّ في أغمادها، وشايعته من قبايل القبايل نفوس أسادها، واشتملت جريدة جيشه على

---

(٣) عزف نفسه عن الشيء: زهدت فيه وملته.

(٤) أرفده: أعطاه.

(٥) برد مفوف: رقيق.

أربعين ألفاً كلّ يعد قتله بين يدي الحسن عليه السلام شهادة، ويعتقد قيامه بطاعته عبادة، ويرى كونه من أنصاره وشيعته إقبالاً وسعادة.

فبينما هو في إقبال أيّامها يأمر وينهى، وقد أحاط بحال مقامها حقيقة وكنها، كشف له التأييد الرباني حالة لم يدركها سواه ولم يستنبها، فجاد بالخلافة على معاوية فسلّمها إليه وخرج عنها، وتكرّم بها وحرّمها نفسه الشريفة فانسلخ منها.

فلا جرم باعتبار هذه الحال، وما أسداه عليه السلام من الجود والنوال، وما أبداه من التكرّم والإفضال، اعترف له معاوية على رؤوس الأشهاد في غضون المقال، فقال له: يا أبا محمّد لقد جدت بشيء لا تجود به أنفس الرجال، ولقد صدق معاوية فيما ذكره عقلاً ونقلاً، وعظم ما أسداه إليه الحسن عليه السلام جوداً وبذلا، فإنّ النفوس تتنافس في زينة الدنيا ومتاعها قولاً وفعلاً، وتحرص على إحرازها واقتطاعها حرماً وحلّا، فيركب إلى اكتساب محاب حطامها حزناً وسهلاً، ويستعذب في إدراك مناها أسراً وقتلا.

وفي الجملة:

فهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتم وصلا
كلّ دمع يسيل منها عليها وبفكّ اليدين عنها تخلا

فمن أخرجها على حبّها عنه جدير أن يعد جواد الأمجاد، وأن يسجّل له بأحراز الفلج إذا تفاخرت أمجاد الأجواد.

أقول: إنّ الشيخ كمال الدين رحمه الله وقف على أنجد هذا الأمر[1] ولم يقف على أغواره[2]، وخاض في ضحاضحه ولم يلحج في أغمر غماره[3]، وعد تسليم الحسن عليه السلام الخلافة إلى معاوية من كرمه وجوده وإيثاره، ولو أنعم النظر[4] علم أنّه لم يسلمها إلى معاوية باختياره، وأنّه لو وجد أعواناً وأنصاراً لقاتله بأعوانه وأنصاره، ولكنّه آنس من أصحابه فشلا وتخاذلا جروا منه في ميدان الخلاف ومضماره، وشحّوا بأنفسهم عن مساعدته فرغبوا عن قربه، وسخت أنفسهم بمفارقة جواره، وأحبّوا بعد داره في الدنيا فبعدت في الأخرى دارهم من داره، وفرّ عنه من فرّ فتوجّه عليه العقاب

---

(١) الأنجد جمع النجد: ما ارتفع من الأرض وأشرف.

(٢) الأغوار جمع الغور: الكهف.

(٣) الضحضاح: الماء القريب القعر، ولحج في الأمر: دخل فيه ونشب.

(٤) أنعم في الأمر: بالغ ـ كأمعن ـ.

لفراره، وحليت الدنيا في أعينهم فلم يردعهم بالغ مواعظه وإنذاره، ومالوا إلى معاوية رغبة في زخرف دنياه وطمعاً في درهمه ودينارة، فسلّم إليه الأمر حذراً على نفسه وشيعته فما ردّ القدر بحذاره، وطلب حقن الدماء وإسكان الدهماء[1] فأقرّه في قراره.

وكيف يجود الحسن عليه السلام على معاوية بشيء يصطلي الإسلام وأهله بناره؟ أم كيف يرضى تأهيله لأمر قلبه معتقد لإنكاره، أم كيف يظن أنّه قارب بعض المقاربة وهو يسمع سبّ أبيه في ليله ونهاره، أم كيف ينسب معاوية إلى الصدق وهو مستمر على غلوائه[2] مقيم على إصراره، أم كيف يتوهّم فيه الإيمان وهو وأبوه من المؤلّفة قلوبهم فانظر في أخباره، وهذه جمل تستند إلى تفصيل، وقضايا واضحة الدليل، وأحوال تفتقر إلى نظر وفكر طويل، والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

عاد الكلام إلى تمام ما أورده كمال الدين عليه الرحمة قال:

زيادة فائدة

لعلّ من وقف على هذا التنبيه والإيقاظ يودّ أن يحيط علماً بما حمل الحسن عليه السلام على خلع لباس الخلافة عنه وإلباسه معاوية، فرأيت أن أشير إلى ما ينيل نفسه مناها، ويزيل عن فكرته ما عراها، وأذكر ما أورده الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله عن الحسن البصري رضي الله عنه وأسنده وأقصّه حسب ما تلاه في صحيحه وسرده، وفيه ما يكشف حجاب الإرتياب، ويسعف بمطلوب هذا الباب.

فقال: قال الحسن البصري: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّي لأرى كتائب لا تولّي حتّى تقتل أقرانها، فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين أي عمرو ـ: أرأيت أنّ قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبدالرحمان بن سمرة، وعبدالله بن عامر، وقال: اذهبا إلى هذا الرجل وقولا له واطلبا إليه، فأتياه ودخلا عليه وتكلّما وقالا له واطلبا إليه، فقال لهم الحسن عليه السلام: إنّا بنو عبدالمطّلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأمّة

---

(١) الدهماء: الفتنة السوداء المظلمة.

(٢) من غلواء الشباب وهو أوّله وشرته.

قد عاثت في دمائها[1]، قالا: فإنّه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلّا أجاباه وقالا: نحن لك به فصالحه.

قال: ولقد سمعت أبابكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن إلى جانبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه أُخرى ويقول: إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وقد تقدّم هذا الحديث عنه صلى الله عليه وآله.

فمكان انقياد الحسن عليه السلام إلى الصلح لمعاوية وتسليم الأمر إليه والجنوح إلى الصلح من آثار الأخبار النبويّة، ومعدوداً من معجزاته صلى الله عليه وآله، انتهى كلام ابن طلحة رحمة الله تعالى.

قلت: يجب أن تكتفي أيّدك الله بما عرّفتك به من أنّ الحسن عليه السلام إنّما صالح معاوية لما علمه من تواكل أصحابه وتخاذلهم، وميلهم إلى معاوية ومواصلتهم إيّاه بكتبهم ورسائلهم، ورغبتهم عن حقّه، وصغوهم إلى أهل الشام وباطلهم، فخذلوه كما خذلوا أباه من قبله، فقبحاً لخاذلهم وفعلهم بأخيه من بعده، دالّ على فساد عقائدهم وقبح فعائلهم، فمتى أمعنت النظر وجدت أواخرهم قد انتهجوا سبيل أوائلهم، وهمجهم قد نسجوا على منوال أمائلهم.

بأسياف ذاك البغي أوّل سلّها ... أُصيب عليّ لا بسيف ابن ملجم

ولهم جميعاً يوم يظهر فيه ما كانوا يكتمون، ويجازون (فيه) بما كانوا يعملون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

وقال عليه السلام: التبرّع بالمعروف والإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد.

وسئل عن البخل فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً.

لو أراد عليه السلام الصناعة لقال سرفاً وشرفاً، لكنّهم عليهم السلام بريئون من التكلّف، منزّهون عن التصنّع، تقطر الفصاحة من أعطافهم، وتؤخذ البلاغة من ألفاظهم، فهم فرسان الجلاد والجدال، وليوث الحروب وغيوث النزال.

أذكر هنا ما نقله من كتاب حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم رحمه الله قال: فأمّا السيّد المحبّب، والحليم المقرّب الحسن بن علي عليهما السلام فله في معاني المتصوّفة الكلام المشرق المرتب، والمقام المونق المهذّب، وقد قيل: إنّ التصوّف تنوير البيان وتطهير الأكنان.

---

(١) عاث الشيء: فسدت.

وعن أبي بكرة قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يصلّي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد صبي صغير حتّى يصبر على ظهره أو رقبته فيرفعه رفعاً رفيقاً، فلمّا صلّى صلاته قالوا: يا رسول الله إنّك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد؟ فقال: هذا ريحانتي، وإنّ ابني هذا سيّد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وعن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعاً الحسن على عاتقه وقال: من أحبّني فليحبّه.

وعن نعيم قال: قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن عليه السلام قط إلّا فاضت عيناي دموعاً، وذلك أنّه أتى يوماً يشتد حتّى قعد في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله يفتح فمه، ثمّ يدخل فمه في فمه، ويقول: اللهمّ إنّي أُحبّه فأحبّه، وأحبّ من أحبّه، يقولها ثلاث مرّات.

وعن الحارث قال: سأل عليّ ابنه الحسن عليهما السلام عن أشياء من أمر المروة (ويجي فيما أورده كمال الدين رحمه الله في الفصل التاسع في كلامه) وفي آخرها: قال علي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا فقر أشدّ من الجهل، ولا مال أعود من العقل[1].

وعن عبدالرحمان بن جبير بن نفير عن أبيه قال: قلت للحسن بن علي عليهما السلام: إنّ الناس يقولون: إنّك تريد الخلافة؟ فقال: قد كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

وعن الشعبي قال: شهدت الحسن بن علي عليهما السلام حين صالح معاوية بالنخيلة، فقال له معاوية: قم فأخبر الناس أنّك تركت هذا الأمر وسلّمته إليّ، فقام الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فإنّ أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إمّا أن يكون حقّ امرىء فهو أحقّ به منّي، وإمّا أن يكون حقّاً لي فقد تركته إرادة إصلاح الأُمّة وحقن دمائها، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين.

قلت: لا تظنّ الحسن عليه السلام تردّد شاكّاً في نفسه ومخالفاً لاعتقاده ومذهبه، لا والله، ولكنّه جرى على لغة القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿ **وإنّا أوْ إيّاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أوْ**

---

(١) الأعود: الأنفع.

في ضَلالٍ مُبين﴾ وعلى ما قال جدّه صلى الله عليه وآله لأحد أصحابه أحدنا فرعون هذه الأُمّة.

وعن أبان بن الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام يقول للحسن: كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك.

وعن محمّد بن علي قال: قال الحسن: إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه.

وعن أبي نجيح أنّ الحسن بن علي عليه السلام حجّ ماشياً وقسّم ماله نصفين.

وعن شهاب بن أبي عامر أنّ الحسن بن علي عليه السلام قاسم الله ماله مرّتين حتّى تصدّق بفرد نعله.

وعن علي بن زيد بن جذعان قال: خرج الحسن بن علي عن ماله مرّتين، وقاسم الله ثلاث مرّات، حتّى أنّه كان يعطي من ماله نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي ويمسك خفّاً.

وعن قرّة بن خالد قال: أكلت في بيت محمّد بن سيرين طعاماً، فلمّا أن شبعت أخذت المنديل ورفعت يدي، فقال محمّد: إنّ الحسن بن علي عليه السلام قال: إنّ الطعام أهون من أن يقسم فيه.

وعن ابن سيرين قال: تزوّج الحسن بن علي امرأة فأرسل إليها بمائة جارية مع كلّ جارية ألف درهم.

وعن الحسن بن سعيد عن أبيه قال: متّع الحسن بن علي عليه السلام امرأتين بعشرين ألفاً وزقاق من عسل[1]، فقالت إحداهما وأراها الحنفية: متاع قليل من محب مفارق.

وعن عمر بن إسحاق قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي عليه السلام نعوده، فقال: يا فلان سلني، قال: لا والله لا أسألك حتّى يعافيك الله ثمّ أسألك، قال: ثمّ دخل الخلاء ثمّ خرج إلينا فقال: سلني قبل أن لا تسألني، قال: بل يعافيك الله ثمّ أسألك، قال: قد ألقيت طائفة من كبدي، وإنّي قد سُقيت السمّ مراراً فلم أسق مثل هذه المرّة، ثمّ دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عليه السلام عند رأسه، فقال: يا أخي من تتّهم؟ قال: لِمَ تسأله لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظنّ فإنّه أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً وإلّا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء، ثمّ قضى عليه السلام.

---

(١) الزقاق جمع الزق ـ بالكسر ـ جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره.

وعن رقبة بن مصقلة قال: لمّا حُضر الحسن بن علي عليه السلام قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلّي أنظر في ملكوت السماء ـ يعني الآيات ـ فلمّا أخرج به قال: اللهمّ إنّي أحتسب نفسي عندك فإنّها أعزّ الأنفس عَلَيّ، وكان ممّا صنع الله له أنّه احتسب نفسه (آخر كلام الحافظ أبو نعيم).

التاسع: في كلامه عليه السلام ومواعظه وما يجري معها

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته أنّ أميرالمؤمنين علياً عليه السلام سأله ابنه الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر المروة، فقال: يا بني ما السداد؟ فقال: يا أبتي، السداد دفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة[1].

قال: فما المروة؟ قال: العفاف وإصلاح المال.

قال: فما الرقة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير.

قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه[2].

قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر.

قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً.

قال: فما الإخاء؟ قال: المواساة في الشدّة.

قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة[3].

قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسّم الله تعالى لها وإن قل، وإنّما الغنى غنى النفس.

قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كلّ شيء[4].

---

(١) اصطناع العشيرة: فعل المعروف بهم والإحسان إليهم. والجريرة: الذنب.

(٢) العرس: حليلة الرجل وامرأته.

(٣) غنيمة باردة: آتية عفواً من دون قتال.

(٤) الشره: غلبة الحرص.

قال: فما المنعة؟ قال: شدّة البأس ومنازعة أعزّ الناس[١].

قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقة[٢].

قال: فما العي؟ قال: العبث باللحية وكثرة النزق عند المخاطبة[٣].

قال: فما الجرأة؟ قال: مواقفة الأقران[٤].

قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك.

قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو عن الجرم[٥].

قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلّما استودعته.

قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك[٦].

قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح[٧].

قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة[٨].

قال: فما السفه؟ قال: إتّباع الدناة ومصاحبة الغواة.

قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المفسد.

قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظّك وقد عرض عليك.

قال: فمن السيّد[٩]؟ قال: الأحمق في ماله، المتهاون في عرضه، فيُشتم فلا يجيب، المهتمّ بأمر عشيرته هو السيّد.

فهذه الأجوبة الصادرة عنه على البديهة من غير روية شاهدة له عليه السلام ببصيرة

---

(١) المنعة: العز والقوة. قال الفيض رحمه الله في الوافي: والمنازعة الحرب والجهاد في الله، ويحتمل أن يكون المراد بالبأس الهيبة في أعين الناس وبأعز الناس: النفس، فإنّ أعزّ الناس عند كلّ أحد نفسه (إنتهى).
وقيل لعلّ المراد بأعزّ النّاس أقواهم.

(٢) المصدوقة: الصدق.

(٣) العي: العجز في الكلام. والنزق ـ محركة ـ خفة في كل أمر وعجلة في حمق.

(٤) المواقفة ـ بتقديم القاف ـ المحاربة. قال الفيروزآبادي: الوقاف والمواقفة أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة.

(٥) الغرم ـ بتقديم المعجمة وضمّها وسكون المهملة ـ ما يلزم أداؤها.

(٦) الخرق: الحمق.

(٧) السناء: الرفعة.

(٨) الأناة، الحلم والوقار.

(٩) وفي تحف العقول «وما السفاه؟ قال: الأحمق في ماله، المتهاون بعرضه».

باصرة، وبديهة حاضرة، ومادة فضل وافرة، وفكرة على استخراج الغوامض قادرة.

ومن كلامه عليه السلام كتاب كتبه إلى معاوية بعد وفاة أميرالمؤمنين وقد بايعه الناس وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله الحسن أميرالمؤمنين إلى معاوية بن صخر، أمّا بعد؛ فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، فأظهر به الحق، ورفع به الباطل، وأذلّ به أهل الشرك، وأعزّ به العرب عامّة، وشرّف به من شاء منهم خاصّة، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾، فلمّا قبضه الله تعالى تنازعت العرب الأمر بعده، فقالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، وقالت قريش: نحن أولياؤه وعشيرته فلا تنازعوا سلطانه، فعرفت العرب ذلك لقريش ونحن الآن أولياؤه وذووا القربىٰ منه ولا غرو[1] أنّ منازعتك إيّانا بغير حقّ في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، والموعد الله تعالى بيننا وبينك، ونحن نسأله تبارك وتعالى أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا به في الآخرة، وبعد فإنّ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب لمّا نزل به الموت ولّاني هذا الأمر من بعده، فاتّق الله يا معاوية وانظر لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله ما تحقن به دماءهم وتصلح به أُمورهم والسلام.

ومن كلامه عليه السلام ما كتبه في كتاب الصلح الذي استقرّ بينه وبين معاوية حيث رأى حقن الدماء وإطفاء الفتنة وهو:

بسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الراشدين[2]، وليس لمعاوية ابن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنّهم، وعلى أنّ أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم نسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي

---

(١) لا غرو أي لا عجب.

(٢) وفي نسخة «الصالحين» بدل «الراشدين».

ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائلة سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق، شهد عليه بذلك وكفى بالله شهيداً فلان وفلان والسلام.

ولمّا تمّ الصلح وانبرم الأمر[1]، التمس معاوية من الحسن عليه السلام أن يتكلّم بمجمع من الناس ويعلمهم أنّه قد بايع معاوية وسلّم الأمر إليه، فأجابه إلى ذلك فخطب ـ وقد حشد الناس ـ خطبة حمد الله تعالى وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله فيها، وهي من كلامه المنقول عنه عليه السلام وقال: أيّها الناس إنّ أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإنّكم لو طلبتم مابين جَابَلَقَ وجَابَرْسَ رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد علمتم أنّ الله هداكم بجدّي محمّد فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلّة، وكثّركم به بعد القلّة، أنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمّة وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، فرأيت أن أُسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه وقد بايعته، ورأيت حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلّا صلاحكم وبقائكم، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وعنه عليه السلام أنّه قال: لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروّة لمن لا همّه له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حرم من العقل حرمهما جميعاً.

وقال عليه السلام: علّم الناس وتعلّم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم.

وسئل عليه السلام عن الصمت؟ فقال: هو ستر الغي وزين العرض، وفاعله في راحة وجليسه آمن.

وقال عليه السلام: هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد؛ فالكبر هلاك الدين وبه لُعن إبليس، والحرص عدوّ النفس وبه أُخرج آدم من الجنّة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل.

---

(١) من أبرم الأمر: أحكمه.

وقال عليه السلام: لا تأت رجلاً إلّا أن ترجو نواله[1] وتخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركة دعائه، أو تصل رحماً بينك وبينه.

وقال عليه السلام: دخلت على أميرالمؤمنين وهو يجود بنفسه لمّا ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك، فقال لي: أتجزع؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك على حالك هذه؟ فقال: ألا أُعلّمك خصالاً أربع إن أنت حفظتهنّ نلت بهنّ النجاة، وإن أنت ضيّعتهنّ فاتك الداران؟ يا بني لا غنى أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشدّ من العجب، ولا عيش ألذّ من حسن الخلق.

فهذه سمعت عن الحسن يرويها عن أبيه عليهما السلام فأروها إن شئت في مناقبه أو مناقب أبيه صلّى الله عليهما.

وقال عليه السلام: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد.

وقال عليه السلام: اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك، واعلم أنّ مروّة القناعة والرضا أكثر من مروّة الإعطاء، وتمام الصنيعة خير من ابتدائها.

وسئل عليه السلام عن العقوق؟ فقال: أن تحرمهما وتهجرهما[2].

وروي أنّ أباه عليّاً عليه السلام قال له: قم فاخطب لأسمع كلامك، فقام فقال: الحمد لله الذي من تكلّم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده، أمّا بعد؛ فإنّ القبور محلّتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا، إنّ عليّاً باب من دخله كان مؤمناً، ومن خرج عنه كان كافراً، فقام إليه علي عليه السلام فالتزمه فقال: بأبي أنت وأُمّي ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾.

ومن كلامه عليه السلام: يابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسّم الله سبحانه تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلاً، إنّه كان بين أيديك أقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيّداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً، يابن آدم إنّك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أُمّك فخذهما في يديك لما بين يديك فإنّ المؤمن يتزوّد والكافر يتمتّع وكان عليه السلام يتلو بعد هذه الموعظة ﴿ **وَتَزَوَّدُوا**

---

(١) النوال: العطاء.

(٢) أي الوالدين.

فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ ﴾.

ومن كلامه عليه السلام: إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإنّ التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور.

واعتلّ علي بالبصرة فخرج الحسن عليه السلام يوم الجمعة وصلّى الغداة بالناس وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه، وقال: إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا اختاره نفساً ورهطاً وبيتاً، والذي بعث محمّداً بالحقّ لا ينقص أحد من حقّنا إلّا نقصه الله من عمله، ولا تكون علينا دولة إلّا كانت لنا عاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ولمّا خرج حوثرة الأسدي على معاوية، وجّه معاوية إلى الحسن يسأله أن يكون هو المتولّي لقتاله فقال: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أن أُقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بقتالي منهم.

ولمّا قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب ونال من علي عليه السلام، فقام الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له عدوّاً من المجرمين قال الله: ﴿ **وكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾[1] فأنا ابن علي وأنت ابن صخر، وأُمّك هند وأُمّي فاطمة، وجدّتك فتيلة وجدّتي خديجة، فلعن الله ألأمنا حسباً وأخملنا ذكراً وأعظمنا كفراً وأشدّنا نفاقاً، فصاح أهل المسجد: آمين آمين، فقطع معاوية خطبته ودخل منزله.

وهذا الكلام ذكرته آنفاً وإنّما أعدته هنا لأنّ اختلاف الرواة يؤنس بما يتّفقون على روايته.

ودخل عليه السلام على معاوية وهو مضطجع فقعد عند رجليه فقال: ألا أطرفك؟ بلغني أنّ أُمّ المؤمنين عائشة تقول: إنّ معاوية لا يصلح للخلافة، فقال الحسن عليه السلام: وأعجب من ذلك قعودي عند رجليك! فقام واعتذر إليه.

قلت: والحسن عليه السلام لم يعجب من قول عائشة رضي الله عنها، إنّ معاوية لا يصلح للخلافة، فإنّ ذلك عنده ضروري، لكنّه قال: وأعجب من توليك الخلافة قعودي.

وقيل له عليه السلام: فيك عظمة، قال: لا بل فيَّ عزّة، قال الله تعالى: ﴿ **لِلّٰهِ الْعِزَّةُ**

---

(١) الفرقان: ٣١.

ولِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقال لأبيه عليه السلام: إنّ للعرب جولة ولقد رجعت إليها عوازب أحلامها ولقد ضربوا إليك أكباد الإبل حتّى يستخرجوك ولو كنت في مثل وجار الضبع[٢].

وخطب مرّة فقال: مابين جابلق وجابرس رجل جدّه نبي غيري.

وقال معاوية: إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن الزبيري شجاعاً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن المخزومي تيّاهاً لم يشبه قومه[٣]، فبلغ ذلك الحسن عليه السلام فقال: ما أحسن ما نظر لقومه، أراد أن يجود بنو هاشم بأموالهم فيفتقر، وتزهى بنو مخزوم[٤] فتبغض وتشنأ، وتحارب بنو الزبير فيتفانوا[٥] وتحلّم بنو أُميّة فتحب.

وقال لحبيب بن مسلمة: ربّ مسير لك في غير طاعة الله، قال: أمّا مسيري إلى أبيك فلا، قال: بلى، ولكنّك أطعت معاوية على دنيا دنيّة قليلة، ولعمري لئن قام بك في دنياك لقد قعد في دينك، ولو أنّك إذ فعلت شرّاً قلت خيراً كما قال الله عزّوجلّ: ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً ﴾[٦] ولكنّك فعلت شرّاً وقلت شرّاً فأنت كما قال الله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٧].

قال الشعبي: كان معاوية كالجمل الطب، قال يوماً والحسن عليه السلام عنده: أنا ابن بحرها جوداً، وأكرمها جدوداً، وأنضرها عوداً، فقال الحسن عليه السلام: أفعليّ تفتخر؟ أنا ابن عروق الثرى[٨]، أنا ابن سيّد أهل الدنيا، أنا ابن من رضاه رضا الرحمان، وسخطه سخط الرحمان، هل لك يا معاوية من قديم تباهي به؟ أو أب تفاخرني به؟ قل لا أو نعم، أيّ ذلك شئت، فإن قلت نعم أبيت، وإن قلت لا عرفت، فقال معاوية: أقول لا،

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) الوجار ـ بالكسر ـ جحر الضبع.

(٣) التيّاه: المتكبر.

(٤) زهى الرجل: تكبر.

(٥) تفانى القوم: أفنى بعضهم بعضاً.

(٦) التوبة: ١٠٢.

(٧) المطففين: ١٤.

(٨) قال في البحار: رأيت في بعض الكتب أنّ عروق الثرى إبراهيم عليه السلام لكثرة ولده في البادية ولعلّه عليه السلام عرض بكون معاوية ولد زنا وليس من ولد إبراهيم عليه السلام.

تصديقاً لك. فقال الحسن عليه السلام:

الحقّ أبلج ما تخيّل سبيله والحقّ يعرفه ذووا الألباب

وأتاه رجل فقال: إنّ فلاناً يقع فيك، فقال: ألقيتني في تعب أُريد الآن أن أستغفر الله لي وله.

وقال عليه السلام: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه.

وقال عليه السلام: حسن السؤال نصف العلم.

وسئل عليه السلام عن البخل، فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً.

وكلامه عليه السلام ينزع إلى كلام أبيه وجدّه، ومحلّه من البلاغة لا ينبغي لأحد من بعده، ومن رام حصره وعده كان كمن شرع في حصر قطع السحاب وعده فالأولى أن أقتصر منه على هذا القدر، إذ كانت جملته غير داخلة في الحصر، والعاقل يرى في الهلال صورة البدر.

العاشر: في ذكر أولاده عليه السلام

قال كمال الدين: كان له من الأولاد عدداً لم يكن لكلّهم عقب، بل كان العقب لاثنين منهم، فقيل: كانوا خمسة عشر، وهذه أسماؤهم: الحسن، وزيد وعمرو، والحسين، وعبدالله، وعبدالرحمان، وعبدالله، وإسماعيل، ومحمّد ويعقوب، وجعفر، وطلحة، وحمزة وأبوبكر، والقاسم، وكان العقب منهم للحسن ولزيد ولم يكن لغيرهما منهم عقب.

وقيل: كان له أولاد أقل من ذلك، وقيل: كانت له بنت تسمّى أُمّ الحسن والله أعلم بحقيقة الحال فيه (إنتهى كلامه).

قال ابن الخشّاب: ولد له أحد عشر ولداً وبنت، أسماء بنيه: عبدالله والقاسم، والحسن وزيد، وعمرو، وعبدالله، وعبدالرحمان، وأحمد، وإسماعيل، والحسين، وعقيل، وأُمّ الحسن فاطمة، وهي أُمّ محمّد بن علي الباقر.

قال الشيخ المفيد رحمه الله تعالى في إرشاده: باب ذكر ولد الحسن بن علي عليه السلام وعددهم وأسماءهم وطرف من أخبارهم: أولاد الحسن بن علي خمسة عشر ولداً ذكراً وأُنثى: زيد بن الحسن، وأُختاه: أُمّ الحسن وأُمّ الحسين، أُمّهم أُم بشير بنت أبي مسعود، وعقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجيّة، والحسن بن الحسن، أُمّه خولة

بنت منظور الفزاريّة، وعمرو، وأخواه القاسم وعبدالله ابنا الحسن أُمّهم أُم ولد، وعبدالرحمان بن الحسن أُمّه أُم ولد، والحسين بن الحسن الملقّب بالأثرم، وأخوه طلحة بن الحسن، وأختهما فاطمة بنت الحسن أُمّهم أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبدالله التيمي، وأُم عبدالله وفاطمة وأُم سلمة، ورقية بنات الحسن عليه السلام لأُمّهات أولاد شتّى.

فصل: فأمّا زيد بن الحسن فكان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسن وكان جليل القدر، كريم الطبع، زلف النفس، كثير البرّ، ومدحه الشعراء، وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله، وذكر أصحاب السيرة أنّه لمّا ولي سليمان بن عبدالملك كتب إلى عامله بالمدينة: أمّا بعد؛ إذا قرأت كتابي هذا فاعزل زيداً عن صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادفعها إلى فلان رجل من قومه وأعنه على ما استعانك عليه والسلام.

فلمّا استخلف عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه كتب إلى عامله: أمّا بعد؛ فإنّ زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنّهم، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد إليه صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعنه على ما استعانك عليه والسلام.

وفي زيد بن الحسن يقول محمّد بن بشير الخارجي يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ... نفى جدبها واخضرّ بالنبت عودها[1]
وزيد ربيع الناس في كلّ شتوة ... إذا أخلفت أبراقها ورعودها[2]
حمول لإشناق الديات كأنّه ... سراج الدجى قد قارنتها سعودها[3]

ومات زيد بن الحسن عليه السلام وله تسعون سنة، فرثاه جماعة من الشعراء وذكروا مآثره وبكوا فضله، فممّن رثاه قدامة بن موسى بن عمرو الجمحي فقال:

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه ... فقد بان معروف هناك وجود[4]
وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى ... به وهو محمود الفعال فقيد[5]

---

(١) التلعة: ما ارتفع من الأرض. والجدب ضد الخصب.

(٢) الشتوة مفرد الشتاء أو الشتاء نفسه. وفي الإرشاد «أنوائها» مكان «أبراقها» وهي نجوم معروفة المطالع وكانت العرب ينسبون الغيث إليها.

(٣) الشنق: مادون الدية وذلك أن يسوق ذوالجمالة الدية كاملة وإذا كانت معها ديات جراحات فتلك هي الأشناق كأنّها متعلقة بالدية العظمى.

(٤) غاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدر.

(٥) الرمس القبر وترابه. وثوى بالمكان: أقام.

سريع إلى المعتر يعلم أنّه ... سيطلبه المعروف ثمّ يعود[١]
وليس بقوّال وقد حطّ رحله ... لملتمس المعروف أين تريد
إذا قصر الوغد الدني نما به ... إلى المجد آباء له وجدود[٢]
مباذيل للمولى محاشيد للقرى ... وفي الروع عند النائبات أسود[٣]
إذا انتحل العزّ الطريف فإنّه ... لهم إرث مجد ما يرام تليد[٤]
إذا مات منهم سيّد قام سيّد ... كريم سيبني بعدهم ويشيد

في أمثال هذا، ومات زيد ولم يدّع الإمامة ولا ادّعاها له مدّع من الشيعة ولا غيرهم، وذلك لأنّ الشيعة رجلان: إمامي وزيدي؛ والإمامي يعتمد في الإمامة النصوص وهي معدومة في ولد الحسن عليه السلام باتّفاق، ولم يدّع ذلك أحد منهم لنفسه فيقع فيه ارتياب، والزيدي يراعي الإمامة بعد علي والحسن والحسين عليهم السلام الدعوة والجهاد، وزيد بن الحسن عليه السلام كان مسالماً لبني أُميّة، ومتقلّداً من قبلهم الأعمال، وكان رأيه التقيّة لأعدائه، والتألّف لهم والمدارات، وهذا يضاد عند الزيدية علامات الإمامة كما حكيناه، فأمّا الحشوية فإنّها تدين بإمامة بني أُميّة ولا ترى لولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامة على حال، والمعتزلة لا ترى الإمامة إلّا فيمن كان على رأيها في الإعتزال، ومن تولّوهم العقد له بالشورى والإختيار، وزيد على ما قدّمنا ذكره خارج عن هذه الأحوال، والخوارج لا ترى إمامة من تولّى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وزيد كان متوالياً أباه وجدّه بلا خلاف.

فصل: فأمّا الحسن بن الحسن فكان رجلاً جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً، وكان يلي صدقات أميرالمؤمنين عليه السلام في وقته، وله مع الحجاج خبر رواه زبير بن بكّار قال: كان الحسن بن الحسن والياً صدقات أميرالمؤمنين عليه السلام في عصره، فساير الحجاج يوماً وهو إذ ذاك أمير المدينة، فقال له الحجاج: أدخل عمر بن علي معك في صدقات أبيه فإنّه عمّك وبقيّة أهلك، فقال له الحسن: لا أغيّر شرط عليّ ولا أدخل فيها من لم يدخل، فقال له الحجاج: إذا أدخله أنا معك، فنكص الحسن بن الحسن عنه حتّى غفل

---

(١) المعتر: الفقير الذي يتعرض للمسئلة ولا يسأل.
(٢) الوغد: الرذل الدني. الأحمق الضعيف.
(٣) رجل مشهود يخف الناس لخدمته لأنّه مطاع فيهم. والقرى: الضيف.
(٤) التليد: القديم ـ والطريف ضدّه.

الحجاج ثمّ توجّه إلى عبدالملك حتّى قدم عليه، فوقف ببابه يطلب الإذن، فمرّ به يحيى بن أُم الحكم، فلمّا رآه يحيى مال إليه وسلّم عليه وسأله عن مقدمه وخبره، ثمّ قال: إنّي سأنفعك عند أميرالمؤمنين ـ يعني عبدالملك ـ.

فلمّا دخل الحسن بن الحسن على عبدالملك رحّب به وأحسن مساءلته، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب، فقال له عبدالملك: لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمّد؟ فقال يحيى: وما يمنعه يا أميرالمؤمنين، شيّبه أماني أهل العراق[1]، يفد عليه الركب[2] يمنّونه الخلافة، فأقبل عليه الحسن بن الحسن فقال: بئس والله الرفد رفدت[3]، ليس كما قلت، ولكنّا أهل بيت يسرع إلينا الشيب وعبدالملك يسمع، فأقبل عليه عبدالملك وقال: هلمّ ما قدمت له، فأخبره بقول الحجاج فقال: ليس له ذلك، اكتب إليه كتاباً لا يتجاوزه، فكتب إليه ووصل الحسن بن الحسن فأحسن صلته، فلمّا خرج من عنده لحقه يحيى بن أُم الحكم فعاتبه الحسن على سوء محضره، فقال له: ما هذا الذي وعدتني به؟! فقال له يحيى: إيهاً عنك[4] فوالله لا يزال يهابك، ولولا هيبتك لما قضى لك حاجة ووالله ما ألوتك رفداً[5].

وكان الحسن بن الحسن قد حضر مع الحسين بن علي عليهما السلام الطف، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام وأُسر الباقون من أهله جاءه أسماء بن خارجة[6] فانتزعه من بين الأُسرى، وقال: والله لا يوصل إلى ابن خولة أبداً، فقال عمر بن سعد: دعو لأبي حسان ابن أخته[7]، ويقال: إنّه أُسر وكان به جراح قد أشفى منها.

وروي أنّ الحسن بن الحسن خطب إلى عمّه الحسين عليه السلام إحدى بنتيه، فقال له

---

(١) قيل يعني لا يمنعه كبر سنّه من إنفاذ أماني أهل العراق.

(٢) وفد عليه: قدم.

(٣) الرفد: العطاء والصلة. ورفده: أعطاه.

(٤) إيهاً ـ بالكسر ـ: للإسكات والكف. أي كف واسكت.

(٥) أي ما قصرت في رفدك.

(٦) هو أسماء بن خارجة بن عيينة بن خضر بن حذيفة بن بدر الفزاري وكان يعدّ من أخواله وكان رئيس فزارة يومئذ، وفزارة من أشراف العرب.

(٧) وفي بعض الكتب أنّه لمّا أخذه أسماء بن خارجة قال: دعوه لي فإن وهبه الأمير عبيدالله بن زياد لي وإلّا رَى رأيه فيه فتركوه له فحمله إلى الكوفة وحكوا ذلك لعبيدالله بن زياد فقال: دعوا لأبي إحسان ابن أخته وعالجه أسماء حتّى برىء ثمّ لحق بالمدينة.

الحسين عليه السلام : اختر يا بني أحبّهما إليك ، فاستحى الحسن ولم يحر جواباً[١] ، فقال له الحسين عليه السلام : فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثرهما شبهاً بأُمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقبض الحسن بن الحسن عليه السلام وله خمس وثلاثون سنة ، وأخوه زيد بن الحسن رحمة الله عليه حي ، ووصّى إلى أخيه من أُمّه إبراهيم بن محمّد بن طلحة رضي الله عنه .

ولمّا مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين عليه السلام على قبره فسطاطاً ، وكانت تقوم الليل وتصوم بالنهار ، وكانت تشبه بالحور العين لجمالها ، فلمّا كان رأس السنة قالت لمواليها : إذا أظلم الليل فقوّضوا هذا الفسطاط[٢] ، فلمّا أظلم الليل سمعت قائلاً يقول : هل وجدوا من فقدوا ؟ فأجابه آخر : بل يئسوا فانقلبوا .

ومضى الحسن بن الحسن ولم يدّع الإمامة ولا ادّعاها له مدّع كما وصفناه من حال أخيه زيد رحمة الله عليهما .

وأمّا عمرو والقاسم وعبدالله بنو الحسن بن علي عليهم السلام فإنّهم استشهدوا بين يدي عمّهم الحسين بن علي عليهم السلام بالطف رضي الله عنهم وأرضاهم ، وأحسن عن الدين والإسلام وأهله جزاهم .

وعبدالرحمان بن الحسن رضي الله عنه خرج مع عمّه الحسين بن علي صلوات الله عليهما إلى الحج ، فتوفّي بالأبواء[٣] وهو محرم .

والحسين بن الحسن المعروف بالأثرم كان له فضل ، ولم يكن له ذكر في ذلك .

وطلحة بن الحسن كان جواداً (إنتهى كلام الشيخ المفيد) .

وقال الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي : ولد الحسن الذكور : حسن ، وزيد ، ومحمّد ، وعمرو ، وعبدالله ، والقاسم ، وأبوبكر ، وعبدالرحمان ، وحسين ، ومحمّد ، وعبدالله ، وطلحة ، ومن النساء : تماضر ، وأُمّ الحسن ، وأُمّ الخير ، وأُم عبدالله ، وأُم سلمة .

---

(١) أي لم يرد .

(٢) التقويض : نزع الأعواد والأطناب .

(٣) الأبواء : موضع بين الحرمين بينها وبين الجحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً وبه قبر آمنة بنت وهب أُمّ النبي صلى الله عليه وآله أيضاً سمّيت بالأبواء لتبوء السيول ونزوله فيه وقيل سمّيت بذلك لما فيه من الوباء وقيل غير ذلك .

والذي أراه أنّ في هذه الأسماء تكريراً وأظنّة من الناسخ وأهل مكة أخبر بشعابها، فما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله هو الذي يعتمد عليه في هذا الباب، لأنّه أشدّ حرصاً وأكثر تنقيباً وكشفاً وطلباً لهذه الأمور.

قال الحافظ بن الأخضر: روى من أولاد الحسن بن علي، زيد بن الحسن عن أبيه واعتمدت حذف الأسانيد كما اشترطته في أوّل الكتاب.

روى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه قال: لمّا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، آخى بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين حمزة بن عبدالمطّلب وبين زيد بن حارثة، وبين عبدالله بن مسعود وبن المقداد بن عمرو، فقال علي عليه السلام: آخيت بين أصحابك وأخّرتني؟ فقال: ما أخرتك إلّا لنفسي.

الحسن بن الحسن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم.

عبدالله بن الحسن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرحم شجنة من الرحمان عزّوجلّ، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله تعالى.

عن عكرمة عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يزل يلبّي حتّى رمى جمرة العقبة.

وعنه عن أُمّه بنت الحسين عن فاطمة الكبرى عليها السلام قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد قال: بسم الله والحمد لله وصلّى الله على رسول الله وسلّم، اللهمّ اغفر لي ذنوبي وسهّل لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال مثل ذلك إلّا أنّه يقول: اللهمّ اغفر لي ذنوبي وسهّل لي أبواب فضلك.

وعن عبدالله عن أُمّه عن فاطمة الكبرى عليها السلام قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما التقى جندان ظالمان إلّا تخلّى الله عنهما، ولم يبال أيّهما غلب، وما التقى جندان ظالمان إلّا كانت الدبرة على أعتاهما.

وعنه عن أبيه الحسن عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للنساء عشر عورات، فإذا تزوّجت المرأة ستر الزوج عورة، وإذا ماتت ستر القبر عشر عورات.

وقال عبدالله بن حسن بن حسن لابنه محمّد: استعن على السّلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإنّ الصمت حسن على كلّ حال، وإيّاك ومعاداة الرجال، فإنّك لا تأمن مكر حليم ومبادرة لئيم.

حسين بن حسن عن أُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يلومنّ إلّا نفسه من بات وفي يده غمر[1].

وعنه عن أبيه عن جدّه علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من أجرى الله على يديه فرجاً لمسلم، فرّج الله تعالى عنه كرب الدنيا والآخرة.

وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليلتهم غفر الله له ذنوبه.

وقيل: أوصى محمّد بن علي بن حسين ابنه جعفر بن محمّد، فقال: يا بني اصبر للنوائب ولا تعرض للحتوف، ولا تعط نفسك ما ضرّه عليك أكثر من نفعه لغيرك، يا بني إنّ الله رضيني لك فحذّرني فتنتك، ولم يرضك لي فأوصاك بي.

وقيل: إنّه كان يقول لأولاده: يا بني إذا أصابتكم مصيبة من الدنيا أو نزلت بكم فاقة فليتوضّأ الرجل، فيحسن وضوءه، وليصلّ أربع ركعات أو ركعتين، فإذا انصرف من صلاته فليقل: يا موضع كلّ شكوى، يا سامع كلّ نجوى، يا شافي كلّ بلاء، ويا عالم كلّ خفيّة، ويا كاشف ما يشاء من بليّة، ويا نجي موسى، ويا مصطفى محمّد، ويا خليل إبراهيم، أدعوك دعاء من اشتدّت فاقته، وضعفت قوته، وقلّت حيلته، دعاء الغريب الغريق، الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلّا أنت أرحم الراحمين، لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين. قال علي بن الحسين: لا يدعو بها رجل أصابه بلاء إلّا فرّج الله تعالى عنه.

الحادي عشر: في عمره عليه السلام

قال كمال الدين رحمه الله قد تقدم ذكر ولادته وما قيل فيها، وإنّها كانت في سنة ثلاث من الهجرة، وكانت وفاته عليه السلام على ما سيأتي في الفصل المختص بها المذكور إن شاء الله تعالى عقيب هذا الفصل في سنة تسع وأربعين للهجرة، فتكون مدّة عمره سبعاً وأربعين سنة، منها مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، ومع أبيه عليه السلام بعد وفاة جدّه صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة، وبعد وفاة والده عليه السلام إلى وقت وفاته عشر سنين.

---

(١) قلت: الغمر ـ بالتحريك ـ ريح اللحم والسهك، وقد غمرت يدي في اللحم فهي غمرة أي دهمة كما تقول من السهك سهكة ومنه منديل الغمر حكاه الجوهري.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: توفّي الحسن عليه السلام في صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، وكانت خلافته عشر سنين.

قال الحافظ الجنابذي: ولد الحسن بن علي عليه السلام في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، ومات سنة تسع وأربعين، وكان قد سقي السم مراراً، وكان مرضه أربعين يوماً.

وقال الدولابي صاحب كتاب الذريّة الطاهرة: تزوّج عليّ فاطمة عليها السلام فولدت له حسناً بعد أُحد بسنيتن، وكان بين وقعة أُحد ومقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سنتان وستّة أشهر ونصف، فولدته لأربع سنين وستّة أشهر ونصف من التاريخ.

وروى أيضاً أنّه ولد في رمضان من سنة ثلاث، وتوفي وهو ابن خمس وأربعين سنة، وولّى غسله الحسين والعباس ومحمّد إخوته، وصلّى عليه سعيد بن العاص، وكانت وفاته سنة تسع وأربعين.

وقال الكليني رحمة الله عليه: ولد الحسن بن علي عليه السلام في شهر رمضان سنة بدر سنة اثنتين بعد الهجرة.

وروي أنّه ولد سنة ثاث، ومضى في صفر في آخره من سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وأربعين وأشهر.

وقال ابن الخشّاب رحمه الله رواية عن الصادق والباقر عليهما السلام قالا: مضى أبو محمّد الحسن بن علي عليهما السلام وهو ابن سبع واربعين سنة، وكان بينه وبين أخيه الحسين عليهما السلام مدّة الحمل، وكان حمل أبي عبدالله ستّة أشهر، ولم يولد مولود لستّة أشهر فعاش غير الحسين وعيسى بن مريم عليهما السلام، فأقام أبو محمّد مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، وأقام مع أبيه بعد وفاة جدّه ثلاثين سنة، وأقام بعد وفاة أميرالمؤمنين عليه السلام عشر سنين، فكان عمره سبعاً وأربعين سنة، فهذا اختلافهم في عمره.

الثاني عشر: في وفاته عليه السلام

قال كمال الدين رحمه الله: مرض الحسن عليه السلام أربعين يوماً، فقال في بعض الأيام: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فقال: اللهمّ إنّي أحتسب نفسي عندك فإنّي لم أصب بمثلها.

وروى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن عمير بن إسحاق قال: دخلت أنا

ورجل على الحسن بن علي عليهما السلام نعوده، فقال: يا فلان سلني، قال: لا والله لا نسألك حتّى يعافيك الله ثمّ نسألك، قال: ثمّ دخل ثمّ خرج إلينا فقال: سلني قبل أن لا تسألني، قال: بل يعافيك الله ثمّ نسألك، قال: قد ألقيت طائفة من كبدي وإنّي سُقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذه المرّة، ثمّ دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عليه السلام عند رأسه، فقال: يا أخي لمن تتّهم؟ قال: لِمَ لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظنّ فالله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلا، وإلّا يكن فلا أحب أن يُقتل بي بريء، ثمّ قضى عليه السلام لخمس خلون من ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين من الهجرة، وقيل: خمسين، وصلّى عليه سعيد بن العاص فإنّه كان يومئذ والياً على المدينة، ودفن بالبقيع، وكانت تحته إذ ذاك جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، فذكر أنّها سمّته والله أعلم بحقيقة ذلك.

وكان بانقضاء الشهور التي ولي فيها عليه السلام انقضاء خلافة النبوّة، فإنّ بها كان استكمال ثلاثين سنة، وهي التي ذكرها رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما نقل عنه: الخلافة بعدي ثلاثون ثمّ تصير ملكاً، أو كما قال صلوات الله عليه وآله وسلامه (إنتهى كلامه).

قال المفيد رحمه الله: لمّا أراد معاوية أخذ البيعة ليزيد، دسّ إلى جعدة بنت الأشعث ابن قيس وكانت زوجة الحسن بن علي عليهما السلام من حملها على سمّه، وضمن لها أن يزوّجها بابنه يزيد، فأرسل إليها مائة ألف درهم فسقته جعدة السم، وبقي عليه السلام أربعين يوماً مريضاً ومضى لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، وتولّى أخوه ووصيّه الحسين عليهما السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف عليها السلام بالبقيع.

قال: فصل: فمن الأخبار التي جاءت بوفاته عليه السلام ما ذكرناه من دسّ معاوية إلى جعدة فسمّته، فسوّغها المال ولم يزوّجها من يزيد، فخلّف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيّروهم فقالوا: يا بني مُسمّة الأزواج.

وروى مرفوعاً إلى إبن إسحاق قال: كنت مع الحسن والحسين عليهما السلام في الدار، فدخل الحسن عليه السلام المخرج ثمّ خرج فقال: لقد سُقيت السمّ مراراً فما سُقيته مثل هذه المرّة، ولقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت أقلّبها بعود كان معي، فقال له الحسين عليه السلام: من سقاك؟ فقال: وما تُريد منه؟ إن يكن هو فالله أشدّ نقمة، وإن لم يكن هو فما أحبّ أن يُؤخذ بي بريء.

وروى عبدالله بن إبراهيم عن زياد المخارقي قال: لمّا حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين بن علي عليه السلام فقال له: يا أخي إنّي مفارقك ولاحق بربّي عزّوجلّ، وقد سقيت السمّ ورميت بكبدي في الطست، وإنّي لعارف بمن سقاني السمّ ومن أين دُهيت، وأنا أُخاصمه إلى الله عزّوجلّ، فبحقّي عليك إن تكلّمت في ذلك بشيء، فإذا قضيت نحبي فغمّضني وغسّلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدّد به عهداً ثمّ ردّني إلى قبر جدّتي فاطمة رحمة الله عليها فادفنّي هناك، وستعلم يابن أُم إنّ القوم يظنّون إنّكم تريدون دفني عند جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في منعكم من ذلك، وبالله أُقسم عليكم أن تهريق في أمري محجمة دم[1]، ثمّ وصّى إليه عليه السلام بأهله وولده وتركاته، وما كان وصّى به إليه أميرالمؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهّله لمقامه، ودلّ شيعته على استخلافه ونصبه لهم علماً من بعده، فلمّا مضى عليه السلام لسبيله غسله الحسين عليه السلام وكفنه وحمله على سريره فلم يشك مروان ومن معه من بني أُميّة أنّهم سيدفنونه عند جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فتجمّعوا له ولبسوا السلاح، فلمّا توجّه الحسين به إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً أقبلوا إليهم في جمعهم ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: مالي ومالكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أُحب؟ وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هي خير من دعة[2]، أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي؟ لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف، وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أُميّة.

فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت فإنّا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً وبزيارته ثمّ نردّه إلى جدّته فاطمة رحمة الله عليها فندفنه بوصيّته عندها، ولو كان وصّى بدفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، ولكنّه كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه، ثمّ أقبل على عائشة وقال: وا سوأتاه يوماً على بغل ويوماً على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله، ارجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبّين، والله

---

(١) المحجمة: قارورة الدم وهي التي يقال لها كأس الحجامة.

(٢) الهيجا: الحرب. والدعة ـ اسم من الوداعة ـ: ـ الراحة والخفض.

تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين.

وقال الحسين عليه السلام: والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أُهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا، ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم رضي الله عنها.

قلت: في هذا الفصل موضعان يجب أن تحقّق، فإنّه قد تقدّم أنّ سعيد بن العاص صلّى على الحسن لأنّه كان والياً يومئذ على المدينة وفي هذا الموضوع ذكر أنّ مروان خرج ليمنع من دفنه، فلعلّه لم يكن أميراً ليكون جمعاً بين الأمرين.

والموضع الثاني: إنّي نقلت أنّ عبدالله بن عباس رضي الله عنه كان بدمشق وأخبره معاوية بموت الحسن عليه السلام وجرى بينهما كلام أغلظ فيه ابن عباس وقال له: أصبحت سيّد قومك؟ قال: أمّا والحسين بن علي حيّ فلا، وقد أورد هاهنا أنّه حدث مروان وعائشة وقال لهما ما ذكرناه فيجب أن تحقّق ولا يجوز أن يكون القائل غير عبدالله فإنّ ابن عباس إذ أورد هكذا لم يرد به إلّا عبدالله.

وروى الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي رحمه الله **قال:** لمّا حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع، فأكبّ عليه ابنه عبدالله فقال: يا أبة هل رأيت شيئاً فقد غممتنا؟ فقال: أي بني هي والله نفسي التي لم أصب بمثلها.

وقال: إنّه لمّا نزل بالحسن بن علي عليه السلام الموت فقال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار فأخرج فقال: اللهمّ إنّي أحتسب نفسي عندك فإنّي لم أصب بمثلها.

وروي أنّه قال: لمّا حضرت الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة كأنّه جزع عند الموت، فقال له الحسين عليه السلام كأنّه يعزّيه: يا أخي ما هذا الجزع؟! إنّك ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وهما أبواك، وعلى خديجة وفاطمة وهما أُمّاك، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك، وعلى حمزة وجعفر وهما عمّاك، فقال له الحسن عليه السلام: أي أخي إنّي أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط، قال: فبكى الحسين عليه السلام.

قلت: مناقب الحسن عليه السلام ومزاياه، وصفات شرفه وسجاياه، وما اجتمع فيه من الفضائل، وخصّ به من المآثر التي فاق بها على الأواخر والأوائل، لا يقوم بإثباتها البنان، ولا ينهض بذكرها اللسان، لأنّه أرفع مكانة ومحلّا، وأوفى شرفاً ونبلا، وأزكى

فرعاً وأعلى أصلا من أن يقوم مثلي مع قصور ذرعه وجمود طبعه، بما يجب من عد مفاخره، وتخليد مآثره، ولكنّه عليه السلام من أهل بيت الكرم والجود، وناشري رمم السماح في الوجود، ولذلك يقبل اليسير ويجازي بالكثير، وقد قلت في مدحه معتذراً من التقصير:

أيا ابن الأكرمين أقل عثاري ... فتقصيري على الحالات باد
وكيف أطيق أن أحصي مزايا ... خصصت بهنّ من بين العباد
لك الشرف الذي فاق البرايا ... وجلّ علا على السبع الشداد
سبقت إلى المفاخر والسجايا الـ ... ـكريمة والندى سبق الجواد
وجود يديك يقصر عن مداه ... إذا عدّ الندى صوب الغواد[1]
وبيتك في العلى سام رحيب ... بعيد الذكر مرتفع العماد
أبوك شأى الورى شرفاً ومجداً ... فأمسى في العلى واري الزناد[2]
وجدّك أكرم الثقلين طرّاً ... أقرّ بفضله حتّى الأعادي
إلى الحسن بن فاطمة أثيرت ... بحقّ أينُق المدح الجياد[3]
تؤمّ أبا محمّدٍ المرجّى ... حماد لها ومن أمّت حماد
أقرّ الحاسدون له بفضل ... عوارفه قلائد في الهواد[4]
بكم نال الهداية ذو ضلال ... وأنتم ناهجوا سبل الرشاد
وأنتم عصمة الراجي وغوث ... يفوق الغيث في السنة الجماد[5]
محضتكم المودة غير وانٍ ... وأرجو الأجر في صدق الوداد
وكم عاندت فيكم من عدوّ ... وفيكم لا أخاف من العناد
ومن يك ذا مراد في أمور ... فإنّ ولاءكم أقصى مرادي
أرجّيكم لآخرتي وأبغي ... بكم نيل المطالب في معادي
وما قدّمت من زاد سواكم ... ونعم الزاد يوم البعث زادي

---

(١) غواد جمع الغادية: السحابة تنشأ غدوة.
(٢) شأى القوم: سبقهم. وورى الزند: خرجت ناره.
(٣) ثار: هاج. وأينق جمع الناقة.
(٤) العوارف: العطايا. والهواد: الأعناق.
(٥) السنة الجماد: أي لم يصبها مطر.

ذكر الإمام الثالث أبي عبدالله الحسين الزكي عليه السلام

قال الشيخ كمال الدين رحمه الله: الباب الثالث في أبي عبدالله الحسين الزكي عليه السلام وفيه إثنى عشر فصلاً: ١ـ في ولادته، ٢ـ في نسبه، ٣ـ في تسميته، ٤ـ في كنيته ولقبه، ٥ـ فيما ورد في حقّه من النبي صلى الله عليه وآله وإمامته، ٦ـ في شجاعته وشرف نفسه، ٧ـ في كرمه، ٨ـ في كلامه، ٩ـ في أولاده، ١٠ـ في عمره، ١١ـ في خروجه من المدينة إلى مكّة إلى العراق، ١٢ـ في مصرعه ومقتله.

الأوّل: في ولادته عليه السلام

ولد بالمدينة بخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وكانت والدته الطهر البتول فاطمة عليها السلام، علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن عليه السلام بخمسين ليلة هكذا صحّ النقل، فلم يكن بينه وبين أخيه عليه السلام سوى هذه المدة المذكورة ومدّة الحمل، ولمّا ولد وأعلم النبي صلى الله عليه وآله به أخذه وأذّن في أُذنه.

قيل: أذّن في أُذنه اليُمنى وأقام في اليسرى.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: ولد بالمدينة في التاريخ المذكور.

قال: وجاءت به أُمّه فاطمة عليها السلام إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فاستبشر به وسمّاه حسيناً، وعقّ عنه كبشاً، وكذلك قال الحافظ عبدالعزيز الجنابذي رحمه الله تعالى.

الثاني: في نسبه عليه السلام

نسبه نسب أخيه الحسن عليه السلام، وقد تقدم ذكره، وهو النسب الذي افترع هام الكواكب[1] شرفاً وعلا، وفاق النيّرات سنّاً وسناءاً، فلا حاجة إلى إعادة ذكره.

الثالث: في تسميته عليه السلام

قال كمال الدين رحمه الله: هذا الإسم سمّاه به رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه لمّا أعلم به أخذه وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وقال: سمّوه حسيناً، فكانت تسمية أخيه

---

(١) افترع: علا. والهام: رأس كلّ شيء.

بالحسن وتسميته بالحسين صادرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ إنّه صلى الله عليه وآله وسلم عقّ عنه وذبح عنه كبشاً، وحلقت والدته عليها السلام رأسه وتصدّقت بوزن شعره فضّة كما أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقدّم ذلك في أخبار الحسن عليه السلام.

الرابع: في كنيته وألقابه

قال كمال الدين رحمه الله: كنيته أبو عبدالله لا غير، وأمّا ألقابه فكثيرة: الرشيد، والطيّب، والوفي، والسيّد، الزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والسبط، فكلّ هذه كانت تقال له وتطلق عليه، وأشهرها الزكي، لكن أعلاها رتبة ما لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عنه وعن أخيه: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة، فيكون السيّد أشرفها، وكذلك السبط فإنّه صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: حسين سبط من الأسباط، وسيأتي هذا الحديث في الفصل الخامس تلو هذا إن شاء الله تعالى.

قال ابن الخشّاب رحمه الله: يكنّى بأبي عبدالله، لقبه: الرشيد، والطيّب، والوفي، والسيّد، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والدليل على ذات الله عزّوجلّ، والسبط.

الخامس: في إمامته وما ورد في حقّه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً

أمّا إمامته عليه السلام فدليلها النص من أبيه وجدّه عليهما السلام، ووصيّة أخيه الحسن عليه السلام إليه، فكانت إمامته بعد وفاة أخيه بما قدّمناه ثابتة وطاعته لجميع الخلق لازمة، وإن لم يدع إلى نفسه عليه السلام للتقية التي كان عليها، والهدنة الحاصلة بينه وبين معاوية، والتزم الوفاء بها، وجرى في ذلك مجرى أبيه أميرالمؤمنين وثبوت إمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الصموت، وإمامة أخيه الحسن عليه السلام بعد الهدنة مع الكف والسكوت، وكانوا في ذلك على سيرة نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الشعب محصور، وعند خروجه مهاجراً من مكة، فلمّا مات معاوية وانقضت مدّة الهدنة التي كانت تمنع الحسين بن علي عليهما السلام من الدعوة إلى نفسه أظهر أمره بحسب الإمكان، وأبان عن حقّه للجاهلين به حالاً بحال، إلى أن اجتمع له في الظاهر الأنصار، فدعا عليه السلام إلى الجهاد وشمّر للقتال، وتوجّه بولده وأهل بيته من حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم نحو العراق للإستنصار بمن دعاه من شيعته على الأعداء.

وقدّم أمامه ابن عمّه مسلم بن عقيل رضي الله عنه وأرضاه للدعوة إلى الله والبيعة

له، فبايعه أهل الكوفة على ذلك وعاهدوه، وضمنوا له النصرة والنصيحة، ووثقوا له في ذلك وعاقدوه، ثمّ لم تطل المدّة بهم حتّى نكثوا بيعته وخذلوه وأسلموه، وقُتل بينهم ولم يمنعوه، وخرجوا إلى الحسين عليه السلام فحصروه ومنعوه المسير في بلاد الله، واضطرّوه إلى حيث لا يجد ناصراً ولا مهرباً منهم، وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتّى تمكّنوا منه وقتلوه، فمضى عليه السلام ظمآناً مجاهداً صابراً محتسباً مظلوماً، قد نكثت بيعته، وانتهكت حرمته، ولم يوف له بعهد، ولا رعيت فيه ذمّة عقد، شهيداً على ما مضى عليه أبوه وأخوه عليهما السلام والصلاة والرحمة.

أقول: مناقب الحسين عليه السلام واضحة الظهور، وسنا شرفه ومجده مشرق النور، فله الرتبة العالية، والمكانة السامية في كلّ الأمور، فما اختلف في نبله وفضله واعتلاء محلّه أحد من الشيعة ولا الجمهور.

عرف العالمون فضلك بالعلم ... وقال الجهّال بالتقليد

وكيف لا يكون كذلك وقد اكتنفه الشرف من جميع أكنافه، وظهرت مخايل السؤدد على شمائله وأعطافه، وكاد الجلال يقطر من نواحيه وأطرافه، وهذا قول لا أخاف أن يقول مسلم بخلافه، الجدّ محمّد المصطفى، والأب علي المرتضى، والجدّة خديجة الكبرى، والأم فاطمة الزهراء، والأخ الحسن ذو الشرف والفخار، والعم جعفر الطّار، والبيت من هاشم الصفوة الأخيار، فهو وأخوه عليهما السلام صفوة الصفوة ونور الأنوار، وهو في نفسه السيّد الشريف، والطود المنيف، والشجاع الغطريف[1]، والأسد الهصور[2]، والفارس المذكور، والعلم المشهور.

أتاه المجد من هنا وهنا ... وكان له بمجتمع السيول

وقد تقدم في أخبار أبيه وأخيه ما هو قسيمهما فيه، فما افترعا غارب[3] مجد إلّا افترعه، ولا جمعا شمل سؤدد إلّا جمعه، ولا نالا رتبة علاء إلّا نالها، ولا طالا هضبة عزّ[4] إلّا طالها، وأنا أذكر في هذا الفصل شيئاً ممّا ورد في وصف فضائله، وما ورد فيه التذاذاً بتكرير مناقبه ومفاخره، وطرباً بِعدّ مزاياه ومآثره، وإن كان في تضاعيف هذا

---

(١) الغطريف: السيد.

(٢) الهصور: الأسد.

(٣) الغارب: أعلى كلّ شيء.

(٤) الهضبة: ما ارتفع من الأرض. وقيل: الجبل الطويل الممتنع المنفرد.

الكتاب من نعوته وصفاته، ما فيه غنية كافية لأولى الألباب، والله الموفّق للصواب.

قال يعلى بن مرّة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

وروي عن أبي عوانة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الحسن والحسين شنفا العرش[1]، وإنّ الجنّة قالت: يا ربّ أسكنتني الضعفاء والمساكين، فقال الله تعالى لها: أما ترضين أنّي زيّنت أركانك بالحسن والحسين؟ قال: فماست كما تميس العروس فرحاً[2].

وروي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيهاً حسن خذ حسيناً، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يقول للحسين: إيهاً حسين خذ الحسن.

وروي عن أُم الفضل بنت الحارث أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله رأيت البارحة حلماً منكراً[3]، قال: وما هو؟ قالت: إنّه شديد، قال: ما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت خيراً، تلد فاطمة عليها السلام الحسين[4]، قالت: وكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت يوماً على النبي صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهرقان بالدموع[5]، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله مالك؟ قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء.

---

(١) الشنف: القرط الأعلى.

(٢) ماس: تبختر.

(٣) الحلم ـ بالضم ـ: ما يراه النائم في نومه لكنّه قد غلب على ما يراه من الشر والقبيح كما غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والحسن، وربّما استعمل كلّ مكان الآخر.

(٤) وقد مرّ مثل هذا الحديث في باب فضل الحسن عليه السلام عن أُمّ الفضل وكثيراً ما تجد الروايات في فضائل الحسنين عليهما السلام شبيهة متناً وسنداً في كتب الفريقين، ولعلّ الوجه في ذلك كون الإسمان قريبان في الكتابة فصار هذا سبباً لاشتباه الرواة أو النساخ وقد وقع نظيره في ساير الأبواب أيضاً كما لا يخفى على المتتبّع في الآثار والأخبار.

(٥) هرق الماء: صبّه.

وروي عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس، والحسن والحسين عليهما السلام في حجره إذ هملت عيناه بالدموع[1]، فقلت: يا رسول الله مالي أراك تبكي جعلت فداك؟ فقال: جاءني جبرئيل عليه السلام فعزّاني بابني الحسين، وأخبرني أنّ طائفة من أُمّتي تقتله، لا أنالهم الله شفاعتي.

وروي بإسناد آخر عن أُم سلمة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة، فغاب عنّا طويلاً وعاد وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله مالي أراك أشعث مغبراً؟ فقال: أُسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلا، فأُريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم، فهاهي في يدي وبسطها لي، فقال لي: خذيها فاحتفظي بها، فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وسدّدت رأسها واحتفظت بها.

فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجّهاً إلى العراق كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم فأشمّها وأنظر إليها وأبكي لمصابه، فلمّا كان اليوم العاشر من المحرّم وهو اليوم الذي قُتل فيه عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها، ثمّ عدت إليها في آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن تسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتّى جاء الناعي ينعاه، فحقّق ما رأيت.

وروي أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالساً وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال لهم: كيف أنتم إذا كنتم صرعىٰ وقبوركم شتّىٰ؟ فقال له الحسين عليه السلام: أنموت موتاً أو نقتل قتلا؟ فقال: بل تقتل يا بني ظلماً ويقتل أخوك ظلماً، وتشرد ذراريكم[2] في الأرض، فقال الحسين عليه السلام: ومن يقتلنا يا رسول الله؟ قال: شرار الناس، قال: فهل يزورنا بعد قتلنا أحد؟ قال: نعم يا بني، طائفة من أُمّتي يريدون بزيارتكم برّي وصلتي، فإذا كان يوم القيامة جئتها إلى الموقف حتّى آخذ بأعضادها فأخلّصها من أهواله وشدائده.

قلت: هذا الخبر بهذه السياقة نقلته من إرشاد الشيخ المفيد رحمه الله تعالى،

---

(١) هملت عينه: فاضت.

(٢) شرّد شملهم: فرّق جمعهم. وقيل: التشريد تفريق على اضطراب.

وعندي فيه نظر، فإنّ الحسين عليه السلام كان أصغر الجماعة الذين ذكرهم عليه السلام فكيف خصّه بالسؤال والجواب دونهم؟ وكيف صدع قلبه على صغره وحداثته بذكر القتل، وأزعج قلب الأُم عليها السلام بما لقي به ولديها عليها وعليهما السلام؟ وكيف تفرّغ الحسين عليه السلام مع سماع هذا جميعه إلى أن يسال عن الزوّار؟ والله سبحانه أعلم.

وروى عبدالله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليهما السلام، وذلك قبل أن يُقتل بزمان طويل.

وروى سالم بن أبي حفصة قال: قال عمر بن سعد للحسين: يا أبا عبدالله إنّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنّي أقتلك، فقال الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا بسفهاء ولكنّهم حلماء، أمّا إنّه يقرّ بعيني أنّك لا تأكل برّ العراق بعدي إلّا قليلا.

وروى يوسف بن عبيدة قال: سمعت محمّد بن سيرين يقول: لم نر هذه الحمرة في السماء إلّا بعد قتل الحسين عليه السلام.

وروى سعد الإسكاف قال: قال أبو جعفر محمّد بن علي عليهما السلام: كان قاتل يحيى بن زكريا عليهما السلام ولد زنا، وكان قاتل الحسين بن علي عليهما السلام ولد زنا، ولم تحمر السماء إلّا لهما.

وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزلنا منزلاً ولا ارتحلنا منه إلّا وذكر يحيى بن زكريّا عليهما السلام، وقال يوماً من الأيّام: من هوان الدنيا على الله عزّوجلّ إنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

وتظاهرت الأخبار بأنّه لم ينج أحد ممّن قاتل الحسين عليهما السلام وأصحابه رضي الله عنهم من قتل أو بلاء افتضح به قبل موته.

قال الشيخ كمال الدين رحمه الله: الفصل الخامس: فيما ورد في حقّه من جهة النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً، وهو فصل مستحلي الموارد والمصادر، ومستعلي المحامد والمآثر، مسفر عن جمل المناقب السوافر[1]، مشعر بأنّ الحسن والحسين عليهما السلام أحرزا اعلى المعالي وأفخرا المفاخر، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خصّهما من مزايا العلاء بأتم

---

(١) أسفرت المرأة: كشف عن وجهها.

معنى، ومنحهما من سجايا الثناء كلّ مثنى، فأفرد وثنّى، ومدح وأثنى، وأنزلهما ذروة السناء الأسنى، فأمّا ما يخصّ الحسن عليه السلام فقد تقدّم في فضله، وأمّا تمام المشترك وما يخصّ الحسين فهذا أوان إحراز خصله.

فمنه حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد بن حنبل والترمذي كلّ منهما في صحيحه يرويه عنه بسنده، وقد تقدّم طرف منه في فضل فاطمة عليها السلام وجملة الحديث أنّ حذيفة قال لأُمّهِ: دعيني آتي رسول الله صلى الله عليه وآله فأُصلّي معه وأسأله أن يستغفر لي ولكِ، فأتيته وصلّيت معه المغرب ثمّ قام فصلّى حتّى صلّى العشاء ثمّ انفتل، فتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا، حذيفة؟ قلت: نعم، قال: ما حاجتك؟ قالت: تستغفر لي ولأُمّي، فقال: غفر الله لك ولأُمّك، إنّ هذا ملك لم ينزل الأرض قط من قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم عَلَيّ ويبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

ومنه ما أخرجه الترمذي أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله أبصر حسناً وحسيناً فقال: اللهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما.

ومنه ما رواه ابن الجوزي رحمه الله بسنده في صفوة الصفوة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ هذان ابناي، فمن أحبّهما فقد أحبّني ـ يعني الحسن والحسين ـ.

ومن المشترك جملة تقدمت في فضل الحسن عليه السلام فلا حاجة إلى إعادتها هاهنا.

ومنه ما أخرجه أيضاً الترمذي بسنده عن يعلى بن مرّة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

ومنه ما نقله الإمام محمّد بن إسماعيل البخاري والترمذي رضي الله عنهما بسندهما كلّ واحد منهما في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه وسأله رجل عن دم البعوض فقال: ممّن أنت؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وآله، وسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: هما ريحانتاي من الدنيا.

وروى أنّه ساله عن المحرم يقتل الذباب؟ فقال: يا أهل العراق تسألوني عن قتل الذباب وقد قتلتم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر الحديث وفي آخره: وهما سيّدا شباب أهل الجنّة.

ومنه ما أخرجه الترمذي رحمه الله في صحيحه بسنده عن سلمى الأنصاريّة قالت:

دخلت على أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت الآن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

ومنه ما أخرجه البخاري والترمذي رضي الله عنهما في صحيحيهما كلّ منهما بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: أُتي عبيدالله بن زياد برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكته[1]، فقال في حسنه شيئاً، قال أنس: فقلت: والله إنّه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان مخضوباً بالوسمة.

وفي رواية الترمذي فجعل يضرب بقضيب في أنفه، ولقد وفق الترمذي فإنّه لمّا روى هذا الحديث وذكر فعل ابن زياد زاده الله عذاباً نقل ما فيه اعتبار واستبصار، فإنّه روى في صحيحه بسنده عن عمارة بن عمير قال: لمّا قُتل عبيدالله بن زياد وجيء برأسه ورؤوس أصحابه، ونضدت في المسجد في الرحبة، فانتهيت إليهم والناس يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حيّة قد جاءت تخلّل الرؤوس حتّى جاءت فدخلت في منخر عبيدالله بن زياد فمكثت هنيئة، ثمّ خرجت فذهبت حتّى تغيّبت، ثمّ قالوا: قد جاءت، ففعلت ذلك مراراً.

قال علي بن عيسى عفى الله عنه بكرمه، ووفّقه لتأدية شكر إحسانه ونعمه: لا ريب أنّ هذه موعظة لأولي الأبصار، وعجيبة من عجائب هذه الدار، وصغيرة بالنسبة إلى ما أعدّ الله لهؤلاء الظلمة من عذاب النّار، فإنّهم ركبوا من قتل الحسين وأهله وسبي حريمه ما لا يركب مثله مردة الكفّار، ولا يقدم عليه إلّا من خلع ربقة الدين وجاهر الله بالعداوة، فحسبه جهنّم وبئس القرار.

قلت: وقد ذكره عزّ الدين بن الأثير الجزري رحمه الله في تاريخه.

وروى الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعاً إلى عائشة قالت: كانت لنا مشربة[2]، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اراد لقاء جبرئيل عليه السلام لقيه فيها، فلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّة من ذلك فيها، وأمر عائشة أن لا يصعد إليه أحد، ودخل حسين بن علي ولم تعلم حتّى غشيهما، فقال له جبرئيل: من هذا؟

---

(١) نكت الأرض بقضيب: ضربها به فأثّر فيها.

(٢) المشربة: واحدة المشارب وهي العلالي. أقول: ويقال لها غرفة أيضاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ابني، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله فجعله على فخذه، فقال: أمّا إنّه سيقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ومن يقتله؟ قال: أُمّتك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أُمّتي تقتله؟ قال: نعم، وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يُقتل فيها، فأشار جبرئيل إلى الطف بالعراق وأخذ تربة حمراء فأراه إيّاها وقال: هذه من تربة مصرعه.

ومن الكتاب المذكور عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال: أتينا معه موضع قبر الحسين، فقال علي عليه السلام: هاهنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد صلى الله عليه وآله يُقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض.

ومنه يرفعه إلى عبدالله بن مسعود قال: بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وآله إذ دخل فتية من قريش فتغيّر لونه، فقلنا: يا رسول الله لا نزال نرى في وجهك الشيء نكرهه؟ فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي تطريداً وتشريداً.

ومن كتابه مرفوعاً إلى العوام بن حوشب قال: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى شباب من قريش كأنّ وجوههم سيوف مصقولة، ثمّ رؤي في وجهه كآبة[1] حتّى عرفوا ذلك، فقالوا: يا رسول الله ما شأنك؟ قال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّي ذكرت ما يلقى أهل بيتي من بعدي من أُمّتي من قتل وتطريد وتشريد.

وروى الجنابذي مرفوعاً إلى يحيى بن أبي بكر عن بعض مشيخته قال: قال الحسين بن علي عليه السلام حين أتاه الناس، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد؛ أيّها الناس أنسبوني وانظروني من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلّ لكم سفك دمي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله وابن ابن عمّه وابن من أولى المؤمنين بالله؟ أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟ أولم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله مستفيضاً فيكم لي ولأخي: إنّا سيّدا شباب أهل الجنّة؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي وانتهاك حرمتي؟

قالوا: ما نعرف شيئاً ممّا تقول.

فقال: إنّ فيكم من سألتموه لأخبركم أنّه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فيّ وفي أخي الحسن، سلوا زيد بن ثابت والبراء بن عازب وأنس بن مالك يحدّثكم أنّه سمع

---

(١) الكآبة: الحزن والغم.

ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فيّ وفي أخي، فإن كنتم تشكّون في هذا فتشكّون (فيّ) أنّي ابنت بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله؟ فوالله ما تعمّدت كذباً منذ عرفت إنّ الله تعالى يمقت على الكذب وأهله، ويضربه من اختلقه، فوالله مابين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، ثمّ أنا ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله خاصة دون غيره، خبّروني هل تطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فسكتوا.

قال أفقر عباد الله إلى رحمته وشفاعة نبيّه وأئمّته عليهم السلام علي بن عيسى أغاثه الله تعالى يوم الفزع الأكبر: كأنّ الحسين عليه السلام فارس الحرب الذي لا يصطلي بناره، ولا تقدم غلب الأسود على شقّ غباره، ولم يقل هذا القول ضراعة ولا خواراً[1]، فإنّه كان عالماً بما يؤل أمره إليه، عارفاً بما هو قادم عليه عرف ذلك من أبيه وجدّه عليهم الصلاة والسلام، واطلع على حقيقته بما خصّه الله به من بين الأنام، فله الكشف والنظر، وهو وأخوه قبله وبنوه من بعده خيرة الله من البشر، ينظرون إلى الغيب من وراء ستر رقيق، ويشاهدون بمرايا خواطرهم الصقيلة ويشهدون بعداوة العدو وصداقة الصديق، وإنّما كان ذلك القول منه وتكراره إقامة للحجة عليهم، ودفعاً في صدر من ربّما قال لم أعلم أو كنت مشدوهاً[2] أو اشتبه عَلَيّ الأمر فلم أهتد لوجه الصواب، فنفي هذه الإحتمالات بإنذاره وإعذاره، وتركهم ولا حاجز بينهم وبين عذاب الله وناره، وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا.

السادس: في علمه وشجاعته وشرف نفسه

أقول والله الموفق للصواب: إنّ علوم أهل البيت عليهم السلام لا تتوقّف على التكرار والدرس، ولا يزيد يومهم فيها على ما كان في الأمس، ولا يعلمونها بالقياس والفكر والحدس، لأنّهم المخاطبون في أسرارهم المكلّمون بما يسألونه قبل ارتداد النفس، فسماء معارفهم وعلومهم بعيدة عن الإدراك واللمس، فمن أراد ستر فضائلهم كان كمن أراد ستر وجه الشمس، وهذا ممّا يجب أن يكون ثابتاً مقرّراً في النفس، فهم يرون عالم الغيب في عالم الشهادة، ويقفون على حقائق المعارف في خلوات العبادة،

---

(١) الخوار: الضعف والفتور.

(٢) المشدوه: المتحيّر المدهوش.

وتناجيهم أفكارهم في أوقات أذكارهم بما تسنّموا به غارب الشرف والسيادة، ويحصلون بصدق توجّههم إلى جناب القدس ما بلغوا به منتهى السؤال والإرادة، فهم كما في نفوس أوليائهم ومحبّيهم وزيادة، فما تزيد معارفهم في زمان الشيخوخة على معارفهم في زمان الولادة، فهم خيرة الخير وزبدة الحقب وواسطة القلادة، وهذه أمور تثبت لهم بالقياس والنظر، ومناقب واضحة الحجول بادية الغرور، ومزايا تشرق إشراق الشمس والقمر، وسجايا تزيّن عنوان التواريخ وعيون السير، فما سألهم مستفيد أو ممتحن فوقفوا، ولا أنكر منكر أمراً من أمور الدين إلّا علموا وعرفوا، ولا جروا مع غيرهم في مضمار شرف إلّا سبقوا، وقصّر مجاروهم وتخلّفوا سنة جرى عليها الذين تقدّموا، وأحسن اتّباعهم الذين خلّفوا، وكم عانوا في الجلاد والجدال أموراً فتلقّوها بالرأي الأصيل، والصبر الجميل، وما استكانوا ولا ضعفوا فلهذا وأمثاله سموا على الأمثال وشرفوا.

فأيّهم اعتبرت أحواله، وتدبّرت أقواله، وشاهدت جلاده وجداله، وجدّته فريداً في مآثره، وحيداً في مزاياه ومفاخره، مصدّقاً قديم أوّله بحديث آخره، فقد أفرغوا في قالب الكمال، وتفرّدوا بجميل الخلال، وارتدّوا مطارف المجد والجلال، وقالوا فأبانوا وبيّنوا تقصير كلّ من قال، وأتوا بالإعجاز الباهر في الجواب والسؤال، تقرّ الشقاشق إذا هدرت شقاشقهم[1]، وتصغي الأسماع إذا قال قائلهم أو نطق ناطقهم، ويكشف الهواء إذا قيست خلائقهم، ويقف كلّ ساع عن شأوهم فلا تدرك غايتهم، ولا تنال طرائقهم سجايا منحهم بها خالقهم، وأخبر بها صادقهم، فسرّ بها أولياؤهم وأصادقهم، وحزن لها مباينهم ومفارقهم، فإنّه صلى الله عليه وآله أزال الشبهة والإلتباس، وصرّح بفضلهم لئلّا يفتقر في إيضاحه إلى الدليل والقياس، ونطق معلناً بشرفهم الداني الثمار الزاكي الغراس، فقال لو سمع مقاله: إنّا بني عبدالمطّلب سادات الناس، صلّى الله عليه وعليهم أجمعين صلاة دائمة باقية إلى يوم الدين.

وقد حلّ الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في أوجه ويفاعه[2]، وعلا محلّه فيه علوّاً تطامنت النجوم عن ارتفاعه، واطّلع بصفاء سرّه على غوامض المعارف

---

(١) الشقاشق جمع الشقيقة: طائر. وهدر الحمام: صوت.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

فكشفت له الحقائق عند اطّلاعه، وسار صيته بالفواضل والفضائل فاستوى الصديق والعدوّ في استماعه، فلمّا اقتسمت غنائم المجد حصل على صفاياه ومرباعه، فقد اجتمع فيه وفي أخيه عليهما السلام من خلال الفضل ما لا خلاف في اجتماعه، وكيف لا يكونا كذلك وهما ابنا علي وفاطمة عليهما السلام بلا فصل، وسبطا النبي صلى الله عليه وآله فأكرم بالفرع والأصل، والسيّدان الإمامان قاما أو قعدا، فقد استوليا على الأمل وحازا الخصل، والحسين عليه السلام هو الذي أرضى غرب السنان وحدّ النصل، وغادر جثث الأعداء فرائس الكواسب بالهبر والفصل[1].

وأمّا شجاعته عليه السلام فقد قال كمال الدين رحمه الله: إعلم وفّقك الله على حقائق المعاني، ووفّقك لإدراكها أنّ الشجاعة من المعاني القائمة بالنفوس، والصفات المضافة إليها، فهي تدرك بالبصيرة لا بالبصر، ولا تمكن معرفتها بالحس مشاهدة لذّاتها، إذ ليست أجساماً كثيفة، بل طريق معرفتها والعلم بها مشاهدة آثارها، فمن أراد أن يعلم أنّ زيداً موصوف بالشجاعة فطريقه أن ينظر إلى ما يصدر منه، فإذا أحدقت الرجال وحدقت الآجال وحقّت الأوجال وتضايق المجال وحاق القتال[2]، فإن كان مجزاعاً مهلاعاً مرواعاً مفزاعاً، فتراه يستركب الهزيمة ويستبقها، ويستصوب الدنيّة ويتطوّقها، ويستعذب المفرّة ويستفوقها، ويستصحب الذلّه ويتعلّقها، مبادراً إلى تدرّع عار الفرار من شبا الشفار[3]، مشيحاً عن الفخار[4] باقتحام الأخطار، في مقرّ القراع بكلّ خطار[5]، فذلك مهبول الأُم[6] مخبول الفهم مفلول الجمع، معزول عن السمع، مضروب بينه وبين الشجاعة بحجاب، مكتوب بينه وبين الشهامة بإبراء في كتاب، ولا تعرف نفسه شرفاً، ولا تجد عن الخساسة والدناءة منصرفاً.

وإن كان مجساراً مجزاراً كرّاراً صبّاراً، يسمع من أصوات وقع الصوارم نغم المزاهر المطربة، ويسرع إلى مصاف التصادم مسارعته إلى مواصلة النواظر المعجبة،

---

(١) غادره: تركه وأبقاه. والبهر: ما اطمئنّ من الأرض والرمل.

(٢) حاق حيفاً وحوقاً به: أحاط.

(٣) شبا جمع الشباة وهو من السيف حدّه. والشفار جمع الشفرة: السكّين العظيمة العريضة.

(٤) أشاح عن الشيء: أعرض.

(٥) قارع الأبطال قراعاً: ضارب بعضهم بعضاً.

(٦) هبلته أُمّه: ثكلته.

خائضاً غمرات الأهوال بنفس مطمئنّة وعزيمة مطنبة، يعدّ مصافحة الصفاح غنيمة باردة، ومرامحة الرماح فائدة عائدة، ومكافحة الكتائب مكرمة زائدة، ومناوحة المقانب[1] منقبة شاهدة، يعتقد أنّ القتل يلحقه ظلل الحياة الأبديّة، ويسعفه حلل المحامد السرمديّة، ويزلفه في منازل الفخار العليّة المعدّة للشهداء الأُحديّة، جانحاً إلى ابتياع العزّ بمهجته، ويراها ثمناً قليلاً جامحاً عن ارتكاب الدنايا وإن غادره جماحه قتيلا.

يرى الموت أحلى من ركوب دنيّة ... ولا يفتدي للناقصين عديلا
ويستعذب التعذيب فيما يفيده ... نزاهته عن أن يكون ذليلا

فهذا مالك أزمّة الشجاعة وحائزها، وله من قداحها معلاها وفائزها، قد تفوّق بها لبان الشرف واغتذاه، وتطوّق درّة سحابة المستحلى وتحلّاه، وعبق نشر أرجه المنتشر ممّا أتاه، ونطق فعله بمدحه وإن لم يفض فاه، وصدق والله واصفه بالشجاعة التي يحبها الله.

وإذا ظهرت دلائل الآثار على مؤثرها، وأسفرت عن تحقق مثيرها ومشمرها، فقد صرّح النقلة في صحائف السير بما رأوه، وجزموا القول بما نقله المتقدم إلى المتأخّر فيما رووه، أنّ الحسين عليه السلام لمّا قصد العراق وشارف الكوفة سرب إليه أميرها يومئذ عبيدالله بن زياد الجنود لمقابلته أحزاباً، وحزّب عليه الجيوش لمقاتلته أسراباً[2]، وجهّز من العساكر عشرين ألف فارس وراجل يتتابعون كتائباً وأطلاباً، فلمّا حضروه وأحدقوا به شاكّين في العدة والعديد، ملتمسين منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد، فإن أبى فليؤذن بقتال يقطع الوتين وحبل الوريد، ويصعد الأرواح إلى المحلّ الأعلى ويصرع الأشباح على الصعيد، فتبعت نفسه الأبيّة جدّها وأباها، وعزفت عن التزام الدنيّة فأباها، ونادته النخوة الهاشميّة فلبّاها، ومنحها بالإجابة إلى مجانبة الذلّه وحباها، فاختار مجالدة الجنود ومضاربة ظباها، ومصارمة صوارمها وشيم شباها، ولا يذعن لوصمة[3] تسمّ بالصغار من شرفه خدوداً وجباها.

---

(١) المقانب: الذئاب الضارية.

(٢) سرب الماء: أسأله. والأسراب جمع السرب: القطيع من الحيوان.

(٣) الوصمة: العار والعيب.

وقد كان أكثر هؤلاء المخرجين لقتاله قد شايعوه وكاتبوه وطاوعوه وتابعوه، وسألوه القدوم عليهم ليبايعوه، فلمّا جاءهم كذّبوه ما وعدوه، وأنكروه وجحدوه، ومالوا إلى السحت العاجل فعبدوه، وخرجوا إلى قتاله رغبة في عطاء ابن زياد فقصدوه، فنصب ﷺ نفسه وإخوته وأهله وكانوا نيّفاً وثمانين لمحاربتهم، واختاروا بأجمعهم القتل على متابعتهم ليزيد ومبايعتهم، فاعتلقتهم الفجرة اللئام، ورهقتهم المردة الطغام، ورشقتهم النبال والسهام، وأوثقتهم من شبا شفارها الكلام.

هذا والحسين ﷺ ثابت لا تخف حصاة شجاعته، ولا تجف عزيمة شهامته، وقدمه في المعترك أرسى من الجبال، وقلبه لا يضطرب لهول القتال ولا لقتل الرجال، وقد قتل قومه من جموع ابن زياد جمعاً جمّاً، وأذاقوهم من الحميّة الهاشمية رهقاً وكلما[1]، ولم يقتل من العصابة الهاشميّة قتيل حتّى أثخن في قاصديه وقتل، وأغمد ظبته في أبشارهم وجدل، فحينئذ تكالبت طغام الأجناد على الجلاد، وتناسبت الأجلاد في المفاضلة بالحداد، وثبت كثرة الألوف منهم على قلّة الآحاد، وتقاربت من الأنوف الهاشميّة الآجال المحتومة على العباد، فاستبقت الأملاك البررة إلى الأرواح، وباء الفجرة بالآثام في الأجساد، فسقطت أشلاؤهم المتلاشية على الأرض صرعى تصافح منها صعيداً، ونطقت حالهم بأنّ لقتلهم يوماً تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، وتحقّقت النفوس المطمئنّة بالله كون الظالم والمظلوم شقيّاً وسعيداً، وضاقت الأرض بما رحبت على حرم الحسين ﷺ وأطفاله إذ بقي وحيداً.

فلمّا رأى ﷺ وحدته، ورزء أُسرته، وفقد نصرته، تقدّم على فرسه إلى القوم حتّى واجههم وقال لهم: يا أهل الكوفة قبحاً لكم وتعساً حين استصرختمونا والهين، فآتيناكم موجفين[2]، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وحششتم علينا ناراً[3] نحن أضرمناها على أعدائكم وأعدائنا، فأصبحتم ألباً[4] على أوليائكم، ويداً لأعدائكم، من غير عدل أفشوه فيكم، ولا ذنب كان منّا إليكم، فلكم الويلات هلا إذ كرهتمونا[5]

---

(١) الرهق: الضعف، الذلّة، الهلاك. والكلم: الجرح.

(٢) أي مسرعين.

(٣) حش النار: أوقدها.

(٤) الالب ـ بالكسر والفتح لغة ـ: القوم يجتمعون على عداوة الإنسان.

(٥) وفي بعض النسخ «تركتمونا» مكان «كرهتمونا».

والسيف ماشيم[١]، والجاش ما طاش[٢]، والرأي لم يستحصد[٣]، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا إسراع الدبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها سفهاً وضلّة وطاعة لطواغيت الأمّة، وبقيّة الأحزاب ونبذة الكتاب، ثمّ أنتم هؤلاء تتخاذلون عنّا وتقتلونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ثمّ حرّك إليهم فرسه، وسيفه مصلت في يده، وهو آيس من نفسه، عازم على الموت، وقال هذه الأبيات:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخر حين أفخر
وجدّي رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله في الخلق تزهر
وفاطمة أمّي سلالة أحمد ... وعمّي يُدعى ذاالجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي والخير يُذكر
ونحن ولاة الحوض نسقي محبّنا[٤] ... بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

ثمّ دعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقاتل ويقتل من برز إليه منهم من عيون الرجال حتّى قتل منهم مقتلة كثيرة، فتقدم إليه شمر بن ذي الجوشن في جمعه، وسيأتي تفصيل ما جرى بعد ذلك في فصل مصرعه عليه السلام إن شاء الله.

هذا وهو كالليث المغضب، لا يحمل على أحد منهم إلّا نفحه بسيفه[٥] فألحقه بالحضيض، فيكفي ذلك في تحقيق شجاعته وشرف نفسه شاهداً صادقاً، فلا حاجة معه إلى ازدياد في الإستشهاد (آخر كلام كمال الدين رحمه الله).

قلت: شجاعة الحسين عليه السلام يضرب بها المثل، وصبره في ماقط الحرب[٦] أعجز الأواخر والأوّل، وثباته إذا دُعيت نزال ثبات الجبل، وإقدامه إذا ضاق المجال إقدام الأجل، ومقامه في مقابلة هؤلاء الفجرة عادل مقام جدّه صلى الله عليه وآله ببدر فاعتدل، وصبره

---

(١) شام السيف شيماً: أغمده، استلّه (ضد).

(٢) الجاش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. والطيش: الخفة.

(٣) استحصد الأمر: استحكم.

(٤) وفي بعض النسخ «ونحن ولاة الأرض نسقي ولاتنا».

(٥) نفحه بسيفه: تناوله به من بعيد أو ضربه بطائفة منه.

(٦) الماقط: المكان الضيق في الحرب على ما قيل.

على كثرة أعدائه وقلّة أنصاره صبر أبيه ﷺ في صفّين والجمل، ومشرب العداوة واحد، فيفعل الأوّل فعل الآخر ما فعل، فكم من فارس مدلّ ببأسه جدّله ﷺ فانجدل، وكم من بطل طلّ دمه فبطل، وكم حكم سيفه فحكم في الهوادي والقلل، فما لاقى شجاعاً إلّا وكان لأُمّه الهَبَل، وحشرهم الله وجازى كلّاً بما قدّم من العمل، وإذا علمت أنّ شعار الحسين ﷺ وأصحابه أعل يا حق، وشعار أعدائه: أعل هبل، علمت أنّ هؤلاء في نعيم لا يزول وأولئك في شقاء لم يزل، وكما قُتل أبوه وانتقل إلى جوار ربّه قُتل هو وانتقل، وكان له عند الله مرتبة لا تنال إلّا بالشهادة فتمّ له ما أراد وكمل، وباء قاتلوه بنار الله الموصدة في الآخرة ولا يهدي الله من أضل، وما سلموا من آفات الدنيا بل عجّلت لهم العقوبة فعمّت من رضي ومن خذل ومن قتل، فتبّاً لآرائهم الغايلة وعقولهم الذاهلة فلقد أعماهم القضاء إذ نزل، وختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فما لهم فيه قول ولا عمل، وقبحاً وشقحاً[1] لتلك القلوب التي غطاها الرين فلم تفرق بين ما علا واستفل، وسوأة لتلك الوجوه التي شوّهها الكفر والفسوق والعصيان وسوّدها الخطأ والخطل، وسبة لتلك الأحلام الطائشة التي عذلت لإنكارها الحق بعد معرفة فسبق السيف العذل، وغطّى على بصائرها حب الدنيا الدنيّة فمالت إلى العاجل ففاتها الآجل والعاجل ما حصل، وكيف لا تصدر عنهم هذه الأفعال وكبيرهم المدعوّ بأمير مؤمنيهم استشهد بشعر ابن الزبعري فكأنّما بده به وارتجل:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... وقعة الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... واستحرّ القتل في عبد الأشل[2]
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

والناس على دين ملوكهم كما ورد في الحديث والمثل.

فلقد ركبوا مركباً وعراً، وأتوا أمراً إمراً، وفعلوا فعلاً نُكراً، وقالوا قولاً هجراً، واستحلّوا مزاقاً مرّاً، وبلغوا الغاية في العصيان، ووصلوا إلى النهاية في إرضاء الشيطان، وأقدموا على أمرٍ عظيم من إسخاط الرحمان، وكم ذكّرهم الحسين ﷺ أيّام

---

(١) قبحاً وشقحاً: أتباع وقيل معناهما واحد.

(٢) وروي البيتان الأولان في أكثر المقاتل كما يلي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

الله فما ذكروا، وزجرهم عن تقحّم نار الجحيم فما انزجروا، وعرّفهم ما كانوا يدعون معرفته فما عرفوا ولا فهموا منذ أنكروا، وأمرهم بالفكر في هذا الأمر الصعب فما ائتمروا، في كلّ ذلك ليقيم عليهم الحجّة، ويعذر إلى الله في تعريفهم المحجّة، فأصرّوا واستكبروا استكباراً، وممّا خطاياهم فأُدخلوا نار جهنّم فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً، ونادى لسان حال الحسين عليه السلام: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ولا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾، فاستجاب الله دعاءه عليه السلام وخصّه بمزيد العناية والإكرام، ونقله إلى جواره مع آبائه الكرام، ووقع الفناء بعده في أولئك الطغام، ودارت عليهم دوائر الإنتقام والإصطلام، فقتلوا في كلّ أرض بكلّ حسام، وانتقلوا إلى جوار مالك في نار جنهمّ، وأصحاب الحسين عليه السلام إلى جوار رضوان في دار السلام، فصارت ألوف هؤلاء الأغنام آحاداً، وجموعهم أفراداً، وألبسوا العار آباءاً وأولاداً، فأحياؤهم عار على الغابر، والأوّلون مسبّة للآخر، واستولى عليهم الذلّ والصغار، وخسروا تلك الدار وهذه الدار، وكان عاقبة أمرهم إلى النّار وبئس القرار، وكثّر الله ذريّة الحسين عليه السلام وأنماها، وملأ بها الدنيا ورفعها وأعلاها، وإذا عرفت أنّ كلّ حسينيّ في الدّنيا من ولد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ظهر لك كيف بارك الله في ذريّته الطاهرة وزكّاها، وإذ فكّرت في جموع أعدائهم وانقراضهم تبيّنت أنّ العناية الإلهيّة تولّت هذه العترة الشريفة وأبادت من عاداها، وسعدت في الدنيا والآخرة وسعد من والاها، وقد تظاهرت الأخبار أنّ الله تعالى اختارها واصطفاها، واختار شيعتها واجتباها.

ولمّا رأى الحسين عليه السلام إصرارهم على باطلهم، وظهور علائم الشقاء على أخلاقهم وفعائلهم، وأنّ إبليس وجنوده قادوا في أشطانهم[1] وحبائلهم، علم بسعادة من قتلوه وشقاوة قاتلهم، وتحقّق أنّه قد طبع الله على قلوبهم فلا ينجع فيهم نصح ناصحهم، ولا عذل عاذلهم، فجدّ في حربهم على بصيرة واجتهد، وصبر صبر الكرام على تلك العدّة وذلك العدد، وتفصيل ذلك يأتي في باب مصرعه عليه السلام.

ويعزّ عَلَيّ أن يجري بذكره لساني، أو يسمح بسطره بناني، أو أتمثّله في خاطري وجناني، فإنّي أجد لذكره ألماً، وأبكي لمصابه دمعاً ودماً، وأستشعر لما بلغ

---

(١) الأشطان جمع الشطن: الحبل الطويل.

منه همّاً وندماً، ولكن لا حيلة فيما جرى به القضاء والقدر، وإن ذممنا الورد فإنّا نحمد الصدر، والله يجازي كلاًّ على فعله، ولا يبعد الله إلّا من كفر.

السابع: في كرمه وجوده ﷺ

قال كمال الدين رحمه الله تعالى: قد تقدم في الفصل المعقود لذكر كرم أخيه الحسن ﷺ قصّة المرأة التي ذبحت الشاة وما وصلها به لمّا جاءته بعد أخيه الحسن ﷺ، وأنّه أعطاها ألف دينار واشترى لها ألف شاة، وقد اشتهر النقل عنه ﷺ أنّه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، وينيل الفقير، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشدّ من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويعين ذا الحاجة، وقلّ أن وصله مال إلّا فرّقه.

وروي أنّ معاوية لمّا قدم مكّة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوات وافية، فرّد الجميع عليه ولم يقبل منه، وهذه سجيّة الجواد وشنشنة الكريم[1] وسمة ذي السماحة، وصفةمن قد حوى مكارم الأخلاق فأفعاله المتلوّة شاهدة له بصفة الكرم، ناطقة بأنّه متّصف بمحاسن الشيم، وقد كان في العبادة مقتدياً بمن تقدّم، حتّى نقل عنه ﷺ أنّه حجّ خمساً وعشرين حجة إلى الحرم، ونجائبه تقاد معه وهو ماش على القدم (آخر كلامه ﷺ).

قال الفقير إلى الله تعالى علي بن عيسى عفى الله عنه: اعلم أيّدك الله بتوفيقه، وهداك إلى سبيله وطريقه، إنّ الكرم كلمة جامعة لأخلاق محمودة، تقول كريم الأصل، كريم النفس، كريم البيت، كريم المنصب، إلى غير ذلك من صفات الشرف، ويقابله اللؤم فإنّه جامع لمساوىء الأخلاق، تقول: لئيم الأصل والنفس والبيت وغيرها.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنّ الكرم الذي الجود من أنواعه، كامل في هؤلاء القوم، ثابت لهم محقق فيهم متعيّن لهم ولا يعدوهم، ولا يفارق أفعالهم واقوالهم، بل هو لهم على الحقيقة وفي غيرهم كالمجاز، ولهذا لم ينسب الشح إلى أحد من بني هاشم، ولا نقل عنهم لأنّهم يجارون الغيوث سماحة، ويبارون الليوث حماسة، ويعدلون الجبال

---

(١) الشنشنة: الطبيعة والعادة.

حلماً ورجاحة، فهم البحور الزاخرة، والسحب الهامية الهامرة.

فما كان من خير أتوه فإنّما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطيّ إلّا وشيجه ... وتغرس إلّا في منابتها النخل[1]

ولهذا قال علي عليه السلام وقد سُئل عن بني هاشم وبني أُميّة؟ فقال: نحن أمجد وأنجد وأجود، وهم أغدر وأمكر وأنكر، ولقد صدق عليه السلام، فإنّ الذي ظهر من القبيلتين في طول الوقت دالّ على ما قاله عليه السلام.

ولا ريب أنّ الأخلاق تظهر على طول الأيّام، وهذه الأخلاق الكريمة اتّخذوها شريعة وجعلوها إلى بلوغ غايات الشرف ذريعة لشرف فروعهم وأصولهم وثبات عقولهم، لأنّهم لا يشينون مجدهم بما يصمّه، ولا يشوّهون وجوه سيادتهم بما يخلقها، ولأنّهم مقتدى الأمّة ورؤوس هذه الملّة وسروات الناس وسادات العرب وخلاصة بني آدم، وملوك الدنيا والهداة إلى الآخرة وحجة الله على عباده وأُمناؤه على بلاده، فلابدّ أن تكون علامات الخير فيهم ظاهرة، وسمات الجلال بادية باهرة، وأمثال الكرم العام سايرة، وإن كلّ متّصف بالجود من بعدهم بهم اقتدى، وعلى منوالهم نسج، وبهم اهتدى.

وكيف لا يجود بالمال من يجود بنفسه النفيسة في مواطن النزال؟ وكيف لا يسمح بالعاجل من همّه في الآجل؟ ولا ريب عند العقلاء أنّ من جاد بنفسه في القتال فهو بالمال أجود، ومن زهد في الدنيا المحبوبة فهو في الحطام الفاني أزهد، وقد عرفت زهدهم فاعرف به وفدهم، فإنّ الزاهد من زهد في حطامها وخاف من آثامها ورغب عن حلالها وحرامها، ولعلّك سمعت بما أتى في هل أتى من إيثارهم على أنفسهم، أليسوا الذين أطعموا الطعام على حبّه ورغب كلّ واحد منهم في الطوى لإرضاء ربّه، وعرضوا تلك الأنفس الكريمة لمرارة الجوع، وأسهروا تلك العيون الشريفة من الخوى[2]، فلم تذق حلاوة الهجوع[3]، وجعلوها لما وجدوه من الرقّة على المسكين واليتيم والأسير غرقى من الدموع وتكرّر عليهم ألم فقد الغذاء غدواً

---

(١) الخطي: الرماح المنسوبة إلى خط وهو مرفأ السفن ببحرين. والوشيج: شجر الرماح وقيل هو ما نبت من القنا والقصب معترضاً.

(٢) الخوى: خلو الجوف من الطعام.

(٣) الهجوع: النوم.

وبكوراً، وأضرم السغب[1] في قلوب أهل الجنّة سعيراً، وآمنوا حين قالوا: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ وشكرَهم من أنعموا عليه فقالوا: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ﴾.

والحسين عليه السلام وإن كان فرعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة عليهما السلام، فهو أصل لولده من بعده، وكلّهم أجواد كرام.

كرموا وجاد قبيلهم من قبلهم ... وبنوهم من بعدهم كرماء
فالناس أرض في السماحة والندى ... وهم إذا عدّ الكرام سماء
لو أنصفوا كانوا لآدم وحدهم ... وتفرّدت بولادهم حوّاء

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاءته أم هاني يوم الفتح تشكو أخاها علياً عليه السلام: لله درّ أبي طاب، لو ولد الناس كلّهم كانوا شجعاناً.

وكان علي عليه السلام يقول في بعض حروبه: أملكوا عنّي هذين الغلامين فإنّي أنفس بهما عن القتل لئلّا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقيل لمحمّد بن الحنفيّة رحمة الله عليه: أبوك يسمح بك في الحرب ويشحّ بالحسن والحسين عليهما السلام؟ فقال: هما عيناه وأنا يده، والإنسان يقي عينيه بيده.

(وقال) مرّة أخرى وقد قيل له ذلك: أنا ولده وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والحماسة والسماحة رضيعتا لبان، وقد تلازما في الجود فهما توأمان، فالجواد شجاع والشجاع جواد، وهذه قاعدة كليّة لا تنخرم، ولو خرج منها بعض الآحاد، ومن خاف الوصمة في شرفه جاد بالطريف والتلاد، وقد قال أبو تمام في الجمع بينهما فأجاد:

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ... ووغى ومبدي غارة ومعيداً
أيقنت أنّ من السماح شجاعة ... تدنى وأنّ من الشجاعة جوداً

وقال أبو الطيب:

قالوا ألم تكفه سماحته حتّى ... بنى بيته على الطّرقِ
فقلت إنّ الفتى شجاعته ... تريه في الشح صورة الفَرَقِ

---

(١) السغب: الجوع.

كن لُجّةً أيّها السّماحُ فقد آمنه سيفه من الغرق

ولهذا قال القائل:

يجود بالنفس إن ضنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقيل: الكريم شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه، ولمّا وصفهم معاوية وصف بني هاشم بالسخاء، وآل الزبير بالشجاعة، وبني مخزوم بالتيه، وبني أُميّة بالحلم، فبلغ ذلك الحسن بن علي عليهما السلام فقال: قاتله الله أراد أن يجود بنو هاشم بما في أيديهم فيحتاجوا إليه، وأن يشجّع آل الزبير فيقتلون، وأن يتيّه المخزوميّون فيمقتوا، وأن تحلم بنو أُميّة فيحبّهم الناس.

وقد تقدم هذا الكلام آنفاً بألفاظ وهي المروية، ولعمري لقد صدق في بعض مقاله وإن كان الصدق بعيداً من أمثاله، ولكن الكذوب قد يصدق، فإنّ السماحة في بني هاشم كما قال، والشجاعة والحلم فيهم في كلّ الأحوال، والناس في ذلك تبع لهم فهم عليهم كالعيال، فقد حازوا قصبات السبق لمّا جمعوه من شرف الخلال، فإذا تفرّقت في الناس خصال الخير اجتمعت فيهم تلك الخصال، وهذا القول هو الحق وما بعد الحق إلّا الضلال.

فإذا عرفت حقيقة هذا التقرير فاحكم لهم بالصفات المحمودة على كلّ تقدير، فإنّ أضدادها من الصفات المذمومة رجس، وقد طهّرهم الله من الرجس تطهيراً، واختارهم من تربته، واصطفاهم من عباده، وكان الله سميعاً بصيراً.

الثامن: في ذكر شيء من كلامه عليه السلام

قال كمال الدين رحمه الله تعالى: كانت الفصاحة لديه خاضعة، والبلاغة لأمره متّبعة سامعة طائعة، وقد تقدّم آنفاً من نثره في الفصل السادس في ذلك المقام الذي لا تفوّه فيه الأفواه من الفرق، ولا تنطق الألسنة من الوجل والقلق، ما فيه حجّة بالغة على أنّه في ذلك أفصح من نطق، وأمّا نظمه فيعد من الكلام جوهر عقد منظوم ومشهر برد مرقوم.

فمنه قطعة نقلها صاحب كتاب الفتوح وأنّه عليه السلام لمّا أحاط به جموع ابن زياد وقتلوا من قتلوا من أصحابه، ومنعوهم الماء، كان له عليه السلام ولد صغير فجاءه سهم منهم

فقتله، فزمله الحسين ﷺ[١] وحفر له بسيفه وصلّى عليه ودفنه، وقال:

غـدر القـوم وقـدماً رغـبوا ... عـن ثـواب الله ربّ الثـقلين
قـتلوا قـدماً عـليّاً وابـنه ... حسن الخير كريم الطـرفين[٢]
حسـداً مـنهم وقـالوا أجـمعوا ... نـقبل الآن جـميعاً بـالحسين
يـا لقـوم لأنـاس رذل ... جمعوا الجمع لأهـل الحـرمين
ثـمّ سـاروا وتـواصـوا كـلّهم ... لاجتياحي للرضا بالملحدين[٣]
لم يخافوا الله في سـفك دمـي ... لعـبيدالله نسـل الفـاجرين
وابـن سـعد قـد رمـاني عـنوة ... بـجنود كـوكوف الهـاطلين[٤]
لا لشـيء كـان مـنّي قـبل ذا ... غير فـخري بـضياء الفـرقدين
بـعلي خـير مـن بـعد النـبي ... والنـبي القـرشي الوالديـن
خـيرة الله مـن الخـلق أبـي ... ثـمّ أمّـي فأنـا ابـن الخـيرتين
فضّة قـد صـفيت مـن ذهب[٥] ... وأنـا الفـضّة وابـن الذهـبين
من له جدّ كـجدّي فـي الورى ... أو كشيخي فأنا ابـن القـمرين
فـاطم الزهـراء أمّـي وأبـي ... قـاصم الكـفر بـبدر وحـنين
وله فـي يـوم أحـد وقـعة ... شفت الغل بفضّ العسكـرين[٦]
ثـمّ بـالأحزاب والفـتح مـعاً ... كان فيها حتف أهـل القـبلتين
فـي سـبيل الله مـاذا صـنعت ... أمّة السوء مـعاً فـي العـترتين
عـترة البـر النـبي المـصطفى ... وعلي الورد بين الجـحفلين[٧]

وقال ـ وقد التقاه وهو متوجّه إلى الكوفة الفرزدق ابن غالب الشاعر وقال له: يابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل

---

(١) زمل الشيء ـ بالتخفيف ـ: حمله. وزمله بثوبه وغيره ـ بتشديد الميم ـ: لفّه.
(٢) وفي نسخة «كريم الأبوين».
(٣) الإجتياح: الإهلاك والإستئصال.
(٤) العنوة: القهر. والوكوف: السيلان. وهطل المطر: مطر متتابعاً متفرّقاً عظيم القطر.
(٥) وفي بعض النسخ «قد خلصت» مكان «قد صفيت».
(٦) الغل: الحقد، وفض القوم: فرقهم.
(٧) الورد: الأسد. والجحفل: الجيش الكثير.

وشيعته[١]، فترحّم على مسلم، وقال: صار إلى روح الله ورضوانه ـ: أمّا إنّه قضى ما عليه وبقي ما علينا، وأنشده:

وإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت ... فقتل امرىء والله بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الكسب أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

(هذا آخر كلام كمال الدين بن طلحة رحمه الله في هذا الفصل).

أقول: إنّهم عليهم السلام رجال الفصاحة وفرسانها، وحماة البلاغة وشجعانها، عليهم تهدّلت أغصانها، ومنهم تشعّبت أفنانها، ولهم انقادت معانيها وهم معانها، ولرياضتهم أطاع عاصيها وأصحب جرانها، إذا قالوا بذوالفصحاء، وإذا ارتجلوا سبقوا البلغاء، وإذا نطقوا أذعن كلّ قائل وأقرّ لهم كلّ حاف وناعل:

تركت والحسن تأخذه ... تنتقي منه وتنتخب
فاصطفت منه محاسنه ... واستزادت فضل ما تهب

بألفاظ تجاري الهواء رقّة، والصخر متانة، وحلم يوازي السماء ارتفاعاً، والجبال رزانة، أذعنت لهم الحكم، وأجابت نداءهم الكلم، وأطاعهم السيف والقلم، وصابوا وأصابوا فما صوب الديم[٢] ورثوا البيان كابراً عن كابر، وتسنّموا قلل الفضائل تسنّمهم متون المنابر، وتساووا في مضمار المعارف فالآخر يأخذ عن الأوّل والأوّل يملي على الآخر.

شرف تتابع كابراً عن كابر ... كالرمح أنبوباً على أنبوب[٣]

يفوح أرج النبوّة من كلامهم، ويعبق نشر الرسالة من نثرهم ونظامهم، وتعجز الأوائل والأواخر عن مقالهم، في كلّ موطن ومقامهم، فهم سادات الناس وقادتهم في

---

(١) والذي يظهر من رواية المفيد رحمه الله وغيره من أرباب السير أنّ التقائه عليه السلام الفرزدق إنّما هو قبل مجيء نعي مسلم بن عقيل بل وقبل قتله في الكوفة، لأنّ الإلتقاء وقع قبل العرفة خارج المكة بعد ما دخل الفرزدق في الحرم وقد قتل مسلم بن عقيل يوم الأربعاء لتسع خلون من ذي الحجة يوم عرفة وأتاه عليه السلام خبر قتله بالثعلبية بعد ما قضى الناس حجّهم بأيّام.

(٢) الديم: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٣) الأنبوب: مابين الكعبين من القصب والرمح.

جاهليّتهم وإسلامهم، فما ساجلهم في منقبة إلّا مغلب وما شابهم ماجد إلّا قيل أطمع من أشعب[١] شنشنة معروفة في السلف والخلف، وعادة شريفة ينكرها من أنكر ويعرفها من عرف.

ومن كلامه عليه السلام لمّا عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، صلّى الله على رسوله وسلّم، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيدة الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات[٢] بين النواويس وكربلاء فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً[٣]، وأجربة سغباً[٤]، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين، لن يشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه، وينتجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته وموطّناً على لقاءالله نفسه فليرحل فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله.

وخطب عليه السلام فقال:

يا أيها الناس نافسوا في المكارم[٥]، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذماً، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة له رأى أنّه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافاته فإنّه أجزل عطاءاً وأعظم أجراً، واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتحور نقماً[٦].

واعلموا أنّ المعروف مكسب حمداً، ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسرّ الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً[٧] مشوّهاً

---

(١) أشعب اسم رجل من أهل المدينة كان مولى لعثمان بن عفان وكان شديد الطمع يضرب به المثل.

(٢) الأوصال: المفاصل وقيل مجتمع العظام. والعسلان: عدو الذئب بسرعة واضطراب، وأراد عليه السلام بالعسلان الذئاب.

(٣) الأكراش جمع الكرش وهو لذي الخف والظلف بمنزلة المعدة للإنسان. وجوف جمع الأجوف.

(٤) السغب: الجوع.

(٥) نافس في الشيء: بالغ فيه ورغب على وجه المباراة في الكرم.

(٦) حار حوراً: رجع.

(٧) السمج: القبيح.

تنفر منه القلوب، وتغضّ دونه الأبصار.

أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإنّ أجود الناس من أعطى من لا يرجو، وإنّ أعفى الناس من عفى عن قدرة، وإنّ أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفّس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحبّ المحسنين.

قلت: هذا الفصل من كلامه عليه السلام وإن كان دالّاً على فصاحته ومبيّناً على بلاغته فإنّه دالّ على كرمه وسماحته وجوده وهبته، مخبر عن شرف أخلاقه وسيرته وحسن نيّته وسريرته، شاهد بعفوه وحلمه وطريقته، فإنّ هذا الفصل قد جمع مكارم أخلاق لكلّ صفة من صفات الخير فيها نصيب، واشتمل على مناقب عجيبة وما اجتماعها في مثله بعجيب.

وخطب عليه السلام فقال:

إنّ الحمل زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والإستكبار صلف[1]، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلوّ ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شرّ، ومجالسة أهل الفسق ريبة.

ولمّا قتل معاوية حجر بن عدي رضي الله عنه وأصحابه، لقى في ذلك العام الحسين عليه السلام فقال: يا أبا عبدالله هل بلغك ما صنعت بحجر وأصحابه من شيعة أبيك؟ قال: لا، قال: إنّا قتلناهم وكفنّاهم وصلّينا عليهم، فضحك الحسين عليه السلام ثمّ قال: خصمك القوم يوم القيامة، يا معاوية أما والله لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفنّاهم ولا صلّينا عليهم[2]، وقد بلغني وقوعك بأبي حسن وقيامك به واعتراضك بني هاشم بالعيوب، وأيم الله لقد

---

(١) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف، والبراعة والإدّعاء فوق ذلك تكبّراً.

(٢) كأنّ مراده عليه السلام أنّك بفعالك هذا فقد أقررت بأنّهم مسلمون مؤمنون قتلتهم جوراً وظلماً، ولكن شيعتك خارج عن زمرة المسلمين والمؤمنين عندنا فإنّ المسلم يجب تغسيله وتكفينه والصلاة عليه إذا مات ولو كان مرتكباً للكبائر.

أوترت غير قوسك، ورميت غير غرضك، وتناولتها بالعداوة من مكان قريب، ولقد أطعت امرئاً ما قدم إيمانه ولا حدث نفاقه، وما نظر لك فانظر لنفسك أو دع؛ يُريد عمرو بن العاص.

قال أنس: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيّته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرّة لوجه الله، فقلت: تحيّيك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ قال: كذا أدّبنا الله، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتم بتحيّة فَحَيُّوا بأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها** ﴾ وكان أحسن منها عتقها.

وقال يوماً لأخيه الحسن عليهما السلام: يا حسن وددت أنّ لسانك لي وقلبي لك.

وكتب إلى الحسن عليه السلام يلومه على إعطاء الشعراء، فكتب إليه: أنت أعلم منّي بأنّ خير المال ما وقى العرض.

فانظر أيّدك الله إلى حسن أدبه في قوله: أنت أعلم منّي فإنّ له حظّاً من اللطف تامّاً، ونصيباً من الإحسان وافراً، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ومن دعائه عليه السلام: اللهمّ لا تستدرجني بالإحسان، ولا تؤدّبني بالبلاء.

وهذا دعاء شريف المقاصد، عذب الموارد، قد جمع بين المعنى الجليل واللفظ الجزل القليل، وهم مالكُ الفصاحة حقّاً وغيرهم عابر سبيل.

ودعاه عبدالله بن الزبير وأصحابه فأكلوا ولم يأكل الحسين عليه السلام، فقيل له: ألا تأكل؟ قال: إنّي صائم ولكن تحفة الصائم، قيل: وما هي؟ قال: الدهن والمجمر.

وجنى له غلام جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي ﴿ **والكَاظِمينَ الغَيْظ** ﴾ قال: خلّوا عنه، فقال: يا مولاي ﴿ **والعَافِينَ عَنِ النَّاس** ﴾ قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿ **واللهُ يُحِبُّ المُحسنين** ﴾ قال: أنت حرٌّ لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك.

وقال الفرزدق: لقيني الحسين عليه السلام في منصرفي من الكوفة، فقال: ما وراك يا أبا فراس؟ قلت: أصدقك؟ قال عليه السلام: الصدق أريد، قلت: أمّا القلوب فمعك، وأمّا السيوف فمع بني أُميّة، والنصر من عند الله، قال: ما أراك إلّا صدقت، الناس عبيد المال والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون.

وقال عليه السلام: من أتانا لم يعدم خصلة من أربعة: آية محكمة، وقضيّة عادلة، وأخاً

مستفاداً، ومجالسة العلماء.

وكان عليه السلام يرتجز يوم قُتل عليه السلام ويقول:

الموت خير من ركوب العار والعار خير من دخول النار

والله من هذا وهذا جاري

وقال عليه السلام: صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن ردّه.

وكان يقول: حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا النعم فتحور نقماً، وقد ذكرناه آنفاً.

ولمّا نزل به عمر بن سعد لعنه الله وأيقن أنّهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً وأثنى عليه وقال:

إنّه قد نزل بنا من الأمر ما ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرّت حذاء حتّى لم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء[1] وإلّا خسيس عيش كالكلاء الوبيل[2]، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، والباطل لا يتناهىٰ عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً[3].

(هذا الكلام ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء).

وقيل: كان بينه وبين الحسن عليه السلام كلام فقيل للحسين عليه السلام: أدخل على أخيك فهو أكبر منك، فقال: إنّي سمعت جدّي صلى الله عليه وآله يقول: أيّما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضى الآخر كان سابقاً إلى الجنّة، وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر، فبلغ قوله الحسن عليه السلام فأتاه عاجلاً.

وأنت أيّدك الله متى أردت أن تعرف مناقب هؤلاء القوم ومزاياهم، وخلالهم الشريفة وسجاياهم، وتقف على حقيقة فضلهم الجزيل، وتطلع من أحوالهم على الجملة والتفصيل، وتعلم ما لهم من المكانة بالبرهان والدليل، فتدبّر كلامهم في مواعظهم وخطبهم، وأنحائهم ومقاصدهم وكتبهم، تجده مشتملاً على المفاخر التي

---

(١) الصبابة: بقيّة الماء في الإناء.

(٢) الوبيل: المرعى الوخيم. وطعام وبيل: يخاف على وباله أي سوء عاقبة.

(٣) البرم ـ بالفتح ـ: الضجر والملالة.

جمعوها، وغوارب الشرف التي افترعوها، وغرائب المحاسن التي سنوها وشرعوها، فإنّ أفعالهم تناسب أقوالهم، وكلّها تشبه أحوالهم، فالإناء ينضح بما فيه، والولد بضعة من أبيه، وليس من يضلّه الله كمن يهديه، ولا من أذهب عنه الرجس وطهّره كمن حار في ليل الباطل فهو أبداً فيه، والكريم يحذو حذو الكريم، والشرف الحادث دليل على الشرف القديم، والأُصول لا تخيب، والنجيب ابن النجيب، وما أشدّ الفرق بين البعيد والقريب، والأجنبي والنسيب.

فالواحد منهم عليه السلام يجمع خلال الجميع، ويدلّ على أهل بيته دلالة الزهر على الربيع، ولو اقتصرت على ذكر مناقب أحدهم عليه السلام لم أك في حقّ الباقين مقصراً، ولناداني لسان الحال: اكتف بما ذكرت، فدليل على الذي لا تراه الذي ترى، نفعني الله بحبّهم وقد فعل، وألحقني بتربة أوليائهم ومحبّيهم الأوّل، وأوزعني أن أشكر فضله وإن عظم عن الشكر وجل.

فأمّا شعره عليه السلام فقد ذكر الرواة له شعراً، ووقع إليّ شعره عليه السلام بخط الشيخ عبدالله أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب النحوي رحمة الله عليه وفيه: قال أبو مخنف لوط بن يحيى: أكثر ما يرويه الناس من شعر سيّدنا أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام إنّما هو ما تمثّل به، وقد أخذت شعره من مواضعه واستخرجته من مظانّه وأماكنه، ورويته عن ثقات الرجال منهم عبدالرحمان بن نخبة الخزاعي، وكان عارفاً بأمر أهل البيت عليهم السلام، ومنهم المسيّب بن رافع المخزومي وغيره رجال كثير، ولقد أنشدني يوماً رجل من ساكني سلع[1] هذه الأبيات، فقلت له: أكتبنيها، فقال لي: ما أحسن رداءك هذا؟ وكنت قد اشتريته يومي ذاك بعشرة دنانير، فطرحته عليه فأكتبنيها وهي:

قال أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي عليه السلام:

ذهب الذين أحبّهم ... وبقيت فيمن لا أحبّه
فيمن أراه يسبّني ... ظهر المغيب ولا أسبّه
يبغي فسادي ما استطاع ... وأمره ممّا أدبّه

---

(١) سلع ـ بفتح السين وسكون اللام ـ: موضع بقرب المدينة وحصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس.

حنقاً يـدبّ إلى الضـراء ... وذاك مـمّا لا أدبّـه
ويرى ذبـاب الشـرّ مـن ... حولي يطنّ ولا يـذبّه[١]
وإذا جـنا وغـر الصدور ... فـلا يـزال بـه يشـبّه[٢]
أفـلا يـعيج بـعقله ... أفلا يـثوب إليـه لبّـه[٣]
أفـلا يـرى أن فـعله ... ممّا يسور إليـه غـبّه[٤]
حسـبي بـربّي كـافياً ... ما أختشي والبغي حسبه
ولقلّ مـن يـبغى عـليه ... فـما كـفاه الله ربّـه[٥]

وقال عليه السلام:

إذا ما عضّك الدهر فلا تجنح إلى خـلق ... ولا تسأل سوى الله تعالى قـاسم الرزق
فلو عشت وطوّفت من الغرب إلى الشرق ... لما صادفت من يقدر أن يسعد أو يشقي

وقال عليه السلام:

الله يـعلم أنّ مـا يـبدي يـزيد لغـيره ... وبأنّـه لم يكـتسبه بـغيره وبـميره[٦]
لو أنصف النفس الخؤن لقصرت من سيره ... ولكان ذلك منه أدنى شـره مـن خـيره

كذا بخطّ ابن الخشّاب شره بالإضافة، وأظنّه وهماً منه، لأنّه لا معنى له على الإضافة، والمعنى أنّه لو أنصف نفسه أدنى الإنصاف شره على المفعوليّة من خيره، أي صار ذا خير.

وقال عليه السلام:

إذا استنصر المرء امرئاً لا يـدأ له ... فـناصره والخـاذلون سـواء
أنا ابن الذي قد تـعلمون مكـانه ... وليس على الحقّ المبين طخاء[٧]
أليس رسـول الله جـدّي ووالدي ... أنا البدر إن خـلّا النـجوم خـفاء

---

(١) طن الذباب: صوت.
(٢) وغر الصدور: حرّها. وجنا: سكن. وبشبه: يشعله ويوقده.
(٣) يعيج: يقيم ويرجع. ويثوب: يرجع. ولبّه: عقله.
(٤) سار إليه سوراً: وثب وثار. وغب الأمر: عاقبته وآخره.
(٥) ويروى: «إلّا كفاه البغي ربّه».
(٦) قال أبو مخنف: يقال غار الرجل وغار لهم ومار بهم ومار لهم وهي الغيرة والميرة.
(٧) الطخاء: السحاب المرتفع، وما في اسماء طخية بالضم: أي شيء من السحاب، والطخياء ممدوداً: الليلة المظلمة وظلام طاخ.

ألم ينزل القرآن خلف بيوتنا صباحاً ومن بعد الصباح مساء
ينازعني والله بيني وبينه يزيد وليس الأمر حيث يشاء
فيا نصحاء الله أنتم ولاته وأنتم على أديانه أُمناء
بأيّ كتاب أم بأيّة سنّة تناولها عن أهلها البعداء

وهي طويلة.

قال أبو مخنف: كان مولانا الحسين بن علي صلوات الله عليهما يظهر الكراهية لما كان من أمر أخيه الحسن عليه السلام مع معاوية ويقول: لو حزّ أنفي بموسى لكان أحب إليّ ممّا فعله أخي، وقال عليه السلام:

فما ساءني شيء كما ساءني أخي ولم أرض لله الذي كان صانعاً
ولكن إذا ما الله أمضى قضاءه فلابدّ يوماً أن ترى الأمر واقعاً
ولو أنّني شُوِرتُ فيه لما رأوا قريبهم إلّا عن الأمر شاسعاً
ولم أك أرضى بالذي قد رضوا به ولو جمعت كلّ إليّ المجامعا
ولو حز أنفي قبل ذلك حزة بموسى لما ألقيت للصلح تابعاً

قلت: إن صحّ أنّ هذه الأبيات من شعره عليه السلام فكلّ منهما يرى المصلحة بحسب حاله ومقتضى زمانه، وكلاهما عليهما السلام مصيبان فيما اعتمدا، وهما إمامان سيّدان قاما أو قعدا، فلا يتطرّق عليهما عليهما السلام مقال وهما أعرف بالأحوال في كلّ حال[1].

وقال: وإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة، وقد تقدّم ذكرها.

وقال: الموت خير من ركوب العار، وقد سبقت.

وقال عليه السلام:

أنا الحسين بن علي بن أبي طالب البدر بأرض العرب
ألم ترو وتعلموا أنّ أبي قاتل عمرو ومبير مرحب
ولم يزل قبل كشوف الكرب مجلياً ذلك عن وجه النبي
أليس من أعجب عجب المعجب أن يطلب الأبعد ميراث النبي

والله قد أوصى بحفظ الأقرب

---

(١) والظاهر أنّ هذه الأبيات منقوّلة عليه صلوات الله عليه لأنّها بظاهرها مخالفة لما ذهبت إليه الإمامية ولم يوجد منها أثر في مؤلفات أصحابنا وأبو مخنف هذا فقد قيل أنّه عامي لا يعبأ بما تفرّد بنقله.

وقال عليه السلام:

ما يحفظ الله يصن ... ما يصنع الله يهن
من يسعد الله يلن ... له الزمان إن خشن
أخي اعتبر لا تغترر ... كيف ترى صرف الزمن
يجزي بما أوتى من ... فعل قبيح أو حسن
أفلح عبد كشف ... الغطاء عنه فطن
وقرّ عيناً من رأى ... أنّ البلاء في اللسن
فماز من ألفاظه ... في كلّ وقت ووزن[1]
وخاف من لسانه ... عزباً حديداً فحزن
ومن يك معتصماً ... بالله ذي العرش فلن
يضرّه شيء ومن ... يعدى على الله ومن
من يأمن الله يخف ... وخائف الله أمن
وما لما يثمره الـ ... ـخوف من الله ثمن
يا عالم السرّ كما ... يعلم حقّاً ما علن
صلّ على جدّي أبي ... القاسم ذي النور المبن
أكرم من حي ومن ... لفّف ميتاً في الكفن
وامنن علينا بالرضا ... فأنت أهل للمنن
وأعفنا في ديننا ... من كلّ خسر وغبن
ما خاب من خاب كمن ... يوماً إلى الدنيا ركن
طوبى لعبد كشّفت ... عنه غياهبات الوسن
والموعد الله وما ... يقض به الله يكن

وهي طويلة. وقال عليه السلام:

أبي على وجدّي خاتم الرسل ... والمرتضون لدين الله من قبلي
والله يعلم والقرآن ينطقه ... إنّ الذي بيدي من ليس يملك لي

---

(١) ماز الشيء: عزله.

ما يرتجي بامرىء لا قائل عذلا[1] ولا يـزيغ إلى قـول ولا عـمل
ولا يرى خـائفاً فـي سـرّه وجـلا ولا يـحاذر مـن هـفو ولا زلل
يا ويح نفسي ممّن ليس يرحمهما أمـا له فـي كـتاب الله مـن مـثل
أما له في حـديث النـاس مـعتبر مـن المـمالقة العـادية الأول
يا أيها الرجـل المـغبون شـيمته إنّي ورثت رسـول الله عـن رسـل
أأنت أولى بـه مـن آله فـبما ترى اعتللت وما في الدين من علل

وفيها أبيات أخر.

يـا نكـبات الدهـر دولي دولي واقصري إن شئت أو أطـيلي[2]

منها:

رمـيتني رمـية لا مـقيل بكـلّ خـطب فـادح جـليل
وكـلّ غبء أيّـد ثـقيل أوّل مـا رزئت بـالرسول
وبـعد بـالطاهرة البـتول والوالد البـرّ بـنا الوصـول
وبالشقيق الحسن الجـليل والبيت ذي التأويل والتنزيل
وزورنا المعروف من جـبريل فما له في الرزء مـن عـديل
مالك عنّي اليوم مـن عـدول وحسبي الرحمان من مـنيل

قال: تمّ شعر مولانا الشهيد أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو عزيز الوجود.

قلت: والأبيات النونية التي أوّلها:

غـدر القـوم وقـدماً رغـبوا عن ثـواب الله ربّ الثـقلين

لم يذكرها أبو مخنف في هذا الديوان الذي جمعه وهي مشهورة والله أعلم.

التاسع: في أولاده عليه وعليهم السلام

قال كمال الدين: كان له من الأولاد ذكور وإناث عشرة؛ ستة ذكور وأربع إناث، فالذكور: علي الأكبر، وعلي الأوسط وهو زين العابدين، وسيأتي ذكره في بابه إن شاء

---

(١) العذل: الملامة.

(٢) دال الأيام: دارت. ودال الزمان: انقلب من حال إلى حال.

الله، وعلي الأصغر، ومحمّد وعبدالله وجعفر.

فأمّا علي الأكبر فإنّه قاتل بين يدي أبيه حتّى قُتل شهيداً.

وأمّا علي الأصغر فجاءه سهم وهو طفل فقتله، وقيل: إنّ عبدالله قُتل أيضاً مع أبيه شهيداً.

وأمّا البنات: فزينب، وسكينة، وفاطمة، هذا قول مشهور.

وقيل: كان له أربع بنين وبنتان، والأوّل أشهر.

وكان الذكر المخلّد والبناء المنضّد، مخصوصاً من بين بنيه بعلي الأوسط زين العابدين دون بقيّة الأولاد (آخر كلامه).

قلت: عدّد أولاده عليهم السلام وذكر بعضاً وترك بعضاً.

قال ابن الخشّاب: ولد له ستّة بنين وثلاث بنات: علي الأكبر الشهيد مع أبيه، وعلي الإمام سيّد العابدين، وعلي الأصغر، ومحمّد، وعبدالله الشهيد مع أبيه، وجعفر، وزينب، وسكينة، وفاطمة.

وقال الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي: ولد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ستّة؛ أربعة ذكور، وابنتان: علي الأكبر قُتل مع أبيه، وعلي الأصغر، وجعفر، وعبدالله، وسكينة، وفاطمة، قال: ونسل الحسين من علي الأصغر، وأُمّه أُم ولد، وكان أفضل أهل زمانه. وقال الزهري: ما رأيت هاشمياً أفضل منه.

قلت: قد أخلّ الحافظ بذكر علي زين العابدين، حيث قال: علي الأكبر وعلي الأصغر، وأثبته حيث قال: ونسل الحسين من علي الأصغر، فسقط في هذه الرواية علي الأصغر، والصحيح أنّ العليين من أولاده ثلاثة كما ذكر كمال الدين، وزين العابدين عليهم السلام هو الأوسط، والتفاوت بين ما ذكره كمال الدين والحافظ أربعة.

قال الشيخ المفيد: باب ذكر ولد الحسين عليهم السلام: كان للحسين عليهم السلام ستّة أولاد: علي بن الحسين الأصغر وكنيته أبو محمّد، وأُمّه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار ملك الفرس، وعلي بن الحسين الأكبر قُتل مع أبيه بالطف، وأُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّة وجعفر بن الحسين لا بقيّة له وأُمّه قضاعيّة، وكانت وفاته في حياة الحسين عليهم السلام، وعبدالله بن الحسين قُتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو في حجر

أبيه فذبحه، وسكينة بنت الحسين، وأُمّها الرباب بنت امرىء القيس بن عدي كلبية، وهي أُم عبدالله بن الحسين، وفاطمة بنت الحسين، وأُمّها أُم إسحاق بنت طلحة بن عبدالله تيميّة.

قلت: المفيد رحمه الله قد وافق الحافظ عبدالعزيز على العدّة والتفصيل وعلى قولهما فالعليان اثنان، والمشهور ثلاثة والله أعلم، وعقبه كلّه من الإمام زين العابدين، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

العاشر: في عمره عليه السلام

قال كمال الدين رحمه الله: قد تقدم القول في ولادته عليه السلام أنّها كانت في سنة أربع من الهجرة، وكان انتقاله إلى الدار الآخرة على ما سيأتي تفصيله وبيانه في سنة إحدى وستّين من الهجرة، فتكون مدّة عمره ستاً وخمسين سنة وأشهراً كان منها مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين وشهوراً، وكان مع أبيه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاثين سنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وكان مع أخيه الحسن بعد وفاة أبيه عليه السلام عشر سنين وبقي بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام إلى وقت مقتله عشر سنين.

قال ابن الخشّاب: حدّثنا حرب بإسناده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: مضى أبو عبدالله الحسين بن علي، أُمّه فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وعليهم أجمعين وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام الستّين من الهجرة في يوم عاشوراء، كانه مقامه مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين إلّا ماكان بينه وبين أبي محمّد وهو سبعة أشهر وعشرة أيّام، وأقام مع أبيه عليه السلام ثلاثين سنة، وأقام مع أبي محمّد عشر سنين، وأقام بعد مضي أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين، فكان عمره سبعاً وخمسين سنة إلّا ماكان بينه وبين أخيه من الحمل، وقبض في يوم عاشوراء في يوم الجمعة في سنة إحدى وستّين من الهجرة، ويقال في يوم عاشوراء في يوم الإثنين وكان بقائه بعد أخيه الحسن عليه السلام أحد عشر سنة.

وقال الحافظ عبدالعزيز: الحسين بن علي بن أبي طالب وأُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولد في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وقُتل بالطف يوم

عاشورا سنة إحدى وستّين، وهو ابن خمس وخمسين سنة وستّة أشهر.

قلت: قد اتفقوا في التاريخ واختلفوا في الحساب، والحقّ منهما يظهر لمن اعتبره.

قال الشيخ المفيد في إرشاده: ومضى الحسين عليه السلام في يوم السبت العاشر من المحرم سنة إحدى وستّين من الهجرة بعد صلاة الظهر منه قتيلاً مظلوماً ظمآن صابراً محتسباً، وسنّه يومئذ ثمان وخمسون سنة، أقام منها مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، ومع أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام ثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين، وكانت مدّه خلافته بعد أخيه إحدى عشر سنة، وكان عليه السلام يخضب بالحناء والكتم[1]، وقُتل عليه السلام وقد نصل الخضاب من عارضيه[2].

وقد جاءت روايات كثيرة في فضل زيارته بل في وجوبها، **فروي** عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: زيارة الحسين بن علي عليه السلام واجبة على كلّ من يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّوجلّ.

وقال عليه السلام: زيارة الحسين تعدل مائة حجة مبرورة ومائة عمرة متقبّلة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار الحسين عليه السلام بعد موته فله الجنّة، والأخبار في هذا الباب كثيرة وقد أوردنا منها جملة كافية في كتابنا المعروف بمناسك المزار (إنتهى كلامه).

قلت: من أعجب ما يحكي أنّهم اتّفقوا أنّه ولد عليه السلام في سنة أربع من الهجرة، وقُتل في عاشر المحرّم من سنة إحدى وستّين واختلفوا بعد في مدّة حياته ما هذا إلّا عجيب[3]، وأنت إذا عرفت مولده وموته عرفت مدّة عمره من طريق قريب.

الحادي عشر: في مخرجه إلى العراق

قال كمال الدين بن طلحة رحمه الله: هذا فصل للقلم في أرجائه مجال واسع ومقال

---

(١) الكتم ـ محركة ـ: نبات يخضب به.

(٢) نصل اللحية: خرجت من الخضاب.

(٣) لكنّك قد عرفت الإختلاف في رواية ابن الخشاب عن الصادق عليه السلام ففي صدرها إنّه عليه السلام مضى في عام الستين وفي الذيل إنّه عليه السلام قبض في يوم عاشوراء في سنة إحدى وستين من الهجرة فلعلّ بعض الإختلاف نشأ من هذا الوجه.

جامع، وسمع كلّ مؤمن وقلبه إليه وله مصيخ وسامع، لكن الرغبة في الإختصار تطوي أطراف بساطه، والرهبة من الإكثار تصدف عن تطويله وإفراطه، وحين وقف على أصله وزائده خصّ الأصل بإثباته والزائد بإسقاطه.

وذلك أنّ معاوية لمّا استخلف ولده يزيد ثمّ مات، كتب يزيد كتاباً إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو يومئذ والي المدينة، يحثّه فيه على أخذ البيعة من الحسين عليه السلام، فرأى الحسين أموراً اقتضت أنّه خرج من المدينة قاصداً إلى مكّة وأقام بها، ووصل الخبر إلى الكوفة بموت معاوية وولاية يزيد مكانه، فاتّفق منهم جمع جمّ وكتبوا كتاباً إلى الحسين يدعونه إليهم، ويبذلون له فيه القيام بين يديه بأنفسهم وأموالهم، وبالغوا في ذلك وتتابعت إليه الكتب نحواً من مائة وخمسين كتاباً من كلّ طائفة وجماعة كتاب، يحثّونه فيها على القدوم، وآخر ما ورد عليه كتاب من جماعتهم على يد قاصدين من ثقاتهم وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي أميرالمؤمنين من شيعته وشيعة أبيه علي أميرالمؤمنين، سلام الله عليك، أمّا بعد؛ فإنّ الناس منتظروك ولا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، يابن رسول الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب عليه السلام جوابهم وسيّر إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل، فوصل إليهم وجرت له قضايا ووقائع لا حاجة إلى ذكرها، وآل الأمر إلى أنّ الحسين توجّه بنفسه وأهله وأولاده إلى الكوفة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وكان عند وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة واجتماع الشيعة إليه وأخذه البيعة للحسين بن علي عليهما السلام، كتب والي الكوفة وهو النعمان بن بشير إلى يزيد بذلك، فجهّز عبيدالله بن زياد إلى الكوفة، فلمّا قرب منها تنكّر ودخلها ليلاً وأوهم أنّه الحسين، ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز، فصار يجتاز بجماعة جماعة فيسلّم عليهم ولا يشكّون في أنّه هو الحسين عليه السلام، فيمشون بين يديه ويقولون: مرحباً يابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى عبيدالله من تباشرهم بالحسين ما ساءه، وكشف أحوالهم وهو ساكت لعنه الله.

فلمّا دخل قصر الإمارة وأصبح، جمع الناس وقال وأرعد وأبرق وقتل وفتك وسفك وانتهك، وعمله وما اعتمده مشهور في تحيله حتّى ظفر بمسلم بن عقيل وقتله.

وبلغ الحسين عليه السلام قتل مسلم وما اعتمده عبيدالله بن زياد وهو متجهّز للخروج

إلى الكوفة، فاجتمع به ذووا النصح له والتجربة للأمور وأهل الديانة والمعرفة كعبدالله ابن عباس وعمر بن عبدالرحمان بن الحرث المخزومي وغيرهما، ووردت عليه كتب أهل المدينة من عبدالله بن جعفر وسعيد بن العاص وجماعة كثيرين كلّهم يشيرون عليه أن لا يتوجّه إلى العراق، وأن يقيم بمكّة، هذا كلّه والقضاء غالب على أمره، والقدر آخذ بزمامه، فلم يكترث بما قيل له ولا بما كتب إليه، وتجهّز وخرج من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية الثامن من ذي الحجة، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهله وشيعته ومواليه، فسار فلمّا وصل إلى الشقوق وإذا هو بالفرزدق الشاعر وقد وافاه هنالك، فسلّم عليه ثمّ دنا منه وقبّل يده، فقال له الحسين عليه السلام: من أين أقبلت يا أبا فراس؟ فقال: من الكوفة، فقال له: كيف تركت أهل الكوفة؟ فقال: خلّفت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أُميّة عليك، وقد قلّ الديّانون، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، وجرى بينهما كلام قد تقدم ذكره في آخر الفصل الثامن.

ثمّ ودّعه الفرزدق في نفر من أصحابه ومضى يريد مكّة، فقال له ابن عمّ له من بني مجاشع: يا أبا فراس هذا الحسين بن علي؟ قال له الفرزدق: نعم هذا الحسين بن علي وابن فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى صلّى الله عليه وعليهم، هذا والله ابن خيرة الله وأفضل من مشى على وجه الأرض الان، وقد كنت قلت فيه قبل اليوم أبياتاً غير متعرّض لمعروفه، بل أردت بذلك وجه الله والدار الآخرة، فلا عليك أن تسمعها؟ فقال ابن عمّه: إن رأيت أن تسمعنيها أبا فراس، فقال: قلت فيه وفي أُمّه وابيه وجدّه عليهم السلام:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العَلَم
هذا حسين رسول الله والده ... أمست بنور هداه تهتدي الأمم
هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها ... في جنّة الخلد مجرياً به القلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
بكفّه خيزران ريحه عبق ... بكفّ أروع في عرنينه شمم
يغضي حياءاً ويغضى من مهابته ... فما يكلّم إلّا حين يبتسم
ينشقّ نور الدجى عن نور غرّته ... كالشمس تنشقّ عن إشراقها الظلم

مشتقّة من رسول الله نبعته ... طابت أرومته والخيم والشيم
من معشر حبّهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع الضرّ والبلوى بحبّهم ... ويستقيم به الإحسان والنعم
إن عدّ أهل الندى كانوا أئمّتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع مجار بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
بيوتهم في قريش يستضاء بها ... في النائبات وعند الحكم إن حكموا
فجدّه من قريش في أرومتها ... محمّد وعلي بعده عَلَم
بدر له شاهد والشعب من أحد ... والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبر وحنين يشهدان له ... وفي قريظة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت أقدارها ونمت ... آثارها لم تنلها العرب والعجم

آخر كلامه.

قلت: وأظنّه نقل هذا الكلام والقصيدة من كتاب الفتوح لابن أعثم، فإنّي طالعته في زمان الحداثة، ونسب هذه القصيدة إلى الفرزدق في الحسين ﷺ والذي عليه الرواة مع اختلاف كثير في شيء من أبياتها وإنّها للحرّ بن الليثي، قالها في قثم بن العباس ﷺ، وأنّ الفرزدق أنشدها لعلي بن الحسين، ولها قصّة تأتي في أخباره إن شاء الله تعالى، ولو كان هذا وأمثاله من موضوع هذا الكتاب لذكرت القصيدة ونسبت كلّ بيت منها إلى قائله، ولكنّه وضع لغير هذا.

وفي مسير الحسين ﷺ من المدينة إلى مكّة ومنها إلى العراق أحوال وأُمور اختصرها الشيخ كمال الدين، وهي مشهورة معلومة منقولة، لا يكاد يخلو مصنّف في هذا الشأن منها، والله تعالى يعلم أنّي لا أحب الخوض في ذكر مصرعه ﷺ، وما جرى عليه وعلى أهل بيته وتبعه، فإنّ ذلك يفتّت الأكباد، ويفتّ في الأعضاد، ويضرم في القلب ناراً وارية الزناد، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، ونحن نتبع الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى في اختصاره واقتفاء آثاره، قال:

الثاني عشر: في مصرعه ومقتله ﷺ

قال كمال الدين بن طلحة ﷺ: وهو فصل يسكب مضمونه المدامع من الأجفان، وتجلب الفجائع لإثارة الأحزان، ويلهب نيران الموجدة في أكباد ذوي

الإيمان بما أجرته الأقدار للفجرة من اجترائها وفتكها، واعتدائها على الذريّة النبويّة لسفح دمائها وسفكها، واستبائها مصونات نسائها وهتكها، حتّى تركوا لمم رجالها بنجيعها مخضوبة، وأشلاء جثثها عل يالثرى مسلوبة، ومخدّرات حراير سبايا منهوبة، فكم كبيرة من جريمة ارتكبوها واجترموها، وكم من نفس معصومة أرهقوها واخترموها، وكم من دماء محرّمة أراقوها وما احترموها، وكم من كبد حرّى منعوها ورود الماء وحرموها، ثمّ احتزّوا رأس سبط رسول الله وحِبّه[1] الحسين بشبا الحداد، ورفعوه كما ترفع رؤوس ذوي الإلحاد على رؤوس الصعاد، واخترقوا به أرجاء البلاد بين العباد، واستاقوا حرمه وأطفاله أذلّاء من الإضطهاد، وأركبوهم على أخشاب الأقتاب بغير وطاء ولا مهاد، هذا مع علمهم بأنّهم الذريّة النبويّة المسؤول لها المودّة بصريح القرآن وصحيح الإسناد، فلو نطقت السماء والأرض لرثت لها ورثتها ولو اطّلعت عليها مردة الكفّار لبكتها وندبتها، ولو حضرت مصرعها، عتاة الجاهلية لابنتها ونعتها، ولو شهدت وقعتها بغاة الجبابرة لأعانتها ونصرتها، فيا لها مصيبة أنزلت الرزيّة بقلوب الموحّدين وأورثتها، وبليّة أحلّت الكآبة بنفوس المؤمنين سلفاً وخلفاً فأحزنتها، فوا لهفاه لذريّة نبويّة طلّ دمها، وعترة محمّدية قلّ مخذمها، وعصبة علويّة خذلت فقتل مقدمها، وزمرة هاشميّة استبيح حرمها واستحلّ محرمها، وأنا الآن أفصل هذا الإجمال وأوضحه وابين تفصيله وأشرحه.

وهو أنّ الحسين عليه السلام سار حتّى صار على مرحلتين من الكوفة، فوافاه إنسان يقال له الحرّ بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس من أصحاب ابن زياد شاكّين في السلاح، فقال للحسين عليه السلام: إنّ الأمير عبيدالله بن زياد قد أمرني أن لا أُفارقك أو أقدم بك عليه، وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك، غير أنّي قد أخذت ببيعة القوم، فقال الحسين عليه السلام: إنّي لم أقدم هذا البلد حتّى أتتني كتب أهله، وقدمت عَلَيّ رسلهم يطلبونني، وأنتم من أهل الكوفة، فإن دمتم على بيعتكم وقولكم في كتبكم دخلت مصركم وإلّا انصرفت من حيث أتيت، فقال له الحر: والله ما أعلم هذه الكتب ولا الرسل، وأنا فما يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، فخذ طريقاً غير هذه وارجع فيه حيث شئت، لأكتب إلى ابن زياد أنّ الحسين خالفني الطريق فلم أقدر عليه،

---

(١) الحب ـ بالكسر ـ: المحبوب.

وأنشدك الله في نفسك.

فسلك الحسين طريقاً آخر غير الجادة راجعاً إلى الحجاز، وسار هو وأصحابه طول ليلتهم، فلمّا أصبح الحسين عليه السلام وإذا قد ظهر الحرّ وجيشه، فقال الحسين: ما وراك يابن يزيد؟ فقال: وافاني كتاب ابن زياد يؤنّبني في أمرك وقد سيّر من هو معي وهو عين عَلَيّ ولا سبيل إلى مفارقتك أو أقدم بك عليه، وطال الكلام بينهما ورحل الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه فنزلوا كربلاء يوم الأربعاء أو الخميس على ما قيل الثاني من المحرّم.

فقال عليه السلام: هذه كربلاء موضع كرب وبلاء هذا مناخ ركابنا، ومحطّ رحالنا، ومقتل رجالنا، فنزل القوم وحطّوا الأثقال، ونزل الحرّ بنفسه وجيشه قبالة الحسين عليه السلام، ثمّ كتب إلى عبيدالله بن زياد وأعلمه بنزول الحسين عليه السلام بأرض كربلاء.

فكتب عبيدالله كتاباً إلى الحسين عليه السلام يقول فيه: أمّا بعد فقد بلغني يا حسين نزولك بكربلاء، وقد كتب إليّ يزيد بن معاوية أن لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام.

فلمّا ورد الكتاب إلى الحسين عليه السلام وقرأه القاه من يده وقال للرسول: ماله عندي جواب، فرجع الرسول إلى ابن زياد فاشتدّ غضبه وجمع الناس وجهّز العساكر وسيّر مقدمها عمر بن سعد، وكان قد ولّاه الري وأعمالها، وكتب له بها فاستعفى من خروجه إلى قتال الحسين، فقال له ابن زياد: إمّا أن تخرج وإمّا أن تعيد علينا كتابنا بتوليتك الري وأعمالها، وتقعد في بيتك، فاختار ولاية الري وطلع إلى قتال الحسين بالعساكر.

فما زال عبيدالله بن زياد يجهّز مقدماً ومعه طائفة من الناس إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد اثنان وعشرون ألفاً مابين فارس وراجل، وأوّل من خرج إلى عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن السكوني في أربعة آلاف فارس، ثمّ زحف خيل عمر بن سعد حتّى نزلوا شاطىء الفرات، وحالوا بين الماء وبين الحسين وأصحابه.

ثمّ كتب عبيدالله كتاباً إلى عمر بن سعد يحثّه على مناجزة الحسين عليه السلام، فعندها ضيّق الأمر عليهم، فاشتدّ عليهم الأمر والعطش، فقال إنسان من أصحاب الحسين عليه السلام يقال له يزيد بن حصين الهمداني وكان زاهداً: إئذن لي يابن رسول الله لآتي هذا ابن سعد فأُكلّمه في أمر الماء فعساه يرتدع، فقال له: ذلك إليك، فجاء الهمداني إلى عمر

ابن سعد فدخل عليه فلم يسلّم عليه، قال: يا أخا همدان ما منعك من السلام على ألست مسلماً أعرف الله ورسوله؟ فقال له الهمداني: لو كنت مسلماً كما تقول لما خرجت إلى عترة رسول الله صلى الله عليه وآله تريد قتلهم، وبعد هذا ماء الفرات تشرب منه كلاب السواد وخنازيرها وهذا الحسين بن علي وإخوته ونساؤه وأهل بيته يموتون عطشاً، قد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه، وأنت تزعم أنّك تعرف الله ورسوله، فأطرق عمر بن سعد ثمّ قال: والله يا أخا همدان إنّي لأعلم حرمة أذاهم ولكن:

دعاني عبيدالله من دون قومه ... إلى خطة فيها خرجت لحيني
فوالله لا أدري وإنّي لواقف ... على خطر لا أرتضيه ومين
أأترك ملك الري والري رغبة ... أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عين

يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلى ترك الري لغيري، فرجع يزيد بن حصين فقال للحسين عليه السلام: يابن رسول الله قد رضى أن يقتلك بولاية الري.

قلت: التوفيق عزيز المنال، ومن حقّت عليه كلمة العذاب لم ينجع فيه لوم اللوام وعذل العذال، ومن غلبته نفسه تورّط من شهواتها في أعظم من القيود والأغلال، وكما أنّ الجنّة لها رجال فالنّار لها رجال، وكما أعدّ الله لقوم الفوز والرضوان أعدّ للآخرين العقاب والنكال، وهذا النحس ابن سعد أبعده الله عرف سوء فعله فأضلّه الله على علم وهو أقبح أنواع الضلال، وطبع الله على قلبه وختم على لبّه وجعل على بصره غشاوة فبئست الأحوال، وزهد في الآجلة وهي إلى بقاء، ورغب في العاجلة وهي إلى زوال، وطمع في المال فخر في المآل، فأصلى ناراً وقودها الناس والحجارة، ولم يغن عنه رأيه في الري ولا نفعته الإمارة، فخرج في طالع نحس وباع آخرته بثمن بخس وأصبح من سوء اختياره في أضيق من حبس، فإنّه عصى الله سبحانه طاعة للفجّار، واتّخذ ابن زياد ربّاً فأورده النّار وبئس القرار، وباء في الدنيا بالعار وحشر في الآخرة مع مردة الكفّار.

صلّى لها حيّاً وكان وقودها ... ميتاً ويدخلها مع الفجّار
وكذاك أهل النار في دنياهم ... يوم القيامة جلّ أهل النّار

ويصدّق هذا المدّعى أنّ النبي صلى الله عليه وآله سمع وجبة أو هدّة فقال أصحابه: ما هذا يا

رسول الله ؟ فقال: حجر أُلقي في النّار منذ سبعين خريفاً[1] فالآن حين استقرّ في قعرها، وقد كان مات في تلك الساعة يهودي عمره سبعون سنة، فكنّى عنه بالحجر، لعدم انتفاعه بما بلغه من الدعوة، وكنّى عن مدة حياته يهويه في النّار لأنّ سعيه مدّة حياته سعى أهل النّار فكأنّه فيها هاو، وكنّى عن موته باستقراره فيها، وكذا حال هذا الشقي كان يسعى دائماً سعي من هذا خاتمته وعاقبته، وإلى العذاب الدائم مصيره والنّار غايته، فتبأ له محلاً عن موارد الأبرار، وبعداً له وسحقاً في هذه الدار وتلك الدار، فلقد أوغل في تمرّده، وبالغ في وخامة كسب يده، وترك الحقّ وراء ظهره، ودبّر أُذنه إذ لم ينظر في يومه لغده، وعرف الصراط المستقيم فنكب طوعاً عن سننه وجدده، وصدع قلب الرسول بما صنعه بولده، وأبكى الأرض والسماء بجنايته، وأحزن الملائكة الكرام والأنبياء عليهم السلام ببشاعة فعلته وقبح ملكته، وجاء بها شوهاء عقراء جذعاء تشهد بسوء ظفره، وتنطق برديّ أثره، ولؤم مخبره، وفساد اختياره ونظره، كافلة له بالعذاب الأليم، ضامنة له الخلود في نار الجحيم، مقيماً فيها أبداً إن شاء الله مع الشيطان الرجيم، طعامه فيها الزقوم والغسلين، وشرابه الحميم، مخصوصاً بمقت الله ربّ العالمين، قريباً للعتاة المتمرّدين والطغاة الكافرين، مصاحباً من شايعه وتابعه ورضي بفعله من الجِنّة والنّاس أجمعين.

هذا وهو مع فعله الذي أوبقه، وشرهه الذي قيّده بالخزي وأوثقه، وصنيعه الذي أراق دماء وجهه وأخلقه، يدّعي أنّه من أهل الإسلام ومن تابعي النبي عليه الصلاة والسلام، وممّن يرجو السلامة في دار السلام، مع سفكه الدم الحرام في الشهر الحرام، وإسخاطه الله والنبي والإمام، وإقدامه على ما يحمد في مثله الأحجام.

دم حرام للأخ المسلم في شهر حرام يا لَنعمِ كيف حل

نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

ومن العجب أنّ السيّد والعاقب ومن كان معهم لمّا دعاهم النبي صلى الله عليه وآله إلى المباهلة، وندبهم إلى المساجلة، وجاء صلى الله عليه وآله بعلي وفاطمة والحسن والحسين ضرع النجرانيّون إلى الإستسلام، وخاموا بعد الإقدام، وأعطوا الجزية عن يد لما شاهدوا أولئك النفر الكرام، وأذعنوا حين رأوا وجوهاً تجلو جنح الظلام، وقالوا: لو دعى الله

---

(١) الخريف: السنة والعام.

بهذه الوجوه لأزال الجبال، وقال صلى الله عليه وآله: لو باهلوني لتأجّج الوادي عليهم ناراً.

وكما قال: وهؤلاء المسلمون على ظنّهم عرفوا هذا الخبر، فبالغوا في طمس ذلك الأثر، وما دلّهم كما دلّ السيّد والعاقب النظر، وأقدموا مع العلم إقدام ذوي الغرر، فوقعوا في هوة الخطر، وما أصدق قولهم: إذا نزل القضاء عمي البصر.

قال كمال الدين: فلمّا تيقّن الحسين عليه السلام أنّ القوم مقاتلوه أمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق، وجعلوا لها جهة واحدة يكون القتال منها، وركب عسكر ابن سعد وأحدقوا بالحسين عليه السلام وزحفوا وقتلوا، ولم يزل يقتل من أهل الحسين وأصحابه واحداً بعد واحد إلى أن قُتل من أهله وأصحابه ما ينيف على خمسين رجلاً.

فعند ذلك ضرب الحسين بيده على لحيته وصاح: أما مغيث يغيثنا لوجه الله، أما ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله، وإذا بالحرّ بن يزيد الرياحي ـ الذي تقدّم ذكره ـ قد أقبل بفرسه إليه وقال: يابن رسول الله إنّي كنت أوّل من خرج عليك وأنا الآن في حزبك، فمرني أن أكون أوّل مقتول في نصرتك، لعلّي أنال شفاعة جدّك غداً، ثمّ كرّ على عسكر عمر بن سعد فلم يزل يقاتلهم حتّى قُتل، والتحم القتال حتّى قُتل أصحاب الحسين عليه السلام بأسرهم، وولده وإخوته وبنو عمّه وبقي وحده وبارز بنفسه إلى أن أثخنته الجراحات، والسهام تأخذه من كلّ جانب، والشمر لعنه الله في قبيلة عظيمة يقاتله، ثمّ حال بينه عليه السلام وبين رحله وحرمه، فصاح الحسين عليه السلام: ويحكم يا شيعة الشيطان إن لم يكن لكم دين ولا تخافون المعاد فكونوا أحراراً وارجعوا إلى أنسابكم إن كنتم أعراباً كما تزعمون، أنا الذي أُقاتلكم فكفّوا سفهاءكم وجهاً لكم عن التعرّض لحرمي، فإنّ النساء لم يقاتلنكم، فقال الشمر لأصحابه: كفّوا عن النساء وحرم الرجل واقصدوه في نفسه.

ثمّ صاح الشمر لعنه الله بأصحابه، وقال: ويلكم ما تنتظرون بالرجل وقد أثخنته الجراح وتوالت عليه السهام والرماح، فسقط على الأرض فوقف عليه عمر بن سعد وقال لأصحابه: انزلوا فجزّوا رأسه، فنزل إليه نضر بن خرشنة الضبابي ثمّ جعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام، فغضب عمر بن سعد وقال لرجل عن يمينه: ويلك أنزل إلى الحسين فأرحه، فنزل إليه خولي بن يزيد لعنه الله فاجتزّ رأسه وسلبوه، ودخلوا على حرمه واستلبوا برّتهنّ.

ثمّ إنّ عمر بن سعد أرسل بالرأس إلى ابن زياد مع بشر بن مالك، فلمّا وضع الرأس بين يدي عبيدالله بن زياد قال:

إمــلأ ركــابي فــضّة وذهــباً أنــا قــتلت المــلك المــحجّبا
ومن يصلّي القبلتين في الصبى وخــيرهم إذ يــذكرون النسـبا
قتلت خير الناس أمّاً وأباً

فغضب عبيدالله من قوله ثمّ قال له: إذا علمت أنّه كذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت منّي خيراً ولألحقنّك به، ثمّ قدّمه وضرب عنقه.

قلت: صدق الله، وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون، وعلى هذا مضى من شايع على الحسين عليه السلام أمّا بيد أعداء الله أو بيد أوليائه، فما منهم من فاز بحمد الله بمراد ولا أمل، ولا انتفع بقول ولا عمل، بل مزّقوا كلّ ممزّق، وفرّقوا كلّ مفرّق، واستولى عليهم الحمام وعوجلوا بالعقاب والإنتقام، وأبيدوا بالإستئصال والإصطلام، وباءوا بعاجل عذاب الدنيا وعلى الله التمام.

قال: ثمّ إنّ القوم استاقوا الحرم كما تساق الأسارى حتّى أتو الكوفة، فخرج الناس فجعلوا ينظرون ويبكون وينوحون، وكان علي بن الحسين زين العابدين قد نهكه المرض[1]، فجعل يقول: ألا إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا، فمن قتلنا؟ وكان اليوم الذي قُتل فيه عليه السلام قيل: الجمعة وهو يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستّين من الهجرة، ودفن بالطف من كربلاء من العراق، ومشهده عليه السلام معروف يزار من الجهات والآفاق.

وهذه الوقائع أوردها صاحب كتاب الفتوح، فهي مضافة إليه وعهدتها لمن أراد تتبّعها عند مطالعتها عليه، فهذا تلخيص ما نقلته الأذهان والعقول، ممّا أهداه إليها المروي والمنقول، وقد ألبس القلوب ثوب حداد ما لصبغته نصول، وعلى الجملة فأقول:

ألا أيّــها العــادون إنّ أمــامكم مــقام ســؤال والرســول ســؤول
وموقف حكـم والخـصوم مـحمّد وفــاطمة الزهــراء وهــي ثكـول
وإنّ عــليّاً فــي الخــصام مـؤيّد له الحــقّ فــيما يــدّعي ويـقول
فــماذا تــردّون الجـواب عـليهم وليس إلى تــرك الجـواب سـبيل
وقد سؤتموهم في بـنيهم بـقتلهم ووزر الذي أحــدثتموه ثــقيل

---

(١) نهكت الحمى فلاناً: هزلته وجهدته.

ولا يرتجى في ذلك اليوم شافع سوى خصمكم والشرح فيه يطول
ومن كان في الحشر الرسول خصيمه فإنّ له نار الجحيم مقيل
وكان عليكم واجباً في اعتمادكم رعايتهم أن تحسنوا وتنيلوا
فإنّهم آل النبي وأهله ونهج هداهم بالنجاة كفيل
مناقبهم بين الورى مستنيرة لها غرر ملجوّة وحجول
مناقب جلّت أن يحاط بحصرها نمتها فروع قد زكت وأصول
مناقب وحي الله أثبتها لهم بما قام منهم شاهد ودليل
مناقب من خلق النبي وخلقه ظهرن فما يغتالهنّ أفول

ولمّا وصل القلم في ميدان البيان إلى هذا المقام، أبدت الأيّام من إلمام الآلام ما منع من إتمام المرام على أتمّ الأقسام، ولم ير حزم نظام الكلام دون موقف الإختتام، فاختصر مضمون الأبواب، واقتصر منه على اللباب، وقصر من إطناب الأطناب، وقصر أسباب الإسهاب، فجاء محصول فصوله ملخّصاً في معانيه، ومدلول أصوله ملخّصاً من تطويل مبانيه، اقتصاراً يستغني بمحصّله عن النهاية فيه، وإرشاداً يكتفي بمختصره عن بسيطه وحاويه (إنتهى كلامه رحمه الله) وقد كنّى في هذا الفصل الأخير عن أسماء كتب وحيل بها.

قلت: فأمّا تفاصيل ما جرى للحسين عليه السلام وصورة ما جرى بينه وبين أعداء الله ورسوله ومحاربتهم إيّاه، وقتلهم من قتلوه من أولاده وإخوته، وبني أخيه وبني عمّه وأصحابه، وصورة موقفه عليه السلام وما ظهر من نجدته وشجاعته وبأسه وبسالته، وانقياده إلى أمر الله، وشدّته على أعداء الله، وصبره على ما دفع إليه من فقد الأهل والولد، وقلّة الناصر والعدد، وإزهاق نفسه الشريفة فلها موضع غير هذا الكتاب، فإنّه موضوع لذكر مآثرهم وعدّ مفاخرهم، وإن كان قتله عليه السلام ممّا اكتُسب به فخراً مضافاً إلى فخره، وحوى به قدراً زائداً على شريف قدره، فإنّه نال بذلك مرتبة الشهادة، واختّص بما بلغ به غاية الطلب ومنتهى الإرادة، وحصل له بذلك ما لا يحصل بدوام الذكر وطول العبادة، وكان في الحياة سعيداً وكملت له في الممات السعادة، وأوجب الله له بسابق وعده الحسنى وزيادة، وأذكر الآن شيئاً ممّا يتعلّق بأخباره، وأنت أيّدك الله لا تسأم من إعادة الشيء وتكراره، فإنّي أكرّر مرّة لاختلاف الناقل ومرّة لاختلاف الرواة، وفي كثرة طرق الأخبار ما يؤنس بتصديقها ويقطع بتحقيقها، لاسيّما وقد التزمت بالنقل من كتب

الجمهور، ومرّة لأنّه يعرض لي سهو وأكتب الشيء وأنا أظنّ أنّي لم أكتبه، وربّما عرفت فذكرت أنّه مكرّر، وربّما لم أعرف، ولأنّ هذه هي نسخة الأصل وما عاودتها ولا راجعتها ووقتي يضيق عن مناقشتها، لأنّي منيت في زمان جمع هذا الكتاب بأمور تشيب الوليد، وتذيب الحديد، وتعجز الجليد، ونهبت لي كتب كنت قد أعددتها لأنقل منها في هذا الكتاب، والوقت يضيق عن الشكوى، والرجوع إلى عالم السرّ والنجوى، والحمد لله على ما ساء وسر، والشكر له سبحانه على ما نفع وضر، فأنعمه تعالى لا تعد، وعوارفه لا تحصى ولا تحد.

له أيـاد غـلَيّ سـابقة أعـدّ مـنها ولا أعـددها

قال الحافظ عبدالعزيز الجنابذي في كتاب معالم العترة الطاهرة: الحسين بن علي بن أبي طالب، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولد في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وقُتل بالطف يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين، وهو ابن خمس وخمسين سنة وستّة أشهر، وحُمل رأسه إلى يزيد بن معاوية، وكان قبره بكربلاء من سواد الكوفة، وقتله سنان بن أنس، قال الشاعر:

وأيّ رزيّة عدلت حسـيناً غداة تـبيره كـفّا سـنان

ويقال: قتله شمر بن ذي الجوشن الضبابي، والذي اجتزّ رأسه ابن جوان اليمامي، وكان أمير الجيش الذي سار إلى الحسين عمر بن سعد، أمّره عليهم عبيدالله ابن زياد.

وقال يرفعه إلى أشياخ قالوا: غزونا أرض الروم فإذا كتاب في كنيسة من كنائسهم بالعربيّة:

أترجو أُمّة قـتلت حسـيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

فقلنا للروم: من كتب هذا؟ قالوا: لا ندري.

قال ابن سعد: قال الواقدي: قُتل الحسين بن علي في صفر سنة إحدى وستين وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وقال محمّد بن عمر عن أبي معشر: قُتل الحسين بن علي لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين، قال الواقدي: وهذا أثبت.

وعن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال: أتينا معه موضع قبر الحسين، فقال علي عليه السلام: هاهنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم، هاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل

محمّد صلى الله عليه وآله يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

وعن عبدالله بن مسعود قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل فتية من قريش، فتغيّر لونه، فقلنا: يا رسول الله لا نزال نرى في وجهك شيء نكرهه؟ فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي تطريداً وتشريداً[1].

وعن العوام بن حوشب قال: بلغني أنّ النبي صلى الله عليه وآله نظر إلى شباب من قريش كأنّ وجوههم مصقولة، ثمّ رؤي في وجهه كآبة حتّى عرفوا ذلك، فقالوا: يا رسول الله ما شأنك؟ قال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّي ذكرت ما يلقى أهل بيتي من أُمّتي من قتل وتطريد وتشريد.

وعن عاصم عن زر[2] قال: أوّل رأس حُمل على رمح في الإسلام رأس الحسين ابن علي عليهما السلام، فلم أر باكياً وباكية أكثر من ذلك اليوم.

وعن يحيى بن أبي بكر عن بعض مشيخته قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام حين أتاه الناس، قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد أيّها الناس أنسبوني فانظروا من أنا ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها، فانظروا هل يحلّ لكم سفك دمي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله وابن ابن عمّه وابن أولى المؤمنين بالله؟ أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟ أولم يبلغكم قول الله صلى الله عليه وآله مستفيضاً فيكم لي ولأخي إنّا سيّدا شباب أهل الجنّة؟ أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي وانتهاك حرمتي؟

قالوا: ما نعرف شيئاً ممّا تقول.

فقال: إنّ فيكم من لو سألتموه لأخبركم أنّه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فيّ وفي أخي، سلوا زيد بن ثابت والبراء بن عازب وأنس بن مالك يحدثكم أنّه سمع هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله فيّ وفي أخي، فإن كنتم تشكّون في ذلك أتشكّون في أنّي

---

(١) الطرد: الإبعاد والتشريد بمعنى الطرد. وذكر في اللسان في قولهم طريد شريد، أمّا الطريد فمعناه المطرود والشريد فيه قولان أحدهما الهارب من قولهم شرد البعير وغيره إذا هرب، وقال الأصمعي: الشريد: الطريد.

(٢) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي توفي سنة ٨٣ وهو ابن ١٢٠ سنة وكان ممّن أدرك الجاهلية. وفي بعض النسخ «ذر» بالذال وهو ذر بن عبدالله بن درارة المرهبي الهمداني وقد وثقه العسقلاني وغيره من العامة مات سنة ٨٠ وقيل غير ذلك.

ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله ؟ فوالله ما تعمّدت الكذب منذ عرفت أنّ الله يمقت على الكذب أهله، ويضربه من اختلقه، فوالله مابين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، ثمّ إنّي أنا ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله خاصة دون غيركم ؟ خبّروني هل تطلبونني بقتيل منكم قتلته أو بمال استهلكته أو بقصاص من جراحة ؟ فسكتوا.

قلت: قد تقدم أنّ هذا الكلام منه، وتكراره إيّاه إنّما هو لإقامة الحجة عليهم، وإزالة الشبهة عنهم في قتاله، وتعريفهم ما يقدمون عليه من عذاب الله ونكاله.

وعن منذر قال: كنّا إذا ذكرنا عند محمّد بن علي قتل الحسين عليه السلام قال: لقد قتلوا سبعة عشر إنساناً كلّهم ارتكض في ولادة فاطمة عليها السلام.

وعن ابن عباس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم أشعث أغبر معه قارورتان فيهما دم، فقلت: يا رسول الله ما هذا ؟ فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، قال: فحسب ذلك اليوم وإذا هو يوم قتل الحسين عليه السلام، وقال غيره: فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتّى جاءهم الخبر بالمدينة أنّه قُتل في ذلك اليوم وتلك الساعة.

وعن الزهري قال: قال لي عبدالملك بن مروان: أي واحد أنت إن أخبرتني أيّ علامة يوم قُتل الحسين بن علي ؟ قال: قلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلّا وجد تحتها دم عبيط، فقال عبدالملك: إنّي وإيّاك في هذا الحديث لقريبان.

وعن عيسى بن الحارث الكندي قال: لمّا قُتل الحسين بن علي عليه السلام مكثنا سبعة أيام، إذا صلّينا العصر نظرنا إلى الشمس على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة جمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

قال: وسمعت زكريا بن يحيى بن عمر الطائني قال: سمعت غير واحد من مشيخة علي يقول: وجد شمر بن ذي الجوشن في ثقل الحسين ذهباً، فدفع بعضه إلى ابنته ودفعه إلى صائغ يصوغ لها منه حلياً، فلمّا أدخله النار صار هباءاً.

قال: وسمعت غير زكريا يقول: صار نحاساً، فأخبرت شمراً بذلك، فدعا بالصائغ فدفع إليه باقي الذهب وقال: أدخله في النّار بحضرتي، ففعل الصائغ فعاد الذهب هباءاً، وقال غيره: عاد نحاساً.

وعن أبي خباب قال: لقيت رجلاً من طي، فقلت له: بلغني أنّكم تسمعون نوح الجن على الحسين ؟ فقال: نعم ما تشاء أن تلقى محرزاً ولا غيره إلّا أُخبرك بذلك،

فقال: أنا أُحب أن تخبرني أنت بما سمعت من ذلك، قال: أمّا الذي سمعت فإنّي سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجدّه خير الجدود

وعن أبي حصين عن شيخ من قومه من بني أسد قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام والناس يُعرضون عليه، وبين يديه طست فيه دم، والناس يُعرضون عليه فلطّخهم حتّى انتهيت إليه، فقلت: بأبي والله وأُمّي ما رميت بسهم ولا طعنت برمح ولا كثرت، فقال لي: كذبت، قد هويت قتل الحسين، قال: فأومى إليّ بإصبعه فأصبحت أعمى فما يسرّني أن لي بعماي حمر النّعم.

وعن عامر بن سعيد البجلي قال: لمّا قُتل الحسين بن علي عليه السلام رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي: إئت البراء بن عازب فاقرأه السلام وأخبره أنّ قتلة الحسين عليه السلام في النّار، وإن كاد والله أن يسحت أهل الأرض بعذاب أليم، فأتيت البراء فأخبرته، فقال: صدق الله و(صدق) رسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتصوّر في صورتي.

وعن زينب بنت جحش قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نائماً، فجاء الحسين فجعلت أُعلّله لئلّا يوقظه، ثمّ غفلت عنه فدخلت فتبعته فوجدته على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، قد وضع زبّه في سرّته، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبول، فقال: دعي بنيّ حتّى يفرغ من بوله، ثمّ دعا بماء فصبّه عليه، ثمّ قال: يجري على بول الغلام ويغسل بول الجارية، ثمّ توضّأ وقام يصلّي، فلمّا قام احتضنه[1] فإذا ركع وضعه ثمّ جلس فبسط ثوبه وجعل يقول: أرني، فقلت: يا رسول الله إنّك تصنع شيئاً ما رأيتك تصنعه قط، قال: حدّثني جبرئيل أنّ ابني تقتله أُمّتي وأراني تربة حمراء.

وعن يحيى بن عبدالرحمان بن أبي لبينة عن جدّه محمّد بن عبدالرحمان قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت عائشة رضي الله عنها رقدة القايلة[2] إذ استيقظ وهو يبكي، فقالت عائشة: ما يُبكيك يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي؟ قال: يبكيني أنّ جبرئيل

---

(١) احتضن الصبي: ضمّه إلى صدره.

(٢) الرقدة: النومة. والقايلة: الظهيرة.

أتاني فقال: أبسط يدك يا محمّد فإنّ هذه تربة من تلال يقتل بها ابنك الحسين، يقتله رجل من أُمّتك، قالت عائشة: ورسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثني وأنّه ليبكي ويقول: من ذا من أُمّتي من ذا من أُمّتي من ذا من أُمّتي؟ من يقتل حسيناً من بعدي؟

وعن عبدالله بن يحيى عن أبيه وكان على مطهرة على[1]، قال: خرجنا مع علي إلى صفّين فلمّا حاذينا نينوى نادى: صبراً أبا عبدالله بشاطىء الفرات، فقلت: يا أميرالمؤمنين ما قولك صبراً يا أبا عبدالله؟ قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما لعينيك تفيضان دموعاً أغضبك أحد؟ قال: بل قام من عندي جبرئيل فأخبرني أنّ الحسين يُقتل بشاطىء الفرات، فقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم تملك عيناي أن فاضتا.

وعن شهر قال: سمعت أُم سلمة حين جاء نعي الحسين لعنت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه لعنهم الله، إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله جاءته فاطمة غدية ببرمة فيها عصيدة[2] تحملها على طبق حتّى وضعتها بين يديه، فقال: أين ابن عمّك؟ قالت: هو في البيت، قال: فاذهبي فادعيه وأتيني ببنيه، فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد بيد وعلي يمشي على آثارهم حتّى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأجلسهما في حجره وأجلس عليّاً عن يمينه وفاطمة عن يساره، قالت أُم سلمة: فاجتذب من تحتي كساءاً خيبرياً كان يبسط على المنامة، فلفّهم رسول الله صلى الله عليه وآله جميعاً وأخذ بيده اليسرى طرف الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربّه تبارك وتعالى وقال: اللهمّ هؤلاء أهلي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قالها ثلاثاً، قلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: بلى فادخلي تحت الكساء بعد قضاء دعائه لابن عمّه وبنيه وابنته فاطمة عليهم السلام.

وقال عبدالله: حدّثنا محمّد بن عمرو الشيباني قال: قال الفضل بن عباس بن عقبة بن أبي لهب يرثي من قُتل مع الحسين بن علي عليهما السلام ـ يعني من أهله ـ وكان قبل

---

(١) المطهرة: إناء يتطهر به.

(٢) الغدية: تصغير الغداة. والبرمة: القدر من الحجر. والعصيدة: دقيق يلت بالسمن ويطبخ.

الحسين والعباس وعمر ومحمّد وعبدالله وجعفر بنو علي بن أبي طالب، وأبوبكر والقاسم وعبدالله بنو الحسن بن علي، وعلي وعبدالله ابنا الحسن بن علي، ومحمّد وعون ابنا عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وعبدالله وعبدالرحمان وجعفر بنو عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم.

أعينيّ ألا تبكيا لمصيبتي ... وكلّ عيون الناس عني أصبر
أعينيّ جودي من دموع غزيرة ... فقد حقّ إشفاقي وما كنت أحذر
أعينيّ هذا الأكرمين تتابعوا ... وصلوا المنايا دارعون وحسّر[1]
من الأكرمين البيض من آل هاشم ... لهم سلف من واضح المجد يذكر
مصابيح أمثال الأهلّة إذ هم ... لدى الجود أو دفع الكريهة أبصر
بهم فجعتنا والفواجع كاسها ... تميم وبكر والسكون وحمير
وهمدان قد جاشت علينا وأجلبت ... هوازن في أفناء قيس وأعصر
وفي كلّ حيّ نضحة من دمائنا ... بني هاشم يعلو سناها ويشهر
فلله محيانا وكان مماتنا ... ولله قتلانا تدان وتنشر
لكلّ دم مولى ومولى دمائنا ... بمرتقب يعلو عليكم ويظهر
فسوف يرى أعداءنا حين نلتقي ... لأيّ الفريقين النبي المطهّر

عن يزيد بن أبي زياد قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بيت عائشة رضي الله عنها فمرّ على بيت فاطمة عليها السلام فسمع حسيناً يبكي، فقال: ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني.

وقال البغوي يرفعه إلى أُم سلمة قال: كان جبرئيل عند النبي صلى الله عليه وآله والحسين معي فتركته فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جبرئيل: أتحبّه يا محمّد؟ قال: نعم، قال: أمّا إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك تربة الأرض التي يُقتل بها، فبسط جناحه إلى الأرض فاراه أرضاً يقال لها كربلاء.

وقال البغوي يرفعه إلى يعلى قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الأُخرى، فقال:

---

(١) الدارع: من عليه الدرع. والحسر ـ بضم الحاء وفتح السين المشددة ـ الرجالة في الحرب يكونون بلا درع ولا بيض.

هذان ريحانتاي من الدنيا، من أحبّني فليحبّهما، ثمّ قال: إنّ الولد مبخلة مجبنة مجهلة[١].

عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حامل الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول: اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه.

وعن أسماء بنت عميس عن فاطمة بنت محمّد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاها يوماً فقال: أين ابناي ـ يعني حسناً وحسيناً ـ؟ قالت: قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي: أذهب بهما فإنّي أتخوّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء، فذهبا بهما إلى فلان اليهودي، فوجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدهما يلعبان في مشربة[٢] بين أيديهما فضل من تمر، فقال: يا علي ألا تقلّب ابني قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما، قال: فقال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتّى أجمع لفاطمة تمرات، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ ينزع لليهودي كلّ دلو بتمرة حتّى اجتمع له شيء من تمر، فجعله في حجرته ثمّ أقبل فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدهما، وحمل علي الآخر حتّى أقلبهما.

وعن عروة بن الزبير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبّل الحسين عليه السلام وضمّه إليه وجعل يشمّه وعنده رجل من الأنصار، فقال الأنصاري: إنّ لي ابناً قد بلغ ما قبّلته قط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أرأيت إن كان الله تبارك وتعالى نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي؟

وعن يعلى العامري أنّه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعام دعوا له، قال: فاشتمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم وحسين عليه السلام مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذه فطفق الصبي يفرّ هاهنا مرّة وهاهنا مرّة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه حتّى أخذه، قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأُخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه وقبّله، وقال: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط[٣].

---

(١) قال الجزري: في الحديث: إنّ الولد مبخلة مجبنة هو مفعلة من البخل ومظنّة له أي يحمل أبويه على البخل ويدعوهما إليه فيبخلان بالمال لأجله.

(٢) المشربة: أرض لبنة دائمة النبات.

(٣) قال ابن الأثير: وفي الحديث: الحسين سبط من الأسباط أي أمّة من الأُمم في الخير، والأسباط في أولاد

وعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه حسن وحسين عليهما السلام، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم[1] هذا مرّة وهذا مرّة حتّى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنّك لتحبّهما؟ فقال: من أحبّهما فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني.

قال الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي رحمه الله: ومن مسند الحسين بن علي عليهما السلام عن علي بن الحسين عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، قال: كذا مالك نعم.

وعن علي بن الحسين عن أبيه عليهما السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وعن عمارة بن غزية الأنصاري قال: سمعت عبدالله بن علي بن حسين يحدث عن أبيه علي بن الحسين عن جدّه حسين بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ البخيل من ذكرت عنده فلم يُصلّ عَلَيّ صلى الله عليه وآله.

وعن أبي جعفر محمّد بن علي عن أبيه عن جدّه قال: قال: وجدت في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة مربوطة، فيها: أشدّ الناس عذاباً القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن جحد نعمة مواليه فقد برىء ممّا أنزل الله عزّ وجلّ.

أخبرنا عبدالحق بن عبدالخالق بن أحمد وأبوالحسن علي بن أبو شتكين بن عبدالله الفقيه الجوهري قالا: أنبأنا أبوالغنايم محمّد بن علي بن ميمون الحافظ الكوفي، أنبأنا الشريف أبو عبدالله محمّد بن علي بن عبدالرحمان وعدّهنّ في يده خمساً[2]، أنبأنا القاضي محمّد بن عبدالله الجعفي وعدّهنّ في يده خمساً، أنبأنا أبوالحسين محمّد بن أحمد بن مخزوم ببغداد سنة ثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثني علي بن الحسن السواق وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني حرب بن الحسن الطحّان وعدّهنّ في يده، قال: حدّثنا يحيى بن مساور وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني عمرو بن

⊂ إسحاق بن إبراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، واحدهم سبط فهو واقع على الأئمة والأمّة واقعة عليه، ومنه الحديث الآخر: الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله أي طائفتان وقطعتان منه، وقيل: الأسباط خاصة الأولاد، وقيل: أولاد الأولاد وقيل: أولاد البنات.

(١) لثم الوجه أو الفم: قبّله.

(٢) يعني الفصول الخمسة الآتية في ذكر كيفية الصلوات في الحديث.

خالد وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني زيد بن علي وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي عليه السلام وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وعدّهنّ في يده، قال: حدّثني جبرئيل وعدّهنّ في يده، فقال جبرئيل: هكذا أنزلت به من ربّ العزّة تبارك وتعالى:

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهمّ وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهمّ وترحّم على محمّد وعلى آل محمّد كما ترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهمّ وتحنّن على محمّد وآل محمّد كما تحنّنت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهمّ وسلّم على محمّد وآل محمّد كما سلّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوحى الله عزّوجلّ إلى محمّد صلى الله عليه وآله: إنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإنّي قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وعن راشد بن أبي روح الأنصاري قال: كان من دعاء الحسين بن علي عليه السلام: اللهمّ ارزقني الرغبة في الآخرة حتّى أعرف صدق ذلك في قلبي بالزهادة منّي في دنياي، الهمّ ارزقني بصراً في أمر الآخرة حتّى أطلب الحسنات شوقاً وأفرّ من السيّئات خوفاً يا رب، هذا آخر كلام الحافظ عبدالعزيز رحمه الله هنا.

نذكر هنا أموراً وقعت بعد قتله عليه السلام

من كتاب الإرشاد للمفيد رحمه الله لمّا وصل رأس الحسين عليه السلام وصل ابن سعد من غد يوم وصوله ومعه بنات الحسين عليه السلام وأهله، جلس ابن زياد لعنه الله في قصر الإمارة وأذن للنّاس إذناً عامّاً، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه، فجعل ينظر إليه ويتبسّم إليه وبيده قضيب يضرب به ثناياه عليه السلام، وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير، فلمّا رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال: إرفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما ما لا أُحصيه

كثيراً يقبّلهما، ثمّ انتحب باكياً[١]. فقال له ابن زياد لعنه الله: أبكى الله عينيك، أتبكي لفتح الله، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وصار إلى منزله.

وأُدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد لعنه الله، فدخلت زينب أخت الحسين عليه السلام في جملتهم متنكّرة، وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتّى جلست ناحية من القصر وحفّ بها إماؤها، فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد القول ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتختصمون عنده، فغضب ابن زياد واستشاط[٢] فقال له عمرو بن حريث: أيّها الأمير إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ولا تذم على خطئها، فقال لها ابن زياد: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فرقّت زينب عليها السلام وبكت وقالت له: لعمري لقد قتلت كهلي[٣]، وأبرت أهلي[٤]، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي[٥]، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت، فقال ابن زياد: هذه سجّاعة ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً، فقالت: ما للمرأة والسجاعة، إنّ لي عن السجاعة لشغلاً ولكن نفث صدري بما قلت.

قلت: من سماع هذه الأقوال واستفظاع هذه الأفعال كنت أكره الخوض في ذكر مصرعه عليه السلام، وبقيت سنين لم أسمعه يقرأ في عاشوراء كما جرت عوائد الناس بقراءته لأنّي كنت أجد لما جرى عليه وعلى أهل بيته عليهم السلام ألماً قويّاً وجزعاً تامّاً وتحرّقاً مفرطاً وانزعاجاً بالغاً، ولوعة مبرحة، ثمّ كان قصارى أن أبكي وألعن ظالميه وأسبّهم ولم أر

---

(١) انتحب: تنفّس شديداً.

(٢) استشاط عليه: التهب غيظاً.

(٣) الكهل ـ بالفتح ـ: من كانت سنو عمره بين الثلاثين والخمسين تقريباً.

(٤) أبره: أهلكه.

(٥) اجتثه: قلعه من أصله.

ذلك مطفياً غليلي، ولا مطامناً من غلواء حزني وجزعي، ولا مسكناً حركة نفسي في طلب الإنتقام من أعدائه.

ربّما أخرج الحزين جوى الـ ـثكل إلى غير لايق بالسداد
مثل ما فانت الصلاة سليمان فأنحى على رقاب الجياد[1]

فلعن الله ابن زياد فلقد أوغل في عداوته وطغيانه، وبالغ في تعديه وعداوته وشمر في استئصال أهل هذا البيت الشريف بسيف شمره وسنان سنانه، وأبان عن دناءة أصله بقبح فعله وفعل أعوانه، وركب مركباً وعراً أطاع فيه داعي سلطانه وشيطانه، ورجع إلى أصله الخبيث ونسبه المدخول فجرى على سننه ومضى لشأنه، وثقل وطأته على العترة الهاشميّة ففضى ذلك بمروقه عن الدين وخفّة ميزانه، وليته أخزاه الله إذ لم يكف عزب سيفه كفّ عزب لسانه، وليته قنع بتلك الأفعال الشنيعة ولم يلق النساء الكرائم بجبهه وبهتانه، ولا عجب من قوله وفعله الدالين على سوء فرعه وأصله، فإنّه رجع إلى سنخه الخبيث، وطبعه الدنيء، فإنّ من قديمه ذلك القديم وحديثه هذا الحديث النغل الأديم، فلابد أن ينزع إلى نسبه وحسبه، ويدلّ بفعله على سوء مذهبه، فالإناء ينضح بما فيه والولد سرّ أبيه.

ومن هنا ينقطع نسبه لأنّ أباه ابن أبيه، ورضاه بهذا النسب سلبه النخوة والحمية، ونفى عنه المروة والأريحيّة، وأقامه على دعوى الجاهلية، فالولد للفراش في الشريعة المحمديّة والملّة الحنيفيّة، ومن هذه الأوصاف الدنيّة والنعوت الغير المرضيّة أبيح دم الحسين ﷺ وسبق أهله وحرمه كما تساق الإماء في العراق والشام.

وقد غصّت البيداء بالعيس فوقها كرائم أبناء النبي المكرّم

---

(١) إشارة إلى قصة مسح سليمان أعناق الخيل بالسيف وهي على ما رواه علي بن إبراهيم إنّه ﷺ كان يحب الخيل ويستعرضها فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس وفاتته صلاة العصر فاغتم من ذلك غماً شديداً فدعا الله عزّوجلّ أن يردّ عليه الشمس حتّى يصلّي العصر فردّ الله سبحانه عليه الشمس إلى وقت صلاة العصر حتّى صلّاها ثمّ دعا بالخيل فأقبل يضرب أعناقها حتّى قتلها كلّها. وفي رواية غيره ثمّ أمر بردّ الخيل وأمر بضرب سوقها وأعناقها وقال: إنّها شغلتني عن ذكر ربّي.
هذا ولا يخفى أنّ الخبر مخالف لمذهب الإماميّة واعتقادهم من حيث عصمة الأنبياء ولذلك ردّه الصدوق والمرتضى رحمهما الله وغيرهما من علماء الحديث والتفسير وطعنوا فيه من جهة وفاقه للعامة والكلام فيه طويل فراجع: تنزيه الأنبياء ص٩٣ و٩٤، ومن لا يحضره الفقيه ص٥٣، والبحار ٣٥٦/٥، ومجمع البيان ٣٧٤/٨ وغيره.

فما في حريم بعدها من تحرّج ولا هتك ستر بعدها بمحرّم

يقول ابن هاني المغربي فيها:

بأسياف ذاك البغي أوّل سلّها أصيب علي لا بسيف ابن ملجم

وبالحقد حقد الجاهليّة أنّه إلى الآن لم يذهب ولم يتصرّم

فأبعد الله تلك الأنفس الخبيثة، والعقول المختلة والهمم الساقطة والعقائد الواهية، والأديان المدخولة، والأحلام الطائشة، والأصول الفاسدة، والقلوب التي لا تهتدي إلى رشاد، والعيون التي لا تنظر إلى سداد، وقد غطّى عليها الغَيْنُ، وفيهم يقال أعمى القلب والعين، وصلوات الله على الحسين وأهله السادات الأفاضل، نمال اليتامى عصمة الأرامل، المعروفين بالمعروف والفواضل، ليوث الجدال والجلاد في الجمع الحافل، الآمرين بالقسط والناطقين بالحق، المتحلّين بالصدق، العادلين في الحكم، الفارعين بمجدهم الجبال الشُمّ، الآخذين بالعفو والحلم، المعصومين من الزلل، المبرئين من الخطايا والخطل، الضاربين الهام والقلل، المعروفين بالمعروف، الناهين عن المنكر، البدور الطوالع، الغيوث الهوامع، السيول الدوافع، الفاخرين فلا مساجل ولا منازع، القائمين بأمر الله، الراضين بحكم الله، الممسوسين في ذات الله، الفرحين بلقاء الله.

نجوم طوالع جبال فوارع غيوث هوامع سيول دوافع

مضوا وكأنّ المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهنّ شرايع

فأيّ يد مدّت إلى المجد لم يكن لها راحة من جودهم وأضايع

بهاليل لو عاينت فيض أكفهم تيقّنت أنّ الرزق في الأرض واسع

إذا خفقت بالبذل أرواح جودهم خداها الندى واستنشقتها المطامع

وعرض عليه علي بن الحسين عليه السلام فقال له: من أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين، فقال: أليس الله قد قتل علي بن الحسين؟ فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يسمّى علياً قتله الناس، فقال له ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ فغضب ابن زياد لعنه الله فقال له: وبك جرأة على جوابي؟ وبك بقيّة للردّ عَلَيّ؟ اذهبوا به واضربوا عنقه، فتعلّقت به زينب عمّته وقالت له: يابن

زياد حسبك من دمائنا واعتنقته، وقالت: والله لا أُفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فنظر ابن زياد إليه ساعة ثمّ قال: عجباً للرحم والله إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به.

ثمّ قام من مجلسه حتّى خرج من القصر ودخل المسجد فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أميرالمؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب وشيعته، فقام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي وكان من شيعة أميرالمؤمنين ﷺ، فقال: يا عدوّ الله إنّ الكاذب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه، يابن مرجانة تقتل أولاد النبيّين وتقوم على المنابر مقام الصدّيقين؟ فقال ابن زياد: عَلَيّ به، فأخذته الجلاوزة[1] فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة رجل فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته، فضرب عنقه وصلبه في السبخة رحمة الله عليه.

ولمّا أصبح ابن زياد لعنه الله بعث برأس الحسين ﷺ فدير به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، فروي عن زيد بن أرقم أنّه قال: مرّ به عَلَيّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴾ فقفّ والله شعري[2] وناديت: رأسك والله يابن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب.

قلت: قد تركت أموراً جرت من هؤلاء الطغام الأجلاف، لعنهم الله وأبعدهم من رحمته عند قتله ﷺ، وما فعلوه من قطع يده ورشقه بالسهام والحراب، وذبحه وأخذ رأسه وإيطاء الخيل جسده الشريف، وسبي حريمه وانتزاع ملابسهنّ إلى غير ذلك من الأفعال التي لا يعتمدها ولا بعضها مسلم، ولا يتأتّى لمردة الكفّار وفجارهم وطغاتهم الإقدام على مثلها، والإصرار عليها وكذلك جرت الحال في حمل رأسه الكريم وحريمه الطاهرات إلى دمشق كما تحمل الأسرى والسبايا، ودخولهم إلى يزيد بن معاوية على تلك الهيئة المنكرة والأحوال الشاقة وإنفاذ ابن زياد يبشّر أولياءه وأصحابه، وتابعي رأيه بقتل الحسين ﷺ.

---

(١) الجلوزة: الشرطي الذي يخف في الذهاب والمجيء بين يدي الأمير.

(٢) قف الشعر قفوفاً: قام لشدّة الفزع.

ولمّا دخل رسوله على عمرو بن سعيد بن العاص، وهو أمير المدينة، قال له: ما وراك؟ قال: ما سرّ الأمير، قُتل الحسين بن علي، قال: أخرج فناد بقتله، فنادى فلم أسمع والله واعية قط كواعية بني هاشم في دورهم، فدخلت على عمرو بن سعيد فلمّا رآني تبسّم إليّ ضاحكاً ثمّ أنشأ متمثّلاً بقول عمرو بن معدي كرب:

عجّت نساء بني زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب[1]

ثمّ قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان، ثمّ صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين عليه السلام ودعا ليزيد بن معاوية ونزل.

ودخل بعض موالي عبدالله بن جعفر فنعي إليه ابنيه فاسترجع فقال أبو السلاسل مولى عبدالله: هذا ما لقينا من الحسين عليه السلام فحذفه عبدالله بنعله[2] ثمّ قال: يابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتّى أُقتل معه، والله إنّه لممّا يسخي بنفسي عنهما ويعزى عن المصاب بهما أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسين له صابرين معه، ثمّ أقبل على جلسائه، فقال: الحمد لله، عزّ عَلَيّ بمصرع الحسين عليه السلام أن لا أكون آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولدي.

وخرجت أُم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين عليه السلام حاسرة[3] ومعها أخواتها أُم هاني وأسماء ورملة وزينب تبكي قتلاها بالطف وتقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد منقلبي منهم أُسارى ومنهم ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلمّا كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمرو بن سعيد بقتل الحسين عليه السلام بالمدينة، سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي؛ يسمعون صوته ولا يرون شخصه:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلّ من في السماء يدعو عليكم من نبي وملائك وقبيل

---

(١) وفي اللسان «عجت نساء بني زبيد عجة» اه والأرنب: موضع.

(٢) حذفه: ضربه ورماه.

(٣) حسرت المرأة خمارها عن وجهها: كشفته.

قد لُعنتم على لسان ابـن داود ... ومـوسى وصـاحب الإنـجيل

قلت: أجاد ديك الجن عبدالسلام في قوله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام:

ويُكبّرون بأنْ قُـتلت وإنّـما ... قتلوا بك التكبير والتـهليلا

ومن شعري:

إنّ فـي الرزء بـالحسين الشـهيد ... لعـناء يـؤدّي بـصبر الجـليد

إنّ رزء الحسـين أضـرم نـاراً ... لا تنى فـي القـلوب ذات وقـود[1]

إنّ رزء الحسـين نـجل عـلي ... هـدّ ركـناً مـا كـان بـالمهدود

حـادث أحـزن الولي وأضـناه ... وخـطب أقـرّ عـين الحسـود[2]

يـا لهـا نكـبة أبـاحت حـمى ... الصبر وأجرت مدامعاً فـي خـدود

ومـصاباً عـمّ البـريّة بـالحزن ... وأعـزى العـيون بـالتسهيد

يـا قـتيلاً ثـوى بـقتله الديـن ... وأمسـى الإسـلام واهـى العـمود

ووحـيداً فـي مـعشر مـن عـدوّ ... لهف نفسي على الفـريد الوحـيد

ونـزيفاً يُسـقى المـنيّة صـرفاً ... ظـامياً يـرتوي بـماء الوريـد[3]

وصـريعاً تـبكي السـماء عـليه ... فـتروّى بـالدمع ظـامي الصـعيد

وغـريباً بـين الأعـادي يـعاني ... مـنهم مـايشيب رأس الوليـد[4]

قـتلوه مـع عـلمهم أنّـه ... خير البـرايـا مـن سـيّد ومسـود

واسـتباحوا دم النـبي رسـول ... الله إذ أظـهروا قـديم الحـقود

وأضـاعوا حـقّ الرسـول التـزامـاً ... بـطليق ورغـبة فـي طـريد[5]

وأتـوها صـمّاء شـنعاء شـوهاء ... أكـانت قـلوبهم مـن حـديد

وجـروا فـي العـماء إلى الغـاية ... القصوى أما كان فيهم مـن رشـيد

أسخطوا الله في رضـى ابـن زيـاد ... وعـصوه قـضاء حـقّ يـزيد

---

(١) قوله «لا تنى» من ونى: فتر وضعف.

(٢) أضنى المرض فلاناً: أثقله.

(٣) النزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه.

(٤) الوليد: المولود حين يولد.

(٥) أراد عليه السلام بالطليق يزيد بن معاوية عليه اللعنة والهاوية فإنّه من أبناء الطلقاء يوم فتح مكة حيث قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذهبوا فأنتم الطلقاء، وبالطريد ابن زياد لعنه الله فإنّه بمعنى المطرود في نسبه.

وأرى الحـرّ كـان حـرّاً ولكـن ابن سعد في الخزي كابن سعيد[١]

ومن شعر كنت قلته في أيّام الحداثة من قصيدة لم أذكر غزلها:

وإذا مـا الشـباب ولّـى فـما أنت عـلى فـعل أهـله مـعذور
فاتّباع الهوى وقد وحظ الشيب وأودى غـصن التـصابى غـرور
فـاله عـن حـاجز وسـلع ودع وصل الغواني فوصلهنّ قصير[٢]
وتـعرّض إلى ولاء أنـاس حـبل مـعروفهم قـوى مـرير
خـيرة الله فـي الأنـام ومـن وجـه مـواليـهم بـهيّ مـنير
أمـناء الله الكـرام وأربـاب المـعالي فـفضلهم مشـهور
المفيدون حـين يـخفق سـعي والمجيرون حـين عـزّ المـجير
كـرموا مـولداً وطـابوا أصـولاً فـبطون زكـيّة وظـهور
عترة المصطفى وحسبك فخراً أيّـها السـائل البشـير النـذير
بـعليّ شـيّدت مـعالم ديـن الله والأرض بـالعناد تـمور
وبـه أيـد الإله رسـول الله إذ ليس فـي الأنـام نـصير
وبأسـيافه أقـيمت حـدود صـمرت بـرهة وخـرّت نـحور
وبأولاد الهـداة إلى الحـق أضـاء المسـتبهم الديـجور[٣]
سـل حـنيناً عـنه وبـدراً فـما يخبر عـمّا سـئلت إلّا الخـبير
إذ جلا هبوة الخطوب وللـحرب زنـاد يشب مـنها سـعير[٤]
أسد ما له إذا اسـتحفل النـاس سـوى رنّـة السـلاح زئـير[٥]
ثابت الجأش لا يروعه الخـطب ولا يـعتريه فـيه فـتور[٦]
أعـرب السـيف مـنه إذ أعـجم الرمح لأنّ العدى لديـه سـطور

---

(١) يعني عمرو بن سعيد والي المدينة من قبل يزيد وقد ذكر قبل الأبيات.

(٢) الألفاظ كنايات.

(٣) ليل بهم: لا ضوء فيه إلى الصباح. والديجور: الظلام.

(٤) الزناد جمع الزند: العود الأعلى الذي يقتدح به النار.

(٥) احتفل القوم: اجتمعوا وفي بعض النسخ «استفحل» بتقديم الفاء على الحاء ومعناه ظاهر. الرنة: صوت السلاح أو الصوت مطلقاً. والزئير: صوت الأسد.

(٦) الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع.

عـزمات أمـضى مـن القـدر ... المحتوم يجري بحكمه المقدور
ومـزايـا مـفاخر عـطر الأفـق ... شذاهـا ويـخال فـيها عـبير[1]
وأحاديث سؤدد هي في الدنـيا ... عـلى رغـم حـاسديه تسـير
وترى المشـركين يـبغي رضـا ... الله تـعالى وأنّـه مـوتور
حسـدوه عـلى مآثـر شـتّى ... وكـفاهم حـقداً عـليه الغـدير
كتموا أداء دخلهم وطووا كشحاً ... وقـالوا صـرف الليالي يـدور
ورموا نجله الحسـين بأحـقاد ... تـبوخ النـيران وهـي تـفور
لهف نفسي طول الزمان وينمى ... الحزن عـندي إذا أتـى عـاشور
لهف نفسي عليه لهـف حـزين ... ظل صرف الردى عـليه يـجور
أسـفاً غـير بـالغ كـنه مـا ... أكفى وحزناً تضيق عنه الصدور
يـا لهـا وقـعة لقـد شـمل الإ ... سلام مـنها رزء جـليل خـطير
ليث غـاب تـعيث فـيه كـلاب ... وعـظيم سـطا عـليه حـقير
يـا بـني أحـمد نـداء وليّ ... مخلص جـهره لكـم والضـمير
لكـم صـدق ودّه وعـلى ... أعدائكم سيف نـطقه مشـهور
وهـواكـم طـوق له وسـوار ... وعـليه مـن المـخاوف سـور
أنتم ذخـره إذا أخـفق السـعي ... وأضـحى فـي فـعله تـقصير
أنـتم عـونه إذا دهـمته ... حـادثات وفـاجآته أمـور
أنـتم غـوثه وعـروته الو ... ثـقى إذا مـا تـضمّنته القـبور
واليكم يهدي المـديح اعـتقاداً ... وبكـم فـي مـعاده يسـتجير
بـعليّ يـرجـو عـليّ أمـاناً ... من سـعير شـرارهـا مسـتطير

هاتان القصيدتان قلتهما قديماً، وكان عهدي بهما بعيداً، ولمّا جرى القلم بجمع هذا الكتاب عزمت على أن أمدح كلّ واحد من الأئـمّة ﷺ بـقصيدة، لا لأنّـها تـزيد أقدارهم أو ترفع منارهم، فهم أعلى رتبة وأسمى مكانة من أن يـزيدهم مـجداً عـلى مجدهم الأثيل، أو شرفاً على شرفهم الأصيل، ولكن كان جهد المـقل، ونـصرة مـن تعذّرت عليه النصرة باليد، ولأنّي أحببت أن أخلد لي ذكراً بذكرهم وحمدهم، وأُنبّه

---

(١) شذى الرجل: تطيب بالمسك.

على أنّي عبدهم بل عبد عبدهم، فلمّا انتهيت إلى أخبار الحسين عليه السلام وأثبت تينك القصيدتين، خطر أنّك قلتهما قديماً والثواب عليهما حصل أوّلاً، ولابدّ الآن من قصيدة وفق ما عزمت عليه، فسمحت القريحة بهذه القطعة مع بعد عهد بالشعر وعمله، ومن الله أستمدّ التوفيق فيما أبتغيه، والإعانة على ما يختاره ويرتضيه، وهي:

يابن بنت النبي دعوة عبد ... مخلص في ولائه لا يحول
لكم محض ودّه وعلى ... أعدائكم سيف نطقه مسلول
أنتم عونه وعروته الوثقى ... إذا انكسر الخليل الخليل
واليكم ينضى ركاب الأماني ... فلها نحوكم سرّي ودميل[1]
كرمت منكم وطابت فروع ... وزكت منكم وطابت أصول
فسليوث إذا دعوا لنزال ... وغيوث إذا دعاهم نزيل
المجيرون من صروف الليالي ... والمنيلين حين عزّ المنيل
شرف شايع وفضل شهير ... وعلاء سام ومجد أثيل
وحلوم عن الجناة وعفو ... وندى فايض ورأي أصيل
لي فيكم عقيدة وولاء ... لاح لي فيهما وقام الدليل
لم أقلّد فيكم وكيف وقد شا ... ركني في ولائكم جبرئيل
جزتم رتبة المديح جلالاً ... وكفاكم عن مدحي التنزيل
غير إنّا نقول ودّاً وحبّاً ... لا على قدركم فذاك جليل
للإمام الحسين أهديت مدحاً ... راق حتّى كأنّه سلسبيل
وبودّي لو كنت بين يديه ... باذلاً مهجتي وذاك قليل
ضارباً دونه مجيباً دعاه ... مستميتاً على عداه أصول
قاضياً حقّ جدّه وأبيه ... فهما غاية المنى والسؤول
فعليهم منّي التحيّة ما لاح ... سنا بارقه وهبّت قبول

---

(١) نضا الفرس الخيل: سبقها وتقدمها. والذميل: السير اللين.

المحتويات

ترجمة الإربلي ٥
علمنا في هذا الكتاب ٢٣
مقدّمة الكتاب ٢٧

ذكر النبي ﷺ ٣١
ذكر أسمائه ﷺ ٣١
ذكر مولده ﷺ ٣٧
ذكر نسبه ﷺ ٣٨
ذكر مدّة حياته ﷺ ٣٩
ذكر آياته ومعجزاته الخارقة للعوايد ٤٣
ما ظهر من معجزاته وآياته ﷺ بعد بعثته ٤٦
ذكر فضل بني هاشم وشرفهم ٥١
في ذكر ما ورد من الآثار في معنى الأهل والآل و... ..... ٦٨
في ذكر الإمامة وكونهم خصّوا بها ٧٤
وكون عددهم منحصراً في اثني عشر إماماً ٧٤

ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٧٨
ذكر نسبه عليه السلام من قبل أبيه ٨٣
ذكر كناه عليه السلام ٨٤
ألقابه عليه السلام ٨٦
صفته عليه السلام ٩٣

في بيعته عليه السلام وما جاء فيها ٩٥
ما جاء في إسلامه وسبقه وسنّه يومئذ ٩٦
في ذكر الصدّيقين ١٠٥
في محبّة الرسول صلى الله عليه وآله إيّاه وتحريضه على محبّته وموالاته ونهيه عن بغضه ١٠٦
في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾ ١٢٠
في فضل مناقبه وما أعدّه الله تعالى لمحبّيه وذكر غزارة علمه وكونه أقضى الأصحاب ١٢٥
في بيان أنّه مع الحق والحق معه وأنّه مع القرآن والقرآن معه ١٥٣
في بيان أنّه عليه السلام أفضل الأصحاب ١٥٨
في وصف زهده في الدنيا وسنّته في رفضها وقناعته باليسير منها وعبادته ١٧١
في شجاعته ونجدته وتورّطه المهالك في الله ورسوله وشراء نفسه ابتغاء مرضات الله تعالى ١٨٤
غزوة بدر ١٨٧
غزوة أُحد ١٩٣
غزوة الخندق ٢٠٢
غزوة خيبر ٢١٥
غزوة الفتح ٢١٨
غزوة تبوك ٢٢٨
حروبه أيّام خلافته عليه السلام ٢٣٨
وقعة الجمل ٢٣٨
حرب صفّين ٢٤٥
في ذكر كراماته وما جرى على لسانه من إخباره بالمغيّبات ٢٧٠
في ذكر رسوخ الإيمان في قلبه عليه أفضل الصلاة والسلام ٢٨٢
في ذكر أنّه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه مولى من كان مولاه ٢٨٤
في بيان أمر سورة براءة وكون النبي صلى الله عليه وآله أمر عليّاً عليه السلام بتبليغها ٢٩٤
في بيان ما نزل من القرآن في شأنه عليه السلام ٢٩٥
في ذكر المؤاخاة له عليه السلام ٣٢٠

في ذكر سدّ الأبواب ٣٢٤
في ذكر أحاديث خاصف النعل ٣٢٧
في قول النبي ﷺ : أنت وارثي وحامل لوائي وما هو مكتوب على باب الجنّة ٣٣٠
ذكر مخاطبته بأميرالمؤمنين في عهد النبي صلّى عليه وآله الطاهرين ٣٣٢
في ذكر تزويجه عليه السلام فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام ٣٣٩
في ذكر مناقب شتّى وأحاديث متفرّقة أوردها الرواة والمحدّثون وأخبار وآثار دالّة
على ما نحن بصدده من ذكر فضله ٣٦٢
في ذكر قتله ومدّة خلافته وذكر عدد أولاده عليهم السلام ٤٠٨
ذكر أولاده الذكور والإناث عليه وعليهم السلام ٤١٩
صورة ما كان مكتوباً على مجلّد الأصل بخط المصنّف ٤٢٣

ذكر فاطمة عليها السلام ٤٢٧
ذكر حالها بعد أبيها عليها السلام ٤٧٠
ذكر وفاتها وما قبل ذلك من ذكر مرضها ووصيّتها صلّى الله عليها ٤٧١
في مناقب خديجة بنت خويلد أُم فاطمة عليها السلام ٤٧٨

ذكر الإمام الثاني أبي محمّد الحسن التقي عليه السلام ٤٨٤
في ولادته عليه السلام ٤٨٤
في نسبه عليه السلام ٤٨٧
في تسميته عليه السلام ٤٨٨
في كنيته عليه السلام وألقابه ٤٨٨
فيما ورد في حقّه من رسول الله صلّى الله عليه وآله ٤٨٩
وما رواه عليه السلام وإمامته ٤٨٩
ذكر إمامته وبيعته عليه السلام ٤٩٩
في علمه عليه السلام ٥٠٩

من روى من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عنه عن النبي صلى الله عليه وآله ٥١٧
في عبادته ٥٢٠
في كرمه وجوده وصلاته ٥٢٢
تنبيه من غفلة وإيقاظ من غفوة ٥٢٥
في كلامه عليه السلام ومواعظه وما يجري معها ٥٣١
في ذكر أولاده عليه السلام ٥٣٨
في عمره عليه السلام ٥٤٤
في وفاته عليه السلام ٥٤٥

ذكر الإمام الثالث أبي عبدالله الحسين الزكي عليه السلام.. ٥٥٠

في ولادته عليه السلام ٥٥٠
في نسبه عليه السلام ٥٥٠
في تسميته عليه السلام ٥٥٠
في كنيته وألقابه عليه السلام ٥٥١
في إمامته وما ورد في حقّه من النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً ٥٥١
في علمه وشجاعته وشرف نفسه ٥٥٩
في كرمه وجوده عليه السلام ٥٦٧
في ذكر شيء من كلامه عليه السلام ٥٧٠
في أولاده عليه وعليهم السلام ٥٨١
في عمره عليه السلام ٥٨٣
في مخرجه إلى العراق ٥٨٤
في مصرعه ومقتله عليه السلام ٥٨٧
أموراً وقعت بعد قتله عليه السلام ٦٠٣